

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٦١) المجلد (٦١) العام [٦٥] رجب ١٤٢٠ هـ - أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٩م



فيصل بن فهد
الأمير الذي فقدناه

ابن ميمون .. تلمودي حتى النخاع

الخلُّ الوفيّ ... ؟!!!

الجمالية والبحث العقلي

مجلس الشورى حملتني اليه أجنحة الكلمة !

سكينة فؤاد

اليوم الوطني الوفاء والنماء

الهيدروجين طاقة القرن المقبل

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

قال معا

بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية

تعود الينا هذه الذكرى العزيزة: ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية، كلما اشرقت على الدنيا عامة وعلينا خاصة، شمس اليوم الأول من برج الميزان في كل عام.

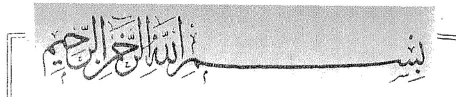
وفصل الميزان فصل يتسم باعتدال الجو وجمال الدنيا، وبهجة الأحلام.. وموافقة اليوم الوطني لمستهله يحمل في طياته بشرى ديمومة استقبالنا لهذه الذكرى الماجدة ان شاء الله.

ولعل من الملائم أن نشيد بموجز عن يوم الذكرى ومناسباتها الرفافة في هذه المناسبة الوطنية الحفيلة.. ذلك ان جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة وموحد شمل البلاد جعل هجيراه وهو ناعم الاظفار أن يستعيد ملك أبائه وأجداده وأن يؤسس مملكة عربية اسلامية في الأقطار التي كانت مهد العروبة والاسلام. وقد وفقه الله تعالى الى تحقيق أحلامه الكبرى تلك بعد ما كابد في ذلك ما يكابده الأبطال المصلحون في سبيل تحقيق الآمال الضخمة الجليلة.. وقد نجح برغم كل المتاعب في تحقيق ذلك المرام العظيم فضم اشتات تلك البلاد في هذه الجزيرة، ثم استطاع بتوفيق الله تعالى ثم بحكمته السامية وعبقريته الملهمة أن يوحد شملها وأن يكون منها مملكة منضامة متضامنة يشعر الفرد في كل بلد وصقع فيها بأنه انسان له مكانه ومكانته في مجتمعه المتضامن الرشيد، ويشعر جمهورها بأنهم أمة واحدة في كل شيء.. فلما تم له هذا المطلب الرفيع وفق جلالته الى وضع الاسم المناسب الذي يجسد معالم الوحدة الفعلية ألا وهو اسم (المملكة العربية السعودية) وهكذا اتحد (المسمى) أولا فوضع له (الاسم) المناسب ثانيا..

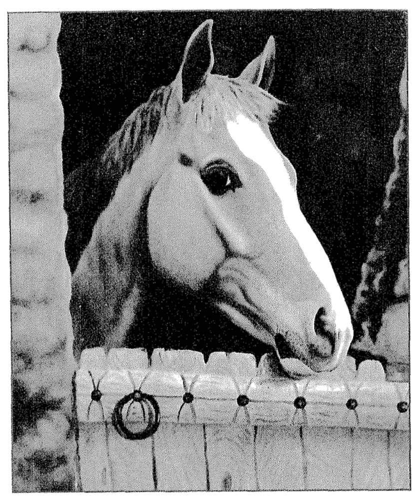
ونحن الألى شهدوا من كثب جهاد جلالته وميلاد المملكة المتحدة على يديه ككيان ضخم فذ من ثمار ذلك الجهاد السديد الرشيد تسودنا الغبطة وتعمنا البهجة كلما رأينا هذا الكيان الضخم يبرز للعيان عالى البناء، مرموق الكيان بين دول العالم كدولة عربية مسلمة محترمة ذات مكانة مرموقة بارزة بين دول العالم المتحضر، وكدولة اسلامية يجد المسلم فيها أينما كان موطنه ملجأ وحمى يرفع من مستواه ويقدم له ما ينقذه من المهاوي المادية والسياسية في كل مكان.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو القعدة ١٣٨٣هـ/ اكتوبر ١٩٧٨م



حرف ولون



اللوحة للفنان : ابراهيم السويل ـ السعودية

السيد .. خلف البوابة

اشــارة

• تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ ـ فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٦١)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس





وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ –
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٢٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ –
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

فقرات مستلة

**** الطحالب: نباتات اقتصادية وغذائية.**

(د. مهيب اسماعيل) ص ١٢

**** النقد الأدبي القديم عرف التفكير الجمالي متصلا بالصياغة الأدبية، وقائماً بالتناسب والتناسق.**

(د. عبد القادر فيدوح) ص ٤٤

**** «لو لم يخلق اليهودي لانعدمت البركة من الأرض» هكذا يزعمون في تلمودهم..؟!!.**

(د. محمد على البار) ص ٥٦

**** «كتبت فهرساً بمقالات الشيخ الطنطاوي التى كتبها في الرسالة».**

(د. محمد رجب البيومي) ص ٩٠

**** دخلت مجلس الشورى على اجنحة الكلمة.**

(سكينة فؤاد) ص ١٣٢

منهليات

الرياض عاصمة الثقافة ٢٠٠٠

الثقافة، ليست نمطاً للحياة يُستحدثُ، بل هو عمق في وجدان الأمة، بعيد الغور في سراديب حياتها، ونسيج فعالياتها.. وما الحكمة والمثل السائر إلا ترجمان فاعل لهذا العمق، بعيد المدى..

وتتعاقب الأجيال، وتتجدد الرؤى، وتأتي الصياغات متداخلة، قديمها وجديدها لتضيف بعداً إلى بعد، وحياة إلى حياة، في تناغم وتناسق، يكون ناتجه الكلى نظام للحياة والأحياء، ونهج مرتضى في الفكر.. يرفده من ورائه عطاء وجداني وروحي يكسبه القوة والدفع.

في المملكة العربية السعودية، كان للأمير الراحل فيصل بن فهد، دوره المشهود والمشكور في رعاية الحركة الثقافية، حتى وصلت إلى ما وصلت اليه الآن.

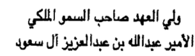
الحركة الثقافية في كل عطاءاتها اكتسبت زخماً محلياً واقليمياً ودولياً..

الجامعات والاندية والمهرجانات، والندوات والمحاضرات واللقاءات، كل تلك مجتمعة كان لها دورها الفاعل في تشكيل هذا الزخم الفكري والثقافي.. ولا شك ان (مهرجان الجنادرية) أصبح معلمة من معالم الحركة الفكرية والثقافية في المملكة.

المحرر

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.




ولي العهد صاحب السمو الملكي
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود



النائب الثاني صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

اليوم الوطنى .. حلم الأمة

اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية، يتجدد، وتتجدد معه آفاق الرؤية الراكزة في ضمير الأمة عطاء غير منقطع، ونماء لا تخطؤه العين، وأخذاً بأسباب التطور الدائم وفق سنن الحياة، وأبجديات التجديد، في إطار ثوابت هذه الأمة العقدية والاخلاقية والاجتماعية والاقصادية.

وعندما يأتي (الأول من الميزان) كل عام تتداعى الى النفس كل مجاهدات الماضين، بقيادة الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - في توحيد أطراف هذا الكيان الكبير، وفي ترسيم قواعد وثوابت النهضة الكبرى لهذه الأمة، ذلك من خلال رؤية مستقبلية واسعة وحكيمة، تسعى وسعها لبناء مجد، هو القمة.

هذه البلاد قبل ان تكون ما هي عليه الآن كانت قبائل متناحرة متفرقة، لا يجمع بينها جامع، ولا يؤلف بينها مؤتلف، حرب ودمار وتقتيل، فلما توفر الأمن وأسبابه، وكان التوحد ونتائجه، تكونت الأمة، ونهضت.

إذن، كان الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - اكثر حرصاً على توحيد هذا الشتات المتنافر، قلبا وقالباً... وحينئذ تتلاقى الاكف في العطاء الموحد المتحد.

كان الانتماء للقبيلة، وبعد التوحد، غدا الانتماء للوطن، وهذه نقلة لها ما بعدها، إذ قضية الانتماء تمثل واحدة من قضايا النهضة.. ولما كان أمر (الانتماء) قضية مصيرية لكل أمة من الأمم، أصبحت شاغل الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - .

والانتماء الذى كان يسعى في تحقيقه هو (الانتماء الديني والوطني) وهما قاعدتان أساسيتان


من انجازات المملكة

لبناء النهضة.

في الانتماء الدينى: كان الملك عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ اكثر وضوحاً وأشد تمسكا، وأقوى قولا وعملا في التمسك بدين الله، وتطبيق شرعه «٠٠ ان خطتي التي سرت عليها ولا أزال اسير عليها هي إقامة الشريعة السمحة»٠٠ «كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، إنى والله وبالله وتالله اقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة، لا أضن به»٠٠ «إنكم تعلمون ان أساس احكامنا هو الشرع الاسلامي»٠

هذه اطراف من كلمات الملك المؤسس، عبد العزيز آل سعود وهي بلا شك تمثل منهجية مرتكزات هذه الدولة الوليدة٠

وفي الانتماء للوطن، استطاع الملك عبد العزيز، أن يقيم أمة موحَّدة، متلاقية الأهداف والغايات، كانت هي ركيزة هذه المملكة٠٠ وجاء ابناؤه من بعده، فساروا على نهجه وثوابته، وأخذوا بكل اسباب التطور والرقي والتنمية، لايجاد مجتمع حضاري في كل بنياته النفسية والاجتماعية والاقتصادية٠

والمملكة العربية السعودية الآن، واحة للأمن والأمان، وهي قبلة المسلمين، إذ تضم بين جناحيها الحرمين الشريفين، وهي الساعية بالخير والمعروف بين الدول الاسلامية والعربية٠



رحل أمير الشباب

انجازات وأوسمة دولية على كافة المستويات

ولد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله في الرياض عام ١٩٤٦م، متزوج وله من الأبناء نواف وخالد وثلاث بنات.

تخرج سموه في جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧١ وتولى الرئاسة العامة لرعاية الشباب عام ١٩٧٤م كما تولى سموه رحمه الله بالاضافة الى ذلك المناصب التالية:

- رئيس اللجنة الأولمبية العربية السعودية ٧٥م.
- رئيس الاتحاد العربي للالعاب الرياضية ٧٦م.
- رئيس الاتحاد العربي لكرة القدم ٧٦م.
- رئيس الاتحاد السعودي لكرة القدم ٧١م.
- رئيس الاتحاد الرياضي للتضامن الاسلامي ٨١م.
- عضو اللجنة الأولمبية الدولية ٨٤م.
- رئيس الجمعية السعودية لبيوت الشباب ٧٣م.
- رئيس اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الاسلامي ٨٢م.
- رئيس اللجنة العليا لجائزة الدولة التقديرية في الأدب بالمملكة العربية السعودية ٧٩م.
- رئيس اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات ٨٤م.
- رئيس الاتحاد السعودي لرياضة المعاقين ٩٢م.

وحصل سموه رحمه الله على الأوسمة والميداليات والنياشين التالية:

- تفضل خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ومنح سموه وشاح الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى (أعلى وسام بالمملكة) عام ٩٣م.
- حصل على وشاح الملك فيصل.
- تفضل الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية وانعم على سموه بوسام العرش عام ٨٥م.
- منح فخامة الحبيب بورقيبة الرئيس السابق للجمهورية التونسية سموه وسام الجمهورية من الطبقة الاولى عام ٨٦م.
- منح سمو امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح سموه وسام الكويت ذا الوشاح من الدرجة الممتازة عام ٩٣م.
- حصل سموه على وسام (أوردر) عضوية اللجنة الأولمبية الدولية من اللجنة الأولمبية الدولية.
- منحت مجلة بطل افريقيا الرياضية في تونس سموه الميدالية الذهبية الأولى عام ٨٩م.
- منحت جمعية بيوت الشباب العربية سموه وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ٨٩م.



صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

- تسلم سموه شهادة الزمالة للمنظمة الكشفية العالمية زمالة بادن باول وذلك عام ٩٣م.
- تقلد سموه الكريم الوسام العالمي للاتحاد الدولي لكرة اليد عام ٩٧م.

وكان لسموه رحمه الله العديد من الاعمال والمجهودات البارزة تجاه وجهات النظر والمواقف العربية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وله بصمات مشهود بها في تطوير الرياضة والثقافة والحركة الشبابية في المملكة العربية السعودية، وكل انحاء العالم العربي، وذلك عن طريق البرامج الوطنية الطموحة التي رعاها من خلال الرئاسة العامة لرعاية الشباب وفي مقدمتها مكافحة المخدرات وحملاتها الناجحة تحت شعار (لا للمخدرات).. الى جانب النشاط المستمر من خلال الاتحاد العربي للألعاب الرياضية لتعميم البرامج التي تسعى الى انتشار وتوسيع اعداد الممارسين للرياضة.

كما كانت لسموه رحمه الله جهود مميزة في المجالات الانسانية والتبرعات تجاه العديد من أصحاب ذوي الحاجات في مجالات البر والخير ودعم المؤسسات الانسانية والخيرية، كذلك كانت لسموه اسهامات مميزة في انشاء ودعم بعض المراكز الطبية في داخل المملكة وخارجها.

نعم .. فقدنا الأمير

هذا الامير .. الانسان .. أولا وعاشرا:

كما كان يعطي ويهب ويمنح في هدوء .. رحل أيضا في هدوء.. ملامح وجهه وتقاسيم جبينه ومحياه هادئة.. كلها تغريك بمحبته بالحديث اليه، انه من (الموطّئين أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون).

انه الابتسامة الهادئة الدافئة، تنبسط معها أسارير النفس، هادىء في حديثه ونبرات صوته بل هو هادىء حتى وان اضْطُر لرفع صوته.

جعل من البر والخير ميدانا فسيحا، تتسع دائرته وتتداح باتساع نفسه، وانبساط اريحيته، وموفور كرمه.. حتى غدت أياديه الى الخير سباقة، والى المعروف ناشطة.

لسنا بسبيل تعداد مآثر الخير فيه، وأيادي المعروف عنده، بل يكفي أن نشير الى عشرات الملايين التي أنفقها في اعمال الخير والبر والاحسان والمعروف.. يأتيه اصحاب الحاجات الملحة، ويأتيه المرضى والمحتاجون، لا ينصرف احدهم منه الا وقد قضيت حاجته واستجاب لطلبه.

ليس هذا فحسب، بل يتتبع الحالات الانسانية التي تكتبها الصحف داخليا وخارجيا، فيسعى في حلها، والاستجابة لندائها.. حقيقة انه الساعي على الارملة والمحتاج واليتيم.

كان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.. الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم اليه أنفعهم لعباده..

نسأل الله جلت قدرته ان يجعل كل عمل خير عمله أو سعى فيه، أو نوى أن يعمله، ان يكتبه في ميزان حسناته، وان يثيبه بالاحسان فضلا واحسانا.

وآخر عمل خير ومعروف سعى فيه (رحمه الله) موضوع (الصبية قمر) وقضت ارادة الله أن ينفذ خادم الحرمين الشريفين (يحفظه الله) أمنيته هذا جانب من جوانب انسانيته فيما يتعلق بالافراد وحاجاتهم.

وجانب آخر، حاجات الجماعات، فانه باذن الله تعالى وتوفيقه قاضيها والمساهم في انجازها ما وسعه الامر. وحدث في هذا الشأن ولا حرج (تأسيس مستشفيات، والمساهمة في تأسيسها أو تسييرها، المساهمة في اعمال مراكز الاطفال المعاقين، وكذلك دور الايتام والمدارس والمعاهد والكثير الكثير) كل هذا على مستوى العالم العربي والاسلامي.. (انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا)

هذا الامير .. أمير الثقافة:

انه شعلة متقدة، وحركة دائبة، ونشاط مستمر، وسعي في الانجاز لا يعرف الملل.. هذا، على كل المستويات (المحلية الاقليمية العالمية).

تولى امر الثقافة، فغدت كأنها قد نشطت من عقال.. اندية ثقافية وجمعيات للثقافة والفنون في أنحاء المملكة ترعى أمر الثقافة والفكر والادب والفنون والمعرفة، وهل الثقافة الا ركيزة من ركائز الحضارة؟ وهل تقوم حضارة ونهضة من غير ثقافة؟

وهكذا، كانت نقطة البداية عنده واضحة، والمرتكز قائم على ذهنية وضاءة نيرة، في ربوع المملكة انتشر العلم والعلماء، والثقافة والمثقفون والفكر والمفكرون. كانت بدايته بالانسان اولا.. وفي الانسان، عقله وفكره اولا.. وعندئذ تأتي الحضارة تبعا.. مؤتمرات، وندوات، ولقاءات، ومهرجانات، وجوائز، تبناها واشرف عليها ورعاها الامير الفقيد.. إنه جهد امير الثقافة في الداخل والخارج.

هذا الامير .. أمير الشباب:

الرياضة، بكل فروعها ومسمياتها، لم تعد شأناً لا يؤبه به.. بل غدت شأنا عالميا ترصد لها الميزانيات الضخام، وتتنافس فيها الدول والقارات.. لقد أصبحت مظهرا من مظاهر الحضارة والتقدم.. وهذه، رعاها أمير الشباب، وأخرجها من المحلية الي العالمية، ولم يقف جهده في حدود الوطن، ولم يقصر همه في المملكة وحسب، بل رعى أمر الرياضة في كل العالم العربي، دعما ماليا وادبيا واداريا..

وتشهد له (الرياضة) على مستوى العالم العربي بمدى الجهد الذى قام به من أجل تنشيطها ومعاونتها في القفز على كل العثرات والحواجز لتلحق بركب الرياضة على مستوى العالم.

لقد رحل الامير الانسان (طيب القلب) عن دنيانا، الى جوار ربه الرحيم الكريم الغفار.. والى الله عز وجل نضرع بالدعاء رحمة ومغفرة وحسن جوار، انه سميع الدعاء، مجيب النداء.

ألا رحم الله (فيصل) وأحسن اليه وجعل الجنة مثواه .. وألهمنا جميعا فيه الصبر وحسن العزاء..

رئيس تحرير

مكتبة الأمير فيصل بن فهد

إعترافا بفضل وجهود صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود الرئيس العام لرعاية الشباب راعي الثقافة والأدب والفكر يرحمه الله ٠٠ وإيمانا بدوره الرائد في ترسيخ المفهوم الثقافي وتفعيله ودعمه المتواصل ماليا وإداريا ومعنويا من خلال برامجه النموذجية التي تعتمد على المنهجية الصحيحه والتأسيس القوي للبناء السليم فقد أطلق نادي الرياض الأدبي اسمه الكريم على مكتبة النادي٠٠ وحينما يعتمد النادي هذا الأمر المهم فإنما يضع الأمر في نصابه الحقيقي نظرا لما للمكتبة من أهمية كبيرة لدى سموه الكريم والذي كانت له اليد الطولى في دعمها ووصولها إلى ما وصلت إليه من سعة وانتشار وحقق لها سمعة رائعة وواسعة بين المثقفين ويتضح ذلك من خلال زوارها والمستفيدين منها حيث تأسست على مستوى رفيع من كافة الجوانب مكانا وزمانا ومحتوى٠٠ فهي تضم كمًّا كبيرا من أمهات كتب الثقافة والأدب العربي الرئيسة إضافة الى الكتب الأخرى المتنوعة والدوريات التي تقدر بحوالي ١٠٣٧٠ عنوانا عدا المتكرر؛ منها ٥٠٠ كتاب أفرنجي والباقي باللغة العربية ويقدر عدد الدوريات العربية بـ ١٥٠ دورية منها مجلدات قيمة مثل: الرسالة للآداب، المقتطف، المسرح، الشعر، الكاتب٠ ولكي نواكب النظم الحديثة المعمول بها علميا فقد تم إدخال أنظمة الحاسب الآلي في فهرسة المكتبة وحفظ المعلومات منذ زمن بعيد٠٠ كما تعتمد المكتبة على الشراء والإهداء في تزويد مقتنياتها٠٠ وتجدر الإشارة في سياق هذا المقام الى ما تضمه أيضا من المجلات والدوريات الاستشراقية (بثلاثة عشر لغة) والتي لا يوجد منها شيء في المملكة الا جزء لدى جامعة الملك سعود بالرياض٠

والنادي الأدبي بالرياض حينما يعلن عن هذا الواجب البسيط في حق رجل لا يمكن أن يحاط بتكريمه لسعة مكانته وسمو قدره وعظيم إنجازاته في هذه البلاد الطاهرة والتي تتمثل في المجال الشبابي والثقافي والنواحي الاجتماعية٠٠ فإنما يضع اللبنة الأولى، ولذلك فإن النادي يدرس حالياً ما يمكن أن يقوم به مستقبلا من برامج تتشرف باسمه وسيعلن عنها في حينه بإذن الله٠

أربعينية (العرب

الكويت ـ المنهل:

شهدت الكويت خلال الفترة من ١٠ الى ١٢ أبريل ١٩٩٩م فعاليات احتفال مجلة «العربي» بمرور أربعين عاما على إصدارها وتحت عنوان «لقاء الأشقاء»٠

وشهدت الأيام الثلاثة للمهرجان العديد من الندوات الهامة التي انطلقت من نجاح نموذج مجلة «العربي» على مدى ٤٠ عاماً لمناقشة الواقع الثقافي العربي بكافة أبعاده، ودراسة أسباب أزمته الراهنة وطرح الحلول لها٠

وفي مناسبة هذه الندوة احتشد ما يزيد على ٩٥ كاتباً ومفكراً وأديباً ساهم معظمهم بفاعلية في إثراء النقاش حول القضايا التي طرحتها الندوات والتي تنوعت فيها البحوث من «التحديات التكنولوجية وثقافة عصر الإنترنت» إلى أدب الرحلات وتطور مجلة «العربي» فنيا وتحريريا إلى إلقاء الضوء على المشروع الثقافي بأكمله والتي تعتبر «العربي» إحدى علاماته الفارقة وأقدمها وأكثرها أثراً٠

واتفق الحاضرون على أن استمرار مجلة «العربي» في الصدور طيلة تلك السنوات في وقت توقفت فيه مجلات ثقافية عديدة، يعني سلامة الخط الذي انتهجته المجلة والذي تخاطب من خلاله كل فرد في الوطن العربي، إضافة إلى عرب المهجر، كما يعني أن الدعم المعنوي والمادي الذي تقدمه الحكومة الكويتية للمجلة دون التدخل في خطها مثل رافداً ساهم في استمرار المجلة في السير على نفس الطريق حتى بعد كارثة الغزو العراقي لدولة الكويت٠

وأكد هؤلاء أن «العربي» تمثل واجهة ساهمت في إيصال الثقافة العربية إلى مختلف بلاد العالم ومثلت خير سفير لأمتها في كافة المناطق طيلة سنواتها الأربعين٠

وأشار المتحدثون في الندوات والذين استخدموا أحيانا الوسائل الإيضاحية في تقديم المحاضرات لجمهور الحاضرين الى ارتباط مجلة «العربي» لديهم بالثقافة المستنيرة التي ساهمت في تكوينهم الفكري ومثلت لمعظمهم بداية الالتقاء

ـي) .. ومستقبل الثقافة

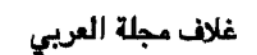
بالمعرفة ومن ثم الانفتاح مع مجلة «العربي» على عالم واسع من الثقافة الجادة.

ومن العناوين التى قدمت في الندوة الاحتفالية:

- (المشروع الثقافي الكويتي وآفاقه العربية - التصور التاريخي والمعوقات) دراسة للدكتور يعقوب الغنيم.
- (المشروع الثقافي الكويتى كما يراه العالم العربي رؤية من المشرق العربي) محاضرة للدكتور جابر عصفور.
- (رؤية المغرب العربي للمشروع الثقافي الكويتي) محاضرة للدكتور المنصف الشنوفي.
- (سبعة عشر عاماً من التلاقي - رؤية رئيس التحرير) للدكتور محمد الرميحي.
- (التطور التاريخي والفنى لتجربة مجلة العربي) دراسة للدكتور محمود المراغي.
- (أدب الرحلات العربي وتطوره) دراسة للدكتور محمد رجب النجار.
- (أزمة المجلات الثقافية في العالم العربي) محاضرة للدكتور ابراهيم غلوم.
- (التحديات التكنولوجية التي تواجه المجلات الثقافية) دراسة للدكتور نبيل علي.

وفي هذه الاحتفالية تم تكريم مؤسسي مجلة العربي وقدامى العاملين فيها ومن بينهم اسماء المرحومين الدكتور أحمد زكي أبو شادي، والاستاذ احمد بهاء الدين، اضافة الى الأساتذة: فهمي هويدي، ود. محمود السمرة، ومصطفى نبيل، واحمد السقاف، وبدر خالد البدر والفنان الراحل حسن حاكم.

وبهذه المناسبة الاحتفالية العظيمة للزميلة الرصينة (مجلة العربي) تسوق اليها (مجلة المنهل) صادق تحاياها، وخالص تقديرها وأمنياتها لها بالتقدم الدائم والازدهار، خدمة أمينة في ميدان الكلمة، وحمل أمانتها، ورفعة للثقافة العربية، فقد أكدت التجربة الثقافية والفكرية لمجلة العربى خلال أربعة عقود الصدق في التوجه، والجدية في الطرح.

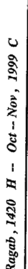

غلاف مجلة العربي

د. أحمد زكى أبو شادى - أول رئيس تحرير للمجلة



أحمد بهاء الدين

د. الرميحي



مؤتمر الشعر العربي الأول بفاس المغربية

احتضنت فاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية مؤخرا أشغال مؤتمر الشعر العربي الأول والذي تميز بحضور شعراء وأدباء ونقاد من جميع الدول العربية. ناقشوا على امتداد ثلاثة أيام جملة محاور هامة تخص التواصل الإبداعي بين الماضي والحاضر.

وكان الدكتور (عبد الكبير العلوي المدغري) وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربي، قد أكد في الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر على أن التظاهرة تتيح وقفة تأملية في واقع الشعر العربي ومستقبله، وتشكل مناسبة لإنجاز وقفة تقييمية متأنية حول الفوضى التي تطبع راهن الممارسة الشعرية من حيث كثرة «المتشاعرين». وقال إنه رغم كثرة الصراعات التي عرفتها الأمة العربية، فقد بقي نبع الشعر فياضا، ومازال هناك شعراء نبغاء، كما تحدث عن وضع الشعر في الإسلام. مؤكداً أن هذا الدين الحنيف لم يتنكر للشعر، بل اهتم به وارتقى به عن مستوى الفطرة الى مستوى الأصل الراسخ في المنهج التربوي.. ويتجسد هذا التعامل في ثلاثة عناصر: (التأصيل [طبع الشعر بالمنبع الأول: روح الإيمان] - التهذيب [إعطاء الشعر بعداً أخلاقيا] - التوظيف [جعله في خدمة الرسالة الهادية].

وتناول الكلمة كذلك الشاعر الدكتور «مانع سعيد العتيبة» المستشار الخاص لرئيس دولة الامارات - اعتبر فيها الشعر خبزاً للعقل والفكر، وصرح «انني كاقتصادي مشدود أكثر للشعر لأنه يتيح لي مجالا أرحب من الاقتصاد، الشعر أغنى ثروة وأكثرها وأخلدها، وهو للأمم - خاصة الأمة العربية - ثقافة وتراثاً وحضارة وعملية متواصلة في الماضي والحاضر واستشرافا للمستقبل».

وكانت الجلسة الإفتتاحية، مناسبة للاستماع إلى قصائد ألقاها كل من: الدكتور «مانع سعيد العتيبة» أحمد دحبور (فلسطين) عبد العزيز محيي الدين خوجة (السعودية) - أمينة المريني (المغرب) - عبد العزيز البابطين (الكويت) - جميلة الماجري (تونس). وذلك على نغمات عزف منفرد على آلة «السنتور» للأستاذ «أكرم العراقي».

وانطلقت أشغال المؤتمر بتنظيم أول جلسة نقدية حول موضوع «الشعر العربي بين الماضي والحاضر: أية خصوصية؟» شارك فيها الأساتذة: الدكتور محمد بنشريفة (عضو أكاديمية المملكة المغربية) - الدكتور عبد الله الغدامي عن جامعة الملك سعود بالرياض - الدكتور محمد الوالي - الدكتور فوزي عيسى (كلية الآداب - الإسكندرية) - الدكتور عبد الله المعطاني عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة - الدكتوران أنور المرتجي ومحمد العمري من المغرب وتناولت الجلسة النقدية الثانية موضوع «الأنماط المتجددة في الشعر العربي (النبطي - الحساني - الملحون) وحقيقة الهوية.



صورة من المؤتمر

وشارك في هذه الجلسة الدكاترة: احمد مفدي (المغرب) - سعد الصويان (المملكة العربية السعودية) - عبد المالك الشامي (المغرب) - عبد الله المعيقل (السعودية) - غسان الحسن (الإمارات العربية المتحدة).

فيما ناقشت الجلسة النقدية الثالثة موضوع «جمالية المكان في القصيدة العربية: الدلالة والرمز. وشارك فيها الدكاترة: عبد الرحمن طنكول (المغرب) - سهام الفريح (الكويت) - جريدي سليم المنصوري (السعودية) - عبد الله بن ناصر العلوي (المغرب) - صبحي حديدي (سوريا) - رشيدة بن مسعود (المغرب).

وثمن المشاركون أجواء الحوار والنقاش الجدي الذي ميز أشغال المؤتمر. منوهين أيضا بالتوصيات التي تم الخروج بها وفي مقدمتها الدعوة الى الاهتمام بالأنماط الشعرية العربية والتي حرصت الذاكرة الجماعية على تداولها وذلك بالسعي إلى إنشاء مؤسسة أكاديمية للحفاظ عليها وتدوينها. كما تم اقتراح إنشاء موسوعة للأشعار العربية غير الفصيحة باعتبارها إرثا جماعيا. والعمل على تقوية حضور المتن الثقافي الشعبي من خلال ربط الاتصال بين الجمعيات والمؤسسات المهتمة بالشعر في الوطن العربي.

وأكدت مديرة المهرجان الدكتورة الشاعرة «لويزابولبرس» في كلمة ختامية «أن مداخلات وأعمال هذا المؤتمر قد أفضت إلى تصورات واقتراحات يمكن إجمالها في الآتي:

- جعل المؤتمر مناسبة لانفتاح الشعر أكثر على المحيط من خلال قنوات مباشرة أو غير مباشرة، كالجامعة والمراكز الثقافية، ودور الشباب.
- التعجيل بطبع أعمال المؤتمر النقدية والابداعية.

لقد ارتفع صوت الشعر هذه الأيام فوق كثير من الأصوات ولا غرابة في ذلك.

خاص بالمنهل: من سعيد بونوار - المغرب

السرقات .. ثانية وعاشرا

في مجلة المنهل، في عددها الصادر في شهر ذي الحجة ١٤١٧هـ، كتبت مجلة المنهل الآتي:

المنهل: تعليق وتعقيب:

** في العدد (٥٢١) من مجلة المنهل الصادر في شهر رمضان ١٤١٥هـ الموافق لشهر فبراير ١٩٩٥م وفي الصفحتين (١٦٢ - ١٦٣) كشف الدكتور الصادقي العماري الاستاذ بكلية الآداب بالمغرب عن سرقة أدبية قام بها (الشيخ كامل محمد محمد عويضة) حيث أصدر هذا الأخير كتاباً باسمه تحت عنوان (حافظ ابراهيم شاعر النيل وأدبه) والكتاب صادر عن (دار الكتب العلمية في بيروت) الطبعة الاولى ١٩٩٣.

وأوضح الدكتور الصادقي العماري في مقاله المنشور في مجلة المنهل في العدد المذكور عاليه أن هذا الكتاب مسروق من عدة مصادر ومن أراد التفاصيل فليرجع لهذا العدد، أضاف الدكتور الصادقي أن (الشيخ كامل محمد محمد عويضة) قد سطا أيضاً على كتاب الدكتور/ محمد أبو الانوار بعنوان «مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه» واصدره بنفس هذا الاسم، واصدرته له نفس الدار السابقة.

وهذه أخرى لـ (الشيخ كامل محمد عويضة) حيث صدر له كتاب بعنوان (التحليل النفسي) ادعى فيه أن الكتاب راجعه الاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة.. حسب ما جاء في الرسالة التى وصلتنا من الأستاذ فرج مجاهد عبد الوهاب من مصر.

وكان أن أجرينا اتصالا هاتفيا بالاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي في منزله في المنصورة للتأكد مما جاء في هذه الرسالة، فأبلغنا انه لم يراجع هذا الكتاب، بل لم يعرض عليه أصلا، ولم يسمع به إلا بعد أن عرضه عليه صاحب هذه الرسالة.. وأضاف: كيف أراجع كتاباً لا يدخل في تخصصي العلمي.

** والآن يبقى السؤال الهاجس: كيف ومتى نحمي الفكر والإبداع من أيدى السارقين..؟ يسعدنا أن نجد رأي القراء الاكارم في هذا الطرح.

وكنّا نظن ان هذا الرجل (محمد كامل عويضة) المتهم بهذه السرقات، وهذا التقول الكاذب على الدكتور محمد رجب البيومي، كنا نظن انّه سيرد ويدافع عن نفسه.. ولكنه صمتُ من في القبور.

والأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي تطارده الاسئلة وعلامات الاستفهام من أصدقائه وطلابه وزملائه عن هذه المراجعات المدونة في مقدمة الكتب المنشورة باسم (محمد كامل عويضة).. وهذه الرسالة من الدكتور محمد رجب البيومي تجلي لنا هذا الأمر:

أخي الاستاذ الجليل الدكتور طه أبو كريشه

نائب رئيس جامعة الازهر..

السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد.

فرداً على استفساركم الخاص بمراجعتى لبعض الكتب المسروقة. أعرض عليكم ما يلي:

لقد فوجئت بكتاب في علم النفس يباع بالمنصورة، وقد كتب عليه أن مراجعه هو الدكتور محمد رجب البيومي، ومؤلفه كان طالبا بكلية الآداب بالمنصورة في الثمانينيات ثم احترف سرقة الكتب ونشرها في لبنان فبادرت بتكذيب نشرته بمجلة المنهل السعودية (عدد ذي الحجة ١٤١٧هـ) واخترت مجلة المنهل بالذات لأنها نشرت مقالا من قبل عن سرقات هذا المؤلف المزعوم بقلم أديب مغربي وعلقت عليه مشكورة ثم فوجئت بخمسة كتب أخرى في علوم التربية والجمال والفلسفة تحمل اسمي مراجعا ففزعت، وأعدتُ الكرة بمجلة المنهل (عدد ربيع الأول سنة ١٤١٧هـ) فنشرتها مشكورة وقد تفضلت مجلة (الهلال) المصرية فنشرت بعدد يناير سنة ١٩٩٧ تكذيبا على لساني ونفياً لكل صلة لي بالمؤلف والناشر!

هذا، وقد كتبت خطابا لدار النشر اللبنانية أنكر فيه كل صلة لي بها وبالمؤلف، فلم يرد الناشر عليّ! واستمرت الكتب المسروقة تصدر باسمى مراجعا.

وأنا أسألكم الآن! أأعتبر جانياً أم مجنيا عليه؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

محمد رجب البيومي



نباتات مائية ذات أهمية اقتصادية كبيرة

تعتبر الطحالب (Algae) مجموعة نباتية ضخمة واسعة الانتشار، قديمة بنشأتها، لها القدرة الكبيرة على القيام بعملية التركيب الضوئي (ذاتية التغذية) وإنتاج المادة العضوية وطرح الأوكسجين، وبالتالي تشكل احتياطاً كبيراً من المواد العضوية النباتية الهامة والمغذية التي تدخل في فروع صناعية تحويلية كثيرة ومتنوعة. كما تلعب دوراً هاماً في الحفاظ على توازن النظم البيئية الطبيعية المائية منها خاصة. وتُقسم الى عدد من المجموعات النباتية غير المتجانسة والمختلفة بأشكالها وأحجامها وألوانها وطرق معيشتها وتكاثرها وبنية طواقمها الصباغية ومدخراتها الخلوية.

تتواجد الطحالب في كل الأمكنة وبشكل خاص في أحواض المياه العذبة والمالحة التي تشكل ٧٦٪ من سطح كرتنا الأرضية تعيش مثبتة على القاع أو طافية بالقرب منه مشكلة نباتات قاعية ضخمة (Phy-tobenthos) أو سابحة بالقرب من السطح نباتات مجهرية عالقية (Phytoplankton) وتتميز الطحالب بأهمية اقتصادية كبيرة في حياة الإنسان لدرجة أن استخدامها أصبح شبه يومي ولكن حتى الآن مازالت في طور الولادة ووضع الخطط الاقتصادية في الكثير من أنحاء العالم باستثناء بعض الدول المتقدمة بزراعتها وتصنيعها واستخدامها مثل اليابان والصين وبعض الدول الأوروبية.

وقد زاد الانتشار الواسع للطحالب العالقية والقاعية من وحيدات خلية وأشكال مستعمرية (تجمع خلوي غير منتظم) حتى الأشكال الطحلبية العملاقة قد زاد من إيمان الباحثين بدورها في التوازن البيئي الحيوي ومن أهميتها الاقتصادية، ومن أجل فهم دورها وأهميتها الكبيرة المتنامية فمن الضروري التوقف أولا عند كميتها الضخمة.. وتقدر غالباً بحساب الوزن أو الكثافة في واحدة المساحة والتي تبدو أنها قليلة.. وبالتالي يضعف هذا من الاعتقاد بدورها وأهميتها

بقلم: د. مهيب اسماعيل
- سوريا -

طحلب الـ Cladophora الأخضر، بشرته خيطية متفرعة، وأغلفته خلوية سللوزية، وهى تدخل في الصناعة الورقية ويستخدم كعلف للحيوانات، غني بالبروتينات والأملاح المعدنية.

حيث لا يمكن مشاهدتها بشكل جيد إلا في حالة المشرات الطحلبية القاعية الضخمة، أو بتلون المياه الذي تسببه الكثافة المرتفعة للعوالق النباتية الحية، عندها فقط يمكن التحدث عن مكانتها، ولكن بعملية حسابية بسيطة يمكننا التأكد من كميتها المرتفعة حتى في حالة عدم مشاهدتها أو ملاحظة آثارها المتغيرة على مدى أيام السنة والمختلفة باختلاف الفصول وحسب الأحواض المائية (عذبة ـ مالحة)٠٠ وخاصة العوالق النباتية فهي أقل ثباتاً من الطحالب القاعية٠٠ وبمثال بسيط نوضح هذا، ففي الأوساط المائية البحرية الفقيرة بالأحياء النباتية العالقية يوجد في كل ١ سم٣ ماء مالا يقل عن ٣ أفراد طحلبية مجهرية عندئذ في كل ١م٣ يوجد ٣ مليون فرد طحلبي مجهري٠ وبالدراسة لوحظ في مياه البحار الشمالية الباردة والفقيرة بأحيائها أنه في فصل الخريف وفي الطبقات المائية السطحية يوجد تقريباً في كل ١ م٣ من

٢٠ ـ ٣٠ مليون فرد طحلبي عالقي، وترتفع كميتها خاصة في أحواض المياه العذبة والصغيرة التي تسخن طبقاتها المائية السطحية بسرعة وبشكل جيد، عندها تنمو الطحالب العالقية المجهرية بكميات كبيرة تزيد عن سابقتها بمئات الأضعاف، مما يسبب في كثير من الحالات صباغة المياه بألوانها وخاصة في فصل الصيف الطويل والحار لتصل كميتها الى أكثر من مليون طحلب عالقي مجهري في كل ١سم٣ أي في كل ١م٣ يوجد ١٠٠٠ مليون فرد طحلبي عالقي، ويتشكل عندها وسط مائي لزج وكثيف (حساء طحلبي عالقي)٠ فمثلا في بعض الأجزاء لمياه خليج بحر آزوف شمال البحر الأسود تصل كمية العوالق الطحلبية صيفاً إلى أرقام ضخمة حوالي ٢٧٠ غ/م٣٠ أما كمية الطحالب القاعية فتحسب أوزانها في واحدة المساحة (م٢) مثل كمية الطحالب الأسمر سيستوزيرا (Cystoseira) بحالته الرطبة في بعض الأجزاء الشاطئية للبحر الأسود تصل من ٦ـ٧ كغ/م٢ وأحياناً ١٣كغ/م٢٠

وتتميز الطحالب بشكل عام بمخطط بنيوي متشابه من أهم مميزاته: أن لها بنية مشرية (-Thal lophyte) (لا جذور ـ لا سوق ـ لا أوراق ـ لا ثمار٠٠)٠ وأعضاؤها التكاثرية الجنسية أو اللاجنسية

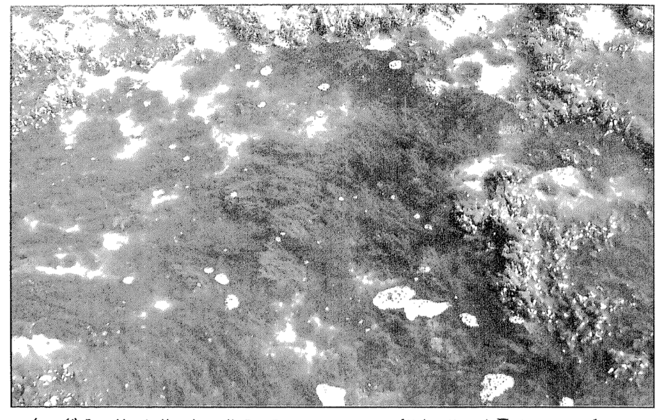
(أعراس - أبواغ) عارية، أي خلايا إعاشية عادية تتحول الى خلايا مخصبة غلافها العروسي أو البوغي هو نفسه الغلاف الخلوي للخلية الإعاشية. وصانعاتها اليخضورية تتضمن على جسيمات مختلفة الأشكال تدعى (البيرونوئيدات)، ذات طبيعة بروتينية وظيفتها الأساسية تركيب المادة النشوية (السكاكر المركبة)، وغالبة مشراتها لزجة تحتوي على مركبات ومواد مخاطية توجد بين أغلفتها الخلوية أو تدخل في تركيبها، وتختلف بذلك الطحالب عن النباتات المائية القاعية الأخرى المتميزة ببنيتها الفارعية خاصة (Cormophyte) (جذور - سيقان - أوراق - ثمار..) وتدعى (الأعشاب المائية) مثال الجنس (Zostera) الواسع الإنتشار في أماكن عدة من شواطىء البحر الأبيض المتوسط موجوداً على القيعان الرملية والطينية.

الطحالب وبعض جوانب أهميتها المختلفة:

إن العلاقة المتبادلة بين الإنسان والطحالب متعددة الأوجه حتى أنه يلاحظ ويكتشف في كل مرة عن جوانب جديدة أخرى هامة إقتصادياً، كانت غير معروفة. ومازلنا حتى الآن في أكثر بلداننا العربية نتعامل مع هذه الثروة النباتية الضخمة المتجددة بشكل سلبي مهملين جوانبها الإيجابية المتعددة. فهناك ارتباط جذري ما بين بعض الصناعات التحويلية الهامة والطحالب، فبالإضافة لاستخدامها المباشر ومنذ القدم عند الكثير من الشعوب الساحلية كمادة غذائية هامة، ومستقبلا من غير الممكن تصور الغزو الفضائي المقبل والمركبات الفضائية دون مشاركة هذه الكائنات النباتية الطحلبية وخاصة الطحالب الخضراء، التى تعمل كبطارية ادخارية تقوم بتخزين الأشعة الضوئية وتصنيع المادة العضوية الغنية بالطاقة التي تمد الإنسان في رحلته الفضائية، ويبحث العالم اليوم أيضاً عن مصادر بديلة للوقود الحفري (البترول - الفحم - الغاز) وأحد هذه المقترحات زراعة الطحالب القاعية وتنميتها ثم استخدامها في انتاج الطاقة. وبذلك تتركز أهميتها في الماضي والحاضر والمستقبل، وكما تحمل للإنسان فائدة كبيرة في ظروف بيئية معينة فقد تسبب له خسائر فادحة في ظروف بيئية أخرى، كتلون أحواض تربية الأسماك في أشهر الصيف الطويلة والحارة بسبب الكثافة المرتفعة من العوالق النباتية وبالتالي تتسبب في نقص كمية الأوكسجين، وإفساد الوسط المائي بمفرزاتها وبالنهاية تؤدي لموت الأسماك وهلاكها. والكثير من الأنواع المجهرية والأشكال المستعمرية العالقية معروفة بسميتها الشديدة من الشعب الطحلبية الخضراء والزرقاء المخضرة والذهبية.. وخاصة في فترة النشاط التكاثري فقد تنتج مواد عضوية سامة تؤدي في حالات كثيرة الى موت المواشي التي تشرب المياه الملوثة. أو تلوث أنابيب مياه الشرب والمحطات المائية، وبالوقت ذاته تعتبر العوالق النباتية كمصدر غذائي هام لكل الأحياء المائية، فلا يمكن توقع وجود حوض مائي خال منها. بالإضافة لهذا فلا ننسى أهمية طحالب التربة (الطحالب الزرقاء المخضرة) بإغناء التربة الرطبة بالمركبات النتراتية وبالآزوت الذي تقوم بامتصاصه من الهواء الجوي، بشكل مشابه للجراثيم العقدية الآزوتية.

وليست الطحالب القاعية الضخمة التي تعيش مثبتة على القاع أو طافية بالقرب منه متساوية





طحلب Enteromorpha (خس البحر) الأخضر - بشرته صفيحية غنية بالبروتينات والاملاح المعدنية (الحديد) والفيتامينات (أ- ب) ويستخدم في التغذية (سلطة الطحالب الخضراء) وكعلف للحيوانات يتخلله الطحلب Hyphea الاحمر، بشرته حبلية متفرعة ولونه أسمر غنى بمركبات الآغار.

بأهميتها بالنسبة لكل أجناسها وأنواعها، وإنما تكون أهميتها بشكل مباشر أو غير مباشر بزيادة إيجابية أو سلبية النشاط الحيوي الطبيعي أو العكس، ويظهر هذا بمقياس كبير بتأثيرها على الحياة المائية المشاعية الحيوانية والنباتية بإمدادها بالمادة العضوية المغذية وبالأوكسجين المنحل. والكثير منها يقوم بدور فعال وإيجابي في عملية التنقية البيولوجية للأوساط المائية وخاصة الطحالب القاعية للمياه العذبة (الخضراء Chlorophyta) التي تقوم بتنقية مياه الشرب باستخدامها لبعض المركبات العضوية البسيطة في تغذيتها (التركيب الضوئي). وبالمقابل تلعب دوراً هاماً كمؤشر على التلوث كماً ونوعاً وتحدد بذلك مدى صلاحية هذه المياه للشرب أو للري أو للاستجمام والصيد.. والدور السلبي للطحالب القاعية في مياه البحار والمحيطات يتمثل بتأثيرها على عملية الملاحة والنقل، بتوضعها على المراكب والسفن وبالتالي الحد من قوتها وسرعتها، وكثيراً ما تؤدي الى تخريبها وإغلاق الفتحات والخراطيم المستخدمة، أو بتشكيل الشعب المرجانية وإعاقة الملاحة.

والاستخدام المباشر لهذه الأحياء النباتية الطحلبية يأتي من أهميتها كمادة أولية مغذية وصناعية غنية بالمركبات العضوية واللاعضوية. ولقد اتجه العالم نحو استثمار هذه الثروة البيولوجية بشكل كبير خاصة بعد نشوب الحرب العالمية الثانية والضائقة الإقتصادية التي نتجت عنها، وقد تم استخدامها في ضماد الجروح للإصابات المختلفة، وفي علاج الكثير من



طحلب الـ Zania الأحمر، بشرته شجرية متكلسة، ويصل المقذوف الطحلبي منه الى الشاطىء بكميات كبيرة، يستخدم كأسمدة عضوية لرفع خصوبة التربة الزراعية، غنى بالاملاح المعدنية (الكالسوم) ويستخدم في الصناعة الصيدلانية كمضادات حيوية.

الأمراض السائدة، وبذلك اتضحت أهمية هذه المواد والمركبات الغروية المخاطية الناتجة عنها في مجالات الحياة المتعددة.

الأهمية الغذائية:

في الموطن الأول للإنسان على الشواطىء ومنذ القدم استخدم الطحالب القاعية بالتغذية. أو كمادة علفية لحيواناته الأليفة من المواشي والدواجن (تزيد نسبة دسم الحليب وبروتين البيض)، أو كأسمدة عضوية للتربة الزراعية غنية بالأملاح (البوتاسيوم، الصوديوم، التوتياء..) وفي اليابان وعلى نطاق واسع استخدمت الطحالب القاعية كأطعمة محلية مغذية وأيضا في شواطىء الصين وأوروبا وبالتغذية تستخدم غالبيتها حيث تنعدم فيها الأجناس الطحلبية القاعية السامة، إلا أنه من غير المستحب استخدام الأنواع الطحلبية الغليظة المشرات الخشنة أو المتكلسة. واستخدامها بالتغذية يتعلق بالدرجة الأولى بالعادات والتقاليد الاجتماعية المتبعة، وبالنزعة الفردية للشخص ذاته الذي يريد تناولها، وبالمقدرة على الطهي الجيد بإضافة التوابل والبهارات والأملاح ومجملات الأطعمة الأخرى ليصبح طعمها مستساغاً، ومن أكثر الأطباق البحرية شيوعاً واستخداماً سلطة الطحالب البحرية، والأنواع الطحلبية المستخدمة لهذا الطبق الغذائي الطحلب الأسمر (Laminaria) والطحالب الأخرى القريبة منه (Undaria-Alaria) والطحلب الأخضر أولفا (Ulva) الذي يدعى (خس البحر) تصنع منه سلطة الطحالب الخضراء والطحلب الأحمر (Rhodomenia) ويعرف المزيج المشري الطحلبي من نباتات رتبة (Laminariales) والخضراء من رتبة (Ulvales) في اليابان باسم (الكامبو) وتستخدم أكثر من ١٢ طريقة في تحضير أطعمة شهية ومتنوعة منه، حيث تؤخذ الطحالب القاعية المستخدمة لتغسل وتجفف وتقطع إلى شرائح ثم توضع وتخزن في براميل حافظة خاصة، غالبا يحضر منها الحساء بإضافة الكرنب العادي أو غيره من أنواع الخضار أو بالطهي مع الرز والسمك أو اللحوم، وتستخدم في

تحضير الكثير من أنواع الحلويات والمربيات والمجففات السكرية المختلفة والمتنوعة. ويستخدم الطحلب الأحمر بورفيرا (Porphyra) المتميز بطعمه الغض واللذيذ المعروف في الكثير من الشواطىء البحرية، بتحضير سلطة الطحالب الحمراء المختلفة بحسب الأجناس والأنواع الداخلة في التحضير من الطحالب الحمراء الأخرى (Rhodophyta) وتدعى باليباباني (أمانوري - أذاكوزانوري - خوشينوري..).

والكثير من الأنواع الطحلبية تحفظ على شكل دقيق يستخدم من أجل تحضير العديد من الأطعمة المختلفة، أو على شكل معلبات مغذية ممزوجة مع أنواع مختلفة من الخضار. والتحليل الكيميائي لهذه النباتات الطحلبية القاعية المغذية يظهر بأن أهم مكوناتها هي المواد الكربوهيدراتية (السكريات) والبروتينية ونسب قليلة من المواد الدهنية.. وبإستخدامنا لها في تغذيتنا يمكننا القول بأننا حصلنا على المواد البروتينية والدهنية في الحدود الطبيعية العادية اللازمة للجسم. فالمحتوى البروتيني وسطياً يصل الى ٦١٪ وإن استخدام الطحلب القاعي الأخضر (Ulva) الخاص بالتغذية لا تقل أهميته الغذائية عن الكرنب العادي. ويمثل هذه الأمثلة يمكن اعتبار الطحالب القاعية كمادة غذائية هامة فبالاضافة لمركباتها العضوية واللاعضوية (سكريات - بروتينات - دهون - أملاح..) فهي غنية بأنواع عديدة من الفيتامينات الهامة التي تستخدم كأطعمة علاجية أو للحمية منها (D,C,B12,B2,B1,A) المتواجدة خاصة في العديد من أنواع الطحالب الحمراء مثل (Porphyra) فمثلا الفيتامين B1 بفقدانه من الأغذية يسبب مرض (البري - بري) فتناول الأطعمة الغنية بالطحلب القاعي الأحمر السابق يخفف من عملية الإصابة بهذا المرض الى حوالي النصف من الذين يتناولون هذا الفيتامين من مصدره الهام جداً خميرة البيرة، والفيتامين B2 يوجد عنده بمقدار الضعف مما هو عليه في الكرنب أو الجزر، وأيضاً الفيتامين C لا يقل عن كميته في ثمار الليمون وهناك أيضاً مواد ومركبات هامة تتميز بها.

واستخدمت الطحالب القاعية قديماً وعلى نطاق واسع كمصدر أساسي للمواد والمركبات البرومية واليودية حتى تمت معرفة بنيتها الكيميائية وأنتجت صناعياً أو من مصادر أخرى كالرواسب الملحية والينابيع المعدنية. واستخدمت أيضا كمصدر هام للكثير من الأملاح المعدنية (بوتاسيوم - كالسيوم - صوديوم) وكميتها المستخرجة من رماد الطحالب بعد عملية الحرق كبيرة تصل الى ١٥ - ٤٥٪ وعند بعض الأنواع تصل إلى أكثر من ٥٣٪ من الوزن الجاف لشراتها ومن الملاحظ أن استخدامها كمصدر أساسي للأملاح بعد عملية الحرق يرافقه خسارة كبيرة بالجانب الآخر كمادة عضوية هامة والعكس صحيح، ولذا ومنذ القديم أجريت محاولات عدة لوضع طريقة هامة ومفيدة للاستفادة القصوى من جميع المكونات العضوية واللاعضوية وهذه الأبحاث والدراسات أكدت أيضاً وجود الكثير من المركبات الهامة الأخرى مثل الكحول والأسيتون.

الأهمية الاقتصادية للطحالب القاعية (الآغار - الألجينات - اللاميناريين):

للاستخدام الصناعي للطحالب القاعية البحرية أهمية كبيرة بمقارنتها مع طحالب المياه العذبة، وحالياً

وتحت عنوان الصناعة الطحلبية التي تعني ويشكل محدد الطحالب القاعية البحرية الضخمة. من أهم المنتجات الصناعية الأساسية المستخرجة كمادة أولية منها الآغار: مادة هلامية لزجة تستخلص من الطحالب القاعية الحمراء (Rhodpphyta) بعملية الفصل بالغلي حيث تنحل المادة اللزجة على شكل محلول هلامي يترسب بالتبريد، لونه أبيض شفاف أو أصفر فاتح تجفف هذه المادة وتنتج كسلعة إستهلاكية تباع على شكل دقيق أو قطع صغيرة ومكعبات.

والآغار بحالته الجافة عندما يضاف الى الماء المغلي يعود ليشكل محلولاً هلاميا لزجاً حتى بالكميات القليلة منه ٢٠ غ/لتر (ماء مغلي) يعطي هلامة متماسكة بشكل جيد، وللوهلة الأولى يمكن اعتباره كمادة كيميائية نقية ولكن على العكس فهو عبارة عن خليط من مواد ومركبات مختلفة أغلبها مواد سكرية (كربوهيدراتية) تركيبها الكيميائي ولونها يتعلق بشكل أساسي بالنوع الطحلبي المستخلصة منه وبطريقة الإستخلاص، أكثرها جودة الآغار المستخرج من بعض أنواع الطحالب القاعية الحمراء مثل (Nemalion, Gracelaria, Gelidium) وعلى نطاق واسع من الطحلب (Ahn-feltia Plicata) الذي ينمو في شواطىء المتوسط وبحار الشرق الأقصى وشواطىء الإتحاد السوفييتي (السابق) ويستخرج من طحلب آخر هام هو الفيلافورا (Phyllophora nervosa) واحتياطي هذا النوع الطحلبي في البحر الأسود كبير جداً تقدر بـ ٥ر٥ مليون طن ويحتل مساحة تصل إلى حوالي ١١ ألف كم٢ مشكلة حقلاً طحلبياً يعرف باسم مكتشفه البروفسور الأكاديمي زيرنوفا (الحقل الطحلبي الفيلافوري الزيرنوفي) وتستخدم مركبات الآغار وبكميات كبيرة وبأشكال متعددة ومتنوعة في الصناعات الغذائية المختلفة مثل (السكاكر - المربيات - المرطبات - المعجنات - الأجبان - الحلويات)، وتضاف إلى عجينة الخبز لتزيد من جودته وطراوته لفترة زمنية أطول. ويستخدم الآغار في الصناعة الورقية

المقنوف الطحلبي من الطحلب Stypopodium الاسمر الغني بالاملاح والأحماض الألجينية، وهناك دراسة جادة حول أهميته في استخلاص الأدوية منه للمعالجة السرطانية ابيضاض الدم (لوكيميا).

** تم التقاط الصور المرفقة على شاطىء مدينة اللاذقية - البحر الأبيض المتوسط) شمال سوريا - أيار ١٩٩٨م.

والنسيجية ليكسب الأطباق الورقية صقلا جيدا ولمعاناً ومتانة، والأقمشة تماسكاً وليونة.. ولا ننسى الاستخدام الهام والكبير له في الأبحاث العلمية في صنع الأوساط المغذية بإضافة بعض الأملاح من أجل استنبات العضويات المجهرية (الزراعة الجرثومية والطحلبية)، وتستخرج من بعض أنواع الطحالب الحمراء مواد شبيهة بالآغار لها أهمية كبيرة بالأعمال البنائية والمعاشية تضاف إلى الإسمنت والجص لتزيد من صلابتها وعازليتها للماء والرطوبة.

ومن المواد العضوية الكيميائية القيمة الأخرى المستخرجة من الطحالب القاعية الألجينات: مادة غروية متماسكة لاصقة تفوق بلزوجتها قوة الصمغ العربي بـ ٣٧ مرة وبـ ١٤ مرة من قوة النشاء كمادة لاصقة. ولذا فإن هذا المركب يدخل في فروع صناعية تحويلية عديدة ومتنوعة وتعتبر الطحالب السمراء (Phac-ophyta) المصدر الوحيد للألجينات (أملاح - أحماض) فبإضافة كمية قليلة من الألجينات النتراتية ترفع من نوعية المنتجات الغذائية بالمحافظة على جودتها وخواصها اثناء عملية التجميد والتبريد (معلبات - مرطبات - عصير فاكهة..) والأهمية الاقتصادية لهذه المجموعة الطحلبية السمراء تتمثل ببعض الأنواع التي تعيش وتتواجد في جماعات واسعة مشكلة قطاعات طحلبية ضخمة، تنمو في المياه الشاطئية البحرية الضحلة لمياهنا الإقليمية والغنية بحمض الألجين والأملاح الألجينية.. متواجدة في أماكن عديدة من شواطىء البحر الأبيض المتوسط والأحمر وبحر العرب مثل الأجناس: سيستوزيرا - كولبومينيا - ستيبوبوديوم - سارغاسوم (Sar-gassum, Stypopodium, Colpomenia, Cystoseira).

وتدخل الألجينات في صناعة الأصبغة والمواد اللاصقة المتنوعة والألياف النسيجية والبلاستيكية وتزيد من نوعية وجودة المطبوعات والأنسجة فلا تفقد ألوانها ولا ينفذ منها الماء مقاومة للعوامل البيئية الجوية المختلفة وتدخل في صناعة مواد البناء، والمواد التشحيمية العالية الجودة للآليات، وفي سبك وصب القوالب، ومن أجل عمليات اللحام الكهربائي، وفي استخراج الكحول والنشادر المستخدمة بالصناعات المختلفة، وفي صناعة القطران النسيجي، والمفرقعات ودباغة الجلود والمواد الطيارة، والدقيق العلفي وتزيد من محتوى الأعلاف من اليود ولهذا أهمية كبيرة في المناطق التي تعاني من نقص اليود، وتستخدم كمادة مغذية لمرضى السكري (الحمية)، وحمض الألجين يستخدم بشكل كبير في صناعة المضادات الحيوية للإصابات الفطرية والجرثومية والفيروسية التي تفوق بقدرتها المضادات الحيوية التقليدية المعروفة كالبنسلين والستربتومايسين.

وفي إنكلترا تستخدم بعض الأنواع الطحلبية لعلاج الكثير من الأمراض المنتشرة: أمراض القرحة، ولطرد الديدان المعوية الضارة تستخدم الأجناس الطحلبية الحمراء مثل: سيراميوم - كورالينا (Ce-ramium - Corallina)، وتستخدم في الصناعة التجميلية بشكل واسع وكبير كمطريات وملينات للوجه والجسم، أو كأصبغة تزيينية (المكياج)، أو لإزالة السمنة الزائدة.

وتساهم بشكل كبير مركبات اللامينارين في الصناعة الطبية والصيدلانية مثل صنع المحاليل المانعة لتخثر الدم، وصناعة الهرمونات الجنسية، والمركبات

الكيميائية التى لها القدرة على ابعاد ونزع المواد المشعة من العضوية الحية. وفي علاج الكثير من الأمراض المستعصية (سرطان - إبيضاض الدم - تضخم الغدة الدرقية). ومن أجل تحضير خيوط العمليات الجراحية وكبسولات الأدوية ومعاجين ومراهم تستخرج غالباً من الأجناس المشرية الضخمة مثل: لاميناريا - ماكروسيستيس - Macrocystis) Laminaria) وتملك خواص علاجية هامة جداً لأمراض الجهاز الهضمي (المعدة والمجاري المعوية) وأمراض الروماتيزم والأمراض الرئوية والمجاري التنفسية.

وعفن الطحالب القاعية على الشواطىء البحرية المتميز برائحته وشكله الكريهين يتألف من خليط من المشرات الطحلبية المتفسخة والمتنوعة التي تقذفها الأمواج والتيارات البحرية والذي يدعى (الطين الطحلبي العلاجي)، له أهمية كبيرة في علاج الكثير من الأمراض عن طريق الجلد (روماتيزم - فطور جلدية - سمنة زائدة) وتباع الكثير من أنواع الطحالب في الصيدليات كأدوية علاجية ومضادات حيوية بأشكال مختلفة وتحت أسماء عديدة ومتنوعة.

طحالب أحواض المياه العذبة وأهميتها الغذائية والصناعية:

تختلف طحالب المياه العذبة عن الطحالب القاعية للبحار والمحيطات بأنها نادراً ما تستخدم بالتغذية والأهمية الأكبر لطحالب المياه العذبة هي الأشكال المستعمرية الصفيحية والخيطية الكثيفة، ويوجد ثلاثة أنواع طحلبية مجهرية مغذية من شعبة الطحالب الزرقاء المخضرة تابعة للجنس نوستوك (Nostoc) ذات شكل كروي أو إهليليجي، ومستعمراتها قد تصل لحجم البيضة الكبيرة مخاطية هشة وكثيراً ما تجتمع هذه المستعمرات الطحلبية بشكل كثيف على قاع الأحواض المائية الصغيرة، ويشكل النوستوك العادي (N. commune) طبقة صفيحية كبيرة نسبياً لزجة، أما النوع ((N. flagelliforme ينمو ويغزارة في شمال الصين متوضعاً على سطح التربة الرطبة الضعيفة الخصوبة، ويظهر على شكل خيوط خلوية دقيقة عاتمة اللون متداخلة مع بعضها البعض بشكل كثيف وبزيادة رطوبة التربة أو الرطوبة الجوية تصبح مشرته لزجة. وفي اليابان وصفت حالات عدة لهذا الطحلب وكيفية وجوده على المنحدرات الصخرية البركانية على شكل مشرة صفيحية لزجة غير منتظمة، وتدعى تجمعاته بخبز التنجو وتعني (الروح الخيرة) ومنذ القدم يستخدم بالتغذية، وفي جنوب الصين تصنع أرغفة خضراء باهتة اللون مؤلفة من ألياف خيطية مشرية دقيقة من الطحلب الأخضر (Zygnema) تباع وتؤكل بعد عملية الطهي بالزيت النباتي.

وفي السنوات الأخيرة انتشر وبشكل واسع أحد أنواع الطحالب الزرقاء المخضرة (Spirulina Pla- tensis) مشرة طحلبية خيطية تجتمع خلاياها مشكلة مستعمرات خلوية ضخمة تنمو وبكثافة عالية في بحيرة تشاد (جنوب إفريقيا) يستخدم بالتغذية، وحالياً أصبح أحد الأنواع الطحلبية العالقية المعروفة والمزروعة بكميات كبيرة في أحواض المياه العذبة المختلفة.

وتتجه الدراسة الحالية نحو التطبيق العملي لاستخدام العوالق النباتية في أحواض المياه العذبة الطبيعية والإصطناعية التي تصل لكميات كبيرة في أشهر الصيف الطويلة والحارة وأظهرت الدراسات

إمكانية استخدامها العملي كأسمدة عضوية تضاف لبعض المزروعات، أو كمادة علفية تضاف الى أغذية الحيوانات، أو من أجل استخراج بعض أنواع المواد والمركبات الكيميائية الهامة. وإن هذا التوجه الصناعي الهام باستخدام طحالب المياه العذبة يرتبط بشكل أساسي ومباشر مع الظروف البيئية الخارجية من درجة حرارة وإضاءة.. ولذا وبشكل كبير وواسع ظهرت توجهات جديدة نحو الدراسة التطبيقية والعملية المعمقة للعوالق الطحلبية التي تعتمد بأساسها على البحث عن إمكانية إستنباتها وزراعتها والتحكم بطرق إنتاجها واستخدامها مثل الطحلب الأخضر وحيد الخلية (Chlorella) وغيره من الأجناس والأنواع الطحلبية العالقية من الشعب الطحلبية الأخرى الذهبية والدياتومية.

وقد أصبح هذا التوجه بحد ذاته فرعاً صناعياً مستقلا خاصاً بعلم الميكروبيولوجيا في دراسة العوالق النباتية، أما الإمكانية التصنيعية لمركبات الطحالب القاعية للمياه العذبة مقارنة مع الطحالب القاعية البحرية مازالت محدودة وضمن إطار الدراسة والبحث المخبري، الاهتمام الأكبر كرس لاستخدامها كمادة أولية هامة في الصناعة الورقية للمشرات الخيطية التي تمتلك أغلفة خلوية سللوزية متطورة مثل الطحلب الأخضر (Cladophora) تخلط العجينة الطحلبية المستخرجة مع الورق التالف لتعطي أنواعاً جيدة من الورق المقوى وورق اللف والكرتون.

وتتمثل الكميات الكبيرة من المتعضيات النباتية الطحلبية بشكل أساسي بالعوالق الطحلبية وليس بالطحالب القاعية التي يقتصر وجودها على الشواطىء الضيقة التي لا تتجاوز مساحتها ١/١٠ من مساحة البحار والمحيطات وأحواض المياه العذبة. باستثناء الحقل الطحلبي الفيلافوري في البحر الأسود بالإضافة لحقل طحلبي ثان يشغل مساحة شاسعة من مياه النصف الشمالي للمحيط الأطلسي الذي تقدر مساحته بحوالي ٤٫٥ مليون كم٢ تصل فيه كمية الطحلب الأسمر سارغاسوم (Sargassum) الى حوالي ١٢ - ١٥ مليون طن يطفو هذا الطحلب قريباً من السطح في مياه يصل عمقها ما بين ٢ - ٦ كم مشكلا حوضاً بحرياً كبيراً يدعى (بحر السارغاسوم). وهذان المثالان لا يمكن أخذهما كقاعدة تنطبق على بقية الأحواض المائية المالحة أو العذبة وإنما يشكلان حالة شاذة على سطح كرتنا الأرضية.

وبذلك فإن أمننا الإقتصادي في أرجاء وطننا العربي يقتضي التفكير والتعمق ووضع الخطط الإقتصادية الهامة لإستثمار خيرات مياهنا الإقليمية، وخاصة هذا الجانب المهمل والهام من الثروة النباتية الطحالب (Algae) من أصغرها حجماً حتى أكبرها، وسنضطر لذلك عاجلا أم آجلا فالطلب على هذه المركبات الكيميائية الغروية الهامة المستخرجة منها (آغار - ألجينات - لامينارين..) يزداد بشكل متسارع يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة لنوفر على شعوبنا أموالا ضخمة تنفق لاستيراد الكثير منها، بينما هي تعيش بيننا وفي أوطاننا وعلى شواطئنا لا تكلفنا الكثير من العناء سوى تكثيف البحوث في كيفية تنميتها وتوسيع أماكن انتشارها بتهيئة الظروف البيئية الحيوية واللاحيوية الملائمة واستغلالها في غذائنا وغذاء حيواناتنا الأليفة ورفع خصوبة تربتنا الزراعية واستخدامها في صناعاتنا التحويلية الهامة والعديدة، والمحافظة على توازن نظمنا البيئية الطبيعية.

من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة

*** في العدد السابق (جمادى ١٤٢٠هـ) كانت بداية هذه الدراسة القيمة. وقد تناول الدكتور باجودة في تلك الدراسة مظاهر الاعجاز الكوني في الآية الكريمة (الرابعة والستين بعد المئة) من سورة البقرة. وفي هذه الحلقة يكمل بقية الدراسة.*

من مظاهر إعجاز الايتين الكونيتين ١٩ ، ٢٠ من سورة البقرة في الكشف عن خفايا نفوس المنافقين:

الآيتان الكريمتان التاسعة عشرة والعشرون من سورة البقرة ميدان الدراسة يتألف منهما المثل المائى الذى يكشف عن خفايا نفوس فريق من المنافقين، وذلك إثر المثل الناري الذى يتألف هو الآخر من آيتين كريمتين هما السابعة عشرة والثامنة عشرة، والذى يكشف هو الآخر عن خفايا نفوس فريق آخر من المنافقين.

وهذا معناه أننا بحاجة إلى ذكر الآيات الكريمات الأربع التى يتألف منها المثلان الناري والمائي للعلاقة الوثيقة بين المثلين. قال تعالى[١]: **{مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون، أو كصيب من السماء فيه ظلُمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت. والله محيط بالكافرين، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير}.**

وآيتا المثل المائي يختم بهما حديث السورة الكريمة المستفيض في صدرها عن المنافقين، وذلك إثر الحديث عن الكافرين في الآيتين الكريمتين السادسة والسابعة، وإثر حديث السورة الكريمة حتى نهاية الآية الكريمة الخامسة عن المتقين الذين يهتدون بالكتاب العزيز.

وقبل أن نخص آيتي المثل المائي بالحديث أو الشق الثانى المائي من المثل نحن بحاجة إلى أن نبين في إيجاز معنى آيتي المثل الناري أو الشق الأول الناري من المثل. وهاتان هما آيتا المثل الناري، قال تعالى: **{مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون}.**

إن الآية الكريمة الأولى، في محاولتها تقريب خفايا نفوس فريق من المنافقين، شديدى العداوة لله ورسوله، ويكاد يقترب من الكافرين في



بقلم : أ.د. حسن محمد باجوده
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

بغضه للإسلام والمسلمين لولا استضاءته لحظة من اللحظات بنور الإسلام، إن الآية الكريمة الأولى في محاولتها هذا التقريب تنزل الأمر المعنوى وهو مرض النفس وخبث الطوية منزلة المحسوس في هيئة هذا المثل الناري.

وحينما انطفأ النور الذى استضاء به هذا الفريق كان الانطفاء نهائيا والذهاب إلى غير رجعة فعاد هذا الفريق إلى الظلمات التى سبق أن كان فيها بل إلى ظلمات أشد، لأن هذه هي طبيعة الظلمات التي تعود عقب نور ينطفىء فجأة ويذهب إلى غير رجعة، وبهذا يتبين أن هذا الفريق من المنافقين هو أشد المنافقين سوءاً. إن الآية الكريمة الأولى تبين أن مثل هذا الفريق المنافق الشديد العداوة لله ولرسوله مثل ذلك الذى استوقد ناراً، والمعروف أن العادة جرت أن يوقد النار شخص واحد وإن كان في جماعة، وإن كان المنتفع بها كل الجماعة فلما أضاءت ما حوله، أي حول هذا المستوقد النار. ويلاحظ استعمال الآية الكريمة جملة أضاءت وليس جملة أنارت لأن جملة أضاءت تدل على منبع الضوء وعلى ما يصدر من هذا المنبع وهو الضوء.

أما جملة أنارت فإنها تدل على غير منبع الضوء وعلى غير مصدر الطاقة كما تدل على النور. والضوء أصل والنور تبع، ومن هنا كانت الشمس مثلا مضيئة لأنها مصدر للطاقة وما يصدر عنها ضوء، وكان القمر منيراً لأنه متلق لضوء الشمس وعاكس له نورا، ومن هنا كان ما يصدر عن القمر نوراً وليس ضياء، وقد نبهت هذه الآية الكريمة من سورة يونس[٣] على هذه الحقائق.. قال تعالى: **{هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون}.**

وبهذا تدل جملة: «أضاءت» على الضوء الصادر عن النار، كما يدل القول: «ما حوله» على الضوء الذى ملأ ما حول مستوقد النار لقربه منها. وإذا كان ما وصل مستوقد النار ضوءاً فإن ما وصل صَحْبَهُ نور، ولهذا حينما أطفأ الله سبحانه وتعالى النار ذهب فى حق هؤلاء الصحب البعيدين عن النار النور. وحينما يذهب النور يذهب الضوء لأن مصدره وهو النار قد أطفأها الله تعالى. قال تعالى: **{فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم}** ونستطيع أن نفهم من استعمال جملة ذهب معنى المصاحبة وهو المعنى الذى لا تفيده جملة أذهب مثلا، لأنى حينما أقول ذهبت بالشيء فذلك معناه أني ذهبت به شخصيا، فإذا قلت أذهبت الشيء تبادر الى الذهن أني ربما كلفت غيري بهذه المهمة. كما أنّا نستطيع أن نفهم من القول: «بنورهم» أن الذى ذهب هو النور أما الإحراق بالنار في حق المنافقين فباق. ويلاحظ أن النار هنا تنطفىء فجأة.

وحينما تنطفىء النار فجأة وكانت قد بددت بإيقادها الظلمات، تعود بانطفائها الظلمات كما كانت من ذى قبل بل بصورة أشد، وفي هذه الحال لا يستطيع السائرون أن يواصلوا السير، بل إنهم لا يستطيعون أن يعودوا أدراجهم ويرجعوا وراءهم لأنهم ببساطة لا يستطيعون أن يبصروا شيئا أو يهتدوا سبيلا. قال تعالى: **{فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون}.**

والآية الكريمة التالية تنزل القوم منزلة من ولد أصمّ لا يسمع، أبكم لا ينطق، أكمه لا يبصر، وتقرر حقيقة عدم قدرتهم على الرجوع الى ذات الطريق الذى جاءوا منه فكيف بمواصلتهم السير في الطريق الذى لم يسلكوه من قبل. قال تعالى: **{صمٌّ بكمٌ عميٌ**

فهم لا يرجعون} والمعنى هم صمٌ وهم بكمٌ وهم عمي.

وهذه النظرة الأولى إلى المثل الناري من جهة ظاهره بحاجة إلى أن تردف بنظرة أخرى من جهة باطنه، وذلك في ضوء ما ذهب إليه ابن كثير مثلا[٣] من كون كل من المثلين يمثل فريقاً من المنافقين.

إن هذا الفريق من المنافقين الشديد العداوة لله ولرسوله في انتفاعه من تعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وحصوله بادعائه الاسلام على الأمان لدمه وماله وعرضه بمنزلة مستوقد النار الذى حصل على ضوئها بينما حصل رفاقه على نورها، وكذلك هذا الفريق من المنافقين منهم من حصل بادعائه الإسلام على الخير العميم من الإسلام الذى ينزل منزلة الضوء ومنهم من حصل من الخير على ما ينزل منزلة النور. أما وقد انصرف المنافقون عن هدي الله تعالى فقد صرف الله سبحانه وتعالى قلوبهم وذهب بنور الإيمان من صدورهم وقلوبهم ونفوسهم وتركهم فى ظلمات النفاق والشرك والشكوك والريب والأباطيل والترهات لا يبصرون نوراً ولا يهتدون سبيلا. إنهم صم عن سماع دعوة الحق سماع فهم وقبول بُكم عن قول الحق والدعوة إليه، عميٌ عن إبصار نور الهداية والسير في الطريق المستقيم. وبسبب الظلمات التى أطبقت عليهم بأكثر من ذى قبل هم لا يستطيعون أن يعودوا أدراجهم فكيف يستطيعون أن يواصلوا سيرهم؟.

ونتحول إلى آيتي المثل المائي اللتين تشتملان على بعض الآيات الكونية بقصد الوقوف على بعض مظاهر إعجازهما وتبين كشفهما عن خفايا نفوس فريق من المنافقين يقل عن الفريق السابق الذى ضرب له المثل النارى سُوءا وخبث طوية.

قال تعالى: **{أو كصيِّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يَخْطَفُ أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير}.**

وفي دراستنا للآيتين الكريمتين نحن بحاجة الى النظرتين اللتين احتجنا لهما بشأن آيتي المثل الناري النظرة الأولى الظاهرة والنظرة الثانية الباطنة.

بما أن كلا من المثلين يتحدث عن فريق من المنافقين وكان المثل الناري يتحدث عن الفريق المنافق الأشد سوءاً وكان المثل المائي يتحدث عن الفريق المنافق الأقل سوءاً فإنا نود أن نبدأ بالنظرة الأولى الظاهرة بين يدي النظرة الأخرى، وبما أن هذا المثل معطوف على سابقه: «أو كصيب من السماء» لذا يصح القول: إن من أبصر أحوال المنافقين ومدى عداوتهم لله ورسوله وبغضهم للإسلام والمسلمين يستطيع أن يشبههم إن كانوا شديدى العداوة والبغض بحال الذى استوقد ناراً، وإن كانوا أقل عداوة وبغضا يستطيع أن يشبههم بحال ذوى صيّب من السماء وأصحاب مطر يصوب أي ينزل ويقع[٤] والصيب المطر، قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراسانى والسدي والربيع بن أنس[٥]، وتنكير صيّب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار من التمثيل الأول[٦]، وبما أن الماء إنما ينزل من السحاب فعليه يكون المراد بالسماء السحاب. وبشأن مجيء القول: «من السماء».

يقول الزمخشري[٧]: «فإن قلت: قوله، من

السماء، ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء؟ قلت: الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من آفاقها سماء، كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله: وأوحى في كل سماء أمرها.. والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء»».

والقول: «فيه ظلمات ورعد وبرق» يبين أن في هذا الصيب ظلمات، فثمة ظلمات الليل والدجن أي الغيم، إنها ظلمات حجبت السماء ولفت الأرض. ويلاحظ أن الظلمات في هذا المثل هي ذات الظلمات في المثل الناري التى أراد المستوقد تبديدها.

وبما أن العين في مثل هذه الظلمات يقل الاعتماد عليها وفي المقابل يكثر الاعتماد على الأذن أو السمع، وبما أنه بالمقارنة بين الظلمات والرعد والبرق في حال نزول المطر الشديد ليلا من زاوية الكثرة والشمول يتبين أن الظلمات هي الأكثر والأشمل، وقد نص السياق عليها ابتداء، كما يتبين أن الرعد يتقدم البرق كثرة وشمولا، فقد نبه السياق على كل ذلك في ترتيب العناصر الثلاثة على هذا النحو: «ظلمات ورعد وبرق».

والرعد: الصوت الذى يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض إذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد[٨] ويقال أصل الرعد من الحركة، ومنه الرعديد للجبان. وارتعد اضطرب. ومنه الحديث: فجيء بهما ترعد فرائصهما. الحديث أخرجه أبو داود[٩] والبرق الذى يلمع من السحاب، من برق الشيء بريقا إذا لمع[١٠] وهو الجرم اللطيف النوراني الذى يشاهد ولا يثبت[١١] وعلى غرار تنكير لفظة نار في المثل الناري أن يبين الحكمة من التنكير. يقول[١٢] «وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات راجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف».

وبالنظر إلى القول: «يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت» يتبين أن الصواعق، وهي من متعلقات الصيب، تجيء متأخرة عن المتعلقات الأخرى من ظلمات ورعد وبرق وفي هذا التأخير تنبيه على قلة ورود الصواعق بالقياس إلى المتعلقات الأخرى.

وبما أن الاعتماد من مثل هذا المطر الشديد الليلي على الأذن والسمع بأكثر من العين والبصر، فقد كان الحرص في المقابل على هذه الحاسة كبيراً والضن بها شديداً خاصة وأنها تتعرض فجأة لأقوى الأصوات، ألا وهي أصوات الصواعق، والصواعق جمع صاعقة[١٣] والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقّة[١٤] من نار، قالوا: تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه. وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه، إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود[١٥] وهؤلاء أصحاب الصيب لشدة الخوف من الصواعق والضن بأسماعهم وأرواحهم يجعلون أصابعهم في آذانهم، والمراد يجعلون أناملهم بل رءوس الأنامل. ولكن أصحاب الصيب لشدة خوفهم وهلعهم كأنهم لا يقنعون بوضع بعض رءوس الأنامل في آذانهم بل بأصابعهم كاملة غير ناقصة. وقد بينت الآية الكريمة السبب الذى من أجله وضعت الأصابع في الآذان أنه من الصواعق، أي بسبب الصواعق فمن المتعلقة بقوله يجعلون سببية[١٦] وإنه حذر الموت.

قال سيبويه: هو منصوب لأنه مفعول له أي مفعول من أجله[١٧]. وتقرر الآية الكريمة في تذييلها: «والله محيط بالكافرين» أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بالقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من

دونه من وال ولا ناصر.

أما وقد نالت الأذن التى عليها اعتماد القوم أساساً حظها في الخوف عليها من الصواعق لذا هم يجعلون أصابعهم فيها وليس الأنامل وحدها، وبما أن الاعتماد بعد الأذن على العين فقد نالت هي الأخرى حظها في الآية الكريمة التالية: قال تعالى: **{يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مَشَوْا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا}.**

إن البرق يكاد يخطف أبصار القوم ويأخذها بسرعة[١٨] والأبصار جمع بصر وهي حاسة الرؤية[١٩] وإن حال أصحاب الصّيب تجاه البرق مزيج بين الرهبة والرغبة الخوف والأمل. إنهم يخافون البرق أن يخطف أبصارهم لحظة تبديده الظلمات الحالكة، خاصة وأن البرق هو المصدر الوحيد للنور الذى يستبينون به الطريق الوحيد الذى يصح بإرادة الله تعالى أن ينقذهم من الخطر الداهم المحدق بهم ويبلغهم مأمنهم. لذا فإن شعور أصحاب الصيب تجاه البرق مزيج من الخوف والأمل الرهبة والرغبة. وقد أحسن الزمخشري الحديث والتعليل لاستعمال كلما مع الإضاءة وإذا مع الإظلام يقول[٢٠]: فإن قلت: كيف قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا؟ قلت: لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس».

وهكذا يهتبل أصحاب الصيب كل فرصة يضيء لهم معها البرق كي يمشوا في ضوئه ويقطعوا في الطريق خطوة أو خطوتين، رغم ما في لمعان البرق من خوف على أبصارهم أن يخطفها خاصة وأنهم مضطرون لفتح أعينهم متحفزون لاغتنام كل ومضة من برق مع علمهم الأكيد بخطورة كل ومضة من البرق فربما كان في أي منها خطفة للبصر.

ونستطيع أن نفهم أن عدد مرات مشيهم بعدد مرات وميض البرق والذى يجعلهم لا يخطئون ومضة من البرق واحدة هو أنهم في حالة عدم وميض البرق وإطباق الظلمات لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

إن أصحاب الصيب خافوا على سمعهم أن تذهب به الصواعق لذا فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم، وخافوا على بصرهم أن يذهب به البرق ولكنهم مكرهون على احتمال أذاه لأن ضوءه الوسيلة الوحيدة لمواصلة السير. أما وقد ذكر السمع والبصر على هذا النسق، فقد جاء كذلك النص على السمع والبصر في القول: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم» إن وضع القوم أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت وخوفهم على أبصارهم لن يحول شيء من ذلك دون مشيئة الله تعالى أن تذهب بسمعهم وأبصارهم لو شاء ذلك. ومعنى القول: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم»: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها[٢١] وهذه المشيئة خير موطيء لتقرير قدرة الله تعالى القادر على كل شيء الفعال لما يريد الذى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا في السماء وذلك في تذييل الآية الكريم: **{والله على كل شيء قدير}.**

فإذا تحولنا الى النظرة الأخرى من زاوية باطن المثل استطعنا أن نتخذ من نظرة ابن كثير في تفسيره لآيتى المثل وللآيات الكريمات من أول السورة حتى نهاية الآية الكريمة العشرين منطلقاً. ومما قال رحمه الله تعالى [٢٢]: «فإذا تقرر هذا صار الناس أقساماً، مؤمنون خُلّص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها. ومنافقون وهم قسمان، خلّص وهم

المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون، تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي، وهم أخف حالا من الذين قبلهم».

فما المراد بقوله تعالى: {**أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق**} في حق هذا الفريق من المنافقين؟ المعروف أن المنافقين عموماً يبغضون آي الذكر الحكيم لأنها تكشف سوءاتهم وتهتك عوراتهم وتفضحهم على حقيقتهم، لذا هم يعتبرون أقل ما ينزل من القرآن الكريم كثيراً لذا فحالهم في أثناء نزول آي الذكر الحكيم الذى يبغضون يشبه حال أولئك الذين في العراء والذين ينزل عليهم المطر المنهمر فيزيد من سوء الظلمات التى هم فيها. ومع أن القرآن الكريم هو النور المبين وهو الحياة للأرواح فإن المنافقين المبغضين له يعتبرون ما أنزل منه بمنزلة الموت لهم لأنه مهيج ظلمات أنفسهم من شكوك وريب، أباطيل وترهات. وإن في ذكر ا لسماء تعميقاً لإحساس المنافقين العميق بكون ما ينزل من السماء من آي الذكر الحكيم بمنزلة العذاب الأليم.

وما المراد بالرعد في حق المنافقين؟ إن المنافقين تنزل عليهم آي الذكر الحكيم وصوارم أوامره وقوارع زواجره بمنزلة الرعد المزعج لهم المؤرق مضجعهم. وإن في القرآن الكريم العديد من آي الذكر الحكيم دليلا على ذلك، جاء في سورة (المنافقون)[٢٣] مثلا قوله تعالى {**يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون**} وجاء في سورة التوبة[٢٤] قوله تعالى {**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرجٌ ما تحذرون**} وجاء في سورة محمد عليه الصلاة والسلام[٢٥] قوله تعالى: {**ويقول الذين آمنوا لو نُزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذُكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف. فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم**} وجاء في سورة الأحزاب[٢٦] قوله تعالى: {**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا. ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**}.

وما المراد بالبرق في حق المنافقين؟ المراد نور تعاليم آيات القرآن الكريم. إن المنافقين يرون نور الإسلام من القوة للدرجة التي تكاد تخطف أبصارهم على غرار فعل البرق. وقد جاء في سورة فصلت[٢٧] في حق القرآن الكريم قوله تعالى: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقْرٌ وهو عليهم عمى. أولئك يُنادوْنَ من مكان بعيد}.

وما معنى قوله تعالى: {**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت**} إن فى الإمكان أن نذهب إلى كون الصواعق في حق المنافقين من جنس مقومات الرعد بالمعنى الذى عرفنا في حقهم، وذلك بأن تتتابع الأوامر والنواهي والتكاليف في حقهم وتشتد قوارع الزواجر المتتالية ويكون التهديد المباشر لهم، والكشف عن عوراتهم والفضح لسوءاتهم والتحذير الصريح لهم بالجلاء أو القتل في هذه الحياة الدنيا إن استمروا على نفاقهم وبالدرك الأسفل من النار في الحياة الأخرى.

إن المنافقين يعتبرون الإسلام موتاً فهم يحذرونه حذر الصواعق بوضع الأصابع في الآذان ليلا على الحرص الشديد على الكفر الذى يعتبرونه الحياة وإن التعبير عن إعراضهم عن دعوة الحق بوضع أصابعهم في آذانهم رمز لكل مظاهر الإعراض عن

الإسلام والإقبال على الكفر.

وهذا التذييل: « والله محيط بالكافرين» يبين أنه لن يحول وضع المنافقين أصابعهم في آذانهم كيلا يصلهم صوت دعوة الحق بين عذاب الله تعالى الأليم الشديد في الآخرة وقد يضاف إليه عذاب الدنيا من التقييد والتشريد والتعذيب، وبين وصول هذا العذاب إليهم إن شاء الله تعالى أن يصلهم.

إن البرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان[٢٨] وتقرر الآية الكريمة الثانية في صدرها أن البرق يكاد يخطف أبصارهم: «يكاد البرق يخطف أبصارهم» والمعنى: تكاد حجج القرآن وبراهينه الساطعة تبهرهم[٢٩] وكلما أضاء نور الإسلام لهم الطريق مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، وقفوا وثبتوا في مكانهم[٣٠] قال تعالى: **{كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا}** عن ابن عباس: أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي متحيرين. وهو أصح وأظهر والله أعلم[٣١].

وعن ابن عباس: أي ثبتوا على نفاقهم[٣٢] وذكر الضوء والظلمة تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون[٣٣] ولو شاء الله سبحانه وتعالى لزاد في قصف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم[٣٤]، **{ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير}** وإنما خص هنا تعالى صفته التي هي القدرة بالذكر دون غيرها لأنه تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك. والله أعلم[٣٥].

إن هذا الفريق الآخر المذبذب من المنافقين قد ذاق وقتاً من الأوقات حلاوة الإسلام واستضاء بنور القرآن الكريم وبهدي المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وفي حدود استعداده الضعيف إلى أبعد الحدود ثم غلبت على القوم شقوتهم فآثروا الكفر على الإيمان، وأحبوا الكافرين وأبغضوا المؤمنين بقيادة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وانتفعوا من نور هدي القرآن الكريم وسنة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} في حدود ما يتمشى مع مصالحهم الذاتية ويحقق رغائبهم الشخصية. إنهم بمثابة المنتفع من ضوء البرق اضطراراً ولكن ذلك البرق خطر على أعين المنافقين ينبغى في اعتقادهم اتقاؤه، وكذلك ضوء تعاليم القرآن الكريم الذى يستضاء به إلى حين هو في اعتقاد المنافقين خطر ينبغى اتقاؤه، لأن فيه تحولا عن الكفر وإقبالا على الإيمان، وهم يعتبرون التحوّل عن الكفر والدخول في الإسلام موتاً فينبغى اتقاء خطر الموت، وينبغى الانتفاع من التعاليم في حدود المصلحة الشخصية فقط، وينبغي بطبيعة الحال عدم التورط بالالتزام بشيء من تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة التى لا تحقق للمنافقين نفعاً خاصاً بهم وحدهم، خالصاً لهم. ووراء ذلك يرفض المنافقون كل تعاليم الإسلام التى ترتبط بها تكاليف، لأن الحياة الدنيا منتهى همهم ومبلغ علمهم. إن انتفاعهم من نور الإسلام يستمر ما دام النور محققاً لمصالحهم الذاتية، لذا هم يختارون من ذلك النور ما يحقق تلك المصالح على غرار اهتبال أصحاب البرق الفرص، وكما خشي أولئك من ضوء البرق أن يخطف أبصارهم خشي هؤلاء من نور القرآن الكريم لأن فيه تكاليف شاقة عليهم وهم إنما يريدون الجانب الناعم من الإسلام. ولفظة كلما تعبر عن جانب الرجاء والطمع في نور القرآن الكريم.

وكيف يتم ذهاب سمع القوم وأبصارهم في ضوء

النظرة الثانية الباطنة؟ لقد عرفنا بشأن القول: «صمٌّ بكمٌ عميٌ» أن الواحد من القوم بمثابة من ولد أصمّ أبكم أعمى. وإنّ ذهاب السمع بسبب الصواعق دليل على ذهاب سمع القوم بمشيئة الله تعالى جزاء وفاقاً لإعراضهم عن سماع دعوة الحق وبالتالي لا يزدادون بتوالي قصف رعود آي الذكر الحكيم وصواعقه إلا صمما على صمم. ويتساوى بالتالي حصيلة كل من ازدياد صواعق الصيب وتوالي نزول آي الذكر الحكيم. وإن ما قيل عن سمع القوم يقال عن أبصارهم. إنهم يستحقون أن يزدادوا إلى عمى البصيرة عمى، ولكن القول: «ولو شاء الله» ينبه إلى رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء فلا زالت آذانهم قابلة لأن تتحول مستمعة صوت دعوة الحق سماع قبول، ولازالت أعينهم قابلة لأن تتحول مبصرة نور هدي القرآن الكريم والرسول العظيم مستضيئين به مهتدين بهداه.

ومن المعروف أن المصطفى {صلى الله عليه وسلم} حينما لحق بالرّفيق الأعلى كان النفاق قد اختفى ومضى كأمس الدّابر.

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) سورة البقرة ١٧ ـ ٢٠

(٢) الآية ٥.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٥، ٥٦.

(٤) الكشاف ١/١٦٥.

(٥) تفسير ابن كثير ١/٥٤ وانظر تفسير الطبري ١/١١٤، ١١٥ وتفسير القرطبي ١٨٦ والكشاف ١/١٦٥ والبحر المحيط ١/٨٣ وأمثال القرآن القرآن لابن القيم ١٨.

(٦) الكشاف ١/١٦٥.

(٧) الكشاف ١/١٦٥.

(٨) الكشاف ١/١٦٥.

(٩) تفسير القرطبي ١٨٨.

(١٠) الكشاف ١/١٦٦.

(١١) البحر المحيط ١/٨٤.

(١٢) الكشاف ١/١٦٦.

(١٣) تفسير القرطبي ١٨٩.

(١٤) الشّقة بكسر الشين: القطعة المشقوقة وما شقّ من ثوب أو نحوه مستطيلا.

(١٥) الكشاف ١/١٦٧.

(١٦) البحر المحيط ١/٨٦ وانظر تفسير القرطبي ١٨٩ والكشاف ١/١٦٧.

(١٧) تفسير القرطبي ١٩٠.

(١٨) تفسير القرطبي ١٩٢.

(١٩) تفسير القرطبي ١٩٢.

(٢٠) الكشاف ١/١٦٩.

(٢١) الكشاف ١/١٧٠.

(٢٢) تفسير ابن كثير ١/٥٥.

(٢٣) الآية ٤.

(٢٤) الآية ٦٤.

(٢٥) الآية ٢٠، ٢١.

(٢٦) الآيات ٦٠ ـ ٦٢.

(٢٧) الآية ٤٤.

(٢٨) تفسير ابن كثير ١/٥٥.

(٢٩) تفسير القرطبي ١٩٢.

(٣٠) الكشاف ١/١٧٠.

(٣١) تفسير ابن كثير ١/٥٥.

(٢٣) تفسير القرطبي ١٩٣.

(٣٣) الجلالين.

(٣٤) الكشاف ١/١٦٩.

(٣٥) تفسير القرطبي ١٩٤.

دروس من ذكرى الإسراء والمعراج

كلما أقبل شهر رجب - وهو من الأشهر الحرم - أطلت على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ذكرى الإسراء والمعراج، وذكرتهم بما كان عليه حال الإسلام والمسلمين قبلهما وبعدهما من ضيق إلى سعة، ومن ضعف إلى قوة، فقد أفاء الله سبحانه على رسوله [صلى الله عليه وسلم] بنعم يخطئها العد وتفوق الحصر فهو الذي صنعه على عينه وأدبه بأدبه وخلّقه بقرآنه ونسب الخلق الكريم عليه فأثنى عليه في دستوره السماوي الحكيم بقوله [وإنك لعلى خلق عظيم].

وتلك شهادة ربانية من موجد هذا الكون على غير مثال سابق، لم تصدر عن جامعة أو مدرسة أو أستاذ إنما صدرت عن الله رب العالمين الذي تولى محمدا [صلى الله عليه وسلم] برعايته لتكون هذه الشهادة وسام شرف وتكريم في جبين الدنيا ليعلم العالم كله من هو رسول الله الذي غيّر خريطة الدنيا وبهر التاريخ والذي تناهت إليه جميع الكمالات والمثل العليا والقيادة الرشيدة والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة والذي زكى نفسه بالعمل وأعطى الحياة كل شيء، فحول منهجها إلى صورة مشرقة وضاءة تحمل كل معاني الخير وأسس السعادة وما يصلح المرء في دنياه التي تكون وصلة الى صلاح أخراه.

وبقدر هذا الجهد الذي بذله الرسول وبهدي من الله حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة لم يأخذ لنفسه شيئا لأنه عاش لأمته ولخير بني البشر فترك الدنيا - رضيّ النفس - كيوم دخلها قانعا بقول الله [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا].

وفي حادث الإسراء والمعراج دروس وعبر لا تحصى، ويمكننا أن نستخلص من ثمراتها ما يمكن أن يفيد منه المسلمون اليوم في حياتهم وعقيدتهم وسلوكهم. فمن ذلك:

(١) التهيئة:

من المناسب أن يتهيأ الإنسان المسلم لأي عمل يقوم عليه، تهيؤا مناسباً كما حدث مع النبي [صلى الله عليه وسلم] قبيل حدوث الإسراء والمعراج.

وقد أشار القرآن الكريم والسنّة المشرّفة إلى شق صدره الشريف مرات منها ما كان قبيل الإسراء والمعراج استعداداً لذلك الحدث الجليل. كما أشار القرآن إلى أنها حدث كوني يقترن بتسخير الكون لله فبقاء النجم في مساره، أو هويه منه هو بأمر الله، وتسخير الأرض والسماء هو إشارة الى أن كل الطاقات ينبغي أن تجند لخدمة الإسلام كما كانت مجندة ليلة إسراء النبي [صلى الله عليه وسلم] ومعراجه ذاك حديث الإسراء.

فأما أنها حدث له أوانه ودقة تأقيته، والأشخاص المتحركة قبله ومعه وبعده فيعيننا على تفهمه، أن نطوي حاجز الزمن من القرن الخامس عشر الهجري إلى ما قبل الهجرة بعامين، ثم نعيش الواقع، واقع الفئة المؤمنة الصابرة المؤملة في نصر الله، المتشبثة بدين الله على ما هم عليه من ضرٍ وأذى، وواقع الغالبية الكافرة في مكة المتربصة بالمؤمنين القاعدة لهم بكل مرصد، الصابة عليهم عذاب الهون، غير ملقية بالا لأنات بلال،

اعداد : أحمد أبو الذهب محمود
- مصر -

وآهات عمّار، وجوع سعد، وإصرار سُميَّة، وصبر ياسر، ثم النبي الكريم بمصابيه الداخلي والخارجي، الأول ممثل في خديجة الزوجة الوفية الحنون، والثاني في أبي طالب العم الذي حفظ الأمانة ورعاها، ودافع عنها برغم بقائه على دين آبائه.

في ظل هذه الظروف القاسية والمعاناة المريرة التي عايشها الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم}، امتدت اليه يد العناية الإلهية لتمسح عن قلبه الطاهر ما علق به من أدران الحياة وهمومها، فكان الإسراء من المسجد الحرام - أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين في مكة المكرمة الى المسجد الأقصى - أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين - في بيت المقدس في أرض فلسطين، ثم تلا ذلك معراجه {صلى الله عليه وسلم} من المسجد الأقصى الى السموات العلا، إلى حيث علم الله في مكان لم يجزه غيره من سكان الأرض أو السماء.

(٢) المحافظة على الصلاة:

إن الصلاة في حقيقتها وسيلة من وسائل التربية الإسلامية التى تغرس في قلب المسلم حقيقة الإيمان وتؤسس فيه الشعور الصادق برقابة الله عليه وتعوّده طاعة أمره وامتثال حكمه والمبادرة الى فرائضه.

والمسلم يكتسب منها ثبات العقيدة وطمأنينة القلب والقوة في مواجهة أحداث الحياة فالإنسان بطبعه يجزع حين يمسه اليأس فينهزم ويغشاه اليأس والكآبة كما أنه بطبعه يتبطر إذا مسه الخير والنعماء فيطغى وينسى حق الضعفاء ويظلمهم ويأكل حقوقهم.

فالحفاظ على الصلاة ورعايتها مقياس لصدق الإيمان، يثمر ثمرته ويعمل عمله في تثبيت العقيدة وتوجيه السلوك.

وقد يسأل سائل عن الحكمة في فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج وقد أجاب العلماء على ذلك بأن النبي {صلى الله عليه وسلم} لما عُرجَ به الى السماوات رآها تموج بأصناف الملائكة الكرام الذين لا يحصيهم إلا الله سبحانه {وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر} (المدثر/٣١).

ورأى من عبادتهم أمرا عجيبا، فمنهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد والساجد فلا يرفع رأسه فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص، والخشوع وهذا شيء وإن كان سبق به القضاء الأزلي إلا أن الله سبحانه أظهره بعد وجود ما يقتضيه، وفي اختصاص فرض الصلاة بهذه الليلة وكونها من غير وساطة بل بكلام الله من وراء حجاب وتشريف لها وبيان لعظم مكانتها في الإسلام.

وفي غداة اليوم التالي لليلة الإسراء والمعراج جاء جبريل إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} يعلمه كيفية الصلاة ويبين له أوقاتها فما أن زالت الشمس حتى أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فنودي بأصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت: النبي يقتدي بجبريل، والمسلمون يقتدون بالنبي من ظهر هذا اليوم إلى فجر اليوم التالي. وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (ونزل جبريل فأمّني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات) . وقيل إن جبريل عليه السلام صلى بالنبي يومين متتاليين ليبين له الوقتين الأول والآخر لكل صلاة، فقد روي عن ابن عباس وجابر أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (وأمني جبريل عند البيت مرتين).

والصلاة التي يريدها الإسلام ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان، وحركات تؤديها الجوارح، بلا تدبر من عقل ولا خشوع من قلب. ليست تلك التي ينقرها صاحبها نقر الديكة، ويخطفها خطف الغراب، ويلتفت فيها التفات الثعلب: كلا. فالصلاة المقبولة هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية واستحضار عظمة المعبود جل جلاله.

والصلاة التي يريدها الإسلام تمد المؤمن بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، ففي الصلاة يُفضي المؤمن إلى ربه بذات نفسه وإليه يشكو حزنه ويستفتح باب رحمته، وفيها يشعر المؤمن بالسكينة والرضا والطمأنينة.

ويشير تشريع الصلاة في السماء إلى أن الذي

يريد أن يصل إلى هذه المنزلة من القرب والتشريف، التي كانت للنبي من ربه، يستطيع أن يعرج اليه ويحظى بتكريمه بوسيلة أخرى غير وسيلة المعراج الذي رقي به النبي إلى حظيرة القدس، وهي المعراج الروحي، وإذا كانت المعارج تتفاوت قوة وسرعة فإن أقواها وأسرعها هو معراج الصلاة.

والإنسان حين يفزع إلى من هو أقوى وأشرف يكون ذلك في الغالب إما لطلب نجدة أو معونة وإما للأنس بحضرته، والله سبحانه وتعالى مالك الأمر كله، له العبادة ومنه المعونة على مقتضى قوله {إياك نعبدُ وإيَّاك نستعين}. ولهذا كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يلجأ إلى الصلاة حين يريد الاتصال بالله بأي باعث من البواعث، فقد روى أحمد (أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر، أو حزنه أمر، فزع إلى الصلاة) وروى النسائي والطبراني والحاكم وصححه عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال «وجُعلَت قُرَّة عيني في الصلاة». فبالصلاة يعرج المصلي إلى الله لينال ما يريد.

(٢) المحافظة على المسجد الأقصى والسعي لتحريره من رجس اليهود:

كان بيت المقدس بفلسطين منتهى رحلة الإسراء ومفتتح رحلة المعراج، وهذا الحادث الفذ الذي يفتخر به العرب والمسلمون على السواء يجعل من فلسطين بلداً عربياً خالصاً بنص التاريخ. وكيف لا نقول انها بلد عربي وفلسطين قلب الوطن العربي وقد أقام بها العرب منذ فجر التاريخ القديم، فقد كان المناذرة في أيام الفرس والغساسنة في أيام الروم وقبل ظهور الإسلام بزمن بعيد يسكنون هذه الديار، فلما جاءت خلافة عمر - رضي الله عنه - وفتح فلسطين ودخل بيت المقدس تسلم مفاتيحها وصارت مسلمة.

وكانت فلسطين مكان ميلاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام جد العرب الأول وأول العرب المستعربة قبل ظهور إسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وعيسى ابن مريم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام حيث أمر الله تعالى ابراهيم أن يهاجر بزوجته هاجر وبولدها إسماعيل إلى واد غير ذي زرع عند بيته المحرم وقد أقامت هاجر بهذا الوادي مع ولدها إسماعيل فتجمع الناس حولها وأقام العرب بجوارها ولما شب إسماعيل عن الطوق وبلغ الرشد خطط مكة وكانت أرضا خلاء كلها جبال ورفع قواعد الكعبة «البيت الحرام» مع أبيه إبراهيم وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة البقرة {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم} (البقرة/١٢٧). وكان إبراهيم يحج البيت كل عام ليربط بينه وبين العرب برباط وثيق.

والمسجد الأقصى هو ثالث المساجد التي جوّز الإسلام أن تُشد إليها الرحال وهي المسجد الحرام في مكة المكرمة.. ومسجد الرسول {صلى الله عليه وسلم} في المدينة المنورة.. ثم هذا المسجد الأقصى.

ولعل وصفه بالأقصى إنما جاءه لأنه كان أبعد المساجد إذ ذاك عن موطن المسلمين، ولهذا المسجد الشريف مزايا جليلة وحرمة وقدسية تلتصق بالعقيدة الإسلامية أبلغ التصاق: فإليه أسري برسول الله {صلى الله عليه وسلم} من مكة المكرمة. ومنه كان معراجه إلى السماء ليتلقى كثيراً من مكملات رسالته الخالدة لاسعاد الإنسانية.

ولقد أبان لنا القرآن الكريم عن فضل المسجد الأقصى في فاتحة سورة الإسراء في قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} (الإسراء/١).

ومعني المباركة - حوله - والله أعلم - سبق الإرادة الإلهية بجعله وجعل البقعة التي تحف به موضع تشريف وتكريم وإلهام للعظة وإشعار بالسلام والأمن والحياة الكريمة لمن يلمون به ويعيشون في رحابه، شأن كل الأماكن التي يهبها الله هذه المزايا وتلك القدسيات السماوية ويجعلها رمزاً ومصدراً للخير والإلهام

الروحي والسمو الإنساني فوق مستوى الحياة المادية وعمايات الغرائز المجنونة.

(٤) تطهير المجتمع من آفاته بالتوبة والإنابة:

إن مرئيات النبي {صلى الله عليه وسلم} ليلة المعراج تدلنا على أهمية قيام المجتمع المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في حدود الشرع الحنيف - من أجل تطهير المجتمع من الفساد. وأجدر بكل مسلم ومسلمة، أن تكون حياته كلها سلوكا عملياً لما دعانا إليه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعمل صاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وكل هذا قد احتوته معجزتا الإسراء والمعراج، وبه نستطيع أن نقيم المجتمع الإسلامي المتماسك المتحاب الذي ينعم بالخير والسعادة ويطهرنا من الانحلال ويمنع عنا عوامل التفكك ويقينا شرور الضعف والخذلان، ويهدينا إلى سواء السبيل.

من مظاهر الفساد التي تكشفت خلال رحلة المعراج:

١ - التثاقل عن الصلاة المكتوبة:

فقد أتي الرسول على قوم ترضخ رؤوسهم، كلما رضخت عادت كما كانت فقال يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

٢ - منع الصدقة:

ثم أتى على قوم، على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم ورصف جهنم وحجارتها. فقال: يا جبريل من هؤلاء.. فقال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا.

٣ - الزنا:

ثم تصور معجزة الإسراء الزناة والزواني في صورة كريهة بغيضة، في صورة إنسان لا عقل له.. لا يميز بين الطيب والخبيث، ولا يقدر إنسانيته كإنسان.. فتقول: ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدورهم، ولحم آخر نيء وخبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث، ويدعون النضيج الطيب.

فقال: من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة، فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا، فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح.

٤ - قطع الطريق وإرهاب المجتمع:

فقد أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا مزقته فقال: ما هذه ياجبريل..؟ قال: مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه.

٥ - الربا:

ثم تصور المعجزة آكل الربا في جواب جبريل للرسول حينما شاهد رجلا في نهر من دم يلقم الحجارة إذ يقول جبريل: هذا مثل آكل الربا.

وتصور الأمانات لدى من لا يقدر على حملها في صورة رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها، ويريد أن يزيد عليها.

وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتّرُ عنهم فقال: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون.

وعنيت المعجزة بمحاربة الغيبة والنميمة والولوغ في أعراض الناس فصورتهم في هذه الصورة.

ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال: من هؤلاء ياجبريل..؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون من لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم.

وإذا كان لا يكبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم، فقد قدمت لنا معجزة الإسراء صورة زرية لمن لا يتحكم في لسانه، فتقول: ومر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا ياجبريل..؟ قال، هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها فلا يستطيع ردها.

هذا هو الجانب الذي دعتنا معجزة الإسراء الى التخلص منه، لنطهر أنفسنا من الأمراض التي تعوق تقدمنا وتفكك أواصرنا، وتزعزع ثقتنا ببعضنا، وتمكن لعدونا منا.

يا صاحب الإسـ

سبحان من بالنور قد أسرى
في رحلة صارت له نصرا
أسرى به الرحمن ترضية
وأراه من آياته الكبرى
فهو الذى أحزانه اشتعلت
وبدتْ عليه همومه الحرى
«فخديجة» السلوى قد ارتحلتْ
وهى التى كانت له ذخرا
والعم مات وكان ينصره
ضد العدا ويهوّن الامرا
«وثقيف» قد رفضت شريعته
لما أتاها بالهدى نهرا

* * *

في عتمة الليل البهيم مضى
فوق «البراق» يحقق البشرى
في «القدس» حط الركب مبتهجا
والأنبياء تجمعت فخرا
وائتمت الرسل الكرام به
فى حضرة زادت به سحرا
ومضى ببحر النور منفردا
من ذا يساوى المصطفى قدرا؟
وهناك في ساح الرضا سكنت
منه الشجون وأشرقت بشرا
حياه رب العرش مكرمة
سبحان من بحبيبه أدرى
صلى عليك الله يا قمرا
ضاء الوجود وأسعد الدهرا

* * *

يا صاحب الإسراء معذرة
فلقد أضعنا القدس والمسرى
ظفرت به أطماع شرذمة
وبغت به واستزرعت شرا
حشدت لنا من كل زاوية
لكننا لخلافنا أسرى

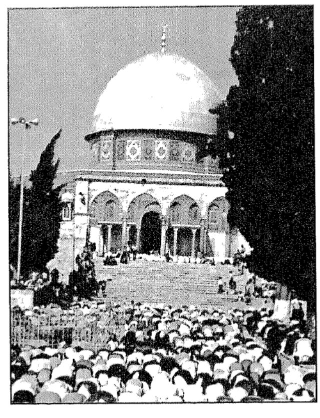
سراء معذرة

شعر : رفعت عبدالوهاب المرصفى
- مصــر -

والقـدس - مـا عـادت مـصـيبـتنا
فـمـصـائب - حلت بنا - أخـرى
ونعـود نقـسم - أن سنرجـعُـهـا
من يا ترى بـالوعـــد قـــد برا؟
القـدس تـبكي - من سـينصـرها
ودمـوعـهـا شـقت لهـا مـجـرى؟
والمســجـــد الأقــصى يعـــاتبـنا
فـمـتى نقيم بسـاحـه الذكـرى؟
والعــابرون لبـعـضـــهم وقــفـوا
وســلاحــهم لدمـــائهم أجـرى
طالت سنون الحـزن واحـتـدمت
بتنـا كـــمنْ يســتـــعـــذبُ المرا

* * *

لكن نـصـــــر الله ألمحـــــه
يزهـو على وجـــه المدى تبــرا
وغـــداً بيــوم الفــتح مــوعــدنا
في القدس سوف نصحح الأمرا
سنذيقــهـم طعم الجـراح لظى
ونقـيم فــوق عظامــهم جـســرا



فــهناك أطفـــال لنا عـــبــروا
فـوق الجـراح وحطمـوا القـهـرا
قــالوا بأن الأرض مــا عـقــمت
أنعم بتلك الشـتلة الصــغـرى
حــملوا تراب الأرض أسلحـــة
صــبت على أعــدائهم جـمـــرا
النصـر هـم بشـرى قـد انطلقت
نحــو السـمـــاء وأينعت زهـرا
آن الأوان لكى نعـــانقـــهم
وأظـن تلك الجـــولة الكبـــرى

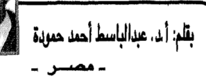
القصص النبوي | عن الجنة ونعيمها

الأشكال والصور:

وإذا قلنا إن القصص النبوى ينفرد بالصور والأشكال البلاغية، فإن ذلك راجع إلى خصائص أثبتتها الدراسة العلمية والأدبية في وجود مميزات للنبي {صلى الله عليه وسلم} عن غيره من سائر العرب، ومن هذه المميزات على سبيل المثال: نشأته القرشية وإقامته في أم القرى ملتقى العرب جميعا، وواسطة العقد بين تجارة اليمن والشام، ورضاعه في بني سعد، وأخواله في بني زهرة، وتزوجه في بني أسد، ومهاجرته إلى بنى عمرو وهم الأوس والخزرج، ولذا قال[١]: (أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر) وفوق ذلك وقبله عناية الله به وتأديبه (وعَلَّمَكَ ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) حيث آتاه جوامع الكلم، وكمال الخلق، وحسن المنطق وسداده، مما جعل أصحابه يتعجبون منه ويقولون: من أدبك، فيقول {صلى الله عليه وسلم} (أدبني ربي فأحسن تأديبى).

ومن خلال دراسة كلامه {صلى الله عليه وسلم} يتضح أنه[٢] (لم يكن في العرب، ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر، من ينفذ في اللغة وأسرارها وضعا وتركيبا، ويستعبد اللفظ الحر، ويحيط بالعتيق من الكلام، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه {صلى الله عليه وسلم} ولا نعرف في الناس من يتهيأ له الأسلوب العصيّ الجامع المجتمع على توثق السرد وكمال الملاءمة، كما تراه في الكلام النبوى، وما من فصيح أو بليغ إلا وهو في إحدى هاتين المنزلتين دون ما يكون في الأخرى، على ما يلحقه من النقص فيهما جميعا، إذا تصفحت وجوه كلامه، وضروب الفصاحة فيه، واعتبرت ذلك بما سلف، وأبلغ الناس من وفق أن يكون في المنزلة الوسطى، بين منزلتيه {صلى الله عليه وسلم}.

أما القصد والإيجاز والاقتصار، على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها. ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام وجهتيه (اللفظية والمعنوية) فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية، حتى كأن الكلام لا يعدو فيها حركة النفس، وكأن الجملة تخلق في منطقه {صلى الله عليه وسلم} خلقا سويا، أو هي تنتزع من نفسه انتزاعا. وهذا عجيب حتى ما يمكن أن يعطيه امرؤ حظه من التأمل، إلا أعطاه حظ نفسه من العجب، وإنما تم في بلاغته {صلى الله عليه وسلم} بالأمر الثالث. وهو الاستيفاء الذى يخرج به الكلام - على حذف فضوله وإحكامه ووجازته - مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها خداج ولا إحالة ولا اضطراب، حتى كأن تلك الألفاظ القليلة، إنما ركبت تركيبا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس؛ فمتى



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -

وعاها السامع واستوعبها القارىء، تمثل المعنى وأتمه في نفسه، في حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تاما مبسوط الأجزاء وأصاب هو من الكلام معنى[٣] جموما لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه احساسا لنظر معنوى..

ولأمر ما قال أفصح العرب {صلى الله عليه وسلم} (أعطيت جوامع الكلم) وفي رواية (أوتيت) وكان يتحدث في ذلك بنعمة الله عليه).

وندلل على ما سبق بعرض بعض الصور والأشكال التى تعد نماذج تلهم البلاغة العربية، وتجدد الأدب كلما ضعف أو خفت جيلا بعد جيل، فهى صور وأشكال حية، عليها إلهام النبوة، ومسحة العناية الإلهية.

ومن هذه الصور والأشكال الأدبية الماثلة للعيان ما جاء في دعوة عباد الله للجنة فيما روي عن أيوب عن أبى قلابة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (قيل لى لتنم عينك، وليعقل قلبك، ولتسمع أذنك.. ثم قيل لي: مثلى ومثل ما جئت كمثل سيد بنى دارا..) القصة.

فيتضح الالهام في نوم العين، وعقل القلب، وسماع الأذن، ثم ذلك التصوير والتمثيل (سيد بنى داراً، ثم صنع مأدبة، وأرسل داعيا.. والله السيد، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة، والداعي محمد {صلى الله عليه وسلم}.

ومن الصور التى تعطي المعانى الكثيرة ولكنها بكلمات قليلة ما جاء في القصص النبوي: (يقول الله - عز وجل - أعددت لعبادى الصالحين، مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرا بله ما اطلعتم عليه، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}} (فلا تعلم نفسى ما أخفي لهم من قرة أعين).

وقوله {صلى الله عليه وسلم} في وصف الجنة: (هي ورب الكعبة، نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد..)، (لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، بلاطها المسك الأذفر..)، (فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) و(إن الله - تعالى - بنى الفردوس بيده) و(الجنتان بستانان في عرض الجنة، كل بستان مسيرة مائة عام..) و(في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض..) و(باب أمتى الذين يدخلون منه، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا..) و(ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما).

ومن التصوير الرائع أمام باب الجنة: (فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟) و(آتى باب الجنة، يوم القيامة، فاستفتح، فيقول الخازن من أنت؟).

وفي تصوير مفتاح الجنة ما ينبىء عن البلاغة من حيث الإيجاز الذى يحتوى على المعانى الكثيرة، كقوله {صلى الله عليه وسلم}: (إنك ستأتى أهل الكتاب، فيسألونك عن مفتاح الجنة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله) وقوله: (مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة).

وفهم العلماء من المحدثين والفقهاء والمفسرين أن التوحيد هو المفتاح، وأن التكاليف الشرعية هى الأسنان التى تشترك في فتح باب الجنة وإلا لم يفتح.

وأى تصوير أروع، وأى بيان أسطع، وأى كلام أبلغ وأبرع من تصوير المؤمن من وقت احتضاره وخروج روحه وتشييع جنازته ودخوله القبر وسؤال الملكين له، ومرافقة عمله الصالح له، فيفرش له من الجنة، ويلبس من الجنة. وتصوير العبد الكافر كذلك

إلى أن يرافقه عمله، ويفرش له من النار، ويفتح له باب إلى النار (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا.. وإن العبد الكافر..) القصة.

ومن الحقائق في تصوير قصور الجنة مالا يبلغه أي خيال.. يجاء (للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة، في ذلك القصر سبعون غرفة، في كل غرفة زوجة من الحور العين، في كل غرفة سبعون بابا، يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التي تدخل عليه من الباب الآخر) و(إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها) و(إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق) و(إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها..) و(إن المتحابين في الله - تعالى - لعلى عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة) ويستطرد القصص النبوى إلى القول (فلولا أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم فرحا..).

ويربط التصوير النبوى صورة سلالم الارتقاء إلى درجات الجنة بما هو محسوس وموجود في الدنيا، وذلك يدفع إلى حماس المؤمن وإقباله على حفظ وتلاوة كتاب الله (درج الجنة على عدد آي القرآن، لكل آية درجة..) وفي الجنة (مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض).

ويصور القصص النبوى سحب وأمطار وأنهار الجنة وجبالها وأوديتها ففيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مُصَفًّى (هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة، ثم تصدع بعد أنهارا) وروي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجرى في أخدود في الأرض، والله إنها لتجرى سائحة على وجه الأرض، حافتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر.

وهذا التصوير الحقيقى لأنهار الجنة لا يتأتى لأنهار الدنيا، ويعجز الخيال الأدبي عن إبداع أنهار تسيح على وجه الأرض، حافتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر، (وأنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال المسك) و(إن في الجنة نهرا يقال له البيدخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجوارى، فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه).

اما سحب الجنة وأمطارها فإنها تمطر بما لذ وطاب، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (فيأتيهم مثل السحابة.. فيقولون: أمطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم).

وينقل القصص النبوي في صور حية، وتجسيم محسوس بأسلوب بلاغى نافذ الى الوجدان ومثير للشعور، وملفت للتأمل والنظر، وذلك حين يصف طعام وشراب وآنية أهل الجنة. (أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت) و(إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة.. فيأتى بثور وحوت، فيجز لأهل الجنة) و(.. طعامهم ذلك جشاء كريح المسك) و(إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الشراب من شراب الجنة، فيجىء الإبريق، فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى مكانه) و(إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع.. تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك، فيضمر بطنه) و(.. فإن البول والجنابة عرق يسيل من تحت

ذوائبهم إلى أقدامهم) و(٠٠ إن له لثلاثمائة خادم ويُغْدا عليه كل يوم ويراحِ بثلاثمائة صحفة٠٠ في كل صحفة لون٠٠ وإنه ليقول: يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة[٤]) و(إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة٠٠) والكوثر الذى يشربون منه في الجنة (أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر٠٠) و(إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فتشتهيه فيجيء مشويا بين يديك) و(يقع على خوانه لم يصبه دخان، ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع)، و(إن في الجنة طائرا له سبعون ألف ريشه) وطير تصطف وتقول: (يا ولى الله رعيت في مروج الجنة تحت العرش، شربت من عيون التسنيم) و(إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم٠٠).

ويصور القصص النبوى أشجار الجنة وثمارها، بل إن القصص النبوى ينقل ما في الجنة بأسلوب البلاغة النبوية، وجوامع الكلم المعجز للبشرية، ومن أين يتأتى لبشر أن يصف شجر الجنة أو زرعها وثمارها؟ ففى الجنة شجرة يقال لها طوبي: (هى تطابق الفردوس) تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد) العنقود في الجنة مسيرة شهر للغراب الأبقع، والحبة منه حجم جلد التيس، تشبع الرجل وأهله وعامة عشيرته٠ وماء الحبة مقدار دلو٠

وفي الجنة نخيل (لها جذوع من ذهب، وكرانيف من ذهب، وجريد من ذهب وأقماع من ذهب، وثمارها كالقلال، وألين من الزبد، وأحلى حلاوة من العسل)٠

وتصور البلاغة النبوية خدم وغلمان أهل الجنة، فالقيم الذى يستقبل الرجل عند دخول الجنة على درجة عالية من الحسن وجمال الهيئة (فلولا أنه عرفه نفسه لخر ساجدا من النور والبهاء والحسن) وتأتى إلى الرجل في الجنة (حوراء عيناء معها سبعون جارية، وسبعون غلاما، وعليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحلل والجلد والعظم، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء وكما يرى السلك في الدرة الصافية، فيضرب بيده إلى نحرها فيقرأ ما في كبدها، فإذا هو مكتوب: أنا حبك، وأنت حبي، إليك انتهت نفسي، وذلك قوله: (كأنهن الياقوت والمرجان)٠

فما أبلغ وما أعذب وما أرق هذا الكلام النبوى الذى يعلم الإنسانية جمعاء مدى ما يبلغه الجمال والحسن في نساء الجنة، وهذه البلاغة، وتلك الصور - كما قلنا - إبداع وابتكار في البلاغه النبوية لم تسبق إليه، ولن يتأتى لمن بعده، وأنى لإنسانية بذلك والله - تعالى - يقول: (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)٠

ومن التصوير الأدبى الرائع الذى ينقل حقائق ما فى الجنة (لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها) و(يسطع نور الجنة، فرفعوا رءوسهم، فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها) ولو أن يدا من الحور دليت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما يضيء الشمس لأهل الدنيا، فكيف بالوجه وبياضه، وحسنه وجماله٠

فهل في مقدور شعراء الغزل، وكتاب قصص العشق والغرام، من الرومانتيكيين وغيرهم في الشرق والغرب، أن يأتوا بهذه الصور، نقول مرة أخرى: وأنى لهم بمادتها في عالمهم؟ وأنى لهم ببلاغة ألفاظها وصوغها ونسق نظمها في لغاتهم، وإن وجدت في لغاتهم فأنى لهم بالإلهام وجوامع الكلم الذى أعطاه الله لأنبيائه عامة، ولمحمد (صلى الله

عليه وسلم} خاصة (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وقوله أيضا: (أنا محمد النبي الأمي - قال ذلك ثلاث مرات - ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه).

وينقل القصص النبوي صورا أدبية للغناء والطرب في الجنة لا يوجد لها مثيل في دنيا الناس، ففي الجنة (شجرة جذوعها.. فتهب لها ريح فيصفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه) والحور العين يتغنين بألوان الغناء، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا، فأجبن الجواري فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر؟ والشجر يتحرك بكل لهو كان في الدنيا»، والملائكة - أيضا - تغني لأهل الجنة، وكذا بعض الأنبياء (ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فيأمره الله - تبارك وتعالى - فيأخذ في السماع) و(أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو .. ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدي وتحميدي) و(ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم).

ونكتفي بعرض هذه الصور الأدبية التي جمعت بعض الألوان من البلاغة النبوية والتي تصل إلى درجة الإعجاز[٥]، فقد بهر ببلاغته وفصاحته وبيانه أساطين البلاغة، المتمكنين من ناصية الفصاحة، وخاصة القريبين منه والمحيطين به، حين كان يخاطب الخاصة أو العامة، أو ما كان يمليه من كتب ورسائل على كتابه وتلك الميزة التي تميز بها النبي {صلى الله عليه وسلم} عن الشعراء، وقد كان النبي {صلى الله عليه وسلم} لا يقول الشعر ولا يقصد إلى معالجته، فبرع في غيره من فنون البيان والبلاغة وقد قيل: اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد، وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم، وقالوا: من تمنى رجلا حسن العقل، حسن البيان، حسن العلم، تمنى شيئا عسيرا.

يقول الرافعي[٦] ولو كان النبي {صلى الله عليه وسلم} شاعرا لذهب مذاهب العرب التي تبعث عليها طبيعة أرضهم، ولتكلف لها ونافس فيها.. وهذا أمر كما ترى يدفع بعضه إلى بعض، ثم لا يكون في جملته إلا أن ينصرف عن الدعوة، وعما هو أزكى بالنبوة وأشبه بفضائل القرآن، ولا من أن يتسع للعرب يومئذ بد، فيقرهم على شيء، ويجاريهم على شيء وينقض شعره أمر القرآن عروة عروة. ولذا قال تعالى: {وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين}.. ولذا قال {صلى الله عليه وسلم} «لما نشأت بُغضت إليّ الأوثان، وبُغّض إليّ الشعر، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، فعصمني الله منهما، ثم لم أعد).. وقد كان الشعر سجية في أهله، وأنه ليس من بني عبد المطلب - رجالا ونساء - من لم يقل الشعر غيره {صلى الله عليه وسلم} وانما كل ذلك تفسير طبيعي لقوله {صلى الله عليه وسلم} (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

على أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد جمع عدا إجادة الشعر - بلاغة القول، وفصاحة اللسان، وحسن البيان، وحسن العلم، لأنه {صلى الله عليه وسلم} يمتاز عن بني الانسانية بأنه تربى وتعلم في مدرسة اللطيف الخبير، ومن هنا اجتمعت له الخاصية في تجويد حسن البيان، والخاصية الإلهية في استكمال الصفات الأخرى التي هي مصدر الإعجاز البلاغي، الذي لا يقدر عليه فصحاء البشر، وهذا ما نستطيع أن نفهمه من أقواله {صلى الله عليه وسلم} (بعثت بجوامع الكلم) قال النووي:

جوامع الكلم فيما بلغنا، أن الله - تعالى - يجمع له الأمور الكثيرة، التى كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد، والأمرين ونحو ذلك. وفي رواية أخرى أنه {صلى الله عليه وسلم} قال: (أنا محمد النبى الأمي - قال ذلك ثلاث مرات - ولا نبى بعدى، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه) ومعنى ذلك أن كلامه اشتمل على حسن المطلع، أو ما يسمى ببراعة الاستهلال، وحسن الخاتمة، وأن محتواه ولبه خلاصة البيان الجامع، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إنى أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الكلام اختصارا) وقد كان {صلى الله عليه وسلم} ينهى عن إطالة الخطب، ويوجز في خطبه. قال أبو الحسن المدائنى: تكلم عمار بن ياسر يوما فأوجز، فقيل له لو زدتنا، فقال: أمرنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بإطالة الصلاة، وقصر الخطب، ونهى عن الاسهاب، والتطويل في القول، حتى يكون القول مفيدا، يتحقق به الفعل. أما إذا طال الحديث فإن آخره ينسى أوله، ولا يكون ذا ثمرة مرجوة، وقد يدفع الى الملل والتكلف.

وقد روى عنه {صلى الله عليه وسلم} (إنَّا معشر الأنبياء بكَّاء) قال الجاحظ: ليس في ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز الخلقة، وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا، وقد يكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعاني.

وهذا ظاهر في سائر كلامه {صلى الله عليه وسلم} في خطبه، ورسائله، وقصصه، ففى القصص الذى نحن بصدده يتجلى الأمر ويتضح في أطول قصة، وهي الإسراء والمعراج وكذا في القصة المتوسطة، كقصة (الأبرص والأقرع والأعمى)، وفي القصة: القصيرة مثل قصة أيوب - عليه السلام - (بينما أيوب يغتسل عريانا) وغيرها.

فهذا القصص يتميز بالاختصار والإيجار، ولكنه يعطى المعانى الكثيرة، والصور الأدبية المتعددة، والأساليب البلاغية الموحية، على النحو الذى أشرنا إلى بعضه.

يقول الزمخشرى[٧] (ثم إن البيان العربي، كأن الله - عزت قدرته - مَخَّضَهُ، وألقى زبدته على لسان محمد {صلى الله عليه وسلم} فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل[٨]، وما من مصقع يناهزه إلا رجع فارغ السجل، وما قرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع الحصان المطهم، وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نقبة الأدهم قال - عليه السلام: (أوتيت جوامع الكلم) وقال: (أنا أفصح العرب بيْد أنى من قريش، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر).

والتصوير النبوى وان كان حقيقة لكن من الحقيقة ما يكون أبلغ من المجاز، وقد مثل علماء البلاغة بأمثلة منها قول جرير:

فغُضَّ الطرف إنك من نُمير

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

- للحديث صلة -

الهوامش:

(١) الرافعى: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣١٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٣.

(٣) من قولهم فرس جموم إذا كان قويا.

(٤) يراجع هذا وغيره في مواضعه السابقة من هذا البحث.

(٥) كتابنا الإعجاز في البيان النبوي.

(٦) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٤٢ (بتصرف).

(٧) الفائق جـ ١ ص ١١.

(٨) كناية عن العي.

صلة البديعيات بالمدائح النبوية

المديح النبوي «فنٌ من فنون الشعر، ولون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص»[١] مليئة بالإعجاب بشخصية الرسول محمد [صلى الله عليه وسلم] .

وقد عرف المدح النبوي منذ بعثة النبي عليه السلام إلى البشرية جمعاء هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا . عرفه الشعراء في عصر صدر الاسلام وفي العصور التي تلته، وأخذ منذ القرن السابع الهجري ينافس الأغراض الشعرية الأخرى، ويبرز فناً من فنون الشعر على يد المتصوفين من الشعراء الذين اعتنوا به وأذاعوه[٢].

ومن أبرزهم في هذا المجال «البوصيرى» محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج (ت ٦٩٧هـ) صاحب «البردة» وهي من القصائد الطوال في مدح الرسول [صلى الله عليه وسلم] ومن بحر البسيط، وعلى روى الميم المكسورة، ومطلعها[٣]:

أمنْ تنكُر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريحُ من تلقاء كاظمة
وأومض البرقُ في الظلماء من إضم

يقول صاحبها في دوافع نظمها: «كنت قد نظمت قصائد في مدح الرسول [صلى الله عليه وسلم] منها ما كان اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه، فعملتها، واستشفعت بها إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكررت إنشادها ودعوت، وتوسلت ونمت فرأيت النبي [صلى الله عليه وسلم] فمسح وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت فيّ نهضة، فقمت وخرجت من بيتى»[٤]، وتعد البردة أهم القصائد بين المدائح النبوية «لجودتها وشهرتها ولكونها مصدر الوحي لكثير من القصائد في هذا الفن»[٥]. وقد حظيت البردة بعناية من عامة الناس وخاصتهم ولا سيما الشعراء الذين تزاحموا عليها وتناولوها مشطرين ومخمسين ومعارضين[٦].

ومن أشهر من عارضها منهم رواد البديعيات الذين برز على أيديهم فن البديعيات - وهى قصائد طوال تتضمن فنونا بلاغية، معظمها في مدح الرسول الأمين، ومن بحر البسيط، وعلى روى الميم المكسورة - وأولهم صفي الدين الحلي، وابن جابر الاندلسي، ومن تبعهما واحتذى حذوهما .

أما «ابن جابر» (ت ٧٨٠هـ) فقد شغف بالبردة، وشغل نفسه بمعارضتها، فابتكر فن البديعيات[٧] كما يقول صاحب المدائح النبوية[٨] وذلك في بديعيته المسماة «الحلّة السيرا في مدح خير الورى» التي مطلعها[٩]:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم
وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم
وابذل دموعك واعذل كل مصطبر
والحق بمن سار والحظ ما على العلم
سنا نبي أبي أن يضيعنا
سليل مجد سليم العرض محترم

وختامها:

لكن وإن طال مدحي لا أفي أبدا
فأجعلُ العذر والإقرار مختتمي

وتأثرها بالبردة ظاهر في شكلها ومضمونها، فهي في مدح الرسول [صلى الله عليه وسلم] وعلى وزن البسيط وروي الميم.

وأما الحلي (ت٧٥٠هـ) فقد تابع البوصيري في بردته ونسج على منوالها[١٠] في قصيدته البديعية المسماة «الكافية البديعية في المدائح النبوية» ومستهلها:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عُرْب بذي سلم
فقد ضمنتُ وجود الدمع من عدم
لهم ولم استطع
مع ذاك منع دمي

وتأثير البردة واضح في قصيدة الحلى هذه، وكلاهما تتفق في



بقلم : د. يحي بن محمد العطيف
جامعة الملك خالد - أبها

الغرض وهو المدح النبوى وفي الشكل أيضا.

ليس ذلك فحسب بل نجد الشاعرين متفقين حتى في دوافع النظم. يقول: الحلي في مقدمة شرحه على بديعيته - وكان قد عزم على تأليف كتاب في فنون البديع: «فعرضت لي علة. طالت مدتها، وامتدت شدتها، واتفق لي أني رأيت في المنام رسالة من النبي {صلى الله عليه وسلم} تتقاضاني المدح وتعدني البرء من الأسقام، فعدلت عن الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع وتتطرز بمدح مجده الرفيع»[١١] فإذا قارنا بين الدافعين دافع نظم بردة البوصيرى ونظم بديعية الحلى - تأكدت الصلة بين القصيدتين، وقد أشار إلى ذلك من القدماء الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ) ومن المعاصرين صاحب البديعيات في الأدب العربي[١٣].

وأخذ الشعراء بعد الحلى يتسابقون في هذا المضمار مقتفين أثر بديعيته في غايتها العلمية وأثر «البردة» في غايتها الروحية ومنهم عز الدين الموصلي (ت ٧٨٩هـ) الذى نظم بديعية مطلعها:[١٤].

براعة تستهل الدمع في العلم
عبارة عن نداء المفرد العلم

ومنهم الذى قرر صلة البديعيات بالمدائح النبوية - متمثلة في البردة - في معرض حديثه عن أسباب نظم بديعيته قال: «فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه {صلى الله عليه وسلم} على منوال طرز البردة»[١٥] ومطلعها:

لي في ابتدا مدحكم يا عُرْب ذي سلم
براعة تستهل الدمع في العلم

وتقع في (١٤٥) بيتا، وسماها «تقديم أبي بكر» وشرحها في كتاب يعرف «بخزانة الأدب وغاية الأرب»[١٦].

كل ذلك يثبت صلة البديعيات بالمدائح النبوية، ويقرر العلاقة الوثيقة بينهما، ويجعلنا نعد المدائح النبوية - ممثلة في البردة - عاملا من عوامل ظهور فن البديعيات.

للموضوع صلة

الهوامش:

١) المدائح النبوية: لـ زكى مبارك، ط/ مصطفى الحلبي (١٣٥٤ - ١٩٣٥م) ص ١٧.

(٢) انظر: الأدب في العصر المملوكي: د. محمد زغلول سلام - مطبعة دار المعارف (١٩٧١م) جـ١/ ٢٢٨ والمدائح: ص ١٧.

(٣) انظر: ديوان البوصيرى، تح: محمد كيلانى، القاهرة، ط/ ٢ ، (١٣٩٣هـ).

(٤) فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي - تح. د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، جـ٣/ ٣٦٨.

(٥) المدائح النبوية: ص ١٤١.

(٦) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفه، بيروت، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة المثنى ببغداد، جـ٢/ ١٣٣٦.

(٧) المدائح النبوية ص ١٦٨.

(٨) تباينت آراء مؤرخى الأدب والبلاغة في مبتكر فن البديعيات والسباق إليه فبعضهم يجعله ابن جابر الأندلسى (انظر: المدائح النبوية ص ١٦٨)، وفريق منهم يعدّه أمين الدين السليمانى المتوفى سنة ٦٧٠هـ (انظر: أنوار الربيع: ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادى، جـ١/٣١، ٣٢؛ وانظر: الصبغ البديعي: د. أحمد موسى ص ٣٧٧ وما بعدها؛ وانظر: عصر سلاطين المماليك: محمود رزق سليم، جـ ٦/١٥٨)، وجمهورهم يرى أن الحلي هو مبتكر هذا الفن ورائده (انظر: نفحات الأزهار على نسمات الأسحار: عبد الغنى النابلسى، ص ٣؛ وانظر: المفصل في تاريخ الأدب العربي، جـ١/١٩٣).

(٩) بديعية العميان: ابن جابر الأندلسي - المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ ص ٢٠.

(١٠) التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع: عز الدين الموصلي - مخطوط ورقة ٣.

(١١) النتائج الألمعية شرح الكافية البديعية للحلى. مخطوط. ورقة ٢، ٣.

(١٢) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار: عبد الغني النابلسي - طبعة بولاق سنة (١٢٦٩هـ) ص ٣.

(١٣) البديعيات في الأدب العربي: على أبو زيد - مطبعة عالم الكتب ببيروت ط: الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ١٧ وما بعدها.

(١٤) التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع. ورقة ٥.

(١٥) خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموى - طبعة بولاق سنة (١٢٩١هـ)، ص ٢.

(١٦) انظر في تحقيق اسم هذا الكتاب: مجلة المنهل، المجلد (٥٥)، العدد (٥١١)، رجب (١٤١٤هـ)، بحث «ابن حجة الحموى: حياته ومؤلفاته» لكاتب هذه السطور.

البحث العقلى فى الجمالية

يجد المتتبع لتراثنا العربي آراء مستفيضة في ثنايا الكتب الأدبية بخاصة منها البلاغية على اعتبار أن جمال الفن اللغوي يكمن في بلاغة اللفظ. ولذلك كانت العرب تولي اهتماما بالغا بأبحاث جمالية اللفظ، ومن هنا كانت «البلاغة العربية هي علم الجمال الادبي عند العرب، ومن هنا ان مفاهيم البلاغة العربية وأسسها وقواعدها هي مفاهيم الجمالية الادبية في تراث العرب الفكري، كما تهيأ لهم أن يستخلصوها من روائع شعرهم وأدبهم»[١].

ومعنى هذا أن البحث في قيمة المعنى التجزيئي في صورته الخارجية والدلالي يتخذ من مجال علم الجمال الطبيعي أداة يحكم بها على التحام اجزاء النظم التي تكون شخصية القصيدة التي كان سبيلها التأثير والاقناع، وهو اكبر دليل على تواجد عناصر جمالية تشكل البذور الأولى من حيث كونها أساسا نظريا لمشهد الفن في علم الجمال العربي من منظور الرؤية الطبيعية الناتجة عن تأمل الكون المدرك في بساطته، وقد استمر هذا التيار الانفعالي بصوره الحسية حتى بعد مجيء الاسلام، الى فترة متأخرة من الحياة العربية، كان فيها المبدع والفنان على وجه العموم يولي اهتمامه للخير الضئيل من تصنع الكلام والارتكاز على الملمح الاشاري في حسن أداء اللفظ، فكان «مرماه البعيد أن يرسم النماذج المطلقة المثلى، ولم يكن يصور هذه الحالة الواحدة المعينة أو تلك، من الحالات الجزئية التي يزخر بها تيار الحياة الواقعة، فإذا وصف الشاعر العربي جوادا، أو ناقة، أو ما شاء أن يصف، وصفه كما ينبغي له أن يكون لا كما هو كائن بالفعل»[٢] وهو ما يؤكد انتماء الفنان العربي في إبداعه إلى الجمال المطلق.

لقد كان لجمال النطق، وحسن الاداء وعذوبة اللفظ وطرافة المعنى أثره البليغ، حتى يخيل اليك أنك أمام لغة الترف والزينة في شكلها المنمق من سجع وبديع، وهو اتجاه ساد معظم أساليب العصر بل حتى الحياة اليومية، حتى عادوا يغربون في حياتهم وتفكيرهم إغراب المهلبي[٣] بملاعقه، فبرز ما يسمى بمذهب التصنع والتصنيع الذي يعتمد التحذلق والتكلف في الأداء حتى اصبح جمال الكلمة في ذاته مفتاحا للأبواب المغلقة يفتح الطريق إلى مناصب الدولة، ويفتح الخزائن بالرزق الغزير. كان يكفي لصد الرجل عن قضاء غايته الا يكون موهوبا بالقول الجميل، كما يكفي لاقبال الدنيا بكل زخرفها على رجل أن يوهب القدرة على صياغة الكلام.. أن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها، وكأني أقضم حب الرمان الحامص لبغضي استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه اليها التذاذا لما أسمع من كلامه[٤].

هذا جزء من كثير من عنايتهم بتزيين اللفظ ومراعاة تهذيبه وحسن تنقيحه وجزالته وسلاسته، وفي هذا ما يدل دلالة قاطعة على اهتمام العرب بالبيان في جماله اللفظي، ولعل اختلاط مفهوم البيان بالجمال وارد وبوفرة في اصطلاحاتهم اللغوية، فقد قال ابن الاثير: شيئان لا نهاية لهما هما البيان والجمال، ويبدو أن كل ما وضع البلاغيون من شروط في علمي الفصاحة والبيان كان في خدمة الجمال الفني[٥] لما فيه من تركيز على سلامة النطق وتنقية الجمال المطبوع من الجمال المصنوع وذلك بالاعتماد على الذائقة الفطرية التي لم تعرف التمويه والتشويه، فالكلمة المسموعة بفصاحتها تعدل زخارف الفن



بقلم: د. عبدالقادر فيدوح
معهد الآداب - جامعة وهران - الجزائر

العربي، لان كلا منهما يقوم على البناء الهندسي، وهنا يكمن جوهر التعامل الجمالي المميز في الذهنية العربية، وهذا أيضا ما يميز الشكل الخاص للوعي الجمالي العربي، ذلك أن مقولة الجمالي في هذا المضمار تعطي التعريف الشامل لحقيقة الوجود العملي الذي تنطوي طبيعته على مبدأ الانسجام[*] والتنسيق والتنظيم بين اجزاء العمل، ومن خلال هذه الاشارة يمكننا القول بأن النقد العربي القديم قد عرف التفكير الجمالي، وعرفه متصلا بالصياغة الادبية، وقائما على التناسب والتناسق، ومراعاة الآثار النفسية المترتبة على مواقع المعاني في المطالع والمقاطع، ومعنى ذلك أن التفكير الجمالي عند النقاد العرب كان شيئا له سماته الخاصة المتميزة من التفكير اليوناني في هذا الشأن[٦] غير أن هذا لا يقلل من شأن الغاية التي توصل اليها نقادنا القدامى بفضل الاضافات التي كانت تستند إلى معطيات مستمدة من البيئة العربية، ومع ذلك فإن في ثنايا كتبهم ما يشير الى امتلاك الرؤية الجمالية بالقدر الذى مكنهم حسهم المرهف، وذوقهم الطبيعي، كما يتضح من خلال هذه الآراء الانطباعية في أول أمرها، والتي يمكن إدراجها في منظورها السياقي العام، سواء ما كان منها معبرا عن طبيعة الجمال بالتصريح أم معبرا بالتلميح. وقد يلحظ المتتبع ذلك في وقفاتهم الطويلة عند تعرضهم للبلاغة لأهمية هذا العلم عندهم والذي قرنوه بالشعر، من ذلك أنهم كانوا يستحسنون اختيار الالفاظ وأداء التنغيم من خلال ما تقتضيه طبيعة التناسب بين القول والمقول، وهو شيء يمكن استنتاجه مما تحمله آراؤهم من تصورات خفية تلميحية ومن ذلك مثلا:

عبّر الاصمعي (ت ٢١٧هـ) عن موقفه بأن «الشعر ما قلّ لفظه وسهل ودق معناه ولطف»[٧] «فلطف المعنى» تأكيد ضمني لمعنى الجمال في الشعر الذي تستجيب له رغبة المتذوق في استحسان النص، والشعور بالجمال هنا يعطي النص كماله القائم على اختيار الفاظه وصوره البيانية وهذا ما يبدو أيضا عند: أبي العباس ثعلب (٢٩٣هـ) حين يقول بالتحجيل مشترطا أن تكون مقاطع الأبيات صادرة صدورا طبيعيا عن مطالعها متناسبة معها وذلك بقوله: «والابيات المحجلة ما نتج قافية البيت عن عروضه، وأبان عجزه بغية قائله وكان كتحجيل الخيل[٨]، وإذا كان ثعلب لم يقل بالجمال صراحة ولا بالتناسب مصطلحا إلا أنه دلّ عليهما ضمنا، فحين طلب أن تنتج القافية عن العروض فقد طالب بالتناسب وحين ربط تحجيل الأبيات بتحجيل الخيل فقد أشار إلى الجمال ودل عليه بمثال من بيئته العربية[٩] وفي هذا إقرار يعبر عن سليقتهم وتصورهم الفطري للجمال.

وإذا أردنا أن نقترب من تصور نقادنا لهذه الظاهرة من خلال تعريفهم للشعر فإننا نجدهم - بدون استثناء - قد أفصحوا بشكل أدق عن رأيهم في إعطاء معنى الطبع والتكلف صورتيهما الدلالية لتحديد مجال لغة الشعر بالكيفية التي تؤثر في النفوس (جماليا)، من ذلك أن ظاهرة الطبع قد بسطت سلطانها على الثقافة النقدية، ولعل في رأي المرزوقي ما يبرهن على اهتمامهم بالطبع دون التكلف وربما كان تمسكه بالطبع ناتجا عن أمرين هامين:

أولهما: أن الطبع عنده صفة مائزة للتفرقة بين الشعر الجيد والشعر الرديء.

الثاني: أنه يركز على ما في الشعر من انسجام في التصور لأن الشاعر والمبدع على وجه العموم لا يعمل جهده الفكري في تصور الشيء بما يقع عليه حسه، وإنما بما تفرضه عليه الأطر الجمالية الفطرية، وذلك كما ورد في قوله مميزا بين الطبع والتكلف: «والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس وحركت القرائح أعملت القلوب، وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها نبعت المعاني وردت أخلاقها، وافتقرت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ. فمتى رفض التكلف والتعمل، وخلي الطبع المهذب بالراوية المدرب في الدراسة، لاختياره فاسترسل غير محمول عليه، ولا ممنوع مما يميل إليه، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر، وعفوا بلا جهد، وذلك هو الذي يسمى المطبوع، ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدما متملكا، وأقبلت الافكار تستحمله أثقالها، وتردده في قبول ما يؤديه

إليها، مطالبة به بالاغراب في الصنعة وتجاوز المألوف إلى البدعة فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع»[١٠].

إن مكانة الأطر الجمالية ماثلة بوفرة في سياق حديثهم عن فنيات التعبير التي تحدد جوهر اللفظ الفني، لذلك كان حديث نقادنا عن مقاييس الصيغة الفنية متصبا على مدى قدرة الشاعر على التصوير وفق الأسس الجمالية التي يتحكم فيها التناسب في بناء العبارة، ولنا أن نستشهد لهذا بكل ما ورد عنهم في أثناء تعرضهم إلى مكانة اللفظ في استحسان صورته السمعية بما تحمله من دلالة قصدية بحيث «يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، تتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه»[١١] معنى ذلك أن جميع أبنية اللغة في المنظور النقدي القديم كانت تقوم على أسس معمارية محكمة، لذلك أعطوا مكانة خاصة للذوق بخاصة التفضيلات الفنية للجانب الشكلي، والشاعر عندهم من كان يتمتع بالقدرة على اختيار الالفاظ، وقد تصوره ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ) كالنساج الحاذق الذي يفوف وشيه بأحسن التفويف وينير ولا يهلهل شيئا منه فيشينه[١٢].

إن التركيز على جمالية الأداء التعبيرى عند نقادنا القدامى والقائمة غالبا على مفهوم التناسب أو التناسق، كان بدافع وعيهم بأن ذلك يمد الصياغة اللفظية بالدفء والخصوبة، لكون القدرة الإبداعية هي قدرة على توفير هذا المفهوم - التناسب - فقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) يقسم كتابه تقسيما ثنائيا؛ فاعتمد أولا ذكر النعوت الواجبة في الشعر، ثم أتبعها بذكر العيوب، وكأنه بذلك قد حدد الأسس الجمالية التي يقوم عليها الشكل الشعري ببيانه للعيوب التي يجب تلافيها. وإن كان قدامة لم يذكر أيضا الجمال كمصطلح صريح إلا أنه قنن للصناعة الشعرية من خلال أسس ومعايير تعد من القيم الجمالية. فهو مثلا يشير في تعريفه لبعض الأساليب البديعية «كالتقسيم» و«المقابلة» و«التفسير» إلى مراعاة عدم الوقوع في المخالفة وضرورة المناسبة بين أقسام هذه الأساليب[١٣].

إن مراعاة التناسب بين الدال والمدلول في تاريخ الجمالية النقدية يبدو نسقا بالمعنى، من حيث إن السياق العام كان يفرض عليهم الممارسة التحليلية دون مراعاة التحكم الدقيق في وضع المصطلحات المفهومية التي تستجلي الحمولة المعرفية، والتي شكلت الدلالة اللفظية. لذلك كان شغلهم الشاغل توافر المطلب الجمالي في التنسيق بين الشكل ومضمونه. ونحن بذلك نستطيع أن نطلع على طبيعة هذا التناسق، والنص الإبداعي فيما يراه النقد القديم لا يؤسس وفق هذا المنظور وهو ما أشار إليه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) حين تعرض لطبيعة الفاعلية الإبداعية بقوله: «فإذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك، واخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه في ذلك، ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزا نجا، ومتجعدا جلفا. فإذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها، بإلقاء ما غث من أبياتها، ورث ورذل، والاقتصاد على ما حسن وفخم، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه، حتى تستوي أجزاؤها وتتضارع هواديها وأعجازها»[١٤].

إن السياق المعرفي للجمالية العربية يقوم على المدركات الحسية إنطلاقا من انعكاس مواصفات الاستحسان والذوق والجمال من الأشكال على المضامين والجواهر في قوة مشاهدتها الحسية، عبر إيحاء اللفظة من المدلول الحسي الى المعنوي على حد ما جاء به جورجي زيدان بقوله: «وعندي أن الدلالة الحسية هي الأصل والمعنوية هي الفرع، حملت مجازا لتشابه في الصور الذهنية لأن المحسوسات أول ما يستلفت انتباه الإنسان، هي سابقة في ذهنه على المعنويات، لأنه في أبسط أحوال عيشه لم يكن في احتياج إلا للمعاني الحسية[١٥]. وهذا اعتراف ضمني على تغلب النظرة العقلانية للجمالية بخاصة عند ناقدنا عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الذي

يزن مقدار التلقي الجمالي في الفن، بحمل الشيء على ما يشابهه بما يقتضيه ارتباط الأصل بالفرع (ولن يبعد المدى في ذلك ولا يدق المرمى إلا بما تقدم من تقرير الشبه بين الأشياء المختلفة فإن الأشياء المشتركة في الجنس المتفقة في النوع تستغني بثبوت الشبه بينها وقيام الاتفاق فيها عن تعمل وتأمل في إيجاب ذلك لها وتثبيته فيها، وإنها لصنعة تستدعي جودة القريحة والحذق، الذي يلطف ويدق، في أن يجمع أعناق المتناظرات المتباينات في ربقة، ويعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة»، لأن ذلك في نظره يحتاج إلى «دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر»، ولن يتم ذلك بحسب اعتقاده إلا بتجاوز ما يحضر العين إلى ما يستحضر العقل، ولا يعنى بما تنال الرؤية بل يعنى بما تعلق بالرؤية[١٦]، وهنا يكمن كمال التصور بما يتصل وقوة الحدس بمعاينة الأجزاء في رؤيتها الجمالية الكلية.

فالجمال عند عبد القاهر قائم على البنية العقلية وفق معطيات وجوب جريان التفاضل في الكلام الفني، بمختلف قيمه الجمالية على مدار مقتضيات البديع، من حيث كون أن الحسن في النص قد يأتيه من جهة اللفظ، وقد يأتيه من جهة النظم، وقد يجمعهما معا على حد ما جاء في قوله: «وجملة الأمر أن هاهنا كلاما حسنه اللفظ دون النظم وآخر حسنه النظم دون اللفظ وثالثا ترى الحسن من الجهتين ووجبت له المزية بكلا الأمرين والإشكال في هذا الثالث، وهو الذي لا تزال ترى الغلط قد عارضك فيه، وتراك قد خفت فيه على النظم فتركته، وطمحت ببصرك إلى اللفظ، وقدّرت في حسن كان به، وباللفظ أنه للفظ خاصة»[١٧] وقد استدل على ذلك بالآية الكريمة «اشتعل الرأس شيبا» التي برهن البلاغيون - في نظره - على أن الحسن وقع بوجوب اختيار اللفظ ويقترح لذلك توزيعا يكون على النحو التالي:

اشتعل شيب الرأس

اشتعل الشيب في الرأس

اشتعل الرأس شيبا

فكان استنتاجه أن الفضل والاستحسان يعود دائما إلى القدرة على دلالة المبالغة في: اشتعل الرأس شيبا، لما في ذلك من تطابق بين البنية اللسانية والبنية النفسية، وعلى اعتبار أن كل ظاهرة في التوزيعتين الأوليين تشوهان الباطن في حين كانت التوزيعة الأخيرة في حكم القيمة من الكلام الفني وليس للكلام التواصلي، وبوصفها أيضا - وهذا هو الأساس - بنية لسانية تطابق تمام المطابقة البنية النفسية. لذلك تمثلت في نظره عملية حسن التوزيع على مدار مقتضيات حسن جمال الدلالة عبر مستويات التأثير.

والرؤية الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني لا تتوقف عند هذا الحد وإنما تصل إلى مستوى الانسجام والتناغم بين أجزاء العمل. والتناسب في الكلام يبدو أمرا مسوغا في نفس المتأمل، ذلك أن من البين الجلي أن التباين في فضيلة الكلام ليس قائما على مجرد اللفظ، وأكثر من ذلك، فهو يستنكر هذا الموقف معتبرا الألفاظ لا تتغير حتى تؤلف ضربا خالصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب[١٨] وهذا النوع من التناسب في تفكير عبد القاهر له ما يبرره من حيث أنه انطلق من باب دعم أسس القيم البلاغية «ونحن لا نعدو الحق إذا قلنا إن نظرية عبد القاهر في النظم كانت نظرية في الصياغة الجمالية»[١٩]. وربما كان الدافع لموقفه المنطقي هذا نابعا من اتجاهه الذي حاول أن يرسي قواعده من خلال اقتران «النظم» بـ «علم النحو» بمستوياته اللفظية والتركيبية. وليس الجمال فيما يتصور إلا بما يتوخاه الدافع المثير للإعراب الذي يحدد مستوى القيمة الفنية لفاعلية التناسيق «وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، ذلك أن موضع الاستحسان ومكان الاستظراف والمثير الدفين من الارتياح والمتألف للنافر من المسرة والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين[٢٠].

وباقترابنا من القرن السابع الذي عاش فيه حازم القرطاجني نكون قد ادركنا اهتمام النقاد في هذه الحقبة الزمنية، بسر صناعة النظم وقد اعتبره الدكتور

صفوت عبد الله الخطيب[٢١] الوحيد من بين المتأثرين بأرسطو الذى نظر إلى العبارة الشعرية من زاوية جمالية ونقدية تعبر عن قيمتها في البناء الشعري، ويبدو ذلك في تحديده لمنهج دراستها معتمدا قوله: «يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصور الذهنية في نفسه، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه فى النفوس من جهة هيئته ودلالته، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذهنية في أنفسها، ومن جهة مواقعها من النفوس من جهة هيئاتها ودلالاتها على ما خارج الذهن، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تلك المعاني الذهنية صور لها، وأمثلة دالة عليها، ومن جهة مواقع تلك الأشياء من النفوس[٢٢] وفي هذا يقترب من طروحات أرسطو في أهمية شكل المضمون في الاستخدام الحسي لأبنية العبارة الموزونة وهو ما تأثر به حازم بشكل مفصل ودقيق اعتبارا من النظرة الكلية[٢٣] التي تحدد مسار الحركة الإبداعية وذلك بقوله: «ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار وتوجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر»[٢٤].

إن سبيل تحقيق الجمال في منظور حازم مبعثه قدرة التحكم في المتعة التي تخلقها الأشياء المتجانسة، وفي التناسب والتلاؤم تظهر قيمة الجوهر الفني في تنظيم شكل وتناسق محتواه وهذا في حد ذاته ينطوي على سلوكات النشاط البشري ومن هنا يتحدد مكمن النشاط الجمالي للمخيلة الإبداعية التي تبرهن على نفسها من خلال إيقاع الكون. فالتناسب ـ ومن هذا المنظور ـ هو القوة الخالقة للتصور في جميع النشاطات الاجتماعية والفنية، أو قل في ذلك إنه المنظور الذي يرى أن الكون انسجام في جميع مجالاته بدءا من مقول الكلام إلى ما يخلقه دوران الأرض في تنظيم حرثها. وهكذا نصل مع حازم إلى كون الانسجام صفة تدخل عالم التوحد بين الأشياء التي تحددها جميع العناصر الجمالية، معتبرا في ذلك نبض الكلمة إشارة أولية لبدء النشاط التشكيلي في ترنيماته وتحسين استدارة نطقها لأنها تفيض بحركة تناسب حركة خطوات النفس الوثابة في تموجاتها ونحن مأخوذون بسحر الكلمة في انسجامها الخلاق وهو ما عبر عنه حازم بقوله: «ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر الى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما. ومنها، ألا تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال، فتكون الواحدة في نهاية الاعتدال والأخرى في نهاية الحوشية وقلة الاستعمال ومنها أن تتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون احداهما مشتقة من الأخرى، مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات أو تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها ومنها أن تكون كل كلمة قوية كالطلب لما يليها من الكلم أليق بها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها».

إن حازما هنا يحث المبدع والفنان على وجه العموم على التمعن في اختيار النطق المناسب لفضيلة الكلام على اعتبار أن ذلك أولى مراحل النشاط الجمالي، وفي ذلك تمرس وترويض للقول على حسن اختيار التوزيع، ومن هنا تكمن قيمة طلب الشيء وفق الحاجة وإعطاء الأمر ما يستحقه، وبما تقتضيه المكانة اللائقة به «والواقع أن أزهد الأعمال ـ في نظرنا ـ له صلة كبرى بالجمال، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال، أو تنضح بالقبح، ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الانسان وفي عمله وفي السياسة التي يرسمها لنفسه»[٢٥]، وفي هذا إشارة تطوير سلوكات البشرية بفضل تمكنها من تحقيق الانسجام وقدرتها على التحكم في نشاط الوعي الانساني وتماثل نبض الكون وفق جوهر ما يطمح إلى تحقيقه هذا الإنسان في

حقيقته النسبية «وهكذا يتسم موقف حازم بالايجابية في تأثره الجلي بالفلاسفة السابقين عليه في هذه القضية فهو لا يكتفي فقط كما قيل - بتقرير - «أن الجمال موضوعي وأن له أسبابا تلتمس في العبارة الأدبية وأسرارا تجعلها جميلة وأن من الممكن معرفة هذه الأسباب والاهتداء إلى هذه الأسرار والتعليل لها»٠

أقول لا يكتفي حازم بتقرير ذلك ولكنه يضع بناء نقديا لهذه الأسس ومنهجا للأخذ بها وتفسيرا لقيمتها الفنية والنفسية، وهذا يبرر القول بإيجابية الموقف الذي وقفه الرجل في تأثره بالفكر الفلسفي اليوناني حيث استقل التنظير في تطوير ما تداوله النقد العربي[٢٦]٠

الهوامش:

(١) د٠ ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ مؤسسة نوفل ١٩٨١ ص ٠٢٥

(٢) د٠ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي دار الشروق ٠٢٧٩

(٣) ولعل من الطرف التي تصور ذلك تصويرا أوسع من طريقة ابن الفرات في مأدبه ما انتهى اليه المهلبي الوزير المعروف من تصنعه في تناول طعامه فهم يذكرون أنه «كان إذا أراد أكل شيء بملعقة كالارز واللبن وقف من جانبه الايمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجا مجرودا، فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة، ثم يدفعها الى غلام آخر قام من الجانب الايسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الاولى، حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة الى فيه دفعة ثانية، أنظر آدم ميتز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري جـ ٠١٩٦/٢

(٤) القول لعمر بن عبد العزيز، ينظر د/ زكي نجيب محمود «تجديد الفكر العربي» ٠٢٣٢

(٥) د٠ جميل علوش: النظرية الجمالية في الشعر العربي والافرنج مقال في مجلة الوحدة (المغرب) ص ٠٦٢

(*) وقد خصه العرب بمصطلح التناسب في البلاغة العربية على اعتبار أنها في رأيهم تصحيح الأقسام واختيار الكلام وتصحيح الأقسام هو التناسب بعينه، كما ورد عنهم أن أبلغ الكلام ما تم إيجازه وكثر أعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه٠

(٦) ينظر د٠ صفوت عبد الله الخطيب: نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، مكتبة نهضة الشرق القاهرة ١٩٨٦ ص ٠٤٤

(٧) المظفر بن الفضل العلوي: تحقيق نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٦ ص ٠١٠

(٨) قواعد الشعر - شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٩٤٨ ص ٠٧١

(٩) ينظر د٠ صفوت عبد الله الخطيب، نظرية حازم القرطاجني ص ٠٣٩

(١٠) المرزوقي٠ شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين بالاشتراك، القاهرة ١٩٥٢ ص ٠١٢

(١١) التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون، دار قهرمان للنشر ١٩٨٤، ص ٠٢٨٤

(١٢) ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ٠٥

(١٣) قدامه بن جعفر، نقد الشعر، ص ٠٥

(١٤) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٠١٤٥

(١٥) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، دار الجيل ط ١ ، ١٩٨٢، ص ٠٩٧

(١٦) ينظر أسرار البلاغة، ص ص ١٢٢ - ٠١٢٩

(١٧) دلائل الاعجاز٠

(١٨) الأسرار، ص ٠٢

(١٩) د٠ أحمد عبد السيد الصاوي، النقد التحليلي عند عبد القاهر، ص ٠٣١٩ (عن نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية)٠

(٢٠) الأسرار، ص ٠١٠٩

(٢١) ينظر نظرية حازم القرطاجني النقدية في ضوء التأثيرات اليونانية، ص ٠١٨٤

(٢٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص ٠١٧

(٢٣) وهي نظرية اعتمدتها الدراسات النفسية في القرن العشرين، حين اعتبرت أن الكل يكون سابقا على الجزء في عملية الإبداع، فالشاعر إذ يبدع القصيدة يتقدم من الكل إلى الأجزاء (الأبيات) غير أن هذه النظرية على الرغم من حداثتها إلا أنها قوبلت بانتقادات، ينظر مصطفى سويف ٢٩٤ - ٠٢٩٦

(٢٤) المنهاج، ص ٢٢٦ - ٠٢٢٧

(٢٥) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ص ٠٩٢

(٢٦) صفوت عبد الله الخطيب، نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، ص ٠١٩٧

السنهوري باشا

*** ويتواصل الأستاذ الدكتور/ عمارة مع مجلته المنهل، في مجموعته الثقافية والفكرية، دراسة وتحليلا، في منهجية العالم، وموضوعية الباحث المفكر، الدقيق في تناوله وطرحه.. وهذا موضوع جديد للتواصل الفكري مع منهله وقرائها.. له الشكر والتقدير.**

الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري باشا (١٣١٣ - ١٣٩١هـ/ ١٨٩٥ - ١٩٧١م) هو أديب الفقهاء، وفقيه الأدباء، وعميد فقهاء القانون المدني الحديث في العالم العربي، وصائغ العديد من دساتير الدول العربية التي استقلت حديثا، وواضع مقوماتها القانونية والدستورية التي أهلتها لدخول المنظمات الدولية.. وهو أحد أعظم القضاة في القرن العشرين، وصاحب الأحكام التي انتصرت لحريات الأمة - عندما رأس «مجلس الدولة» - بمصر - إبان مرحلة الغليان السياسي والاجتماعي التي سبقت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.. وفي مرحلة القلق الدستوري والقانوني التي أعقبت هذه الثورة.

وهو قبل كل ذلك، ومعه، إمام الفقه الإسلامي، الذي جعل رسالة حياته - منذ فجر شبابه - إحياء الشريعة الإسلامية، بالاجتهاد الجديد، لتتخطى أعناق القرون، وتعود المصدر الأول والأوحد للقوانين الحديثة في العالم الإسلامي، والمنبع الذي يغني المنظومات القانونية المعاصرة بالدراسات المقارنة. ولتكون هذه الشريعة، وفقه معاملاتها المتجدد، الرباط الموحد لشعوب الشرق، والمزاج المميز للمدنية الإسلامية، وذلك حتى تعود الخلافة الإسلامية من جديد، في صورة جديدة، هي صورة الجامعة الشرقية، وعصبة الأمم الإسلامية.

ومع الفقه.. والقانون.. والأدب - وأيضا الشعر الرقيق والعميق - كان السنهوري فيلسوفا ومنطقيا.. يتناول المعاني العميقة والقضايا المعقدة والأفكار المركبة بأسلوب الأديب ومنطق الفيلسوف، فيفكك القضايا والمشكلات المركبة الى جزئياتها ووحداتها الأولية، ويقوم بالبرهنة على كل جزئية من جزئياتها، منتهيا إلى مقدمة منطقية فيها، ثم ينتهي إلى جمع المقدمات المنطقية جميعها، ليخلص إلى البرهان المنطقي في القضية كلها.. يصنع ذلك في حواراته.. وفي مؤلفاته.. وفي حيثيات أحكامه.. بل وحتى في التدريس لطلابه في كليات الحقوق، كان يعرض الفكرة بالصور المختلفة، ومن الزوايا المتعددة إثارة واجتذابا وإقناعا لمختلف المستويات والأفهام.. حتى قال عنه بعض الظرفاء: «إنه يحاضر بالقراءات السبع».

ومع الإمامة في كل هذه الميادين، كان زاهدا في عرض الدنيا.. متبتلا في محراب إتقان العمل العام.. حتى لقد كان ينصح الراغبين في المال والجاه أن يسلكوا إليهما طريق الإتقان في العمل، فيقول: «إن المال والجاه يسعيان إلى الشخص الذي يتقن عمله».

ومع هذه الإمامة والأستاذية والعظمة، كان صاحب خلق قويم، حتى لقد تحدث كثيرا عن أولوية الأخلاق والقلوب على العقول والإنجازات.. ولقد ارتقى على درب الخلق العظيم إلى مرتبة الأوابين، الذين يسارعون الى تغيير أفكارهم ومواقفهم عندما يرون الحكمة والصواب حتى ممن هم أقل منهم في المكانة والمنصب والسلطان.

خالفتْه مرة - وهذا نادر - محكمة النقض، في رأى ذكره في كتابه (الوسيط - في شرح القانون المدني) عن حجية الحكم الابتدائي القطعي إذا طعن فيه بالاستئناف.. فرأت المحكمة أن حجية هذا الحكم مؤقتة، توقف منذ الاستئناف.. وكان السنهوري يرى أن الحجية



بقلم المفكر الإسلامي :
أ.د. محمد عمارة - مصر

قائمة حتى يلغيه الاستئناف.. فذهب إليه المستشار محمود توفيق اسماعيل - نائب رئيس محكمة النقض - وحاوره.. فقال له السنهوري - بعد سماع حجته: «رأيك هو الأصح، وإذا تهيأ لى إصدار طبعة ثانية من (الوسيط) فسوف أعيد النظر فيما كتبت» فخرج المستشار محمود توفيق إسماعيل، ليقول:

- «هذه هى عظمة العالم في أسمى صورها».

كان أوّابا.. مع أن التشريع والقانون والقضاء - في مصر والعالم العربي - يعيش على إنجازاته حتى الآن!.

ولقد عاش عمره المديد كما يعيش أصحاب الرسالات .. وكان صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله {صلى الله عليه وسلم} هو أسوته الحسنة.. وكانت تسيطر عليه فكرة أوجه الشبه بين «يُتمه» ويتم الرسول.. وأن طريقهما وعطاءهما - مع الفوارق الكبيرة - قبس من العطاء الإلهي، وأثر من إرادة الله.. حتى لقد اختار مقدمة لأوراقه الشخصية ومذكراته الخاصة، هذه الآيات.. والسطور:

بسم الله الرحمن الرحيم

{والضحى والليل إذا سجي. ما ودّعك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيما فآوى. ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى. فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث}. صدق الله العظيم.

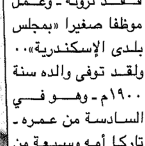
«وأستطيع، مع احترامي العميق لمقام الرسول الكريم، الذى وجهت إليه هذه الآيات الشريفة، أن أقول مع القائلين:

نعم، لقد وجدنى الله يتيما فآوانى، ووجدنى ضالا فهدانى، ووجدنى عائلا فأغنانى، وإنى لباذل جهدى في ألا أقهر اليتيم وألا أنهر السائل..

وهأنذا، في هذه المذكرات، أحدّث بنعمة ربي»[١].

لقد كان يعيش بأحاسيس أصحاب الرسالات، الذين يوقنون أن الإرادة الإلهية قد وهبتهم ما وهبتهم ليكونوا رواداً للخير، ومنارات للحق، ومعالم على طريق الإصلاح.

ولد السنهورى بمدينة الإسكندرية في ١٩ صفر ١٣١٣هـ - ١١ أغسطس ١٨٩٥م - في أسرة فقيرة، لوالد - فقد ثروته - وعمل موظفا صغيرا «بمجلس بلدى الإسكندرية».. ولقد توفى والده سنة ١٩٠٠م - وهو في السادسة من عمره - تاركا أمه وسبعة من البنين والبنات.



د. عبدالرزاق السنهوري

ولقد بدأ السنهورى تعليمه في «الكتّاب» بتشجيع من والده.. الذى كان يقدم إليه «الجوائز» ترغيبا له في التعليم - ثم انتقل - بعد وفاة والده - إلى «مدرسة راتب باشا الابتدائية» التابعة للجمعية الخيرية الإسلامية - بالاسكندرية.. ومنها حصل على الشهادة الابتدائية.. ثم التحق «بمدرسة رأس التين الثانوية» فـ «المدرسة العباسية الثانوية» بالاسكندرية - ومنها حصل على شهادة الثانوية سنة ١٩١٣م .. وكان متفوقا طوال سنوات دراسته.. وجاء ترتيبه - في الثانوية - الثانى على جميع طلاب القطر المصري.

وفي المرحلة الثانوية (١٩٠٨ - ١٩١٣م) عشق الأدب واللغة، فلم يكن يقع بيده كتاب في الأدب أو اللغة إلا قرأه قراءة تمعن واستيعاب.. قرأ (الأغاني) للأصفهاني.. و(الأمالى) للقالى.. و(العقد الفريد) لابن عبد ربه.. وغيرها.. وكان يتردد على المكتبات العامة ومكتبة المعهد الدينى للاطلاع.. وحفظ - منذ ذلك التاريخ - كثيرا من عيون الشعر العربي، القديم منه والحديث.. ونشأ معجبا بالمتنبى (٣٠٣ - ٣٥٤هـ/ ٩١٥ - ٩٦٥م) ومتحيزا إليه، ومفضلا له على غيره من شعراء العربية.

وفى نفس العام الذى نال فيه شهادة الثانوية سنة ١٩١٣م التحق «بمدرسة الحقوق الخديوية» بالقاهرة - مرحلة التعليم العالى - الجامعى - وكانت الدراسة فيها باللغة الانجليزية.

وبسبب من رقة حاله الاجتماعية، وحتى يواصل دراسة الحقوق، جمع إلى الدراسة - بقسم المنتسبين - العمل موظفا بمراقبة الحسابات في وزارة المالية، إلى

أن تخرج من «مدرسة الحقوق» ونال درجة «الليسانس» سنة ١٩١٧م٠٠ وكان ترتيبه الأول على جميع الطلاب٠

وإبان دراسته للحقوق (١٩١٣ ـ ١٩١٧م) تفتحت ملكاته الأدبية، مواكبة ومعبرة عن مشاعره الوطنية والإسلامية٠٠ هذه المشاعر التى تكونت في تيار الوطنية والجامعة الاسلامية٠٠ فتلك هي مدرسة الزعيم «الوطنى ـ الإسلامى» مصطفى كامل باشا (١٢٩١ ـ ١٣٢٦هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٩٠٨م) التى تأثر بها السنهورى في مرحلة التكوين٠٠ ولقد عبر عن هذه الحقيقة من حقائق تكوينه المبكر، فقال: «إن الجيل الذى أنا منه تتلمذ في الوطنية لمصطفى كامل، قبل أن يتتلمذ لزغلول (سعد زغلول) وإنى مدين بشعورى الإسلامى لرجال آخرين غير هذين الرجلين، أذكر منهم الكواكبى وجاويش وفريد وجدى، أما عبده وجمال الدين فلم أحضرهما في حياتهما، وتركا من الكتابة شيئا قليلا لم يمكنى من أن أتأثر بأفكارهما، ولكنهما تركا أبلغ الأثر في نفسى، ويعتبرهما العالم الإسلامى بحق أكبر المصلحين في العصر الحديث٠٠ لقد قلت لصديق ـ وأنا في الخامسة عشرة ـ إن أملى في الحياة قد تعيّن بين مصطفى كامل وسعد زغلول، والفرق بينهما: أن مصطفى كامل بدأ أن يكون وطنيا فجاءت عظمته من الوطنية، أما سعد فبدأ أن يكون عظيما فجاءت وطنيته من العظمة»[٢]٠

وكان يقرض الشعر أحيانا ـ وشعره رقيق وعميق ـ ولقد عبر عن اهتماماته العامة بشئون أمته، وعن انتمائه الإسلامى ـ وهو طالب بمدرسة الحقوق ـ إبان الحرب الاستعمارية العالمية الأولى سنة ١٩١٦م ـ أى في العام الذى كانت جيوش الاستعمار الغربى تزحف فيه على ولايات الدولة العثمانية فتلتهمها، وتعقد الحكومات الاستعمارية المعاهدات السرية لتمزيق ولايات الخلافة الإسلامية ووراثتها، وتطارد الزعامات الوطنية والإسلامية ـ عبّر السنهورى عن حال أمته ـ شعرا ـ فقال:

أأرضى أن أنام على فراشي
ونوم المسلمين على قتاد؟!
وأهنأ في النعيم برغد عيش
وقومي شتتوا في كل واد
فلا نعمتْ نفوسٌ في صفاء
إذا نَسيتْ نفوسا في الصفاد[٣]

ولأن نفسه كبيرة، وهمته عالية، ومقاصده عظيمة، فلقد جعل من فقره ومعاناته الاجتماعية حوافز للسير الحثيث على طريق العظمة والعظماء٠٠ وعبر عن هذه الحقيقة من حقائق حياته فكتب يقول: «شيء يشترك فيه أكثر العظماء: حياة الشظف والفاقة التى عاشوها أول حياتهم، فنفخت في أخلاقهم روح الصلابة، وعوّدتهم مكافحة الشدة، فأذاقوا الحياة بأسهم بعد أن أذاقتهم بأساها»[٤]٠

وفي نفس العام الذى نال فيه السنهورى «ليسانس» الحقوق سنة ١٩١٧م عين في سلك القضاء ـ بالنيابة العامة ـ في مدينة «المنصورة» فرافقته ـ وهو في هذا المنصب الحساس ـ الهموم العامة لأمته، ولم يحبسه التخصص الدقيق في إطار القانون، فكتب بمذكراته ـ ٣٠ ـ ١٢ ـ ، ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩١٨م ـ عن الاجتياح الاستعمارى للدولة العثمانية، يقول: «أقرأ الآن تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر، ومقاومة الدول الأوربية لتركيا، واقتناصها ممتلكاتها واحدة بعد أخرى، وفرضها عليها شروط الغالب، سواء كانت غالبة أو مغلوبة، وما أظهرته أوربا من التعصب والجور، وما استحلته من ضروب الخيانة والغدر٠٠ كل هذا لم يدهشنى، وإنما يدهشنى أن أرى المسلمين يتعجبون مما أظهرته أوربا من الوحشية تحت ستار المدنية، كأنهم ـ أيقظهم الله من سباتهم يجهلون أن المدنية والإنصاف والعدالة والقانون ألفاظ مترادفة توجد في المعاجم وتسمع على ألسنة الساسة والكتاب، وإذا بحثت عن مدلولها لم تجده٠٠ إن الذى أصاب الدولة العلية من أوربا تم على وفق السنن الطبيعية٠٠ إنها مبررات الذئب للخروف الذى عكر عليه الماء٠٠ وعلى الخروف ـ حتى يأمن غائلة الذئب ـ أن يخلع قرونه التى تتفتت، وأن يتخذ له قرونا من حديد يستطيع أن يخرق بها أحشاء الذئب إذا حدثته نفسه بالاعتداء عليه»٠

وفي مدينة المنصورة، وأثناء عمله بالنيابة العامة، تفجرت أحداث ثورة مصر الوطنية الكبرى ـ ثورة سنة ١٩١٩م ـ فى سبيل الاستقلال الوطنى وإجلاء جيوش

الاحتلال الانجليزى عن وادى النيل.. فلم تمنع حساسية الوظيفة القضائية الشاب الوطنى عبد الرزاق السنهورى من الانخراط في مواكب الثورة الوطنية، فكان من الدعاة إلى إضراب الموظفين، بل وتزعم هذا الإضراب، مع أن وظيفته كانت التحقيق مع الموظفين المضربين، وإيداعهم السجون!.

ولم يكن هذا بالغريب على السنهورى.. فقبل قيام ثورة ١٩١٩م - وهو موظف بالنيابة العامة - كان يكتب في مذكراته عن واجب الشباب إزاء الأمة ونهضتها ١٩/ ١٠/ ١٩١٨م فيقول: «أريد أن يفهم كل شاب أنه يحمل بعضا من المسئولية في سقوط أمته إن سقطت، ولا يكتفى بالتأفف والتحسر، فعلى هذا الشعور بالواجب يتوقف قسط كبير من الأمل في التقدم..».

لقد انخرط السنهورى في الثورة، التى قادها سعد زغلول باشا (١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ/ ١٨٥٧ - ١٩٢٧م)، فعاقبته السلطة الاستعمارية بالنقل من مدينة المنصورة إلى مدينة أسيوط - بصعيد مصر - فانتقلت معه وطنيته وثوريته إلى هناك.

ولقد انتبه السنهورى الى دور الثورة الوطنية، لا في تحرير الأرض من الجيوش المحتلة فقط، إنما في تحرير الإنسان.. بل وفي تحرير المرأة المصرية، التى فتحت مشاركاتها في الثورة أمامها باب الحرية والتحرير.. فكتب عن هذا البعد من أبعاد ثورة ١٩١٩م - في مذكراته - وهو بأسيوط في ١٩١٩/٣/٢٧م يقول: «قرأت اليوم في إحدى الجرائد أن بعضا من فضليات السيدات المصريات قمن بمظاهرة سلمية - بين المظاهرات التى تقام في هذه الأيام - ومررن بدور الوكالات السياسية الأجنبية.

لقد قرأت كثيرا عن هذه المظاهرات، ووقفت بنفسى على بعض تفاصيلها، فلم يؤثر فى نفسى شيء منها أكثر من تلك المظاهرة السلمية التى قامت بها فضليات السيدات المصريات. لقد شعرت المرأة المصرية الآن أنها عضو في الجمعية المصرية، فهى تحس بآلامنا وتتوجع لها».

وفي أسيوط .. لم تنس حدة الأحداث السياسية السنهورى المأساة الاجتماعية التى يعيشها الفقراء، فيكتب في مذكراته ٢٣/ ٢/ ١٩٢٠م يقول: «وقع نظرى - في الأسبوع الماضى - على مشهد لم أستطع أن أنساه حتى الآن .. كاد الليل ينتصف، فأبصرت في شارع كبير، في زاوية مظلمة منه، صبيين صغيرين قد انتحيا تلك البقعة من الأرض، وتوسد كل منهما ذراعى رفيقه، وناما كأنهما متعانقان. ولم يسع هذين المنكودين ما خلق الله من فراش وثير ورياش، فوسعهما بطن الشارع، ولم يجدا إلا أذرعتهما يتوسطانها، فناما في ذلك الشارع والناس تروح وتغدو ولا تكاد تشعر بوجودهما، والمنعمون في قصورهم ينامون ملء عيونهم ولا يشعرون أن في الأرض أشقياء».

وفى سنة ١٩٢٠م رُقي السنهورى من مساعد نيابه الى وكيل للنائب العام.. وفي ذات العام انتقل من العمل بالنيابة إلى تدريس القانون في «مدرسة القضاء الشرعي» وهى واحدة من أهم مؤسسات التعليم العالى المصرى التى أسهمت في تجديد الفكر الإسلامى الحديث والمعاصر - منذ إنشائها سنة ١٩٠٧م والتى درّس فيها وتخرج منها كوكبة من أعلام التجديد والاجتهاد.. وكان ناظرها يومئذ محمد عاطف بركات بك (١٢٧٨ - ١٣٤٢هـ/ ١٨٦١ - ١٩٢٤م).. وفي التدريس بها زامل السنهورى كوكبة من علماء العصر ومجدديه.. منهم الأساتذة أحمد إبراهيم (١٢٩١ - ١٣٦٤هـ/ ١٨٧٤ - ١٩٤٥م) وعبد الوهاب خلاف (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) وعبد الوهاب عزام (١٣١٢ - ١٣٧٩هـ/ ١٨٩٤ - ١٩٥٩م) وأحمد أمين (١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ/ ١٨٧٨ - ١٩٥٤م) .. كما كان من تلاميذه في هذه المدرسة الشيخ محمد أبو زهرة (١٣١٦ - ١٣٩٤هـ/ ١٨٩٨ - ١٩٧٤م).

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) عبد الرزاق السنهورى في أوراقه الشخصية) إعداد: د. نادية السنهوري، د. توفيق الشادى ص ٢٦ طبعة القاهرة - الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٨م.

(٢) الأوراق الشخصية، باريس في ٥/١٢/١٩٢٣م وليون في ١٥/٣/١٩٢٣م.

(٣) المصدر السابق، كفر الزيات سنة ١٩١٦م.

(٤) المصدر السابق، القاهرة في ٦/٨/١٩٣٤م.

الغُول والعنقاء والخل الوفي

هناك بيتان لهما من الشهرة ما سار مسير الشمس في الأرض، وأحفظهما من قديم الزمان للشاعر صفي الدين الحلي، هما:

إني اختبرت بني الزمان فما بهم
خل وفيّ للنوائب أصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفي

وأخيرا قرأت للمتنبي في ديوانه هذا البيت:

وأغرب من عنقاء في الطير شكله
وأعوز من مسترفد منه يحرم

فغدوت أتساءل. ما حقيقة هذا الطائر؟ بل الغول والعنقاء هل لهما وجود في هذه الدنيا ثم انقرضا مع مرور الزمن، أم هما ذكر خرافة يذكرها أهل الاسطورة، وإن كانا ففي أي زمن من الازمنة، وفي أي مكان كان وجودهما، وفي أي بيئة عاشا وهل هناك أناس وشعوب يذكر معهم الغول والعنقاء؟ فبتتبعي لكتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري وجدت عن العنقاء والغول كلاما شافيا، ولإتمام عجز البيت الأول ألحقت به الحديث عن الخل الوفي.

العنقاء:

قال الدميري في حياة الحيوان: العنقاء: من الالفاظ الدالة على غير معنى قال بعضهم هو طير غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه. وقيل سميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس.

وقال الغزويني: انها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر، وكان في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها الى أن سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة بن صفوان فذهب الله بها الى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والجاموس والبقر وسائر أنواع السباع، وعند طيرانها يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد العاصف والسيل، وتعيش ألفي سنة وتتزاوج اذا مضى لها خمسمائة سنة.

وأطال - يعني الغزويني - في النعوت أن العنقاء قد تصاد فيصنع من مخالبها أقداح عظام للشراب[١].

وقال العلامة أبو البقاء العكبري في شرح المقامات أن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له مخ صاعد في السماء قدر ميل وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهى عظيمة الخلق لها وجه كوجه الانسان وفيها من كل حيوان شبه وهي من أحسن الطيور وكانت تأتي هذا الجبل في السنة مرة فتلتقط طيوره، فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به ثم ذهبت بجارية أخرى فشكوا ذلك الى حنظلة بن صفوان فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت. وكان حنظلة بن صفوان في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قال الدميري: وذكر غيره أي - غير العكبري - أن الجبل يقال له فتح وسميت العنقاء لطول عنقها[٢].

الغول:

قال الدميري: الغُول: بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الشياطين، وهم سحرتهم.

قال الجوهري: وهو من السعالي[٣] والجمع أغوال وغيلان وكل ما اغتال الانسان فأهلكه فهو غول والغول التلون قال كعب بن ابي سلمى رضي الله عنه.

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغول

ويقال: تغولت المرأة اذا تلونت ويقال غالته غول اذا وقع في مهلكة والغضب غول الحلم وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: اذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالاذان فان الشيطان اذا سمع النداء أدبر وله حصاص أي ضراط - قال النووي في الاذكار انه حديث صحيح أرشد {صلى الله عليه



عبدالله محمد أبكر
- جدة -

وسلم} الى دفع ضررها بذكر الله تعالى. والحديث رواه النسائي في سننه الكبرى، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال لا عدوى ولا طيرة ولا غول، قال: جمهور العلماء كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات وهي جنس من الشياطين.

وقال الدميري، وبهذا المعنى والذي ذهب اليه المحققون أن الغول شيء يُخَوَّفُ به ولا وجود أشياء له، كما قال الشاعر:

الغـــول والخل والعنقـــاء ثالثـــة
أســـمـــاء لم توجـــد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خيتعور - وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب، وكالذي ينزل من الكوى في شدة الحر كنسج العنكبوت قال الشاعر:

كـل أنثـى وإن بـدا لـك منـهـــا
آية الحب حـبـهـا خـيـتـعـور

وقال قوم الغول ساحرة الجن وهي تتصور في صور شتى وأخذوا ذلك من قول كعب بن زهير رضى الله عنه.

فـمـا تدوم على حـال تكون بهـا
كـمـا تلون في أثوابهـا الغـول[٤]

الخل الوفي:

هل الناس تغيرت أم الزمان؟. فلقد عز وجود الخُلَّص من الإخوان، الذي يصدق ويصادق، يلازم وينادم، يفيد ويستفيد، يزيح ويريح، ينفع ويشفع، الذي يجيب النداء ويرضى ويرضي، ومن إليه تفضي، من تشعر مع وجوده أنك لا تحتاج الى صديق آخر، من يشاركك في الأفراح والأتراح، في الحلو والمر، في الصفو والكدر، في جميع الأحوال، ولا يتلذذ دونك بل يكون معك وكأنه منك، ويوافقك في الخلق والمعاملة.

يقول سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل.

ويقول الإمام الاوزاعي: الصاحب كالرقعة في الثوب إن لم تكن مثله شانته.

وقيل: صفة الصديق أن يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند النكبة ويحفظك في المغيب.

لا أقول خان الزمان أو لا يوجد فيه الصديق الوفي، ولكن بخل به وأصبح حصوله من الصعب، لذلك قيل: من ظن أنه يمكنه الاستغناء عن صديق فمغرور، ومن ظن أن وجوده سهل فمعتوه.

وقد شعر معاوية رضي الله عنه ببخل الزمان وعدم جوده بالإخوان الأوفياء، فقال: نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرىء وحائط، وأكلت الطعام حتى لم أجد ما أستمرؤه، وشربت الأشربة حتى رجعت إلى الماء، وركبت المطايا حتى اخترت نعلي، ولبست الثياب حتى اخترت البياض، فما بقي من اللذات ما تتوق إليه نفسي إلا محادثة أخ كريم.

أما نحن اليوم فنقول:

ومـــا بقـــيت من اللـذات
ألا محـادثة الرجـال ذوي العـقـول
وقـد كنا نعـدهم قليـلا
فـقـد صـاروا اليـوم أقل من القليل

وصدق من قال:

وليس لأحـزان النسـاء تطـاول
ولكن أحـزان الرجـال تطـول

إن الإخوان كثير في هذا الزمن ولكن كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة

دعـوى الإخـاء على الرخـاء كـثـيـرة
بل في الشـدائد تعـرف الإخـوان

وقد تكون الحياة صعبة بدون الإخوان الأوفياء، بل حتى قيل: لا تعد الحياة ما كان في فراق الأحبة. وقيل: كانت صرخة بشار بعد أن غرق في دجلة آخر أصدقائه السبعة، لا خير في الدنيا بعد الأصدقاء. ومما يقال أيضا في فقد الإخوان: من لا أخوان له لا أهل له، ومن لا ولد له لا ذكر له. وقال حكيم: من علامات الخذلان معاداة الإخوان، واستفساد الصديق من عدم التوفيق. وقيل في مواساة الإخوان ومساندة بعضهم بعضا وان الإنسان لا يسير بدون الإخوان، قيل: لن تجد ناجحا واحدا وصل إلى القمة بغير أن يستند إلى صديق وفي، أو زوجة محبة، أو حب إنسان، كل واحد مدين في حياته لأشخاص معروفين ومجهولين، مدوا له أيديهم عندما وقع على الأرض، أضاءوا له شمعة عندما احتواه الظلام، قالوا له كلمة حلوة ومطارق الحياة تنهال على رأسه، أعطوه ابتسامة عطف والدنيا تكشر عن أنيابها في وجهه.

ولا شك، فـإنما الرجـال بالإخـوان
واليـد بالسـاعـد والبنـان

فهل من سبيل إلى ود خل وفي، وأخ صادق كريم يكون بلسما على جراح الفقدان.

إني لأرجـو اليـوم أمـرا عـاجـلا
والنفس مـولعـة بحب العـاجل

الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران) وتعاليم التلمود

(٥٢٩ ـ ٦٠١هـ/ ١١٣٥ ـ ١٢٠٤م)

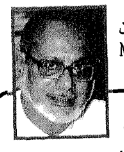
يعتبر اليهود موسى بن ميمون من أعظم أحبارهم حتى قالوا عنه «ما بين موسى (أي موسى بن عمران) وموسى (أي موسى بن ميمون) لم يوجد أعظم من موسى»٠٠ ولموسى بن ميمون مكانة عالية عند اليهود فهو أحد أهم شراح التلمود والتوراة على مدى العصور، ولا تزال تعتبر شروحه من الأسس الهامة التي ينبغي اتباعها ودراستها لدى حاخامات إسرائيل وحاخامات اليهود الأرثوذكس في كل مكان٠٠ كما يعتبر موسى بن ميمون أيضا أحد أهم فلاسفتهم وأطبائهم في العصور الاسلامية كلها٠

وكما يقول جارودي في كتابه: «الاسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر» عنه: «إن الفيلسوف اليهودي (أي موسى بن ميمون) هو حلقة من حلقات تطور الروحانية الأندلسية، ليس فقط لأنه كان يكتب بالعربية، بل لأنه يقدم مساهمته الخاصة، كالمفكرين المسلمين، مشتركا في الثقافة ذاتها، ومواجها المشاكل ذاتها»[٢]٠

وتقول كثير من المصادر أنه حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه، وخاصة الفقه المالكي، ودرس الفرق الإسلامية وأقوالها في الفترة التي أعلن فيها إسلامه في الأندلس أثناء الحكم الموحدي الذي فرض على اليهود أن يعتنقوا الإسلام، أو يرحلوا عن قرطبة، بسبب مكايد اليهود المتعددة ضد المسلمين، وخروجهم عن عهد الذمة الذي تمتعوا فيه بحرية واسعة، حتى تمكنوا وتولوا أعلى المناصب بما في ذلك منصب الوزارة الكبرى كما حدث لابن النغريلة إسماعيل بن يوسف، المكنى بأبي إبراهيم، ثم تولى بعده ابنه يوسف بن إسماعيل المكنى بأبي الحسين، والذي تولى أيضا منصب الوزارة في غرناطة اثناء حكم الأمير باديس، (عهد الطوائف)٠ وأدى ذلك إلى تسلطه وطائفته من اليهود على المسلمين واستهزائه بالإسلام، وكتابته رسائل تهاجم القرآن وتزعم تناقضه، مما أدى إلى أن يرد عليه ابن حزم، وثورة المسلمين العارمة ضده وضد طائفته التي تعدّت كل حدود اللياقة، واستبدت، وطغت وتجبرت، فكانت النتيجة لذلك عدة ثورات ضد هؤلاء اليهود الفجرة، ثم التضييق عليهم في أثناء دولة الموحدين المعروفة بتسامحها مع الفكر الفلسفي والفرق المختلفة التي كانت تستظل تحت وارف حكمها٠ وما تزعمه دائرة المعارف الاسلامية التي وضعها المستشرقون، وروجيه جارودي في كتابه «الإسلام في الغرب»، ودائرة المعارف البريطانية، من أن حكم الموحدين كان شديد التعصب ضد اليهود والنصارى أمر غير صحيح، كما اتهموهم بضيق النظرة الدينية، ورفض الفلسفة رفضا باتا، وهو أيضا أمر مخالف للحقيقة حيث نرى الفيلسوف والطبيب ابن الطفيل يقدم أبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد إلى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن الذي أذهل ابن رشد بسعة معرفته في الأمور الفلسفية، وهو الذي طلب من ابن رشد أن يضع كتبا توضح فلسفة أرسطو وتيسر فهمها للناس٠٠ وعن طريق كتب ابن رشد عرفت أوروبا أرسطو وفلسفته٠

ترجمة موسى بن ميمون:

يعرف موسى بن ميمون لدى الغرب باسم Maimonides



بقلم: د٠ محمد علي البار
مستشار الطب الاسلامي ـ جده ـ



(ميمونيدس) أي ابن ميمون باللغة اليونانية - وفي كتاب طبقات الأطباء - لابن أبي أصيبعة قال عنه ما يلي:

«هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي يهودي، عالم بسنن اليهود ويعد من أحبارهم وفضلائهم. وكان رئيسا عليهم في الديار المصرية. وهو أوحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها، متفنن في العلوم، وله معرفة جيدة بالفلسفة، وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي يرى له ويستطبه، وكذلك ولده الملك الأفضل علي. وقيل إن الرئيس موسى قد أسلم في المغرب، وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، ثم إنه لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بالفسطاط بمصر ارتد».

وهناك خلاف طفيف في اسمه فهو في دائرة المعارف الإسلامية: موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي، وفي الأعلام للزركلي قال: «ورأيت اسمه على مخطوطة الرسالة الفاضلية من تأليفه: موسى بن عبد الله القرطبي، وسماه بروكلمان: موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق. ويعرف لدى اليهود باسم موشيه بن ميمن، ويقال عنه موسى هذا الزمان (موشيه هالزمان).

مولده ونشأته:

ولد موسى بن ميمون في قرطبة بالأندلس في ٣٠ مارس ١١٣٥ (٥٢٩هـ) وكان أبوه من أحبار اليهود ويعمل قاضيا في المحاكم اليهودية الدينية. ودرس موسى على يد والده والأحبار الموجودين في قرطبة الدين اليهودي كما درس اللغة العربية، وعلوم الفقه والقرآن على أيدى علماء المسلمين، كما تقول دائرة المعارف الإسلامية. وعندما تولى الموحدون أمر الأندلس ودخلوا قرطبة عام ١١٤٨م. وسنه آنذاك ثلاثة عشر عاما، أعلنت عائلته الإسلام وأبطنت الكفر.

قصة اعتناقه الإسلام:

تذكر دائرة المعارف البريطانية أن موسى بن ميمون نزح مع والده إلى فاس، في المغرب، بعد دخول الموحدين قرطبة، بينما تذكر دائرة المعارف الإسلامية

أنه بقي وأسرته في قرطبة لمدة إحدى عشر عاما وأنه تظاهر بالدخول في الإسلام في تلك الفترة وحفظ القرآن، ودرس الفقه المالكي (فقه الدولة آنذاك).. أما ابن أبي أصيبعة فيقول إن ابن ميمون دخل الإسلام في فاس، ولم يجزم حيث جعلها بصيغة التمريض (وقيل). وتعلّق دائرة المعارف الإسلامية على قصة إسلام ابن ميمون فتقول: «ويروي كل من ابن القفطي وابن أبي أصيبعة أن ابن ميمون اعتنق الإسلام وجهر به في الأندلس في حين كان يبطن اليهودية وذلك لكي يأمن الاضطهاد. واتهمه بعد ذلك في مصر رجل يقال له أبو الحرب بن معيشة، بأنه ارتد إلى اليهودية إلا أن مولاه (ولي نعمته) القاضي الفاضل قرر أن الذي يكره على اعتناق الإسلام لا يصح إسلامه، وهكذا أنقذ حياة ابن ميمون. ومع ذلك فإن روايتي ابن القفطي وابن أبي أصيبعة، وخاصة رواية الأخير التي أوردها في تحفظ كما يتضح من عبارته (وقيل) التي صدَّر بها روايته، لا يؤخذ منها أن لها أساسا تاريخيا وثيقا. وإذا تركنا جانبا ما في هاتين الروايتين من أقوال غير صحيحة عن ابن ميمون فإن الشريعة الإسلامية مع أنها لا تؤاخذ بشدة من يرتد مكرها عن الإسلام خوف الموت، تعتبر الرجل الذي يعتنق الإسلام، ولو بسبب الخوف مسلما حقيقيا، بمعنى أن خروجه عن الإسلام بعد ذلك يؤدي إلى إهدار دمه، ولعل أقطع دليل على عدم صحة إسلامه هو أنه أثناء الجدل العنيف الذي قام حول كتابه «دلالة الحائرين» والذي لم يترك فيه خصومه نقدا أو مثلبة إلا وصموه بها، لم يرمه أي واحد من غلاتهم بأنه اعتنق الإسلام، وكان لابد لهم من مثل هذا النقد لو أنه كان أسلم حقيقة إذ أن إسلامه لا يمكن أن يبقى سرا.

ومهما كان من قصة إسلام ابن ميمون وسواء صحت أو لم تصح، إلا أن ابن ميمون قد تأثر تأثرا كبيرا بتعاليم الإسلام وبقراءة القرآن، ودراسة الفقه الإسلامي، وخاصة الفقه المالكي والفرق الإسلامية، وخاصة الأشاعرة والمعتزلة والصوفية. ونرى صدى أفكارهم وآرائهم في كتبه وخاصة كتاب «دلالة الحائرين» التي سنتعرض لها فيما بعد.

سفر ابن ميمون وأسرته إلى فاس بالمغرب:

انتقل ابن ميمون وأسرته إلى فاس حوالي عام ١١٥٩م ورغم أن فاس بالمغرب كانت تحت حكم الموحدين، إلا أن الضغط على اليهود هناك كان أخف من الأندلس، حيث لم تحدث احتكاكات بين المسلمين واليهود، ولم يتول اليهود مناصب هامة في الدولة، ولم يعرف عنهم أنهم قاموا بتأليف الكتب، والرسائل في مهاجمة الإسلام والرسول والقرآن كما فعلوا في الأندلس. وفي فاس ازدادت ثقافة ابن ميمون الإسلامية كما درس كتب ابن رشد الفلسفية والطبية والفقهية (الفلسفية مثل كتاب «فصل المقال»، والطبية مثل «كتاب الكليات» والفقهية مثل «كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، وتعلم الطب على أيدي أطباء من المسلمين هناك.

انتقال ابن ميمون إلى طبرية بفلسطين ودخوله مصر واشتهاره بالطب هناك:

ثم انتقلت الأسرة الى طبرية في فلسطين عام ١١٦٥م. وطبرية مركز هام لليهود لدراسة التوراة والتلمود، وقد تعمقت دراساته الدينية هناك، ولكنه وجد شظف العيش، ولم يطب له المقام فانتقل إلى مصر وسكن الفسطاط (القاهرة القديمة)، حيث كان اليهود وغيرهم يتمتعون بحرية شاملة في جميع شؤونهم وممارسة شعائرهم، وفي ممارسة التجارة والدخول في وظائف الدولة.

وارتفعت مكانة موسى بن ميمون الدينية لدى طائفته من اليهود في مصر، ولكن حالته المالية ازدادت سوءا بعد وفاة أبيه. ووفاة أخيه الجواهرجي غريقا في

مـركب هو وثروته. وقد كـان أخـوه الثري من تجـارة المجوهرات، ينفق عليه وعلى الأسرة، فلما مـات انتقلت مسؤولية الأسرة إلى عميدها موسى بن ميمون فمارس الطب ولقي حظه وشـهرته فـيه. ومن حـسن طالعـه أن قـام بمداواة القـاضي الفـاضل «عـبـد الرحـيم بن علي البـيسـاني»[٣] فـأحـسن إليه وقـدمـه إلى صـلاح الدين وجعله طبيبه الخاص. وبعد فترة وجيزة استطاع أن يكون كـبـيـر الأطبـاء في بلاط صـلاح الدين وبـلاط ابنه الملك الأفضل علي بن يوسف ملك دمشق.

وكانت لموسى بن ميمون حظوة ومكانة لدى صلاح الدين ورجال دولته، وجمـع من ذلك الأموال والضـيـاع، ولم يكتف بذلك بل اسـتـمـر فـي مـعـالجـة العـامـة وأخـذ الأمـوال البـاهظة منهم حـتى صـار من كـبـار الأثرياء. وكل ذلك بناء على عـقـيدته التلمـودية التي تحـرم عليـه مـداواة الأغـيـار (غـيـر اليـهـود) إلا إذا كـان في ذلك مصلحة لليهود، ولكنه يحرُمُ عليه مداواة أي من الأغيار مـجـانا، لأن المفروض في اليـهـودي المؤمن ألا يسـاعـد أحداً من الأغيار، ولا ينقذه، بل أنه إذا وجده في حفرة أو بئر وجب عليه وضـع الغطاء عليه حتى يموت الأممي (غـيـر اليـهـودي).. وسنناقش هذه النقطة بشـيء من التفصيل فيما بعد.

وارتفعت مكانة موسى بن ميمون في مصر وصار رئيسا للطائفة اليهودية من سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) إلى سنة وفـاته ٦٠١هـ (١٢٠٤م) وعندمـا بلغ ابن مـيـمـون المكانة المرموقة تزوج وأنجب ابنا أسـمـاه إبراهيم الذي صـار أيضـا من الحـاخـامـات، وله دراسـة في التـوراة والتلمود وإن كانت لا تذكر بالمقارنة مع أعمال أبيه.

وفاتــه:

توفي ابن مـيـمـون عـام ٦٠١هـ (١٢٠٤م) بعـد أن بلغ شأوا عظيما في الدراسات الدينية اليهودية وشهرة كبيرة في الطب رغم أن أعماله الطبية لم يظهر فيها أي أصـالة أو أبحـاث جـديدة إنمـا كـان ناقـلا وملخـصـا لأعمال من سبقوه[٤]، وكانت وفاته بمصر بالقاهرة، ثم نقل جثمانه حسب وصيته إلى طبرية ويعتبر قبره مزارا دينيا هاما ومقدسا لدى اليهود (الأرثوذكس) إلى يومنا هذا (نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية).

كتب ابن ميمون:

لقد كتب ابن مـيمـون العديد من الكتب في الطب والفلسـفـة والدين. وقد كتب معظم كتبه باللغة العربية التي كان يجيدها، ربما أكثر من اللغة العبرية، وكانت ثقافته الأسـاسـية بواسطتها ويمكن تقسيم كتبه إلى مجموعتين هامتين: الدينية الفلسفية والطبية.

المجموعة الدينية الفلسفية:

بما أن ابن ميمون نشأ نشأة دينية وكان أبوه أحد القـضـاة في الكنيـست اليـهـودي فـإن اتجاهاته الأولى انصبت على دراسة التوراة والتلمود. وقد بدأ التـأليف مبكرا كما تقول دائرة المعارف البريطانية حيث وضـع رسـالة في المصطلحـات المنطقيـة والدينية وهو لا يزال في قرطبة وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة، ثم وضـع رسـالـة في تقـويم الشـهـور والأيام وكـلاهمـا باللغـة العربية، وفي سن الثالثة والعشرين بدأ بكتابة تعليقات وشـروح على مـتن التلمـود (المشنا)، وسـمـاه كـتـاب السراج وأنهـاه بعد عشر سنوات، والتلمود هو أقوال كـبـار الأحـبـار وفـيـهـا القـرارات والقـوانين (هـلاكـاه) والقـصـص. وله أهمـيـة عندهـم تعدل أو تفـوق تعـاليم التـوراة ذاتهـا. وبمـا أن جـهـود مـوسـى بن مـيـمـون انصـبت طوال حـيـاته على دراسـة التلمـود ووضـع الشـروح له فـإنه من المناسب هنا أن نذكـر نبـذة عن التلمود.

نبذة عن التلمود:

ينقـسـم التلمـود[٥] إلى متن ويسـمـى مـشـنا، وشروح وتسمى الجمارة. وقد كتب المشنا كبار اليهود

من طائفة الفريسيين وأولهم الحاخام هليل (سنة عشرة بعد الميلاد)، ثم الحاخام عقيبا المتوفي سنة ١٣٥م، ثم الحاخام يهوذا هاناسي الذي جمع الأقوال المنثورة غير المرتبة في كتاب عرف باسم مشنا يهوذا هاناسي. وقد استغرق عمله هذا أحد عشر عاماً (١٨٩ - ٢٠٠م) في مدينة صبورة بفلسطين، وصارت العمود الفقري للتلمود. ويتكون المشنا من ستة مباحث (سيداريم) وهي كالتالي:

١ - زيرائيم: أي كتاب الزراعة والفلاحة.

٢ - موائيد: أي كتاب الصيام والأعياد وما شابهها.

٣ - نشيم: أي كتاب المرأة أو أحكام الزواج والطلاق. والمرأة محتقرة عندهم وهي سبب الشرور ومنبع الآثام وهي نجسة في أيام حيضها ومن يجلس على فراشها وهي حائض يكون نجسا لمدة سبعة أيام. وشهادة مائة امرأة لا تعدل شهادة رجل واحد. وليس للزوجة شيء من ميراث زوجها بل تكون هى موروثة (مثل عرب الجاهلية) والبنت لا ترث من أبيها شيئا إذا كان لها أخ ذكر.

٤ - نيزكين: أي كتاب الجنايات والمعاملات وفيها وجوب الربا عند معاملة الأغيار (غير اليهود) وعدم جوازه عند معاملة اليهود. واعتبار جميع الأغيار وثنيين يجب قتلهم في أقرب فرصة ممكنة ولا تجوز بأي حال مساعدتهم وإنقاذهم.

٥ - كوادشيم: أي المقدسات وهو مختص بالصلوات.

٦ - طوهاروت: أي الطهارة وفيها أحكام الطهارة والنظافة والمياه والاغتسال والاستنجاء.. الخ وهناك اثنتا عشرة رسالة صغيرة أضيفت إلى مشنا يهوذا هاناسي على مدى العصور والأجيال، وتعتبر أفضل طبعة ظهرت للمشنا هي طبعة روم التي نشرت في فيلنا عاصمة شمال بولندا عام ١٨٨٦. ووضعت فهارس لكلمات المشنا ومن أهمها فهرس كاسوسكي الذي نشر في فرانكفورت عام ١٩٢٧، كما قام هربرت دوبي بترجمة المشنا الى اللغة الإنجليزية مع بعض الحواشي عام ١٩٣٢.. وعادة ما يُحذف من الترجمات الشتائم المقذعة للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذي يسميه التلمود يسوع الناصري، وكذلك الشتائم المقذعة للنصارى.

الجمارة:

وللمشنا شرحان كبيران يعرفان باسم الجمارة البابلية التي كتبت بواسطة اليهود في العراق ببابل، وجمارة فلسطين (أو جمارة أورشليم) التي كتبت بواسطة الأحبار الذين كانوا في فلسطين.. وقد قام بكتابة الجمارة الفلسطينية ست طبقات من أحبار اليهود في فلسطين يعرفون باسم الأموارائيم أي شراح الشريعة. واستغرقت تلك الكتابة أكثر من مائتي عام (٢٢٠ - ٤٣٠م) وتسمى الجمارة الفلسطينية مع المشنا «التلمود الفلسطيني» أو «تلمود أورشليم» وكان أول من بدأ بشرح المشنا الذى وضعه يهوذا هاناسى هما ابناه الحاخامان جمائيل (جمال الليل) وسيمون، ثم تتالت الطبقات، وكان من أشهر هؤلاء الحاخام يوحنان وهو من أحبار مدرسة قيصرية التي أسهمت بقسط وافر في وضع الجمارة الفلسطينية. وتعترف دائرة المعارف اليهودية العالمية (Jewish Universal Encyclopedia) بأن هناك حذفا وتغييرا في طبعات التلمود الفلسطيني، وذلك بسبب إهمال النساخ ووقوعهم في كثير من الأخطاء، والسبب الثاني تزييف متعمد. وذلك لأن الطبعات الأولى من التلمود أثارت حقد النصارى في أوربا وأدت إلى اضطهاد شديد لليهود بل وإلى طردهم من بعض البلدان لما يحتويه التلمود من شتائم وسخائم وقاذورات ضد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه ولد زنا أتت به مريم من زناها بيوسف باندارا، وأنه ساحر كذاب مرتد عن دين اليهود، ويعبد الأوثان، الى آخر

قائمة الاتهامات الزائفة الباطلة.. كما أن فيه شتائم مقذعة للنصارى وأنهم خنازير نجسة يجب قتلها في أقرب فرصة ممكنة، وأن على اليهود أن يعاملوا النصارى كحيوانات دنيئة غير عاقلة، والكنائس المسيحية في مقام القاذورات، والواعظون فيها كلاب نابحة.

ولهذا واجه اليهود المذابح والطرد في إيطاليا عام ١٢٤٢م وعام ١٥٤٠م، وفي بريطانيا عام ١٢٩٠م، وفي فرنسا في عهد لويس التاسع، ثم في عهد فليب الوسيم، وفي عام ١٣١٤م طرد اليهود من فرنسا بحيث لم يبق فيها يهودي واحد، ثم عادوا مرة أخرى تدريجيا وأعيد طردهم في عام ١٣٩٤م، وفي أسبانيا وقعت مذابح متكررة لليهود منذ عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا عام ١٤٩٢م، واضطر اليهود إلى إعلان المسيحية والارتداد عن اليهودية ظاهرا كما هاجر الآلاف منهم إلى الدولة العثمانية وإلى المغرب العربي.

لهذا كله فإن التلمود أصبح محصورا بين الحاخامات، ولا توجد منه نسخ متوفرة في المكتبات العامة أو للبيع إلا على نطاق محدود. والتلمود بشقيه البابلي والفلسطيني كتاب ضخم في ٣٥ مجلدا ويقوم الحاخام شتاينز إلتز في إسرائيل بطبع النسخة العبرية وذلك منذ عام ١٩٦٠م ويظهر كل عام مجلد واحد يوزع على أحبار اليهود فقط بالاشتراك.. ولست أدري إن كانت طباعته قد تمت أم لا وكنت قد سألت أحد حاخامات نيويورك، وهو دافيد بليش أستاذ الفلسفة والقانون التلمودي في عدة جامعات أمريكية، عن التلمود وعدم توافر نسخه، عندما التقيت به في المغرب بأغادير، في ندوة الإنجاب التي نظمتها الأكاديمية الملكية المغربية في نوفمبر ١٩٨٦م، فأجاب بأن التلمود كتاب صعب ولا يمكن أن يفهمه غير أحبار اليهود، ولا حاجة لغير اليهود بدراسته، وإذا درسوه فلن يفهموه.

أما الجمارة البابلية فكان أول من بدأ بكتابتها الربّي آشي المتوفي عام ٤٢٧م وقد شرع في كتابتها سنة ٣٩٧م وتتالت الطبقات من الأحبار الذين كتبوا الجمارة البابلية وكان آخرهم الربي بارشوميل الذي انتهى من عمله عام ٤٩٩م.

واستمرت التعليقات والحواشي على كلا التلمودين البابلي والفلسطيني إلى العصور الحديثة، ويسمي الحاخامات الذين كتبوا الجمارة الآمرين (المستبدين Dictators) لأن أوامرهم لا تعصى، وتسمى الطبقة التي بعدهم طبقة أصحاب الرأي أو المجتهدون (Opin Ionists) وهم الذين يرجحون بين أقوال الطبقة الأولى ويختارون منها ويستنبطون الأحكام مما كتبه أسلافهم.

وقد كتب التلمود البابلي باللغة الآرامية بينما كتب تلمود أورشليم بالعبرية.. والتلمود البابلي أضخم حجما من التلمود الفلسطيني، ويبلغ أربعة أضعاف حجمه، ويحتوي البابلي بالإضافة إلى القرارات والنصوص القانونية (هالاكا) يحتوي على قصص وأساطير وحكايات الجن وعلى التعاويذ والطلسمات وفنون السحر وأسرار الأعداد والنجوم.

ولا يستغرب أن يحتوي التلمود البابلي على فنون السحر فمركزه بابل موطن السحر قال تعالى: {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون} (البقرة ١٠٢).

وقد ورد في الصحيحين أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي في مشط ومشاطه وطلعة جف ذكر، وضعها في أحد الآبار، فكان يخيل إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، ثم

نزل جبريل عليه السلام فرقاه بالمعوذتين فانحلّ السحر، وأخرجت المواد من البئر، فكان مثل نقاعة الحناء، وانتهى مفعوله بذلك ولم يستطع سحر هذا الخبيث أن يؤثر على النبي (صلى الله عليه وسلم) سوى موضوع إتيان النساء فقط لأن الله قد عصمه فيما يخص النبوة وفي ذلك رد على من أنكر الحديث بحجة أن ذلك قادح في أمر النبوة والعصمة.

وخلاصة القول أن اليهود أولعوا بالسحر والطلاسم وأسرار الأعداد والتنجيم. والتلمود البابلي مليء بكثير من هذه الخزعبلات والأساطير والجرائم.

ومن طقوسهم الإجرامية قتل إنسان بريء من النصارى أو غيره من الأغيار (الجوئيم) وأخذ دمه ووضعه في الفطير المقدس الذي يأكل منه الأحبار وأتباعهم قليلا قليلا على مدى العام.

وقد جاء في دائرة المعارف اليهودية «إن كان من أساس أقرّ من قبل الحكماء اليهود فهو حقيقة القرابين البشرية التي تقدم للإله يهوه، ملك وإله اليهود منذ أواخر عهد الملكية اليهودية» وقد حدثت حوادث كثيرة ضبط فيها اليهود وهم يقومون بهذه الجريمة الشنعاء، أشهرها قضية البادري توما الكبوجي وخادمه ابراهيم أماره حيث قام اليهود باختطافهما في حارة الشام في دمشق في الثاني من ذي الحجة عام ١٢٥٥هـ (١٨٤٠م) وذلك للحصول منهما على دم لفطير صهيون الذي يؤكل في عيد الفصح.

واعترف الجناة بجريمتهم النكراء اعترافا تاما، ولكن قبل أن يحكم عليهم بالقصاص تدخل قناصل الدول الأوربية وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا لدى محمد على باشا الذي كان يحكم مصر والشام آنذاك وضغطوا عليه، حتى تم الإفراج عن القتلة المجرمين وأسدل الستار على الجريمة في ٧ سبتمبر ١٨٤٠ (انظر القصة كاملة في كتاب دم لفطير صهيون للمرحوم الدكتور الأديب نجيب الكيلاني).

أهمية التلمود لدى اليهود:

تقول دائرة المعارف اليهودية: «إن أهمية التلمود كانت تتزايد على مر العصور وكان التلمود يعتبر السلطة العليا لدى أكثر اليهود، وخصوصا يهود بولندا التي أصبحت مركز دراسة التلمود».

ومن المعلوم أن معظم قادة إسرائيل هم من بولندا، ولذا فإن التأثير الديني العميق للتلمود هو الموجه الحقيقي لسياسة إسرائيل منذ تكوينها كما يقول تيد بايك في كتابه «إسرائيل واجبنا إسرائيل ورطتنا» وكما يقول إسرائيل شاحاك (وهو أحد مؤسسي دولة إسرائيل وعالم كيمياء) في كتابه «الديانة اليهودية وتاريخ إسرائيل» الذي قدم له الدكتور إدوارد سعيد والذي فضح سياسة إسرائيل العنصرية والمبنية على تعاليم التلمود المحتقرة للأغيار والتي تعتبرهم أقل من الحيوانات، وأن الله لم يخلقهم إلا لخدمة اليهود.

ويقول إسرائيل أبراهامز موضحا أهمية التلمود: «لقد بقي اليهودي بسبب التلمود بينما بقي التلمود في اليهودي» أما الدكتور فابيان فيقول في كتابه التلمود البابلي: «الحياة اليهودية مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا وقوانين أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود».

أمثلة على تعاليم التلمود:

١ - اعلم أن أقوال الحاخامات هي أفضل من أقوال الانبياء وأن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله.

٢ - إن مخافة الحاخامات هي مخافة الله.

٣ - إن خلافا نشأ بين الله وبعض الأحبار حول المسائل التي يتدارسها الله مع الأحبار كل يوم (يقسّم الله حسب زعمهم اليوم إلى ليل من اثنتى عشرة ساعة ينام فيها ويرتاح، ونهار يدرس فيه التوراة في الساعات الثلاث الأولى مع الحبار وفي الثلاث الثانية يحكم العالم ويدبر شؤونه وفي الثالثة يطعمه وفي الرابعة يلعب مع الحوت ملك الأسماك ولكنه غير نظامه بعد أن هدم هيكله وشرد شعبه فصار يزأر ويصيح في الساعات الأخيرة بدلا من اللعب ويقول: تبا لي تبا لي لأني صرحت بخراب بيتي وهدم هيكلي ونهب أولادي).

ولما قام الخلاف بين الرب (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) وبين الأحبار قرروا إحالة المسألة الى السنهدرين (المحكمة العليا) حيث قرر كبار الأحبار أن الله قد أخطأ في هذه المسألة (لعنات الله المتتابعة على هؤلاء الأحبار وأتباعهم) وأن عليه أن يعترف بخطئه، فما كان منه إلا أن اعترف بخطئه أمام السنهدرين وسحب أقواله كلها.

٤ ـ تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه.

٥ ـ الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. وإذا ضرب أممي (غير يهودي) إسرائيليا فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت (وهذا ما نراه بالفعل حينما يضرب الأطفال في فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة الجنود بالحجارة فيرد عليهم الجنود بالرصاص الحي والمطاطي ويموت العديد منهم في كل حين).

٦ ـ لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس، والفرق بين اليهود وباقي الشعوب كالفرق بين الإنسان والحيوان.

٧ ـ الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة، وقد خلق الله الإنسان ليكون لائقا بخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم.

٨ ـ يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك غيره من الأمم، وسرقة غير اليهودي ليست سرقة، بل استرداد لمال اليهودي، لأن الله لم يخلق الكون إلا من أجل اليهود. وحياة غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بماله.

٩ ـ اقتل الصالح من غير اليهود. ويحرم أن تنجي أحدا من غير اليهود من خطر يتهدد حياته.

١٠ ـ يجوز لليهودي أن يحلف مائة يمين كاذبة أثناء معاملته لباقي الشعوب إذ أن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس وغير اليهود ليسوا أكثر من حيوانات وليسوا ناسا. ويجوز لليهودي أن يشهد زورا ويقسم على ذلك حسب ما تقتضيه المصلحة مع غير اليهودي.

١١ ـ لليهودي لا تقرض بالربا. لغير اليهودي لا تقرض إلا بالربا.

١٢ ـ لليهودي الحق في اغتصاب الأجانب ذكورا وإناثا لأن الأجانب من نسل الحيوانات. وهذا يفسر كثرة حوادث الاغتصاب التي يقوم بها الحاخامات في نيويورك والولايات المتحدة للأطفال المسيحيين. وإذا ثبتت التهمة على أحدهم يقوم اليهود هناك بإرساله إلى اسرائيل.. وهذا غيض من فيض من تعاليم التلمود.

(للدراسة صلة)

الهوامش:

(١) أطلق اسم موسى بن ميمون على بعض الشوارع في المدن العربية فهناك شارع في القاهرة وآخر في جده باسم موسى بن ميمون ولعل هناك شوارع باسمه في المغرب وغيرها من البلاد العربية.

(٢) روجيه جارودي: «الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة الروح والفكر» ترجمة: د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي، بيروت ١٩٩١.

(٣) القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني (١١٣٥ ـ ١٢٠٠) ولد بعسقلان ونشأ ببيسان ومات بالقاهرة، تولى ديوان الإنشاء وكان كاتب الخليفة الفاطمي، ثم اتصل بأسد الدين شيركوه عند مقدمه مصر ثم صار من رجال صلاح الدين الأيوبي المقربين. وصار وزيره ثم وزير العزيز والمنصور من بعده اشتهرت رسائله وكتاباته المليئة بالسجع والمحسنات البديعية. وفي نثره وشعره تكلف ظاهر.

(٤) ذكر ابن القفطي في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» مكتبة القاهرة، أن ابن ميمون، كان يشارك الأطباء ولا ينفرد برأي لقلة مشاركته، ولم يكن رفيقا في المعالجة والتدبير كما قال عنه وقرأ الطب فأجاده علما، ولم يكن له جسارة على العمل أي أن معلوماته الطبية لم تصحبها ممارسة وتدريب كاف. ولذا فإنه مجرد ناقل في كتبه وليست له أصالة.

(٥) انظر كتاب ظفر الإسلام خان: «التلمود تاريخه وتعاليمه»، دار النفائس، بيروت ١٩٨٠، وابراهيم خليل أحمد: «إسرائيل والتلمود» مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ود. محمد علي البار: «المسيح المنتظر وتعاليم التلمود»، وكتاب: «الكنز المرصود في تعاليم التلمود» وكتاب «فضح التلمود» للأب براناتيتس وإعداد زهدي



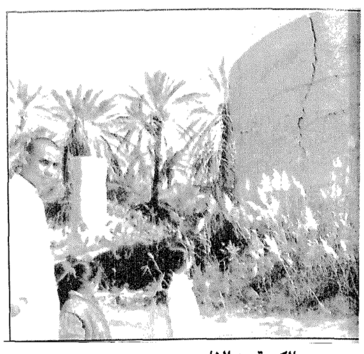

نخل الداريين بسيحة الخويلدية

صور من بلادي

وطني ومهد مطامحي وجناني
وربيع أيامي وزهو حناني.
نخلٌ وأحلامٌ وعشقٌ شواطيء
نشوى، كفجر العاشق الهيمان
وجداولٌ تنساب عطر صبابة
في جانحيَّ .. تذوب في وجداني
والدوح وارفة الظلال تطلُّ في
رأد الضحى كالحور والولدان
وترفُّ أجنحة المنى خفاقة
من ذكريات النخل والكثبان

* * *

صفحات أمجاد تنيع مآثراً
تاريخها من سالف الأزمان
قطرات ماء المزن في عرصاته
كالسلسبيل لغلة الظمآن
وعلى يدي مُضَر[*] تألَّق عطره
كرماً، وأخلاقاً، وسحر بيان
وله على الكثبان موقع شيبة
جادت بصوت ساحر فينان
قومٌ نفوسهم السحاب وأرضهم
مأوى الصحاب وصفوة الإخوان
فيه الشباب عزيمة وتكاتف
في زهوه، في حبه المتفاني
فيه أحبائي وأهل مودتي
ناهيك عن وجدي وبؤس جناني



عين الكعيبة من الخارج

أقسمت أني لا أفارقهم وإن
حكم الزمان على الفؤاد العاني

* * *

الله، يا ذكراً تغلغل في دمي
وانساب في قلبي وفي شرياني
والحب يا ماء المحارق[١] إذ مضى
حييت فيك صبا الزمان الهاني
ومسارحاً كانت لصبوتنا هوى
وسماء أحلام وفجر جنان
وترى نساء الحي تستبق الضحى
لقضاء حاجات وجس مغاني
وتكاد تنتعش النخيل وتزدهي
لحديث أهل الود والجيران
ولكم زها في عين «غرى»[٢] ملتقى
لزفاف عرسان وبث تهاني

شعر : محمد على آل توفيق
القطيف ـ السعودية

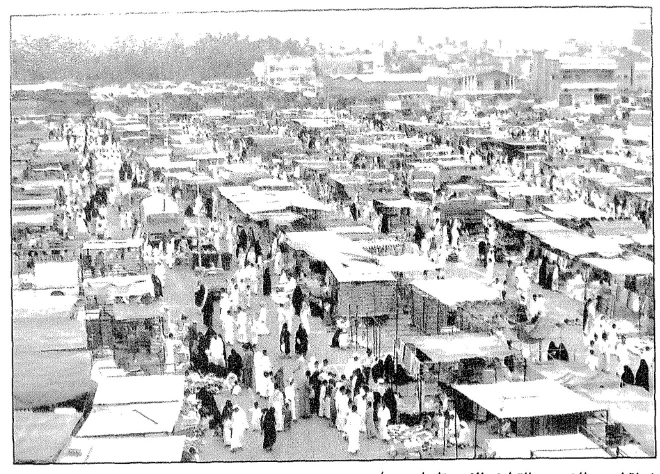
وتآلفت أرواحنا وتمايست
تلك المروج قشيبة الألوان
والناس تشدو حولنا مغمورة
فرحاً يفوق طراوة الألحان
فتذوب رائعة الشموع كأنما
بنثارها شعل من العقيان
أما الولائم والنثار تمازجا
في فرحة العرس الكريم الشان
وغدت تُرشُّ على العريس نجومها
وقد استعاض عن الخطى بحصان
وطرٌ العزوبة قد تولى وانقضى
منذ التقى بالفرحة الزوجان
ومضى لبيت عروسه في مولد
قد شعَّ بـ (الصلوات) والرضوان
قد قرَّ عين الوالدين فهاهما
من فرحة نجمان مؤتلقان

* * *

يا عهد «ساداس»[٣] وأتراب الوفا
وضفافها وتواثب الصبيان
وزمان «صافية»[٤] وأسراب القطا
في «جفنها» وتضاحك الغلمان

وهوى القلوب وملتقى أحبابها
والقيظ مثل القدر في الغليان
هذا يعلم طفله بمهارة
في مائها المترقرق الوسنان
هذا يغوص وذاك يطلق طرفه
هذا يعاتب تربه بحنان
ويمتعون نفوسهم بنهارها
ما بين سحر النخل والشطآن
حتى إذا احتضر النهار وصوّحت
شمس وضاعت في سماء دخان
خلدوا لترويح القلوب فحبُّهم
للماء حب العاشق الولهان
واستعذبوا حمد الإله وشكره
نعماً بلا حصر ولا حسبان
نسي الزمان غدونا ورواحنا
بين «الحسين»[٥] ومنبع «الشيباني»[٦]
أيام كانت «للقديح»[٧] ومثلها
«أم الدفوف»[٨] مكانة الدبّران
وكذا «الصفيرة»[٩] و«الجميمة»[١٠] و«الرحا»[١١]
عطر تدفق في ضحى نيسان
«مضرية»[١٢] ما أنت إلا معلم
لتقدم الإنسان في العمران
عين «الهلالي»[١٣] مثل حلم زائل
طللٌ عفى متهدم الأركان
وتألقت «للجوهرية»[١٤] زورة
موعودة في رفقة الأخدان

أما «القويع»[١٥] تبعثرت آثارها
لم يبق ثمة معلم لبيان
يا «أم ريشة»[١٦] أين منك معالم
غرنوت في عالم النسيان
عين «العمارة»[١٧] لم تزل أصداؤها
تختال مثل القلب في الخفقان
وضحى «الشرابيه»[١٨] الأنيق وقد حوى
مغنى لطهر الريم والغزلان
قد غيُّر الحدثان رائع نبعها
فهوى كما يهوي الشهاب الفاني
تالله ما وجدي وطول تلهفي
إلا لنبع «السدرة»[١٩] الولهان
كانت لنا أملاً ولحناً خالداً
نلهو به في تلكم الأزمان
يا نبع «غربي»[٢٠] أتيتك باكياً
أشكو إليك سحائب الأشجان
و«الديسمية»[٢١] و«الوسائع»[٢٢] لم أزل
أبكي ربوعهما بدمع قان
أتراه يذكر «للرواسي»[٢٣] برهة
والصفو صفو والقطوف دوان
زمن الدراسة والحياة جديدة
مخمورة من وُننا الرنّان
و«القحطبية»[٢٤] قد سمعنا ذكرها
تاريخ مجد سامق البنيان
«بلاعة»[٢٥] كم جئتها فوجدتها
تشكو «العمارة»[٢٦] من جفا الإخوان



لقطة لسوق الخميس بالقطيف الذى يقام اسبوعيا

وشممت من نفح «العتيقة»[٢٧] عطرها
ينساب بين خمائل وجنان

لو كنت تعرف ما «الحريف»[٢٨] وما غدى
من بعد عهد الحب في الشطآن

أو كنت تدرك ما «المهنا»[٢٩] في الهوى
الزاهي و«أم البرج»[٣٠] للبستان

وكذا «الثماميات»[٣١] نبع دافق
قد عانقت «صدرية»[٣٢] الإحسان

لغدوت تنكر «للعوينة»[٣٣] فضلها
أو فضل «قصمول»[٣٤] على الكثبان

حتى غدا قلب «البديعة»[٣٥] «هدلة»[٣٦]
بين «السويجني»[٣٧] و«الخسيف»[٣٨] الفاني

وترى «الجبيس»[٣٩] يلوح عذب مياهها
مثل «الخداشي»[٤٠] بسمة للعاني

* * *

نسي الزمان شقاوتي وبراتي
وطفولتي .. والغر من أخداني

كم وثبة لي في الأزقة وقعها
ما زال يقرع بالصدى آذاني

تلك الأزقة ما رأيت شبيهها
في الحسن إلا الريم في الغيطان

والليل يفترش السماء كأنما
نثرت علينا من نجوم جمان

واللهو في «ساباط حمدان»[٤١] إذا
انتبه الصباح بنوره اليقظان


احد بساتين النخيل المنتشرة في واحة القطيف

وتظللت بسقوفه جلساتنا
ومزاحنا ببراءة وحنان
ولنا به في الصيف من ريح الصبا
بردٌ ومن أنس اللقاء معاني
فهبوبه يأتيك رطباً منعشاً
مثل النمير لمهجة العطشان
يجري رخاء في هدوء رائع
أنغامه تجلو صدى الأحزان

الألعاب :

الله، ما أحلى الزمان إذا هوى
«طنقورنا»[٤٢] في همَّة الصبيان
وتدحرجت «دوامة»[٤٣] سكرانة
ما بين كاسب صاحب ورهان
وتواثبت «خاست عروسي»[٤٤] بالصبا
لهثاً أرق من الصبا المتواني
«دحروجة الفتيات»[٤٥] جاءت لعبة
تختصُّ فيها البنت بالإتيان
و«الألف»[٤٦] للفتيان تلعب دائماً
و«الهول»[٤٧] وقت الصيف كالطوفان
وجثت لنا في كل صوب «صبَّة»[٤٨]
و«مخطة»[٤٩] تلهي الحزين العاني

التكاتف:

قومٌ إذا شبَّ الحريق وولولت
أطفالها من وطأة النيران
هرع الجميع مع النداء وكبَّروا
والماء بين قصيهم والداني
فتراهمُ متآلفين يشدُّهم
حبُّ الإله لنجدة الإخوان
متراحمين يسودهم كرم التقى
والبر والإحسان يلتقيان
وتكاتفت همم الرجال فعزمهم
ماض يفوق تصوُّر الإنسان
وتراهمُ سمر الوجوه من العنا
وقلوبهم بيضٌ بلا شنآن
عهدٌ تولى وامَّحت آثاره
وغدا كما الطلل القديم الفاني
لكنما في داخلي حضر الهوى
شوقاً يعرس وجده بكياني
للنخل باسقة على أكمامها
طلع نضيدٌ رائع الألوان
«تحيير»[٥٠] نخل يا لحسن جماله
هل أنبأتك «مغيصة»[٥١] «الدهجان»[٥٢]
و«لفاف»[٥٣] نخل ما الذُّ فطوره
«بعصيده»[٥٤] و«خبيصه»[٥٥] الملآن
لمواسم الغلات عند «خرافها»[٥٦]
و«صرامها»[٥٧] وتكاتف الشجعان

لصـعـيـد «جـابور»[٥٨] يبـارك خـيـرهـا
وتـكـدُّس «القـــلات»[٥٩] كـــالبنيـــان
للمـــوز[٦٠] مـــؤتلقـــاً كـــوجنة غـــادة
للـتـين[٦١] لـلإتـرنج[٦٢] لـلـرمـــــان[٦٣]
للـصـــــبـح يـسـكـر بـالـنـدى أزهـاره
وخــمـــائل الجـــوري والـريحـــان
للـدُّور في الخـــبـــاز بعــد صـــلاتنا
ونفـــوس أحـــرار بلا أضـــغـــان
للســوق عـامــرة بخـيــر كـفــاحنا
وشـــمــوخنا في غـــمـــرة الحـــدثان
لأبي اســتــقلٌ - على الطهــارة - منبـراً
يـدعـــــو لـطـاعـــــة ربـه الـديـان

* * *

وطـنـي وبـنـد الفـــخـــر يـرقـص فـي دمـي
لأرومـــــة تمـتـــدُّ مـن عــــدنـان
ســأظل أنشــد في الصــبـاح وفي المســا
عـــشـق الـوفـــــاء لأطـيـب الأوطـان

الهوامش:

[*] المقصود بها «النخوة».

(١-٣) المحارق، غرّى، ساداس: ينابيع مياه جوفية ذات ماء وفير تسقى منها البساتين، وتقع في القديح.

(٤) صافية أو الصافية: ضربٌ من اللعب يمارس في مياه العيون الجوفية.

(٥ - ٤٠) الحسين المقصود بها عين الحسين والشيباني ... الخ: كلها ينابيع مياه جوفية تسقي بساتين القديح.

عين العتيقة تسقي نخيل الخداشي، وهي واحدة من سبع عيون أخر الغنية بمياهها الجوفية، والعتيقة لم تكن مشهورة بقوتها المائية ولعل السبب تكاثر عيون جوفية أخرى بقربها. ومن عيون الخداشي عين العتيقة، وعين الخداشي، والبرنوي، وعين البديعة، ومن أشهر نخيل الخداشي، البرنوي، البصرة، السحلوب، والبيعة والخراب... الخ.


تقدم الدولة للمزارعين القروض والاعانات لتحسين الانتاج

(٤١) ساباط حمدان: جزء من شارع داخلي يستخدم أعلاه للسكنى ويستخدم أسفله شارعاً وهو مكان لتجمع الرجال والصبية وقضاء وقت الفراغ فيه والتمتع بهوائه في أوقات الصيف الحارة قديماً، وفي القديح القديمة الكثير من السوابيط.

(٤٢ - ٤٩) الطنقور، الدوامة، و... والصبة والمخطة: اسماء لألعاب يمارسها الناس، الفتية والفتيات، بل وحتى الكبار كالصبة.

(٥٠) تحدير: إنزال عذوق النخل إلى أسفل وربطها بحبل بشكل متناسق سهل التناول للمقتطف.

(٥١ - ٥٢) أسماء لنخيل بالقديح.

(٥٣) اللفاف: لف عذوق النخل بالليف في بدء طلعها لحفظها عن البرد والآفات وقد اندثرت الآن.

(٥٤ - ٥٥) العصيد والخبيص: ضرب من الأكلات الشعبية الشائعة في القطيف.

(٥٦) خرف: جني ثمار النخيل.

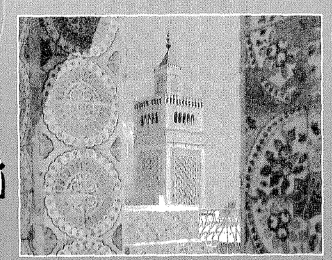
(٥٧) صرام: موسم قطع ثمر النخيل.

(٥٨) جابور: ما ارتفع من أرض النخيل ومن استخداماته نشر ثمر النخيل عليه لتجفيفه.

(٥٩) القلات: مفرده قلة والقلة وزن يساوي منين وهذه تساوي ٣٢ كيلوجرام من التمر. والقلة والقلات كثيرة الإستعمال في القطيف.

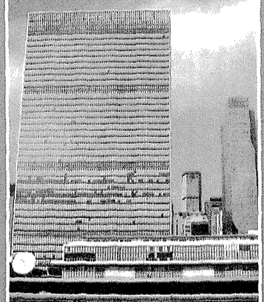
(٦٠ - ٦٣) الموز والإترنج والتين والرمان مما تمتاز به منطقة القطيف.

في البناء والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
التي يتفرس فيها
الملامح ويرسم الزمن

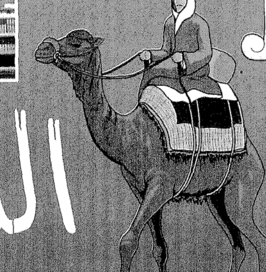


تونس

المدينة العتيقة



جولة فى وسط أمريكا



السائح



قطاف اوراق التوت الطازجة من أجل إطعام دود الحرير

حياكة الحرير حرفة صينية شعبية منذ آلاف السنين

مملكة الحرير

العسل، والمسك، والحرير، هى أغلى ما يقتنى، ولا دخل للانسان في انتاجها، الا الرعاية للنحل منتج العسل، والغزال منتج المسك، ودودة القز منتجة الحرير.

الصين اشتهرت بالحرير، في ريفها البعيد الواقع جنوب شرق البلاد، في المنطقة الممتدة ما بين (هانغزهوه) و(شنغهاي) وتعتبر هذه المنطقة (مملكة الحرير) في العالم، كما يقولون.

أنشأوا مزارع، ومستعمرات لدودة القز، واعتنوا بها غاية العناية، ويعمل في صناعة الحرير عشرون مليون عائلة صينية.

تتغذى دودة القز على ورق التوت الأبيض تحديداً، وهي شرهة في أكله. وتضع بيضها خلال فصل الربيع.

تضع دودة القز أساس شرنقتها بشبكة تشبه شبكة العنكبوت إلى حد ما، وذلك بواسطة خيوط دقيقة من البصاق اللزج الذي تخرجه من فمها، الدودة تعمل بصورة متواصلة في

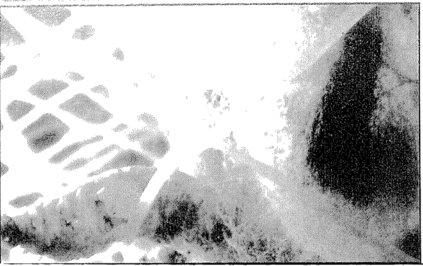
بناء شرنقتها وبمعدل حوالي الثلاثين سنتيمتراً من الخيوط في الدقيقة الواحدة، والسر في بصاقها اللزج انه يجف بمجرد ملامسته الهواء ويتحول الى خيط متين النسج. سبحان الخلاق.

تستغرق العملية أسبوعين تتحول الشرنقة بعدها، إذا لم يحصل تدخل خارجي، إلى فراشة بيضاء جميلة تمزق النسيج الذى صنعته بفمها وتطير.

في غضون ذلك تتواصل اعمال مزارعي الحرير الشاقة والمتشابكة، من تنظيف وتعقيم اعشاش الدود والشرانق، وعليهم بصورة خاصة نقل الشرانق إلى السوق المحلية في الوقت المناسب بحيث تموت اختناقاً بالهواء الحار قبل أن تتحول إلى فراشات تتلف القطاف الثمين.

والمرهق فى أعمال دود القز أن المزارع يعيش في سباق دائم مع الزمن، ذلك ان كل مرحلة من مراحل نمو الدودة تتطلب عملا معينا في وقت معين.. عدا المتطلبات الخاصة لهذه الديدان «الأرستقراطية» التى «تنزعج» من الذباب ومن نباح الكلاب ومن رائحة البصل ومن الرياح الشديدة ومن تقلبات درجات الحرارة، وفوق كل ذلك فدودة الحرير لا تأكل إلا ورق التوت، والتوت الأبيض تحديدا، وبشرط أن تكون الورقة طازجة غير جافة كثيراً وغير رطبة كثيرا.

والمزارعون يعرفون جيدا أن الإخلال بأية واحدة من هذه المتطلبات الخاصة ينعكس سلباً على نوعية وكمية الحرير، أو ربما يصيب الدودة بالأمراض أو حتى بالموت.



هكذا تبدأ دودة القز بحياكة شرنقتها

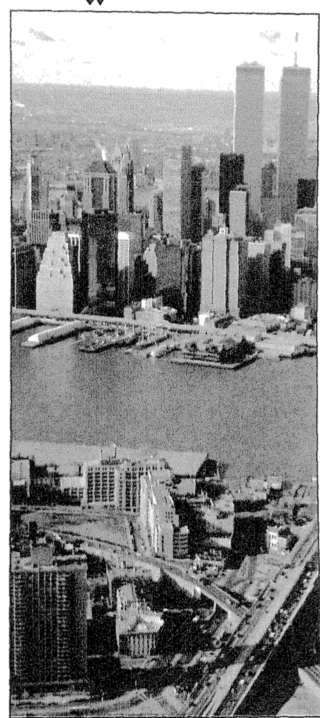


شابة صينية تحوك خيوط الحرير فى حديقة منزلها



داخل معمل لقتل شرانق دود الحرير

جولة في وسط أمريكا



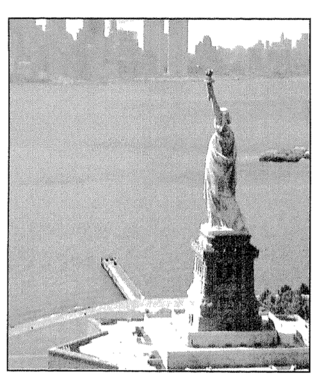
مشاهدات وانطباعات

إن حب الوطن غريزة فطر عليها كل إنسان ومفارقته تترك في النفس اضطراباً مهما كانت الغاية من مفارقته، وكنت أعلل النفس في كل رحلاتي بسرعة الأيام وأنسى اللقاء بعد الفراق وفي يوم الخميس الموافق ١٤٢٠/٣/٣هـ الموافق ١٩٩٩/٦/١٧م، غادرنا مطار الرياض متوجهين نحو نيويورك ومنها إلى ولاية ألينوي لحضور حفل تخرج أحد الأبناء، ولقد تداعت إلى ذهني ونحن نعبر المحيط الأطلسي رحلة (كرستوفر كولمبس) في القرن الخامس عشر ١٤٩٠م ومغامرته الرهيبة حيث كنا نحلق في سماء المحيط الأطلسي «بحر الظلمات» سابقاً معلقين في الفضاء أكثر من أربعة عشر ساعة، وقد صعدت بنا الطائرة في علو مرتفع وكانت المضيفة تكرر التعليمات التي لابد منها لعبور المحيط كلباس حزام النجاة إذا جد الجد

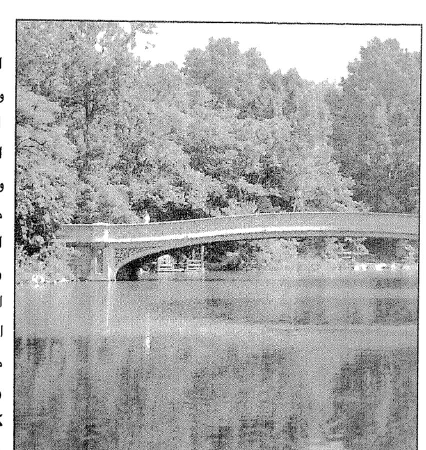
بقلم: عبد الله بن حمد الحقيل
امين عام دارة الملك عبد العزيز - سابقا -

مبنى هئية الأمم المتحدة فى نيويورك

واضطرت الطائرة إلى الهبوط على سطح المحيط، وكيف يوضع لباس النجاة فوق الجسم وكيف تربط أطرافه وكيف ينفخ حتى يصير كالقربة ورأيت البعض يتململ من هذه الدروس والتعليمات فقلت له هون على نفسك هذا الإزعاج الذى تفرضه الاتفاقات الدولية ومنظمات الطيران العالمية، وبعد تقديم وجبات الطعام أطفئت الأنوار وبدأ النوم يداعب الأجفان وأثناء عبور المحيط طلب منا ربط حزام النجاة عدة مرات لوجود مطبات هوائية، ورأيت أحد الأخوة ازداد غيظا وتقطيبا فقلت له الأمر سهل وحدثته عن المغامرين والمكتشفين الأوائل وأن أول خارطة لأمريكا كانت إسلامية قام بتصميمها الجغرافي المسلم «ابن



تمثال الحرية

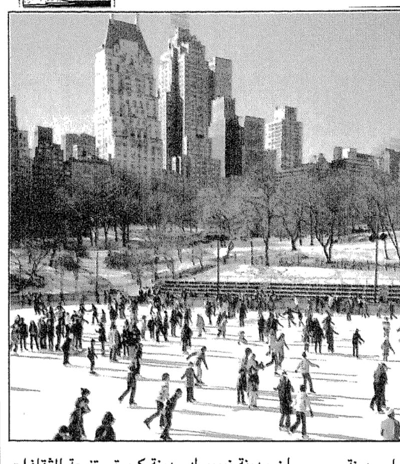


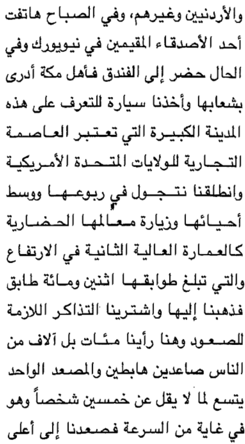
الزيات» المتوفي سنة ١١٩٨م وفيها رسم خارطة لمنطقة بحر الظلمات الذي نحلق فوق أجوائه وتشمل الجزر المأهولة وهي أمريكا، وقد اكتشف هذه الخارطة د. خوان فرثيط الأستاذ بجامعة برشلونة عام ١٩٥٢م في مكتبة الاسكوريال بمدريد، وقلت له لقد عبرت هذا المحيط ثلاث مرات وهذه هي المرة الرابعة التي أزور فيها أمريكا وعبرت الكثير من المحيطات من شرقها إلى غربها وفي السير في كون الله وأرضه وبحاره عبرٌ لمن يعتبر، وفيه الجديد الإيجابي المفيد والسلبي الذي ينبغي تجنبه والابتعاد عنه وكان محدثي بين اليقظة والنوم والخوف، مما ينطبق عليه قول القائل:

أقول له زيداً ويسمع خالدا

ويكتبه عمراً ويقرؤه بكرا

لقد كان الجو صحواً وكنت أنظر من النافذة إلى الجو لأتمتع بالمناظر الطبيعية وماء المحيط والجزر والسحب المتراكمة أو المتفرقة وهكذا مرت الساعات بين الأحاديث مع مجموعة من الأخوة العرب والقراءة حتى وقفنا في بلدة «شنين» وهي محطة للطيران في ايرلندا وهي النقطة التي يبدأ منها عبور المحيط الأطلسي وتزود الطائرات بالوقود ثم حلقت الطائرة في المحيط ولم أشعر بمرارة السفر وطوله وعنائه لما كنت أتمتع به من مشاهدة هذا العالم وجمال خلق الله، ولقد عرضوا علينا فيلماً سينمائياً كوميدياً لإدخال الأنس على الركاب ولكنهم طلبوا إغلاق النوافذ التي كنت أطل منها على هذا العالم الفسيح ومشاهدة السحب والبحر، ولقد قطعت بنا الطائرة هذا المحيط العظيم الهائل والمحيط الأطلسي «بحر الظلمات» سابقاً ثم بدأنا نقترب من مدينة نيويورك وبدت بعض الجزر ذات الأشكال الهندسية وشاهدت الوديان والمرتفعات وكلها خضراء ثم هبطت بنا في مطار نيويورك الدولي وكان الفرق الزمني بين نيويورك والرياض سبع ساعات، ودخلنا قاعة الجوازات في صف منتظم ثم الجمارك وكانت الإجراءات سهلة وسريعة ولم يفتحوا حقائبنا وتوجهنا صوب شركة T.. W.. A لتأكيد الحجز إلى مدينة شيكاغو، وبعد ذلك توجهنا إلى مدينة نيويورك لقضاء يومين في رحابها وذهبنا إلى فندق «هوليداي إن» وأمضينا تلك الليلة برفقة مجموعة من الأخوان العرب من السعوديين





والأردنيين وغيرهم، وفي الصباح هاتفت أحد الأصدقاء المقيمين في نيويورك وفي الحال حضر إلى الفندق فأهل مكة أدرى بشعابها وأخذنا سيارة للتعرف على هذه المدينة الكبيرة التي تعتبر العاصمة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية وانطلقنا نتجول في ربوعها ووسط أحيائها وزيارة معالمها الحضارية كالعمارة العالية الثانية في الارتفاع والتي تبلغ طوابقها اثنين ومائة طابق فذهبنا إليها واشترينا التذاكر اللازمة للصعود وهنا رأينا مئات بل آلاف من الناس صاعدين هابطين والمصعد الواحد يتسع لما لا يقل عن خمسين شخصاً وهو في غاية من السرعة فصعدنا إلى أعلى العمارة هذه وننظر في كل ناحية من أنحاء مدينة نيويورك ثم نزلنا لنذهب إلى المكان الثاني وهو حي «هارلم» الذي يسكنه الزنوج ثم ذهبنا إلى هيئة الأمم المتحدة التي تأسست في عام ١٩٤٥م وتجولنا بين جنباتها ثم عمارة «كريسلر» الشهيرة - وسوق البورصة العالمي ثم شارع «وول ستريت» ثم المركز الإسلامي الذي يضم مكتبة ومسجداً ومدرسة لتعليم القرآن الكريم وقاعة كبيرة وهو يمثل منظراً رائعاً ويمثل فن العمارة الإسلامية، وقد أصبح قبلة للسياح - ووجود هذا المركز الإسلامي وغيره من المراكز والمساجد في هذه المدينة عمل إسلامي عظيم ومساهمة ثقافية في هذه المدينة التي تزخر بثقافات متنوعة وديانات كثيرة كما أنها تخدم الجالية الإسلامية في نيويورك وضواحيها.

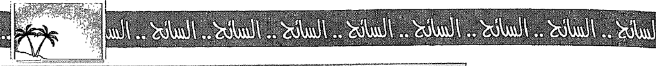
إن مدينة نيويورك مدينة كبيرة متنوعة الثقافات فهي مدينة التجارة والمصارف والمال والفنادق والأزياء والنشر والإعلام والسياحة، وإن جزيرة «مانهاتن» تضم مراكز الأعمال ومركز التجارة العالمي الشهير وميدان «تايم سكوير» وحي «بروكلين» التاريخي، لقد كانت فرصة طيبة أن أقضى اليوم للتجول في هذه المدينة والتعرف على معالمها ومتاجرها الكبيرة ومطاعمها الفاخرة وشوارعها الرحبة الأنيقة، لقد ذهب بي الخيال مذاهب في رسم صورة متخيلة لهذه المدينة وضواحيها ومعالمها ومتاحفها المتعددة قديماً وحديثاً، وذهبت «للحديقة العامة» وهي في الوسط الأعلى لنيويورك. كما أن هذه المدينة تضم عدداً من الجامعات مثل جامعة «كولومبيا» و«نيويورك سيتي» وغيرها من المعاهد العلمية ومراكز الأبحاث، ولعل من أجمل ما يشاهده

المرء منظر النهر الجميل «هدسون ريفر» حيث يحد المدينة من جهة الغرب وتقع «منهاتن» على ضفته وناطحات السحاب الشامخة، إنها ساعات طويلة ونحن نسير سيراً متواصلا وسريعاً ولكن لا نحس بالتعب حيث الأنظار مشدودة إلى روعة هذه المدينة وطبيعتها الجميلة ومبانيها العملاقة الباذخة وشوارعها الأنيقة وهناك سفن سياحية تملكها وتديرها شركات سياحية تحمل الواحدة منها مئات الركاب وتتجول بهم في عرض النهر وتطوف بهم في مقابل عشرين دولارا للفرد الواحد وسعدنا فيها وأخذنا أماكننا بين مئات الركاب من جميع الأجناس والألوان ويأتي صوت مذيعها الخاص مرحباً ومتمنياً نزهة ممتعة وجولة مفيدة، وفي نهاية المطاف تنتهى بنا بعد جولة ونزهة طريفة ومناظر بديعة.

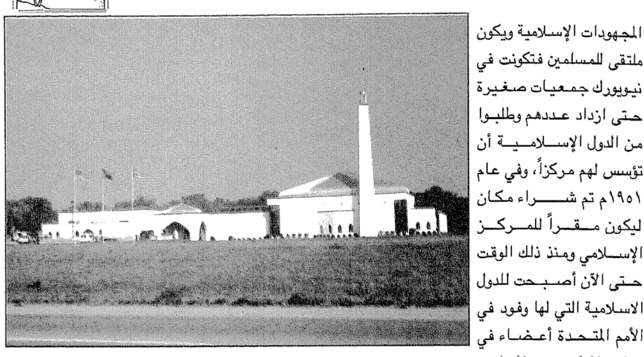
إن مدينة نيويورك هي واجهة أمريكا وصورتها العامة بكل ما فيها من متناقضات ومفارقات فهي مدينة الغنى الفاحش والفقر المدقع مدينة التجارة والصناعة والملاحة وبيوت المال وفيها أكبر تجمع لليهود ويعود تاريخ هذه المدينة الى القرن السابع عشر الميلادي وكانت تسمى عندئذ «نيوامستردام» ففي موجات الهجرات الأولى التي تدفقت على أمريكا نزلت بها في «مانهاتن» جالية هولندية كبيرة في وقت كانت فيه الشركات الاستعمارية هي التي تستغل المستعمرات وتباشر إدارتها فاستطاعت شركة الهند الغربية الهولندية أن تقوم بعملية احتيال تاريخية فاشترتها من الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين بما يعادل أربعة وعشرين دولاراً، نعم إنها فقط كما يروى ثمن أكبر مدينة في العالم وأسماها الهولنديون اسم عاصمتهم «نيوامستردام» بدلا من امستردام، وهو اسم لمدينة انجليزية تقع في مقاطعة يوركشير شمالي انجلترا وهي مدينة لها شهرة تاريخية ولذا خلعوا اسمها على المدينة الأمريكية الجديدة ولقد رشحها موقعها الممتاز للنمو والازدهار وأصبحت أعظم ميناء وأهم مركز للتجارة وبناء السفن والصناعات المختلفة حتى أصبحت أكبر مركز مالي في العالم وتقوم على ثلاث جزر هي: بركلن، مانهاتن، واستاين آيلاند، وتربط بين هذه الجزر والمدن الأخرى الجسور الشامخة ذات الطبقات المتعددة والأنفاق التي تمتد تحت نهري «الهدسون» و«إيست ريفر» والمعديات، وتعتبر مدينة نيويورك أقوى معقل لليهود في العالم حيث يبلغ عددهم أكثر من سبعة ملايين نسمة ولهم نفوذ وسيطرة ويديرون مشروعات تجارية وعلى الكثير من وسائل الإعلام كالصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والتلفاز وغيرها من وسائل الإعلام ومنهم عدد في الجامعات يعملون في شتى ميادين المعرفة ومختلف المجالات العلمية، كما أنهم يملكون الكثير من الفنادق والمطاعم والمصارف في كل من نيويورك وشيكاغو ولوس انجلوس وسان فرانسيسكو وبوسطن.

المركز الإسلامي:

يعود تاريخ المركز الإسلامي في نيويورك إلى الأربعينيات ويعتبر من أهم المراكز الإسلامية على الإطلاق لأنه يمثل الدول الإسلامية ولأنه قريب من مقر الأمم المتحدة في أمريكا وفي البداية كانت هناك جالية إسلامية في نيويورك هي من أقدم الجاليات الإسلامية بعد الجالية الإسلامية في «دويسترويت» وتتكون من المهاجرين اللبنانيين والسوريين وأصبحت دول إسلامية كثيرة العدد أعضاء في المنظمة العالمية وازداد عدد المسلمين بزيادة الوفود الإسلامية في الأمم المتحدة مما حدا بالمسلمين في أوائل الخمسينيات الى إنشاء المركز الاسلامي ليضم



المجهودات الإسلامية ويكون ملتقى للمسلمين فتكونت في نيويورك جمعيات صغيرة حتى ازداد عددهم وطلبوا من الدول الإسلامية أن تؤسس لهم مركزاً، وفي عام ١٩٥١م تم شراء مكان ليكون مقراً للمركز الإسلامي ومنذ ذلك الوقت حتى الآن أصبحت للدول الاسلامية التي لها وفود في الأمم المتحدة أعضاء في مجلس المركز وعدد المسلمين اليوم في الولايات المتحدة ثمانية ملايين من الأمريكيين والمهاجرين وتلعب المراكز الاسلامية في أمريكا دوراً جيداً في نشر الثقافة الاسلامية وتعليم اللغة العربية والحضارة الإسلامية ويعتبر هذا المركز من أهمها لأنه يمثل الدول الإسلامية ولقربه من مقر الأمم المتحدة فهو صرح حضاري إسلامي ويزور المركز عدد كبير من الأمريكيين من ذوي الرغبة الشديدة لمعرفة الاسلام وطرح الكثير من الاستفسارات التي يريدون معرفتها، وعلمت مما حدثني به أحد الأخوة في المركز أنه يعتنق الإسلام في كل أسبوع ثلاثة أشخاص لأنهم يجدون فيه ما يرضي رغباتهم وطموحهم ومحاربة الإسلام للعنصرية وهكذا يتجلى دور المراكز الاسلامية في هذه البلاد فهي تساهم في نشر الثقافة الاسلامية والحضارة الإسلامية والتعريف بها ولذا ينبغي تيسير تعليم الإسلام وممارسة تعاليمه للمسلمين الجدد وربطهم بعقيدة التوحيد الخالص وتجنيبهم مواطن الزلل والانحراف في سلوكهم وعقيدتهم، ولقد قرأت تصريحاً لرئيس قسم دراسات الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا في جامعة «مينيسوتا» بأمريكا أن في الولايات المتحدة إقبالا كبيرا لمعرفة الإسلام والقراءة عنه من جانب مختلف الطبقات والعناصر.



مبنى المركز الاسلامي تخفق فوقه رآية التوحيد

واقترح إنشاء مركز للبحوث والدراسات الإسلامية يضم مكتبة كبيرة ومراجع وتنظيم ندوات عن الاسلام والحضارة الإسلامية وأشار إلى أن أعداداً كبيرة من طلاب الجامعات يطلبون معلومات عن الإسلام وهناك تشويه في المناهج الدراسية والصحافة في المعلومات عن الاسلام، وتصدر في نيويورك عدد كبير من الصحف اليومية كالديلي تلجراف، والهيرالدتريبسون والاسبوعية لمجلة التايم ونيويورك بوست وغيرها، ولقد لاحظت خلال بقائي في أمريكا وبين مدنها المختلفة أن الصحف الأمريكية تقدم يوم الأحد أعداداً خاصة تتألف عادة من عدة صحف في عدد واحد ومجموع صفحاتها يتجاوز

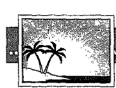
إحدى المنتزهات

مائة صفحة وهناك صحف مخصصة للمسرح والأدب وأنواع الهوايات وشئون المال والأعمال والتعليم والرياضة وعرض لأهم أنباء الأسبوع المنصرم وعن المؤلفات الجديدة والكتب الحديثة وهلم جراً.

وبالجملة فمدينة نيويورك مدينة الصناعة والتجارة كما أن تركيبتها السكانية قامت على تجمعات عرقية ذات ثقافات متعددة ومهما زار المرء هذه المدينة والتعرف عليها فأنى له أن يمر بهذه المدينة الكبيرة التي تعتبر العاصمة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية ويستوعبها خاصة وأنه لم يبق أمامنا إلا بضع ساعات في هذه المدينة لمغادرتها إلى شيكاغو مما ذكرني بقول الشاعر:

فاشدد رحالك واعجل فالدنا فرص
وما سماعك بالآثار كالنظر

وبعد فإن نيويورك قلب الحضارة الغربية النابض كما يقول الدكتور غازي القصيبي، ولقد وصفتها الأديبة الفرنسية فرانسواز ساجان التى زارت نيويورك مرتين ثم كتبت بعد ذلك كتابا جاء فيه:



إن نيويورك ثقيلة الوطأة على الانسان مدينة ينبض قلبها بسرعة اكبر من سرعة سكانها وان الدم الفوار يجري في عضلات سكانها المتعبى القوى العجلين إنهم يريدون أن يقتصروا في الوقت دون أن يعرفوا كيف ينفقون ذلك الوقت.. ولقد وصف أحد الأدباء الغربيين عمران نيويورك وازدهارها المادي بأنه غطاء جميل لحالة من الشقاء فكثر المال ليس هو السعادة.

كما وصف هذه المدينة الأديب اللبناني أميل يسوعي منذ اكثر من خمسين عاما في كتابه «السفر العجب الى بلاد الذهب» قائلا:

إن مدينة نيويورك من ابهج مدن الدنيا واعظمها رونقا وفخامة وهي قائمة في جزيرة على مصب نهر الهدسون ونظرا لتزايد اتساعها ضاقت الجزيرة عن استيعابها فمدت الى الناحية الشمالية خطوطاً طويلة من المنازل يفصلها عن بعضها شوارع متوازية وتقطعها زوايا مستقيمة مما يجعل لها مشهداً يشبه رقعة الشطرنج العظيمة. وقد تشيدت حول المدينة الاصلية مدن أخرى عديدة ولكنها ما لبثت ان اتصلت بها بحيث صارت معها مدينة واحدة كبيرة لا تقل مساحة سطحها عن ١١٠ كيلومترات مربعة وفي هذه المدينة مليونان من السكان تراهم دائما في تزاحم وتسارع الى اشغالهم. اما الشوارع فلا تزال تجري فيها ليلا ونهارا العربات والحوافل (أمنيبوس) وعجلات الترامووي الكهربائي كما تمر ايضا مركبات السكك الحديدية فوق المنازل.

على أن الغريب الذي يشاهد هذه المناظر يقف عندها مبهورا حائرا بينما ان الاميركي لا يتأثر منها مطلقا لكونه قد ألف رؤيتها واعتاد مشاهدتها كل يوم، وجميع المخابرات تجري في نيويورك اما بالتلغراف أو بالتليفون ولذلك تعد الاسلاك الممدودة في الجو لهاتين المصلحتين بالالوف ولا تكاد تدخل فندقا الا تجد فيه كل ما يلزم للمخابرة مع اقصى اطراف المدينة. وابلغ من ذلك انك تستطيع وأنت في حجرتك ان تستدعي ما شئت من عربة أو شرطي أو غيرهما حتى اذا احتجت الى رجال المطافىء ايضا امكنك ان تأتي بهم في الحال. نعم ان في الشوارع الكبيرة من نيويورك قصورا عظيماً من الحجر المانع (غرانيت) او الرملي الاحمر أو الرخامي الابيض إلا ان فيها ايضاً كثيرا من البيوت الخشبية. وانما يختار الاميريكيون بناء منازلهم بالاخشاب لانها اوفر اقتصاداً وأخف ثقلا فيمكنهم عند الاقتضاء ان ينقلوها من مكان الى آخر مجرورة بالقواطر الكهربائية. وحوادث الحريق كثيرة في اميركا ولكن ماذا يهم الاميريكيين اذا احترقت منازلهم الخشبية طالما انهم قادرون على ان يجددوا بناءها على طرز أجمل وأوفر ملائمة للصحة، ثم انه لا يخفى ان الاختراعات في اميركا مازالت تتوالى وتتعاقب واللاحق منها يقرض السابق فاذا كانت تؤول الى جر مغنم لمخترعها فقد ادركت غايتها القصوى وغرضها الاسمى وكل ما تبقى يعد امراً ثانويا قليل الاهمية، على أن كل من باشر عندهم امراً ولم يصب فيه نجاحاً لا يقنط ولا ييأس بل يستأنفه مرة أخرى بعزم أشد وطرق أجد فاذا حبط مسعاه نهض ايضا بهمة اعظم واذا قدر له عدم النجاح هذه المرة فانه يأمل التوفيق في مرة أخرى ولا يزال هكذا حتى يستتب له الفوز.

تونس المدينة العتيقة

تونس تلك المدينة التي كانت ذات يوم قرية بربرية صغيرة ممتدة فوق الربوة المنحدرة في يسر حتى ضفاف البحيرة المعروفة لم يكن هناك ما يهيئها في بادىء الأمر لكي تصبح عاصمة لافريقيا التي كان يطلق عليها اسم (أفريكا) في العصور القديمة؛ لا سيما وأن قرطاج ـ جارتها ـ العظيمة في عهديها البونيقي ثم الروماني كانت مركز الاهتمام غير أن الفتح العربي جعل من هذه المدينة في أوائل القرن الثامن قلعة حصينة تتجمع فيها جيوش المسلمين وينطلق منها الفاتحون وورثت تونس آنذاك مزايا مدينة قرطاج وعرفت المدينة الازدهار والرخاء وعمرها المسلمون بالايمان وكان جامع الزيتونة المعمور أول مسجد جامع يعمر بالمدينة بأمر من القائد الفاتح العربي حسان بن النعمان ومع توالي الحكام والولاة شهدت المدينة نهضة عمرانية أهلتها اليوم لتكون واحدة من المعالم الأثرية العالمية المدرجة ضمن قائمة التراث العالمي التي تقرها المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لما تحتويه المدينة من كنوز هي الشاهد الأول على عظمة الحضارة الاسلامية العربية.

ورغم أنه ليس من السهل على أحد أن يوجز سر وعظمة هذه الكنوز في صفحات عدة فإننا سنحاول ـ قدر استطاعتنا ـ التعرف على بعض من هذه الكنوز التي جعلت من المدينة كنزاً عالمياً.

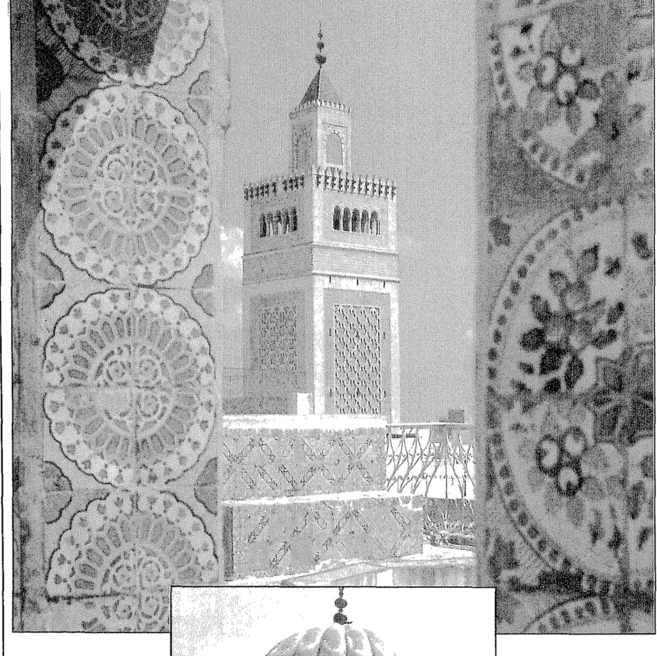
في قلب المدينة العتيقة وعند ملتقى محورين رئيسيين الأول شمالي ـ جنوبي والثاني شرقي ـ غربي أسس أهم حرم في تونس، إنه جامع الزيتونة المعمور الذي يمثل جزءاً أساسياً من أجزاء المدينة العتيقة تحيط به الأسواق والمكتبات والعطارون ويتوافق تاريخ بناء الجامع مع تاريخ تشييد المدينة العتيقة.

وقد قام الأمير الأغلبي ابراهيم بن الأحمد (٨٥٦ ـ ٨٦٣) بإعادة بناء الجامع الذي كان يمثل فيما مضى مركزاً سياسياً ودينياً حيث كانت تبرم فيه العقود والصفقات التجارية إلا أنه مع مرور الزمن فقد هذه الصبغة الاقتصادية واقتصر نشاطه على المجال الديني، واصبح مركزاً لتدريس الشريعة الاسلامية ذا شهرة كبيرة تخطت حدود تونس فقصده طلاب العلم من كل مكان بعد أن خصصت المدارس المحيطة به لايواء هؤلاء الطلبة.

أما اليوم فإن جامعة الزيتونة العصرية تقوم بنفس الدور التعليمي الذي كان يقوم به جامع الزيتونة الذي واصل رغم ذلك اعطاء الدروس الدينية الى جانب وظيفته الأساسية كملتقى للمسلمين أثناء الصلوات الخمس أو عند صلاة الجمعة والأعياد.

ويعتبر جامع الزيتونة من الناحية المعمارية درة المدينة العتيقة وأروع طراز معماري عرفته المدينة إذ تحتوي القاعة الكبيرة على مالا يقل عن ١٨٤ عموداً يرى خبراء الآثار أنها قد تكون أخذت من الآثار

إعداد : أوس داوود يعقوب
ـ تونس ـ



جامع الزيتون
المعمور درة
المدينة العتيقة

القرطاجنية ووزعت في تصميم جديد. ومنذ ذلك الحين طرأت على المعلم عدة تحسينات أرادت كل عائلة حاكمة من خلالها أن تخلد بصماتها على هذا



دار حسيني

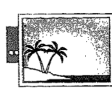
دار ابن عبدالله

** «المدينة العتيقة» ذاكرة أمجاد التاريخ

أما المكتبة التي يحويها الجناح الشرقي من المصلّى فقد أسسها السلطان أبو عثمان سنة ١٤٥٠.

وفي بداية القرن السادس عشر أضيف إلى الواجهة الأمامية للناحية الشرقية رواق من الأعمدة القديمة، فيما تمثلت مساهمة في تحسين هذا المعلم في إضافة ثلاثة أروقة تحيط بثلاث جهات من الساحة، إضافة إلى بناء صمعة جديدة عوضت سنة ١٨٣٤ ببرج يبلغ طوله ٤٤ متراً وقد استوحي تصميم هذا البرج من صومعة جامع القصبة التي الجامع الجليل.

ويتراءى للزائر مباشرة فوق المصلّى من جهة الساحة قبة البهو وهي إنجاز من أروع الانجازات المعمارية «الزريدية» للقرن الحادي عشر والتي تتعدد فيها الكواة (المشاكي) في انسجام بديع مع ألوان الحجارة.



تمتاز بطابع أندلسي بحت.

دار ابن عبد الله .. رحلة نحو الماضي:

ومن أهم كنوز المدينة العتيقة دار ابن عبد الله التي يرجع تاريخ بنائها الى ١٧٩٦ وهي تحفة معمارية فريدة من نوعها في المدينة العتيقة وقد تم تحويلها لمركز الفنون والتقاليد الشعبية التونسية. وتمثل زيارة هذه الدار أكثر من مجرد مغامرة.. انها رحلة في ماضي هذه الديار - القصور الفخمة - حيث يتغلغل الزائر في خاصيات الحياة العائلية الناعمة لسكان هذا المكان.

وبدخولنا الدار يحملنا ممر منعرج الى ساحة كبيرة غير مغطاة تنتشر حولها غرف الأسياد. التي أصبحت اليوم تمثل قاعات المتحف. أما مجموعة التحف الفنية فإنها تعكس نمط عيش البورجوازية التونسية في القرن التاسع عشر من خلال ذوق رفيع واختيار ذكي للبدلات التقليدية المطرزة بالذهب والجواهر والمرصعة بالحجارة الكريمة وغيرها من أدوات الاستعمال اليومي ذات الرقة والجودة العاليتين.

دار عثمان .. خصوصية أندلسية:

في نهج المبزع تقع دار عثمان التي تعد من أقدم قصور المدينة وأفخمها وقد بناها عثمان داي ١٥٩٤ - ١٦١٠ بعد غنيمة كبرى غنمها من احدى غزواته، وقد جعل (الدار - القصر) لاستعماله الخاص بعيداً عن (القصبة) - مقر الحكم آنذاك - ويحيط بهذا القصر كل من نهج المبزع ونهج الدباغين ونهج المجاهدين. وتمثل هذه الأنهج الثلاثة سوراً يفتح مباشرة على نهج المبزع كما بنيت أبواب تمنع الدخول إلى القصر. وقد شهد القصر وفاة عثمان داي سنة ١٦١٠ بعد أن قرر الإقامة فيها نهائيا.

وتتميز دار عثمان بواجهة فخمة رائعة يعلوها عمادان متشابهان يفصلهما قوس مقصب ومزين بعقد من الحجارة الملونة. كما يوجد في كل واجهة من واجهاته الأمامية عمود منضد من الرخام أما جدران الدريبة (بهو الدخول) فهي متكونة من أقواس صغيرة تعلو مقاعد مبنية.

ويمتد فناء القصر بين بابين ضخمين تعلوهما خمسة أقواس مقصبة تحمل عقداً منحوتة في شكل أركان من اللونين الأبيض والأسود ترتكز على أعمدة ذات تيجان أندلسية. ويتواصل تتالي هذه الأقواس مغلقة.

دار الحداد.. أقدم قصور المدينة:

وفي زنقة «القلش» شيدت دار الحداد وقد كانت تلك الجهة تقع في القرن السادس عشر جنوبي ضاحية بني خرسان ولذلك فهي تعد أقدم الديار التي بنيت في المدينة العتيقة.

وقد كانت منذ بداية القرن الثامن عشر على ملك عائلة الحداد وهي عائلة غنية من أعرق العائلات ذات الأصل الاندلسي التي هاجرت إلى تونس في غضون القرن السادس عشر وقدمت للأندلس العديد من شيوخها واشتهرت في تونس بصنع الشاشية - غطاء رأس الرجل - .

وتتميز دار الحداد بطرافة تصميمها ودقة سلمها وبساطة ورقة زخرفها. وتطوق الساحة من الجهات الثلاث أروقة الدار ذات الأعمدة قدالة الشكل

بتيجانها الحفصية بينما تحتوي الجهة الرابعة على ثلاثة كواة مستطيلة يوجد تحت كل من الكوتين الجانبيتين مقعد حجري مما يزيد المنظر شاعرية وجمالا.

وينبهر المرء عند الصعود للطابق العلوي إذ يحتوي على رواق يطل على الجهات الأربع وفي كل ركن منه أعمدة ترتكز على قاعدة مكسورة الزوايا يربط بينها «درابيز» من الخشب المصقول والمنقوش. وقد صممت واحدة من ضمن الغرف الستة الموجودة في هذا الطابق بطريقة فنية غير معهودة، فهي عبارة عن غرفة رئيسية الوسط تحيط بها أربع مقصورات جانبية صغيرة.

دار حسين .. لوحات خزفية رائدة:

بنيت دار حسين في المكان الذي بني فيه قصر بني خرسان خلال القرن الحادي عشر وقد بناه اسماعيل كاهية وزير وصهر علي باي (١٧٥٨ - ١٧٨١) ثم سكنه في بداية القرن التاسع عشر يوسف صاحب الطابع وزير حمودة باشا.

ويجد زائر الدار نفسه بعد مروره بسقيفتين متعاقبتين في ساحة ذات أعمدة رخامية ايطالية الأصل كتلك الموجودة في «دار ابن عبد الله» أما الجدران فغلفت بخزف «القلالين» الذي يتجاوب مع لوحات فنية رائعة من الخزف في شكل محاريب ذات مزهريات خلابة. بينما تشهد ركائز الاعمدة - من النوع الكورتياني الحديث - على براعة النحاتين الايطاليين.

وتحتفظ القاعة الرئيسية ومخادعها بالتصميم الكلاسيكي وتحيط بها المقصورات في ثلاثة من الغرف التي تطوق الساحة. بينما تمثل الغرفة الرابعة نزوة من نزوات يوسف صاحب الطابع فهي غرفة ذات شكل شبه مربع تحتوي على المخادع التقليدية لكنها مغطاة بأقواس مجصصة على شكل مزهريات تنبثق منها باقات من الورود المنقوشة على صورة جدائل ملتوية تغلف الجهات الأربع للقوس الرئيسي.

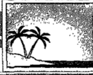
وقد ضمت «دار حسين» بعد ترميمها سنة ١٨٥٨ أول اجتماع لمجلس بلدي يترأسه الجنرال حسين ومن هنا جاءت تسميته بـ «دار العشرة» نسبة إلى الأعوان العشرة الذين كانوا يكونون المجلس.

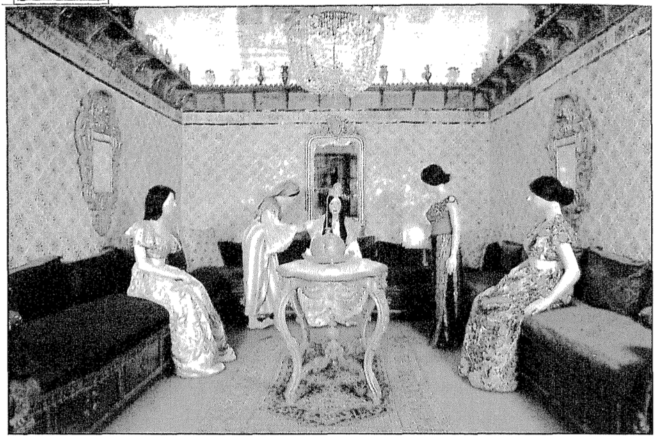
وفي سنة ١٨٨٢ دخل الجنرال «فور جمول» تونس على رأس الجيش الفرنسي من «مقر البلدية» مركز القيادة العسكرية بعد أن استقر فيه صحبة قيادته العامة كما هيأت المقبرة المحاذية للقصر لتكون ساحة واصبحت تعرف فيما بعد بساحة القصر.

وقد أصبح هذا القصر إثر اعلان الاستقلال ١٩٥٦ مقراً للمعهد القومي للآثار.

دار الباي .. أصالة العمارة المغربية:

على آثار البناءات المرادية في المدينة العتيقة أقام ولي العهد الحسيني سنة ١٧٩٥ هذه الدار التي زودها بطابق إضافي رائع. وقد تميزت الغرف المحيطة بالفناء جنوباً وشرقاً بفخامة وروعة خاصة أن بناة الدار استقدموا نحاتين وفنانين مغاربة خصيصاً للقيام بلوحات منحوتة على الجبس زادت دار الباي بهاء على بهاء إضافة الى النحوت والزخارف الاندلسية التي تعكس بصمات الفنانين الاسبانيين.





غرفة الحريم في دار ابن عبدالله

** تحف معمارية جعلت من المدينة كنزاً عالميا

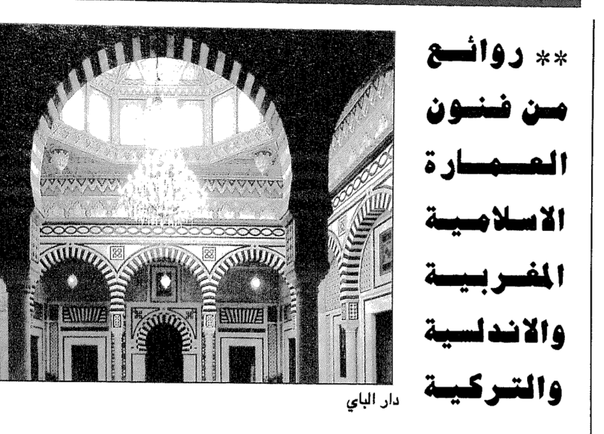
إلا أن أولياء العهد كانوا يفضلون الإقامة في قصر «باردو» على الإقامة في دار الباي التي تحولت إلى دار للضيافة. إلا أن هذا القصر فقد قيمته كقصر للضيافة غداة انتصار الحماية الفرنسية في تونس ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣ إذ أقيمت به الأقسام الإدارية بعد نقلها من قصر «باردو» وقد تحولت دار الباي بعد الاستقلال إلى قصر للحكومة.

تربة الباي.. من آثار الامراء الحسينيين:

في نهج حمل اسمها تقع «تربة الباي» في الجهة الغربية من المدينة العتيقة وهي تعتبر تربة فريدة من نوعها في تونس فواجهاتها الخارجية مزينة بالجص المستصفر وبأحجار وأعمدة ايطالية أما القباب التي تعلو الشرفة فإنها تتتالى وتتعدد بتعدد الغرف التي يحتويها هذا المعلم الذي يعود بناؤه إلى عهد الأمراء الحسينيين منذ كان علي باشا الثاني (١٧٥٨ ـ ١٧٨٢) أميراً على تونس.

وتحتوي هذه التربة الى جانب أضرحة العائلة الحاكمة على قبور وزرائها وخدمها الأوفياء ولما كان لأولياء العهد شغف كبير بكل من يشهد له بالبأس والقوة فقد خصصت لهم في هذه التربة قبور إما في الباحة (الساحة) أو قاعات خاصة. وأهم ما يجلب

** روائع من فنون العمارة الاسلامية المغربية والاندلسية والتركية



دار الباي

الانتباه بين كل غرف التربة - التي كانت تتوسع كلما دعت الحاجة الى ذلك - غرفتان تتميزان بخاصيات فريدة. إذ تحتوي الاولى على قبور مبلطة بالرخام الايطالي الملون، أما الغرفة الثانية فتغطيها قبة كبيرة بيضاوية الشكل مما جعل خاصيتها المعمارية أهم من خاصيتها التزويقية.

وتغطى القبور المنحوتة في الأرض بصناديق رخامية غنية بالنقوش تعلوها أعمدة رخامية «موشورية» مبلطة تحمل بالنسبة لقبور الرجال شكل «عمامة» أو «طربوش» من الحجارة المنحوتة أما قبور النساء فتحمل من جهة الرأس صفيحتين على كل واحدة منهما كتابة منقوشة.

تربة عزيزة عثمانة:

في زنقة الشماعية في قلب المدينة العتيقة تقع تربة خاصة بأميرة خيّرة أحبها التونسيون هي الأميرة عزيزة عثمانة المشهورة بأعمالها الخيّرة إذ اعتقت قبل وفاتها سنة ١٦٦٩ جميع عبيدها وخصصت جميع عقاراتها وأموالها «وقفا» للأعمال الخيرية، فأنشأت المستشفيات والصناديق المالية لتعتق بقية العبيد وفداء الأسرى وتجهيز الفتيات الفقيرات.

كما خصص جزء من ايرادات «الاوقاف» لشراء الورود لأن أمنيتها الأخيرة قبل وفاتها كانت أن توضع الزهور كل يوم على قبرها. وما أن يدخل المرء مدرج التربة حتى يفضي الي بهو مستطيل يطل على ضريح ينقسم الي ثلاثة أجزاء حيث يوجد ضريح الأميرة عزيزة عثمانة وخدمها. وعلى الشمال توجد غرفة خادميها وعائلتهما الجنازية. ويتميز الجزء الرئيسي لهذا الضريح بزخرفة هائلة من خزف

«القلالين» الملون يكسي الأرض والحائط وكسا الجص المنقوش كامل القبة من الداخل.

ومباشرة أمام بهو الدخول يوجد حائط خشبي يعوض الحائط الحجري في قاع الغرفة ويفصل بين تربة عزيزة عثمانة وزاوية الولي الصالح بن عروس.

ضريح سيدي بوخرسان.. آخر آثار بني خرسان:

تزخر المدينة العتيقة بأضرحة الأولياء الصالحين ولعل أشهر هذه الأضرحة ضريح سيدي محرز بن خلف وضريح سيدي قاسم الجليزي وضريح سيدي بوخرسان يقع في نهج بن محمود جهة الأسوار الشمالية الشرقية للمدينة.

ورغم أنه لم يبق من المقبرة التي تخلد سلالة بني خرسان الذين حكموا بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر إلا هذا الضريح بنصبه الجنائزية التي تشد الانتباه لما عليه من مخطوطات قيمة رغم ذلك فإن الضريح يحظى بعناية فائقة لتأثره بالمعمار الكلاسيكي المغولي ويعود تاريخ بناء هذا المعلم الى القرن الحادي عشر وترتكز القبة الكروية الرئيسية على موائد حجرية مستديرة مرفوعة بدورها على قاعدة مربعة الشكل مسندة إلى اربعة دعائم ضخمة.

جامع يوسف داي.. تحفة العمارة التركية:

في قلب الأسواق العتيقة شيّد الأمير يوسف داي ولي العهد الذي ورث عن والده عثمان داي بلداً مزدهراً منظماً جامعاً في بداية القرن السابع عشر إذ أراد أن يكون للأتراك الذين أصبحوا أكثر عدداً ويتمتعون بوضعية سياسية مستقرة أن يكون لهم مسجد يقيمون فيه صلواتهم على المذهب الحنفي - لأن سائر البلاد على المذهب المالكي - فكان أن شيد مسجده هذا الذي يعتبر المثال الأفضل لما حققه يوسف داي (١٦١٠ - ١٦٣٧) من إنجازات رائعة في ميدان الهندسة المعمارية. وان كان هذا الجامع التركي الأول في المدينة العتيقة لا يختلف في معماره عن بقية الجوامع الأخرى الموجودة آنذاك إلا أنه يتميّز في استبدال المنبر الخشبي بالمنبر المبني إلى جانب السدة (مصطبة عالية) التي يجلس عليها (الشيخ مرتل القرآن) إضافة إلى الشكل الجديد.

وهو ذو تخطيط مربع تحيط به أقواس عالية من كل جانب ترتفع بينها طوابق كبيرة ومنبسطة تزين أركانها أعمدة تزيد المكان بهاء وجلالا. وتحتل الصمعة الجهة الشمالية الشرقية من الجامع وترتفع إلى أعلى قاعدة مربعة. ويعد هذا النوع من الأصمع الثمانية الأضلاع الأول من نوعه في تونس والذي أثر عميق الأثر في تصميم الأصمع التركية فيما بعد. وتنتهي هذه الأبراج بشرفة مستديرة مغطاة بإفريز من الخشب وفوق هذه الشرفة توجد كوة ذات سقف قرمدي هرمي الشكل تمكن النور من التسرب إلى الداخل.

ومهما تحدثنا عن كنوز مدينة تونس العتيقة فإنه لا يمكننا الإحاطة بهذا الكنز الحضاري الملتف حول جامع الزيتونة من أنهج منازل أعيان وقصور للضيافة وخزانات الماء والمخازن وورشات العمل والمدارس والمقابر والحدائق والأسواق وغيرها من المعالم التي تزدان بها المدينة كأبهى وأجمل مدن العالم الإسلامية التي حافظت على رونقها وطابعها الأصيل رغم القرون الثلاثة عشر التي مرت عليها.

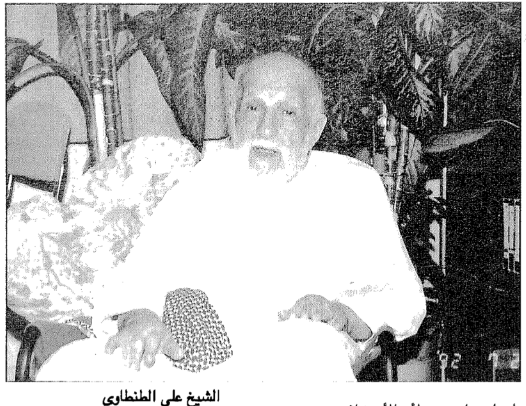
الشيخ / علي الطنطاوي

حين تلقيت نعي الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ على الطنطاوي خُيِّل إليَّ أنى تلقيت نعي أحد أفراد عائلتي، لأن صلتي الروحية به، كانت من الصلات الحميمة التي ترتبط بها النفوس لمعنى إنساني يفوق كل المعاني الرسمية المصطلح عليها، إذ كان في حميته الدينية وغيرته الاسلامية وتوهج مشاعره العربية ما يجعلني أتذوق خواطره تذوقا عذبا، وقد تكون هذه الخواطر غير جديدة على مثلي، بل هي مما استكنت في الفؤاد، وتغلغلت في الأعماق، ولكني حين أطالعها بقلم كاتب مؤمن متقد الأحاسيس أحس أني كشفت طيات متراكمة كانت تغلف أعماقي الدفينة، فجعلت أنزعها ورقة خلف ورقة حتى بدت السرائر شفافة رفافة! وكنت آخذ عليه شدة هجومه على مخالفيه، وأعدّ ذلك تسرعا لا موجب له، ولكن مرور الزمن بعجائبه المدهشة جعلنى أستسيغ هذا الهجوم في بعض مناحيه إذ أجد نفسي أحيانا أمام أناس يتنكرون لأشرف مبادىء الاسلام، ويعدونها تقهقرا للوراء، جريا وراء أهواء جامحه مريضة، وصاحب الأهواء المغرضة لا يعنيه دليل منطقي، أو يفحمه برهان عقلى بل يسدر في غلوائه متبججا متطاولا ولابد لهؤلاء من غضبة مضرية يقوم بها كاتب متوهج الأحاسيس من أمثال على الطنطاوى وأبي الحسن الندوى ومحمد الغزالي ممن رزقوا مع قوة الإيمان وصلابة اليقين حرارة الأسلوب وقوة الدليل.. أذكر أن أحد هؤلاء الأغرار تحدث عن الإسلام مهاجما في حضرة إمام كبير هو الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي شيخ الإسلام في مصر لمدى طويل، وقد ظن أن الإمام سيحتفل بالرد عليه في المجلس المشهود، ولكن الشيخ نظر إلى جلسائه وقال في ألم: إن الإسلام خسارة أي خسارة أن ينتسب إليه أمثال هؤلاء، هو أعلى قدراً من أن يعزى إليه كل أفاق ممسوخ، إذ لا يجب أن ينتسب إلى الاسلام إلا كل رجل شريف! وأطرق الشيخ محركا رأسه في امتعاض، وأحس المتطاول بحرجه فانسحب من المجلس ونظرات الازدراء تنوشه كالسهام!.

عرفت الأستاذ الطنطاوى أول ما عرفته من مجلة الرسالة إذ كان كاتبا مرموقا من كتابها الكبار، وهم حينئذ من أعلام المفكرين في الشرق العربي، غير أن اتجاهه الصارخ كان يضعه مع الكوكبة المؤمنة من كتابها أمثال مصطفى صادق الرافعي ومحمد أحمد الغمراوي ومحمود محمد شاكر وعبد الوهاب عزام وعبد المنعم خلاف، وكلهم خيار من خيار وقد يفوقهم في ترصده لكل نزوة تصدر من كاتب مسرع، فيناقشه الحساب مناقشة دقيقة غير عابئ بمكانته الرسمية في وظيفته اللامعة، مع شدة يحاول الأستاذ الزيات أن يلطف من حدتها بحذف ما يراه إيغالا في التهكم، وحسنا فعل، لأن المنطق الأصيل يبلغ من قارىء الرسالة مالا يبلغه اندفاع عاطفي قد يُضائل من سلامة الاتجاه، والطنطاوى يحمد لصاحب الرسالة ما صنع، ويكتب إليه شاكرا.

وأول لقاء شخصى لي مع الأستاذ على الطنطاوي كان في منتصف الأربعينيات تقريبا، حيث انتدب الأستاذ لمدة عامين في بعثة قضائية لدراسة أحوال المحاكم المصرية مع زميل له من رجال القضاء السوري أظنه الأستاذ نهاد القاسمي، وكانت فرحته كبيرة بلقاء أسرة الرسالة وصاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات فكان لا يكاد يترك إدارة المجلة إذا انتهى من عمله

بقلم : أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر ـ



الشيخ على الطنطاوي

الرسمى في زيارة المحاكم المختلفة، وقد رحب به الأستاذ الزيات ترحيباً كبيرا تحدث عنه الأستاذ الطنطاوي في بعض مقالاته، كما أخبره الزيات أن مقاله عن «الأدباء الرسميون» كان موضع غضب من الأستاذ الجارم إذ ظن الشاعر الكبير أنه هو المعني بكلمتى (المفتش الكبير) وهو ظن له ما يبرره لأن الأستاذ الطنطاوى حمل من قبل ذلك على الأستاذ الجارم حين نقد بعنف قصيدته التى ألقاها في حفلة التأبين الخاصة بالملك غازى ببغداد ومطلعها:

بكينا النضار الحرَّ والحسب العدا
بكينا فما أغنى البكاء ولا أجدى

وقال إن معانيها مأخوذة من دواوين الشعراء السابقين، ثم جاءت العطلة الصيفية للأستاذ الزيات فسافر إلى قريته بالدقهلية، وترك للأستاذ الطنطاوى أن يشرف على تحرير الرسالة مدة غيابه، وكنت أرسلت للرسالة مقالا تحت عنوان (الغزل في شعر المرأة) فنشر سريعا، ثم أرسلت المقال الثاني وظهرت عدة أعداد دون أن ينشر بها المقال، فتوجهت إلى دار الرسالة لأرى الأستاذ الطنطاوى يجلس على مقعد الأستاذ الزيات ويدير شئون التحرير، فتقدمت إليه ذاكرا اسمي وسائلا عن المقال المحجوب، فقال الطنطاوى مبتسما، إن المقال الأول رائع رائع وقد نُشر سريعا لطرافته، ولكن المقال الثانى يتحدث عن شعر الجوارى وأشباههن وفيه من الغزل المكشوف مالا يجوز أن يظهر في مجلة الرسالة، قلت متسرعا، ولكنه ليس مكشوفا إلى الحد الذى يجعله محرما على القراء، وقد قرأت للأستاذ الطنطاوى استشهادات مماثلة، فتوقعت أن يغضب، ولكنه ضحك، وقال نعم فعلت ذلك، حين كنت في مثل عمرك الصغير، ولكني استغفر الله مما صنعت، ووالى ابتسامه وهو يقول، أذكر أنى كنت معجبا كل الإعجاب بقصائد الشريف الرضى التى تسمى بالحجازيات، وفيها وصف بارع للحاجات من الحسان، وحنين الى مطارح الصبابة في مكة ومنى وسلع والخيف، ثم بدا لى بعد أن مدحت هذا الاتجاه أننى كنت مخطئا في الإعجاب به، وما أظن الشريف على جلالة قدره إلا كان مقلداً للشاعر الأموى عمر بن أبي ربيعة، وهو شاعر غير ملتزم، وقد فتح بذلك مجال القول في أماكن الحج لأمثال مهيار الديلمي، والابيوردى والطغرائى، فقالوا كثيرا دون تحفظ، لذلك أعلن الآن رفضى لهذا الاتجاه، وأرجو أن تسمح لي بحذف بعض الأبيات (الجارحة) من مقالك، لأنشره في العدد القادم، فقلت له الأمر أمرك، وفعلا ظهر المقال الثاني بعد حذف يسير، أعجبت بالأستاذ حين وجدته ينقد نفسه نقدا ذاتيا، إذ يقرر رجوعه عن رأيه في الحجازيات وأنا لا أقره على هذا الرجوع لأن الشعراء يقولون مالا يفعلون، ولكنى أقدر الصدق مع النفس،

وهو من طبيعة الشيخ على الطنطاوى، عرفت ذلك في موقف آخر، فقد كنت ذات مساء في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، فشاهدته يجلس مع الأستاذ عبد المنعم خلاف، وكان قد كتب مقالا شديد اللهجة خاصا بنقد الأستاذ أمين الخولى تجاوز فيه النقد إلى الناقد، إذ أن الأستاذ الخولى قد تورط في الدفاع عن رسالة جامعية أشرف على إعدادها تحت عنوان (القصص الفني في القرآن) وقد رفضها زميلاه في الجامعة الأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد الشايب لأنها تجعل القصة القرآنية أدبا فنيا لم يلتزم الصدق الواقعى، وهذا خطأ صريح، ثارت من أجله عشرات الأقلام في مصر، وأدلى الأستاذ عليٌ بدلوه، فعمد إلى تجريح الأستاذ أمين الخولى إذ قال من كلمة نشرها بمجلة الرسالة بالعدد الصادر في ١٩٤٧/٩/٢٢م موجها الخطاب للأستاذ الخولى:

«أغرّك حلم الله عنك، وأنه مدَّ لك حتى صرت تُعطي الدكتوراه، وأنت لم تأخذها، وتمنح العلم وأنت لا تملكه، وتؤلف في البلاغة وما أنت منها في شيء، ولا أثر عنك بيان غطّى على بيان الجاحظ وأبي حيان والرافعى والزيات ولا أنت صاحب نثر ولا شعر، وقصارى أمرك أنك أدخلت على طلاب لا يفهمون من البلاغة شيئا، فمخرقت عليهم وزعمت لهم أنك إمامها ومؤذنها وخطيبها» الى آخر ما ينحو هذا النحو.

أجل كان الأستاذ الطنطاوي قد كتب هذا المقال قبل أن ألقاه بالجمعية بيومين، فرأيتها فرصة طيبة لمجاذبته الحديث، وسلمت عليه، فردّ التحية بأحسن منها، ثم هجمت على الكلام دون مقدمة، فقلت له إن مقالك عن الأستاذ الخولى لم يصادف ارتياح الكثيرين، لأنك تحدثت عنه ونسيت الموضوع الأدبى الذي دار حوله النقاش، وكان الأولى أن تتجه إلى مناط الخلاف فتكشف عنه ببيانك المعهود، قلت ذلك، وانتظرت أن يغضب لهذا الهجوم الذى توقعته سلفاً، ولكنى فوجئت به يضحك ثم يقول: هذا بعض ما تحدث به الكثيرون ممن لاقيتهم، حتى أخى خلاف هذا؟ وأنا قد تسرعت فعلا، ولكن لذلك سببٌ لا شعورى لم أستبنه من قبل، وتهيأ لى الآن، فقد دارت شبه معركة بينى وبين الأستاذ الخولى منذ أعوام على صفحات الرسالة بشأن صلة الفقه الإسلامى بالقانون الروماني، إذ ذهب الأستاذ الخولى إلى تأثر هذا الفقه المحمدي الصريح بقانون جوستيان، وعزّ عليَّ ذلك فهاجمته هجوما حذف الأستاذ الزيات بعضه، وكان كأنه نار تشتعل، وعزَّ عليَّ ألا أفضى للقراء بكل ما أريد أن أقول عن الشيخ الخولى، وكتمت السهم في كبدى كما يقول شوقى، فلما حانت فرصة الحديث عن القصص الفني اندفعت لا شعوريا باحساسي القديم، فكتبت شبيها بما حذفه الأستاذ الزيات، وخيّل اليّ أنى شفيت صدرى، ولكنّ ما وُجه اليّ من نقد سيعيدني إلى الصواب، هكذا قال الرجل الصريح.

الحق أنى أعجبت بالأستاذ سلوكا كما أعجبت به أدبا، فهو سهل العريكة في حديثه، يستمع إلى الرأى المخالف فيحتفل به، ويخيل اليّ أن اندفاعه الكتابي في بعض الأحيان يأتي من تأثير عاطفة حادة تملك عليه مشاعره، فلا يستطيع انفلاتا من توهجها الحار، وقد عرفت أنه كان بدمشق أيام الثورات السياسية خطيبا ذا شأن، والخطيب لا يفكر كثيرا فيما يتحدث به، كما يفكر الكاتب المتئد، وهنا سيطرت الروح الخطابية على بعض آثاره، وهى روح محمودة دون نزاع، لأن الرجل ينقل عن إحساس صادق، ولا يموه على سامعيه، ولابد أن يجد المخالف، إذ لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة.

ثم مضى أكثر من عشرين عاما لم أقابل الشيخ، حتى هيئت لي الرحلة إلى المملكة العربية السعودية أستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود، فعلمت ذات ضحى أن الأستاذ الطنطاوى يجلس في حجرة المدرسين مع نخبة من الزملاء حيث وفد زائرا للرياض لبضعة أيام، فأخذنى شوق الى لقائه، ولم يبدُ عليه أنه يعرفنى، وهو طبيعى في ذلك إذ لا تكفى مقابلتان عابرتان منذ زمن بعيد لأن يتذكر شاباً بين مئات من الشباب ناقلوه بعض الحديث، فجلست مستمعا، ولكن الرجل سأل عنى، فذكرت له اسمى فرحب بي ترحيبا كبيرا، وقال متواضعا يا أخى نحن زملاء في أسرة الرسالة، قلت يا سيدى لسنا زملاء فقد كنت في

الأسرة أستاذا كبيرا، وأنا تلميذ ناشيء، فضحك وقال كم من تلميذ فاق الأستاذ، قلت له ولكن في غير أساتذة الرسالة! وكان الشيخ أيامها صاحب برنامج تليفزيوني شهير يجيب فيه أسبوعيا على أسئلة القراء، وكنت حريصا كل الحرص على استماعه، لأنه لم يكن خاصا بالفتاوى الدينية وحدها، ولكنه يشمل شئونا من أنواع الثقافة الإسلامية أدباً وتاريخا ولغة، ومَنْ مثل الطنطاوى في أحاديث الأدب والتاريخ، وقد لاحظت أنه فى بعض إجابته عن السؤال الديني، يذكر حُكمين مختلفين، فيقول أجاز الشافعى وحرّم مالك، وهذا ما يوقع السامع في لبس، فقلت له يا سيدى أنا أتابع برنامجك الرائع في شوق لا حد له، ولكنك فى بعض الأحيان تذكر حكمين مختلفين في المسألة الواحدة، ويخيل اليّ أن الاقتصار على ما يكون راجحا لديك أولى، فهز الرجل رأسه كالذى يخفى لواعج في نفسه، وقال في نبرة حزينة يا أخى! ماذا أصنع؟ إذا ذكرت الرأى الذى استريح له، أجد من يكتب في الصحف لا مخطئا فقط، بل مُسفها وموبخا، وأجد من يستعدى عليّ المسئولين، وكأنى أخطأت في كتاب الله، واضطر الى الرد، ثم رأيت أن أذكر الحكمين معا، ليعلم من يعترض أنى أجبت عن بحث، وأنا لا أترك الأمر مضطربا بل أرجح ما عنّ لي ترجيحه، وقد عانيت في سوريا أثناء القضاء بعض ما أعانى الآن.

وكان السامعون لحديث الشيخ في يقظة تامة، فأخذوا يباركون اتجاهه، ويسألون له التوفيق والسداد، أما ا للقاء الأخير فقد كان (بجدة) في منزل صهره العزيز الأستاذ نادر حتاحت حيث صحبنى الى زيارته نفر من الكرام أذكر الأساتذة عبد الفتاح أبو مدين ومحمد على دولة، ومجد مكى، وقد كان الشيخ هادئا يجلس على كرسيه متأملا وكأنه حين قابلنى يستذكر تاريخ شبابه في مصر حين كان طالبا بدار العلوم، وتاريخ كهولته حين كان مندوباً لوزارة العدل، وقد قرأت في وجهه معانى كثيرة جاش بها خاطرى، وكأنه أراد أن يزيل ما استشعرته من الهيبة، فقال لا أزال أذكر مقالاتك بالرسالة التى كنت أحرص على نشرها حين قمت مقام الزيات في رئاسة التحرير، وتدفق الحديث، فأخبرته بأن تمثيليته (أبو جهل) التى نشرها بالسنة الثالثة بمجلة الرسالة قد سبقت كتاب (محمد) لتوفيق الحكيم، وهو عدة مشاهد من السيرة النبوية سيقت في نسق تمثيلي، فابتسم الرجل وقال: هذا صحيح، ولم يلتفت إليه غيرك، قلت له من يدرى فمثلي كثيرون ممن يتابعون آثارك؟ ثم تطلع إليّ قائلا: وماذا من هذا القبيل لديك؟ قلت: إنك أول من دعا إلى كتابة مؤلف عن الدين الإسلامي سنة ١٩٣٨ يصلح أن يترجم الى اللغات الأوربية من ناحية، وأن يكون زاداً للشباب الغافل الذى لا يستطيع أن يقرأ كتب التراث لصعوبة منحاها وقد دعوت كُتّاب الرسالة إلى كتابة هذا المؤلف مبتدئا بالفصل الأول. وكان الفصل الثاني بقلم صديقك الأستاذ محمد بهجت البيطار، فشد الرجل على يدى، وقال لم أجد من يتابع القول بعد الشيخ بهجت، فرأيت أن أنفرد بالتأليف، وقد ظهر الكتاب، وطبع عدة طبعات وسأهديه إليك مع مجموعة متواضعة من مؤلفاتى! ولعلي أذكر أنى اقترحت عليه أن يجمع مقالاته الخاصة بمصر لتنشر في كتاب مستقل، كما فعل في كتبه عن دمشق وبغداد ومكة فرحب بالفكرة، ولم أشأ أن تفوت، فقد بحثت عن هذه المقالات في مجلدات الرسالة، وكتبت فهرسا عنها يشمل أرقام الأعداد وتاريخ صدورها، وأرسلته إلى صهره الأستاذ نادر حتاحت، ولا أدرى إذا كان قد نشر ما وعد بنشره من هذه المقالات أم حالت دون ذلك موانع هو أعلم بها! لقد واصلت ذكريات الأستاذ لأسليّ عنه راجعا إلى ذاكرتى المتواضعة، وما فاتنى أكثر مما ذكرت فكان مجلسا تاريخيا يذكّر بتغيرات مجهولة في تاريخ الرجل المجيد، وحين رجعت الى الفندق، وجدت رسول الأستاذ الطنطاوى يحمل صندوقا يجمع مؤلفاته كلها، وهو هدية لا أقدر أن أفى حقها من الشكر، على أنى حرصت على أن أبلغه تحياتى مع كل وافد من جدة وإليها، وأحسن ما سرّنى من إجابته على هذه التحيات هو ما قاله الأستاذ مجد مكى من أنه يدعو لى! وأكرم بدعوته وساماً روحيا أسعد به وأعتز.

هذا بعض ما يحضرنى عن الراحل الكريم، وقد أرجع الى حديثه بعد حين.

فقيد البيان
«علـــي الطنطـــاوي»

مـات البـيـان فـأين أين بيـاني
بالأمس مات فقيهنا في عصره[*]

ياليـتـهـا تجـري به ألحـاني
واليـوم غـاب بليـغنا المتـفـاني

الشـيخ مـات فـودعي يا أمـتي
عـاش الحـيـاة مـجاهداً في ثغره

شـيخ البـيـان العـالم الرّباني
وبدينه قـــد هـام في الأوطـان

مـاذا سـأكتب والقـصيـدة ودعت
بـاع الحــيـاة مطلقـا لذاتهـا

تبكي زمـــان الذل والإذعـــان
وهـوى الممـات بطاعـة الرحـمن

مـاذا سـأكتب هل يطاوعني فـمي
قـد كـان يدعـو للجـهـاد بقـوله

والقلب شُلّ بسـرعـة الخـفـقـان
وبفـعله ويصـيح يا إخـواني

مـاذا سـأكتب والحـروف تاكلت

والشـعـر ملَّ مـرارة الأحـزان

شعر : أبو عبدالرحمن حفيظ الدوسري
- السعودية -

هذي هي الذكرى تلوح بخاطري

والذكريات طغت على أوزاني

مازلت تكتب ذكرياتك مسعفاً

بالخير من صدق ومن إحسان

حتى قرأناها فأعجبنا الذي

قد كان يجرى منك في الريعان

ولكم غنمنا حين كنت تزيدنا

علماً وترفدنا بغير تواني

أمطرتنا فأفدتنا يا شيخنا

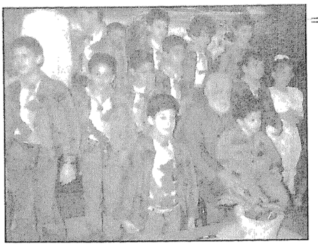
وكسوتنا حُللا من الإيمان

علمتنا الإخلاص في كلماتنا

وسقيتنا نبعاً عزيز الشان

يا شيخ كنت معلما ومهذبا

تحنو على الدنيا بفيض حنان



الشيخ الطنطاوي مع أحفاده

قد كنت تبكي القدس وهي جريحة

وتقول أين كتيبة الشجعان

قد كنت تحرص أن تكون كوحدة

أو مثلما البنيان للبنيان

قد كنت تروي سيرة الأصحاب في

تاريخك المملوء بالريحان

قد كنت تسبقنا إلى ركب العلا

سيان أشياخي مع الشبان

---

[*] سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - عليه رحمة الله ورضوانه -

قراءة في آثار الشيخ (علي الطنطاوي)

رحمه الله تعالى - (١٣٢٧ - ١٤٢٠ هـ)

تعد وفاة الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالي - خسارة عظيمة للأمة العربية والاسلامية ، فبموته فقدت الساحتين الدينية والأدبية علما بارزا من أعلامها ، ظل يخطب ويكتب ويجاهد أكثر من نصف قرن ، فما فترت عزيمته ، ولا لانت قناته علي كبر سنه وضعف بدنه .

،الطنطاوي الشيخ والأديب والفقيه والمؤرخ موسوعة عظيمة لا يعرف قدرها الا من نهل منها أو استمع الي حديثها أو قرأ في صفحاتها

ولد الطنطاوي في دمشق في حي (العقيبة) وبها نشأ وترعرع وتعلَّم في مدارسها ونال شهادة الثانوية من (مكتب عنبر) أحد منارات العلم في ذلك الوقت ، وتلقي علومه علي أشهر أساتذة الشام في ذلك الوقت أمثال : عبدالرحمن سلام البيروتي ، وسليم الجندي ، وقدري باشا ، ومحمد النبرم - رحمهم الله جميعا - وكانوا يعلمون الطلاب العلم والعمل معا . وقد كتب الطنطاوي - رحمه الله - عنهم قائلا : « لقد أقام الشيخ سلام معنا أشهرا ثم عاد إلي بلده ، فعين أمينا للفتوى في لبنان ، وجاءنا من بعده الأستاذ سليم الجندي ، لقد ماتا وما أعرف تحت قبة الفلك أعلم منهما بالعربية وعلومها ، ولقد كانا أشد المدرسين تأثيراً في تكويني اللغوي والأدبي ، رحمة الله عليهما وعلي أساتذتنا جميعا . أما المبارك فقد كان الامام في اللغة ، والمرجع فيها ، قيد أوابدها وجمع شواردها ، وحفظ شواهدها ،وكان أعلم العرب بالعرب ، عرف أيامهم ، وروى أشعارهم ، وكان المفرد العلم في بابه ، لا أعرف نظيرا له في العلماء ، تحس إذ تجالسه وتسمع منه كأن الأصمعي وأبا عبيدة قد تمثلا لك في جبته ، وكأن ماكنت تقرؤه من أخبار الرواة والحفاظ ، قد عاد لك حتي رأيته بالعيان . لقد كثر اليوم الأساتذة من حملة الشهادات وأصحاب الدكتورات ، ولكن ذلك الطراز لم يعد له وجود . أما درسه ، فما حضرت علي كثرة ماحضرت من الدروس درسا أكثر منه حياة ، وأبقي في نفس سامعه أثرا ، إن نغمته لا تزال إلي اليوم في أذني وكلماته في قلبي » (١)

وعلي مثل هذه الصفوة المباركة من الأساتذة تلقي الطنطاوي علومه وجد واجتهد وأقبل علي الكتاب يقرؤه قراءة فهم وعقل ، حتي أصبح الكتاب أنيسه وجليسه وخليله ورفيقه ، يقول عن نفسه : « لقد قرأت قبل (مكتب عنبر) وفي سنواتي الأولي فيه كتبا لا أكون مبالغا ، ولا مدعيا مغرورا ، إنْ قلت إن في الأساتذة اليوم من لم يقرأها ، ذلك أني كنت أمضي وقتي كله ، إلا في ساعات المدرسة ، في الدار ، لم أتخذ لي يوما رفيقا من لداتي ، ولا صديقا من أقراني ، ولم أكن (بحكم تربيتي ووضع أسرتي) أعرف الطريق إلي شيء من اللهو الذي كان يلهو بمثله أمثالي ، فلم يكن أمامي عمل أنفق فيه فضل وقتي وأشغل به نفسي ، إلا المطالعة . وكانت في دارنا مكتبة كبيرة ، وهي دانية مني ، كتبها كلها تحت يدي ، ولم أكن (لشغل أبي عني) أجد من يرشدني ويدلني ، لذلك كنت أسحب الكتاب لا أدري ماهو، فأفتحه فأنظر مافيه ، فإن لم أفهمه ، أو فهمته ولكن ما أسغته ، أعدته ،



بقلم : أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي
- السعودية -

وقد علق في ذهني اسمه ، وإن فهمته وأسغته قرأته » (٢)

لقد ربي الطنطاوي - رحمه الله تعالي - نفسه تربيه دينية وفكريه وعقلية ، وغذّى نفسه بأنواع العلوم المختلفة ، التراث العربي بكل فنونه ، والآداب الأجنبية التي وقف عليها بذاته واختار منها ما يناسب عقيدته السلفية وتربيته الملتزمة . لم يكن - رحمه الله - يتعلم أو يعلم اللغة والأدب علي أنه حمل لابد أن يلقيه عن عاتقه ، بل علي أنه جمال وذوق لابد أن نكتشفه ونتذوقه ، يقول : « كنت أدرس الأدب لا علي أنه واجب مدرسي ، بل علي أنه إمتاع نفسي ، كنت أشعر الطلاب لذته وجماله ، وإن لم أقصر في إكمال المنهج ، وإعداد أسباب النجاح في الامتحان . وكنت مع طلاب أولي ذكاء وفطنة ، وأدب وتقدير للمدرس ، ففتح الله عليّ بأشياء ألهمتها وما سبقت إليها ، منها أن كتب تاريخ الأدب التي كانت تدرس يومئذ في المدارس في مصر وفي غيرها ، كانت تنسب لابن المعتز الموشح المشهور :

أيها الساقي إليك المشتكي
قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غُرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استرسل في سكرته
جذب الزقَّ اليه واتكي
وسقاني أربعا في أربع

فأمليت علي الطلاب شكي في نسبة هذا الموشح إلي ابن المعتز ، ودللت علي ذلك بأدلة منها : أنه لا يشبه أسلوب ابن المعتز ، الثاني : أنه لو كان له لقلده شعراء من أهل عصره ولكثرت الموشحات ، ولم يجيء فلتة لا نظير لها ، وأدلة أخرى أمليتها عليهم ثم مرت الأيام ، فتبيَّن للباحثين أن الموشح ليس لابن المعتز»[٣].



بعض مؤلفات الشيخ علي الطنطاوي

وقد استطاع الطنطاوي - رحمه الله تعالي - أن يمسك بالقلم في سن مبكرة ويدخل في عالم الصحافة ، ففي عام (١٣٤٤) نشر مقالة في مجلة (المقتبس) ورحل إلي خاله العالم الأديب محب الدين الخطيب - رحمه الله تعالى - في مصر ، وشارك في تحرير مجلتيه : الفتح والزهراء (٤)

لقد كتب الطنطاوي مئات المقالات وعشرات الكتب وكان بارعا في أسلوبه ، ماهرا في جذب نفوس الناس الي مادته ، وقد تأثر بأئمة الأدب الذين قرأ لهم مثل : طه حسين وأحمد حسن الزيات والعقاد والمنفلوطي ومحمد كرد علي وخير الدين الزركلي وغيرهم من شعراء وكتاب وعلماء دين .

يقول رحمه الله عن محمد كرد علي : « أما محمد كرد علي فهو أستاذنا وأستاذ كل من خط في الشام بقلم في مطلع هذا القرن الميلادي ، ذلك أنه أول من رسم لهم الطريق ، وأول من عَبَّد لهم الجادة»[٥]

وتعد رسائل الاصلاح التي كتبها عام (١٣٤٨هـ) من أفضل ما كتب في بابه آنذاك ، فقد نفع الله بها

خلقا كثيرا وتحدث المجتمع عن نفعها وثمرتها في الاصلاح الذي نشدته .

جاء في مقدمة تلك الرسائل « اللهم إن هذا دينك الذي بعثت به نبيك ، وهذا كتابك الذي أنزلت به وحيك، وهؤلاء عبادك الذين أمرتهم باتباعه، وأوحيت عليهم العمل به، اللهم إنهم قد ضلوا (أو ضل أكثرهم) سبيلك واختلفوا في دينك ، وتفرقوا شيعا ، فأضاعوا عزهم ، وودعوا مجدهم ، وعاشوا وهم أكثر ماكانوا عددا ، أشد ماكانوا ضعفا ، اللهم هيئ لهم وليا من أوليائك ، يرشدهم إلي طريق الهدى ويدلهم علي سبيل السداد ، ويُبدّلهم بالشتات اتحادا ، وبالضعف قوة ، وبالذلّة عزا ، وبالجهل علما ، وما ذلك على الله بعزيز»[٦]. ثم بدأ رحمه الله يتحدث عن توحيد الله عز وجل ، وعن أثر ذلك علي الفرد والمجتمع ، وعرج علي ذكر الاسلام والايمان وأركانهما وأثرهما في حياة الانسان بأسلوب سلس أخّاذ .

أمسك الطنطاوي - رحمه الله تعالي - القلم حاملا إياه بأمانة وصدق لمدة تزيد علي ستين عاما ، يكتب ويلخص وينقد ويدافع بأسلوبه الأدبي الرائع ، حتي ترك لنا ذخيرة ثمينة من المؤلفات نذكرها هنا حسب تاريخ تأليفها :

في عام (١٣٤٨ هـ) ألّف كتابين هما :

١- رسائل الاصلاح

٢ - بشار بن برد

في عام (١٣٤٩ هـ) ألّف كتابين هما :

٣ - رسائل سيف الاسلام

٤- الهيثميات

في عام (١٣٥٢ هـ) ألّف كتابا واحدا هو :

٥- عمر بن الخطاب (جزءان)

في عام (١٣٥٣ هـ) ألّف كتابا واحدا هو :

٦ - في التحليل الأدبي

فى عام (١٣٥٥ هـ) ألّف كتاباً واحداً هو :

٧ - كتاب المحفوظات

فى عام (١٣٥٨ هـ) ألّف كتابين هما :

٨ - فى بلاد العرب

٩ - من التاريخ الإسلامي

فى عام (١٣٧٨ هـ) ألّف عدة كتب هي :

١٠ - مقالات في كلمات

١١ - في سبيل الإصلاح

١٢ - دمشق

فى عام (١٣٨٠ هـ) ألّف عدة كتب هي :

١٣ - بغداد

١٤ - مع الناس

١٥ - فكر ومباحث

١٦ - في أندونيسيا

١٧ - الجامع الأموي

١٨ - فصول إسلامية

١٩ - هتاف المجد

٢٠ - سلسلة حكايات من التاريخ

فى عام (١٣٩٨ هـ) علّق وراجع كتاب :

٢١ - صيد الخاطر

فى عام (١٣٩٩ هـ) ألّف كتاباً واحداً هو :

٢٢ - سلسلة أعلام التاريخ

فى عام (١٤٠٠ هـ) ألّف :

٢٣ - من نفحات الحرم

٢٤ - قصص من الحياة

فى عام (١٤٠١ هـ) ألّف كتاباً واحداً هو :

٢٥ - من حديث النفس

فى عام (١٤٠٢ هـ) ألّف :

٢٦ - صور وخواطر

فى عام (١٤٠٣ هـ) ألّف :

٢٧ - أخبار عمر

٢٨ - قصص من التاريخ

فى عام (١٤٠٥ هـ) بدأ بنشر :

٢٩ ـ ذكريات علي الطنطاوي

وقد تم نشرها فى ثمانية أجزاء فى عام ١٤٠٩ هـ عن دار المنارة بجدة

فى عام (١٤٠٦ هـ) صدر له :

٣٠ ـ رجال من التاريخ

٣١ ـ أبو بكر الصديق

٣٢ ـ فتاوى الطنطاوي

فى عام (١٤٠٩ هـ) صدر له :

٣٣ ـ (تعريف عام بدين الإسلام) وهو آخر مؤلفاته وأعظمها أثرا ونفعا فى الناس ، وقد طبع أكثر من طبعه الى لغات عالمية عديدة .

هذا ماتم الوقوف عليه من مؤلفاته ، وقد صرح رحمه الله بأنه كتب رسائل وكتباً ضاعت منه في أول حياته ، وقد طبع بعضها في بعض المجلات والبعض الآخر لم يطبع .

يقول عن نفسه رحمه الله : « وكتبت مالم يكتب أكثر منه ممن أعرف الا قليل كالأمير شكيب أرسلان والأستاذ العقاد وأمثالهما ... والذي نشر مما كتبت يزيد علي ثلاثة عشر ألف صفحة ، وماضاع مني مثله أو أكثر منه ، منها مقالات كان لها في حينها ضجة كضجة مدفع رمضان ، يوقظ النائم ، ويسر الصائم ، ويغيظ المفطر الآثم»[٧] .

وكما قدمنا قبل أسطر : إن اسلوب الطنطاوي يضاهي أساليب الأدباء الكبار في مصر كالرافعي والمنفلوطي وأحمد أمين وأحمد الزيات وغيرهم من النخبة الشهيرة في ذلك الوقت . وكي يزداد القاريء قناعة أسوق له قطعة من كتاب « قصص من التاريخ » وهذه القطعة دليل ناصع علي براعة الطنطاوي في الكتابة النثرية . يقول ـ رحمه الله تعالي ـ

« والله الذي أمال الزهرة علي الزهرة حتي تكون الثمرة ، وعطف الحمامة علي الحمامة حتي تنشأ البيضة ، وأدني الجبل من الجبل حتي يولد الوادي ، ولوى الأرض في مسراها علي الشمس حتي يتعاقب الليل والنهار، هو الذي ربط بالحب القلب بالقلب حتي يأتي الولد ، ولولا الحب ماالتف الغصن علي الغصن في الغابة النائية ، ولا عطف الظبي علي الظبية في الكناس البعيد ، ولا حنا الجبل علي الرابية الوادعة ، ولا أمد الينبوع الجدول الساعي نحو البحر . ولولا الحب مابكي الغمام لجدب الأرض ، ولا ضحكت الأرض بزهر الربيع ، ولا كانت الحياة » (٨)

ويقول في كتابه « صور وخواطر » :

« لبنان الذي كان يوما دار الأولياء والشعراء ، والسياح والزهاد ، من كل عابد متبتل ، ومحب هائم ، وتائب أواب . لبنان الذي جعل الله ماءه خمرا ، وجماله سحرا ، فلا تدري أهو السحر قد خيل لك أنك في جنة الخلد . أم هو السكر قد جعلك تحس التخلص من هذا العالم ، الغارق في الدم، المتحف باللهب . لبنان الذي لا تدري أي شيء فيه هو أجمل : أذراه التي تبرقعت ببراقع الثلج فلم تبصرها عين حي من يوم خلق الله العالم ، فعز بالحجاب جمالها ، حين ذل بالسفور الجمال ، أم سفوحه الحالية بالصنوبر ، أم القرى المنثورة علي تلك السفوح ، أم ينابيعه المتفجرة تفجر الحكمة علي لسان نبيّ ، أم أوديته الملتوية التواء الفكرة في رأس أديب لا يملك البيان عنها .. » (٩)

لقد درس الطنطاوي اللغة العربية دراسة عميقة وأحاط بفنونها وآدابها وقواعدها . ويعد كتاب (المطالع النصرية) من أوائل الكتب التي حفظها الطنطاوي في قواعد اللغة العربية ، وقد أثني الطنطاوي علي مؤلفه « نصر الهوديني » وشكره في ذكرياته . (١٠)

وعن حبه وجهاده في تعلم قواعد اللغة العربية يقول ـ رحمه الله تعالي ـ « كنا في سنة ١٩٢١م نقرأ في الصف السابع (أي في السنة الأولي المتوسطة) كتاب (قواعد اللغة العربية لحفني ناصف وإخوانه) ونحفظه ونؤدي الامتحان فيه ، بل ندخل بين كل صفحتين منه

صفحة نكتب فيها مانضمه إليه مما نستفيده من دروس أساتذتنا . هذا الكتاب لو وعاه أستاذ العربية، ووعاه الأديب واقتصر عليه لكفاه ، فكم الذين يعرفونه من الطلاب الآن؟ .. كنا ونحن في أول المدرسة المتوسطة نراجع في القاموس المحيط أو اللسان فكم الذين يعرفون كيف يرجعون إليهما الآن ؟ . كنا نحفظ من الشعر العربي الذي يحتج به ، من شعر الجاهليين والاسلاميين مئات من الأبيات ، فكم يحفظ منه الطلاب الآن ؟ » (١١)

إن هذه الهمة العالية التي شحذ بها الطنطاوي نفسه قد أثمرت وأينعت وانعكست آثارها علي قلمه وفكره وفصاحته ، فكانت كتابته ونطقه وفق اللغة العربية الصحيحة ، وقد اجتهد في بعض قواعد اللغة العربية بما يراه موافقا للصواب فأصدر أحكاما وآراءا نقلت عنه واستحسنها كثير من أساتذة اللغة ومحبيها . ونورد هنا طائفة من آرائه وأحكامه حول بعض المصطلحات والألقاب المتداولة :

ـ شهادة الكفاءة : اقترح أن تدعي شهادة الكفاية، لأنها تشهد لحاملها بأنه رجل كفي ، وأنه يكتفي بها ،، وأبان بأن الكفاءة لا معني لها (١٢)

ـ الطباشير : قال لا نعرف في الشام الا اسم (الحوار) ، وهي كلمة عربية لأن التحوير هو التبييض وإن كان شيخنا المبارك يسميه (الحكك) وهي لفظة ولدت ميتة (١٣)

ـ الفلكة : يري أن الأفصح والأصح : الفلقة (١٤)

ـ ألماس : الهمزة من أصل الكلمة بعكس ماقال الفيروز آبادي (١٥)

ـ الراديو : يري أن الأفضل اطلاق « الراد » اسم فاعل : لأنه يرد علينا الصوت (١٦)

ـ القرن العشرين : الأولي أن يقال : قرن العشرين (١٧)

ـ دائرة المعارف : الأولي أن نسميها : المعْلَم (١٨)

ـ المستشفي : الصحيح أنه مذكر (١٩)

ـ بلاش : أصلها بلا شيء (٢٠)

ـ الرأس: الصحيح أنه مذكر (٢١)

ـ الدهس : ليس لها في العربية أصل (٢٢)

ـ زي الناس : أصلها (سي) ومنها جاء (لاسيما) وهي عربية بمعني مثل (٢٣)

ـ قرؤوها : كنا نكتب همزتها علي الألف ، والصواب ما أثبتُّه هنا ، لأن الكسر أقوى الحركات ، فإن كانت الهمزة مكسورة أو كان ماقبلها مكسورا وضعت علي نبرة فإن لم يكن كسر وكانت هي مضمومة أو ماقبلها مضموما فعلي واو ، وان كانت مفتوحة فعلي ألف ، إلا إن كان ما قبلها ياء ساكنة مثل (هيئة) . (٢٤)

ـ التكنلوجيا : أري أن نقول (تقانة) علي وزن نجارة وحدادة وطيانة وهو شبه قياسي (٢٥)

ـ المتسابق : الصواب (المسابق) فالواحد مقاتل والاثنان متقاتلان ، لأن تفاعل صيغة مشاركة ، فكيف يكون متسابقا وماثم إلا هو ، أيسابق نفسه ؟ (٢٦)

ـ التشريع : لم ترد في لغة العرب (٢٧)

ـ مدي صحة التقييم : الصواب ، مدي صحة التقويم ، فالتقييم غلط (٢٨)

ـ لعبة الجنباز : الأولى : الجمناز (٢٩)

ـ بس : أي : فقط ، وهي فصيحة معربة من القديم (٣٠)

ـ الفرق بين العام والسنة : في الفروق أن العام للسنة الشمسية ، والأخرى للسنة القمرية (٣١)

لقد أحب الطنطاوي المملكة العربية السعودية حكومة وشعبا وذلك عند زيارته لها لأول مرة عام (١٣٥٣هـ) ودرس في معاهدها وكلياتها ، وكان يزور الشام كلما سنحت له الفرص ، وشاء الله أن يستقر في مكة المكرمة منذ عام (١٣٨٤هـ) . وقد نفع الله به خلقا كثيرا لاسيما عبر برنامجه في الرائي «نور

وهداية» الذي استمر نحوا من ربع قرن ، وبرنامجه الرمضاني « على مائدة الافطار » فأحبه الناس ووثقوا بعلمه ونصحه ، وأيده الله بحكام المملكة العربية السعودية الذين وقفوا معه في عسره ويسره ، وقد شكر لهم ذلك في ذكرياته وأثنى عليهم ودعا لهم بالتوفيق والسداد .

قال في ذكرياته : «ولأدعو بالرحمة والمغفرة للملك سعود ، ومن قبله الملك عبد العزيز ، ومن بعده الملك فيصل ، والملك خالد ، وأدعو للملك فهد ، فكلهم أحسن إليّ ، أحسن الله اليهم جميعا ، وجزاهم عني خيرا»(٣٢).

إن شخصية الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - شخصية فذة وعظيمة تستحق الوقوف بتأمل أمام بصماتها التي تركتها ، والذخيرة الثمينة التي لا يعرف قدرها إلا من اطلع عليها بوضوح . وذكريات علي الطنطاوي (في ثمانية أجزاء) كنز ثمين أدعو كل العرب والمسلمين الي اكتشافه والتحلي بما فيه ، فالذكريات كتاب لغة بحق ، ومجلة ثقافية ، ومرجع ديني وثيق ، وتاريخ طويل مليء بالغرائب والأحداث دون فيه الطنطاوي أحداث ستين سنة عاشها وعاصرها

يا أمة الإسلام ابكي عالما
حصد الرياح لكي يجنبنا الهوى
يا أمه الإسلام ابكي كوكبا
عشق الإله فرام أجنحة السُّرى
يا أمة الإسلام أنعي بعده
كل الكواكب والنجوم ومن درى
يا راحلا كل المتون تنكبت
ذاك الحصان بحضن بابك قد ثوى
اعلو عليًّا في معارج جنة
وارقد هنيئا في فراديس عُلا(٣٣)

الهوامش :

١ - الذكريات ١ /١١٨
٢ - الذكريات ١ / ١٦٠
٣ - الذكريات ٣ / ٣٠٩
٤ - الذكريات ٢ / ٦
٥ - الذكريات ٢ / ٢٥
٦ - الذكريات ٢ / ٣٩
٧ - الذكريات ٤ / ٧٨
٨ - قصص من التاريخ ٢٧٠
٩ - صور وخواطر ١٠٧
١٠ - انظر : الأعلام ٨ / ٢٩
١١ - الذكريات ٢ / ٢١
١٢ - الذكريات ١ / ١٨٦
١٣ - الذكريات ١ / ١١٩
١٤ - الذكريات ١ / ٣٢
١٥ - الذكريات ١ / ٢٦ و ٢٠٩
١٦ - الذكريات ١ / ٢٥١ و ٢ / ٦٤
١٧ - الذكريات ٣ / ٢٠٠
١٨ - الذكريات ٢ / ١٦٦
١٩ - الذكريات ٢ / ٨٩ و ٣ / ٢٥١
٢٠ - الذكريات ٢ / ٢٧٨
٢١ - الذكريات ٢ / ٨٩
٢٢ - الذكريات ٢ / ٩٠
٢٣ - الذكريات ٢ / ٩٤
٢٤ - الذكريات ٢ / ٣٥
٢٥ - الذكريات ٦ / ٣٢
٢٦ - الذكريات ٨ / ١٧٠
٢٧ - الذكريات ٨ / ١٩
٢٨ - الذكريات ١ / ٢٧٠
٢٩ - الذكريات ٣ / ١٤٩
٣٠ - الذكريات ٢ / ٣٠١ و ١١٧/٤
٣١ - الذكريات ٢ / ٩٤
٣٢ - الذكريات ٤ / ٨٢
٣٣ - جريدة المدينة ١٤٢٠/٣/١٠ هـ

الفرق بين العلم والمعرفة

هاتان الكلمتان تستعملان كثيرا جداً، ولا يكاد الكُتّاب أو المتكلمون يفرقون بينهما وقد ذكر العلماء اللغويون فروقاً كثيرة بينهما، وأنا سأذكر ذلك بحسب الوسع فأقول: المعرفة: هي اسم منْ عرف عرفة وعرفانا - بالكسر - إذا علم الشيء بحاسة من الحواس الخمس[١] وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس[٢].

والعلم قد يكون بغير حاسة كما أخبر الله تعالى عن علم الخضر - عليه السلام - قال تعالى {آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمْناه من لَدُنَّا علما}[٣].

والمعرفة يفيد لفظها تمييز المعلوم من غيره. ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم.

والشاهد - على ذلك - قول أهل اللغة إنَّ العلم يتعدَّى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهما، إلا أن يكون بمعنى المعرفة، وذلك لأن لفظ العلم مبهم فاذا قلت: علمت زيداً، فذكرته باسمه الذى يعرفه به المخاطب لم يفد، فإذا قلت: علمت زيداً قائماً، أفدت؛ لأنه دللت بذلك على أنك علمت زيداً على صفة جاز أن لا تعلمه عليها مع علمك به في الجملة.

وإذا قلت: عرفت زيداً، أفدت؛ لأنه بمنزلة قولك علمته متميزاً عن غيره فاستُغْنى عن قولك متميزاً عن غيره لما في لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك[٤] والفرق الآخر بين العلم والمعرفة. أن المعرفة أخص من العلم؛ لأنها علم بعين الشيء مفصلا عما سواه، والعلم يكون مجملا ومفصلا[٥].

قلت: والحقيقة أن ذلك تابع لمتعلقهما، فالمعرفة ما دامت عن طريق الحواس الخمس فإنها تكون مفصلة لأن طريقها العلم اليقيني من هذه الناحية، وأما العلم فان كان هذا طريقه فهو كذلك مفصل، وأما إذا بُني على نظر واستدلال فقد لا يكون مفصلا بل يكون مجملا. خاصة إذا كان في أوائل النظر فهو قد علم المسألة لكنه لم يعلم تفاصيلها أ.هـ

وفرق آخر بين العلم والمعرفة أن العلم بمعنى إدراك المركبات، والمعرفة بمعنى إدراك البسائط[٦].

فلا يقال علمت السماء فوقنا ولكن يقال عرفت أن السماء فوقنا، لان سبيل العلم النظر والاستدلال غالبا. وسبيل المعرفة الحواس كما سبق.

وأيضا فالعلم يستعمل في التصديق. والمعرفة تستعمل في التصور.

فالتصديق: إدراك نسبة أمر لأمر، والتصور: إدراك المفرد، ولذلك كان العلم متعدياً الى مفعولين والتصور متعديا إلى مفعول واحد.

تقول: علمت زيداً عالما. فنسبة العلم الى زيد تسمى تصديقا.

وتقول: عرفت زيداً. فأنت عرفت ذات زيد (المفردة) ولم تعرف نسبة شيء إلى زيد زائد عن الذات - قال تعالى {فعرفهم وهم له منكرون}[٧] - أي عرف إخوته، كذلك فان العلم يحصل بأصعب الطرق. والمعرفة تحصل بأسهل الطرق.

لما عرفت من أن العلم يحصل بإعمال الفكر بالنظر والاستدلال. لذلك لا يقال لمن يعلم أن الصلاة واجبة والزكاة واجبة والزنا حرام لا يقال لهذا عالم. لان هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة. وأما المعرفة فلا تحتاج إلى ذلك. فسيدنا يوسف عليه السلام عرف إخوته بمجرد دخولهم عليه، ولذلك جاء العطف بالفاء قال تعالى {فدخلوا عليه فعرفهم} فعقب بالفاء التي لا تحتاج الى تراخ ولا تأمل.

وينبنى على ذلك أن العلم يكون فيه اختلاف كثير بخلاف المعرفة، ذلك لنفس السبب الذى قدمناه وهو لأن العلم مبنى على



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب
جامعة ام القرى - مكة المكرمة

النظر والاستدلال. ومعلوم أن هذا مدعاة للإختلاف لكن الذي يبنى على الحواس لا يكاد يختلف فيه أو لا يكثر الاختلاف فيه.

ولنأخذ نماذج من كتاب الله تعالى تبين لنا الفرق بين العلم والمعرفة - يقول الله سبحانه {فلما جاءهم ما عرفُوا كفروا به}[٨] فالله تعالى ذكر الفاعل وحذف المفعول به، للعلم به، وأصل الكلام فلما جاءهم ما عرفوه كفروا به. والذي عرفوا هو دين الاسلام أو رسالة محمد {صلى الله عليه وسلم}.

وقال تعالى: {ولتعرفنَّهم في لحن القول}[٩] فذكر الله عز وجل مفعولا واحدا - وقال عز من قائل {تَعْرِفُهُم بسيماهم}[١٠] والآيات في هذا كثيرة. وأما الآيات التي فيها العلم يتعدى إلى مفعولين فقوله تعالى: {فان علمتموهن مؤمنات}[١١] فالمفعول الأول (هن) والمفعول الثاني (مؤمنات) وهذا أيضاً يرينا أن العلم يبحث عن التصديق وهو نسبة الإيمان إلى النساء المهاجرات - بخلاف قوله (تعرفهم بسيماهم) فهو معرفة تصور؛ لأنه عرف ذواتهم دون نسبة شيء إليهم وأما قوله تعالى {علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم}[١٢] وما اشبه ذلك فهذا من قبيل الاول لأن الجملة. أنكم كنتم .. الخ سدت مسد مفعولي علم.

وإذا أراد المتكلم أن يتكلم عن مفرد فانه يضمن لفظ علم معنى عرف يقول تعالى: {كُلٌّ قد علِمَ صلاته وتسبيحه}[١٣] فعدى الفعل إلى مفعول واحد لأن الكلام هنا عن مفرد وهو الصلاة - وكذلك قوله سبحانه {قد علم كل أناس مشربهم}[١٤].

وهكذا نجد أن هناك فروقاً كثيرة بين لفظي علم وعرف، ونقيض علم: جهل، ونقيض عرف أنكر. قال سبحانه وتعالى: {فعرفهم وهم له منكرون} فجعل المعرفة يقابلها النكران. وقال تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}[١٥] فجعل الجهل وهو لا تعلمون شيئا مقابل أسباب العلم وهو السمع والبصر والأفئدة.

وتتميما للفائدة أقول: يذكر الفقهاء في تعريف الفقه أنه (العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية)[١٦] فأعترض على هذا التعريف بأن الفقه فيه ما هو علم وهو كل مسألة فيها نص صريح ولا خلاف فيه، وفيه ما فيه خلاف فهذا يفيد الظن ولا يفيد العلم، ولذلك عبر بعضهم بالمعرفة فقالوا (الفقه معرفة الاحكام الشرعية... الخ. لأن المعرفة بالنسبة للعلوم الشرعية المبنية على النظر والاستدلال تشمل العلم والظن، فلذلك قالوا: إن التعبير بالمعرفة هنا أولى وعبّر بعضهم بالإدراك فقال عن الفقه إنه إدراك الأحكام الشرعية[١٧]... الخ.

وهكذا يبحث العلماء عن الكلمة التي تؤدي المعنى بدقة ليكون كلامهم مفهوماً.

الهوامش:

(١) المصباح المنير للفيومي ٥٣/٢ مادة (عرف). والوسيط ٥٩٥/١ مادة)عرف(.

(٢) المصباح المنير للفيومي ١٤٧/١ مادة (حسس) قال: حواس الانسان. مشاعره الخمس .. الوسيط ١٧٢/١ والحواس خمس في العرف العام.. وتسمى الحواس الظاهرة.

(٣) الكهف الآية ٦٥.

(٤) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري ص ١٤ وص ٦٣.

(٥) الفروق اللغوية أعلاه.

(٦) مخطوطة في مكتبة الحرم المكي الشريف ناقصة من أولها وليس عليها اسم المؤلف - وهي ضمن مجموع برقم ١٧١ ص ٦٨.

(٧) يوسف الآية ٥٨.

(٨) البقرة الآية ٨٩.

(٩) محمد الآية ٣٠.

(١٠) البقرة الآية ٢٧٣.

(١١) الممتحنة الآية ١٠.

(١٢) البقرة الآية ١٨٧.

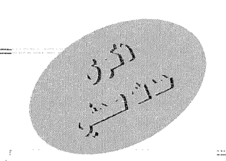
(١٣) النور الآية ٤١.

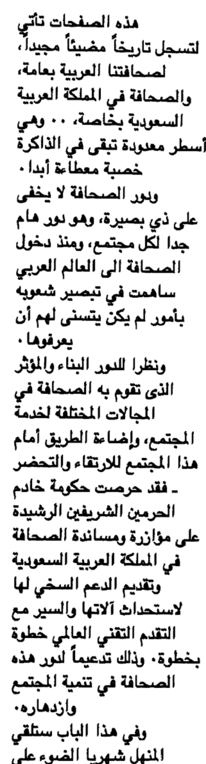
(١٤) الأعراف الآية ١٦٠.

(١٥) النحل الآية ٧٨.

(١٦) جمع الجوامع للسبكي ٢٢/١ مصطفى الحلبي.

(١٧) أصول الفقه للبرديسي. الفيصلية ص ٣٥.

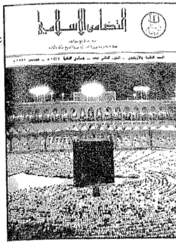




هذه الصفحات تأتي
لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً،
لصحافتنا العربية بعامة،
والصحافة في المملكة العربية
السعودية بخاصة، .. وهي
أسطر معدودة تبقى في الذاكرة
خصبة معطاءة أبدا .
ودور الصحافة لا يخفى
على ذي بصيرة، وهو دور هام
جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول
الصحافة الى العالم العربي
ساهمت في تبصير شعوبه
بأمور لم يكن يتسنى لهم أن
يعرفوها .
ونظرا للدور البناء والمؤثر
الذى تقوم به الصحافة في
المجالات المختلفة لخدمة
المجتمع، وإضاءة الطريق أمام
هذا المجتمع للارتقاء والتحضر
- فقد حرصت حكومة خادم
الحرمين الشريفين الرشيدة
على مؤازرة ومساندة الصحافة
في المملكة العربية السعودية
وتقديم الدعم السخي لها
لاستحداث آلاتها والسير مع
التقدم التقني العالمي خطوة
بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه
الصحافة في تنمية المجتمع
وازدهاره.
وفي هذا الباب ستلقي
المنهل شهريا الضوء على
مطبوعة سعودية أو عربية ..
متتبعة نشأتها وتطورها .



غلاف مجلة الحج



غلاف مجلة التضامن الإسلامي

«مجلة الحج»
تستقبل عامها الخامس والخمسين

في مثل هذا الشهر «رجب» من العام ١٣٦٦هـ الموافق مايو ١٩٤٧م صدر العدد الأول من «مجلة الحج» إبان مطلع نهضة المملكة العربية السعودية بقيادة المغفور له - باذن الله تعالى - جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - تأسيسا على رغبة قوية في النهوض بالفكر والسير في مضمار التقدم واستخدام الصحافة - وهي أداة مؤثرة في التوجيه والارشاد - لتكون وسيلة من وسائل الدعوة إلى الحق وتبصير المسلمين بأمور دينهم، وتذكيرهم بأن هذا الدين هو دين الحياة بكل مسالكها وشعابها وآفاقها.

وكانت مجلة الحج تصدر عن مديرية شئون الحج - التابعة لوزارة المالية - وعند تحول المديرية العامة للحج الى وزارة الأوقاف صارت تصدر عن هذه الوزارة حاملة شعار «مجلة شهرية اسلامية تصدر عن وزارة الحج بمكة المكرمة».

ومنذ صدور عددها الأول استهدفت مجلة الحج غايتين:

الأولى: تعريف الحجاج بأحكام الحج ومناسكه وآدابه، والانظمة والقرارات التي تصدرها حكومة المملكة العربية السعودية لتنظيم كافة شئون الحجاج.

الثانية: بيان حقائق الاسلام والدعوة الى وحدة المسلمين وتآخيهم وتضامنهم في مواجهة اعداء الاسلام.



المشرف العام معالي الاستاذ
اياد بن امين مدني ـ وزير الحج

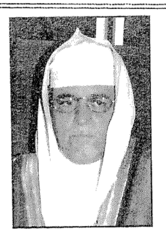
وقد ظلت «مجلة الحج» تحمل هذا الاسم حتى العام ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧١ ـ حيث تغير اسمها ليكون «التضامن الاسلامى» تعبيرا عن الدعوة التى حمل لواءها جلالة المغفور له بإذن الله تعالى ـ الملك الشهيد/ فيصل بن عبد العزيز آل سعود ـ الذى دعا الى تضامن المسلمين ونبذ الخلاف والفرقة.

ولما كان التضامن الاسلامى هو هدف من أهداف الحج ـ حيث يجتمع المسلمون من شتى البقاع والجنسيات في صعيد واحد فيتعارفون، ويتفاهمون ويتضامنون ـ لذا فقد ارتأت وزارة الحج العودة الى الاسم الأشمل «الحج» وصدر بذلك قرار من معالى وزير الحج ـ سابقا ـ الدكتور محمود بن محمد سفر بتاريخ ١٤١٤/٧/١٥هـ.

ولكون مشاهير الكتاب في العالم الاسلامى يتابعون قضايا المسلمين في كل مكان على صفحات «مجلة الحج» فقد عمل القائمون عليها على تطويرها في الشكل والاخراج والورق والطباعة والألوان بما يساير تقدم فن الطباعة في أرقى مراحله. كما تم تصوير محتويات «مجلة الحج» خلال خمسين عاما بالميكروفيلم بالتعاون مع جامعة ام القرى بمكة المكرمة ممثلة في معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي.

والمعروف أن مجلة «الحج» تصل إلى شتى الانحاء في القارات الخمس، آسيا، افريقيا، أوروبا، أمريكا واستراليا دون أي مقابل مادي، حيث تتحمل وزارة الحج نفقات اصدارها وارسالها إلى الهيئات العلمية والجمعيات والمؤسسات الاسلامية والمدارس وكذلك الأفراد الذين يطلبونها ، مما دعا الى زيادة أعداد النسخ عاما بعد عام.

والمنهل بمنسوبيها كافة تتمنى لكل القائمين على «مجلة الحج» من اداريين وفنيين وعمال .. التقدم والازدهار.



د. عاصم بن حمدان علي
رئيس التحرير



د. يوسف بن احمد حوالة
اشراف

د. جميل بن محمود مغربي
اشراف



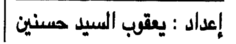
د. حسن بن محمد سفر
اشراف

د. درويش بن صديق جستنية
اشراف



عبد الله بن عبد المطلب بوقس
مستشار المجلة

خالد بن محمود علوي
مدير التحرير والادارة



إعداد : يعقوب السيد حسنين

ربيعة بن مقروم الضبي

ت ١٦ هـ

شاعرنا أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام، وقد بدأ حياته في الجاهلية لا يرهب من شيء، وقد انتهى به هذا الى أن يكون من الشعراء الذين سجنهم «كسرى» في السجن المسمى «المشقَّر»[١].

وما كاد ينتهي من هذه المحنة، حتى دخل في محنه أخرى انتهت بأسره، وسلبه ماله، وهنا أحس بالضيق وتتابع الأحداث حوله، ولكن كُوَّة من النور قد فتحت له، وذلك حين وقف إلى جانبه «مسعود بن سالم»، فكان خلاصه من الأسر على يديه، بالإضافة إلى رد ماله، وهنا أحس ربيعة بن مقروم أنه أصبح أسيراً لمسعود بن سالم، فكان أن توالت مدائحه فيه، وفي مقدمتها تلك القصيدة التى يشرق الغزل في مقدمتها، ثم ينتهى منها إلى الحديث عن الناقة، ثم يتوفر على المدح باقتدار، وكل هذا في بنية متنامية.

بان الخليط فأمسى القلب معمودا
وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا

قامت تريك غداة البين منسدلا
تخاله فوق متنيها العناقيدا

وباردا طيباً عذبا مذاقته
شربته مزجاً بالظلم مشهودا

وجَسْرَة أجُد تدمى مناسمها
أعملتها بي حتى تقطع البيدا

لما تشكت إليّ الأين قلت لها:
لا تستريحين ما لم ألق مسعودا

ما لم ألاق امرءاً جزلا مواهبه
رحب الفناء كريم الفعل محمودا

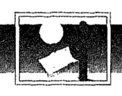
وقد سمعت بقوم يحمدون فلم
أسمع بمثلك لا حلماً ولا جودا

هذا ثنائى بما أوليت من حسن
لا زلت براً قرير العين محسودا

على أنه ظل سيفاً من



بقلم : أ . د . عبده بدوي
- مصر -



سيوف قومه، ولساناً يشيد بالقبيلة، ولم يكن ينسى نفسه، حين يكون الحديث عن المفاخر والحروب، فهو يتحدثُ أولا عن نفسه، ثم يثني بعد ذلك بالحديث عن القبيلة، وفي ضوء هذا يمكن القول بأنه رسم أكثر من جانب من جوانبه على حدّ قوله:

وإن تسألينى فإنى امرؤ
أهين اللئيم، وأحبو الكريما
وأبنى المعالى بالمكرمات
وأرضي الخليل، وأروى النديما
ويحمَدُ بذلي له مُعتف
إذا ذمَّ من يعتفيه اللئيما
وأجزى القروض وفاء بها
ببؤسى بئيبا، ونعمى نعيما
وقومى - فإن أنت كذبتنى
بقولى - فاسأل بقومى عليما

ثم نراه يدخل في الإسلام، ويقف تحت لوائه، ولقد كان من الحروب التى أبلى فيها بلاء حسنا «القادسية» فقد عمَّر في الإسلام فترة كبيرة، وقد قيل إنه مات عن مائة سنة ولهذا نراه يحس إحساساً خاصا بالزمن، فهو يقول:

ألا صرمت مودتك الرُّواع
وجدَّ البين منها، والوداع
وقالت: إنه شيخ كبير
فلجٌ بها، ولم تزع امتناع
فإمَّا أمْس قد راجعتُ حلمى
ولاح عليَّ من شيب قناع
فقد أصل الخليل، وإن نآنى
وغبُّ عداوتى كلا جزاع
وإنى في بنى بكر بن سعد
إذا تمَّت زوافرهم مُطاع[٢]

كما يقول:

وقفتُ أسائلها ناقتي
وما أنا، أم ما سؤالى الرسوما
وذكرنى العهد أيَّامها
فهاج التذكر قلبا سقيما
ففاضت دموعى فنهنهتها
على لحيتي وردائي سجوما

كما أنه يذكر عنه الجودة في الوصف، ولقد كان من الذين وقفوا عند هذه الظاهرة «الوليد بن يزيد» فقد قيل إنه جلس وهو مُصطْجٌ، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة، وأبو كامل، وحكم الوادى وعمر الوادى يغنون له، وعلي رأسه وصيفة تسقيه، ولقد كانت على حد تعبير حماد الراوية. لم

أر مثلها تماماً وكمالا وجمالا، فقال الوليد يا حماد، أمرتُ هؤلاء أن يغنّوا أصوتا توافق صفة هذه الوصيفة، وجعلتها لمن وافق صفتها عطية، فما أتى أحد بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها وهي لك، فأنشدته قول «ربيعة بن مقروم الضبي:

دار لسعدى.. إذ سعاد كأنها
رشأ غرير الطرف رخص المفصل
شماء واضحة العوارض طفلة
كالبدر من خلل السحاب المنجلي
وكأنما ريح القرنفل نشرها
أو حنوة خُلطتْ خزامى حومل
وكأن فاها بعدما طرق الكرى
كأس تصفق بالرحيق السلسل
لو أنها عرضت لأشمط راهب
في رأس مشرفة الذرى متبتل
جآر ساعات النيام لربه
حتى تخدّد لحمه مستعمل
لصبا لبهجتها، وحسن حديثها
ولهمَّ من ناموسه بتنزل!

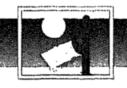
فقال الوليد: أصبت وصفها، فاخترها أو ألف دينار، فاخترت الألف دينار، فأمرها فدخلت إلى حرمه، وأخذتُ المال.

وقد علق أبو الفرج الأصفهاني على هذا الموقف فقال: وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه، فمن مختارها ونادرها قوله:

بل إن ترى شمطا تفرع لمتي
وحنا قناتي وارتقى في مسحلي
ودلفتُ من كبر كأني خاتل
قنصا، ومن يدبب لصيد يختل
فلقد أرى حسن القناة قويمها
كالنصل أخلصه جلاء الصيقل
أزمان إذ أنا - والجديد إلى بلى -
تُصبى الغواني ميعتي وتنقلي

كما أنه كان بارعاً في وصف الصحراء والناقة، فهو يلتقط الصورة ويضعها في الألفاظ المتوافقة معها، وفي الوقت نفسه يملؤها بالحركة واللون، ويصل في التوفيق إلى الغاية حين يتحدث عن الكتيبة والإنسان.

وملموم جوانبها رداح
تُزجّى بالرماح، لها شعاعُ
شهدتُ طرادها، فصبرتُ فيها
إذا ما هلل النكس اليراعُ
وأشعث قد جفا عنه الموالي
لقى كالحلس ليس به زماع



ضـــرير قـــد هنأناه فـــأمـــسى

عليــه في مــعــيــشــتــه اتســاعُ

كما استشهد له في باب المطابقة لقوله:

فـــدعـــوا نزال فكنت أول نازل

وعـــلام أركـــبـــه إذا لمْ أنزلِ[٣]

وهكذا عـاش هذا الشـاعـر حـيـاة طويلة مليئـة بالأحداث، ولعله شغل بتجويد شعره، عن الظهور، وعن الحديث عنه، فـهو لم يرد أن يشـغل الناس به، ذلك لأنه كـان مشغولا بشـيء واحد هو الإجادة في الشـعـر، ثم إن الحـيـاة كـانت قـاسـيـة عليـه، فلم تسـاعده على البريق، ويبدو أنه كان في ضيق من عيشه على حدّ مـا نعرف من رواية تدور حـول بيعه ناقـة لعـجـرد بن عبـد عـمـرو، ولكنه على الرغم من الظروف القـاسية التي لاحـقـته استطـا ع أن يتـألق كشـاعـر مـخـضـرم، وأن يقـول مـا يُبْـقي تجـاربه في النفس، ومـا يُضـيء في سـمـاء الشـعـر على توالى العصور، والكل يذكر بيته الذى يقول:

نصل السيوف إذا قَصُرْن بخطونا

قــدمــا، ونلحــقــهـــا إذا لم تلحق

ولعله أخذه من قيس بن الخطيم، أو أخذه قيس منه، وبيت قيس هو:

إذا قصُرَتْ أسيـافنا كـان وصلهـا

خطـانا إلى أعـدائنا فنُضَـارب[٤]

ولا ننسى ايمانه بـالله، واعـتـقـاده بالقـدر؛ وسخريته من سوانح الطير[٥]

أصـبح ربي في الأمــر يرشــدنى

إذا نويتُ المســيـــر والطلبـــا

لا ســانحٌ من ســوانح الطيـر يثني

ولا نــاعب نــعـــــبـــــا !

الهوامش:

(١) المفضلية ٣٧ من شرح التبريزى. تحقيق. د. فـخـر الدين قـبـاوة، المؤتلف والمخـتلف للآمـدى، تأليف: د. كونكو ص ١٥٩، ط دار الجيل.

(٢) كتاب الاختيارين للأخفش الصغير، تحقيق د. فخر الدين قباوة ٥٧١ مؤسسة الرسالة ط٢.

(٣) العمدة ٢/٩ والمطابقة جمعك بين الضدين.

(٤) الشعر والشعراء ص ٣٢٠.

(٥) شعراء إسلاميون. د. نورى حمودى القيسى ٢٤١ ط٢ مكتبة النهضة العربية.

تحقيقات عرضية

فليكس فارس ـ رسالة المنبر الى الشرق العربي. الاسكندرية ، مطبعة المستقبل، د.ت (تاريخ المقدمة أول سبتمبر سنة ١٩٣٦ ـ ٣٤٥ ص + ٢:

١ ـ من موضوعاته: جبران خليل جبران (فلسفته وحياته) (ص ص ٨٩ ـ ١٣٢). رد على كتاب الاستاذ نعيمة عن جبران (ص ص ١٥٣ ـ ٢٢٥) فوزي المعلوف، رؤيا في السماء للاستاذ مصطفى صادق الرافعي. وللمؤلف قصيدة «إلهام شوقي»، وقصيدة «الكاظمي شاعر العرب».

٢ ـ عرف الثقافة (ص ٣٨): «الثقافة لغة يشمل معناها التعليم والتهذيب، والذي أراه أنها من حيث الوضع، وهي تعني التقويم مادة والتطبيع معنى، لا ترمي إلا الى تسديد العواطف والأميال دون أن تتناول التعليم، ما لم يقصد من التعليم التدريب للشعور خاصة فإن العلم بنفسه إنما هو نتاج الاستقراء المجرد ومركزه الفكر فالحساب والكيمياء وعلم الهيئة وعلم طبقات الأرض.. الخ إنما هى علوم وضعية لا علاقة للتهذيب بها فهي فوق الثقافة ودونها ولكنها على كل حال بمعزل عنها لأن العلم مشاع لكل الأمم ولكل الأفراد يتفقون على أولياته على ما بينهم من اختلاف بعيد في نظريات الحياة في حين أن الثقافة مستقرة في الشعور فهي «دماغ في قلب» لا قانون ولا قاعدة لها لأنها راسخة في الفطرة، والفطرة في الفرد كما هي في الأمم ميزة خاصة في الذوق واختصاص في فهم الحياة والتمتع بها.

*** القصة التونسية القصيرة (من خلال مجلة الفكر) ـ تأليف محمد الهادي العامري. تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠ ـ ٢١٠ + ٢ ص:**

١ ـ الدراسة تقوم ـ إذاً ـ على ما ورد في مجلة «الفكر» التونسية من قصص قصيرة (١٩٦٤ ـ ١٩٧٠).

٢ ـ ص ١٨١ «وقد نجد للأفكار الوجودية صدى في نفوس بعض القصاصين عبروا عنها بوسائل مختلفة كمشكلة القلق والملل وعدم الاتيان بالجديد والشعور بالاشمئزاز والتفاهة وحيرة الإنسان في هذا الكون والبحث عن تلائم الإنسان مع المحيط وازدواج الشخصية ومشكلة الزمن والشعور بوطأة الحياة وهل الحياة تسير وفق لمنطق أم هل على الإنسان أن يعمل بقطع النظر عن النتائج».

أ ـ عن تلائم: عن تلاؤم.

ب ـ وفق لمنطق: وفق المنطق، أو وفقا لمنطق.

هـ ـ أم هل؟ أو هل.

٣ ـ ص ١٤٣ «تظافر الجهود»: تضافر (وقد رأيت التونسيين يفضلون الظاء ـ هنا).

*** ادوارد كبيرا (إشراف جورج. ج. كاميرون) ـ كتبوا على الطين، رقم الطين البابلية تتحدث اليوم ترجمة وتعليق الدكتور محمود حسين الأمين، مراجعة على خليل، بغداد، مكتبة الجوادي بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١٩٦٢ ـ ٢٦٥، ص مصورة ـ كتب المؤلف كتابه قبيل وفاته سنة ١٩٣٣.**

ص ٥٩ «إن العلماء الأوربيين بقوا خلال هذه الأعوام يجهلون هذه الكتابة» التى عرفت فيما بعد بالمسمارية «القرآن الكريم يتحدث عن وجود (آجر مشوي بنار جهنم يحمل كتابة خطّها الجان) وليس من شك، في ما أعتقد ، في أن هذا المرجع يشير الى الآجر الكثير المكتوب الذي وجد في ما بين النهرين. ان التفسير الوارد في القرآن كان إشارة الى أنها كتابة».

يعلق المترجم في الحاشية: «ليس في القرآن الكريم آية بهذا المعنى الذي أشار اليه المؤلف وهناك آية تشير الى الكتابة المسمارية وهي: «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا» سورة الكهف/٨».

أ ـ الإشارة الى الكتابة حاصلة، ولكن الإشارة الى أنها مسمارية غير حاصلة.

ب ـ أخشى ألا يفهم من «الرقيم» ما اصطلح عليه

بقلم : د. على جواد الطاهر
ـ عليه رحمة الله ـ

أخيراً بالرقيم، والرقم الطينية مما وجد من أختام الكتابة المسمارية أو غيرها.

جـ ـ للرقيم تفسيرات متعددة لا يخلو بعضها من الدلالة على الكتابة. جاء في «كشاف» الزمخشري: «الرقيم: اسم كلبهم.. وقيل: هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف. وقيل: إن الناس رقموا حديثهم نقراً في الجبل. وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف. وقيل: الجبل، وقيل قريتهم، وقيل: مكانهم بين غضبان وآيلة دون فلسطين».

ولا يشير ما في التفسير من شأن الكتابة الى الكتابة المسمارية، لأن الكتابة المسمارية تقع على الطين لا الرصاص، وتقع ختماً لا نقراً في الجبل.

د ـ وعندى أن الآية الأقرب الى مراد مؤلف «كتبوا على الطين» هى الآية الكريمة(٣٣) الواردة في «سورة الذاريات» في خطاب «إبراهيم» للملائكة الذين دخلوا ضيفا عليه: «قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين. لنرسل عليهم حجارة من طين. مسوّمة عند ربك للمسرفين».

وجاء في «الكشاف»: المرسلون: الملائكة. حجارة من طين: يريد السجيل، وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر، حتى صار في صلابة الحجارة. مسوّمة: معلمة، من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا.

*** ديوان رفاعة الطهطاوي ـ جمع ودراسة د. طه وادي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ ـ ٢٢٧ ص + ٥:**

١ ـ قد يسأل سائل: هل من ضرورة الى جمع هذا الشعر وهو كائن في مؤلفات الطهطاوى؛ وتكثر في الجمع الإحالة على تلك المؤلفات؟ وليس للشعر قيمة فنية أو أدبية؟ ـ لقد بذل الدكتور وادي جهداً أرجو ألا يكون ضائعا.

٢ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ «.. العصر الاسلامي والأموي وجدناه يستشهد بأشعار (...) السيد الحميري.

ومن شعراء العصر العباسى يستشهد الطهطاوي بشعر... الحريري .. الغزالي.

ومن فترة العصور الوسطى نجده يستشهد بشعر الإمام الشافعي (...) والشاعر الصوفي عمر بن الفارض ـ الإمام البوصيري ـ الإمام السيوطي ـ الزمخشري الذي «خمس» «الطهطاوي بعض أبيات له في الحكمة (تخليص الإبريز ص ٤٠٣) (...) ابن زريق البغدادي ـ الصلاح الصفدي ـ الصفي الحلي ـ الوأواء ـ القاضي عبد الوهاب البغدادي (...) الشيخ حسن العطار.

ومن شخصيات الأدب والفكر الأندلسي (...) الصاحب بن عباد (تخليص الإبريز ص ٢١١) ابن دريد ـ ابو نصر الفارابى ـ الرئيس أبو على بن سينا ـ محيى الدين بن عربي .. ـ ابو حفص الوردي ـ الحافظ كمال الدين الإدفوي..

أ ـ السيد الحميري من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٧٣ (٦٥٦هـ).

ب ـ ما المقصود بالعصور الوسطى، أقل ما يفهم منها هنا، أنها ما جاء بعد العصر العباسى (٦٥٦هـ) بدليل أنه أتى بها بعد استعراض شعراء العصر العباسي، فإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فلا معنى لمجيء شعراء من العصر العباسي فيها، كان اللازم أن يردوا قبلها، ومن هؤلاء: الزمخشري (المتوفي ٥٤٨)، الامام الشافعي (٢٠٤)، ويذكر في وفاة ابن زريق عام ٤٢٠، والوأواء (٥٥١) والقاضي عبد الوهاب (٤٢٢).

جـ ـ ليس الصاحب بن عباد من شخصيات الأدب والفكر الأندلسي، وكذلك ابن دريد... الخ.

٣ ـ ص ٦٥ ترجم الطهطاوى «نشيد الثورة الفرنسية (المارسلييز) للشاعر «روجيه دى لوازال».. وتنظر ص ١٩٩، ص ٢٠٣.

هكذا اورده المؤلف لما رسمه الشيخ الطهطاوى، ورأيت الطهطاوي يخطىء في اللفظ، ويرسم على المرسوم لأعلى الملفوظ وإلا فهو المارسييز ، وناظمه روجه دليل.

٤ ـ ص ٥٧ «ان الشعر إحدى الميزات التي ...» .... أحد..

٥ ـ صـاه «.. البعثة الى فرنسا (١٨٢٧ ـ ١٨٣١)..» ص ٢٧ «... البعثة في باريس (١٩٢٦ ـ ١٨٣١)..» الثانية هي الصحيحة.

٦ ـ ص ٢٦ «الشعر .. مجال تعليمي.. هو «نظم المتون».. شاع في العصر العباسي الأول على يد رؤبة بن العجاج وأبان بن عبد الحميد اللاحقي..»

رؤبة من مخضرمي الدولتين (الأموية والعباسية) (٦٥ ـ ١٤٥ (١٤٧) لم يقل أحد أن رؤبة قد نظم المتون: وان كان شعره كله رجزاً.

لغتنا .. إلى أين؟!

اللغة العربية فريدة في قمتها، وحلوة عباراتها، وكمال ازدهارها، وهي لغة ممتدة التاريخ، عميقة الجذور، بلغت سموها، وعصر ازدهارها في العصر الجاهلي، فقد كان العرب أهل فصاحة، وخطابة، وبلغوا من التفنن اللغوي، وفصاحة البيان ما لم يبلغه غيرهم، تسعفهم في ذلك لغتهم في اشعارهم، وخطاباتهم، وفي كافة اقوالهم، ينهلون من معين لغتهم صاحبة الاصالة والامتياز.

ومما زاد لغتنا عزاً، وشرفاً، وتكريماً نزول القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية على سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] بهذه اللغة، فازدادت رفعة وسموا عاليا حلّق بها في الآفاق، قال تعالى مخبراً عن اللغة التي نزل بها القرآن (بلسان عربيّ مبين).

فأي تكريم حظي به العرب عندما نزل القرآن بلغتهم، وأي تكريم للغة نزل القرآن بها!.. انه تكريم إلهي، وسماوي لهذه الأمة، ولهذه اللغة.

ولقد بقيت اللغة العربية محافظة على اصالتها، ورونقها، متباهية امام لغات العالم بما حبيت به من تكريم، وشرف، حتى امتدت الحضارة الاسلامية والعربية الى اصقاع العالم، تعلمها الكثير من الناس ممن يعتنقون الاسلام، فالدافع الديني، وحب التدين، واختيار الاسلام ديناً يدفعهم الى تعلم هذه اللغة، حتى يتسنى لهم قراءة القرآن، ومعرفة الحديث الشريف.

وظلت لغتنا هكذا حتى أتى العصر الحديث عصر الطغيان، والفوضى، وعصر القوى النووية، وعصر استعمار العقول والافكار ففطن فيه اعداء المسلمين الى قوة المسلمين، ولما رأوا اقبال العالم على الاسلام، والاقبال على اعتناقه، ونظروا الى مصدر قوتهم فوجدوه القرآن الكريم، دستورهم الابدي.. ونظروا الى لغته وحتى يصرفوا الاسلاميين (والعرب خاصة) عن هذا القرآن الكريم قاموا وعملوا على تشويه لغتنا وإدخال التشكيك فيها وهذا العمل انتهجه الغرب لابعادنا عن تراثنا الاسلامي، كيف لا وقد قال احدهم (ما معناه): لن تقوم للغرب قائمة ما ظل هذا الكتاب قائما «ويقصدون بالكتاب (القرآن الكريم).. ويقول آخر: سنظل نعمل، ونعمل حتى نجعل المسلمين لا يفقهون هذا الكتاب».. ولا يكون عدم فهمنا (أو فقهنا) للقرآن إلا إذا (ابعدنا) عن لغتنا.. وبعبارة مختصرة يريدون (طمس) الكلمات العربية، واجراء العامية حتى تصبح (العربية) في نظر الاجيال القادمة شيئا صعبا، أو جديداً، وبالتالي لا يفهمون لغتهم فيتحقق أملهم في اقصاء كتابنا.

دور المستشرقين:

من أكبر الادوار التي قام بها المستشرقون، واتخذوها نهجاً اساسياً وهدفاً من اهدافهم، التشكيك في اللغة العربية، بأنها لغة تخلف و(تكلف).. وانها لا تساير العصر الحاضر، وانها قديمة، العالم يتجه للتجديد، (والحداثة)، لذلك فمن يلتزم بهذه اللغة يعد (متزمتاً) (ورجعيا)، ومتخلفاً.... الخ من تلك

التشكيكات التى (تطعن) في صميم لغتنا، وفي ديننا أولا وأخيراً.

وسائل إعلامنا:

الإعلام له أثره الملموس في الحياة (سلباً أو ايجاباً)، والاعلام بوسائله المرئية، والمقروءة، والمسموعة، له دور اساسي في توجيه المجتمع (نحو اتجاه معين)، وله أثر، وبصمة على قضية معينة.

ونحن لو تمعنا (ولو بشكل مختصر) وسائل اعلامنا العربية لوجدنا انها ساعدت على انتشار (العامية) ونبذ (ولو عن غير قصد) اللغة العربية.

هل نعمل مثلهم؟!

في مقابل عدم التزامنا بلغتنا، وعدم الحفاظ عليها، وفي مقابل الاهمال من جانبنا، وعدم (التزود) من معين لغتنا، وفي مقابل (طعن) الاعداء، وتشويهاتهم (لخدش) لغتنا، واقصائنا عنها، مقابل هذا وذاك نجد ان اعداءنا يهتمون بلغاتهم، ويحافظون على تراثهم.

فاليهود عملوا على احياء لغتهم العبرية المندثرة منذ مئات السنين، فهم يتكلمون بها فيما بينهم، ويعلمونها لابنائهم حتى يحفظوا لغتهم، وبينما هم كذلك نجدهم يتكلمون بلغة الآخرين مع الآخرين.

ومثال آخر في فرنسا:

١ ـ اصدرت فرنسا قانوناً يفرض غرامة تعادل (٣٥٠٠) دولاراً امريكا على أي مواطن فرنسي يستعمل كلمات اجنبية (غير فرنسية) ولها مقابل في اللغة الفرنسية في محاضراته، وندواته، وكتاباته[*].

٢ ـ أربعة اشخاص قابلوا وزير الثقافة الفرنسي، وطلبوا منه اجراء الترتيبات اللازمة بخصوص اربع كلمات اجنبية تسللت الى اللغة الفرنسية في المجال الرياضي[*].

دعوة للفهم والتدبر!

فهل نعي هذه الامثلة، ونعمل نحن على الاحتفاظ بلغتنا، ونعلمها لابنائنا وبناتنا حتى نحفظها من خطر الاعداء، وتقاوم الصراع الحضاري والثقافي الذي اصبحنا نعايشه، ونأخذ سلبياته؟!.. وايضا هل (نعي) جيداً ما هدف هؤلاء الذين يسعون الى اقصاء لغتنا، بينما هم يحفظون لغاتهم من الاندثار، ويحيون اشياء قد اكل الدهر عليها وشرب (كما يقال) بل إن هدفهم هو ابعاد ديننا عن الحياه، لانهم يخشون المسلمين، ويحسبون لهم الف حساب، ويخافون من سواد المسلمين لذلك فهم يعدون العدّة لتفريق شملنا، وتشتيت جمعنا، وابعادنا عن حياتنا الاسلامية، فهل نعرف هذه الاهداف، وهذه الغايات حتى نكون خير دعاة الى التمسك، والوحدة، والحفاظ على حضارتنا وتاريخنا كما ورثناه، ونبلغه كما اخذناه الى احفادنا؟!، إنها أمانة (أبت) الجبال من حملها فتحملها الإنسان.. فهل نعرف قيمة هذه الامانة التراثية والحضارية؟!

فاذا عرفنا كل ذلك وعملنا، فقد حددنا اتجاهاتنا وواقعنا، وبالتالي نعرف الى اين تمضي، وتتجه لغتنا؟! فنعمل جميعاً (فرادى وجماعات) ومؤسسات، ودول على حفظ لغتنا، لأن حفظها حفظ لهويتنا الاسلامية.

(*) على العمير، المجلة العربية عدد (٢٢١) بتصرف.

على العمري ـ السعودية

جراح الذّل

جـرى في خـافـقي لهبٌ ووجـدُ
وفـجّـر أدمُـعي نـأيٌ وبُعـدُ
وخـيّم في الفـؤاد أسى مـريرٌ
إذا أنسـيـتـه زمنـا يُردُّ
فـأنت مـلاذُ دمـعي حين تقسو
جـراحٌ زادهـا هـجـرٌ وصـدٌّ
وإن جـافـيتُ نكـرك في زمـان
سـرى بـالهم نـحـوي من يعـيـدُ
جـراح الذُّل تعـصفُ بي ويُتمي
فـؤادي ناعقٌ للغـرب يشـدو
رمـاك بنوك في البلوى عـقـوقـاً
وأغـراهم بحلم الزيف وغـدُ

* * *

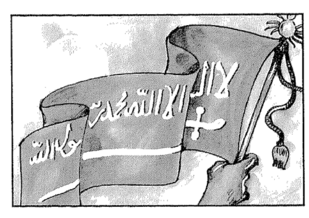
أصـارع فـيك إخلادي وسـهـدي
فـمـا يرضـيك إخـلادٌ وسـهـدُ
أنـادي فـيك أسـيـافـاً وجندا
وأبحث فـيك هل صـيـد وأسْـدُ
ولكن الصـدى يرنو كـسـولا
يحـدثني بأن القـوم سـودوا
فـإن تشكين لا راع فـيـأسـو
وإن تبكين فـالأسـيـاف مُـرْدُ
لقـد ولّى زمـان كـان فـيـه
نـداء الحق زلـزالٌ ورعـدُ
أنوفٌ للعُـلا رفـعت وتـاهت
وخـيلٌ للوغى الحـمـراء تغـدو
وأسـدٌ للحـمى أمنٌ وظلٌّ
وإن نـادتهم الأسـيـاف جندُ
سلوا عنهم روابي الشـام خـضـراً
فـبـغـداد الهوى تحكي ونجـدُ
وصـوت أطلق الأقـصى حُـداه
فـردّد في يمان السّـعـد رفْـدُ
سطورٌ صـاغـهـا التـاريخُ نوراً
فنحنُ بهـا مدى الأزمـان نشـدو
مـضى فـيـهم إباء كـان رمـزاً
لجند الله إن سـاروا وشـدُّوا
وكـانوا أنجـمـا في الليل تؤوي
ضـعـيـفـاً هدّه جـوع وبيـدُ
كـذاك جـرى حـديث المجد عـذبا
وفـاح المسك فـالأيام سـعـدُ
وجـئنا نوّمـاً والذئب سـار
يطـاردُ حلمنا أيّـان يبـدو
مـعـاذ الله أن تسـمـو خطانا
بغـيـر الجـد مـهـمـا قـيل وعدُ
فـوعـد الله إن نرجـوه آت
لمن أصـغـى بقـرآن (أعـدُّوا)

عبده علي حسن الفيفي - فيفا - السعودية

وطني الحبيب

سلمت يدا
وطني الحبيبُ
له بقلبي
ألفُ بُستان رحيب!
شرعتْ بلابلُهُ
تغردُ باسمه
فتمايل الغُصْنُ
الرّطيب!!
وطني ملاذٌ
للبعيد وللقريب
يُهدي نسيماً
عطرتهُ
مآذنُ الحرمين
فاحت بالشّذا
من كل طيب!
وطني الحبيبُ
تفتحتْ
له كلُّ أزهار الشُّموخ
تراقصتْ
بين الخمائل في ذهول !!
تهدي ابتسامات الولاء
لقبلة
أمست منار المسلمين
أضحت رياض الآمنين!
وعلى الثّريّا موطني
أعلامُهُ
طفقت بألسنة تُرددُ
لفظة التوحيد
تشهدُ للإله٠٠ وللرّسول!
من حولها
طيرُ السماء
غدتْ تحلّق
حولها ٠٠ وتُسبّحُ!!
وطني ارتدى
حلل الجمال
كما ذُكاء يزفها
أفقُ الأصيل
فتبهرُ الرائين

أثناء الغروب!
شمسُ النهار
لها غروبٌ
بيد أنّ الشمس في
بلدي الحبيبة
لا تغيب!!
سيفٌ يُعانقُ نخلة
معطاءة
يوحي بتطبيق الشريعة
رغم كيل الحاقدين
مازلت يا (عبد العزيز)
تضيفُ للأيّام
تاريخاً مجيدْ
مازلت يا «عبد العزيز»
تضيف للتاريخ
للأجيال تاريخاً جديد!!
الله أكبر يا بلادي
صرت عاصمة الأمان!
وغدوت عطراً
فاح في ثغر الزمان!١
زرع السلامُ فخيمت
أفنانه سدراً له
ظلٌّ ظليل!
نجني ثماره كل حين
في ظل أبناء لهم
نهج سليم
حملوا لواء المجد
فاهتزّت لهُ
غابات نخل
في الحساء
وفي الرياض٠٠ وفي القصيم!!
وتهيأت
أبها وحائلُ



حيث أهدت
موطن العز ابتسامات
تلوحُ من الزهور
تزفُّها
بُسطُ المروج!!
فاهنأ دواماً
موطني
في كل ثانية
تمرّ من السنين
فلك المحبّة والولاء
ولك التحيّة من فؤاد
قد نُقشت
على جداره
مذ وُلدتُ
بحضن أمّي
ذلك الحضنُ الدّفيء
وإلى اللقاء
أحبتي
في رائعات
من روائع
موطني
طبُّ العليل

عبدالله بن ناصر العويد ـ السعودية

على وقتنا المنزوع رونقه سأفترش الضياع

وجهك المخبوء نصرٌ والصمت عار في المدينة
يا غياب الدار، أين أقنعتي الحزينة؟..
تلتف حول حضورنا آمال جيل لم نجد حداً لها
لا نصر إلا الهروب إلى فضاءات أمينة
لم يتركوا ثوباً ليستر عزة الآتين للأحلام، يا .. يا البكاء
استفق يا آخر الأجراء من جهد العناء
قد نسترد حقيقتين وأن نجود لغيرنا
ومضة الحق نتبعها، وذاكرة تحارب للبقاء
لا تستعن بالنار خوفاً من حميم الدار، إنّا
إنّا نحن انسنا الفجائع والدمار
وجهك الآخر حلم، سوف أترك حنطة الدار لأطفال جياع
على وقتنا المنزوع رونقه سأفترش الضياع
وأنتظر المدينة كي تهون أمامها آثار موت الانتصار
وجهك المخبوء كنز لينهزم انهياري والحصار.

بدر الدين محمد نعمان محمد ـ السودان

جحـــــــــود

جحـود جحـود وأي جحـود
يحل العرى يستذل العهود
يبعثر في خافقي ضوءه
وينحر في مقلتيّ الوجود
ويشعل كرهاً بعشب القلوب
ويشع بالنار صدر الحقود
يحطم فينا سمو المساعي
يُفتت عزم المنى في الزنود
ويغتال روح الإخاء بليل
فلم يصح فجرٌ وطال الرقود
فخيم الجحود وأنهار قلبي
تفيض عطاء بعطر الورود
وخيم الجحود وقد عشت قبلا
أسطر للحب لحن الخلود
تفرد فوق الثرى خطوتي
وتسمق فوق الثريا الجهود
وأن القطاف للثم الوفاء
فمن كف واف ستدوي الرعود
ولكن كف الجحود طغت
بنبض الخيانة راحت تكيد
لتصلي الوفاء جحيم العداء
وتبكي الغناء بمر النشيد
ألا أيها الغدر ما خنت قلبي
ولكن لقلبك جهلا تبيد
سينمو فؤادي بزهر الأماني
وقلبك يفنى بنار الجحود

سعد سعيد الرفاعى ـ السعودية

الأسباب

قبضوا على المسكين عند الباب
ساقوه في حرس إلى استجواب
وتقعروا وتعنتوا في جهلهم
وبقيد سجّان لشر عذاب
وتشتت من بعد ذلك أسرة
وتحولت دار الهنا لخراب
وإذا سألت عن الجريمة ما جرى؟!
وبحثت في التسآل عن أسباب
لوجدت لحيتهُ - لربه - علة
وجريرة المسكين في الجلباب!
والله ناصرُ جنده، فلتصبروا
وتمسّكوا بمحجة، وكتاب

ما انفك ركب الجهل يمضي جائرا
يجتاح صفوتنا من الأحباب
والعين ترنو المجد يأتي طيعا
من قوة الإيمان في الأصحاب
خلف تسمّى باسمنا، وطريقة
ضد الشريعة، في نظام الغاب
وغدا المتابعُ شرعنا في دارنا
يمشي على حذر كما الأغراب!

مصطفى هاشم الشوربجي - موريتانيا

ملحمة لقاء

أمس التقينا، فأي ملحمة
تسبقُ ألفاظها معانيها
يضجُّ بالمطربات أولها
ويستفزّ الغرام تاليها
تروقُ ربَّ المجون نغمتها
ويعجبُ الأتقياء صافيها
أرخى علينا الستور مطلعها
وناصفتنا الهوى قوافيها
أيُّ لقاء! هو اختصار رؤى
دبَّ بصدر الشجيّ باليها
هو انطلاق ورعشة وهوى
سكبُ غمام، منى أغنّيها

ليت الزمان القديم يرجعُ لي
فينطوي العتبُ في زواياها
مُرُّوا طيور الجمال تنشدني
في ضلوع العميد ما فيها
أيُّ لقاء! ألمّ محتشما
ومرّ بي غيمة أناجيها
إن كان مرآه ساعة عبرت
فاليوم ذكرى اللقاء تحييها

عبدالله بن سليم الرشيد - الرياض

وانفرطت عناقيد الربابة

ظَلَّلتني واحة النخيل..
مرتع الجداول والعبير..
منبع الماء السلسبيل..
ترتاده الأطيار أو يرتادها..
ظللتني خضرة النخيل..
وهي هنا تعانق الرمال..
مليئة براحة الريحان..
فترتعش الخضرة فوق التلال..
ويستفيق الجمال يشع في الأفق الخفي..
يومىء في صمت الى عالم تحلو المنى فيه..
ويزهر الحلم .. تختفي الآهات..
أيتها الواحة .. لهواك آفاقي مرصعة..
يزهو السنا في رباها..
وينبت الشوق في صدرها..
نخيلك في ضباب الفجر أيقظني..
في شموخ .. يلامس حبيبات الندى..
فجاءت نسمات باردة تتناسب طرديا..
مع الاقتراب من مرتع الغزال..
فانفرطت عناقيد الربابة..
تفجر نبع الحياة بأرضي..
وتلمس عمق سمائي..
حبيبات الامتصاص..
في فضاءات الصفحات المرصعة بالكلمات الشاردة

مصطفى بلمشرى - الجزائر

يوميّة فارس



شعر: د. عبدالله الفيفي
جامعة الملك سعود - كلية الآداب - الرياض

أغمد السيف مرهق الإنسلال
وثنى شهوة الحصان الخيالي
وتمشّى في شكه الوقتُ رهواً
يستعيدُ احتماله باحتمال
حمحم المهرُ شاعراً لوذعيا
أفلتت منه لفتة للشّمال
واستدار المدى على اخدعيه
دورة الساعة.. انخزال الهلال
يلجم المهر كفُّه ويكف
يلجم الآه مدلهم السؤال
فتش الليل وجهَهُ في يديه
لم يجد ما يكونُه في الليالي
في نثاب من التوى ضاريات
وبياج من الطّوى كالسّعالي
يبتدىء الهمّ يلتوي ويُبادي
مُقدم محجمُ الظّنون انتقالي
شام في ردهة الوهاد بصيصا
ظن نجماً من السماء لؤالي
أطلق الروح في رُخاء المرايا
وسرى الطّرْفُ يستشفُ المجالي
طارقٌ هذا أمْ طريفٌ ومن ذا
صقرُ ما كان في السنين الخوالي
ما الذي يجري هل ترانا حلمنا
فصحونا بلا هوى أو وصال
تلك غرناطة التي ضمّختني
بسجال من الوجى والمعالي
لم يزل بابُها يصرُّ بأذني
وبقلبي يديرُ ألفي نصال
وفتاة من مهجتي ناهداها
ودمائي في وردة الخد والي
قُرْطُبيّاتُ أنْسها لعبتْ بي
وشمُوْلُ انتشائها في سبالي

أتراها لوهفة العشق تنسى

أم تراها غريرة لا تُبالي

أم تُراني رغبتُ عنها وعنّي

فاستحالتْ قصيدة من رمال

كان يلهو به السؤالُ ويلغو

جدّد اللّهْوُ جدّه وهو بال

لم يعد يدري ما الذي ينتويه

أيّ وجه لوجهه من كلال

يتروّى ماء الملالات صرفاً

في كؤوس من الغليل الزُّلال

قال لمّا ارتأى له الغربُ شرقا

وإذا الفجرُ نشوة من محال

يا غزالي من فكرة الحُب أشهى

قلْ متى فيَّ ترعوي يا غزالي

كان يهذي وكان ينوي عضوضا

في ثياب ضوئية من نبال

فإذا شخصٌ نابتٌ في البراري

أسود الصوت أبيض الإنهمال

يقضم العمر وحدة ورؤاه

تزجُرُ الطير سنُّها للشّمال

وإذا أمُّه التي لم تلدْه

تبصق اللفظ في انحناء الجبال

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً

لم تحافظ عليه مثل الرجال

. . . .

دمدم الصمتُ والغرابُ تغنّى

وعوى الذئب من شفاه الدلال

اصح من أمسك استفق يا حبيبي

ربَّ غرناطة رنّتْ في احْولال

ربما صارت البلاد كتاباً

أنت فيها بقيّة من مثال

رُبّما رُبّما وربّت باتتْ

لقتيل في أرضها واحتلال

فدع الشعر ها هنا وتهيّا

تنظمُ الفجر غُرّة من نضال

إنّما هذه الحياة قصيدٌ

خيْرُ أبياتها الحديثُ الأصالي

البرق الخاطف في صـ

الأحماض من الجذر الثلاثي (حمض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فني ساخر، يتناول مظاهر الحياة المعاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

* موضوع الأحماض:
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض:
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض:
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:

١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

حدّث ابن زهر الإشبيلي «١» قال :

تناهت إلي سمعي بدعة ابن شهيد الأندلسي «٢» فنازعتني إليها نفسي ، وغلبت علي شعوري وحسي ، ولم يعد في قوس صبري منزع ، وما التذ جنبي بطيب مضجع ، فأزمعت أن ألقاه فأستكنه منه وأسمع ، فيممت شطر دار وزارته بقرطبة فلما رآني تلقاني بالحبور وحياني وبياني ، ووجهه يطفح بالبشر والسرور ، وبين يديه آلة غريبة ظننتها الأسطرلاب «٣» فلمح ابن شهيد دهشتي علي قسمات وجهي فابتدرني قائلا :

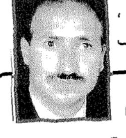
ـ لا غرو أنك ياأبا مروان ، قد تجشمت عناء السفر مستطلعا مستقصيا ، ولو تريثت لأخبرتك عن البدعة الجديدة ، وأنت جالس في بيتك علي الأريكة!

قلت : أني يتسني ذلك ، ومدى صوتك لا يجاوز الميل ، وبين قرطبة واشبيلية عشرات الأميال ، إن هذا لضرب من الخيال ؟ !

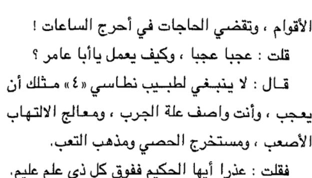
قال : بهذه الصغيرة العجيبة ! وأشار إلي آلة كالسلحفاة متصلة الأعضاء بأسلاك وأرقام ، وجودة وإحكام ، لها جرم ظريف وملمس لطيف .

قلت : أو كائن ذلك ؟ إنه إذن لمن خوارق العادات وخوالف المعهودات !

قال : أجل ، هو ذا ماتري وتسمع ، جهاز صغير ذو أثر خطير، سميته الهاتف ، بوساطته يتهاتف الخلان ، وتوصل الأرحام ، ويتعارف



بقلم : د. احمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ



عق الهاتف

الأقوام ، وتقضي الحاجات في أحرج الساعات !

قلت : عجبا عجبا ، وكيف يعمل ياأبا عامر ؟

قال : لا ينبغي لطبيب نطاسي «٤» مثلك أن يعجب ، وأنت واصف علة الجرب ، ومعالج الالتهاب الأصعب ، ومستخرج الحصي ومذهب التعب.

فقلت : عذرا أيها الحكيم ففوق كل ذي علم عليم.

قال: هذا جهاز يرسل ويستقبل، فينقل موجات الصوت إن شئت من قرطبة إلى حضرموت، عبر منظومة من دقائق الأسلاك، ولطائف أثير الأفلاك، فيبلغ في الدقيقة ما لا تبلغه الجياد الصواهل في سنين عديدة.

قلت: ومن اخترع الهاتف يا أبا عامر، أأندلسي أم مشرقي؟.

قال : بل صديقي الوفي زهير بن نمير ، فقد تذاكرت معه أخبار الخطباء والشعراء وماكان يألفهم من التوابع «٥» والزوابع «٦».

فقلتُ : هل حيلة في لقاء من اتفق منهم ؟ قال : بلي . فانطلقنا حتي التحمتُ أرضا لا كأرضنا علي متن جواد يجتاب الجو فالجو ، ويقطع الدو فالدو حتي حلت أرض الجن ، فنزلت ضيفا علي أميرهم (جراهام بل) «٧» فأهداني هذا الهاتف الأجل ، وهو يسميه (التلفون) من الرباعي تلفن ، ويزعم أنه عربي الأرومة والمحتد ، كابرا عن كابر ، وأبا عن جد . ثم انطلقت فلقيت امرأ القيس ، وطرفة والنابغة، والنميري، وأبا تمام ، وأبا نواس ، والمتنبي ، وعبدالحميد الكاتب ، والجاحظ فأقروا بتفوقي ، واعترفوا بفضلي ، وعلوّ كعبي ونبوغ أدبي !

قلت : حقا . أخذ القوس باريها ، فما مبلغ مانال « ابن بل » من المجد المؤثل ؟

قال : طار ذكره في الآفاق ، وأسكن في الأحداق ومدحه الرُّجاز علي اختراع هذا الجهاز فرددوا مع الحادي:

تيها وفخرا أجرهام بن البلْ
فإن شيطاني أمير الجن !

قلت : قد شوقتني أبا عامر فاسمعني ليطمئن قلبي.

قال : سمعا وطاعة . إن لم أسمع طبيبنا وحبيبنا فمن أسمع إذن!

ثم رفع ذراع الهاتف ، ونقر علي أرقامه بإصبعه وقال : تكلم . قلت : مع مَنْ ؟

قال : مع صديقك الحميم ابن رشد «٨» في دار القضاء بأطراف قرطبة . فهاتفته وقد غشيني الذهول ، وغطاني العرق . وقلت له : ياأبا الوليد ، إني لا آمن أن تكون جنيا لعينا أو شيطانا مريدا ، فقاسمني بالله إنه لابن رشد ، وتلا عليّ القرآن ، فبهتّ وصدقت ، ولما فرغت من مكالمة ابن رشد قلت لأبي عامر :

فهمت كلامك ياسيدي فهمت ولا عجب أن أهيما «٩»

الآن عرفت سر استعاذة العرب إذا غشوا الأودية ، وعثرت علي بواعث قلقهم وخوفهم من الهواتف ، لأنك وصاحبك زهير بن نمير تكمنان في قواتم أعماقها وخوالي مخترقاتها ، فتحدثان أصواتا مريبة ، وحركات غريبة بهذه الآلة العجيبة حتي يعوذ شاعرهم:

قد استعننا بعظيم الوادي
من شر مافيه من الأعادي !

فضحك ابن شُهيد وقال : حقا ماتقول ، ولكن ليس بهذا الجهاز الذي تراه .

قلت : فبأي شيء إذن ؟ قال : بالهاتف الخلوي !

قلت : ويح نفسي ماتقول يا «معالي» الوزير ؟! أحق هو أم بهتان وزور ؟!

قال : إنه لحق ، وفي التقنية أدق ، متعدد الأسماء شديد الألق ، يسمي في بعض الأصقاع « الجوال » وفي أخرى « النقال » وبأرض الأندلس والشام « الخلوي » الهمام ! وعلي أي حال كثير الأضرار والأخطار !

قلت : هل لك أبا عامر أن تريني الجهاز ، وأنا زعيم بكشف أخطاره، ومعالجة أضراره ؟

قال : حبا وكرامة . فاتصل بصاحبه زهير فجاء به ، فإذا هو بحجم الكف ، متين لا يلتف ، عليه أرقام رُتّبت بنظام ، وفي أعلاه أنبوبة كالسّنام ، فلما فحصته في مختبر قرطبة ، ظهرت أخطاره المرعبة ، فقلت لابن شهيد : إنه مشحون بسم زُعاف ، يضر بالنسل ، ويبعث الكسل . ويبطيء نبض القلب ، ويشوه العين ، ويشوش الأذن، ويحدث الأورام الخبيثة بفعل الاشعاع الكهرومغناطيسي !

قال : لست أفقه لغة طبكم ، ولا اصطلاح علمكم فاجتهد رأيك في إصلاح أعطابه، والتوقي من مصابه فهو كما تقول حارق صاعق ، وخارق ناعق، وإني لأعترف بذنبي إذ أمرت زهيرا أن يزوّد كل صعلوك جريء بجهاز خلوي ، فصاروا يعرفون عن كثب تحركات القوافل ومضارب القبائل ، فسلبوا وقتلوا ونهبوا وخربوا ، وكان أفتكهم « تأبط شرا » الذي لقب بذلك ، لأنه كان يتأبط « الخلوي » وأما عروة بن الورد فكان أحرصهم علي جهازه حتي آثره علي طعامه وشرابه ، وأنشأ فيه قائلا :

ولله جوال صحيفة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور «١٠»

قلت : علي هذا يجدر بالنقاد أن يعيدوا النظر فيما روي عن أهل المدر والحضر من رائق الشعر والنثر ، وأن يغيروا موازين التحليل الأدبي والتعليل النقدي . أليس كذلك ياأباعامر ، وأنت أعلم أهل زماننا بالصناعتين ؟

قال : بلي . والشواهد كثيرة والأمثلة غزيرة ، خذ بيت « النابغة » الذي نعت بأنه أكذب بيت قالته العرب وهو قوله :

ولولا الريح أسْمع مَنْ بحُجْر
صليل البيض تقرع بالذكور «١١»

فقد عجبوا كيف يسمع من بحجر صوت السيوف وبينها وبين مكان الواقعة مسيرة عشرة أيام ! فكذبوه ، ولم يعلموا أن النابغة إنما يشير الي « البيجر » و « الجوال »

وعبد يغوث ، أتدري لم كان يلح علي آسريه ليطلقوا عن لسانه المشدود بقطعة من جلد؟

قلت : الذي أعرفه أنه يريد هجوهم ، والنيل من ذمارهم ، ثم رثاء نفسه وتخليصها من الألم .

قال : لا ياأبا مروان بل كان يبغي أن يهاتف قومه بجهازه الذي سلبته منه الشيخة العبشمية ، ولكنه لم يمكن ، بل ظل يصيح :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة
أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا



أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا
فإن أخاكم لم يكن من بوائيا «١٢»

وأود أن أكشف سرا حار فيه النقاد عن « ديك الجن » «١٣» الحمصي وصاحبته «ورد» التي شغفها حبا ، ثم لمّا تزوجها قتلها بالسيف ، ولما تبين براءتها ندبها بفؤاد مزقه الألم ، وظلله الندم:

رويّتُ من دمــهــا الثــرى ولطالما
روّى الهـوى شفـتيَّ من شفـتيـها

إن الذي وشي « بورد » ورماها بالسوء وسوّل لديك الجن أن يقتلها هو صاحبي « زهير » فقد كان يحادثها بالهاتف فيلتفت زوجها فلا يري أحدا، حتي ظن بها السوء والجنون ، فلما أراق دمها حظي بالمكان الأسمي لدي المردة ، ونال أعلي لقب عندهم يناله كبير السن هو « ديك الجن »

قلت : ماأكثر الديوك ، وماأحط السلوك في هذا الزمان حين انتشرت « الهواتف » وتبلدت المشاعر والعواطف وتغيرت المباديء والمواقف !

وإني أستمحيك عذرا أبا عامر فالحديث ذو شجون ، وراغب إليك أن تصنف سفرا ببدائع المضمون فيما عرضنا من الفنون ، فأنت أبصر بمحاسن الخلال والفتون ومافي الهاتف من فضائل ومجون !

قال : عجبا لك أبا مروان ، أو تظن أنني لم أفعل ، لقد شغلت بالعمليات الجراحية والأدوية الطبية عن مدارسة كتابي « التوابع والزوابع » ولو تدبرته لوجدت في آخره فصلا رائعا ، وشهابا ساطعا ، جعلت عنوانه :

«البرق الخاطف في صعق الهاتف» !!

هوامش:

(١) ابن زهر الاشبيلي : هو أبو مروان عبد الملك بن زهر ، ولد باشبيلية ودرس الطب علي أبيه حتي صار أشهر أطباء الأندلس اشتهر بكتابه : التيسير في المداواة والتدبير ، وأثر في الطب الأوروبي أثرا بليغا . كان صديقا للفيلسوف ابن رشد توفي ـ ١١٦١ ـ م.

(٢) ابن شهيد الأندلسي : هو أبو عامر أحمد بن شهيد من شعراء الدولة العامرية ، كان وزير الناصر بقرطبة ، له رسالة مشهورة سماها «التوابع والزوابع» أو شجرة الفكاهة ، توفي ـ ٤٢٦ هـ .

(٣) الأسطرلاب : آلة حسابية يُعرف بها الوقت ، وتستعمل لمعرفة الأجرام السماوية .

(٤) النطاسي : العالم الماهر ، والطبيب الحاذق .

(٥) التوابع : جمع تابع وتابعة : الجني .

(٦) الزوابع : جمع زوبعة وهي الشيطان أو رئيس الجن ، كانوا يزعمون أنه يلهم الشاعر ، قال الراجز : فإن شيطاني أمير الجن! .

(٧) جراهام بل : مخترع التليفون فى سنة ١٨٧٦ ـ ١٨٧٧ م .

(٨) ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد ، فيلسوف وطبيب وفقيه أندلسي ، ولى القضاء فى إشبيلية ثم فى قرطبة حتى لقب بقاضي قرطبة ، أهم كتبه : «تهافت التهافت» توفى ـ ١١٩٨ م .

(٩) البيت للبستي ، وفيه جناس تام بين فهمت «من الفهم» وبين فهمت الثانية «من الهيام» وأصله :

فهمت كتابك يا سيدي
فهمت ولا عجب أن أهيما

(١٠) أصل البيت : ولله صعلوك صحيفة وجهه ....

(١١) كلمات البيت : البيض : جمع بيضة وهي الخوذة . الذكور : أصلب السيوف وأشدها يبسا . وحجر : قصبة اليمامة .

(١٢) يقول لآسريه معشر تيم : أن يصفحوا عنه كرما منهم ، لأنه بريء من دم صاحبهم ، فلم يكن من جرائره أو ضحية من جرائمه ، ولم يكن نظيرا له أو مكافئا .

(١٣) ديك الجن الحمصي : هو عبد السلام بن رغبان . من سلالة أهل مؤتة فى جنوب الأردن . شاعر عباسي ولد بحمص سنة ١٦١ هـ . كان كثير اللهو والعكوف على الخمر ، نظم أروع أشعاره فى بكاء صاحبته «ورد» التى قتلها ، توفي سنة ـ ٢٣٥ هـ .

الهيدروجين

احد مصادر الطاقة الهامة فى القرن المقبل

منذ وُجد الإنسان على هذا الكوكب، بدأ بالبحث عن مصادر الطاقة، لما لها من تأثير على الحياة الاجتماعية والاقتصادية العلمية والتقنية، وقد تنوعت هذه المصادر من فترة لأخرى بحسب الاكتشافات والإمكانات والظروف وآراء الباحثين ومسؤولي الطاقة في الحكومات، ومع احتمال حدوث أزمة كبيرة في الطاقة خلال الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، يسعى الخبراء المعنيون لتجنبها بتجريب مصادر الطاقة المتنوعة، ويقترح بعضهم أن يكون الهيدروجين المستخرج من المياه بواسطة الطاقة الشمسية هو الوقود الأساسي الذي سيحتاجه التقدم العلمي والتقني في القرن المقبل.

في إطار بحث الإنسان عن مصدر للطاقة والدفء والاستنارة، اكتشف النار التي كانت اكتشافاً هاماً في تاريخ البشرية، ومنذ أكثر من قرنين، استعمل الإنسان الفحم (الكربون) كمصدر للطاقة ولكن دوره لم يكن مقبولا بشكل كاف، ثم اكتشف البترول في منتصف هذا القرن ولعب دوراً طاقياً هاماً، لكنه حسب ما هو متوقع سينتهي خلال خمسة وثلاثين عاماً، وسيحدث للغاز الطبيعي نفس الشيء ولكن بعد حوالي نصف قرن، ومازالت مشاكل المراكز النووية الانشطارية متكررة، أما المراكز النووية الاندماجية فهي في طريقها الطويل نحو الظهور الحقيقي بالرغم من العمل الدؤوب من قبل العاملين عليها لتحقيق الهدف. وفيما يتعلق بمصادر الطاقة الأخرى كالطاقة الناتجة عن الرياح والطاقة الحرارية الجوفية، فهي مصادر جيدة ولكنها غير كافية ولا يمكن أن تلغي بقية مصادر الطاقة الأخرى. وهنا يبرز السؤال التالي: ما هي المصادر التي يمكن أن تحل محل البترول والغاز الطبيعي اللذين كانا يغطيان الـ ٦١٪ من المصروف العالمي للطاقة؟ أو بالأحرى، ما هي الطاقة الأساسية للقرن القادم الذي يلوح بقدومه مستعجلا وحاملا كثيراً من مشاكل الطاقة، علاوة عن مشاكل الحياة الأخرى؟.

الهيدروجين أبسط ذرات الكون:

لا شك أن الهيدروجين هو أحد مصادر الطاقة للقرن المقبل، بالرغم من كونه أبسط ذرات العناصر الكيميائية، حيث يتكون من بروتون وإلكترون ويتواجد حراً في الطبيعة بكميات قليلة، لا تتعدى نسبة تواجده في الهواء ٠٫٠١٪ بينما يعتبر غاز الهيدروجين من أكثر العناصر توافراً في الطبيعة ويلعب دوراً أساسيا كحامل للطاقة. وفي النجوم

بقلم : د. غازي حاتم
- سوريا -

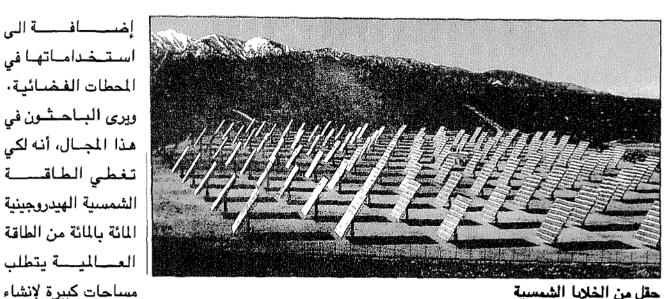
التي تتكوّن منه، تتحد ذراته لتشكل الهليوم وتتحرر عن هذه العملية كمية من الطاقة تجعل النجوم تلمع لملايين السنين. كما يحوي القسم الأعظم من الكتلة الغازية للشمس على الهيدروجين. أما على الأرض فمنابع الهيدروجين كثيرة ويأتي في مقدمتها مياه المحيطات والبحار والأنهار وهي التي سنركز عليها في هذا ا لمقال وذلك لأن الهيدروجين قابل للتخزين ويمكن استعماله بعدة طرق ولا يؤثر على البيئة (الجو) إذ يتحول من جديد إلي ماء عندما يدخل بالاحتراق، كما برزت أهميته بعد محاولة استخدامه كحامل للطاقة وخاصة بعد تفجير القنبلة الهيدروجينية المبنية على اندماج ذرات الهيدروجين، حيث يرافق ذلك انبعاث طاقة هائلة.

المراكز النووية الإنشطارية .. وأخطارها المستمرة .

طرق الحصول على الهيدروجين:

وأهم الطرق للحصول على الهيدروجين هي طريقة التحليل الكهربائي للماء التي تجرى في جهاز مخصص لذلك، يتكون من إناء يحوي ماء، ويغمس بالماء سلكين معدنيين (الكترودات)، المهبط والمصعد، ويتم وصلهما بمصدر للتيار الكهربائي. وقبل تمرير التيار يُضاف الى الماء النقي مادة مساعدة حمض أو قلوي أو ملح لتحويله الى محلول ناقل للكهرباء (الماء النقي لا ينقل التيار). وبعد تمرير التيار الكهربائي تتجه الشوارد الموجبة (H) التي تتشكل في المحلول نحو المهبط (الكاثود أو القطب السالب) وتتجه الشوارد السالبة (Ho) نحو المصعد (الأنود أو القطب الموجب) وبهذه الطريقة نحصل على الوسيط الطاقي الذي هو الهيدروجين بصرف كهرباء، ويكون الغاز المحضر بهذه الطريقة أكثر نقاوة، وإذا وجد مصدر رخيص لتوليد الكهرباء مثل الطاقة الشمسية فإن طريقة التحليل الكهربائي لإنتاج الهيدروجين تكون أفضل.

ولتجنب أن تكون تكلفة الهيدروجين الذي يُحصل عليه قليلة، دُرست إمكانية الاستفادة من الشمس التي تشع بنورها على الأرض كونها مجانية وتشع خلال فترات النهار ورأوا أن تقام الخلايا الشمسية في المناطق الصحراوية (الحارة) بالرغم من كونها بعيدة عن مراكز الاستهلاك وبعد أن تحول هذه الخلايا الضوء إلى كهرباء، يُنقل بواسطة الخطوط الكهربائية (الكوابل) إلى الشواطىء حيث تُشاد هناك مصانع الهيدروجين، وبعد الحصول عليه يُخزن



حقل من الخلايا الشمسية

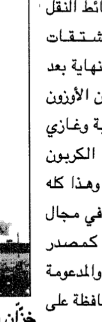
ثم ينقل لأماكن التصريف. هذا وقد وضعت بالعمل في عام ١٩٨٧م مصانع بيلوتر لاستخراج الهيدروجين بمساعدة الطاقة الشمسية وجُهزت بعد ذلك في ألمانيا خلايا شمسية لتحويل الضوء الشمسي الى تيار كهربائي حتى مئات الكيلوواطات، كما وصلت إحدى الدراسات اليابانية إلى نتيجة أن التيار الكهربائي الذي يحصل عليه اعتماداً على الأشعة الشمسية يمكن أن ينافس في المستقبل المراكز الكهربائية ذات الاستطاعة العالية بشرط أن تنتج التكنولوجيا الحديثة خلايا ضوئية رقيقة جداً وأن تحقق ربحاً يقارب العشرين بالمائة (بدلا من ١٠٪) وأن ينقص سعر الخلايا الشمسية بعد أن يتم إنتاجها بكثرة. وقد تطورت صناعة الخلايا الفولتاضوئية وحققت ربحاً مقبولا لتجارها، وخاصة بعد أن انتشر استعمالها وأصبح كثير من شوارع المدن في البلاد الأوروبية وبعض الدول العربية مضاءة بقناديل ضوئية مغذاة بطاقة شمسية، إضافة الى استخداماتها في المحطات الفضائية. ويرى الباحثون في هذا المجال، أنه لكي تغطي الطاقة الشمسية الهيدروجينية المائة بالمائة من الطاقة العالمية يتطلب مساحات كبيرة لإنشاء التجهيزات قد تصل إلى ٥ر٠٪ من مساحة الأرض، ويعوّلون على هذا المصدر من الطاقة دوراً هاماً في المستقبل كونه لا يسبب ضرراً في البيئة ورخيص ولأنه سيكون أحد البدائل الرئيسية عن مستهلكات البترول الكثيرة وخاصة في مجال المواصلات البرية والبحرية والجوية والتي تصل إلى ٩٠٪ من الطاقة المواصلاتية المستخدمة.

استعمالات الهيدروجين:

ليست طريقة الحصول على الهيدروجين بواسطة الأشعة الشمسية، هي الطريقة الوحيدة لاستخلاص الهيدروجين، بل هناك كثير من الطرق وكثير من المصانع المختصة بذلك والتي تنتج ملايين الأمتار المكعبة من هذا الغاز وهذا سيفسح المجال لاستعمال الهيدروجين بشكل أوسع في المستقبل، وبالتالي سيؤدي هذا الى المساهمة بحماية البيئة من التلوث

استعمال الهيدروجين فى المركبات الفضائية الامريكية

الناتج عن عوادم وسائط النقل بسبب استخدام المشتقات البترولية التي تؤدي بالنهاية بعد عدة تفاعلات إلى تكوّن الأوزون الضار بالكائنات الحية وغازي أول وثاني أكسيد الكربون وملوثات غازية أخرى وهذا كله يشجع الجهود المبذولة في مجال استعمال الهيدروجين كمصدر حامل للطاقة النظيفة، والمدعومة من قبل المهتمين بالمحافظة على البيئة وأهم استخدامات الهيدروجين الحالية هي استعماله كوقود في المركبات الفضائية (وكالة الفضاء الامريكية) وفي الطائرات (شركة بوينج الامريكية) وتجرى حالياً كثير من التجارب والتجهيزات من قبل الباحثين لتوسيع نطاق استخدامات الهيدروجين بعد أن يصبح متوفراً بشكل كاف، وما يجب التذكير به هو ضرورة اهتمام العرب بهذا المصدر الطاقوي وما يماثله من طاقات متجددة لتوفير قسم كبير من مستهلكات البترول وإطالة عمره لأطول فترة ممكنة.

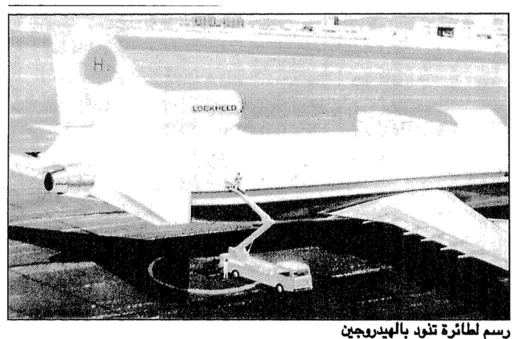


خزّان هيدروجيني

الأخرى. وقد شجع ذلك كثير من الباحثين لعقد مؤتمرات داعمة لهذا المصدر الطاقي المستقبلي، بالرغم من تشاؤم البعض من إمكانية استغلال هذه الطاقة بشكل جيد. وما نأمله كعرب أن تتعاون الدول العربية بشكل جدي لتصنيع الأجهزة اللازمة لإنتاج هذا المصدر تعاوناً علمياً وتقنياً وتسويقياً لكي يوفروا المال والجهد والسرعة، وبالتالي سينعكس ذلك إيجابياً على أبناء العروبة قاطبة.

خاتمة:

هذا بعض ممّا يمكن قوله عن الهيدروجين كحامل للطاقة الذي سيوفر إنتاجه الواسع مخزون طاقي هام وسيؤدي استخدامه إلي تخفيض مشكلة التلوث البيئى الناتج عن بعض مصادر الطاقة



رسم لطائرة تنود بالهيدروجين

أغنية في الرّماد

ما بين صمتك واحتراقي
غيمة تمشي على نهر السُّهادْ
في قلبها لغةُ الندى..
ودموعُها غيثُ التجلي..
تزرع الأغوار..
من وادٍ لوادْ.
وأمدُّ أجنحة الحنين
إلى حقول أشتهيها
فأراك طيبتها..
ونجمتها على صدر البلادْ
وأراك في «شجر الجميل»
ولادة الألوان،
والذكرى تحاصرني
على طول القُرى،
فيفرُّ من صدري الفؤادْ

* * *

يا نبعة الأشواق،
في عينيك أعراسُ الفصول،
ودمعة الأمواج تحبسها الشواطىء
كلما خفقت بمرفئها تعادْ
ولصوتك الساري إلى قلبي.
رفيفُ النور،
يكتبني..
ويكتبُ أغنياتي..
في تضاريس الرّمادْ
ما بين صوتك والمدى..
قلبٌ على وتر الرياح،
وطيفُ أغنية..
تفتشُ عن جناحْ
ستطيرُ نحوك..
غير أنَّ الليل أخَّرها
لبعض الوقت..
فالتفت الصّباحُ إلى الصباحْ
وتشاغلا في أبسط الكلمات
- أين تغيبُ؟!
- أين يحطُّ طائرها؟!
- من المسؤولُ عن أسرارها؟!
الشاعرُ المبتلُّ في هذا الندى؟!
أم لعنة الذكرى
كما قالت له يوماً
فصدّق .. واستراحْ؟!

* * *

ياليته قدري المتاح
يأتي فيشهدُ..
كيف تأتي النارُ لاهبة
على دمي المباح
فتراه يصعدُ مثل موج
صاخب الأنفاس..
في بحر الجراح
وتراه يخفقُ في الصدى
تحت النوافذ،
يعبرُ الوقت المحدّد
يستجيرُ بنار وحشته،
أمام الدار،
ينزفُ .. ثم ينزفُ..
ثم يخنقهُ الصّداحْ!!

د. محمود الشلبي
كلية مجتمع اربد ـ الاردن


رسالة
من الديلمي
.. الى السيدة الجميلة
حوار
مع الأديبة
سكينة
فـؤاد
أولو العزم من الرسل
١١٩
أوراق زوجية
هن
مجلة عصرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها
Rajab. 1420 H - Oct.-Nov. 1999 C

أولو العزم من الرسل

لقد اختص الله الأنبياء بالمعجزات والآيات الباهرات ، وأقام بهم الدين الذي اصطفاه لهم ، فهدي بهم من الضلالة ، وأنقذ بهم من الجهالة . وجعلهم أدلاء علي الهدى لمن استهداهم .

قال تعالي : « **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل** » الآية ٣٥ من سورة الأحقاف

قيل إن هذه الآية نزلت علي رسول الله {صلي الله عليه وسلم} يوم أحُد فأمره الله عز وجل أن يصبر علي ماأصابه كما صبر أولوا العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا له ، وقال الحسين : أولوا العزم أربعة ابراهيم وموسي وداوود وعيسي[١] .

أولا : سيدنا ابراهيم (خليل الله) عليه الصلاة والسلام :

فأما ابراهيم فقيل له « أسْلم قال أسلمت لرب العالمين » البقرة ١٣١ ثم ابْتُلي في ماله وولده ووطنه ونفسه ، فوجد صادقا وافيا في جميع ماابتلي به . وقد ورد اسم « ابراهيم » في ٢٥ سورة من سور القرآن الكريم[٢] ، قال تعالي : « إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » النحل ١٢٠ .

ولقد كانت مواقف ابراهيم مع قومه متعددة ، .فتارة يحاج والده ، وتارة يحاج الجمهور ، وتارة يحاج الملك ، وتارة يفعل مايستفزهم به إلي مهاجمته كتكسير الأصنام ليكلموه في شأنها إلي أن أوقدوا النار لحرقه فنجاه الله منها بعد أن ألقي فيها .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلي رسول الله {صلي الله عليه وسلم} فقال له : ياخير البرية ، فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : ذاك ابراهيم خليل الله [٣] .

ثانيا : سيدنا موسي عليه الصلاة والسلام « كليم الله » :

وأما موسي فعزمه حين قال له قومه : « إنَّا لمدركُون ، قال كلا إنَّ معي ربي سيهدين » الشعراء ٦١

وكان موسي لا يترك فرصة للدعوة إلي الله سواء أمام فرعون أو غيره .

وقال تعالي : « قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا » الأعراف ١٢٨ .

إن الابتلاء الذي يصاب به الانسان في الدنيا ينبغي أن يقابل بالرضا فقد يكون الخير العظيم في هذا الابتلاء ، فهذا موسي قد خرج خائفا من آل فرعون تاركا مصر ، فكان الخير كله في هجرته ، واصطفاه ربه برسالاته وبكلامه ، ولقد كان موسي حليما علي بني اسرائيل رؤوفا بهم فإن الله قد غضب عليهم بسبب عبادة العجل وهددهم بالإبادة .

ولقد ذكر الإمام البخاري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : « إني لأول من يرفع رأسه بعد النفخة فإذا موسي متعلق بالعرش (٤) »

ثالثا : سيدنا داوود عليه السلام :

وأما داوود فأخطأ خطيئته ، فنبه عليها ، فأقام يبكي أربعين سنة حتي نبتت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها (٥) .

ولقد ورد اسم داوود في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا . ولقد جاء في الكتاب الكريم أن الله سخر الجبال مع داوود يسبحن بكرة وعشيا . ولقد اختاره الله تعالي ليفعل العجائب بيده ، فقتل الله

رقيه صالح طه
- سوريا -



بيده جالوت الجبار بحجر أرسله من المقلاع ، وكان معتصما بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالي . وإن الله تعالي لما رأي طاعة داوود وشكره زاده من نعمه وألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع ، قال تعالي « ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . (ص ٢٦)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله {صلي الله عليه وسلم} قال : خفف علي داوود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج ، فيقرؤه قبل أن تسرج دوابه ، ولا يأكل إلا من عمل يديه .

رابعا : عيسي عليه الصلاة والسلام :

وأما عيسي فعزمه أنه لم يضع لبنة علي لبنة وقال : إنها معبر فاعبروها ولا تعمروها فكان الله تعالي يقول لرسوله {صلي الله عليه وسلم} (اصبر ، كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق ابراهيم واثقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسي ، مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داوود زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسي (٦) ، ولقد ذكر سيدنا عيسي في ثلاث عشرة سورة من القرآن الكريم في ثلاث وثلاثين آية (٧) قال تعالي : [إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] آل عمران ٥٩ .

وعن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله {صلي الله عليه وسلم}: «ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من نخسه إياه ، إلا مريم وابنها » .

روايات أخري عن أولي العزم من الرسل :

قال ابن عباس إن أولي العزم من الرسل هم ذووا الحزم والصبر ، قال مجاهد : هم خمسة : نوح ، وإبراهيم وموسي وعيسي ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وهم أصحاب الشرائع . وقال أبو العالية : إن أولي العزم : نوح ، وهود ، وإبراهيم ، فأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يكون رابعهم . وقال السدي هم ستة : إبراهيم وموسي وداوود وسليمان وعيسي ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين . وقيل : نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسي ، وهم المذكورون علي النسق في سورة الأعراف والشعراء . وقال مقاتل : هم ستة : نوح صبر علي أذي قومه مدة ، وإبراهيم صبر علي النار ، وإسحاق صبر علي الذبح ، ويعقوب صبر علي فقد الولد وذهاب البصر ، ويوسف صبر علي البئر والسجن ، وأيوب صبر علي الضر

وقال ابن جريج : إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب ، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم . وقال الشعبي والكلبي ومجاهد أيضا : هم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة . وقيل : هم نجباء الرسل المذكورون في سورة «الأنعام» وهم ثمانية عشر : إبراهيم ، وإسحاق ويعقوب ونوح وداوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي وهارون وزكريا ويحيي وعيسي وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط . واختاره الحسن بن الفضل لقوله في عقبه : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » . وقال ابن عباس أيضا : كل الرسل كانوا أولي عزم . واختاره علي بن مهدي الطبري ، قال : وإنما دخلت «من » للتجنيس لا للتبعيض ، كما تقول : اشتريت أردية من البزّ وأكسية من الخز . أي اصبر كما صبر الرسل .

المصادر :

١ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، المجلد ١٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٥ صفحة ٢٢١

٢ ـ قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، منشورات دار النصر ، دمشق ، ص ٧٧

٣ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير الجزري ، المجلد الثامن ص ٥١٢

٤ ـ جامع الأصول ، ص ٥١٤

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ص ٢٢١

٦ ـ الجامع لأحكام القرآن ص ٢٢١

٧ ـ قصص الأنبياء ص ٣٧١

٨ ـ الجامع لأحكام القرآن ص ٢٢٠ ـ ٢٢١

حوار مع الأديبة
سكينة فؤاد

من المدينة الباسلة « بورسعيد » جاءت أديبة مسكونة بعشق النضال والبطولة ضد الاحتلال والمحتلين ، فأبدعت مجموعتها القصصية « ليلة القبض علي فاطمة » التي نفذت إلي قلوب المصريين بصدقها وشفافيتها ..

... من بيئة البحر ، أتت امرأة عشقت البحر .. جاءت أديبة تحمل كلمة حق .. امرأة تحمل راية للحرية، وقلم جريء نابض يعشق القيم الانسانية، جاءت الأديبة لتحكي الحكاية من بدايتها في : «محاكمة السيدة س»، «ملف قضية حب»، «ترويض الرجل»، «امرأة يونيو» ..

كان مع سكينة فؤاد حوار من جنس خاص .. لمجلة خاصة..

إحساس الابداع القصصي

● في البداية نود أن نعرف كيف تولد لدي الأديبة سكينة فؤاد الإحساس بكتابة القصة ؟

ـ أنا من جيل ينتمي إلي المكتبة والكتب ، ولم تكن قد أصبحت المكتبة مجرد « ديكور » في البيوت ، أنا من جيل كان الكتاب عنده صديق ورفيق للكبار ، وكان البيت كَبُر أو صَغُر يحرص علي ركن فيه للمكتبة .. وكان أقصي أحلام الصبية الصغيرة أن تفك طلاسم مشهد أحد الكبار في الأسرة .. وهو يمسك بكتاب يقرأه .. وعلي عينيه نظارة طبية .. كان أقصي حلم لي أن أفتح كتابا وأنا أقرأه ... أحسست أن القراءة تعطي هيبة .. تعطي احتراما .. كل من يقرأ له سمت مختلف .. كان لمن يقرأ مكانه فتمنيت المكانة .. ربما فتحت عيني علي حواديت الجدة .. فتمنيت أن أحكي .. فتحت عيني علي بيئة البحر .. حيث الخيال يوقظ مبكرا .. فأحسست أن الكتاب عالم مسحور أتمني أن أدخله .. لم أكن أعرف ماذا أريد بالضبط .. إنما حكي الحكاية .. حكايات الناس كانت تشغلني .. أنا أذكر أنه كانت أذناي الصغيرتان لا تكفان في أن تذهبا وراء كل من يحكي ـ ليس تلصصا ـ وإنما فهما للوجود ، كان ومازال يعنيني في البشر حكاياتهم .

● ان لم تكوني كاتبة وأديبة .. ماذا كنت تتمنين ؟

ـ لو لم أكتب .. لكنت أتمني أن أكون فنانة تشكيلية، للوجوه الانسانية ... إبداع الخلق في

حاورها : وفيق صفوت مختار
ـ مصر ـ



الوجه .. بالقيمة الجمالية القادمة من الداخل .. لأن أجمل وجه عندي .. وجهٌ كتب الزمن فوقه خطوط معاناة ..

البدايات :

● البيئة التي تولدت فيها بدايات سكينة فؤاد الإبداعية ، ما طبيعتها ؟

ـ هي بيئة البحر .. بيئة المقاومة ضد المحتل .. بيئة التحدي في التغيير والتحدي للمستعمر .. بيئة تربية النشء وسط قيم البطولة والوطنية .. بيئة البحر المفتوح .. والسفن التي لا تكف عن العبور .. لم أكف عن الحلم بشاطيء آخر .. كان العالم بالنسبة لي دائما متسعا .. فأنا أعتقد أن هذه البيئة أدين لها برحابة الفكر .. بالاتساع .. بالبحث لما وراء الطبيعة ، ووراء البحر .. ووراء ... ووراء ..

● هل تذكرين الأدباء الذين وضعوا بصماتهم الحقيقية علي حياتك الابداعية ؟

ـ نعم .. مازلت أذكر الكتب الكلاسيكية للكبار أمثال « إميل زولا » و « تولستوي » و « تشيكوف » شكل وجداني أيضا ماقرأته من قصص « ألف ليلة وليلة » وكتاب تفسير الأحلام « لابن سيرين » . كل القراءات الكلاسيكية الأولي لعبت دورا كبيرا .

فاطمة .. وبور سعيد .. والمقاومة

● «ليلة القبض على فاطمة» .. قصة تخاطفها القُرّاء .. كما تخاطفتها الإذاعة والسينما والتلفزيون .. أحداث القصة تمتزج بأحداث المقاومة قبل الثورة وبعدها .. كما أن القصة عبارة عن نسيج شفّاف امتزجت فيه السياسة بالواقع الاجتماعي والإنساني .. أعتقد أن لهذه القصة خيوطاً عديدةً من الواقع الحقيقي المُعاش ... ما تعليق الأديبة سكينة فؤاد ؟

ـ المبدع يستخدم البصيرة فى عمقها



● لو لم أكن كاتبة .. لتمنيت أن أكون فنانة تشكيلية

وتكثيفها ، يستبصر ويحس وجدان أهله يرى ويسمع مالم يقع أمامك .. هناك نوعٌ من استبصار وجدان الناس والأهل .. لا أبالغ وأصْدُقُكَ القول .. أنني كتبت «فاطمة» قبل أن أعرف تفاصيل المقاومة .. كتبتها من مُجْمَل الإحساس بالمرأة المصرية .. من مُجْمَل الإحساس بالمرأة التى أنتمي إلى جذورها .. إنَّها متوجِّسةٌ فى زمن تغيب فيه قيمة الحق .. ويصبح من يقوله عليه أن يوضع وراء مستشفيات فاقدى العقل .. وأنا أرى الحق يزوى .. والحقيقة تضمحل .. والكذب يعلو .. والانسان يأكل بعضه .. من حصيلة الطفولة صعدت ذكريات المقاومة .. شاهدت «فاطمة» فى نساء بور سعيديات .. ولاتنسَ أنَّ المرأة فى مدن البحر مثلما فى مدن الصعيد لها مكانة عالية جداً .. والمرأة فى السن المتقدم تكون عمدة البيت .. شاهدت المرأةُ رجالاً كباراً ـ ولأنهم رجالٌ كبارٌ ـ كانوا يمتثلون لحكمها .. ورأيت الرعبَ فى رجالٍ كذبوا أو غشوا ، .. وهى تقول لهم : قولوا الحقيقة .. سأعرفها .. كان قلب الطفلة يرقص وهى تراقب كل هذا .. لاتتصور، أنى بعد أنْ كبرت ونضجت .. بدأت أجمع أوراق المقاومة .. موسوعة نضال بور سعيد للأستاذ «ضياء القاضي» كانت

كتبتُ (فاطمة) قبل أن أعرف تفاصيل المقاومة خيالى لم يرتفع الى قامة قدرة الواقع والانسان والمقاومة دخلت مجلس الشورى على أجنحة الكلمة

تمثل ملامح ومعالم فى الطريق وأنا أحييه .. وأتمني من كل ابن مدينة من مدننا أنْ يكتب تاريخ مدينته .. لأنه .. أية مدينة بلا نضالٍ ؟! .. إن لم يكن مع أجنبي فمع حاكم غريب .. تاريخنا تاريخ نضال .. تاريخ محاولة استيلاء واختراق – وأنا أقرأ تاريخ المقاومة .. فإذا بمجموعةٍ من النساء تقودها «زينب الكفراوي» .. وإذا بى أصيح بصوت عال وحدى .. لأن «زينب» حملت طفلاً ولكنه من دمٍ ولحم .. وليس كخيالى القاصر من قشٍ وقماش .. حملته وعبرت به جميع نقاط التفتيش .. ووُقع على جسدها بأختام الحراسة الإنجليزية .. وكانت تحمل فى قلب عربة الطفل متفجرات ومعها كلمة سر .. وعبرت الى الفدائيين .. وكتبتُ فى الأهرام مقالة أعتذر فيها عن خيالي الذى لم يرتفع إلى قامة قدرة الواقع والإنسان والمقاومة.

مجلس الشورى

● إختيار سكينة فؤاد لعضوية مجلس الشورى شرفٌ للأدب والأدباء .. ولكن هل عملكِ كنائبة أثَّر من قريبٍ أو بعيدٍ على نتاجكِ الأدبى .. وإبداعكِ بشكلٍ عام ؟!

ـ سؤال جميل .. أولاً أعترفُ .. أنه لم يحملنى إلى مجلس الشورى إلاَّ أجنحة الكلمة .. وقيادة قَدَّرت .. لأننى لا أملك إلاَّ الكلمة .. ليس لى فى الدنيا بعد الإيمان باللَّه سبحانه وتعالي .. من وجاهة أو قيمة إلاَّ الكلمة .. وما كتبتُ .. فى البداية أقول لك .. ربما كان الارتباط بالكلمة بحثاً عن هوية .. الكلمة ارتباط بالوجود بشيءٍ حقيقى .. المال يزول ، والمكان يزول .. وكل شيء يزول .. ولكن لا تزول مكانة صنعتها بجهدٍ وعرق .. فما بالك بالكلمة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء .. مجلس الشورى حملتنى إليه أجنحة الكلمة .. فأنا بدون الكلمة ما كنت شَرُفْتُ بالتمثيل النيابى واختيار القيادة ـ فأنا من المعيَّنين ـ بالتأكيد إنَّه احترام للكلمة .. ثم إنَّ التجربة تجربةٌ شديدة الخطورة ـ لأنى أتمنى أن أجمع كل ماتحدثت به تحت القبة وأصدره فى كتابٍ متواضع لأقول : أنا النائبة لم أترك أبداً يدّ الكاتبة فى الانتماء إلى قضايا الناس .. وإلى همومهم الحقيقية .. مشكلة كبيرة عندما تنتمي للناس .. وتتعدد أشكال انتمائك صحفيا ونيابياً وأدبياً .. فما أكثر ما تأخذ منك التغطية الصحفية فكرة جميلة من الممكن أن تنتظر الإنضاج لقصة أو رواية .. وإذا سألتني أقول لك إن الانتماء إلى الناس والتعبير عنهم هو القضية الأولي .. والأدب شكل .. والنيابة شكل آخر .. والصحافة شكل ثالث .. إنما يظل الأدب الأكثر قيمة .. والأعمق أثرا .. ما أكثر ما ذهبت النائبة إلى مالم تستطع الاديبة أن تذهب إليه وحدها .. لاتنسى أن النائبة ساعدت الأديبة على أن تغوص فى أعماق مصر ..



فن القصة القصيرة

● **القصة القصيرة والرواية فنٌ أوربى نقله العرب عن الغرب .. أم فن تضرب جذوره فى أعماقنا !؟**

ــ أنا ممَّن يرون فى جذورهم كل شىء .. ففى الأدب العربى القديم حكايات وسير ومقامات وقصص .. وقصر القصة على الغرب قولٌ مضحك .. لأن القصة جزء من الوجود الإنساني .. فمنذ وجد الإنسان على الأرض وهو يحكى .. والمأثور الشعبي مِلك كل الشعوب .. وراوى الربابة ملِك كل الشعوب .. من منا لم يحكِ ؟ ومن منَّا لم يقل ؟ .. فكيف تكون خاصة بأوربا ؟

● **هناك من يدَّعى أن القصة القصيرة قد استنفدت جميع أغراضها وحان وقت رحيلها عن الساحة الأدبية؟!**

ــ ليس أنسب للَّحظة الراهنة من القصة القصيرة فى مناسبتها لسرعة ايقاع الحياة ولا أنسب منها لالتقاط مشهد مثبت على كاميرا الزمن .. ولاتنسى أنَّ الرواية فن البناء والمعمار، والواقع أصبح أقوى من الفن .. نعم أنت الآن تعيش واقع حكايات لايرقى إليها أى جنون فنى .. كيف يمكن للقصة أن تسبق الواقع ؟ .. هى فى منافسة خطيرة مع الواقع .. لأنه إذا تصفحت صفحات الحوادث تقرأ قصصاً لو كتبتها وألَّفتها يقولون أنك مؤلف مجنون .. أنت الآن تقابل نماذج بشرية يصعب على القلم أن ينقلها على الورق .. الفن كان يتقدم الواقع من قبل .. الآن الواقع يتقدم الفن .. القصة القصيرة يجب أن تكون .. لحظة فيها شموليتها .. فيها عمق ورُؤية .. وإلاَّ سيكون تصوير الواقع مجرَّد كتابة صحفية..

● **الانتماء للناس والتعبير عنهم هو قضيتي الأولى**

● **فن القصة أعلى من مجرد الكتابة التسجيلية للواقع**

● **قَصْرُ القصة على الغرب قول مضحك**

● **القصة القصيرة والرواية فن تضرب جذوره فى أعماقنا**

● **كيف تستطيع القصة أنْ تظل تمتلك مقومات فنية تجعلها أسبق من الواقع ؟ أم أن هذا صعب ؟**

ـ لا .. ليس صعباً على الإطلاق فى خلق الفنان .. من أجل هذا ربما تقل .. ولكن لاتنعدم .. ما أكثر الآن من يتصور .. أنه يمكن أن يكتب قصة أو رواية ! .. واختلاط الحابل بالنابل يجنى على الكثير من الأدب الذى له قيمة.. وعلى النقد أن يغربل ويقوم ويقيّم .. كتابة الواقع مهمة جداً .. وفن القصة أعلى من مجرد الكتابة التسجيلية للواقع .

● **وماذا عن أحلام وأمنيات سكينة فؤاد ؟**

ـ أن أنتمى لناسى وأهلى وبلدى بحبلٍ سُريّ .. تصنعه الكلمة التى كتبتها ببالغ الإخلاص .. وأكتبها مغموسة فى هموم الواقع وفى مشكلاته الحقيقية .

ليلة الإسراء

نوال مهنى
- مصر -

يا ليلة يزهو الزمانُ بمجدها
تختالُ فى جنباتها الأضواءُ

ذاكم رسول الله يرقى منزلا
يحدوه فيضُ كرامة وسناءُ

وتعطرتْ أرضٌ سرى من فوقها
وتزينتْ لصعوده الجوزاءُ

ضيفٌ كريمٌ فى السماءِ مكرمٌ
قد ظللته السدرةُ العلياءُ

رجب يتيه على الشهور بليلة
فيها لخير المرسلين عزاءُ

يا أخت قدر قد حدتكِ ملائكٌ
ركبُ الأمينِ معطرٌ ومضاءُ

يامنة الرب الفضيل لعبدهِ
جاء العُروج وقبله الإسراءُ

حتى يكون لكل مرتاب النهى
درساً يعيه فتسقطُ الأهواءُ

حدث لعمرى فوق كل تصور
واللهُ يفعلُ مايرى ويشاءُ



قراءة في تأملات

من الذى قال بأن الإنسان لا يمكن أن يكون سعيداً إلا إذا غدا خالداً ؟؟ ما مغزى ذلك؟ كيف يمكن للمرء أن يعرف اللغز الضخم للحياة والموت ؟؟

إن هذا يعنى إدراك المستحيل ، اللا منتهى .. ملاقاة كل المعاناة ، الشك والبحث والكفاح الممكن لتجريد الناس من معنى الحياة ذاتها ـ فرحتهم الوقتية فى التغلب على كل هذه العقبات ـ نعم كان هذا هو لب الموضوع ، أنت إن سلبت الناس هذا الحافز ، فإنهم سيتحولون إلى نمل ، ولسوف يلعنون خلودهم .. إن الإنسان فى وسعه أن يكون سعيداً سعادة كلية ، فقط عندما يمتلك السر الذى يعلو كل الأسرار ـ ألاّ يخاف الموت ـ ثم لايفكر فى حياته الماضية ، ويعجب ماهى السعادة ؟!! لأن الماضى بعد كل شيء كان حنيناً لما لايمكن تكراره مثل الحب الأول ، مثل تلك اللحظة التى مضت منذ أمد بعيد .. عندما كان واقفا على عبّارة تغمرها الشمس تقطع النهر الدافىء بفعل السماء ، لحظة لا تنسى فى طفولته ، واحساس بالشاطىء الذى يقترب أخضر واعداً ، زكى الرائحة فى سعادة صيفية عسلية ...»

بهذه التأملات الوجدانية التى يمكن الإحساس بها فى عمق ، والتى تبدو وكأنها تبزغ من لا وعي بطل الرواية الذى يموت ، يُنهى المؤلف السوفيتي : يوري بونداريف روايته «الشاطىء» التى نشرت عام ١٩٧٥ م ..

هذه التأملات تؤكد أن لا سعادة للنفس البشرية إلا فى الاستقامة وتلك الاستقامة لايمكن أن تكون إلا فى الدين الإسلامي .. فهو المخرج الوحيد للبشرية مما هى فيه .. إذ أن العالم فتكت أو ستفتك به الفتن وسيعظم فيه البلاء وستشتد قسوته على نفسه وعندها يعمد العالم كله الى الأمن ويشتد حنينه إلى الخروج من مأزق الطغيان الذى تردّى فيه .. كيف ؟؟؟

يستحيل العالم كله تلقائياً إلى مسلمين . ولكن مسلمين منهم من قرأ الكتاب الكريم والسنة النبوية ، وشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله .. وآخرون آمنت عقولهم ولّما تؤمن قلوبهم.

جمعة بنت مسفر الزهراني
ـ مكة المكرمة ـ

١٠٢٣ ـ أبو عواد:

أتذكر بألم حداثة عهدنا بزواجنا أنك كنت حريصة على تفقد حاجاتي بطريقة تثير الإعجاب .. أما الآن فإن أشياء كثيرة قد تغيرت .. ثيابي تغسل وتكوى بالخارج وأحياناً الأكل من المطعم .. إنني أصبحت مجرّد محفظة تموّل الطلبات !!

١٠٢٣ ـ أم عمرو:

لقد بدأت الزوجة بداية صحيحة تثير الإعجاب عندما اهتمت بحاجات زوجها فهل عبّر الزوج عن إعجابه هذا بأي صورة من صور التعبير . لو حدث هذا لاستمر حرص الزوجة وبالشكر تدوم النعم.

١٠٢٤ ـ أبو عواد:

إنّ رجلاً واحداً ياسيدتى لم يتزوج من تزوّج وفى خلده احتمال ولو ضئيل للزواج عليها .. المرأة بطبعها وعشرتها تحمله على الاعتزاز باختياره أو تأتيها أخباره ..

١٠٢٤ ـ أم عمرو:

الكل يعرف أن كثيراً من الرجال يتزوجون للمرة الثانية لمجرد أن محافظهم تضخمت بالمال ولرغبتهم فى التغيير والتبديل ، والترويح عن النفس . وفى هذا إساءة له ولأسرهم وللحق الذى أعطي لهم ليستخدموه عند الضرورة وعندما يكونون قادرين عليه بعقولهم ونفوسهم وليس بجيوبهم .

١٠٢٥ ـ أبو عواد:

إننى كلما رأيت امرأة بلباس فاضح أو غير محتشم ورأيت إلى جانبها رجلاً يدعى زوجها أدركت أن عروق الغيرة قد تيبست. فى وجدانه تماماً كما تيبست فى عيون زوجته عروق الحياء!

١٠٢٥ ـ أم عمرو:

وأنا أقول من يحمل قربة مقطوعة ينزل حملها على أم رأسه .

١٠٢٦ ـ أبو عواد:

ثمة نساء تطل الواحدة كأنها شمس الضحى أو البدر وتتعطّف فى دلالٍ ورقة متوشحة بكل ما يبرز المفاتن ويستفز الوقار .. يعتقد المراقب أنهن للوهلة هبطن من كوكب آخر .. وإذا سأل وتقصى وبحث وتعمق يكتشف أن الذى يلمع مجرّد صفر كأي صفر يحفظ في منزله !!

١٠٢٦ ـ أم عمرو:

والغريب أن الخطّاب يتهافتون على هذه الأصفار الملونة كما يتهافت الفراش على مصابيح الضوء .

١٠٢٧ ـ أبو عواد:

ذلك الذى يبخل على زوجته ؟ .. كيف يطلب منها أن تحبه والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس إنه إن كان غنياً فقد يكون





في رحيله حلّ للكثير من مشاكلها المعلقة .. وإن كان فقيراً وبخيلاً فلا أسفت على ذاك البخيل.

١٠٢٧ ـ أم عمرو:

البخل صفه مذمومة والبخيل لا يأخذ دنيا ولا آخرة .

١٠٢٨ ـ أبو عواد:

أنت كأي امراة يبدأ تفكيرها من قلبها ولا أستطيع أن آخذ برأيك إلا بعدما تدرسين الأمر دراسة كافية وبكل حياد وموضوعية .

١٠٢٨ ـ أم عمرو:

لم يعرف علم البيولوجيا إلى الآن كائناً بشرياً يفكر بقلبه . الوظيفة الوحيدة المعروفة للقلب هى ضخ الدم إلى أجزاء الجسم ، ربما تأتى هؤلاء النساء من كوكب آخر .

١٠٢٩ ـ أبو عواد:

لماذا تسعى بعض النساء لأمتلاك العصمة.. وما شأنها وشأن تلك المسؤولية التى تحتاج إلى جلد وصبر على الأذى .. لتترك العصمة بيد الرجل، والا تحولت العصمة بمرور الزمن إلى عصمه وهمية، لأن كل المفاتيح ستكون بيدها هي .

١٠٢٩ ـ أم عمرو:

المؤكد أن المرأة بطبيعتها تبحث عن زوج يشملها بحبه وحنانه لتثق به وتسلمه زمام أمرها. ولكن اذا كانت المرأة لا تثق تماماً فى نوايا الزوج فلها أن تحتفظ بهذا الحق.

١٠٣٠ ـ أبو عواد:

لا أعتقد أننى رأيت أو قد أرى إذا حييت لغدى أسخف من امرأة ترى فى تغيير لهجتها أو التصنع فى لغتها وفى اللهث خلف الموضة دليلاً على رجاحة عقلها ورفعة مستواها الاجتماعي والحضاري .

١٠٣٠ ـ أم عمرو:

عندما يستبدل عقل الإنسان بلسانه ، حدث ولا حرج .

١٠٣١ ـ أبو عواد:

من حق الزوجة التى لا ترى فى زوجها إلا أباً لأطفالها وسائقاً للعائلة وممولاً لطلباتها وأن كل ماتطلبه منه مجاب .. من حقها أن تطلب منه أن «يحفّظ لها أل بي بي» !! لأن الطلاء لم يجفّ بعد عن أظافرها .

١٠٣١ ـ أم عمرو:

تحديد الأدوار فى الزواج مسئولية كل من الزوجين وهو يتم من اللحظات الأولى .

١٠٣٢ ـ أبو عواد:

عندما تصل الصفاقة بالزوجة أن تنهر زوجها وتزجره .. من حقها كذلك أن تضع عليه سرجاً وتركبه وله أن يختار أية مرتبة له دون ذلك لأنه بكل تأكيد ليس حصاناً .

١٠٣٢ ـ أم عمرو:

التطاول باللسان من أى من الزوجين على الآخر صفه مذمومة تدل على سوء التربية والخلق .

رسالة من الديلمي إلى السيدة الجميلة

- هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي

- كان مجوسيا يتكسب بالكتابة فى الدواوين

- تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله

- أسلم على يده وتشيع فى مذهبه وغلا فى التشيع

ياظالمي .. ياهاجرى .. يامن جعلت سعادتك فى تعذيبى .. يامن لاتعلو البسمة وجهك إلا إذا سمعت أنينى ..

ريك فى دموعى .. وأنسك فى شجونى .. وحبورك فى ضيعتى وأساي ..

ياظالمى ياهاجرى .. يامن سلواك فى شقوتى .. أهذا هو دينك فى الحب ؟ أهذا هو حبك للحب ؟ أقسم بالله ، لا أعلم أحداً من وجهاء العاشقين المتيمين ، كانوا على مثل شاكلتنا ، أو على مثل حبنا .. هل أقول إذن إنه حب بغير نظير فى تاريخ الحب ؟ يبدو أن الأمر كذلك ..

فما الذى دعاك يا «عبدُ» إلى أن تذيعى أسرارنا وتطلعى من حولنا على هوانا وكأن ليس لأسرار الهوى عندك قداسة وجلال .. الحق والحق أقول ، لقد عجزت عن تعليل هذه الخصلة التى لم يسبقك إليها أحد من نساء العالمين :

فى ليلة من الليالى زرت صديقى المهذب أبا منصور الحسن بن على ، وأنت تعرفين جيداً أننى أثير إليه مقرب منه ليس بيننا تكلف أو تصنع ، إنما طلاقة وتلقائية تحكم إخاءنا وصداقتنا .. زرت صديقى المهذب أبا منصور ففوجئت به يسألنى : ما الذى جرى منك لعبدة يا أبا الحسن ؟ قصة حبكما تعطر أجواء بغداد ، فضلاً على البصرة والحجاز والشام .. فهل مما يليق بك وللحب قيمه ومبادئه ، أن تظلمها فتماطل فى اللقاء بها وكأنها عيب تتحاماه، وتتهرب منه؟ إنها غاضبة منك يا أبا الحسن.. مرّت بي هنا وشكتك إليَّ، فما قولك ؟ قلت له : يا سيدى ، والله الذى لا إله إلا هو ، وهو خير العالمين بقلوب المحبين ، ما أسأت إليها أبداً ، إنما هى التى أساءت وظلمت .. سيدى أبا منصور :

ما لكم لاتغضبون للهوى

وتعرفون الغدر فيه والوفا ؟

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -



إن كنتم من أهله فـانتـصـروا

من ظالمي أو فـاخـرجـوا منه بُرا

أمـا ترون كـيف نام وحـمي

عيني الكرى فلم ينم ظبي الحمى ؟

وكـيف خـلاني بطيـئـا قـدمي

عنه ومـرَّ سـابقـاً مع الونى

غـضـبـان يالهفي كم أرضـيـتـه

لو كـان يرضي المتـجنى بالرضـا

حبيبتي عبدة :

ثم تركت أبا منصور وأنا أضرب كـفاً بكف ، أحدث نفسي كالمجنون : ما الذي جرى لعبدة ؟ ترى أتكون صادقة فيما ادعته عليَّ ؟ إن جاز ذلك فلا بد أن أكون ظالماً لها ..

وفي يوم آخر قصدت بيت أبي طاهر بن حماد عميد الحضرة .. وما إن أخذت مجلسي حتى رأيته ينظر إليَّ تعلو محياه بسمة محببة مزاجها سخرية بريئة .. فسألته : ما الخبر ياسيدي أبي طاهر ؟ تنظر إليَّ وكأنني أتيت عملاً مزرياً .. فقال : أنت أدرى بنفسك ، لو لم تعمل عملاً مزرياً لما اختلجت عيناك ، ولما امتقع وجهك ، ولما تلعثم لسانك .. فقلت له : بالله ياسيدي ليس بي شيء مما ذكرت . فارحم فؤادي ولا تفْتِك بعقلي ، إنه يكاد يطير شعاعاً من كلامك هذا ؟ فقال : أريحك يا أبا الحسن .. أريح ضميرك . ألم تعلق بعبدة يارجل ؟ قلت : بلى ، قال : ففيم إذن الغدر بها فتوجه قلبك إلى غيرها ؟ لاتضنيها بالأسى الوجيع على أيامها التي قضتها في حبك ، والليالي التي نعمتما فيها بتبادل كؤوس الأشواق . الحق ، إنها جاءتني وقلبها يتفطر حسرة على حبها ، وندما على أيامها .. إن المسكينة حائرة : ماذا تصنع معك وقد وهبتك ذخر قلبها ، وصفو حبها ، وهبتك فوح شبابها وصباها . فهل يجوز بك أن تحب غيرها وتهملها ، تنوه بحبك الجديد وتصدح به صدح الطيور بين الروابي الخضر والجنات الباسقات ؟

فقلت : ياسيدي أبا طاهر ، أنت تكيل إليَّ الاتهامات بالكيل الوافي بغير أن تقدم دليلاً واحداً يثبت صدق ادعاءات عبدة وصدق ما تزعمه . فقال : عندك حق يا أبا الحسن . وهاك الدليل الذي يقنعك ، بل الذي يفحمك ، بل الذي يردك على أعقابك خاسراً .. ألم تنشأ علاقة حب بينك وبين الحسناء : «هند» ؟ فهي الآن التي تحتل قلبك ، فأنت هائم بها مدله فيها ، تبذل جهدك حتى لا تكشف عبدة سرك . ولكن خاب تدبيرك يامفكر ياحصيف فقد اعترفت بنفسك على نفسك ؟ قلت : كيف ياسيدي ؟ كيف ؟ قال : ألم تقل :

أيابانة الغـور عطفـا سُـقـيت

وإن كنت أكني وأعني سـواك

أحـبك من أجل من تشـبـهين

لو أني أراه كـمـا قـد أراك

ذكـرت ويالهـفـتي هل نسـيت

ليـالي أسـمـرها في ذراك ؟

يخـضـر عـودك من دمـعـتي

ويـعـطـر مـن بـرد هـنـد ثـراك

وياهند إن عـقل الكاشـحـون

وعـنـدهـم مـن ذنـوبـي نِـداك

كفى الوجد أني إذا ما استرحت
الى اسمك عميته بالأراك

قلت : ولكن هذا هو الظلم بعينه .. أجل ، أنا قلت تلك الأبيات ولكنها كانت مجرد رد فعل لهجرها لى ، وتكبرها على قلبى . فأنا لم أغدر ، ولم أتملص ، ولم أراوغ . إننى مُحبٌ وفىّ .. تعاتبنى لهجرى وهى الهاجرة ، وتعاتبنى لغدرى وأنا الوفى .. وها أنذا ياسيدى أولى بحجتى فاقول:

عـذيرى من باغ علىّ أحبه
ولم أر بغياً قبله جره الحب
يعاتبنى فى الهجر والهجر دينه
وقد كان حلوا ـ لو حلا وده ـ العتب
وأسلك طرق الوصل وهو محبب
فإن ضل حق بيننا فله الذنب
بأي وفاء خلتنى حلت عن هوى
ومثل لا يسلو وفى الأرض من يصبو

فأنا الذى ، ياسيدى ، أتعذب لهجر عبدة لى ، فأنا الذى يحق لى أن أشكو منها ‥ وإننى لأشكو منها إليها فأقول :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب
وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغى عندكم قلبا سمحت به
وكيف يرجع شىء وهو موهوب

ما كنت أعرف ما مقدار وصلكم
حتى هجرتم وبعض الهجر تأديب

فقال أبو طاهر : ماذا أقول ؟ قاضى الغرام اشتكى نفسه .. فضحكنا وانصرفت من عنده ..

حبيبتى عبدة :

وفى يوم آخر زرت مولانا مؤيد الدولة أبا على الرُّخْجى لأشكره لإنعامه عليَّ وإكرامه لي وذوده عنى لما افتراه عليّ العاذلون المتلصصون ، ولما أن انتهيت من ثنائى عليه رأيته يقول لى : إيه يا أبا الحسن ، مارأيك فيمن يقول :

أرضى وأسخط أو أرضى تلونه
وكل ما يفعل المحبوب محبوب
أما وواشيه مردود بلا ظفر
وهل يجاب وبذل النفس مطلوب
لو كان ينصف ما قال انتظر صلة
تأتى غدا وانتظار الشىء تعذيب
وكان فى الحب إسعاد ومنعطف
منه كما فيه تعنيف وتأنيب

تُرى هل قائل هذه المعانى محب صادق الحب ؟ أم أنه يتخذ من الحب أحبولة لاصطياد القلوب ثم تعذيبها ؟ فقلت له : سيدى مؤيد الدولة . هذا الكلام كلامى فأنا لا أنكره ، أنا قلته فى عبدة لأنها كثيرة



التلون بالمعاذير والعلل . فهى التى يغريها تعذيبى ، ويغريها بقلبى على جمر الهجران معذبا بين التأنيب والاعتذار والانتظار .. فهل تلك من خلائق الحب وتواد المحبين .. ومع ذلك ياسيدى العزيز فقد ذهبت الى نادى قومها وخاطبتهم علهم يرجعونها عن غيها فترضى عنى فقلت :

يا أهل عبدة هل يد يفدى بها
قلب أسير بينكم لطليق
أشعرتكم زمنا بعبدة غيرها
لو رجم المكروه بالموموق
لله ناشطة جمعت بودها المـ
محفوظ باعى فى حبال ربيق
ما كان أول عهد استودعته
من قلب غانية إناء مريق
ولقد أخالفهن غايات الهوى
وطريقهن من الشباب طريقى
كأن الهوى سكران تنظر عينه
حتى صحا فرأى بقلب مفيق

قال سيدى مؤيد الدولة : إذن فلا جناح عليك يأبا الحسن برئت ساحتك .. ولكننى سمعت من عبدة أنك مازلت على لقاءاتك مع غريمتها هند ، فما مدى صحة هذا الادعاء ؟

قلت : سيدى ومولاي ، والله ما أنا كذلك ، وإننى لأحب عبدة والله يعلم كم أنا مشوق إليها تواق إلى لقائها رغم جفائها وصدودها . قال سيدى مؤيد الدولة وهو يغالب الضحك ، فماذا كنت تقول لها يا أبا الحسن ؟ هِهْ ، قلت: كنت أقول :

إذا لم أحظ منك على التلاقى
فما بالى أروَّع بالفراق
بعادك حيث لا يرجوك راج
كقربك حيث لا يلقاك لاق
فمن يشك النوى أو يبك منها
فلا دمعى هناك ولا احتراقى
نواك من الملال أخف مما
على كبدى وأبرد لاشتياقى
ولولا البين لم أملك وصولا
الى قبل الوداع ولا العناق
على أنى وأنت النجم بعدا
حديثك بين صدرى والتراقى

فقال سيدى مؤيد الدولة : إذن فأنت سَكِرٌ بحب عبدة ؟ .. قلت : نعم ياسيدى :

قلبى له مرعى وصدرى كلأ
ليت كلا ظبى الحمى مارعى

حبيبتي عبدة :

لاتظلمينى ولا تشمتى بى وبك الوشاة والحاسدين .. واعلمى أننى :

أنا الجارى إذا الحلبات طالت
مراكضها على الخيل العتاق

مخطوط حمزة العربي [البتراء]

هذا مخطوط العلامة حمزة بن العربي التقرتي (المدني) . هذا ماجاء فى مقدمة الكتاب المخطوط إذ ورد بالنص « وقفة بين الآثار بقلم الفقير الى مولاه الغنى حمزة بن العربى التقرتي ثم المدني القائل

ولقـد وقـفت على المنازل وقـفـة
ظلت دمـوع العين فـيـهـا تنزف
فطفـقت ارمـقـهـا واندب مـعـشـرا
كم خلدوا اثرا بهـا واكـفكف
يالوعـة القلب الكليم وحـرقـة الـ
أحـشـاء يوم نظرت مـاقـد خلفـوا
يادارهـم هـل تنكـرين جـوارهـم
يوم الزمـان اليـهـم يتلطف
يادارهـم هـل تنكـرين جـوارهـم
والعصـر عصـرهم صـديق مسعف
ياسلوة الاحـزان بل يامسـرح الـ
غـزلان يـعلوهـن ذاك النفنف
فى ملعب بين القـصـور مـدرج
قـوس عـلا قـوسـا وآخـر يشـرف

هذه غالبـيـة أبيات القصـيـدة التى وردت فى مقدمة المخطوط بقلم العلامة الراحل حمزة العربي وهو يخاطب مدينة البتراء، والآثار هى آثار البتراء، وتلاحظ ان الراحل حمزة العربي وقف بنفس الطريقة التى وقف بها البحتري وخاطب ايوان كسري فى قصيدته السينيه الرائعة [صنت نفسي - عما يدنس نفسي ....] وتذكرنا بقصيدة الراحل شوقي فى الاندلس وآثارها والتي نظمها على نفس قافية البحتري ومطلعها [اختلاف الليل والنهار ينسى ....] .

وصاحب الترجمة العلامة العربي لم يختلف عنهما فى شيء من مخاطبة المكان والناس الراحلين الذين خاطبهم وتحسر على ماضي الزمان الذى كانوا فيه قبل أن ينزوي .

المخطوط :

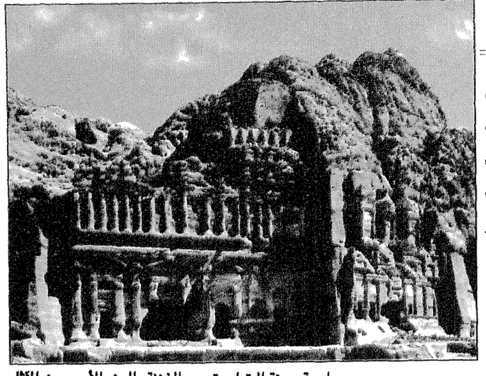
يقع المخطوط فى قسمين:

القسم الاول : وهو المهم يتحدث فيه عن وادي موسي والبتراء فى (٦٠٩) صفحة مكتوبة بخط انيق مرتب للغاية ولاغرو فى ذلك فهو خطاط .

القسم الثاني : وهو ملحق قليل الصفحات إذ

بقلم : د. سعد أبو ديه
جامعة اليرموك - الأردن

لاتزيد صفحاته عن ثلاثين صفحة غير مرقمه تحدث فيها عن الشوبك والبتراء وقصة تعريف «بيركهارات» الرحالة السويسرى الشهير بالبتراء عام ١٩١٢ م .



واجهة مدينة البتراء وتحوى الخزنة والجزء الأيسر من الآثار

بداية علاقة كاتب المخطوط بالمكان:

عُيِّن الكاتب قاضياً شرعياً فى معان عام ١٣٤١ هـ وعندما قام برحلة الى البتراء فانه دوَّن ماشاهد من قصور شاهقة ومبان ضخمة للأمم الماضية فى قرون غابره بعبارة سلسلة واشارة رقيقة كما جاء فى مقدمة مخطوطه .

لقد دون المخطوط دون ان يأخذ بعين الاعتبار آراء للاوربيين . اعنى بذلك انه كتب للقارىء العربى وخدمة العلم والمنصفين من أبناء الوطن عامة والدين خاصة .

ولقد اعتمد على كتاب الله وسنة رسوله وما ورد من نظائر ذلك فى الكتب المقدسة .

ويقول بانه يعادى الجهل وفساد الحقيقة ورقة الدين فإذا ورد ذكر الرسول محمد {صلى الله عليه وسلم} فإنه يعظمه التعظيم اللائق بمقامه الشريف ولايرمز لذلك بـ (ص) .

والغاية من المخطوط هى ليست الفوز برغبة عمرو او مايكنه ضمير زيد وانما كتبه لنفسه وليدخره فى خزانته ليرجع اليه فى يوم من الايام .

تسلسل المخطوط

بدأ المخطوط بمقدمة ومحتويات وتضمنت المقدمة شيئاً عن زياراته المتكررة للبتراء وتضمنت تعريفاً بالاسلوب والمضمون للمخطوط والغاية من كتابته .

وقد التزم بالحديث عن المواقع حسب ترتيبها فى الواقع غالباً، وان خالف ذلك الترتيب الرسوم الانجليزية، والهدف ان يكون ذلك بمثابة (دليل) فى اليد فإذا فرغ من زيارة موقع زار غيره .

ولقد اسهب المؤلف فى الحديث عن الغاية من كتابة المخطوط وانها بدأت عندما مر به ذكر الثموديين (قوم ثمود) فى القرآن وما أتاهم الله تعالي من قوة نحتوا بها الجبال وكان كثير الاشتياق للآثار وتشوق للاطلاع عليها ولكنه غير قادر على ذلك أمنياً كانت المنطقة مضطربة وتموج بنوع من الفوضى ولذلك كان من الافضل أن يظل قابعاً فى معان .

صحيح انه دخل معان قاضياً فى عام ١٣٤١ هـ إلا انه لم يبرحها إلا فى وقت لاحق .

في ذي الحجة ١٣٤٢ هـ تعين غالب الشعلان حاكماً لمنطقة معان وتعين في وادي موسى مديراً هو (محمد افندي الفالح النابلسي) بدلاً من هويمل الصياح الذي كان يتقاضى راتبه وهو في معان والشيء ذاته فعله الشيخ صالح صلاح مدير الشوبك ، وبعد ذلك صمم على زيارة قبر هارون عليه السلام في اواخر ذي الحجة من عام ١٣٤٣ هـ ومكث اربعة ايام .

رحلة عام ١٣٤٧ هـ

يقول انه وبينما كان جالساً بدكان الحاج علي ابن رمان جاء جندي يسمى موسى اكرم وقدم اليه صورة للبتراء كانت تباع في البتراء بـ ١٢ قرشاً فلسطينياً فكتب الى حاكم الوادي محمد بك الاسد فاهداه واحدة منها ، بذل جهداً كبيراً في العثور على ماكتبه العرب عن البتراء فلم يجد الا جملا مختصرة ولاتفي بالمقصود .

وفي ١٣ شوال ١٣٤٧ هـ زار البتراء برفقة الشيخ محمد الامين محمد الخضر الشنقيطي والتقى بقائد الموقع نصري بك سليم الذي ساعده بترجمة اوراق مكتوبة باللغة الانجليزية (ملاحظة: نصري بك هو شقيق عارف بك) الذي سبقه للموقع وفي عهد عارف وقعت احداث شباط ١٩٢٦ م في وادي موسى وعلى اثرها حصلت تنقلات .

انتقل نصري سليم وحل محله اميل بك فارس من السلط وعندما زار البتراء في ٦ صفر الخير ١٣٤٨ هـ كان هناك محمد بك الاسد حاكماً ادارياً فالتقى به وعنده السيد احمد مسعود الدباغ وساعد اميل في الترجمة التي اكملها محمد افندي العسال (مصري) في مكتب الاستخبارات الانجليزية في معان ، الأوراق موضوع الترجمة هي ماكتبه الدكتور نلسن .

بداية تدوين المعلومات

بدأ تدوين المعلومات يوم السبت الموافق ١٣ شوال ١٣٤٧هـ والواقع في ٢٣ مارت ١٩٢٩ م .

وبدأت هذه الرحلة بهذه العبارات : «رب صدفة خير من معاد» «وذلك من الاتفاق العجيب والصدفة الحسنة حيث اننا لم نعلم بأن يومنا هذا هو ذلك اليوم المعهود لشم النسيم ... » .

وبدأ تسلسل الحديث عن الاماكن بتسلسل عين موسي : وهي تلك العين الاثرية القديمة التي تتفجر ينابيعها من أثر ضرب سيدنا موسي الصخرة وهي بعينها التي ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وبعد ذلك ساروا الى القرية ثم الى السيق وفي الدير خاطب هضابه :

الا ياهضاب الدير هل من مخبر
على امم كانت بكن تسود
الا ياقصور اين من كان ثاوياً
بكن فقد ضاقت بهن لحود
عفت بعدها الاثار دهراً وانما
احاديثها بين الانام نشيد
كما عفت الاثار من بعد تبع
وبادت على طول المقام ثمود

واسهاب في الوصف للآثار والمنطقة ولكن لفت انتباهي انهم واثناء وجودهم في القرية كان (احمد ابو راس المدني) يصدح مردداً أبياتاً في مدح

الرسول الاعظم {صلى الله عليه وسلم} وظهر فيها حنينه الى ربوع المدينة المنورة، كان يردد :

لا الشام مقصدنا كلا ولا حلب
لكن لطيبة منا نرحل النجب
ارحل لطيبة لاتؤم سواها
فعساك ان تحظى برؤية طه

رحلة ٧ صفر الخير ١٣٤٨هـ:

فى هذه الرحلة التى توجه فيها مع السيد احمد وعبدالعزيز الدباغيين والسيد سالم افندي بن رمضان صلاح فانه وصف المذبح . كان الدليل معهم غلام من البدول [سليمان بن عبيد السماخين]

وصف لمناطق اخرى:

وصف المخطوط بدقة مداخل البتراء ووادى موسى وطرقها العديدة ووصف عين السدْر أو الصدر والشجرة الغريبة فى وسط البئر .

مقارنة بين الضرر الذى لحق بسكان وادى موسى وسكان مكة والمدينة من استخدام السيارات.

ان استخدام السيارات كان يخيف الناس لانها سوف تقطع ارزاق الناس والعيش .

ويتذكر الشيخ حمزة ان استخدام السيارات مابين مكة وجدة فالمدينة المنورة قد قطع ارزاق الناس مابين مطوف ومزور وسمكري ونجار وتاجر وصاحب حانوت او فندق وكلها تعود الى اوروبا ثمن استهلاك سيارات !!

مدرسة وادي موسى:

فى وادي موسى مدرسة فيها (٢٢) طالباً يداوم فيها عشرة فقط . الاستاذ هو محمد هاشم الرماوي اليافاوي . سبب الغياب عند الطلاب هو انتشار الناس وتنقلاتهم .

المجُلَّلَه فى معان ووادى موسى والشراه

تحدث فى المخطوط عن اكلة المجلله ووصفها كما يلي :

وهى ثريد من خبز البر وأفضله الملة فى نار الجلة والزيت او السمن واللبن الجميد أو الجديد وفى الحقيقة ان هذا النوع من الطعام مما كان يأكله النبى {صلى الله عليه وسلم} بل هو اول طعام قدم اليه يوم قدومه الى المدينة المنورة مهاجراً من مكة اليها قدمه اليه فى دار ابى ايوب الانصاري سيدنا زيد بن ثابت . قال لما نزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على ابى ايوب لم يدخل منزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هدية أول هدية دخلت بها عليه قصعة مثرودة خبز بر وسمنا ولبنا فاضعها بين يديه فقلت يارسول الله ارسلت بهذه القصعة امي قال بارك الله فيها ودعا اصحابه فأكلوا .

خاتمة

هذه لمحة عامة عن المخطوط الذى كتبه العلامة الراحل حمزة العربي المدني وتوجد نسخة منه مصورة لدى . أحببت ان اعرف القراء به طالما انه لم ينشر بعد ولا خير فى علم لم يُبَلَّغ .

بين السطور

الطب النفساني والمستشفيات العقلية

الطب النفسـانى القـائم على الاسـاطيـر ـ كأسطورة أوديب ـ مرفوض والطب النفسانى القائم على احترام ادامية الانسان مطلوب . ان الانسان يتكون من جسـد ونفس وعـقل وروح فـإذا مـرض الجسد ومرضت النفس ومرض العقل فالجوهر وهو الروح سليم ويجب ان يكون تعـاملنا مع الانسـان كـروح قـد تكون نقـيـة رغم العـقل المريض والنفس المنهكة والجسد المتعب .

مـا الذى يجـرى خلف الأسـوار ـ أسـوار المصـحات العقلية ـ تلك المصـحات التى يحيط بهـا الغموض ويجللها الرعب وتمرح فيها الاشباح وتحاك حولها مئات القصص أكثرها كاذب وان كان له ظل من الحقيقة فلا دخان بدون نار كما قال أجدادنا . طيرت وكالات الانباء مايشبه الاساطير عن المصحات العقلية فى انحاء العالم المختلفة : ففى الهند خرج المرضى الهنود فى المستـشـفى العقلى فى مظاهرة كبيرة يحملون لافتات مكتوب عليها « أيها العقلاء ماذا فعلتم بإخوانكم المجانين»، وفى الارجنتين مدير مـسـتـشـفى الامـراض العـقلية يتـاجـر فى أعضـاء المرضى لصـالح زراعـة الأعـضـاء، وفى اسـتـراليـا تجرى محاكمة الطبيب النفسانى «چون بيل» بتهمه استخدام مرضاه كفئران تجارب مما أدى الى وفاة ٢٤ مريضاً بعد تجربة اسماها النوم العميق تجعل المرضى يدخلون فى غـيـبـوبة لمدة ثلاثة اسـابيع يتـعرضـون خلالها لصدمـات كهربائية قـوية، وفى أمريكا اجراء تجارب اشعاعيه على مرضى العقل فى الفـتـرة من الاربعـينيـات وحتى السـبـعـينيـات، وفى جـامـعـة كلورادوا فى امـريكا زعم «چيل ايزينيـور» استـاذ التـحليل النفسـانى أن ٧٠٪ من الامـراض النفسية سببها الارواح الشريرة أما الباقى فأمراض عضوية بالمخ وقد تمكن حسب زعمه من التقاط صور الارواح بالسايكوجرافى.

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
ـ مصـر ـ

الطب السايكولوجى

ـ شعار الطب النفسى : جلسة كهرباء لكل مواطن .

ـ ان فرويد رجل خبيث، عندما اراد أن يقتل اباه ويتزوج امه سربلها فى ثوب نظرية واعطاها صبغة التعميم .

ـ التحليل النفسى مؤامرة صهيونية .

ـ المحلل النفسانى هو الرجل الذى يغوص فى طفولتك ليثبت انك مجنون ويغوص فى طفولته ليثبت انه عاقل .

ـ ان تورم الذات يخفى مرض التكوين .

ـ المحلل النفسانى هو الذى يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب .

ـ العاقل وسط مجموعة من المجانين هو المجنون .

ـ تأخر الطبيب النفسى فى القيام من نومه عدة ساعات تقدم فيها الطب النفسى تقدماً هائلاً .

ـ على كل محلل نفسانى ان يدرس تاريخ وجغرافية الروح جيداً قبل ممارسة عمله .

ـ «تستطيع أن تتغلب على الصدمات باستبدال رأسك برأس من المطاط» طبيب نفسى .

التجلى الاخير وشك الرحيل

رأيتها قبل الرحيل .. هل رأيتها حقاً ؟ كانت تقف فى ظلمة الدهليز تشع نوراً وتقول بكل جوارحها : أنا لك ثم اختفت . لم تكد روحى ترنو اليها حتى اختفت لكنها تركت النور المشع غذاء الروح للحظة اخرى تركت بعدها الروح مقفرة العرصات جائعة للنور . لم أرها منذ تلك اللحظة حتى الآن وكأننى لم أرها على مدى عشرات المرات التى رأيتها فيها إلا هذه المرة كانت فى تمام تجليها كروح نبيله . كانت تنتظر تحولاتى لكى اشف حتى استطيع ان امتزج بها ونحلق فى الآفاق حيث المجال ارحب من الدنيا الضيقة لكننى لم اكن ـ والحق اقول ـ قد اكتملت بعد الاكتمال الملائم لم تكن روحى قد شفت بعد فقد كان بها بعض الصدأ أو العتامة فلم امتزج بها حتى نكتمل معاً ونتحدى الدنيا ونقف فى وجهها ونعلو فوقها تلك الدنيا التى اكلت منى وشربت منها لكنها تغلبت عليها واستكملت نفائسها وابرزت كنوزها وكانت تنتظرنى لاكمل معها المسيرة روحاً واحدة وجسداً واحدا .

اننى فى نفس الساعة كل يوم اجلس فى نفس المكان احدق فى الدهليز المظلم انتظر تجليها مرة اخرى . كل يوم انتظر تجليها على مدى عشرين عاماً لم اتخلف يوماً واحداً ولا يساورنى الشك فى انها ستأتى وتستقبلنى على علاتى فلم اتخلص من الصدأ والعتامة وستأخذنى على عواهنى وبالحذافير.

الحنان الحزين

أقف فى اطلال اليوم، مغانى الامس «وقوف

شحيح ضاع فى الترب خاتمه» افكر فى الحنان الحزين الذى حُرمته واسأل نفسى ترى هل تعود تلك الايام ثم الوك شعراً كهذيان المحمومين أزفه على رياح الغضب التى أرصدها كأننى ذئب استعوى الذئاب فتأتى الرياح وتهب الذئاب من كل جانب وعندما ابتغى الصيد ابتغيه فى عرين الاسد ليس عن شجاعة وانما عن زهد فى الحياه بعد أن اخذت روح الحياه معها، ثم اهدأ قليلاً وابكى الديار لا كما بكاها السابقون ولا كما يبكيها اللاحقون فقد عصيت الناس فى حبى كأنى لست منهم وليسوا منى ثم رضيت من الغنيمة بالاياب لكن الاياب لم يرض، وظللت احدو بلا بعير وخرج الصوت حشرجه وقنعت بالشميم لكن ريح المسك هرول مبتعدا .

فأخذت استمع لأغربة البين تنعب من الجنوب والشمال وماذا افعل وقد توسدت قلبى، ونامت، ثم غابت غياب من يرفض الاياب، فأدمنت الشعر الرخيص يثقل الرأس ويخدر البدن ويشل الاطراف فلعلى انسى حزنى أو ينسانى الحزن .

فرار

فررت منها فى ذاتى وهربت منها فى العميق من تكوينى وابتعدت عنها بعدها فى اغوار روحى واوغلت فى النوى توغلها فى شغاف قلبى وجريت منها جريانها فى دمى فهل بمقدور الانسان ان يسلخ ذاته بذاته وهل بمقدوره أن ينسخ طبعه بطبع جديد .

طائر خارج السرب

فى اسطورة علي بابا يعطس شقيقه قاسم اثناء اختفائه فى المغارة من اللصوص الذين كان يسرقهم فيعرفون أن بينهم غريبا لم اكن فى حاجة لأن اسعل أو اعطس فقد كان واضحاً اننى الغريب «طائر خارج السرب وغزال خارج القطيع» فى جلسة العلاج الجماعى التى تتم باشراف احد اساتذه الطب النفسى وفى عيادته الفاخرة لماذا لازمنى احساس اللص المبتدىء الذى يحاول ان يسرق اللصوص الكبار، كانت اول جلسة علاج جماعى احضرها فى حياتى رغم عملى الطويل فى الطب النفسى كانت جلسة متميزة تديرها معالجة امريكية بدأت بالصاق طابع على يد كل مشترك يأخذ لونا معينا حسب المرض النفسى الذى يعانى منه ومن خوفى ان يكون عقار الهلوسة فى ذلك الطابع فقد رفضت تعاطيه رفضا اثار اندهاشها، فبدأت بى لكى احكى عن مشاعرى الآنيه وصارحتها بشعورى كمجرم صغير يجلس وسط عمالقة الاجرام مما اثار استياءها واستياء كل المشاركين فى الجلسة الذين يأخذون امورها بجدية شديدة فأخذوا ينظرون لى بتوجس شديد لم اسعل ولم اعطس فيكتشفوا ان بينهم غريبا أولئك الجادون فى العبث كل ما هنالك أن هستيريا الضحك الشديد قد انتابتنى عندما

قامت المعالجة الامريكية بركوب استاذ الطب الكبير كدابة فى طقس من طقوس جلسة العلاج الجماعى .. فطردونى .

العلاج بالكلام

انا مثلكم من هذا العالم فمن يصغي إليّ ؟

يتساءل الكثيرون ما الذى يجعل الطبيب النفسى يتحمل الاستماع الى كل تلك الألام التى يعانى منها مرضاه، ويندهش البعض كيف لا يُجنّ النفسانى والبعض يؤكد جنونه المسبق قبل ان يلتحق بسلك الطب النفسى والآخرون يؤكدون ان جنونه لاحق لممارسته الطب النفسى ومعاشرته المجانين - من عاشر القوم اربعين يوماً صار منهم -

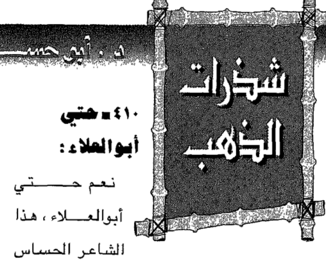
كطبيب نفسانى قح اعتقد اننى لم اواجه هذه المشكلة قط فأنا انظر للمريض من وجهة معينه لا أتعداها تحمينى من السقوط فى براثن المرض النفسي، فإذا كان المريض قادراً على دفع الاتعاب الباهظة استمع اليه فهو هنا لا يعني انه مريض قدر مايعنى أنه كنز، والكنز يسبب التفاؤل والسرور لكن الكنز يحيط به الطلسم دائما واذا كان الطلسم الذى يحيط بهذا الكنز هو سماع شكوى المريض ساعة أو ساعتين مع جعل اذن من طين واذن من عجين فهو ثمن بخس لكنز ثمين، واذا كان المريض فقيراً وغير قادر على دفع الاتعاب فلن احرمه - لهذا السبب - من العلاج النفسى لكننى هنا انا الذى اتكلم واشكو وهو الذى يستمع .

وهذا النوع من العلاج النفسى على قدر اتعاب المريض التى لم يدفعها - يقول المثل الشعبى كل برغوث على قدر دمه - وأعالج نفسى أو يعالجنى مريضى فلا اعانى من مرض نفسى .

عندما اتت لى فى العيادة النفسية بتوصية من صديق كان معي، هذا انها لن تدفع اتعابا، فاتبعت معها طريقة العلاج المجانى وظللت اتحدث مدة طويلة دون أن ادع لها فرصة للشكوى حتى فوجئت بها تنفجر باكية وقالت من خلال دموعها انها لم تجد حتى الآن من يصغى اليها حتى الطبيب النفسانى .

عروة بن الورد:

«من قال ان حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد» عبدالملك بن مروان، امتشق الفارس الانجليزى سيفه لا ليطيح برقاب الاشرار وانما ليشق عروه فى اعلى سترته ليرشق فيها وردة اهدتها له فاتنة، مجسداً بذلك معنى الفروسية عند الأعاجم . لم يشق عروه بن الورد عروة ليرشق فيها وردة الفاتنة وانما كانت الفروسية عنده هى الشجاعة والسماحة والنبل والكرم والجود والسخاء ونصرة الضعيف واغاثة اللهفان . الفروسية لن تكون عروة الوردة، أو عروة بن الورد .



٤١٠ - حتي أبوالعلاء :

نعم حتي أبوالعلاء ، هذا الشاعر الحساس الرقيق ، شارك في مأساة زوج الشاعر (القنوع) المعري فقد كانت هذه الزوج شاعرة حساسة، ذات وجدان مشبوب ، ومن مأساتها أنها وقعت في حب والي المعرة ، أحبته من جميع جوارحها ، ولم تستطع أن تقاوم وجدها ، فأعلنت حبها في أبيات رقيقة قالت فيها:

ماذا يضرك أيها الوالي
لو كنت مفتقدا لأحوالي ؟
ياواليا أنا من رعيته
وعلي الرعية طاعة الوالي
شُغلي ببعدي عنك يشغلني
ويصدني عن كل أشغالي

وطارت الأبيات إلي شعراء المعرة ، فجعل كل شاعر ينسج علي منوالها في قصائد من البحر والقافية حتي صار حديث العاشقة المسكينة خبرا يتلي ، وكان أبوالعلاء في زهو شبابه ، فلم يستطع أن يرحم الوالهة المسكينة ، ولكنه شارك في التشهير بها ، اذ نظم قصيدة من البحر والقافية كما فعل زملاؤه ! ولعله راجع نفسه بعد أن ذاع شعره ، فأنا أعرفه حساسا رقيق الشعور لا يجيز لنفسه أن يسهم في تجويف مأساة وجدانية ، ولكنه فعل وكان مما قال

علقت حبال الشمس منك يدي
وجديدها في الضعف كالبالي
وطلبت عندك راحة وعلي
حسب اعتقادي كان إذلالي
وظننت في البلوى مناي ولم
تكن المنية لي علي بال
ياجنّة عرضت معجلة
فاخترتها ونسيت عذّالي

والحقيقة جميعها في « سقط الزند » ولها شروح عدّة ! حتى أبوالعلاء!

٤١١ - غزل المرأة:

أما غزل المرأة في الشعر الحديث، فحدث عنه ولا حرج، فقد امتلأت دواوين الشاعرات العربيات - وغير العربيات - برائع العزل الرقيق، ولكن غزل المرأة في الشعر القديم قليل قليل، وكنت نشرت بحثا متواضعا بمجلة الرسالة الزياتية تحت عنوان (من غزل المرأة) عرضت فيه لهذه الظاهرة، وعللتها بما فتح الله به عليّ، ومن بعض ما جاء به حديث الشاعرة العاشقة (شقراء بنت الحباب) وكان من مأساتها أنها أعلنت حبها لشاب يسمى (يحيى)

أعلنته في شعر واضح، وصل حديثه إلى زوجها، فجعل يضربها بالسياط، فقالت بصدد ذلك من شعر مؤثر:

أأضربُ في يحيي وبيني وبينه

فدافد لو سارت بها الريح كلّت

ألا ليت يحيي كل يوم يزورني

وإن نهلت مني السياط وعلّت

ويظهر أن الزوج الملتاع واصل الضرب بالسياط ، فأخذت الشاعرة تكيده وتخزيه حين قالت:

أقول لعمرو والسياط تلفني

لهن علي مستنيٌ شرٌ دليل

فاشهد ياغيران أني أحبه

بسوطك فاضربني وأنت ذليل

ولا يعرف مقدار انتقام العاشقة الجريئة إلا من يُقدّر حرج الزوجة وتحديه بالمذلة ، لأن الوصف بالذل فوق كل احتمال ، وصف تتقدم به زوجة ناشز ، لتكيد الزوج المجروح

ومما قالت شقراء بنت الحباب أبيات أخرى ذكرها الأستاذ العقاد في مجموعة عرائس وشياطين وهي :

خليليَّ إن أصعدتما أو هبطتما

بلادا هوى نفسي بها فاذكرانيا

ولا تدعا إن لامني ثمَّ لائمٌ

علي سخط الواشين أن تغدرانيا

فقد شفّ قلبي بعد طول تجلدي

أحاديث من يحيي تُشيب النواصيا

سأرعي ليحيي الود ماهبّت الصبا

وإن قطعوا في ذاك عمدا لسانيا

كما أذكر أني في بحثي المشار إليه بالرسالة ، قد استشهدت لها بهذا البيت الذي توجهه الي زوجها متحدية

وأنت إذا منعت كلام يحيي

أتمنعني علي يحيي البكاء !

٤١٢ - شاعرة متحفظة :

وإذا كانت شقراء بنت الحباب ، لم تتحفظ حين أعلنت غرامها المشبوب ، وتحدت العشيرة والأهل ، فإن غيرها من العاشقات قد اعتصمت بالحيطة ، ولاذت بالتجمل ، حين أعلنت حبها واشتياقها لمنازل الحبيب في (نعمان) وكأنها تشتاق للمكان لا لساكنيه ، غير منتبهة لقول الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الديارا

فقد تزوجت أعرابية - علي غير رغبتها - ونزح بها زوجها إلي مكانه البعيد ، ولكنها لم تنس من فارقته بنعمان فعبرت عن شجاها بقولها المشبوب

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا

علينا فقد أضحي هوانا يمانيا

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا
وحب إلينا بطن نعمان واديا
فإن به ظلا ظليلا وموردا
به يقع القلب الذي كان صاديا

وقارىء هذه الأبيات يدرك ماوراءها من زفرات صاعدات !

٤١٣ـ غزل هندي:

وللشاعرة الهندية (زين النساء) مأساة ، حين عشقت زوجها وقاسمته الاخلاص والوجد ، ولكن والدها القاسي قد اختلف مع صهره ، وظنه يطمع في ملكه من بعده ، فاغتاله دون رحمة ، وترك لقلب فلذته أن يحترق ويتمزق ثم عاود الكرَّة مرة أخرى حين حرمها من حبيب كانت تريد أن تكون حليلته الشرعية في كنف الطهر والعفاف ، فثارت الفتاة وغضبت ، وعز علي والدها أن تخالف رأيه، فأودعها السجن كي تسكت عن حنينها ، ولكنها واصلت حنينها الرائع في قصائد باكية نظمتها باللغة الفارسية (لغة الثقافة الهندية لمسلمي الهند في ذلك الحين) وكان مما قالت : والترجمة للأستاذ النشار والأستاذ حسين البشبيشي ، حيث نظما كثيرا من قول الشاعرة في أبيات عربية:

ياجمالا مثله ماشهدت
أعين العالم في دنيا الشباب
أين لا أين طريقي أقتفي
أثر الأقدام في داجي التراب
قلبي المجروح أدماه الهوى
فتنزى قطرات من دم
فانظر الآن تشاهد عجبا
زهرا أنتج تحت العندم
زهرات يانعات نبتت
من عروق فجرتها الحسرات
موضع الأشواك لما دسته
نبت الزهر مكان الخطوات

٤١٤ـ من الغزل الانجليزي:

من قصيدة للشاعرة الانجليزية الرقيقة (لورنس هوب) نقلا عن ديوانها الذائع (الغرام الهندي) والترجمة للأستاذ عباس محمود العقاد

ياحبيبي ، حين تشتهي استجابة الحب الكبرى ، أقبل اليّ والصباح يرتع في الأنوار ، والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء بين الورود من حمر وبيض.

وكذاك حيث يقضي الله لي تلك الفريضة الحلوة القدسية ، مذعنة لمشيئته الإلهية كي أمنح الدنيا صورة من جمالك ، لأسلمها للدنيا ومعها فرحي فيك

ليس بي ياحبيبي أن أكتمك أمرا ألست وشيكا أن تلمس الخداع في ذلك العناق ؟

آه ، علي هذا لا قبل لي بنأيك ، فلا تنصرف عني ، إن روحي تهب لك عزتها فاقتسمها وخذ نصيبك منها !

دع شعاع النجوم حيث يتفرق السحاب الوئيد ، يفضفض مُحيّاك في تمامه

إنهم للقديسون من لهم نظائر تلك الوجوه

عجبي لهذا الوجه ، ينشد في فؤادي ملاذه ومأواه

٤١٥ - شاعرية إيطاليه:

هي الشاعرة الايطالية (كرستينا روزتي) والترجمة للعقاد أيضا ، تقول:

وددت لو ذكرت اليوم الأول ، والساعة الأولي ، واللحظة الأولي لحظة اللقاء ، أول لقاء !

وددت لو أذكرها أكانت مصحية أم غائمة ، وفي الصيف كانت أو في الشتاء ، إنها انطلقت بنا غير مرصودة ، وفي غير سجل محفوظ

كنت في غفلة عن النظر إلي ما أرى ، وما سوف أرى ، كنت في غفلة عن شجرتي وهي تنبت من جوف الثرى تلك الشجرة التي سينقضي كم من ربيع ، وهي لا تحمل زهرة ، ليتني أذكر ساعتها

يوم من الأيام أتي وانقضي ، ولا أثر، كأنه ذوب الثلج الذي مضي

كأنها لم تكن تعني شيئا ، أو كانت تعني كل شيء ، فلا يسأل عنها

ألا ليتني أستعيد اليوم ذكراها

ذكرى اللمسة الأولي ، إذ اليد تصافح اليد الأخرى.

آه لو كنت أعلم!

٤١٦ - شاعرة عربية:

أما الشاعرة العربية ، فهي الشاعرة الأصيلة ذات الروح العالية ، والحس النبيل ، ذات العواطف الحارة التي ارتفعت ولم تبتذل ، والتي حلقت في السماء وتركت الأرض ، هي الشاعرة الفلسطينية (فدوى طوقان) فمن قصيدة لها بمجلة الرسالة :

ماذا أحس هنا بأعماقي
ترتج أهوائي وأشواقي
بي ألف احساس يحرقني
متدافع التيار دفاق
ألف انفعال ، ألف عاطفة
محمومة بدمي بأعراقي
ماذا أحس أحس بي لهفا
حيران يغمر كل آفاقي
جفت له شفتاي وارتعشت
أظلاله العطشي بأحداقي
قلبي تفور به الحياة وقد
عمقت ، ومدّت فيه كالأمد
فتهز أغواري نوازعه
صخّابة دفاقة المدد
ويظل منتظرا علي شغف
ويظل مرتقبا علي وقد
أحلام محروم تساوره
متوعد في العيش منفرد
ويود لو تمضي الحياة به
للحب ، مصدر فيضها الأبدي

مقدمة للكتابة

الكتابة تلخص قضية التحدي لدى الانسان ، الكتابة التي لا تتحدى هي ليست بحاجة لأن تكتب ، الكتابة الموالية ليست غير تضييع للوقت لأن الصواب لا ينقصه التمجيد كما الجمال الذي يعبر عن نفسه ولا يحتاج الي المساحيق وعمليات التجميل ، المنافقون يستهزؤن من أنفسهم ومن القبيحين حينما يسعون بالكتابة لاحالة قبحهم الي جمال، وهذا يطيب للقبيحين علي الأغلب اذا كانوا أصحاب نفوذ فيعلقون الأوسمة لهؤلاء الكتاب الذين يُعْرفون ـ فيما بعد ـ بالوطنيين حينما يعرف الذين يحافظون علي النزاهة العامة بـ (ناكري النعمة) وهذه النعمة هي السماح لهم بالعيش رغم عدم التطبيل وعيشهم علي أرض الوطن في الدرجة المواطنية والمعيشية العاشرة .

هؤلاء الكتبة يسيئون الي اخوانهم الكتاب بفعلهم المنافي للنزاهة، هذا ولسوء حظ التراث الأدبي العربي ان بعض النوابغ وقد اضطروا غير راضين لمدح بعض أصحاب النفوذ والثروات لأجل أن يجنبوا أنفسهم الخوف والجوع والاعتقال

يلخص الشاعر العربي البارز والمعروف بهذا الاتجاه حاله وحال زملائه قائلا :

ومن نكد الدنيا علي الحرّ أن يرى

عدوا له مامن صداقته بُد

لقد اعترف المتنبي بهذا ليجنب نفسه بعض المواقف المحرجة التي اضطرته الظروف للانسجام القسري معها، ولكن تبقي غالبية هذه الكتابات ميتة، وهي قد ولدت ميتة حتي لو قالها المشاهير والعباقرة المشهود لهم، لأن الضمير الشعبي لا يمكن الضحك عليه، والخلود دوما يكون الي جانب الحقيقة ، فالعظماء قدمتهم أعمالهم الانسانية الكبري الخالية من أية مصالح شخصية بل ربما سببت لهم الآلام والجوع والنفي. والعمل الانساني يتقدم العمل الوطني، لأن الانسان يتقدم الوطن ولا يوجد وطن بدون انسان ، ولكن يوجد انسان بلا وطن، والانسان السعيد في خيمة مجهولة أو

بقلم : عبد الباقي يوسف ـ سوريا ـ

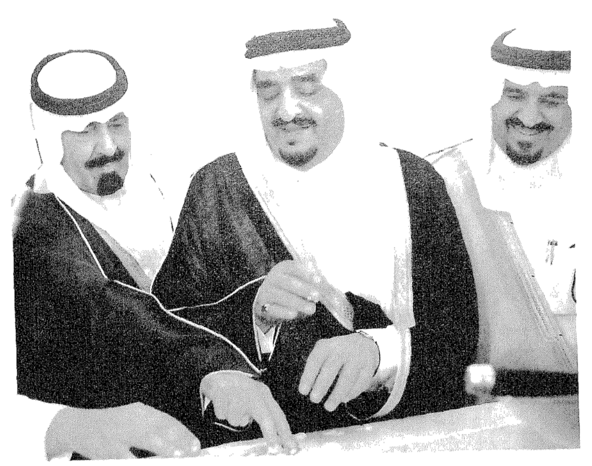
في كوكب مجهول هو أفضل من انسان مسحوق ومنتهك الكرامة والحرية في وطن هو (وطنه) الذي يلصقونه به وهو يحاول الهرب منه ويمنعونه من هذا الهرب ويرغمونه على هذا النمط من العيش . ان الكرة الأرضية كلها هي وطن الانسانية الكبير .

الأدب الفاسد يفسد الحياة والانسان والسياسة والاقتصاد، لأن الأدب للانسان كالملح للطعام وانسان غير مثقف لهو انسان ناقص في جميع الاحتمالات ، وللكاتب ان يقول ما لا يقوله غيره وهو يعيش حالة استثنائية في مجتمعه ، انه يعيش حالة خاصة وتجارب شخصية غنية ويلاحظ التفاصيل أكثر من غيره ، انه قنديل مجتمعه .

والكاتب الذي تكون تجربته غنية في الحياة يكون أدبه غنيا بالمعرفة ، فالأدب في الأوساط العربية محاصر إما بالتيارات الدينية المتعصبة أو بالنزعات السياسية السيكوباتية أو بالمعتقدات الاجتماعية البالية ، وحتي الآن فالأديب الجريء يكون على شفا حفرة أو يضطر للهرب خارج أقفاص الوطن ، ان قائمة الممنوعات ترتسم علي الصفحة البيضاء التي سيكتب عليها وكذلك شروط الطباعة والنشر والتداول من بلد الي آخر وكل هذه الشروط تختلف من بلد الي آخر فعليه ان يكون ملما بقائمة الممنوعات في الدول ان اراد ان يكتب في مجلة متنقلة بين البلدان حتي لا يتسبب مقاله في مقاطعة المجلة من قبل رقيب ما وربما من السخرية في مكان، اننا عندما نريد ان نقرأ أدبا عربيا جريئا نعود الي التراث العربي.

ولسوء حظ الثقافة في العالم العربي انها عاجزة عن الاستقلالية الاقتصادية وتبقي تتسول قوتها من السياسة، وتقدم تنازلات هائلة حتي لا تموت، فالأدب هو الذي يرعي السياسة معنويا والسياسة ترعاه اقتصاديا . ومن المفروض ان يكون العكس ليتطور الأدب وتزدهر السياسة النزيهة وهذا ما يجعل بعض الرقباء الثقافيين يتحولون الي رؤساء مخافر بثياب مدنية.

الأدب جاء ليفتح العيون لا أن يغلقها .. جاء ليقول مالم يُقل ، لا أن يكرر ماقيل ، الأدب هو الانسان المتجدد دوما والانسان كائن مظلم والحياة مظلمة يأتي الأدب ليضيء روح الانسان بقنديله ويضيء تفاصيل الحياة، والكتابة هي حاضر الانسان وهي مستقبله .



بمناسبة اليوم الوطنى

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل ومنسوبوها يتشرفون
برفع أسمى آيات التهانى وأجمل عبارات الأمانى إلى مقام

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكى

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

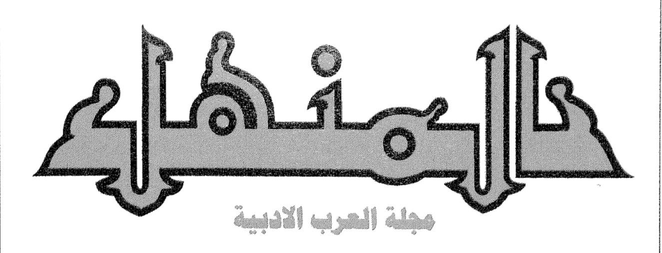
ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى

وصاحب السمو الملكى

الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل إلى المولى سبحانه أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها وأمنها فى ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعاية حكومته الرشيدة وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاماً بعد عام وبلادنا فى تقدم وازدهار.



عجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣


لا إله إلا الله محمد رسول الله
بمناسبة اليوم الوطني ترفع
أرامكو السعودية
أخلص التهاني إلى مقام خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وصاحب السمو الملكي الأمير
عبدالله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير
سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وإلى أبناء وطننا الغالي، سائلين المولى
دوام الازدهار والرخاء لهذا البلد الحبيب

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٦٢) المجلد (٦١) العام [٦٥] شعبان/رمضان ١٤٢٠ هـ ـ نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٩م



نجم إسلامي في سماء العولمة الفضائية

الصورة البيانية في الشعر الأندلسي

تحت الجليد بحور زاخرة

علاقة «الخشخاش» بأمريكا

الزمالة .. وجهود الدولة

رمضان .. الصوم جُنّة



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

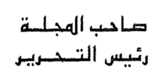


بمناسبة موقف الغرب من العرب والاسلام في الوقت الراهن

واليوم يقف العرب والمسلمون، من الغرب وذيوله، وقفة المناضل، المدافع عن حقوقه السليبة، واستقلاله المراد له هضما واحتلالا، ويحشد الغرب في قلب البلاد العربية والاسلامية «جرثومة» الفساد الإنساني، ويحاول أن يقيمها دولة اسرائيلية، على حساب بلاد العرب، ومقدرات العرب.. فهل آن للعرب، وهل آن للمسلمين أن يستيقظوا، وأن ينفضوا عن أرواحهم وجسومهم غبار التواكل والتخاذل، والاستهانة بشأن الاعداء الرابضين لهم والمتربصين بهم من وراء عقر ديارهم؟!.. إن الحمل ثقيل، والعدو المتربص متكتل وذو قوة مادية هائلة، فلابد من حشد العزائم واستبسال الهمم، والاستقتال في بث روح التضحية، والجلاد.. والايمان القوى العميق يفعل الغرائب والمدهشات، ويطغى على المادة الهائلة اذا سوعف بمادة ملائمة..وكل عربي ومسلم مطالب بأن يعمل شيئا من أجل ايمانه ووطنه، وأي شيء يكون هذا الشيء الذى يعمله العربي والمسلم لمصلحة دينهما وبلادهما فهو عظيم وناجع، ليكن علما يتقنانه، أو عملا يتفنان فيه، أو جندية يتمرسان بها على احدث الأصول، أو أدباً يدعوان فيه في حرارة واخلاص الى القوة والاستعداد أو مقاومة سلمية أو اقتصادية، أو استخباراً عن اسرار العدو الرابض واسرار العدو المتربص، للافادة منها، فليس كالاستخبارات أفيد لدحر الاعداء، ولا ننس حادث الصحابي الجليل ابى نعيم في غزوة الخندق، اذ خذّل الله به عن المسلمين اعداهم المتجمهرين للقضاء على الاسلام القضاء الاخير.. في تلك الغزوة الهائلة.. ليعمل كل واحد منا ما يستطيع باخلاص، وليعتبر كل واحد من العرب والمسلمين أيا كان ليعتبر نفسه جندياً من جنود الاسلام والعروبة، وليأت كل منا ما يستطيع اتيانه من خير للعرب وضر لاعداء العرب.. فالقليل الى القليل كثير، ورب امر ضئيل وكيد نزر، يقوم به فرد عادى يقلب وجه التاريخ.. لنبعد عن انفسنا داء الغرور وداء الاستخفاف، فما ضرّ أمة من الامم شيء كما يضرها داء الاستخفاف بمقدرات العدو ولله در الاسلاف حينما حذرونا في احد امثالهم الحكيمة البليغة من الركون الى هذا الداء الوبيل، فقالوا لنا فيما قالوا: «اذا كان عدوك نملة فلا تنم له» والسعيد من اتعظ بغيره، ومن افاد من الاحداث ما يقيه شرورها المتطايرة.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو القعدة ١٣٧٣هـ/ اكتوبر ١٩٥٤م





«ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم»

اشـــــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

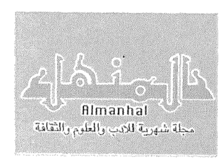
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

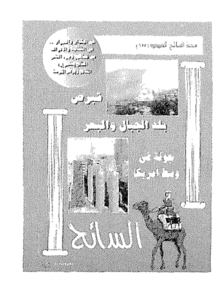


غلاف العدد

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس ٦٣٩١٠٠٣



العدد: (٥٦٢)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)





الفهرس

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ –
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ –
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

فقرات مستلة

**** تحت القطبين مئات ملايين الأطنان من المياه .**

مهندس مازن محارب ص ١٢

**** النقد بين المنهج الموضوعي والانطباع الذاتي قضى على كثير من الابداع .**

د. يحى آل عطيف ص ٢٨

**** اخوان الصفا تركوا أبدع الرسائل الفلسفية لو أتيحت لها الدراسات الجادة لاستخرجوا منها تراثاً بديعاً .**

د. محمد رجب البيومي ص ١٧٠

**** كل الاحصاءات المعروفة تؤكد ان عدد الرجال اكثر من عدد الاناث لكل مراحل العمر.**

أبو عواد / ام عمر، ص ١٤٠

**** المصري تلبس نفسية المتنبي ذات التعالي والكبرياء .**

د. خليل أبو ذياب ص ٦٨

**** القصيدة الحديثة ربما طمحت لأن تكون قصة متكاملة لها ما يميزها .**

د. وجدان الصائغ ص ١٢٤

منهليات

مفارقات قرن

حتى منتصف هذا القرن، كانت جيوش المستعمر لا تزال تتجول ـ بكل جبروتها ـ في طرقات وأزقة عالمنا العربي والإسلامي، تنهب ثرواتنا، وتفرض فكرها وثقافتها ولغتها، حتى بات المصلحون فينا يخشون على أمتنا من ضياع ذاتها وهويتها .

ومنذ منتصف القرن، بدأت حركات الاستقلال، والتحرر، وطرد المستعمر، وخرجت جيوشه من ارض العرب والمسلمين، واستبشر الناس خيرا .

هؤلاء حكامهم من بنى جلدتهم .

وما بال الناس وقد علت وجوههم علامات استفهام لا تنقضي عجائبها .. وغدو يرددون مع الشاعر القديم

وظلم ذوي القربى أشد مرارة

على النفس من وقع الحسام المهند

وغداً .. نعم غداً، قرن جديد .. وأمتنا من محيطها الى خليجها على ما ترون!!

وأساطيل الأطلسي تجوب أعالي البحار والمحيطات، بكل قاذفاتها وغواصاتها .. وبكل ما أوتيت من علوم التدمير والدمار .. وتمدها من ورائها سياسات (الاحتواء، والازدواج، والضغط ..) وما نعلم من مسميات، وما لم نعلم بعد .

وتتقدم كل ذلك (فضائيات العولمة) و(القرية الكونية) كما أسموها .. إنها (بشائر) ومقدمات الاستعمار (الكوني الجديد) .. لعالمنا الجديد .. أليست من المبكيات المضحكات، ان يخرج (عالمنا) من استعمار الى استعمار ..!!؟

المحرر



دعوة للترشيح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال البحوث التربوية للدورة المالية ١٤٢٠ و ١٤٢١هـ

يسر مكتب التربية العربي لدول الخليج أن يعلن عن جائزة المكتب للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية وفقا لما يلي:

أولا: شروط التقدم للجائزة:

١ ـ أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء بالمكتب.

٢ ـ ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية (ماجستير/ دكتوراه).

٣ ـ يمكن قبول العمل المشترك من قبل المؤلفين أنفسهم إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء.

٤ ـ يقبل تقديم البحث للمكتب مباشرة من قبل المؤلف نفسه، أو بترشيح من إحدى المؤسسات العلمية.

٥ ـ أن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو مساهمة مبتكرة في مجال البحث التربوي، أو يكون تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.

٦ ـ في حالة تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.

٧ ـ أن يكون العمل المقدم ملتزماً بالمنهج العلمي.

٨ ـ أن يكون البحث المقدم منشوراً وفق قواعد النشر العلمي وأصوله أو مقبولا للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم.

٩ ـ أن يكون العمل المقدم غير ممول من مؤسسات أو هيئات.

١٠ ـ يمكن قبول الأعمال المترجمة المتميزة التى تخدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربية، مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته الأولى في لغته الأصلية خمس سنوات من تاريخ نشر الإعلان.

ثانيا: اجراءات التقد يم:

أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يلي:

١ ـ عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، ولا يعاد الإنتاج سواء أفاز المرشح أو لم يفز، وبالنسبة للإنتاج المترجم فيرفق نسخة من الأصل المترجم عنه.

٢ ـ بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.

٣ ـ ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.

٤ ـ العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه.

٥ ـ توجه طلبات الترشيح الى:

المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج ص.ب (٩٤٦٩٣) ـ الرياض (١١٦١٤) ـ المملكة العربية السعودية.

على أن تصل طلبات الترشيح الى المكتب في موعد لا يتجاوز يوم الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٠/٤/٥م.

وقد أسند المكتب مسؤولية اختيار الفائزين الى لجنة من علماء ومفكري المنطقة، تقوم بدراسة الأعمال المقدمة، ودراسة آراء المختصين في موضوعاتها، وتمنح جائزة المكتب وقدرها مائة ألف (١٠٠،٠٠٠) ريال سعودي، وشهادة منح الجائزة للعمل الفائز، ويمكن منح الجائزة مناصفة لعملين.

جائزة أبها لـ: (الخدمة الوطنية ـ الثقافة ـ التعليم الجامعي ـ التعليم العام)

مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير..

قيمة الجائزة مليون ريال سنويا لأربعة فروع:

فرع جائزة أبها للثقافة (٢٠٠،٠٠٠ ريال) ١٤٢١هـ

مجالات الجائزة ومقدارها:

١ ـ الشعر الفصيح: شاعر لديه ثلاثة دواوين شعرية فأكثر مطبوعة (٣٥ ألف ريال).

٢ ـ القصة القصيرة: كاتب قصة قصيرة لديه ثلاث مجموعات قصصية فأكثر مطبوعة (٣٥ ألف ريال).

٣ ـ الرواية والمسرح: كاتب روائي أو مسرحي لديه روايتان أو مسرحيتان فأكثر مطبوعتان (٣٥ ألف ريال) (تخصص هذا العام للمسرح).

٤ ـ الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية: باحث أو أديب أو ناقد لديه كتابان فأكثر مطبوعان (٣٥ ألف ريال) (تخصص هذا العام للنقد الأدبي).

٥ ـ الفن التشكيلي: فنان تشكيلي أقام ثلاثة معارض شخصية أو عشرة جماعية مع تقديم ثلاث لوحات لا تقل عن ٨٠ سم ولا تزيد عن ١٢٠ سم من إنتاجه والوثائق المثبتة لذلك (٣٠ ألف ريال).

٦ ـ التصوير الضوئي: مصور ضوئي أقام ثلاثة معارض فأكثر شخصية أو عشرة جماعية مع تقديم ثلاث صور (٦٠ × ٦٠ سم) والوثائق المثبتة لذلك (٣٠ ألف ريال).

شروط وايضاحات عامة:

١ ـ الجائزة مفتوحة للجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي والعرب المقيمين بالملكة.

٢ ـ يفضل أن تتضمن الأعمال الفنية شيئاً من الجديد الذي لم يسبق عرضه.

٣ ـ تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح.

٤ ـ تقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.

٥ ـ ترفق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة.

٦ ـ ألا تكون الأعمال المقدمة قد سبق التقدم بها لنيل جائزة أخرى.

٧ ـ الترشيحات والأعمال المقدمة مع عنوان المتسابق كاملا بما في ذلك الهاتف والفاكس ترسل أو تسلم إلى أمانة لجنة التنشيط السياحي (أبها ـ مركز الملك فهد الثقافي (قرية المفتاحة) هاتف: (٠٧٢٣١١٥٠٥) ـ فاكس (٠٧٢٣١١٥٠٤)، في موعد أقصاه نهاية شهر ذي الحجة ١٤٢٠هـ وتتولى الأمانة التنسيق مع أمانة الجائزة فيما يختص بالتحكيم وأي ترتيب آخر ولا تعاد الأعمال المقدمة في حال الفوز أما الأعمال غير الفائزة فبالإمكان استعادتها عن طريق الأمانة.. والله الموفق.

رابطة الأدب الاسلامي العالمية

في الفترة الممتدة من ١١ صفر ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩/٦/٢٥م وحتى ١٤٢٠/٤/٢١هـ/ ١٩٩٩/٨/٣م، عقدت رابطة الادب الاسلامي العالمية ثلاث مؤتمرات لها في مدينة القاهرة.. بحثت هذه المؤتمرات مجموعة من القضايا المتعلقة بحركة الادب الاسلامي وأطروحاته.. وكانت عناوين هذه المؤتمرات الثلاث كالتالي:

- الأدب الاسلامي في خدمة الدعوة.
- مؤتمر الاديبات المسلمات.
- ومؤتمر الهيئة العامة الخامس لرابطة الأدب الاسلامي العالمية.

مؤتمر الادب الاسلامي في خدمة الدعوة:

قُدِّم في هذا المؤتمر اكثر من ثلاثين بحثا عالجت موضوعات التطور التاريخي للادب الاسلامي عبر مختلف العصور في خدمة الدعوة، وقضايا الادب الاسلامي الحديث، وأدب الاطفال، ثم مستقبل الادب الاسلامي.

وجاء ضمن توصيات هذا المؤتمر:

- الاهتمام باللغة العربية والادب العربي وبخاصة في مراحل التنشئة وضرورة اختيار نصوص أدبية ذات مستوى رفيع بغرض تحفيز الروح الاسلامية في الناشئة، وتنشئتهم على الفضيلة.
- لمّا كان الادب الاسلامي يخاطب وجدان وعاطفة وعقل هذه الأمة فانه ينبغي ابراز معطياته اعلامياً وتربوياً وثقافياً.
- اعادة النظر في مناهج دراسة الأدب بما يكشف

أسرار الادب الاسلامي الجمالية.

- أدب الدعوة له رؤيته المتميزة للكون والانسان والحياة، وفق التصور الاسلامي، مما يحتم الاهتمام به، والنهوض بأمره فكراً وموضوعاً.. والأخذ به في كليات اللغة والادب، وكليات الدعوة وأصول الدين والشريعة الاسلامية، ليكون الرافد الأصيل للعاملين في مجال الدعوة.

- تكريم الرواد الذين حملوا مشاعل هذا الأدب، وتكريم الرموز المتميزة في مجال الادب الاسلامي عبر الاجيال، والأخذ بأيدي الموهبين وتشجيعهم.

- ترجمة نماذج مختارة من الأدب (شعراً ونثراً) من العربية وإليها، للتواصل الادبي والفكري مع الشعوب المسلمة الناطقة بغير العربية.

- ان تكون هموم وآلام وآمال الشعوب المسلمة هي غاية هذا الأدب.

** أما الملتقى الدولى للأديبات المسلمات، فقد جاء في توصياته:

- تكثيف عقد ملتقيات الأديبات الاسلاميات، ذلك للارتقاء بأدب المرأة.

- اعادة كتابة تاريخ أدب المرأة العربية المسلمة وتقويمه من منظور اسلامي.

- اقامة معارض للأدب الاسلامي على هامش المؤتمرات والندوات.

- الاهتمام بتوسيع دائرة النشر للنماذج المختارة من أدبهن، والعناية بأدب الطفل، والمواهب الواعدة من الشباب.

خاص بالمنهل

أول خيمة للشعر العربي بفاس

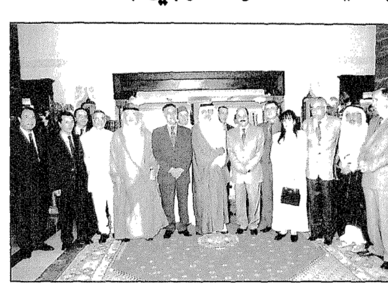
الإعلان عن الاحتفاء بالأمير الشاعر خالد الفيصل في المؤتمر الشعري العربي الثاني:

في أول تجربة من نوعها.. قادتها امرأة مغربية الدكتورة الشاعرة لويزا بولبرس.. من أجل أن تثبت أوتاد خيمة ستظل منتصبة.. تماما كما الشعر العربي الأصيل يمشي منتصبا.. معانقا ألفية ثالثة بنفس السمو والشموخ.

حل بيننا في ليلة أغمض القمر عينيه متلذذا في حلم بديع بصور شعرية بليغة.. شعراء كبار من لبنان ودمشق وسلطنة عمان وتونس.. يتبعهم مئات من الأصوات صدحت من الكويت والسعودية ومصر واليمن والأردن وليبيا.. ومن سائر الأقطار العربية حضرت الأرواح والأجساد في أمسية إطلاق نيزك قد لا تتكرر إلا نادراً.

تغنى الجميع بمفاخر ملك.. أحب الشعر.. فتعلق به الشعراء.. دافع عن الكتاب.. فبايعه الكتاب.. آزر الثقافة.. فأشاد به المثقفون.

قالت الأستاذة الشاعرة لويزا عبد السلام بولبرس وهي



الأمير خالد الفيصل بين اعضاء جمعية فاس للثقافة

تشعل أول شمعة في خيمة التأبين: «نجتمع اليوم بخيمة الشعر هذه، وجلال الموقف يأخذ بالأعطاف ويعبث بالأفئدة، إن المناسبة أليمة فوق التحمل، انها مناسبة تأبين جلالة المغفور له باذن الله تعالى - الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، ولكن الموت لا يأتي إلا بغتة، والعبد لا يملك إلا الرضى.. انا لله وإنا اليه راجعون.

وبعد أن عبّر الشعراء عن تقديرهم واعترافهم بأفضال

جلالة المغفور له قامت رئيسة الخيمة الشاعرة لويزا بولبرس ، فذكرت بأنشطة الجمعية الثقافية لهذا العام وركزت على المؤتمر الثاني للشعر العربي الذي سينظم في شهر أبريل المقبل والذي سيدور محوره حول الأنماط المتجددة في الوطن العربي، وأولى جلساته النقدية ستتناول بالدرس والتحليل أعمال صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، أمير الشعر الشعبي أو النبطي بمشاركة نخبة من كبار أعلام الفكر والنقد في هذا المجال ، ويمكن ان نذكر هنا: الدكتور علي عقلة من سوريا والدكتور عبد السلام المسدي من تونس والدكتور عباس الجداري والدكتور محمد بنشريفة وعشرات المبدعين سيتم الإعلان عن أسمائهم قريبا ، كما سيشهد المؤتمر أمسيات شعرية من نفس الأنماط. والجدير بالذكر أن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز كان قد زار فاس مؤخرا بدعوة من جمعية فاس - سايس عقب إحيائه لأمسية شعرية بالرباط. وقد نصبه والي جلالة الملك على جهة فاس بولمان، رئيسا شرفيا للجمعية في حفل حضره نخبة من رجال السياسة والفكر بفاس. وكذا عدد من الشخصيات المرافقة لسموه نذكر منهم أصحاب السمو الأمراء: بندر بن خالد الفيصل - سعود بن خالد الفيصل - سلطان بن خالد الفيصل والدكتور عبد الله بن صالح العثيمين أمين عام جائزة الملك فيصل العالمية وعضو مجلس الشورى السعودى وسفير خادم الحرمين الشريفين الدكتور عبد العزيز محي الدين خوجه.

« سعيد بونوار» - المغرب

اصدارات

** «الغربال» قراءة في حياة وآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه» بقلم حسين عاتق الغريبي، الناشر عبد المقصود خوجه/ المملكة العربية السعودية/ جدة.

الكتاب في (٤٠٠) صفحة من الحجم العادي في طباعة فاخرة مجلدة.

الاستاذ الأديب الراحل (محمد سعيد عبد المقصود خوجه) واحد من رواد الحركة الأدبية والفكرية في المملكة العربية السعودية، وكانت له بصماته الواضحة في تشكيل حركة الادب والفكر والتاريخ.

وجاء هذا الكتاب ليسجل الآتي:

- مقدمة موجزة عن العصر الذي عاشه محمد سعيد عبد المقصود خوجه ومتابعة لتطور حياته في مجالات عطائه المتنوعة والمتعددة.

- (الغربال) وهو الاسم المستعار الذي كتب تحته الخوجة، قراءة متأنية في الغربال، تحليلا ودراسة ونقدا.

- معارك الغربال مع خصومه.

- تراجم لبعض من ورد ذكره في هذه الدراسة.

- وفي نهاية هذا الكتاب مجموعة من الصور والرسومات والرسائل النادرة.

** «حلم طفولتي» ديوان شعر للأديب الشاعر الأستاذ سعد البواردي، الناشر عبد المقصود خوجه/ جدة.

الديوان من الحجم المتوسط، في حوالي مئة صفحة، في طباعة فاخرة ومجلدة، جاء الديوان في (٢٩) قصيدة.

وجاء في كلمة الناشر لهذا الديوان أن هذا (الديوان جاء ليشكل سيمفونية عطاء تأتلق بكل ألوان الطيف، وتتحدث عن كثير من القضايا الجوهرية التى تمس الانسان حاضراً، ومستقبلا).

والاستاذ الشاعر الاديب سعد البواردي، شاعر مسكون بالكلمة الناضرة البهيَّة، والكلمة الناقدة القوية، جمع بين الكلمتين في ابداع واقتدار.

صدور المجموعة الاولى من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر / ابراهيم العواجي

بعد أن حظيت دواوين الشاعر ابراهيم العواجي بالقبول وحققت أرقاما كبيرة في ميدان النشر والتوزيع آثرت دار المداد للنشر والتوزيع أن تجمع شتاتها في مجموعة شاملة فأصدرت المجموعة الأولى التي تضم بين دفتيها الدواوين التي صدرت بالعناوين التالية:

- المداد .. الصادر عام ١٤١٨هـ.
- نقطة في تضاريس الوطن .. الصادر عام ١٤٠٩هـ
- قصائد راعفة .. الصادر عام ١٤١٩هـ.
- مدّ .. والشاطىء أنت.. الصادر عام ١٤١٤هـ.
- وشوم على جدار الوقت .. الصادر عام ١٤١٥هـ.

وقد افتتح الناشر الأعمال الشعرية بمقدمة أوضح فيها أسلوب الشاعر في تناول القضايا التي يتفاعل فيها مع هموم الإنسانية والوطن وشئون الأمة وشجونها.

وكان هدف الشاعر من طرح هذه المجموعة في سفر واحد التيسير على القارىء والناقد لتناول قصائد الشاعر ومعرفة أسلوبه واهتماماته التعبيرية.

وتتوزع قصائد الشاعر في هذه الأعمال الشعرية بين الرومانسية والوطنية والوجدانية الشفيفه، يتبين ذلك من استعراض عناوين القصائد مثلا:

الرومانسية:

يا رفيق الصحو، انصهار، مساحة العيون، صبابة، لي في هواك، لا يشرى الحب، طفولة عشق، حلم، لا تسألي ما العشق، أشتاق إليك، عاجية الثغر، من أجل عينيك، نجوى في زورق من ديوان (المداد).

وقصيدة: ما أحلى العشق من ديوان (قصائد راعفه) وقصائد: دعها تسافر، الحب أنت، قولي كما تبغين، ليس أحلى من الكتابة فيك من ديوان (مدّ والشاطىء أنت) وقصائد (مدي شراعك وصمت العيون، لابد أن أغار، حكم الهوى، عيناك والقمر) من ديوان (وشوم على جدار الوقت).

أما المعاناة الوطنية في هاجس الشاعر ابراهيم العواجي فتبين من قراءة قصائد كثيرة متوزعة في الدواوين الخمسة المجموعة في هذه الأعمال الشعرية.. ومن تلك القصائد النابضة بالهواجس الوطنية:

- سناء المحيدلي ص ٧٩.
- رسالة إلى القدس ص ٨٣.
- دمي هو القدس ص ١٢١.
- يا موطني ص ١٢١.
- وتبقى القدس ص ٢٣٩.
- نقطة في تضاريس الوطن ص ٢٦٩.
- يا موطنا وهب الماضي هويته ص ٣٠٧.
- رسالة من فلسطين ص ٣٧٥.
- تحت أنقاض القدس ص ٥١٠.

أما القصائد المكتنزة بالوجد الشفيف فنصيب الدواوين الخمسة في هذه المجموعة منها كبير.. ومنها القصائد التي تحمل العناوين التالية:

- إحساس ص ٥٠.
- أحبك جدًا ص ٧٢.
- اعتراف ص ١١٨.
- مثالية ص ١٦٣.
- خيام القبيلة ص ١٩٨
- سفر ص ٥٨.غربة ص ٦٠
- الجنية والجرة ص ١٠٤.
- حينما يورق الصخر ص ١٤٦.
- زهرة نيسان ص ١٩٧.
- المواكب الصاعدة ص ٢٠٢.
- أسفي على حلم الصغير ص ٣١٨.
- أنقاض ليل ص ٤٠.
- أين السفر ص ٤٣٣.
- حديث القلب ص ٥٣٢.
- أمل ص ٥٣٩.
- حنين دار ص ٤٠٣.
- أضيئي ص ٤٢٧.
- رديف العشق ص ٤٨٩.
- توحد ص ٥٣٦.

والوجد في هواجس الشاعر ابراهيم العواجي ليس وجدا أنانيا ذاتيا وإنما هو وجد إنساني ووطني ذو أبعاد رحيبة تتفاوت حسب تفاوت المعاناة الشعرية في تعبيره.

قراءة هذه الأعمال الشعرية يؤكد تلك المعاناة الإنسانية في احتمالات شتى تحرض على القراءة المتأنية للخروج بتصور آخر لما طرحه الشاعر العواجي من رؤى وأحاسيس ومشاعر مسكونة بالصدق والتفاؤل وعشق الحضور الأمثل في الميدان الشعري المعاصر.

الماء .. امانة

الزملحة .. وجهود الدولة

- نقول البسملة: أي بسم الله الرحمن الرحيم.
- نقول الحمدله: أي الحمد لله رب العالمين.
- نقول الحوقله: أي لا حول ولا قوة إلا بالله.
- نقول البأبأة: أي بأبي أنت وأمي.

هذه الطريقة عند اللغويين تسمى (النحت).

والزملحة هي نحت الجملة (إزالة ملوحة المياه) أو ما اصطلح عليه تحلية مياه البحر المالحة.

وتحلية المياه أو ازالة ملوحتها لتصبح صالحة للشرب وبالكميات المطلوبة لحاجات شعب بأكمله عملية صعبة جدا، وتحتاج الى مجهودات جبارة وإلى أموال طائلة.

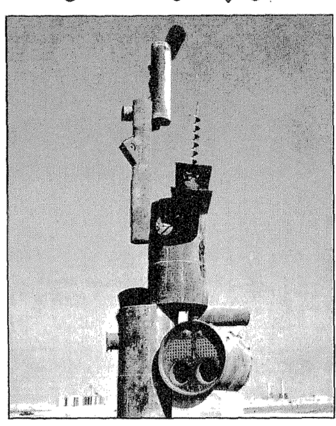
والمعروف أن حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - لا تدخر وسعا ولا جهدا لتوفر لمواطنيها حياة رغدة كريمة - فما بالك بعصب الحياة وأصل الحياة الماء.

«الماء» الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه المنزل أكثر من ستين مرة، تأكيدا لأهميته.. ففي سورة النحل الآية ٦٥ يقول تعالى: {والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها}، وفي الآية ٩٩ من سورة الأنعام {وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به نبات كل شيء}، وفي سورة الأنبياء آية ٣٠ {وجعلنا من الماء كل شيء حي}.

وبالأمس القريب وتحديداً في العاشر من رجب ١٤١٠هـ افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مشروع محطتي التحلية وتوليد الطاقة الكهربائية ونظام نقل المياه المحلاة الى منطقة المدينة المنورة (المرحلة الثانية). وهذا المشروع الكبير بضخامته يمثل حلقة في منظومة مشاريع تحلية المياه التي أولتها حكومة السعودية كل العناية والرعاية والاهتمام.

والتكلفة الاجمالية لهذا المشروع بلغت ٤ر٨٦٩ر٨٢٦ر٥٦٦ (أربعة بلايين وثمانمائة وتسعة وستين مليونا وثمانمائة وستة وعشرين الفا وخمسمائة وستة وستين ريالا سعوديا).

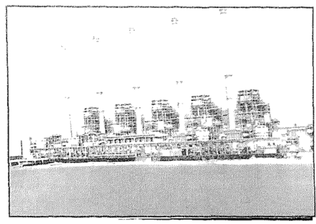
ويتكون المشروع من محطتين لتحلية المياه المالحة احداهما تعمل بطريقة التبخير الوميضي، والأخرى تعمل بطريقة التناضح العكسي بطاقة انتاجية للمحطتين تبلغ ٢٢٧ر٠٠٠ مائتين وسبعة وعشرين الف متر مكعب من المياه المحلاة يومياً.



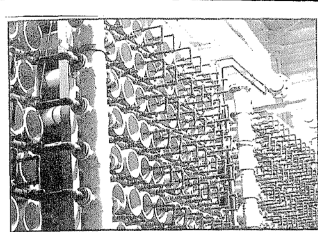
من الكنداسه للتحلية

وعن مشروع نظام نقل المياه الى المدينة المنورة (المرحلة الثانية) فقد تم إنشاء هذا النظام بطاقة تصميمية تصل الى ٣٥٣ر٥٨٥ ثلاثمائة وثلاث وخمسين ألفاً وخمسمائة وخمسة وثمانين مترا مكعبا يوميا. ويتكون من خطوط انابيب ذات ضغط عال ومنخفض يصل مجموع أطوالها حوالى ٣٧٢ ثلاثمائة واثنين وسبعين كيلومتر، ومحطتى ضخ في كل من موقع المحطة بينبع والمسيجيد وثلاثة وعشرين خزانا (تجميعيا وتشغيليا) في مواقع المشروع المختلفة بسعة ٥٠٠٠ خمسة آلاف و١٤٠ر٠٠٠ مائة واربعين ألف متر مكعب لكل خزان وبسعة اجمالية ١ر٢٥٦٠٠٠ مليونا ومائتين وستة وخمسين الف متر مكعب لكل من خزانات محطة الضخ الأولى بينبع والمفرحات والحمراء وبدر والمسيجيد والرايس والمدينة المنورة، بالإضافة الى انشاء تسع نقاط توزيع لإيصال المياه الى معظم القرى الواقعة على امتداد خط الأنابيب لتغذية ما يقارب من ٢٠ عشرين بلدة.

كما تم انشاء نظام تحكم عن بُعد، ونظام الحماية



محطة تحلية بالتقطير الوميضي لانتاج الماء والكهرباء



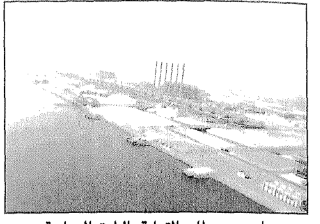
منظر داخلي لمحطة تناضح عكسي

الكاثودية، وانظمة مكافحة الحريق، وصمامات التهوية والتصريف والغلق والتحكم لكامل اجزاء المشروع بتكلفة ٢٫٣٦٢٫٠٠٠٫٠٠٠ بليونين وثلاثمائة واثنين وستين مليون ريال سعودي.

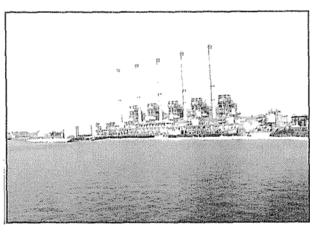
هذه المشروعات (في مجال تحلية المياه) تم افتتاحها بالأمس القريب.. اما ما سبق إنشاؤه من مشروعات ضخمة في كافة مناطق المملكة فقد تكلفت آلاف الملايين من الريالات السعودية انفقتها الحكومة لتوفير المياه الصالحة للشرب وللتنمية الزراعية والصناعية وكل مناحي الحياة التي تعود على المواطن السعودي بالرفاه والخير العميم.

ولمتابعة مسيرة التحلية من الكنداسة حتى الآن نقرأ هذه السطور:

- أنشىء أول جهاز تكثيف لتقطير مياه البحر في جدة عرف باسم الكنداسة في العام ١٣٤٨هـ.
- تم استحداث مكتب بوزارة الزراعة والمياه لدراسة الجدوى الاقتصادية والخطوات التمهيدية لإنشاء محطات التحلية في العام ١٣٨٥هـ.
- تم افتتاح المرحلة الأولى لمحطتي الوجه وضباء في العام ١٣٨٩هـ.
- تم افتتاح محطة جدة (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٠هـ.
- أنشئت وكالة الوزارة لشئون تحلية المياه المالحة بوزارة الزراعة والمياه عام ١٣٩٢هـ.
- تم افتتاح محطة الخبر (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٣هـ.
- في ١٣٩٤/٨/٢٠هـ صدر المرسوم الملكي الكريم رقم م/٤٩ بإنشاء (المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة) كمؤسسة عامة مستقلة.
- تم افتتاح محطة الخفجي (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٤هـ.
- تم افتتاح محطة أملج (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٥هـ.
- تم افتتاح محطة جدة (المرحلة الثانية) عام ١٣٩٨هـ.
- وفي العام ١٣٩٩هـ تم افتتاح اربع محطات في كل من الوجه وضباء (المرحلة الثانية) وفرسان (المرحلة الأولى) وجدة (المرحلة الثالثة).
- في العام ١٤٠٠هـ تم افتتاح محطة حقل (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤٠١هـ تم افتتاح محطة المدينة/ ينبع (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤٠٢هـ تم افتتاح ثلاث محطات في كل من الجبيل (المرحلة الأولى)، رابغ (المرحلة الأولى)، وجدة (المرحلة الرابعة) وفي نفس العام تم افتتاح مركز التدريب بالجبيل وبدأ أولى دوراته.
- في العام ١٤٠٣هـ تم افتتاح محطة البرك (المرحلة الأولى) والمرحلة الثانية لمحطتي الجبيل والخبر.
- في العام ١٤٠٦هـ تم افتتاح (التوسعة الأولى) لمحطة الوجه، و(المرحلة الثانية) لمحطتي الخفجي وأملج.
- في العام ١٤٠٧هـ تم افتتاح (المرحلة الأولى) لمحطة العزيزية، وفي نفس العام تم افتتاح مركز الأبحاث والتطوير في محطة الجبيل.
- في العام ١٤٠٩هـ تم افتتاح خمس محطات هي: ضباء (المرحلة الثالثة)، الوجه (التوسعة الثانية)، جدة بالتناضح العكسي (المرحلة الأولى)، مكة/ الطائف (المرحلة الأولى) وعسير (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤١٠هـ تم افتتاح (المرحلة الثانية) لمحطة حقل، كما تم افتتاح التوسعة الأولى لمحطة فرسان.
- في العام ١٤١٤هـ تم افتتاح محطة جدة بالتناضح



إحدى محطات التحلية بالطرق الحرارية



إحدى محطات التحلية بالمملكة

العكسي (المرحلة الثانية).

- وفي العام ١٤٢٠هـ تم افتتاح محطتى التحلية وتوليد الكهرباء ونظام نقل المياه المحلاة الى المدينة المنورة (المرحلة الثانية).

** مشوار طويل وشاق قطعه بكل اقتدار ووطنية كل القائمين عليه ويكفيهم ويكفينا فخرا أن:

- بالمملكة العربية السعودية اكبر محطة تحلية مياه في العالم.

- المملكة العربية السعودية تنتج اكبر كمية مياه محلاه بالعالم.

- حصول المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة (السعودية) على جائزة أحسن بحث علمى مقدم في مجال التحلية الحرارية - في مؤتمر منظمة التحلية العالمية الذى عقد في نهاية شهر اغسطس ١٩٩٩م في الولايات المتحدة الأمريكية.

كيف نشكر حكومتنا:

كل منا يشعر ويلمس ما تقدمه الدولة من خدمات، وكل منا يعلم أن عليه واجب المساهمة في نهضة الوطن الذى يوفر له الأمن والأمان والحماية والحياة الكريمة.. ولكن البعض لا يعرف كيف يساهم .. وطرق المساهمة كثيرة ومن أولاها وأولاها ما نحن بصدده الآن «المياه» ونذكر بقول الله تعالى {كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين} آية ٣١ سورة الأعراف.

فعلينا جميعا أن نعلم ابناءنا (بالاقتداء) الطريقة المثلى لترشيد استخدام المياه، وعدم الاسراف في استهلاكها.

والمنهل .. تدعو إلى أن يضع كل منا في خزان الطرد بحمام منزله قارورة ماء ملآنة ومغلقة.. وهذا يعنى أن الخزان انتقصت منه ماء مزاحة مقدارها لترا واحداً .. فلو فرض أن خزان الطرد يستعمل من قبل الأسرة الواحدة خمس مرات يوميا فهذا يعنى أن كل أسرة وفرت خمس لترات يوميا اي أنه يمكن توفير ١٨٢ر٥٠٠٠٠٠٠ مائة واثنين وثمانين بليونا وخمسة ملايين لترا في العام الواحد (٥ر٠٠٠ر٠٠٠ × ٣٦٥ يوما).

ملحوظة:

هذه الطريقة مجربة ولا تؤثر اطلاقا على كفاءة خزان الطرد ولا على فعاليته.

الطريقة التى يتبعها البعض في التعامل مع المياه:

المسابح - تغيير مياه المسابح على فترات متقاربة جدا

السيارات - دفق كميات كبيرة من الماء لغسل السيارة من الغبار

صنابير المياه - إغفال اصلاح صنبور المياه اذا عطب

الاستعمال الشخصي - ترك الصنبور مفتوحا اثناء السواك أو الحلاقة

** اقتراح المنهل للترشيد:

- باعد بين فترات تغيير المياه مع استخدام المطهرات المعروفة

- استعمل المناشف المبللة والمنظفات مع قليل الماء تؤدى نفس النتيجة

- بادر باصلاح الصنبور فكل دقيقة تهدر كماً كبيرا من الماء

- أغلق الصنبور حتى يتم السواك أو الحلاقة مساهمة منك في توفير المياه.

هذه بعض الأمثلة نسوقها للقياس عليها - واثقين من تعاون كل مواطن ومقيم على هذه الأرض الطاهرة.

واخيرا يجب ألا ننسى ان قطرة ماء تساوى حياة.. وأن الماء أمانة بين أيدينا.

بحر زاخر تحت

لا تفتأ الحياة تنتقل من كوكب لآخر ومن فرضية لأخرى في أذهان الباحثين على الأقل، لقد أسس العلماء في بحثهم المستمر عن الحياة في الكون الواسع فرعا جديدا من العلوم أسموه بـ «الاكسيولوجيا» أي علم الحياة الخارجية ولا يقتصر هذا العلم على دراسة الحياة غير الأرضية وانما يتناول موضوع الحياة بمفهومها الواسع فيدرس كيفية انتظام المادة الحية انطلاقا من المركبات العضوية وتعقدها التدريجي الى بِنًى منظمة بما يتناسب مع البيئة المحيطة بها.

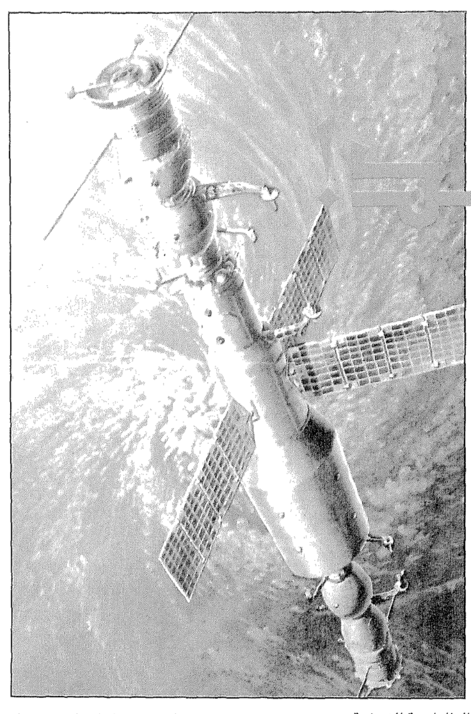
ويختص في البحث بأصولها وتطورها وانتشارها وتحليل الآليات والبِنَى التي تساهم في ذلك كله.

لقد كان العامان المنصرمان حافلين بكل ما هو جديد في هذا العالم من شواهد محسوسة واكتشافات حقيقية، صحيح أن العلماء لم يتوصلوا بعد الى الدليل القاطع على وجود حياة في مكان ما خارج الأرض مما يضعف هذا الاحتمال، لكن ذلك لا يمنع أن الدلائل التي تشير الى وجودها في مجموعتنا الشمسية تتزايد يوما بعد يوم، وقد انضم آخرها منذ فترة ليست ببعيدة الى رفاقه وكان مصدره «أوروب» أحد أهم أقمار الكوكب العملاق «المشترى» وأحدث ذلك ضجة كبرى اذ أعلنت وكالة الفضاء الامريكية عن اكتشافها وجود جبال من الجليد على سطح «أوروب» وقد ساعدت المعلومات التي جمعها المسبار «فوياجي١» منذ وصوله الى مدار المشترى عام ١٩٧٩ العلماء على صياغة عدة تصورات عن البنية الداخلية لهذا القمر المغطى بالجليد ويقول أحد أكثر هذه التصورات منطقية إن محيطا من الماء السائل يهدر تحت طبقة الجليد المغطية لسطح القمر التي تبلغ سماكتها بضعة كيلومترات وإن هذا المحيط يقبع فوق نواة من السيليكات الصلبة.

بحر تحت الجليد؟:

إذاً لقد غدا «أوروب» محط أنظار رواد هذا الفرع الجديد من العلوم وذلك لاحتوائه على عنصر الماء السائل الذى قلما نجده على كواكب المجموعة الشمسية، ويقودنا احتمال وجود هذا العنصر الذى لابد منه لنشوء الحياة الى عدة تساؤلات: هل يحتضن «أوروب» حياة ما؟ وكيف لنا أن نتعرف الى هذه الحياة في حال وجودها؟ تقدم لنا نماذج الاحياء التي نشأت وتطورت في أعماق المحيطات السحيقة طرف الخيط للاجابة عن هذه التساؤلات اذ تحل عملية التركيب الكيميائى عندها محل عملية التركيب الضوئي نظرا لعدم تمكن الضوء من الوصول الى الاعماق وتتم عملية التركيب الكيميائي هذه بفضل الغازات المنبعثة من الينابيع الحارة وبمساعدة الكبريتات المعدنية لذلك فان وجود ينابيع حارة كتلك التي نتحدث عنها في أعماق بحار «أوروب» المفترضة كاف ليعزز فكرة وجود كيمياء حيوية أولية قادرة على التطور وعلى انتاج متعضيات

بقلم: المهندس/ مازن محارب
- سوريا -



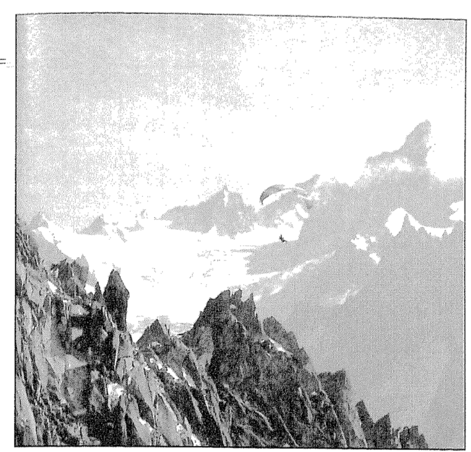
الجليـ

تتعقد قادرة على التطور وعلى نحو يتناسب مع بيئتها لكننا لا نزال في بداية الطريق بعد لأن مجرد وجود بخار على «أوروب» ليس الا افتراضا قائما على تصور نظرى هو الآخر.

في العاشر من ابريل ١٩٩٧م بثت وكالة الفضاء الامريكية ناسا على شبكة الانترنيت صورة ساحرة لسطح «أوروب» كانت قد التقطت في العشرين من شباط الماضي على بعد أقل من (٥٨٠) كم عن سطحه وقد قام بالتقاطها المسبار «جاليلو» الذى اتخذ مدارا له حول المشترى منذ شهر كانون الأول سنة ١٩٩٥ وقد ظهرت في هذه الصورة الجبال الجليدية الضخمة المتوضعة على طبقات من الماء المتجمد بكل وضوح وبدت أشبه ما تكون بكتل المحيطات القطبية الجليدية على كوكبنا ولم تعزز هذه الصورة احتمال وجود طبقة من الماء المتجمد تخفي تحتها خزاناً هائلا من الماء السائل على القمر فحسب وانما قوّت الاعتقاد بوجود نشاط بركاني في قاع هذا الخزان.

شواهد قادمة من السماء:

هل توجد حياة في هذه المحيطات الافتراضية التي تتأكد حقيقة وجودها شيئا فشيئا؟ يتم حاليا التحضير لرحلات فضائية هدفها الاجابة عن هذا التساؤل بيد أنه ينبغي الانتظار حتى بداية القرن المقبل لتتجسد هذه المشاريع على أرض الواقع، وبانتظار ذلك لم يكسل العلماء بل استطاعوا منذ شهر آب ١٩٩٦ دراسة الحياة غير الارضية على الارض نفسها فقد أعلنت ناسا عن اكتشاف آثار حياة بدائية على أحد النيازك الساقطة من المريخ في العام الماضي وقد استغرق العمل على تحليل هذا النيزك النادر المسمى «إس إن سي» بأدق تفاصيله قرابة السنتين وأحيط بالسرية التامة كما شارك فيه عدد كبير من العلماء



الامريكيين ويذكر أن هذا النيزك هو واحد من عدة نيازك لم يكشف النقاب الا عن عشرة منها حتى الآن وهي كلها تحمل دلائل تشير الى أنها تعود للكوكب الاحمر «المريخ» ونظرا لاهمية هذه النيازك، قام دافيد ماكي وفريقه العلمي بدراسة بنية النيزك (ALH) الذى عثر عليه في المنطقة القطبية الشمالية سنة ١٩٨٤ في موقع آلان هيلين، وقد استخدموا لهذا الغرض مجاهر الكترونية ذات قدرة عالية وأجهزة تحليل كيميائي متطورة جدا مكنتهم من اكتشاف عدة آثار مثيرة للجدل كان أهمها بقايا ترسبات كربونية على شكل خطوط متوضعة ضمن السطوح الموجودة على سطح النيزك ويتميز الكربون الموجود فيها بخواص تشير الى أصله المريخي كما لاحظ العلماء وجود هيدروكربورات عطرية متعددة الحلقات وأكسيدات وكبريتات الحديد الى جانب بعض الرسوبات الكربونية.

إن وجود هذا العدد الكبير من العناصر يحمل على الاعتقاد بأن ثمة نشاطا حيويا كيميائيا حدث على سطح المريخ وأدى الى نشوء متعضيات دقيقة جدا مشابهة لبعض أنواع البكتيريا المعروفة لدينا ولكنها تختلف عنها بالحجم اذ أن أبعادها أصغر من أبعاد البكتيريا الارضية بمئة مرة، ان أول ما يتبادر للذهن كتفسير لكل هذه الملاحظات هو ترجيح وجود نشاط حيوى (ويقصد بها البنى التي لا تتجاوز أبعادها الـ ٢٠٠ نانومتر مع الاشارة الى أن (نانومتر = ١٠ ـ ٩م) يعود لبكتيريا مريخية كانت في يوم من الايام متعضيات بدائية مشابهة للاحياء الدقيقة الارضية.

وقد صاغ الباحثون استنادا الى المعلومات التي تم جمعها من دراسة النيزك (ALH) التصور التالي: قبل ٣ر٦ مليار سنة تجمعت الاحياء الدقيقة ضمن الشقوق الموجودة على سطح صخرة النيزك ثم غمرت هذه الصخرة بالماء الذى كان متوفرا على سطح المريخ بكثرة في ذلك الوقت وخلال مليارات السنين اللاحقة فقد الكوكب الاحمر تدريجيا الماء المتواجد على سطحه كما تبدد القسم الاعظم من غلافه الجوى الذى يعتقد أنه كان أكثف مما هو عليه اليوم بكثير اذ أن الضغط الجوى على سطح المريخ حاليا لا يعادل سوى ١٣٠/١ من الضغط الطبيعي الجوى على سطح الارض تقريبا وقد أدت كل التغييرات الانفة الذكر الى انطفاء الحياة تدريجيا على سطح المريخ وبالتالي فقدت المتعضيات الدقيقة، التى تسربت عبر شقوق الصخرة، الحياة لكن بقاياها ظلت شاهدا على وجودها ومنذ حوالي (١٦ مليون) سنة اصطدم جرم سماوى غريب بالمريخ مما أدى الى تحطم جزء من قشرته السطحية وتناثر أشلائها التي ظلت سابحة في الفضاء الخارجي الى أن التقطتها الجاذبية الارضية منذ حوالي ١٣ الف سنة فعبرت الغلاف الجوى الارضي واستقرت في

برادات المنطقة القطبية التي حفظتها كما هي حتى قيض للعلماء اكتشافها.

نظرية براقة بمضمون باهت:

لقد قوبلت التصورات التي صاغها الباحثون انطلاقا من دراسة النيزك المريخي بانتقادات كثيرة في الاشهر القليلة التي تلت نشرها وقد كان أشد هذه الانتقادات يتعلق بالتاريخ الحرارى للنيزك وبالترسبات الكربونية المتوضعة في شقوقه على وجه التحديد ويقول الانتقاد أن هذه النقطة يلفها الغموض اذ أنه يتضح من خلال تركيب الكربونات أنها تشكلت في درجات حرارة عالية جدا تتجاوز الـ ٥٠٠ درجة مئوية مما يتعارض كليا مع وجود أى نشاط حيوى كما أن الـ (HAP) لم تعد تشكل دليلا مقنعا بعدما تم اكتشافها في العديد من النيازك أضف الى ذلك أن مجرد الافتراض بوجود نشاط حيوى على سطح المريخ لا يغني عن تقديم الادلة الدامغة لدعمه وأخيرا فقد بات القول بوجود بنى دقيقة جدا ذات منشأ حيوى موضع شك فمن الممكن أن لا يكون الامر سوى خطأ ارتكبه الباحثون أثناء تحضير العينة للدراسة.

وهكذا تحول التصور من شبه يقين الى فرضية تفتقر الى التماسك في غضون أشهر قليلة لكن المريخ يبقى مع ذلك المرشح الاقوى بين كواكب المجموعة الشمسية لاحتضان حياة على سطحه.

لم يعد هناك شك بأن المريخ كان زاخرا بالماء السائل منذ حوالي (٦ر٣) مليار سنة الامر الذى استدعى وجود غلاف جوى كثيف ونشوء ظروف مواتية لظهور الحياة تماما في الوقت الذى بدأت فيه الاحياء الدقيقة تغزو كوكبنا ويمكن أن نستدل من خلال التقارب الكبير بين الارض والمريخ على أن الكيمياء الحيوية البدائية التي مهدت لظهور الحياة على سطح كوكبنا خطت نفس المسار الذى خطته الكيمياء على سطح المريخ وعلى الرغم من الثغرات التي يعيبها الباحثون على النظريات المؤسسة على المعلومات التي تم جمعها من دراسة النيزك (ALH) الا أنها قدمت خدمات جليلة لعلم مازال في بداية الطريق كعلم الحياة الخارجية اذ يعد اكتشاف الـ (HAP)أي الهيدروكروبورات العطرية المتعددة الحلقات، في حال ثبوت أصلها المريخي دليلا على وجود مركبات كربونية معقدة على سطح الكوكب الاحمر صمدت بقاياها حتى وقتنا الحالي بالرغم من الاشعاعات التي تتعرض لها من الشمس، لكن الحدث الاهم يبقى هبوط المركبة باثنايدر في الرابع من تموز ١٩٩٧ على سطح المريخ واطلاقها للعربة الجوالة سوجرنر، ويعول العلماء على هذه الرحلة الفضائية الكثير اذ أن العربة سوجرنر فاقت التوقعات وقامت بالكثير مما هو مطلوب منها، فجمعت عدة عينات من تربة المريخ والتقطت صورا كثيرة ستفيد في دراسة تضاريسه وتاريخه الجيولوجي لكن للاسف فان رحلة باثنايدر لا تهدف الى دراسة احتمال وجود حياة على المريخ، وينطبق نفس الكلام على الرحلات الفضائية اليابانية بلاني والامريكية سورفاير المريخ ٩٨، بالمقابل فان بداية القرن العشرين ستشهد دفعا قويا لعلم الحياة الخارجية المريخية وذلك بفضل عدة رحلات فضائية تم البدء بعدد منها ولا يزال عدد آخر قيد الدراسة في حالتي الفضاء الامريكية ناسا والاوروبية ايسا ومن المقرر أن تقوم بجلب عينات منها الى الارض أو بدراستها على ارض الواقع كما يعول علماء الحياة الخارجية على دراسة «تيتان» التابع لكوكب زحل الكبير مع أن وجود حياة على سطحه أمر مستبعد.

في الحقيقة لقد دخل المسبار (فوياجي١) ضمن نطاق جاذبية الكوكب الساحر ذى الاساور «زحل» ومكن العلماء من اكتشاف اهم اقماره (تيتان) الذى غدا منذئذ محط انظار علماء الحياة الخارجية كلهم.

يعد تيتان أكبر أقمار زحل وثاني أقمار المجموعة الشمسية من حيث الحجم بعد «جانيميد» قمر المشترى التابع الوحيد الذى يتمتع بغلاف جوى كثيف في المجموعة الشمسية، وقد تبين من خلال المعلومات التي جمعها (فوياجي١) ان كثافة هذا الغلاف المكون في معظمه من الآزوت ونسبة كبيرة من الميتان تفوق كثافة

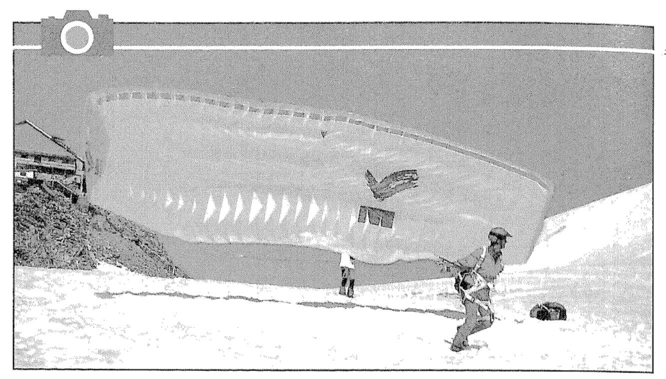
الغلاف الجوى الارضي بأربع مرات اذ يبلغ الضغط الجوى على سطحه (٥ر١) بار وتصل درجة الحرارة الى (١٨٠) درجة مئوية تحت الصفر، وقد بينت التجارب المخبرية ان العناصر التي يتكون منها غلاف تيتان الجوى تؤلف وسطا يعتبر من اكثر الاوساط ملاءمة لتشكل المركبات الكربونية الاولية، وقد تم ايضا بمساعدة المسبار (فوياجي١) اكتشاف عدة مركبات عضوية كالهيدروكربون وبعض المركبات الازوتية العضوية وحمض السياندريك والسيانوجين والسيانوسيتلين وتلعب كلها دورا مهما جدا في النشاط الكيميائي الحيوي الاول.

يتبين لنا من خلال ما تقدم ان تيتان يشكل ملتقى لعدة مركبات عضوية معقدة لا توجد في غلافه الجوى فحسب وانما في قشرته الصلبة ايضا وفي الرذاذ المنتشر في غلافه الجوى والذى يوشي سطحه بهالة ضبابية جميلة.

لقد شهد تيتان منذ حوالي (٥ر٤) مليار سنة مجموعة تأثيرات متبادلة بين عناصر ما يسمى «الجيوفلود» والتي هي : الغاز والرذاذ والمسطحات السائلة المفترضة الموجودة على السطح أو تحته مع الاشارة الى أن هذه المسطحات لا تحتوى على الماء السائل لأن درجات الحرارة المنخفضة جدا لا تسمح بوجود الماء في الحالة السائلة، ويرجح العلماء أن هذه المسطحات هي بحيرات أو بحار صغيرة من الميتان والايتان السائلين وهي تقع فوق سطح القمر أو تحته لذلك نرى أنه من المستبعد أن تكون الحياة قد نشأت وتطورت على سطح تيتان، يعد تيتان أحد أهم أقمار المجموعة الشمسية بالنسبة لعلماء الحياة الخارجية نظرا لما يتمتع به من قواسم مشتركة مع كوكبنا الارض بالاضافة الى أنه يشكل مفاعلا كيميائيا حيويا حقيقيا في المجموعة الشمسية لوفرة المركبات العضوية فيه وقد تم جمع الكثير من المعلومات عنه بعد تحليق المسبارين «فوياجي١» و«فوياجي٢» في عامي ٨٠ و١٩٨١م فوقه سواء من الارض عن طريق التلسكوبات أو من الفضاء، كما تم اجراء العديد من التجارب ووضع عدة نظريات وبالرغم من ذلك كله بقيت تساؤلات كثيرة معلقة يدور أهمها حول الطبيعة الكيميائية الحقيقية للرذاذ المنتشر في غلافه الجوى وتعقيد الكيمياء الحيوية على سطحه وفي تربوسفيره ويبدو أن الرحلات الفضائية التي تسمح بالمراقبة عن قرب هي وحدها القادرة على تقديم اجابات شافية عن هذه التساؤلات لذلك يعتزم الامريكيون القيام بالرحلة الفضائية الاستكشافية «كاسيني ـ هيوجين» التى يأتي في مقدمة الاهداف المقررة لها تبديد الغموض المحيط بالقمر تيتان، وستقوم وكالة الفضاء الأمريكية ناسا في هذه الرحلة باطلاق أضخم مسبار عرفته الرحلات الاستكشافية الفضائية حتى يومنا هذا.

أما المركبة «كاسيني» فيبلغ ارتفاعها سبعة أمتار ووزنها الاجمالي ٦ أطنان ويخرج منها هوائي بطول (٤)م وسوف يتم اطلاقها الى الفضاء الخارجي بواسطة صاروخ هائل كما أنها ستحتوى على «١٢» جهاز للرصد والمراقبة والقياس بالاضافة الى تصميمها بحيث تقوم لوحدها باجراء ست تجارب علمية ومن المقرر حسب المخطط العلمي لسير الرحلة ان تمر المركبة كاسيني بكواكب





الزهرة والارض والمشترى لدراسة التأثيرات المتبادلة بين حقول جاذبيتها ثم تصل الى كوكب زحل في عام (٢٠٠٤) وتتخذ مداراتها حوله في غضون أربع سنوات مما يمكنها بمساعدة الاجهزة التي تحملها من مراقبة الكوكب والاقمار التابعة له وستقوم المركبة كاسيني في أول دورة لها حول زحل بوضع المسبار «هيوجين» في مدار له حول الكوكب ثم يخترق هذا المسبار الغلاف الجوى لتيتان بعد عدة أسابيع ويقوم أثناء عملية هبوطه على سطح هذا القمر باجراء عدة تحاليل علمية وستتم عملية الهبوط التي يتوقع أن تستمر ساعتين ونصف الساعة على النحو التالي: ستفتح أولا مظلة مهمتها تخفيف سرعة هبوط المسبار تحت تأثير جاذبية القمر وسوف يحميه من الحرارة الناتجة عن الاحتكاك مع الغلاف الجوى درع حرارى مخصص لهذا الغرض، ثم تفتح مظلة أخرى رئيسية لتمكنه من القيام بمهمته المقررة في حال نجاح هذه العملية ـ وهذا المتوقع ـ ستتابع أجهزة المراقبة والرصد جميع المعلومات خلال عدة دقائق لاحقة للهبوط ويتوقع علماء الاحياء الخارجية أن تساعدهم المعلومات التى سيتم جمعها من هذه الرحلة كثيرا في أبحاثهم.

هل تحمل المذنبات حياة؟:

تقف المذنبات التي يسميها الفلكيون بـ «متسكعي المجموعة الشمسية» في آخر طابور الاجرام السماوية المرشحة لاحتضان مركبات حيوية أولية على سطحها مع أن غنى نواها بالمركبات العضوية والدور الذى يفترض أنها لعبته في كيمياء كوكبنا الحيوية الاولية يؤهلانها لتحتل مكانا مرموقا بين مواضيع علم الحياة الخارجية لقد تحدثت وسائل الاعلام باسهاب عن اصطدام مذنب «شوميكر ـ لفي» المثير بالمشترى سنة ١٩٩٤ وعن اكتشاف مذنب هوكي بوب سنة ١٩٩٥ هذا المذنب الذى ستبقى ذكرى تجواله في سماء الارض في سنة ١٩٩٧ حدثا مميزا كما تحدثت أيضا عن اكتشاف المذنب هياكوتاك سنة ١٩٩٦ مطولا فيما لم تأخذ الرحلة الاستكشافية «روزيتا» حقها من التغطية الاعلامية مع أنه ينتظر من هذه الرحلة تقديم معلومات قيمة جدا عن التركيب الكيميائي لنوى المذنبات وعن طبيعة المركبات العضوية المعقدة الموجودة فيها، وتقوم وكالة الفضاء الاوروبية «ايسا» باعداد برنامج لهذه الرحلة التي ستجرى مراحلها على النحو التالي: في سنة (٢٠٠٣) ستنطلق المركبة روزيتا باتجاه مذنب «ويرتانين» وسوف تلاحقه لمدة عدة سنوات وفي سنة (٢٠١١) تطلق المركبة جهازا للرصد ليحط على سطح المذنب سنة (٢٠١٣) ويحتمل أن يكون الباحثون قد توصلوا الى اكتشاف حياة على كواكب أقمار أخرى من المجموعة الشمسية حتى ذلك الوقت.

من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة

الآية الكريمة ميدان الدراسة ذات علاقة ببنى اسرائيل الذين كثرت عللهم فكثر رسل الله تعالى إليهم وكثرت آيات أولئك الرسل كي يسير بنو اسرائيل في الطريق المستقيم ولكنهم لا يكادون يستقيمون على الطريق وقتاً من الأوقات حتى يسلكوا الطرق المعوجة والسبل المتفرقة.

والآية الكريمة ذات علاقة على نحو من الأنحاء بقصة البقرة التى أمر الله تعالى بنى اسرائيل على لسان نبيه موسى عليه السلام أن يذبحوها وكان يجزئهم أن يذبحوا أي بقرة ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله تعالى عليهم وكلما ضيقوا على أنفسهم السبل بالسؤال عن أوصاف البقرة ضيق الله عليهم.

وقد شاءت إرادة الله تعالى أن يقتل بنو إسرائيل نفساً حرّم الله تعالى قتلها إلا بالحق فتخالفوا وتنازعوا بشأنها كل يدفع عن نفسه تهمة القتل التي يطرحها عليه الطرف الآخر. وقد أوحي الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام أن يأمر قومه بأن يضربوا القتيل ببعض البقرة التى أمروا بذبحها فضربوه بذنبها فيما يقال فأعاد الله تعالى الحياة الى القتيل[١]، وأخبر بقاتله ثمّ عاد ميتاً كما كان[٢] وإلى حادثة القتيل أشارت الآيتان الكريمتان من سورة البقرة[٣]: **{وإذ قَتَلْتُم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون}** ثم تأتى الآية الكريمة ميدان الدراسة.

قال تعالى: **{ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة. وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإنّ منها لما يَشّقق فيخرج منه الماء. وإنّ منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافل عمّا تعملون}**.

إن أول ما يلاحظ بشأن الآية الكريمة أنها تستعمل ضمير المخاطبين: «ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك» وذلك على غرار استعمال ضمير المخاطبين من بنى اسرائيل في القول: «وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها» ومعروف أن حادثة البقرة والقتيل كانت في عهد موسى عليه السلام فما الحكمة من استعمال ضمير المخاطبين؟ الحكمة هو التنبيه الى أن ذراري بنى اسرائيل راضون عن أخطاء أسلافهم وقبيح أفعالهم مستعدون في حالة الظروف المشابهة أن يقوموا بقبيح الأفعال ذاتها ومما تشابهت فيه بنو إسرائيل قسوة القلوب على النحو الذى قررته الآية الكريمة.

وبشأن القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» نستطيع أن نفهم منه استبعاد قسوة قلوب القوم بعد أن أراهم الله سبحانه وتعالى على يد رسوله موسى عليه السلام الكثير من المعجزات والآيات البينات، وفي مقدمة هذه الآيات إحياء القتيل الذى أمروا بضربه ببعض البقرة وذكر اسم



بقلم : أ.د. حسن محمد باجوده
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

من قتله ثم مات مرة أخرى بإذن الله تعالى. إن المنتظر من بنى اسرائيل تجاه هذه الآيات البينات أن تكون قلوبهم رقيقة لينة، بل أن تسيل رقة وتذوب لينا. والعجيب أن العكس هو الذى حدث فقد قست قلوب القوم، بل غدت في القسوة كالحجارة، بل أشد من الحجارة قسوة كالحديد وصلب الحديد. قال تعالى: **{ثم قسَتْ قلوبُكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة}.**

ويلاحظ أن الحجارة تجيء في صيغة الجمع وذلك على غرار القلوب التي جاءت هي الأخرى فى صيغة الجمع. وحينما تكون القلوب في القسوة كالحجارة فذلك معناه أنها جميعاً قاسية قسوة الحجارة، وحينما تكون القلوب أشد قسوة من الحجارة فذلك معناه أن أقل القلوب قسوة هي في مستوى قسوة الحجارة، وليس أي حجارة، بل هي الحجارة القاسية وحدها لأن جملة قست من القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» صرفت الكلام إلى الحجارة القاسية وحدها فخرجت بذلك الحجارة غير القاسية، اللينة والرخوة وما اليهما.

ويجتهد الذهن في البحث عن أشد الحجارة قسوة كي يشبه بها تلك القلوب، بل كي يشبه بها أقل القلوب قسوة، كما يجتهد الذهن في البحث عن المشبه به الذى يفوق الحجارة قسوة والذى شبهت به القلوب الأخرى. وربما وجد المرء جواباً لبحثه في الحديد أو في صلب الحديد وما إليهما.

ولا يكاد ينقضى عجب المتأمل للآية الكريمة من بنى اسرائيل الذين انتهت بهم آيات الله تعالى الى عكس المقصود منها تماماً فبدلا من أن تلين تلك القلوب وترق، وبدلا من أن تمتلىء حناناً وتتدفق إحسانا تحوّلت كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة قسوة.

وكي تعمق الآية الكريمة من خلوّ قلوب بنى اسرائيل من الرحمة، وتبين مثلا بالقسوة وتفجرها - تبعاً لذلك - بالحقد والبغضاء قارنت الآية الكريمة بين قلوب بني اسرائيل العقلاء المكلفين الذين نسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم وبين تلك الحجارة القاسية.

إن قلوب بني اسرائيل الخالية من أي رحمة الفارغة من أي عطف ولين تخالفها الحجارة القاسية الصلبة الصلدة في الصفات، إذ يتفجر من بعض تلك الحجارة القاسية الصلبة الصلدة الأنهار، ويشقق بعضها الآخر طولا وعرضاً فيخرج منه الماء الأقل كمية من سابقه الذى يتدفق جدولا رقراقاً أو عيناً ثرة، بينما يهبط البعض الآخر من الحجارة من خشية الله تعالى، ولعل لذلك الهبوط الذي تدركه العينان علاقة بالماء الباطن أو الظاهر. قال تعالى: **{وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء. وإن منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافل عما تعملون}.**

وإن كلا من الجزئيات الكريمات بحاجة منا الى أن نقف عنده على حده، فمع هذه الجزئية الكريمة ابتداء: «وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» وأول ما يلفت الانتباه النص على التفجر الذى يغرى بالمقارنة بينه وبين الانفجار والانبجاس إن التفجر هو التفتح بالسعة والكثرة[٤] والانفجار دونه[٥] والتفجر والانفجار يقترن بهما اتساع المسارب أو الشقوق أما الانبجاس فيقترن به ضيق الشقوق ابتداء. يقول الراغب[٦]: «لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع».

ونستطيع أن نفهم من القول: «إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» بأن انفعال الحجارة أشد ما يكون الانفعال وأقواه، ولهذا نتبين أن الماء هو الذى يتفجر من الحجارة بالمعنى الذى يفيده التفجر من غزارة الماء وقوة اندفاعه مع اتساع في الشقوق. ونستطيع أن نتبين أن تجاوب الحجارة مع الماء مساو لغزارته بل مجار لتلك الغزارة والجيشان، بمعنى أن اتساع شقوق الحجارة قابل للزيادة تبعاً لزيادة كمية المياه التى جرت أنهاراً. ومما هو مقوّ لكثرة الماء واتساع انسياحه لفظة الأنهار التى يعود أصلها اللغوي «نهر» إلى معنى

السعة لأن النهر هو مجرى الماء الفائض وجمعه أنهار[٧].

ومن البين أننا بصدد مقارنة ملحوظة بين قلوب بنى اسرائيل التى عليها أقفالها وبين الحجارة القاسية التى تتفجر أنهارها. والعجيب في الأمر أن هذا السائل العذب الفرات يتفجر أنهاراً من صدور الحجارة القاسية التي لا تعقل أمّا قلوب بنى اسرائيل فلا يأتى منها خشية ولا إنابة، ولا يلجها نور ولا هدى.

حقّنا بشأن هذه الجزئية الكريمة: «وإنّ منها لما يهبط من خشية الله» أن نفهم بأن العلاقة لازالت هنا بين الحجارة وبين الماء وأن الانفعال والتجاوب لازالا بين الحجارة وبين الماء ولكن بما أن الماء هنا في أضعف حالاته وأقل كمياته وبما أن الانفعال والتجاوب من الحجارة مساو لحاجة الماء وكان الماء غير قادر على التفجر أنهاراً أو الانبجاس عيوناً أو الترقرق جداول فقد كان هذه المرة التفاعل من الحجارة والتجاوب منها مساويين لحاجة الماء ورغبته وقد تمثل كل ذلك فيما طرأ على الحجارة من هبوط، وكأن هذا النوع من الحجارة قد طرأ على مستواه بعض انخفاض وعلى صدره بعض تطامن انفعالا بالماء المنطوي عليه وتجاوباً مع هذا السائل الذى تلبي الحجارة دائماً رغائبه وتحقق مطالبه. وبما أن الماء هنا يغمغم ويجمجم فإن الحجارة تكتفى في انفعالها وتجاوبها في انخفاض مستواها وتطامنها تضامناً مع الماء وتعاطفاً.

ويصح أن تتسع دائرة الهبوط كي تعني السقوط من أعلى والانحدار على سبيل القهر[٨] ويصح أن يكون هذا الانحدار بفعل الماء وبفعل غير الماء وإنما كانت نظرتنا الأولى إلى هبوط الحجارة بمعنى انخفاض مستواها بفعل الماء في باطنها لأن هذه النظرة تتمشى مع الحالين الأوليين للحجارة وللماء في باطن الحجارة ولاتجاه الماء من القوّة إلى الضعف. إن الماء حينما كان غزيراً تفجر أنهاراً وحينما كان أقل غزارة انبجس من شقوق الحجارة عيونا. أما حينما كان الماء في أضعف قواه وأقل كمياته فإنه ظل مضمراً في باطن الحجارة فكان من تلك الحجارة هبوط.

على أن الآية الكريمة تقرر أن الهبوط في حقيقته من خشية الله تعالى وبسبب الخوف الذى يشوبه التعظيم والمعروف أن ذلك أكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه[٩] والمعنى أن هبوط الحجارة وانحدارها وإن كان فى ظاهره بفعل الماء الباطن إن كان الهبوط بمعنى انخفاض مستوى الحجارة وبفعل الماء الظاهر إن كان الهبوط بمعنى سقوط الحجارة من المرتفعات والصخور من رءوس الجبال إلى السفوح، فإن الهبوط في حقيقته بسبب خشية الحجارة الله تعالى. «وإن منها لما يهبط من خشية الله».

وإن من العلماء من ذهب الى أن الخشية هنا على الحقيقة ومنهم من ذهب إلى ذلك من المجاز[١٠] ونحن نميل إلى أن خشية الحجارة هنا على الحقيقة وليس على المجاز ونبادر إلى تسجيل الأدلة من القرآن الكريم على ذلك. جاء في خشية الجبال من الله تعالى قوله عزّ من قائل في سورة الحشر[١١] {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون} وجاء في إباء السماوات والأرض والجبال حمل الأمانة والإشفاق منها قوله تعالى في سورة الأحزاب[١٢] {**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا**} وجاء في تسبيح السماوات السبع والأرض ومن فيهن وما فيهن الله تعالى قوله عزّ من قائل في سورة الإسراء[١٣]: {**تسبّح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن. وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. إنه كان حليماً غفورا**} والسماوات والأرض تأتيان الله سبحانه وتعالى طائعتين على نحو ما بينت سورة فُصّلت. قال تعالى[١٤]: {ثم استوى إلى السماء وهي دُخَان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين} وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التى تقرر سجود السماوات والأرض وما فيهن

لله تعالى. جاء مثلا في سورة الرعد[١٥] قوله تعالى: **{ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال}** وجاء في سورة الحج[١٦] قوله تعالى: **{ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يُهن الله فما له من مُكرِم. إن الله يفعل ما يشاء}.**

والحقيقة أن لفظة خشية ذات المعانى العميقة والمرامى البعيدة حينما تثبتها الآية الكريمة للحجارة الصماء ويفهم منها عظيم خشية الحجارة لله تعالى وذلك في معرض المقارنة بين قلوب بنى اسرائيل القاسية كالحجارة أو أشد قسوة وبين الحجارة التى تخشى كلها الله تعالى، وقد قال السيوطي[١٧] في معنى الخشية: «الخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولا شك أن الخشية أعلى منه وهي أشد الخوف.. ويدل لذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة نحو: شيخ للسيد الكبير، وخيش لما غلظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله تعالى» الحقيقة أن لفظة خشية وصفة الخشية التى تثبتها الآية الكريمة للحجارة تبين أبعاد قسوة قلوب بنى اسرائيل في القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة».

والحقيقة كذلك أنّا حينما نتبين أن صفة الخشية خلعتها الآية الكريمة على الحجارة التى انفعلت بالماء انفعالا يسيراً بينما انفعلت الحجارة الأخرى انفعالا أكبر فأكبر، فذلك معناه ضمناً أن الحجارة الأخرى التى انفعلت بالماء امتثالا لأوامر الله تعالى انفعالا كبيراً فتفجرت المياه أنهاراً أو انبجست عيوناً، فذلك معناه ضمنا أن الحجارة الأخرى قد حلّ بها ما بالحجارة الأولى من خشية الله تعالى. والمعروف أن الخشية ثمرة طاعة الله تعالى.

إن كل هذه المعانى حينما نتبينها والنعوت حينما نتمثلها في حق الحجارة الصماء في مقابل قسوة قلوب بنى اسرائيل التى عليها أقفالها فلا الشر خارج منها ولا الخير داخل فيها، نستطيع أن نفهم أبعاد التهديد الموجه في تذييل الآية الكريمة إلى بنى اسرائيل القساة القلوب الغلاظ الأكباد: «وما الله بغافل عما تعملون».

إن الله سبحانه وتعالى سيجازى بنى اسرائيل بما اقترفته أيديهم وقد جاء في حق بنى اسرائيل عبدة العجل المعتدين في السَّبت قوله عزّ من قائل في سورة الأعراف[١٨]: «وإذ تأذّن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب. إن ربّك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم».

الهوامش:

(١) الكشاف ٢٢٢/١.

(٢) تفسير القرطبي ٣٨٨.

(٣) الآية ٧٢، ٧٣.

(٤) الكشاف ٢٢٣/١ والبحر المحيط ٢٦٥/١.

(٥) البحر المحيط ٢٦٥/١.

(٦) مفردات الراغب الأصفهاني ٣٧.

(٧) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٠٦.

(٨) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٣٦.

(٩) مفردات الراغب الأصفهاني ١٤٩ وانظر البحر المحيط ٢٤٩/١.

(١٠) انظر هنا الكلام العظيم لأبى حيّان في البحر المحيط ٢٦٦/١.

(١١) الآية ٢١.

(١٢) الآية ٧٢.

(١٣) الآية ٤٤.

(١٤) سورة فصّلت ١١.

(١٥) الآية ١٥.

(١٦) الآية ١٨.

(١٧) الإتقان ٣٦٣/٢.

(١٨) الآية ١٦٧.

القصص النبوي | قصص النبوة والأدب العربي

من غير شك أن الأدب العربي تأثر تأثرا كبيرا بالقصص النبوي، ولا نريد أن نستطرد في هذا الموضوع غير أننا نشير - في هذا الصدد - إلى رسالة الغفران التى رد فيها أبو العلاء المعرى على ابن القارح، وفيها من وقائع ومشاهدات تشبه ما جاء في القصص النبوي عن الجنة والنار، وبصفة خاصة عن الشعراء من أمثال امرىء القيس بن حجر، وعلقمة وطرفة والحطيئة والأخطل وغيرهم. وقد جاء ذكر بعض هؤلاء في كتب السنة تحكي مصير بعضهم، ففى منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال[١] عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (امرؤ القيس صاحب *لواء الشعراء إلى النار*) و(امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار؛ لأنه أول من أحكم قوافيها) وغير ذلك كثير. لذلك وضح تأثر أبى العلاء بذلك وبما جاء في قصة الإسراء والمعراج، وانتقلت رسالة الغفران إلى أوربا فأثرت في الآداب الغربية مع غيرها من الثقافة الإسلامية ومصادرها المختلفة[٢]: (هذا هو الشاعر الأعمى أبو العلاء المعرى الذى لا يزال شهيرا في العالم الإسلامي، بل فى أوربا أيضا، وهو سوري الأصل عاش في القرنين العاشر والحادى عشر من الميلاد، وهو الملقب بفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة ألّف رسالة الغفران، وهى في حقيقة الأمر، محاكاة بارعة، لتلك الروايات البسيطة التى دارت أحداثها حول قصة الإسراء فحسب.. ورسالة الغفران رد على أحد أصدقاء أبى العلاء الشاعر الحلبي ابن القارح..).

وعلى كل حال يزخر تراث العرب الأدبي، وبصفة خاصة بعد الإسلام بالكثير والكثير، من القصص التى استلهمها العالم في القديم والحديث، من قصص فني، يخترق عالم الغيب، أو يجري على لسان الجن والشياطين، والطير والحيوان، وتقع أحداثها في ممالك الأرض والبحار، والسموات والفضاء، مثل رسالة الغفران، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، والمقامات، والتوابع والزوابع، وحي بن يقظان وغيرها. وهذا التراث يستلهم ويستمد من مصدرين ثابتين موثقين هما: قصص القرآن الكريم، وقصص النبوة، وهما يشعان بتوجيهات لها القداسة في سلوك المسلم العملي، لتنقية العقيدة، وتصحيح العبادة، وتنظيم المعاملة، ومن هنا تكون مصدر الهام وتجديد للقيم النبيلة، ومنها الفنون الأدبية على اختلاف ألوانها. وهذه الفنون تعطى نماذج ومثلا في القديم والحديث، وتؤثر في المسلمين وفيمن يخالطهم، في كل زمان ومكان، فى بلاد الفرس والهند والصين، في الأندلس وأوربا، وفي الحروب الصليبية، وفي السلم، في التجارة والصناعة والزراعة وغيرها.

أثر قصص الجنة في الآداب العالمية:

نشير هنا إلى بعض ما قلناه عن تأثير القصص النبوى في الآداب العالمية، وبصفة خاصة ما يتعلق بالجنة والنار في قصة المعراج، ومدى تأثيرها في أدب كبار الكتاب العالميين، من أمثال دانتي. يقول الدكتور محمد غنيمى هلال في كتابه الأدب



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -

المقارن[٣]: (ولقد قضى على كل معارضة في ذلك التأثر، وزالت كل شبهة أمام الباحثين، بفضل عالمين مستشرقين أحدهما: ايطالي وهو (تشيرولى) في بحثه الطويل الذى عنوانه: (كتاب المعراج ومسألة المصدر العربى الأسبانى للكوميديا الإلهية).

والمستشرق الثانى أسبانى هو (مونيوس سنديتو) في كتابه الذى عنوانه: (معراج محمد). وقد قام هذان العالمان ببحوثهما كل على حدة، ونشرا كتابيهما في وقت واحد تقريبا، عام ١٩٤٩م، واتفقت نتائج بحوثهما على الرغم من أن أحدهما لم يتصل بالآخر، وقد اكتشفا مصدر (دانته) في مخطوطة أصلها عربي، وموضوعها (معراج الرسول). وقد ترجمت هذه المخطوطة الى الأسبانية (في لهجة قشتالة) ثم إلى الفرنسية واللاتينية، بأمر من الملك (ألفونس العاشر ١٢٥٢ - ١٢٧٢) الذى كان ملك (قشتالة)، ثم امبراطور المانيا، ويسمى: (الفونس الحكيم) وفي الكتابين السابقي الذكر نص المخطوطتين اللتين بقيتا في الإسراء والمعراج، إحداهما (وهى باللغة الفرنسية القديمة) في مكتبة (اكسفورد) والثانية (وهى المخطوطة اللاتينية) في المكتبة الأهلية بباريس. وقد كان بلاط (الفونس العاشر) مقصد كثير من علماء أوربا ومفكريها، هذا إلى أن لدينا معلومات تاريخية، تدل على أن نسخة من هاتين المخطوطتين كانت في مكتبة الفاتيكان، ثم إن سيطرة (ألفونس العاشر) على دول الغرب لعصره - كما هو ثابت تاريخا - قد جعلت كل جهوده العلمية تعم ممالك أوربا جميعا. على أنه من الثابت أن (دانته) كان كثير الاطلاع على ما يتاح له من جميع الثقافات الأخرى.. وفي (الكوميديا الإلهية) نفسها ما يثبت اطلاع (دانته) على الثقافة الإسلامية..).

ويقول ول ديورانت في قصة الحضارة[٤]: (إن تصوير دانتى لله بأنه نور وحب (الحب الذى يحرك الشمس وسائر النجوم) لهو قول ارسطو، انتقل إليه عن طريق الفلسفة العربية وكان يعرف الشيء القليل عن الفارابى، وابن سينا، والغزالى، وابن رشد، ويضع ابن رشد في المحيط الخارجى للجحيم..

وتؤكد الدراسات الحديثة ما استمده دانتى من المصادر الشرقية، وبخاصة المصادر الإسلامية، كقصة: (أردا فيراف) التى تصف الصعود إلى السماء، ووصف الجحيم الوارد في القرآن، وقصة المعراج، ووصف الجنة والنار في رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، وفتوحات ابن عربى).

ويقول الدكتور محمد غنيمى هلال[٥]: (وأما هذا التشابه بين رسالة أبى العلاء و(كوميديا) دانتى فقد يكون راجعا إلى أنهما كليهما قد أفادا من حكاية الإسراء والمعراج، وفي هذه الحالة يكون لأبى العلاء فضل الإفادة أدبيا من التراث الإسلامى قبل دانتى).

ويرى ميجيل آسين[٦] أن دانتى قد (لجأ هو أيضا إلى نفس هذه الوسائل، وإن كان مستوى تصميم الكوميديا الإلهية أكبر كثيراً من مستوى تصميم رسالة الغفران، لقد عمل دانتى بنفس المنهج الذى اتخذه أبو العلاء، ولكنه تخطى مجرد الهدف الأدبى الذى رمى إليه المؤلف الإسلامى).

ويتحدث ميجيل عن الصور المنقولة في كوميديا دانتى عن القصص النبوى للجنَّة فيقول: (ومن المشابهات الغريبة إن إحدى القصص الإسلامية قد كررت حادثة الشجرة ثلاث مرات «.. فترفع له وهو على الصراط شجرة، فيقول: أي ربّ ادننى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله - تعالى - : يابن آدم .. (القصة) وعلى الرغم من أن نهاية القصتين مختلفة، فإن الخطوط للحادثة متشابة جدا في كلتا القصتين).

ويبدو واضحا تأثر دانتى بابن عربى الذى تَصَوَّر الجنة، ووضح هذا التصور برسوم هندسية[٧]: (والآن نرى أنه لا يلزمنا أن نبذل مجهودا ذهنيا مفرطا، لنتبين التشابه بين هذا التصور ووردة دانتى، لم يستخدم ابن

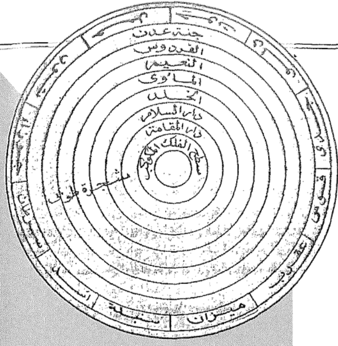
عربى في الحقيقة تشبيه الوردة في نصه، غير أن لمحة واحدة لتصميمه الذى وضعه بنفسه بدقة هندسية كبيرة، من شأنه أن يفصح عن مثل هذا التشبيه.. ونقع على تشابه آخر بين وردة دانتى وقصة إسلامية ظللت فيها الجنة شجرة هائلة، وقد استخدم ابن عربى حديثا شهيرا جدا في الإسلام (يعنى قصة: إن طوبي شجرة في الجنة) وأدخل في تصميمه شجرة هائلة تخرج أصولها من سماء الحرك الأول.. وهذا هو نفس الانطباع الذى يحدثه النظر إلى الوردة).

[انظر الشكل رقم (١)]

ويتحدث ميجيل آسين عن تأثير النماذج الإسلامية في آداب أوربا مثل أيرلندا، واسكنديناوة وفرنسا، والمانيا، وايطاليا، حيث انتقلت إلى أوربا المسيحية عن طريق الحجاج، والصليبيين والمبشرين والتجار أو عن طريق المغامرين (النورمان) أو الرقيق» أو رجال الأدب والعلم، أو الرحالة العادين[٨] (والحقيقة أن أسبانيا قد اعتبرت في القرن التاسع الميلادى، موطنا للأحاديث النبوية، وكان طبيعيا أن تكون أحاديث عروجه إلى السماء اكثرها شيوعا، باعتبارها الأحاديث التى تروي فصلا هاما من فصول سيرته - وهى رواية انجازه لمعجزته الكبرى التى أصبحت عقيدة من عقائد الإسلام، التى لا يزال المسلمون في كل أنحاء العالم يحتفلون بذكراها حتى يومنا هذا.

وبعد أن يذكر الكاتب معرفة الأسبان بقصة المعراج، يحدد بعض القديسين ورؤساء الأديرة الذين قرأوا هذه القصص مرارا وتكرارا، وعلى ذلك فلا يستبعد وصول قصة المعراج إلى ايطاليا التى كانت مرتبطة بأسبانيا بروابط اتصال وثيقة ودائمة: (وفي هذا الوقت كان التصميم الذى وضعه دانتى لقصيدته الإلهية، قد تحيز نهائيا في تفكيره، وصور الجحيم، وهو أول أجزائها في سنة ١٣٠٦م).

ويدلل ميجيل آسين في أكثر من موضع بأن دانتى استقى كتابه (الكوميديا الإلهية) إلى جانب المصادر



أثبت ميجيل آسين هذا الشكل وقال إن ابن عربى وضعه فى كتاب الفتوحات المكية ونقله دانتى فى الكوميديا الإلهية

السابقة - من ابن عربى ومؤلفاته عموما، وعلى الأخص كتابه الفتوحات المكية، حيث أخذ الفكرة العامة لقصيدته[٩] (والأرجح أن دانتى وقع في هذا الكتاب أيضا على التصميمات الهندسية لبناء الجحيم والفردوس، وعلى الملامح العامة للمناظر التى وضعت على أساسها الكوميديا الرائعة، وعلى الصورة الزاهية لحياة النعيم التى يحياها المنعمون في الجنة، وعلى تجلى النور الإلهى، وعلى اللذة التى يحصل عليها من يراه).

وما وجدناه في الثقافة الاسلامية وتأثيرها في العالم الغربي، وبصفة خاصة تأثير القصص النبوي، نجده في الآداب الشرقية التى كانت على جانب كبير من الحضارة قبل الاسلام: (ولكن أبرز المؤثرات الدينية بلا مراء، هى تلك المؤثرات الإسلامية، ويرجع هذا الى اعتناق الكثرة العظمى من الايرانيين للإسلام بعد الفتح العربي، وكان من نتيجة ذلك أن اصطبغت (الشاهنامة) نفسها، حين جمعها ونظمها بهذه الصبغة الإسلامية، فنرى كل ملوكها وأبطالها - تقريبا - موحدين، يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقضائه وقدره، خيره وشره..)

وأثرت الثقافة الإسلامية في القارة الهندية، فما يزال أهل السند الهندوس ينطقون بكلمات عربية

ويسمون يوم الخميس خميسا، والحصير حصيرا، والثوم ثوما، ومازال خطهم عربيا إلى انتشار الدعوة الطائفية ومثل ذلك وأكثر في اندونيسيا وماليزيا[١١].

ويقول ابن، سى، مهتا في كتابه (الحضارة الهندية والإسلام): (إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور، قد انجلت به الظلمات التى كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة الى الانحطاط والتدنى، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة).

تراث العرب والمسلمين:

القصص النبوى هو تراث خالد للعرب والمسلمين، تهوى إليه أفئدة المسلمين في كل مكان وزمان يقول أحد المسلمين من غير العرب[١٢]: (فكتب الحديث النبوي، تسد هذا الفراغ الواقع في تاريخ الأدب العربي، وتنقل إلينا الذخر الأدبي الذى أعتقد أنه قد ضاع، وتمتاز أنها قد اتصل سندها وصحت روايتها، فهى أوثق مصدر للغة العربية البليغة التى كانت سائدة في عهدها الذهبي الأول، وللأدب العربي الذى كان منتشرا في جزيرة العرب.

إن هذه الكتب تشتمل على روايات قصيرة وطويلة، وكلها أمثلة جميلة للغة العرب العرباء، التى كانوا يتكلمون بها، ويعبرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم، ويجد دارس الأدب العربي فيها من البلاغة العربية، والقدرة البيانية، والوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وعدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعا معترفا للرواة بالبلاغة والتحرى في صحة النقل والرواية، وللغة العربية بالسعة والجمال).

لذا عمل أعداء الإسلام من الغرب والشرق، ومنذ زمن بعيد ـ في جد ونشاط، وتنظيم دقيق على غلبة ونشر ثقافتهم العلمانية، المعزولة عن الأديان في الظاهر، والمعادية للإسلام في الباطن، والماحقة لتراثه، فعملوا بكل الوسائل السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية، وسخروا كل الامكانات: كالاستشراق، والتبشير، والاستعمار واعداد القادة في مختلف التخصصات من أبناء المسلمين المبعوثين أو المتعلمين في مدارسهم وجامعاتهم في بلاد الإسلام، أو عن طريق الإعلام الموجه، أو بتصدير الآراء والأفكار فى صور علمية أو مذهبية متقدمة.

ونجح أعداء الاسلام في تحقيق الأهداف التى لم يحققوها في الحروب الصليبية ولا غيرها، وذلك عن طريق تغيير المفاهيم التراثية، والثقافية، والدينية، حيث[١٣] سادت نزعة التغريب، وتسللت من مجرد الدعوة إلى التبعية الثقافية للغرب، لتصل إلى إذاعة الآراء المنحرفة، وذلك عندما سيطرت الروح العلمانية، وبالذات في مجال التعليم وعندما ظهرت الدعوة التى قادها سلامة موسى لإحياء العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وعندما ظهر كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلى) ثم تلاه كتابه الآخر (مستقبل الثقافة في مصر). وكذا كتاب على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) وما كتبه قاسم أمين (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) ونجد الانحراف قد تركز بصورة أكيدة فيما دعا إليه الدكتور أحمد زكى أبو شادى من مهاجمة الإسلام، باسم مهاجمة الأديان وذهب أيضا إلى ضرورة اغلاق الأزهر ليحيا المصريون حياة مدنية، وروج لتيار العلمانية بحجة الإيمان بقداسة البحث، وفى مواضع أخرى تغنى بآراء (فرويد) عالم النفس اليهودي، وخاصة فيما يتعلق بالغريزة الجنسية، على اعتبار أنه رسول جديد لم يستند إلى ديانة تقليدية ـ على حد قوله ـ كبقية الرسل، إنما استند إلى العلم وحده.

ودعا أذناب الغرب وعملاء أعداء الإسلام إلى دعوات اقليمية وقومية وعرقية، وقامت مدارس لترسيخ الثقافات والآداب الواردة لتغيير مفاهيمنا التراثية والأدبية كمدارس المهجر، والديوان، وأبولو، التى ألقت

في روع الجيل الماضي والحاضر، بأن علاج القصور الذى لحق بأدبنا منذ الجاهلية إلى اليوم، يمكن تداركه عن طريق الأخذ بالمذاهب الغربية، وبخاصة الرومانتيكية.

واتضح الآن على أرض الواقع الإسلامي، طغيان الثقافات التغريبية على تراثنا العربي الإسلامى، فزلزل كيان اللغة العربية، مما نراه من مظاهر التحقير والسخرية والاستخفاف بها وبأهلها، والعمل المتواصل للتنكر من قواعدها، بدعوى صعوبتها، وتنحية بلاغتها، بحجة تكلفها وبعدها عن روح العصر، وفي مجال أدبها توجيه ضربات قاصمة للشعر وموسيقاه العربية، القائمة على تفاعيله وقوافيه وبحوره، وفي جانب آخر الترويج للشعر المنثور أو النثر المشعور الذى لا يقوم على رابطة فنية ثابتة.

وفي تاريخ الأدب ونقده أخرجوا الأدب الذى يفيض بالاخلاص والصدق، اللذين يهبان الأدب روحا وقوة وحيوية، من حظيرة الأدب، وهو فن الخطابة الدينية والكتابة كالمقالة والوصايا الدينية، وكذا القصص العربي قبل العصر الحديث، بدعوة خلوه من عناصر القصة الحديثة، ووضوح الجانب الخطابي بالدعوة إلى القيم والأخلاق، مما يتعارض مع (الأدب للأدب).. وغير هذا وذاك مما هو قائم في مفاهيم الأدب والنقد الغربي[١٤]: (إن المتأمل في عامة النتاجات الفنية والأدبية للإنسان العربى المعاصر، ليجدها - إلا قليلا - تتحرك من جذور أوربية، إغريقية، مسيحية، وتعبر عن وجدان أوربي في همومها، وخيالاتها، وحسها الفنى كذلك، تحت ستار ما يسمى بالحداثة.

ولقد سأل صحفى جزائرى المستشرق الفرنسى المعاصر (شارل بيلا) ماذا تقرأ، الأدب العربي القديم أم الحديث؟ فأجابه على الفور: بل أقرأ الأدب العربي القديم وحده، فسأله الصحفى فزعا: ولم لا تقرأ الأدب العربي الحديث؟ فأجاب (شارل بيلا): لأنه أدب أوربي مكتوب باللغة العربية).

هكذا نجح الأعداء في ابعادنا عن التراث الإسلامي، حتى لا تكون لنا عودة إلى قيمنا وأخلاقنا وديننا[١٥] (فإن المقصود الأول بالتبشير عن طريق التعليم هم المسلمون، وخصوصا بعد أن تبدلت الأحوال والعقليات بعد الحرب العالمية الأولى، وهكذا كان تاريخ الأعمال التنصيرية في البلاد الإسلامية، إلى حد كبير، تاريخا للتعليم الأجنبي).

(ومن رأي المنصرين أن تؤسس الكليات في المراكز الإسلامية، ولذلك لم يكتفوا ببيروت، بل أرادوا أن يكون ثمة كلية في القاهرة نفسها إلى جانب الجامع الأزهر، وهكذا اصبح للمنصّرين الأمريكيين الكلية الأمريكية في القاهرة، بعد كلية روبرت في استانبول أيضا، ولم يكن رأى المنصّرين الفرنسيين مخالفا لذلك، فانشأوا كلية لهم في مدينة لاهور، وهى مدينة من المدن الإسلامية الكبرى في الهند(وعاصمة مقاطعة في باكستان اليوم).

وأمام هذه الحقائق الواضحة، والتى لا يجادل فيها مخلص لدينه ولقومه، وأمام اشتداد حملات أعداء الإسلام وأتباعهم - ممن أشرنا إليهم - لمحو شخصية المسلم وتفريغه من كل قيمه وأخلاقه نقول أمام ذلك كله، من الواجب والمحتم على الأمة وفي مقدمتها دعاة الإصلاح والغيورين على بناء وتربية الأجيال تصحيح هذا الخلل والمرض العضال الذى سيقضى على البقية الباقية من الأمة، وذلك بوضع خطة على مستوى العالم الإسلامى، يلتزم بها المسئولون وأفراد الأمة وتنفذ في أجهزة المعارف والتربية والتعليم والتوجيه والثقافة، لتدارك الخلل الذى دخل في الثقافة والتراث العربى والإسلامى، وتنقيته من كل ما أثر ويؤثر أو يتعارض معه، وأن تبنى المناهج على الاحتكام والاستلهام لديننا وتقاليدنا ومعالم حضارتنا.

وفي هذا المقام نذكر على سبيل المثال ما يجب النظر إليه في تراثنا وهى السنة النبوية التي ينظر اليها البعض بأنها قاصرة على الدين فقط، نقول إنها مثال حي وصورة صادقة للتربية والنشأة في ظلال الأدب العربي والإسلامى، فهى مصدر موثق لا يبلغ درجته مصدر في عالم الأمس أو اليوم، ولذا يجب أن

تقتحم مجال الأدب العربي، وتكون لها الصدارة على كل المستويات،، في التعليم العام والعالى، وتقرر منها مواد أدبية مختلفة تمثل جيل صدر الإسلام والأجيال التالية له ومالها من تأثير في العصور التالية، فالنثر في صدر الإسلام يكشف عن ذلك، ويعوض عما يقال من ضياع أكثر النثر الجاهلى، ففى السنة الأمثال والحكم والمواعظ، وفيها الخطابة والمناظرات، على نحو ما نرى بين الوفود بخطبائها وشعرائها وبين خطباء وشعراء رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وفيها أيضا نماذج القصص الموجز، والوسيط، والطويل؛ وأن يشار في هذا المجال الى الحقائق العلمية من تأثيرها في الآداب العالمية؛ لزرع الثقة في ناشئي الأمة، وهذا إن صحت النيات، وصدقت العزائم أمر ميسر، حيث نجحت رابطة العالم الإسلامى في إدخال مادة الأدب الإسلامى في كثير من الجامعات الإسلامية. ويمكن أن يكون هذا الأدب في مواد دراسية في المدارس الابتدائية والثانوية كالمطالعة والمحفوظات والقراءة والنصوص والبلاغة والتعبير والنقد وغيره، وفي المرحلة الجامعية تكون بصورة أوسع في الكليات الأدبية والنظرية في مواد تاريخ الأدب والنصوص والنقد، وفي صور أخرى لمواد قواعد النحو والبلاغة، ففي السنة أقوى وأبلغ ما في الأدب العربى وتاريخه من نماذج ونصوص بشهادة أهل البيان من العرب، فقد ذكر ابن هشام[١٦] أن السنة التاسعة للهجرة تسمى سنة الوفود، حيث قدم وفد بنى تميم، وكان فيما قالوه: يا محمد جئنا نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: (قد أذنت لخطيبكم فليقل) فقام عطارد بن حاجب فقال خطبة، ثم قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، لثابت بن قيس بن الشماس، أخى بنى الحارث بن الخزرج: (قم فأجب الرجل في خطبته) فقام ثابت فقال خطبته، ثم قال الأقرع - من وفد بنى تميم: وأبى، إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا. ثم أسلم القوم وجوزهم رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فأحسن جوائزهم.

ويمثل هذا المسلك في وضع الخطط والمناهج نصل حاضرنا بماضينا، ونشعر بواقعنا ينهل من تراثنا ويبنى شخصيتنا، ونعيد أمجادنا، ونبنى حضارة على هدى من كتابنا وسنة نبينا {صلى الله عليه وسلم}.

وبمثل هذا أيضا تتوحد مناهل الأمة، وتلتقى على كلمة سواء، ومفاهيم موحدة لبها ومدارها مأدبة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والشعر العربى الذى هو ديوان العرب، وكذا النثر الذى يضم الأعراف والتقاليد، وبذلك تتحقق رابطة اللغة العربية في بناء الأمة، عن طريق توحيد الروح، والحس، والشعور؛ فتصير كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تجاوبت معه سائر الأعضاء.

- للحديث صلة -

الهوامش:

(١) جـ٥ ص ٣٠٠.
(٢) ميجيل آسين: **أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية** ص ٦٦.
(٣) ص ١٤٦.
(٤) **ترجمة محمد بدران ص ٣٢٤ جـ١٧.**
(٥) الأدب المقارن ص ٢١٧.
(٦) **أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ص ٧٤، ١٣٦.**
(٧) **المرجع السابق ص ١٥١ وما بعدها.**
(٨) **المرجع السابق ص ٢٣٧ - ٢٤٢.**
(٩) **ص ٢٦٢.**
(١٠) د. **أمين عبد المجيد: القصة في الأدب الفارسي ص ٣٨٦.**
(١١) **أبو الحسن الندوي: أحاديث صريحة ص٦٧.**
(١٢) **أبو الحسن على الحسنى الندوى: نظرات في الأدب ص ٢٣.**
(١٣) **محمد جاد البنا: المعارك الأدبية ص ١٦٧.**
(١٤) **جمال سلطان: الغارة على التراث الإسلامى ص ٢٣.**
(١٥) **التبشير والاستعمار ص ٦٩، ٧٩.**
(١٦) **سيرة ابن هشام جـ٤ ص ٢٠٥ - ٢١٠.**

في الموازنة بين البديعيات المبكرة

الموازنة فن من فنون النقد الأدبي، ووسيلة من وسائله، ظهرت مبكرة في تاريخ النقد العربي، وأخذت تسايره على مر العصور، وفي رحلتها هذه وضعت أصولها وأوضاعها وشروطها اللازمة لعقدها، بعضها يتصل بالناقد الموازن، وبعضها يتعلق بطرفي الموازنة، منها اتحادهما في الموضوع أو المضمون[١].

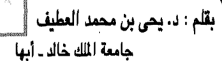
والموازنات من حيث كونها أداة من أدوات النقد تتنوع وتتباين بين موازنة عامة واستحسان مطلق، وبين مفاضلة مشروحة معللة، فقد يعتمد الناقد أو الموازن بين نصين أو شاعرين على ذوقه الخاص دون أن يوضح أسباب التفضيل وعلله، وذلك ما كان عليه النقد العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي. وقد يحتكم الناقد إلى منهج موضوعي يعمد فيه الى الشرح والتحليل والتعليل على النحو الذي نجده عند صاحب «الموازنة بين الطائيين» تلك الموازنة التي «تعد فريدة من نوعها في تاريخ النقد العربي»[٢].

ومن الموازنات في تراثنا الأدبي والنقدي تلك الموازنة التي عقدها ابن حجة الحموي في كتابه «خزانة الأدب أو التقديم» بين بديعيته والقصائد البديعية المبكرة في مدح الرسول {صلى الله عليه وسلم} أعنى بديعية صفي الدين الحلي وعز الدين الموصلي وابن جابر الأندلسي، مستهدفا إبراز محاسن بديعيته، وتأكيد قوة شاعريته، وإظهار تقدمه في ميدان البديعيات على من سبقه.

وليس بغريب أن يستخدم ناقد كابن حجة هذه الوسيلة النقدية لتحقيق ما يهدف إليه، لكن الغريب حقاً أن يكون المباشر للعملية النقدية طرفاً في هذه القضية - أعني المفاضلة والموازنة بين هذه البديعيات - وتلك ظاهرة نادرة في تاريخ النقد العربي. لذلك سنسير مع صاحب الخزانة بحذر فيما يبديه من آراء، وسنكتفي في الحديث عن هذا الموضوع بما يوضح طبيعة هذه الموازنة، وأسسها ومقاييسها التي استخدمها «ابن حجة».

لعل أبرز سمات هذه البديعيات هي التي حددت المقاييس التي استخدمها صاحب الخزانة ونعني ما تضمنته من الفنون البلاغية أو البديعية، فقد وازن على أساس هذه الفنون ومدى مطابقة بيت البديعية لمفهوم الفن الذي تضمنه، وصحة الاستشهاد به، اتبع ذلك في جل أبيات البديعيات المذكورة.

يقول في «براعة


بقلم : د. يحي بن محمد العطيف
جامعة الملك خالد - أبها

الاستهلال»: «وبراعة الحلي من أحسن البراعات وأحشمها وهي:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم

واقر السلام على عرب بذي سلم

فقد شبب بذكر سلع، والسؤال عن جيرة العلم، والسلام على عرب بذي سلم، ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق أن هذه البراعة صدرت لمديح نبوي.

وبعد أن يورد مطلع بديعية «ابن جابر» وهو:

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم

وانثر له المدح وانشر أطيب الكلم

يقول: «هذه البراعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح، ونشر المدح، ونشر طيب الكلم، فإن قال قائل: إنها براعة استهلال قلت: إن البديعية لابد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام فإذا كان مطلع القصيدة مبنياً على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع»[٣].

ويقول عن مطلع بديعيته وهو:

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي

براعة تستهل الدمع في العلم

«وأما براعة بديعيتي فإنها ببركة ممدوحها {صلى الله عليه وسلم} نور هذه المطالع، وقبلة هذا الكلام الجامع، فإني جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما، وأبرزت تسمية نوعها البديعي في أحسن قوالب التورية، وشنفت بأقراط غزلها الأسماع مع حشمة الألفاظ، وعذوبتها، وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة»[٤].

مما سبق نرى المؤلف يبين في موازنته خصائص كل مطلع، ومدى استيفائه الشروط المقررة لهذا الفن عند علماء البديع، ولذلك استحسن بيت بديعيته وبيت بديعية الحلي، أما مطلع «ابن جابر» فلم يستوف مقاييس هذا الفن - في نظر ابن حجة - لأنه صرح فيه بغرضه، وذلك إخلال بشرط من شروط براعة الاستهلال لأنه اشترط في المطلع أن يكون مشعراً بغرض الناظم مشيراً إليه من غير تصريح. وابن حجة محق فيما ذهب إليه. أما إذا عرضنا مطلع بديعية «ابن جابر» على مفهوم ناظمها لبراعة الاستهلال فإننا نجده مطابقاً له يقول ابن جابر في تعريفه: «هو أن يبين الشاعر في المطلع غرضه»[٥] ولقد جاء هذا المطلع مبيناً لغرض ناظمها وهو مدح الرسول الأمين {صلى الله عليه وسلم} وسهولة هذا المطلع ورقته وسلاسته، واضحة ظاهرة.

أما مطلع بديعية «الموصلي» فلم يذكره «ابن حجة» كعادته ولعل علة ذلك أنه أخذ الشطر الأول من بديعية الموصلي وضمّنه بيت براعة استهلال بديعيته، وكان الأولى وهو بصدد الموازنة أن يشير الى ذلك لا سيما وأن التضمين مباح في قانون الشعر والاعتراف بالحق فضيلة.

وبيت بديعيته على شرطه المقرر كما ذكر لكنه ارتكب فيه ضرورة لغوية هي قصر الممدود في قوله: «لي في ابتدا» على حين تخلو مطالع البديعيات الأخرى من مثل تلك الضرورة وأود أن أشير إلى أن ابن حجة لم يتناول الجانب اللغوي في موازنته.

وهو يسلك سبيل الموازنة التفضيلية كثيراً

فيصرح برأيه وحكمه مفضلا أبيات بديعيته غالباً كما في «التتميم والاستعارة والتشريع، والاستثناء والاطراد والمناسبة والنوادر والاعتراض والتطريز.

وقد يصيب في حكمه كما في قوله في الاستعارة[٦]: «فبيت الشيخ صفي الدين ـ رحمه الله ـ في بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة:

إن لم أحث مطايا العزم مثقلة

من القوافي تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان:

يقول صحبي وسفن العيس خائضة

بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفي الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما، ولا تتم الفائدة بهما، فإن بيت الشيخ صفي الدين متعلق بما قبله، وبيت العميان متعلق بما بعده، وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو:

دع المعاصي فشيب الرأس مشتعل

بالاستعارة من أزواجها العقم

أقول: ... إن في قوله: «من أزواجها العقم» ما يرعب السامع

وبيت بديعتي:

وكان غرس التمني يانعا فنوى

بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم أن المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة «غرس» رشحت بيانع وأما قولي: «بالاستعارة من نيران هجرهم» بعد «نوى» فما أعده إلا من المنح الإلهامية فإن اسم النوع الذي هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو، وصحة التركيب، والمشي على جادة الرقة، والالتزام بتسمية هذا النوع مورى به من جنس الغزل».

والحق أني لم أجد مطعنا في بيت ابن حجة سوى أن التورية فيه باسم النوع مستعارة من بيت شيخه الموصلي الآنف.

وقد يجانب صاحب الخزانة الصواب في حكمه كما في نوع «الطاعة والعصيان»[٧]. وقد يكون تفضيله لبيته مشفوعاً بروح الزهو والإعجاب كقوله في النزاهة: «والذي أقوله إن بيتي في هذا الباب جر أذيال البلاغة مع جرير وشاركه في العذوبة والتباري، ولكن له نبأ في التسمية صدر عن خبير»[٨] وهذه الروح نجدها كثيراً في مؤلفات ابن حجة ولا سيما في «خزانة الأدب»[٩]، وابن حجة معجب بالحلي وبديعيته لذلك نجده يثني عليها كثيراً ويسمها بالرقة والانسجام ويفضل أبياتها على بديعيتي الموصلي والأندلسي في كثير من الأحيان نجد ذلك في مواطن متعددة منها قوله في تجاهل العارف[١٠]: «وبيت الشيخ صفي الدين غاية في هذا الباب وهو:

يا ليت شعري أسحراً كان حبكم

أزال عقلي أم ضرب من اللمم

وكما استهجن بعض أبيات بديعية الموصلي أستحسنها كثيراً، وفضله بها على من سبقه نجد ذلك في «الاستطراد والمناقضة والاكتفاء والتكميل والتفريق وائتلاف اللفظ مع المعنى، والغلو الذي يقول فيه ـ بعد أن تناول بالنقد بيتي الحلي والعميان وهما:

عــزيز جــارلو الليل اســتـــجــاريه

من الصــبــاح لعاش الناس فـي الظلم

تكـاد تشــــهــــــد أن الله أرسـلـه

إلى الورى نطف الأبنـاء فـي الرحم

«وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته يقول فيه عن النبي [صلى الله عليه وسلم]:

في مــدحــه نفــحــات لا غلوّ بـهـا

يكـاد يحـي شـــــذاهـا بـالـي الرمم

نفـحـات هذا البـيت عطّرت الوجـود بالمديح النبوي، وغلوها فيه ملحوظ بعين القبول، وتقريبها بكاد أحرز قصبات السبق ولا أقول كاد، وهذا عندي مقدم على بيت بديعية الشيخ صفي الدين، وبيت العميان، لالتزامه بتسمية النوع البديعي مورى به من جنس المديح مع إنسجامه ورقته»[١١].

وابن حجة عندما يصرح بتفضيل بيت من أبيات البديعيات الأخرى إما أن يضم بيت بديعيته إلى البيت المفضل غالباً ويساويه به، وإما أن يكتفي بتبيان محاسنه، وإما أن يحيله إلى أصحاب الذوق السليم، ولا يقر لغيره بالفضل إلا نادراً وجدنا ذلك في موضع يتيم من موازنته يقول - بعد أن ذكر أبيات بديعيات الحلي والموصلي وابن حجة في التكرار - «كاد بيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين وبيت بديعتي أن تكون بيتاً واحداً لنا سبة التركيب، وإن كان بيت الشيخ الحلي مميزاً بزيادة واحدة في التكرار فقد جاء موضعها التورية في تسمية النوع.. والذي يظهر أن مكرر بيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشـيخ عـز الدين فـإن مكرره ناقص الحلاوة»[١٢].

ومما سبق يتضح لنا أن «ابن حجة» يصرح بحكمه ونتيجة موازنته، لكن ذلك لا يطرد في موازناته، فنجده يكتفي في مواضع منها بالجانب الوصفي، فيبين المحاسن والمساوىء دون أن يصرح بالافضل، نجد ذلك في «إرسال المثل، والتوشيح، والمبالغة والإغراق، ونفي الشيء بايجابه، والترتيب والفرائد، وغيرها.

يقول في الفرائد: «وبيت الشيخ صفي الدين:

ومن له حـاور الجـذع اليـبـيس ومن

بكفــه أورقت عــجــراء من سـلـم

الفريدة في بيت الحلي هي «العجراء» والعجراء هي العصا المعقدة وبيت الشيخ عز الدين:

كم حصحص الحق إذا وافت فرائده

وفي الوطيس بدا ثبـتــا بلا برم

الفـريدة في بيت الشـيخ عـز الدين هـي لفظة «الوطيس» وأما «برم» فما أبرم فيها أمراً.

وبيت بديعتي أقول فيه:

وشم ومــيض بروق من فــرائده

وانظم حنانيك عـقـدا غـيـر منفـصـم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي «شم وحنانيك ومنفصم..»[١٣].

ولقد تجافى قلم ابن حجة في موازنته عن الخوض في المعاني من حيث الصحة والفساد، والابتداع والاتباع والوضوح والغموض إلا ما جاء نادراً في ثنايا مقاييسه السابقة في نوع «الاستخدام، والهجو في معرض الذم، والتوشيح، والالغاز» يقول في الهجر في معرض المدح «وبيت الحلي:

من معشر يرخصُ الأعراض جوهرهم

ويحملون الأذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الأذى .. ينظر إلى قول الحماسي «يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة»..

وبيت عز الدين:

في معرض المدح تُهْجَى من قبيلته

أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذي أقوله: إن الشيخ عز الدين قفل مصراعي بيته، ومنع الافهام من الدخول اليه، فإني لم أجد فيه ما يدل على مجرد المدح، ولا اقترن به ما يصرفه إلى صيغة الهجو بل أقول - وأنا أستغفر الله - إن هذا البيت أجاد ألفاظه ما دب فيها من المعاني روح وليس له بهذا النوع إلمام»[١٤].

وحقا إن البيت لا يخلو من غموض إلا أننا نرى أن ابن حجة قد بالغ في وصفه بذلك، ومعنى البيت أن العاذل الذي ذكره الناظم فيما سبق من أبيات أعراض قبيلته بين معمور ومنهدم. والشاهد في «أعراضهم»: «وأعراضهم يحتمل معنيين: أحدهما جمع عرض بفتح العين والراء وهو المال. والثاني جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو محل الهجاء والمدح من الإنسان. فإذا نويت أن العرض المفتوح العين معمور وأن العرض المكسور العين منهدم كان هجاء في معرض مدح وإن عكسته كان مدحا»[١٥]. ومعنى قوله: «وإن عكسته كان مدحا..» أن القارىء إذا نوى أن العرض المفتوح العين منهدم وأن العرض المكسور العين معمور كان مدحاً في معرض الهجاء. والذي أراه أن هذا البيت لا يحتمل المدح، لأن الشاعر صرح في البيت بالهجاء في قوله: «تهجى» فكيف يكون محتملا للمدح بعد هذا التصريح؟.

وأشار ابن حجة الى روح الرفض في بديعية الحلي، وفضل بيته بهذا المعيار، وعدَّه الوحيد الذي يجب أن يستشهد به كما في نوع «جمع المؤتلف والمختلف» وبيت الحلي في هذا النوع هو قوله في وصف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا

سوى الاخاء ونص الذكر والرحم

ومعنى هذا البيت: «أن الصحابة جميعهم مستوون في الفضل، وما عدموا في استوائهم غير الإخاء مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وغير نص الذكر أي ورود القرآن والقرابة للنبي {صلى الله عليه وسلم}. ومراد (الشاعر) بذلك أن هذه الثلاثة مختصة بالإمام علي - رضي الله عنه - وبقية الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - متساوون في الفضيلة»[١٦]. يقول ابن حجة معلقاً على هذا البيت:

«الحلي أساء الأدب في نظم هذا البيت، وكان يجب أن يؤدب على نظمه، فإنه بخس فيه حق صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال: إن الصحابة رضي الله عنهم عدموها، وقوله «هم هم في جميع الفضل» لا يفهم منه مدح لأنه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيراً إلى هذا البيت:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا

مـا قـاله الرافـضي النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع في البيت غير المختلف لأن المؤتلف عنه بمعزل»[١٧].

هذا وقد رد الشيخ الموصلي في شرح بديعيته على هذه الروح الرافـضـة في بيت الحلي بالأدلة الثابتة الواضحة منتصراً لمذهب أهل السنة والجماعة في هذه القضية[١٨].

تلك أبرز ملامح هذه الموازنة في خزانة الأدب، ومن خلالها تبدو طبيعتها فهي تفضيلية في اكثرها تقوم غالباً على ذوق صاحبها ومقاييس البديع وخصائصه التي تمثل الاتجاه الغالب على النقد في عصر ابن حجة. وقد وصل من تلك الموازنة إلى نتائج لم نسلم له ببعض مقدماتها، وقد أجملها في خاتمة الخزانة فقال: «إن العميان اختصروا جانباً كبيراً من البديع، وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه. والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع، ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها. والشيخ عز الدين - رحمه الله - قصر في غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية»[١٩].

وواضح من هذا ومما سبق أنه يفضل بديعيته على سائر البديعيات الأخر، ويجعل بديعية العميان في الدرجة الأخيرة بين هذه القصائد.

ونحن نعتقد أن «ابن حجة» لو لم يكن طرفاً في هذه القضية، ولو تجرد عن روح الإعجاب والزهو، وتحرر قليلا من فنون البديع، ووسع دائرة مقاييسه لوفق كثيرا، ولكان لموازنته شأن في تاريخ النقد العربي.

الهوامش:

(١) انظر: أصول النقد العربي: الأستاذ احمد الشايب - الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ص ٢٩٠.

(٢) النقد المنهجي عند العرب: الدكتور محمد مندور - طبعة مكتبة النهضة المصرية ص ٣٥٦.

(٣) خزانة الأدب: طبعة بولاق سنة (١٢٩١هـ) ص ١٤، ١٥.

(٤) الخزانة/ ١٦.

(٥) شرح «ابن جابر» على بديعيته مخطوط ورقة٢.

(٦) الخزانة/ ٦٤.

(٧) انظر: الخزانة/ ٥١١.

(٨) الخزانة/ ٩٦.

(٩) انظر: الخزانة/ ١١، ١٦، ١١٧.

(١٠) الخزانة/ ١٥٧.

(١١) الخزانة/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(١٢) الخزانة / ٢٠٦.

(١٣) الخزانة/ ٤٥٥.

(١٤) الخزانة/ ١٨٥.

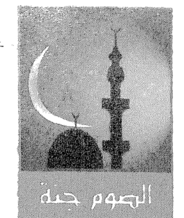
(١٥) التوصل بالبديع: ورقة/ ١١٩.

(١٦) نفحات الأزهار/ ١٥٤.

(١٧) الخزانة/ ٥١٤.

(١٨) التوصل بالبديع ورقة ١١٩.

(١٩) الخزانة/ ٥٧٠.





أتاكم رمضان شهر البركة

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال يوما ـ وقد حضر رمضان ـ «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه؛ فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، وينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله».

لا يكاد المرء يتأمل طبيعة شهر رمضان، إلا وتمتلىء نفسه بحمد الله سبحانه، واليقين برحمته وشفقته بعباده، فها هو شهر رمضان يمثل موسما من مواسم رحمة الله، يتفضل فيه الله سبحانه بالمنح والعطايا، فيملأ حياة العباد بالخير والبركة، وينزل رحمته عليهم ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن خطاياهم، ويستجيب فيه دعاءهم، ويباهي بالصائمين القائمين من عباده ملائكته الأبرار. ولهذا فإن أيام رمضان ملأى بأوجه الخير في الدنيا والآخرة، فالسعداء المفلحون من جدوا في العبادة وتعرضوا لعطايا الله، والأشقياء المحرومون من فاتهم هذا الخير العميم؛ وهم المقصرون في الطاعات فيحرمون لذلك من رحمة الله.

والحديث في مجموعه كشف عن فضل رمضان، وحفز لهمم المؤمنين للاجتهاد في العبادة، وهو ما يتضح بدءا من الكلمة الأولى في الحديث «أتاكم رمضان» إذ أصبح الشهر الفضيل في صورة الزائر الكريم الذى يأتي؛ وهو ما يوضح العلاقة الحميمة النبيلة التي تربط المؤمنين بشهر رمضان، وتثير هذه الجملة تساؤلا لدى السامعين؛ وكأنهم يقولون: وماذا في رمضان؟ وهنا ترد الجملة التالية: «شهر بركة» موضحة فضل رمضان توضيحا مطلقا عاما، يستقى منه السامعون أوجه الخير كلها في الدنيا والآخرة، وسائر جمل الحديث تفصيل لأبعاد هذه البركة المرتجاة؛ إذ تتأكد فيه صلة العباد بخالقهم، وقد قربهم الصيام والقيام إليه سبحانه، فأنزل عليهم رحمته، واستجاب دعاءهم، ويعبر الحديث الشريف عن هذه الصلة تعبيرات موحية تمس القلب؛ «يغشاكم الله فيه»، «ينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه»، «يباهي بكم ملائكته».

ويقرب البيان النبوي مظاهر فضل الله الى الأذهان من خلال التصوير؛ فرحمة الله تصبح كالغيث المنزل؛ «فينزل رحمته» وخطايا العباد تصبح كالأثقال شديدة الوطأة التى يحطها فضل الله عن العباد في رمضان «ويحط الخطايا» وتعتمد الصورتان على الفعل المضارع الدال بدوره على تجدد إنزال الرحمة، وعلى استمرار غفران الذنوب، وهو ما يدفع المؤمنين الى اليقين بفضل الله، والاجتهاد في التعرض له عبر أوقات الشهر الكريم كلها.

وينتقل الحديث بعد ذلك الى أحوال العبودية، والاجتهاد في الطاعات، وعلى رأسها «الدعاء» الذي يبلور يقين العبد بقدرة الخالق التي لا تحد، بالافتقار الى عطائه سبحانه ورحمته؛ ففي رمضان يتأكد فضل الله باستجابة الدعاء استجابة دائمة متصلة على نحو ما يفهم من مجيء «يستجيب» مضارعا.

ويعبر الحديث عن الاجتهاد في الطاعات تعبيرا دالا على ما امتلأت به نفوس المؤمنين من عزم على أداء القربات؛ حتى لتعد أوقات رمضان ميدانا يتنافس المسلمون في تمضيتها في الطاعة، وهم إن فعلوا ذلك ظفروا بسمو المنزلة عند الله؛ على نحو ما يدل قوله عليه السلام: «يباهى بكم ملائكته» وفي الفعل «يباهي» بمعناه وصيغته ـ ما يشير الى ارتفاع مكانة العابدين المجتهدين

بقلم: د. طارق سعد شلبى
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

في الطاعة في أوقات رمضان وهو ما أكده تقديم «بكم» المرتبطة بالمؤمنين العابدين على «ملائكته».

ويحرص الرسول {صلى الله عليه وسلم} على إيقاظ بعض القلوب من غفلتها، وأي حفز يحرك القلوب أعظم من أن يذكر المسلم أن الله مطلع عليه؟! «ينظر الله إلى تنافسكم فيه» وهو ما يوجب على المرء أن يستجيب للتوجيه النبوي الكريم: «فأروا الله من أنفسكم خيرا» ويعبر الحديث الشريف عن الغافل عن فضل رمضان، المفرط في عبادة الله، الظالم نفسه تعبيرا يكشف عن مدى الخسران المبين الذي يحيق بهذا الغافل؛ فهو «شقي»! ويهب هذا اللفظ آفاقا دلالية رحبة تجتهد الأذهان في إدراك مداها خاصة حين يقترن هذا الشقاء بالحرمان، ويكون هذا الحرمان من أمر يمثل الغاية العظمى التي تهفو اليها كل نفس؛ «فإن الشقي من حُرم فيه من رحمة الله».

ولهذه العبارة قدرة لافتة على جذب انتباه السامعين؛ فهي ترد مقابلة لما قبلها، فإذا كان السامعون قد تابعوا فيما مضى أحوال أهل الطاعة الذين يتنافسون في العبادة وتباهى بهم الملائكة، ويلتمسون سبل مرضاة الله، إذ بالسياق ينقل السامعين نقلة مغايرة الى الغافلين عن ذلك الخير كله، وانتقال السامعين بين المقابلات على هذا النحو له أثره في دفع الأذهان الى التأمل في حال كلا الفريقين، وهو ما يكشف عن توجيه نبوي خفي لطيف، قادر على مخاطبة أعماق القلوب.

وتتأكد مزية هذا التوجيه بالكشف عن المصير الوبيل الذي حاق بهذا الشقي، وهو ما أكدته «إن» التي صدرت الحديث عن حاله؛ «فإن الشقي من حُرِمَ فيه رحمة الله» ويرد لفظ «من» ليدل مع «إن» المؤكدة أن لا شقي إلا هذا المحروم من رحمة الله، ويستبقي الرسول الكريم انتباه السامعين منصبا على الشهر الكريم من خلال قوله: «فيه» فهذا الشهر فرصة عظمى لنيل رحمة الله، فمن لم يدرك الرحمة فيه فهو الشقي، ولا شقي سواه!

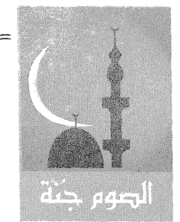
وتتأكد دلالة الحرمان والخسران من خلال بناء الفعل «حُرِمَ» للمجهول، فهو - بمعناه وصيغته - يؤكد الحرمان المطلق الذي يحيق بالمقصرين في الطاعات.

ومن يتأمل طبيعة الخطاب النبوي يجده منصبا على جماعة المخاطبين، وهو ما يجعل مثل هذا الحديث صالحا لكل زمان ولكل مكان، فما من جماعة مؤمنة تصغي الى هذا الحديث - وقد أقبل عليها رمضان - إلا وتشعر أنها مخاطبة به «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه.. ينظر الله الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته؛ فأروا الله من أنفسكم خيرا» ومثل هذا الخطاب يجعل النفوس أقرب الى الاستجابة والطاعة، وهي تجد شفقة الرسول بها، وحرصه عليها؛ في توجيهها الى ما ينفعها.

ويجمع الحديث الشريف بين الخبر والإنشاء؛ إذ جاءت معظم عبارات الحديث خبرية تقريرية، وهو ما أسهم في عرض فضائل الشهر الكريم في صورة البدهات القارة التي لا شك فيها، مما يؤكد في النهاية المعنى في الأذهان، أما الإنشاء فقد ورد من أساليبه أسلوب الأمر «فأروا الله من أنفسكم خيرا»، وقد ورد هذا الأسلوب تاليا للأساليب الخبرية التي أشرنا اليها، مترتبا عليها؛ ففضائل رمضان توجب الأمر بالاجتهاد في العبادة «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا»، والنظر في علاقة أسلوب الأمر هنا بما قبله يؤكد ترابط وحدات الحديث، وتسلسلها؛ إذ تؤدي كل وحدة منها الى تاليتها، فالتنافس في العبادة يصل بالعباد الى منزلة عظمى؛ تتمثل في مباهاة الله بهم ملائكته، وهي مكانة لا سبيل إلى نيلها إلا بالعمل الصالح الموصول، ويرتبط الأمر النبوي «فأروا الله من أنفسكم خيرا» بقوله عليه السلام «ينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه». ومثل هذا الترابط المحكم يجعل النفوس أقرب الى الاقتناع بالفكرة، والاستجابة للتوجيه.

وفي هذه المواضع من الحديث عموم يلائم حفز النفوس على تحري أبواب الخير، فلم يقيد الرسول الكريم طاعة بعينها يتنافس المؤمنون في أدائها، كما بقي لفظ «خيرا» بتنكيره شاملا كل ما يمكن أن يرد في الذهن من قربي يتقرب بها العباد الى خالقهم المطلع عليهم.

وبعد فنسأل الله أن يجعلنا من عباده المقبولين في رمضان، فينزل علينا رحمته، ويحط عنا خطايانا، ويباهي بنا ملائكته، وألا يجعلنا من الأشقياء المحرومين من فضل رمضان.



الصيام وتربية النفوس

الصوم أعظم مدرسة لتربية النفوس المسلمة، إنه مدرسة تختلف كثيراً عن المدارس التربوية الأخرى التى تعتمد في التربية على الإلقاء البحت للمواعظ والحكم التى تحرك القلوب ثم ما تلبث أن يذهب ما فيها من خشوع بمرور بعض الوقت دون أن تؤثر في السلوك الشخصي للفرد بفعل أو عمل جديد يقوّم النفس ويهذبها ويصير لها عادة ملازمة في طريق الحياة.

أما في مدرسة الصوم فتتم التربية الإيمانية بممارسة عملية للصائمين أنفسهم طيلة شهر بكامله يتدربون فيها على الايمان والمثل علماً وعملا ويجدون في الصوم دروساً غالية يتعلمون منها الكثير.

وفي هذا الشهر الكريم نستعرض بعض هذه الدروس العظيمة التى نجدها في مدرسة الصوم حيث يظهر لنا روعة هذه العبادة، فسبحان العلي القدير الذي شرع لنا كل هذا الخير الذي فيه صلاح نفوسنا وحياتنا.

الإخلاص:

فالإخلاص من الدروس الغالية التي تتعلمها النفوس بالصوم فما سمعنا أنه صام مُراء أو منافق قط، ذاك أن غاية الرياء وهدفه الحقيقي هو مدح المادحين أو طلب المنزلة في أعين الخلق بما يمارسه المرائي من وجوه الطاعات والبر وهذا الأمر غير حاصل له بالصوم لأن الصوم سر بين العبد وربه جل وعلا. لذلك كان الإمام أحمد يقول (الصوم لا رياء فيه) فلا يصوم إلا المخلصون التاركون لطعامهم وشرابهم وشهوتهم من أجل طاعة ورضا الله وحده دون سواه ولما كان الصوم كله خالصاً لله لا تشبه شائبة الرياء نسبه الله تعالى الى نفسه وتكفل بالجزاء عليه. فقال تعالى في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزى به) رواه مسلم.

وتكفله سبحانه بالجزاء عليه يعنى أنه تعالى قد كشف مقادير ثواب غيره من الأعمال الصالحة والطاعات وأنها تضاعف من حسنة إلى عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله إلا الصيام فإنه سبحانه وتعالى يثيب عليه بغير تقدير فهو جل شأنه الذي انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته وكل هذا من ثمرة الإخلاص في تلك العبادة الجليلة.

وحاجة النفس للإخلاص أشد من حاجة الجسد للطعام والشراب والهواء فالإخلاص من أهم أسباب تزكية النفوس وطهارتها ونجاتها يوم القيامة فكل طاعة أو عمل نرجوا جزاءه عند الله تعالى لابد له من إخلاص يبعده عن النظر للمخلوقين ويوجهه للخالق جل وعلا وبذلك يكون له عند الله القبول والمثوبة فهو

بقلم : د. خالد سعد النجار
- مصر -

ركن من أركان العمل وشرط من شروطه قال تعالى {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} (الكهف/١١٠).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

فالإخلاص روح أى عباده عليه تقوم وبه تقبل عند الله وشواهد هذه القاعدة عديدة نجدها في أكثر من حديث من أحاديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كقوله (ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر) رواه الترمذي.

وقوله (ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنه وغفر له) رواه أبو داود. وقوله (صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفىء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر) رواه الطبراني. وقوله (من سأل القتل في سبيل الله صادقاً من قلبه أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه) رواه الترمذي.

وثمرة الإخلاص الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

- فالأمة المسلمة لا تنصر إلا بإخلاص أفرادها. قال {صلى الله عليه وسلم} «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» رواه النسائي. وقال (بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعه والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب) رواه احمد.

- والود والحب والألفة بين المسلمين لا تكون إلا بالإخلاص قال {صلى الله عليه وسلم} (ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن: إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعاءهم يحيط مَنْ وراءهم) رواه البزار. فلا يجتمع غل مع إخلاص في قلب المسلم أبدا.

- والرفعة والمنزلة في الآخرة لا تكون إلا

بالإخلاص حيث يقول تعالى في شأن طائفة من المخلصين.

- (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) الإنسان/٨ - ١٢.

إن الإخلاص خلاص من كل ما يكره المرء ومن كل قيد ومن هنا تأتى فضيلة الصوم أعظم مدرب للنفوس على الإخلاص الذي هو من أشق الأمور على النفس حيث يقول أحد الحكماء (إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز).

التقوى:

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/ ١٨٣)، قال الزجاج: لتتقوا المعاصي فإن الصيام وصلة إلى التقى لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تطلع عليه النفس من المعاصي.

ولا تتم التقوى إلا بأن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى. قال طلق بن حبيب (إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى قالوا وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله).

وفي الصوم يتدرب الإنسان على تقوى الله تعالى وذلك لأن الصوم يكف جماح الشهوات التي هى أكبر دافع على تعدى حدود الله كما أن الصوم الحقيقي هو الذي يقترن بالآداب والفضائل ويجانب كل الرذائل وتلك هى حقيقة التقوى التى هى اجتناب ما يسخط الله والإقبال على ما يرضى الله من الاعتقادات والأقوال والأفعال وفي ذلك يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (الصيام جُنَّة من النار فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه وليقل إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) رواه النسائي.

ويقول (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجه في أن يدع طعامه وشرابه) رواه ابن ماجه، وقال جابر - رضى الله عنه - (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينه يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء).

- إن تقوى الله هي المخرج الحقيقي للمجتمعات المنكوبة التى تتخبط في ظلمات النظريات تتلمس منهجاً يخرجها من الشقاء قال تعالى {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} (الطلاق/ ٢ - ٣) وقال {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً} (الطلاق/٤) وقال {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} (الأعراف/٩٦).

- والتقوى هى الملاذ الآمن الذى يجعل الإنسان في كنف الله وماذا يفقد من وجد الله تعالى {وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط} (آل عمران/ ١٢٠) {واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} (البقرة/ ١٩٤).

- والتقوى مفتاح كل خير ومفتاح قبول أى عمل. قال تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين} (المائدة/٢٧) إنها خير زاد يتزود به الإنسان وخير زينة يتزين بها {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} (البقرة/ ١٩٧)، {ولباس التقوى ذلك خير} (الأعراف/ ٢٦).

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تقلب عرياناً وإن كان كاسياً
وخير لباس المرء طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصياً

الصبر:

فالله تعالى جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً غالباً لا يهزم، وحصنا حصينا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عده ولا عدد ومحله من الظفر محل الرأس من الجسد.

والصوم تجتمع فيه معاني الصبر الثلاثة الصبر على ألم الجوع والعطش والصبر على المعاصي والصبر على الطاعات.

فالصوم خير مدرب للإرادة وخير معلم للصبر. والصبر مدرسة يعد فيها الرجال ويجعلهم يألفون الشدائد وتحملها في سبيل كل نجاح وفلاح وما قامت أى حضارة وما أحرز أى تقدم وازدهار إلا بالرجال الصابرين على المحن التي تعترض طريق النهضة.

فالكسل والجزع عند أول عقبه لا ينتج إلا أجساداً مترهلة خاملة خائفة لا تعرف للرفعة سبيلا ولا للرقى طريقاً وصدق الشاعر إذ يقول:

والصبر مثل اسمه مُرّ مذاقته
لكن عواقبه أحلى من العسل

ولذلك قيل في تعريف الصبر هو تعويد النفس الهجوم على المكاره، وقال علي - كرم الله وجهه - : الصبر مطيه لا تكبو..

وقال الحجاج في أحد خطبه (اقرعوا هذه النفوس فإنها طلعة الى كل سوء فرحم الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً وزماما فقادها بخطامها إلى طاعه الله وصرفها بزمامها عن معاصي الله فإن الصبر على محارم الله أيسر من الصبر على عذابه).

فالصبر كله خير وكله ضياء كما قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «ما رزق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر» رواه الحاكم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أفضل عيش أدركناه بالصبر).

المراقبة:

فالصيام أمر موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه منه إلا الله تعالى. فالصائم ترك كل شهوة في قدرته تناولها لولا اطلاع الله تعالى ومراقبته له لما صبر، فلا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه ويفتقده حيث أمره.

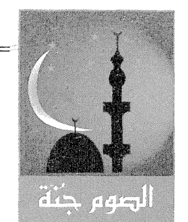
وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر مُعدّ للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا وسعادتها في الآخرة.

إن النفوس المتحلية بالمراقبة لا تقدم على غش ولا خديعة ولا خيانة ولا ظلم ولا استرسال مع أى معصية، وروح الصيام وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قُلْ على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فالله بالنسبة للصائم رقيب حى فى قلبه لا يرائيه ولا يجامله ولا يخدع من تأويل ولا يغر بفلسفة ولا تزيين ولا يستهويه ما تسول النفس ولا يزال دائماً يقول للنفس: إن الخطأ أكبر الخطأ أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك.

إننا لا نخطىء إذا قلنا أن الصوم تربية للمسلم يخرج المسلم منه وقد صفت نفسه وزكا قلبه وتطهرت روحه وسما عقله ثم هو بعد ذلك زاد للعبد في سيره وارتحاله الى ربه.



موائد الإفطار في شهر رمضان

لشهر رمضان العديد من الفضائل التى يتميز بها على غيره من الشهور، ومن ذلك أنه شهر الكرم والجود، فالصيام يهذب النفوس ويسمو بالأرواح الى مدارج الحضور والمراقبة لله، فيتسابق الصائمون إلى فعل كل ألوان الخير، ومساعدة الضعفاء، وإطعام المساكين تقرباً وطاعة لله عز وجل.

ولعل من أبرز المظاهر الرمضانية التى نجدها في كل مكان، موائد الإفطار التي تمد هنا وهناك، ويجد فيها كل محتاج من ألوان الطعام والشراب، ما يسد جوعه ويطفىء ظمأه، ويحرص الناس على إقامتها رغبة منهم في الحصول على الثواب واستمطار رحمة الله تعالى، فلقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن الصائم تصلى عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا» كما قال {صلى الله عليه وسلم} «من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا».

موائد الإفطار التي ارتبطت بشهر رمضان ظهرت منذ العصور الإسلامية الأولى وفي مختلف أرجاء العالم الاسلامى، وبلغ الحرص على إعدادها والاهتمام بها مبلغاً فائقاً، ففى العصر الطولونى في مصر (٢٥٧ - ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ - ٩٠٥م) كان الأغنياء والقادرون يعدون موائد إفطار للصائمين ويرسلون خدمهم الى الأسواق والطرق العامة قبل أن يحين موعد الإفطار يبحثون عن الفقراء والمحتاجين ويصحبونهم الى تلك الموائد في بيوت سادتهم، وكانوا يتوسلون إلى كل صائم كى يشاركهم الطعام، ويبدو أن الطعام كان يعد بكميات كبيرة، كما كان سادتهم يكافؤونهم إذا أحضروا أكبر عدد من الناس، لذلك كانوا يجبرون الناس أحياناً على الذهاب معهم أو يحملونهم قسرا إلى بيوت سادتهم للإفطار.

وكان العصر الفاطمى (٣٥٨ - ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ - ١١٧١م) الذى اتسم بالبذخ والإسراف، من أكثر العصور اهتماماً بمثل هذه الموائد، ولعل في ذلك شيء من السياسة إذ حرص الخلفاء الفاطميون على إرضاء الشعب وكسب وده وميله لهم حتى يمكنهم نشر مذهبهم الدينى وهو المذهب الشيعى، وكانوا يجدون في مثل هذه المناسبات ما يمكنهم من بث بعض مبادئهم. وكان احتفال الفاطميين بشهر رمضان يبدأ من أوله ويستمر حتى آخره، فكانوا يعدون في غرة شهر رمضان سماطا كبيراً يدعون إليه الخاصة والعامة، ويستمر ذلك طوال الشهر، وكانت تلك الموائد يخصص لها مكان في قاعة الذهب في القصر الفاطمى، وهى القاعة التى أنشأها الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ - ٩٩٦) ثم جددها الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦ - ١٠٩٤م)، وكانت تلك الموائد مثالا للإخوة والمساواه بين الناس في

بقلم : د. صلاح أحمد البهنسى
- مصر -

الإسلام، فكان يحضرها الأمراء والعلماء والفقهاء كما كان يدعى إليها المساكين والفقراء. وكان الاهتمام بإعداد هذه الموائد بالغا كما كان يهتم بإضفاء الصفة الجمالية عليها فكانت الموائد تحلى بالزهور، وتنسق أصناف الطعام والشراب تنسيقا جذاباً، فكانت تنسق على شكل قصور أو على هيئة تماثيل، وتحلى بألوان المكسرات وكأنها الدر المنثور.

ولم يقتصر الأمر على مائدة القصر بل إن الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ - ٩٩٦م) كان أول من عمل مائدة إفطار في جامع عمرو بن العاص في الفسطاط، وفي الجامع الأزهر بالقاهرة، وكانت تلك الموائد مباحة لكل من حضر للطعام دون فرق بين الناس، كما كانت تلك الموائد تبدأ منذ شهر رجب وتستمر خلال شهرى شعبان ورمضان، وقد ذكر المؤرخون أنه كان يعد بالقصر الفاطمى ألف ومائة قدْر يومياً من مختلف ألوان الطعام لهذا الغرض.

وفي العصر الأيوبي (٥٦٧ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠م) حيث زادت النزعات التصوفية بعد أن تم القضاء على آثار المذهب الشيعى وتدعيم المذهب السنى، وعلى الرغم من ظروف الحروب مع الصليبيين التى لازمت الدولة الأيوبية منذ نشأتها مما جعلها أبعد ما تكون عن الترف، إلا أن ذلك لا يعنى أنهم لم يحيوا الأعياد الدينية، بل إنهم اهتموا بأحيائها مع مراعاة الإقتصاد في ذلك، ولعل من أكثر ما ورد عن مظاهر الاحتفال بشهر رمضان في ذلك العصر، ما ذكر عن القائد البحرى لؤلؤ الحاجب الذى استطاع الانتصار على الجيش الصليبى الذى هاجم ميناء عيذاب على البحر الأحمر سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨١م)



وأحرق مراكب العدو وأسر جنودهم، وكان هؤلاء مع فرنج الشوبك يريدون نبش قبر الرسول {صلى الله عليه وسلم} ونقل جسده الشريف إلى بلادهم، فكان هذا القائد يصنع ثلاثة مراكب كبيرة طول كل منها أحد عشر ذراعاً مملؤة طعاماً ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم وفي يده مغرفة يوزع عليهم الطعام.

وكان العصر المملوكى (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) فترة رخاء اقتصادى وانتعاش مادي مما

جعل الترف سمة مميزة لهذا العصر، كما امتازت الحياة الاجتماعية في ذلك العصر بالمبالغة في إحياء الأعياد والمناسبات الدينية والقومية، ومن هذه المناسبات شهر رمضان الذى كان يعتبر موسماً للبر والإحسان، فما أن تثبت رؤية هلال رمضان حتى تعد أحمال من السكر والحبوب واللحم توزع على الفقراء تحت إشراف المحتسب وناظر الدولة، كما تعد موائد لإفطار الفقراء والمساكين بأعداد كبيرة، فلقد ذكر المؤرخ المقريزى وهو من المؤرخين الذين عاشوا في العصر المملوكى (توفي سنة ٨٤٥هـ) أن عدد الفقراء الذين كانوا يفطرون في مطابخ السلطان المملوكى بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ/ ١٢٥٩ - ١٢٧٧م) خمسة آلاف فرد، كما كان السلطان المملوكى برقوق (٧٨٤ - ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ - ١٣٩٨م) يأمر بذبح خمس وعشرين بقرة يوميا وتطهى في المطابخ السلطانية وتوزع مع الخبز وغيره من ألوان الطعام على الفقراء والعاملين في المساجد والمتصوفة والطلاب في الخوانق والأربطه والمساجين في السجون حيث كان يعطى كل فرد رطلا من اللحم وثلاثة أرغفة، كما خصص مطابخ يدعى إليها الفقراء والمحتاجون يومياً للإفطار.

وقد حذا السلطان المملوكى المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ - ١٤٢١م) حذو السلطان الظاهر برقوق، ففى رمضان سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م) رتب عدة أبقار تذبح وتطبخ وتوزع على المنقطعين في الزوايا، وعلى الفقراء والمساكين، كما كان السلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١هـ/ ١٧٦٨ - ١٤٩٦م) يحرص على إقامة موائد الإفطار في عدة أماكن في القاهرة.

ولم يكن العصر العثمانى (٩٢٣ - ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧ - ١٨٠٥م) يقل اهتماماً بشهر رمضان عما سبقه من العصور وكان إعداد موائد للإفطار من الأمور التى ارتبطت بشهر رمضان في ذلك العصر، وقد أفاض الرحالة في وصف مثل تلك الموائد التى نالت إعجابهم بما فيها من معان، من ذلك ما ذكره المستشرق الإنجليزى إدوارد لين فقال أن العادة جرت في شهر رمضان أن يوضع في غرفة الاستقبال في منازل الطبقتين العليا والوسطى قبل الغروب كرسى عليه صينية طعام وعليها صحاف (أطباق) عديدة تحوى أصنافاً مختلفة من الطعام، بالإضافة إلى المرطبات والمكسرات والبلح والتين، ويجلسون في انتظار الوافدين عليهم، وهى مباحة لأى شخص دونما دعوة أو تخصيص.

وكان الناس في مدن وقرى مصر يخصصون في كل حى من أحيائهم داراً واسعة تسمى «مضيفة» يجتمع فيها الناس للإفطار لا فرق بينهم.

ويبدو أن إعداد موائد الإفطار كان من الأمور الشائعة في العصر العثمانى ولأن مثل هذا التقليد الذى يعبر عن المودة والتعاطف بين الناس، يعد من أسمى المشاعر الإنسانية، فلقد نال إعجاب وتقدير غير المسلمين وحذوا حذوهم، فلقد ذكر المؤرخ الجبرتى في تاريخه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ضمن حديثه عن أحداث سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) أن الفرنسيين في القاهره كانوا يعدون موائد خلال شهر رمضان يدعون إليها فئات مختلفة من المصريين من الأعيان والمشايخ والتجار لتناول الإفطار والسحور، وكانوا يوكلون بإعداد الطعام وتقديمه الى طباخين وفراشين من المسلمين تطميناً لخواطر المسلمين، كما كانوا يحرصون على أن يتمتعوا بهذا المظهر الفريد ومعايشته بكل معانيه فكانوا يذهبون الى بيوت المسلمين ويحضرون عندهم هذه الموائد ويتناولون معهم الإفطار.

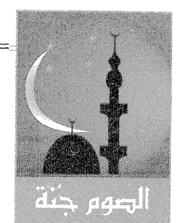
ولم يكن الأمر قاصراً على مصر دون غيرها من بلدان العالم الإسلامى، بل وجد هذا التقليد في مختلف البلاد وفي مختلف العصور، ولن نقف طويلا عند ذلك بل سنقتصر على بعض الأمثلة، فلقد ورد أنه كانت توجد في مدينة بغداد في العصر العباسى دور يطلق عليها دور المضيف وكانت عشرين داراً على جانبين، وكل دار منها كانت تجهز في شهر رمضان في كل ليلة بخمسمائة قدح، وألف رطل من المطبخ الخاص والخبز والحلوى وغير ذلك من ألوان الطعام ويستمر ذلك طوال شهر رمضان وكانت تفد إليها أعداد كبيرة من الناس من مختلف الطبقات، فلقد ذكر أن أحد هذه الدور وهى دار الصاحب بن عباد كانت لا تخلو في كل ليلة من ليالى شهر رمضان من ألف مفطر.

وذكر الرحاله ابن بطوطة في رحلته لدمشق أنه من فضائل أهلها أن الأمراء والقضاه والكبراء يدعون الفقراء للإفطار عندهم كل ليلة من ليالى شهر رمضان، وكانت موائد الإفطار من المظاهر الرمضانية التى شاعت في طرابلس في ليبيا، وكما تأثر الفرنسيون في مصر بهذا التقليد النبيل فلقد تأثر كذلك الأجانب في طرابلس بذلك وحرصوا على تنفيذه، فلقد ذكرت الآنسة «توللى» في كتابها عشرة أعوام في طرابلس وهى تتحدث عن أحوال هذا الشعب وعاداته في أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م أن قنصليات البلاد الأجنبية في طرابلس كانت تعد موائد إفطار يومياً وتفتح القنصليات لكل من أراد أن يتناول طعام الإفطار.

ومن العادات القديمة التى كانت ومازالت متبعة في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية أن تدعو كل أسره مسلمة عشرين مسلماً أو يزيد لتناول الإفطار معها في رمضان ولو لمرة واحدة.

وفي دار الخلافة في استانبول لابد أن يكون الإفطار مختلفا، وفي حضرة السلطان العثمانى يجب أن تتجلى كل مظاهر الجود والكرم، وكان من المألوف في العصر العثمانى في استانبول إقامة موائد افطار يحضرها فئات مختلفه من الناس، يتناولون ما لذ وطاب من ألوان الطعام والحلوى والفاكهة والشراب، فإذا ما انتهى الناس من تناول طعام إفطارهم، وقد نال التعب من أسنانهم حصل كل منهم على مبلغ من المال يطلق عليه «ديش كراسى» أى أجرة تعب الأسنان، وكانت هذه المبالغ تختلف باختلاف الأشخاص فتبدأ من ربع ليره وتصل إلى ألف ليره، ويستمر الحال كذلك في كل ليله من ليالى رمضان، حتى إذا ما كانت الليله الأخيره أعدت مائدة حافلة عامرة بكل أصناف الطعام والشراب والحلوى، وبعد الإفطار يحصل كل فرد من الحاضرين من الموظفين والضباط والجنود على مبلغ يعادل راتبه الشهري.

وإن كانت هذه بعض صور الماضى بكل ما فيها من معان، فإن الحاضر لا يقل إشراقا، وما زالت موائد الإفطار تمد في كل مكان في مصر وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامى، ولا يكاد المرء يمر في حي من أحياء القاهره أو أحد ميادينها إلا ويرى العديد من الموائد الممتدة في انتظار الصائمين، ولعل من أهم الميادين التى تنتشر بها هذه الموائد وتضم العديد من السرادقات ميدان جامع الحسين، حين يتوافد الناس إلى هناك من مختلف الطبقات للاستمتا ع بهذا المظهر الرمضانى الجميل، فتراهم جنباٍ الى جنب لا فرق بينهم، وقد أدوا فرض ربهم، وتقربوا إليه بصومهم، وأفطروا على ما رزقهم، فذهب ظمأهم، وابتلت عروقهم، ودعوا الله أن يثبت أجرهم.



مواسم الخير

يا موسم الخير جادت منك أنسامُ
هديّة الله للغافين إنعامُ

في موكب الحق سار الركبُ مُنتشياً
من حاد عنه فللساهين إعلام

شهرٌ به تزخرُ النُعماء وارفة
والخيرُ جمٌّ فلا تحصيه أقلام

هل يدرك الناسُ مافي الصوم من أدب
أم أنه الجوع للأجساد إيلام

صومُ الجوارح قبل الصوم ننشده
من قال زوراً فلا جاءوا ولا صاموا

ما بالُ وسوسة الشيطان قد خفتتْ
في هيكل الصوم .. لا شرك وأصنام

وكلُّ خلق كريم في النفوس سما
هذي شمائله: عفوٌ وإكرام

يا موسم الخير أحيتني بشائره
وجددٌ العزم نفحاتٌ وأنسام

هنا تبتُّل فكر وانحسارُ هوى
للمُغريات.. وقومٌ بالعلا هاموا

هنا النفوسُ أفاقت فالزمانُ ضحى
قد أشرقت بضياء الله أقوام

قُل للّذين تولَّوْا وابتغوا عوجاً
في طاعة الله روّادُ السنا داموا

ويغفر الله للعاصين ما اقترفوا
من الذنوب، بما صلّوا وما صاموا

يارب حقق لنا بالصوم منزلة
كيلا تزل بيوم العرض أقدام

إنـي لأطمعُ بـ (الريّان) أسلُكُه
باباً إلى الخلد يسعى فيه صُوّام

ويفرح العبدُ في عفو ومغفرة
والعتقُ عيدٌ لمن صاموا ومن قاموا

دينٌ به تبلغ الأمجادُ غايتها
ودونهُ هُزِمَتْ نُصُبٌ وأعلام

شعر : م . أحمد صدوق صافى
- الكويت -

بمناسبة حلول هذا الشهر المبارك

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »

فإنَّ مجلة المنهل تسوق التهنئة موصولة الى مقام

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد

ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

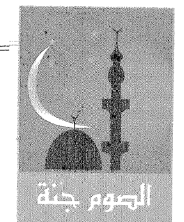
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء

ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

والى الشعب السعودى الكريم

وإلى المسلمين كافة فى انحاء المعمورة



صوموا تصحوا

لقد شرع المولى تبارك وتعالى لعباده أنواعاً من العبادات، ليبلو بها مقدار استجابتهم لدعوته، وجعل في ممارستها منافع دنيوية، وفوزاً وفلاحاً في الدار الآخرة، وفي مقدمة ما شرعه المولى سبحانه: فريضة «الصوم»، كركن بارز وقاعدة أساسية من قواعد الإسلام الخمس التي بُني عليها صرحه العظيم.

ففي السنة الثانية من هجرة خاتم المرسلين {صلى الله عليه وسلم} وفي «المدينة المنورة» ولليلتين خلتا من شهر شعبان فرض صوم شهر رمضان المبارك، ذلك الشهر الذي اختصه الله عزَّ وجل بنزول القرآن الكريم، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وما كان فيه من انتصارات باهرة، ارتفع بها شأن الإسلام، وقوي جانبه.

ولقد جاءت فرضية الصوم متأخرة عن فرضية الصلاة والزكاة، وهذا من التدرج في تشريع العبادات، فقد بدأ الحق جل شأنه بفرض الصلاة، وهي في ظاهرها أعمال بدنية يسهل أداؤها جسديا، ثم ثنى بالزكاة، وهي توجب تنازل الغني عن جزء يسير من ماله لأخيه الفقير، وأخَّر الصوم، لأنه حرمان للنفس من أخص رغباتها، وحرمان للجسم من أهم ضروراته، وذلك يحتاج الى عزم وارادة، ويقين، وصبر وتسليم.

والتدرج في التشريع فيه رفق بالناس ورحمة بهم لأن صوم ثلاثين يوماً متتابعة فيه تكليف شاق، قد لا تقبله النفس التى لا تقبل القيود بسهولة، فكان لابد من تمهيد وتأديب ومران وتهذيب، وهذا لم يغب عن الشارع الحكيم، فبدأ بتوجيهات وعبادات أعقبها صيام يوم واحد، هو يوم «عاشوراء» ليكون مراناً وتدريباً، حتى إذا فُرض شهر الصيام بتمامه لم يكن ذلك مفاجأة أو أمراً لم يسبق له نظير. والصوم بين العبادات ذو طابع منفرد ومزايا خاصة خليقة بأن تجعله وقاية لصاحبه يحفظه من غوائل الانفعالات، والتسرع في الزلل ويصل به الى مراتب الرضوان ويكون بمأمن من عذاب الله عز وجل يوم القيامة.

{وأن تصوموا خيرٌ لكم}:

يقول المولى تبارك وتعالى: {وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون} (البقرة/١٨٤)، فالصيام عبادة وثيقة الصلة بما يرمي إليه الإسلام من النواحي الاجتماعية البعيدة المدى، وعظم تدبيره للحياة، وإن وجدنا صلة الصيام بتلك الأهداف تأتي من ناحية لم يألفها الناس، فلا غرابة في هذا ما دمنا لا نهدف إلا إلى تعاليم القرآن الكريم، نقتدي بهديها، ونتخذها رائداً لنا في هذا الصدد.

فمن حكمة الصيام: قمع النفس وتهذيبها بالجوع والظمأ كي تكون أبعد عن الخضوع لهواها، والانقياد لشهواتها، وفي ذلك يقول المصطفى {صلى الله عليه وسلم} «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش».

وفي الصيام ترفع وتسام عن مشتهيات النفس، وتنزه عن الأهواء والغرائز والنزوات. وهذا من شأن الملائكة المقربين الذين لا شهوة عندهم ولا غريزة، فالصائم حينئذ شبيه بالملائكة.

والصيام خير معين للإنسان على تقوى المولى تبارك وتعالى والخشية منه، لأن النفس البشرية حين

بقلم: د. ناول عبد الهادي
- المغرب -

تكف عن الأشياء المباحة خوفاً من الله عزَّ وجل، ورجاء رحمته، وطمعاً في ثوابه، فإن ذلك سيقودها حتماً إلى تجنب الحرام.

والصيام يحثنا على شكر نعم الله عزَّ وجل علينا، لأنه امتناع عن أشياء تعتبر من أكبر النعم وأعظمها، فحين نكُف عنها بعضاً من الوقت ندرك حقيقة قيمتها وعظم شأنها، وهذا هو شأن الإنسان حين يفقد إحدى هذه النعم، فمتى عرف قدرها أدى حق شكرها لمن أسداها إليه وتكرَّم بها عليه.

في الصوم رأفة ورحمة:

ومن مزايا الصيام أنه يغرس في قلوبنا الرأفة بالفقراء، والرحمة بالمحتاجين، فمن تقرب إلى الله عزَّ وجل ساعات معدودة رق قلبه للذين قُدر عليهم أن يجوعوا معظم ساعاتهم وأيامهم فتعود به ذاكرته إلى قول المولى تبارك وتعالى: {والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم} (المعارج/ ٢٤ ـ ٢٥)، وإلى حديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} الذي رواه عنه الصحابي الجليل سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ.

خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في آخر يوم من شعبان، قال: «يا أيها الناس: قد أظلكم شهر عظيم مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدَّى سبعين فريضة، فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة له من ذنوبه، وعتقاً لرقبته من النار، وكان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» (الترمذي وقال: حسن صحيح).

قالوا: يارسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه.. فقال {صلى الله عليه وسلم}: «يعطي الله هذا الثواب من فطَّر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن.. وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما.

فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه.. وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار.

ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة».

الصيام تدريب على مراقبة الله عزَّ وجل:

إن في الصيام تدريباً على مراقبة المولى تبارك وتعالى في السر والعلانية، وهذا التدريب يكون أكثر وضوحاً في الصيام أكثر من أي عبادة من العبادات، فهو يغرس في نفس الصائم الصبر على طاعة الله عز وجل، فيصبر على أداء هذه العبادة السرية، التي جعلها الله جل شأنه أمانة في عنقه، ويتعلم قوة الإرادة، وضبط النفس التي تسرف طوال العام في مشتهياتها، ففي كثير من الأحيان يكون الطعام والشراب في متناول يد الصائم وهو بعيد عن أنظار الناس، ومع ذلك يكف عن تناولهما، وما ذلك إلا خشية من الله عز وجل وعلمه بأنه يراه ويسمعه، ومطلع على أفعاله، وعلى سره وجهره، فيزداد إيمانه وخوفه، فلا يخاف غير الله عز وجل، فينال رحمته ورضاه بفضل تأثير هذه العبادة في نفسه، وهذا يفسر قول المولى تبارك وتعالى في الحديث القدسي: {كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي}، (متفق عليه).

وقد ذكر الإمام الغزالي في حكمة الصوم ونسبته إلى الله عز وجل معنيين:

أحدهما: أن الصوم كفٌّ وترْك، وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أفعال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى من أعينهم والصوم لا يراه إلا الله عز وجل، فإنه في الباطن بالصبر المجرد.

والآخر: أنه قهر لعدو الله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان ـ لعنه الله ـ الشهوات، وإنما تقوى الشهوات

بالأكل والشرب، ولذلك قال {صلى الله عليه وسلم} «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع»، وقال {صلى الله عليه وسلم} للسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: «داومي على قرع باب الجنة»، قالت: بماذا؟ قال: «بالجوع»، فإذا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان، وسدا لمسالكه، وتضييقاً لمجاريه، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل.

فمن هذه الجوانب وغيرها من مزايا الصيام كانت صلته بأهداف الإسلام العليا في تدبير الحياة، وإن المتأمل في هذه المزايا يلمح ناحيتين متضادتين:

* **الأولى**: تتخذ طابعاً مادياً، فمشتهيات النفس التي يمتنع الصائم عنها هي من أهم ما تفضل به الله عز وجل علينا من الآلاء والنعم، وما أجدر الإنسان أن يدرك قيمتها، ويقوم بحق شكرها للمنعم عز وجل، لأن النعم لا تدرك قيمتها إلا بفقدها فالمريض هو الذي يدرك عظمة الصحة، والأعمى هو الذي يحس بجلال نعمة البصر، والإنسان لا يشعر بلذة الرخاء والرفاهية إلا إذا ذاق مرارة الحرمان والشدة، ولا يتذوق حلاوة النصر إلا من صدم بقسوة الهزيمة.

وهذه هي طبيعة الأشياء وسنتها، فالأشياء لا تتميز إلا بأضدادها والصائم لا يعرف قيمة الطعام والشراب إلا عندما يذوق مرارة الجوع، وحرارة العطش فيدرك نعم الله عز وجل عليه، فيجيء شكره على هذه النعم صادقاً خالصاً من القلب، ولعل ذلك هو الذي جعل المصطفى {صلى الله عليه وسلم} يرفض أن تصير بطحاء «مكة» له ذهباً ويقول: «لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك».

* **الثانية**: تتخذ طابعاً روحياً معنوياً ويتجلى ذلك في تشبيه الصائم بملائكة الرحمن المقربين، لأن الإنسان مكون من روح وجسد، فإذا استجاب الإنسان لغرائزه وانغمس في شهواته مهملا الجانب الروحي، كان إلى الحيوان الأعجم أقرب، أما إذا ارتقت نفسه وعلت روحه، وسما بتصرفاته إلى كل ما يحقق غذاء روحه، بتحكمه في عواطفه، وقهر غرائزه أمام سلطان عقله وروحه، كان إلى الملائكة أقرب.

الصوم يربي العقول والأرواح:

إن الصيام عبادة تلتقي في هدفها مع أهداف القرآن الكريم، في تربية العقول والأرواح وتنظيم الحياة، ويوحد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل وأوقات الطعام والشراب، ويصبغهم جميعاً بصبغة الإنابة والرجوع الى الله عز وجل، ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتقديس، ويعفها عن الإيذاء وعن التجريح ويسد على الناس باب التفكير فيه، ويملأ قلوبهم بمحبة الله عز وجل، ومحبة الخير والبر، ويُنشيء قلوبهم على خلق الصبر الذي هو عدّة الحياة وهكذا يريد الله عز وجل للإنسان أن يكون.

إننا في أمس الحاجة الى أن نستمد من هذا الضوء الذي نسير على هديه ونسبح في أجواء النور الإلهي، ونتصفح كتاب الله عز وجل لنرى حكمته في فريضة الصيام، وهذا الضوء الذي نسير على هديه في فهم حكمة الصوم هو: نظرة القرآن الكريم للإنسان على أنه بشر يعيش على ظهر هذه الأرض.

إن هذا النور المضيء من هدْي القرآن الكريم في بشرية الإنسان، وتعريفه بقدره حتى لا يتعداه إلا بالعمل والجد، هذا النور يزخر بالمعاني أمام الناس ليتدبروا القرآن الكريم، ويدركوا تدبيره لشؤون الدنيا، وتهذيبه للنفس البشرية، يقول الله تبارك وتعالى: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} (محمد/٢٤).

على ضوء هذا الهدي يجب علينا فهم القرآن الكريم وإدراك ما فيه، وأن ما عرف من سنن الحياة النفسية وقوانينها هو من توجيه القرآن الكريم، لأنه الأداة التي لا يمكن أن نصل بغيرها الى حقائق مطمئنة عن معاني الحياة التي نعيشها، فهو الهادي الى سواء السبيل والى الصراط المستقيم.

الصوم مدرسة اخلاقية:

لقد جعل المولى تبارك وتعالى من الصوم مدرسة أخلاقية، يتلقّى فيها المسلمون المبادىء الهادية

ويتعلمون الدروس النافعة.

وقد نجحت هذه المدرسة النجاح كله، وآتت ثمارها، وذلك عندما طبّق المتعلمون ما تعلموه كله، وتعاونوا على البر والتقوى، ولم يتعاونوا على الإثم والعدوان، فكانوا في الأمة الإسلامية هداة مرشدين، يعلمون الناس مبادىء الإسلام نظرياً وعملياً، فيشع الإيمان من قلوبهم، وتنطق به حواسهم ومشاعرهم، إخلاصا نادراً، وخلقا نقيا، واستقامة فائقة المثال، والحياة عندهم ليست غاية حتى تنفق في المتاع القليل الفاني، والعرض الهزيل الضئيل، فهم يزهدون في الدنيا ويحتقرون لذّاتها، ولا يجرون وراء شهواتها، وغالباً ما كان بعضهم يفطر الأيام المتتابعة على التمر والماء فإن ظفر في يوم من الأيام باللبن الى جانب التمر اعتبر ذلك فضلا عظيما، وأشفق على نفسه أن يسأله المولى تبارك وتعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم عن هذا البر وهذا النعيم.

أثر الصوم في المجتمع:

للصوم أثر جليل وعظيم في المجتمع، بيد أن هذا الأثر لا يتم ولا يكتمل إلا إذا فهم المسلمون حقيقة الصوم وأدركوها كما فعل أسلافهم، فإذا فعلوا ذلك صار للصوم أثره الفعال في إصلاح المجتمع الإسلامي، وضمان نجاح تقدمه نحو الازدهار.

إننا لمحتاجون أشد الاحتياج إلى فهم واع لحكمة الصيام، بل وللعبادات كلها، وفي أشد الاحتياج ـ أيضا ـ إلى تربية نفسية لتطبيق تشريعات الإسلام، حتى تؤتي ثمرتها المرجوة في تهذيب النفس وسمو السلوك الإنساني ورقي المجتمع الإسلامي، ولمّا كانت النفس البشرية تواقة الى معرفة ثمرة عملها، متلهفة الى إدراك جزاء كفاحها وجهدها فقد أوضح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ما أعد الله عز وجل للصائمين الذين جاهدوا أنفسهم وحاربوا نزواتهم فألجموا أطماعهم، وخاضوا أشرس معركة أمام أهوائهم ونزعاتهم، فقال {صلى الله عليه وسلم} إن في الجنة باباً يقال له: الريان.. يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين الصائمون؟.. فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» (متفق عليه).

ويبين لنا المصطفى {صلى الله عليه وسلم} في حديث آخر ما اختص به المولى تبارك وتعالى أمة الإسلام في شهر رمضان دون غيرها من الأمم، فيقول {صلى الله عليه وسلم} «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي:

أما الأولى: فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله إليهم، ومن ينظر الله إليه لا يعذبه أبداً.

وأما الثانية: فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة.

وأما الثالثة: فإن الله يأمر جنته، يقول لها: «تزيني لعبادي الصائمين، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي».

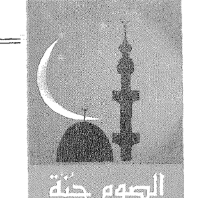
وأما الرابعة: فإن رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك.

وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً، فإن العمّال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفّوا أجورهم».

ولقد كان المصطفي {صلى الله عليه وسلم} يستقبل هذا الشهر الكريم بالفرح والسرور، ويهنىء أصحابه ـ رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ـ بمقدمه، ويحثهم على الطاعة والإنابة، وكان {صلى الله عليه وسلم} يقول: «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان».

فلنكن كرماء أخياراً حتى يكرمنا الله عز وجل، ويضاعف لنا في الأجر والمثوبة، ولنتذكر على الدوام قول المصطفى {صلى الله عليه وسلم} أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على عطش سقاه الله من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من حلل الجنة».

اللهم وفقنا الى ما تحبه وترضاه وطهر قلوبنا، وأرشدنا الى طريق الخير، واهدنا سواء السبيل، وحقق لنا كل ما نصبوا إليه ونرجوه، وانصرنا فأنت خير الناصرين، وأنت نعم المولى ونعم النصير.



المريض في رمضان هل يمكنه الصيام؟

مع إطلالة كل رمضان تتكاثر الأسئلة من المرضى، أو من ذويهم، فيما إذا كان المريض يستطيع الصوم أم لا، والبعض يقع فريسة أوهام ينسجها لهم أناس لا دراية لهم بالطب ولا خبرة، بل لعل البعض يسمع قولا من جاهل، فيصوم أو يفطر دون الرجوع الى طبيب، ولا شك أن مثل تلك القضايا تحتاج الى خبرة طبيب مسلم ثقة، يقدر شدة المرض الذي يعيق المسلم عن أداء عبادته.

ولابد من الاسترشاد برأي طبيب مسلم مختص يعطي مريضه النصيحة المثلى والرأي الرشيد.

وهناك من الأمراض ما تتحسن في شهر الصيام، ومنها ما يصوم بها المريض دون أدنى تأثير. ولكن هناك أمراضاً تزداد سوءا بالصيام. وقد رخص الله تعالى الفطر للمريض مرضاً شديداً، يزيده الصوم سوءاً أو يخشى تأخر شفائه. فإذا أخبر الطبيب المسلم المختص مريضه بأن مرضه يسوء إن هو صام وجب على المريض أن يفطر.

ولابد للطبيب من أن يسترشد بأحدث الدراسات العلمية التي أجريت على الصائمين في شهر رمضان. فقد عقد قبل سنوات في الرياض مؤتمر خصص لدراسة تأثير الصيام على عدد من الأمراض، كما أن مؤتمراً آخر عقد عام ١٩٩٤ في الرباط لهذا الغرض، وسنستعرض بعضاً من حديث الآراء بشأن الصيام.

الأمراض الهضمية في رمضان:

يعتبر شهر رمضان بحق شهر إجازة للجهاز الهضمي، ولكن المؤسف حقا أن يتخم الكثير منا نفسه عند الإفطار بشتى فنون الطعام والشراب، فيحول سعادة المعدة والأمعاء إلى مشقة وعناء.

وقد يستطيع المصاب بالقرحة المعدية الصيام إذا كان يتناول أدويته بانتظام ولا يشكو من أية أعراض ولكن على مريض القرحة الإفطار إن كان أصيب بقرحة حادة، وهو حينئذ يشكو من الألم عند الجوع، أو ألم يوقظه من النوم، أو في حال حدوث انتكاسة حادة في القرحة المزمنة، وكذلك الأمر عند الذين تستمر أعراض القرحة عندهم رغم تناول العلاج بانتظام.

كما يوصى بالإفطار عند حدوث مضاعفات

بقلم : د. حسان شمسي باشا
- جدة -

القرحة كالنزيف الهضمي وغيره. وكثير من الناس من يشكو «عسر الهضم» وهي كلمة شائعة تشمل عددا من الأعراض التي تعقب تناول الطعام، وتشمل الألم البطني وغازات البطن، والتجشؤ والغثيان، وحس عدم ارتياح في أعلى البطن، وخاصة عقب تناول وجبة كبيرة، أو بعد تناولها بسرعة، أو عقب تناول طعام غني بالدسم أو البهارات.

وعادة ما تتحسن أعراض هؤلاء بصيام رمضان شريطة ألا تكون لديهم قرحة حادة في المعدة، أو التهاب في المريء، وشريطة تجنب الإفراط في تناول الطعام عند الإفطار.

وأما من أصيب بالإسهال وهو صائم، فينصح عادة بالإفطار خصوصاً إذا كان الإسهال شديداً، لأن الصائم لا يستطيع تعويض ما ضيعه الجسم من سوائل وأملاح بسبب الإسهال.

أمراض القلب في شهر الصيام:

كثير من مرضى القلب من يصوم في رمضان دون مشاكل تذكر. ولكن ينبغي دوماً استشارة الطبيب - كما في كل الأمراض الأخرى - لتقرير من يصوم ومن لا يصوم. وارتفاع ضغط الدم من أكثر أمراض القلب انتشارا، ويستطيع عادة مريض ارتفاع ضغط الدم الصيام، شريطة أن يتناول دواءه بانتظام، ولحسن الحظ، فإن معظم أدوية الضغط تعطى مرة أو مرتين في اليوم، فيتناولها المريض وقت السحور وعند الإفطار.

وأما المصاب بفشل (هبوط) القلب الحاد فينصح بعدم الصيام لأنه بحاجة إلى تناول مدرات بولية وأدوية أخرى مقوية لعضلة القلب، وكثيرا ما يحتاج المريض في مثل تلك الأحوال إلى دخول المستشفى للعلاج.

أما إذا تحسنت حالته، واستقر وضعه وكان لا يتناول سوى جرعات صغيرة من المدرات البولية فقد يمكنه الصيام، والمصابون بالذبحة الصدرية المستقرة يمكنهم الصيام عادة شريطة تناول الدواء بانتظام، ومعظم أدوية الذبحة الصدرية تعطى مرة أو مرتين في اليوم.

أما الذين

يحتاجون إلى تناول حبوب الذبحة تحت اللسان أثناء النهار فلا ينصحون بالصيام، كما لا ينصح مرضى جلطة القلب في الأسابيع الستة الأولى بالصيام عادة، وهناك مرضى مصابون بأمراض صمامات القلب، فإذا كانت حالة المريض مستقرة، ولا يشكو من أية أعراض أمكنه الصوم.

الأمراض الصدرية في رمضان:

كثيرا ما تأتى أمراض الصدر فجأة على شكل التهاب في القصبات أو التهاب في الرئة، فإذا كانت حالة التهاب القصبات بسيطة، فإن المريض يمكنه تناول علاجه ما بين الإفطار والسحور، إلا إذا احتاج لمضاد حيوى يعطى كل ٦ ـ ٨ ساعات، أو كانت الحالة شديدة فينصح بالإفطار حتى يشفى من الالتهاب.

أما مرضى الربو القصبي فقد لا يحتاجون إلى تناول أدوية عن طريق الفم أثناء النهار إن كانت حالتهم مستقرة. ولكن قد يحتاج مريض الربو إلى تناول بختين أو أكثر من بخاخ الربو المعروف عند الإحساس بضيق في الصدر. ويعود بعدها المريض إلى ممارسة حياته اليومية بشكل طبيعي. ولا ينبقي للمريض عند حدوث الأزمة من متابعة الصيام بل عليه تناول البخاخ فوراً. ومن العلماء الأفاضل من أفتى بأن هذه البخاخات لا تفطر.

ولكن ينبغي الإفطار قطعاً عند حدوث نوبة ربو شديدة، حيث كثيراً ما يحتاج المريض إلى دخول المستشفى لتلقي العلاج المكثف لها.

الأمراض الكلوية .. والصيام:

لابد لمريض الكلى من استشارة طبية قبل دخول رمضان للتحقق من إمكانية صومه أم لا. فالصيام قد يكون عبئاً على المريض المصاب بالفشل الكلوي، وخصوصا في المناطق الحارة، مما قد يؤدي الى ارتفاع نسبة البولة الدموية والكرياتينين في الدم. ولهذا ينصح مرضى الفشل الكلوي المزمن بعدم الصوم.

ويستحسن في مرضى الحصيات الكلوية بالذات الامتناع عن الصيام في الأيام شديدة الحرارة، حيث تقل كمية البول بدرجة ملحوظة، وعموماً ينصح مرضى الحصيات بوجوب تناول كمية وافرة من السوائل ما بين الإفطار والسحور، وتجنب تعرضهم للمجهود المضني أثناء النهار أو للحر الشديد.

مرض السكر.. ورمضان:

يقسم مرضى السكر الى فئتين: فئة تستطيع الصوم، وأخرى تمنع من الصوم.

أ ـ مريض السكر الذي يستطيع الصوم: ويشمل ذلك المصابين بمرض السكر الكهلي الذي يعالج بالحمية الغذائية والأقراص الخافضة لسكر الدم.

ويتناول المريض القرص الخافض لسكر الدم بعد الإفطار. وأما إن كان يتناول حبتين يومياً مثلا، فيعطى حبة بعد الإفطار، ونصف حبة قبل السحور.

ب - مريض السكر الذي لا يستطيع الصوم:
وتشمل هذه الفئة مريض السكر الشبابي، والمصاب بمرض السكر غير المستقر والحامل المصابة بالسكري، ومريض السكر الذي يحقن بكمية كبيرة من الأنسولين، أو الذين يتعاطون الأنسولين مرتين يوميا.

وينبغي التنبيه على وجوب قطع الصيام فوراً عند حدوث أعراض نقص السكر مهما كان قرب موعد المغرب. كما ينصح هؤلاء المرضى بتقسيم وجباتهم إلى ثلاثة أجزاء متساوية: الأول عند الإفطار، والثاني بعد صلاة التراويح، والثالث عند السحور. ويوصى بتأخير السحور إن أمكن. كما ينبغي التحذير من الإفراط في الطعام، وخاصة الحلويات أو السوائل المحلاة وما شابه.

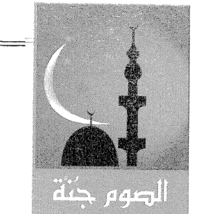
الحامل والمرضع في شهر الصيام:

أوضحت الدراسات العلمية الحديثة أن صيام رمضان يؤدي الى تغيرات فسيولوجية وكيميائية عند الحامل، ولكنها لا تؤثر على الحامل السليمة البدن، والتي لا تشكو من أية أعراض عضوية.

ومع ذلك لا يمكن إطلاق قول حاسم على كل الحوامل والمرضعات بحيث نقول إن هناك حاملا أو مرضعاً تستطيع الصيام، وأخرى لا تقدر عليه. وإذا ما شعرت الحامل أو المرضع بصداع شديد أو إجهاد عام، أو عدم القدرة على القيام بأي نشاط فعليها استشارة الطبيب فقد يكون هناك أمر غير طبيعي. وتنصح الحامل بالإفطار إن أصيبت بالقيء المصاحب للحمل وخاصة خلال الأشهر الثلاثة الأولى، أو بالتسمم الحملي، أو في حالات هبوط ضغط الدم أو سكر الدم.

والخلاصة فإن موضوع صيام الحامل في شهر رمضان يعتمد على حالة الحامل والجنين قبل دخول شهر رمضان، فإن كانت كافة المؤشرات والفحص السريري تشير إلى تمام صحة الحامل والجنين فإن الطبيب على الأغلب سيشير بالاستمرار في الصيام. ويعود تقرير ذلك الى الطبيبة أو الطبيب الأخصائي المسلم.

وخلاصة القول في موضوع الصيام أن تقرير إمكانية الصيام أو عدمه ليس بالأمر السهل، ولا يمكن تقرير قواعد عامة لجميع المرضى، بل ينبغي بحث كل مريض على حدة، ولا يتيسر ذلك إلا للطبيب المسلم المختص، فهو يملك ما يكفيه من المعطيات التي تمكنه من نصح مريضه بإمكانية الصوم أو عدمه. والله الهادي الى سواء السبيل.



النزعة الرمضانية في الشعر السعودي الحديث

من حق معشر الشعر في المملكة العربية السعودية أن تتوهج عواطفهم وتجود قريحتهم بأعذب أساليب الشعر نظراً لما يعيشونه من روحانيات لها طابعها الخاص في هذا الشهر الكريم، خاصة وأن الله عز وجل أكرم هذه البلاد بأطهر الأماكن على وجه البسيطة: المسجد الحرام بمكة المكرمة والحرم النبوي بالمدينة المنورة.

ففي هذه الأماكن يفوح عبق التاريخ الإسلامى ويطلُّ علينا بوقائعه المختلفة وسيرته العطرة، فلا نرى شيئاً أمامنا سوى تخيُّل رحلة الرسول {صلى الله عليه وسلم} وصحابته واتباعه في نشر الدين الإسلامى الحنيف، هذه الرحلة التى مداها الزمنى تعدى الألف وأربعمائة عام نراها في غمضة طرف على أرض هذا البلد الآمن مكة المكرمة.

ومن هنا نقرأ أبدع الشعر وأروع الأساليب في نفحات هذا الشهر الكريم حيث تعوَّد الشعراء على هذه النزعة اللاشعورية التى تتوقد من خلالها العواطف وتنطلق الأساليب مؤثرة جياشة في نفس القارىء المتذوق الواعي، والنزعة الرمضانية في شعر أهل الجزيرة لها مضمونها الموضوعى ودلالاتها الأسلوبية ومصادرها الشعورية التى تتفق وقيمة هذه الأيام الطاهرة، هذه الأيام التى أولها رحمة وأوسطها مغفرة وآخرها عتق من النار.

ومن الملاحظ أن الشعر الرمضاني توحدت فيه النظرة الموضوعية وجوهر المضمون وإن اختلفت أساليب التعبير حسب ما يتمتع به الشعراء من توهج لغوى تجاه الرؤية الخاصة لكل منهم، ومن هنا لا يختلف الشعراء في نظرتهم الى الخير الرمضانى وكأن الكون كله يتزين ويتحلى بأثمن أنواع الزينة بيد العباد من تآلف ومحبة وبركة ورزق ووجوه تعلوها البسمة الصادقة.

وها هو شاعرنا أحمد سالم باعطب يهلل شعراً ويطربنا قصيداً لمقدم أعظم الشهور وسيدها:

رمضان بالحسنات كفك تزخر
والكون في لآلاء حسنك مبحر
يا موكباً أعلامه .. قُدسيَّة
تتزين الدنيا له .. تتعطر
أقبلت رحمى فالسماء مشاعل
والأرض فجر من جبينك مسفرُ
هتفت لمقدمك النفوس وأسرعت
من حوبها بدموعها .. تستغفرُ
رمضان بالقرآن ليلك عاطرُ
ويطيب يومك بالدعاء ويزهرُ

بقلم : عثمان اسماعيل محمد
- مصر -



إنه عطاء رباني يفوح بين أفراده عبق الإيمان وتحيط به الملائكة مهللين ومكبرين لهذه الأكف الخاشعة الذليلة التي ترتفع إلى السماء ملبية تارة وتطلب الغفران تارة أخرى، فالفخر كل الفخر للمسلم أن تسيل دموعه وهو يطلب أن يغتسل من ذنوبه، إنه ليالي القرآن والدعاء التي لا يملُّ منها القلب ولا تشبع منها النفس.

هذه الصورة الحية الواقعية التي يبهجنا بها الشاعر والتي تجعلنا نشاركه فرحة قدوم شهر الخير هي نفس الصورة التي يرسمها لنا أيضا شاعرنا حسين عرب:

بشرى العوالم أنت يا رمضان
هتفت بك الأرجاء والأكوان
والشعر والأفكار وهي عتية
ينتابها لجلالك الإذعان
لك في السماء كواكب وضاءة
ولك في النفوس المؤمنات مكان

فأسلوبية الشاعر ودقة تصويره جعلتنا وكأننا أمام لوحة فنان يُسخر ريشته كيفما يشاء، وهذا ما يطلق عليه النقاد «صدق العاطفة» فالكون والشعر والشرق والكواكب كلها دلائل البهجة لمقدم رمضان المعظم سيد الشهور وأجلها والمسلمون ينتظرون هذا الشهر، وهم في ظمأ أملا في أن ترتوي أرواحهم من منهل الغفران والتسامح والتصالح مع الله في هذه الأيام والليالي المباركة التي يصقلها الصيام بما فيه من عبادة وتذلل وخضوع لرب العالمين، فبشرى قدومه يجلب معه الخير والبركة والهدى وهذا ما نلمسه مع أبيات الشاعر أحمد عبد الهادي:

رمضان وافي الخلق بالخيرات
فاستبشروا باليمن والبركات
واستقبلوا شهر الهدى بحفاوة
وخذوه بالأحضان والقبلات
فالله جلَّ جلاله قد حفه
بالنور والإيمان والآيات

سبحانه فهو الذى قد خصّه
دون الشهور بعاطر النفحات

وهكذا أتقن الشعراء في رسم صورة حية يعيشها المسلم بجوارحه ويشاركه فيها قلبه المفعم بحب العبادة وطيب الإيمان، وإن تباينت الأساليب فكان التذوق واحدا ومؤثراً في ذاتية المشاعر الإنسانية على سواء.

ويحاول الشعراء أيضاً أن يشاركونا لحظاتهم الروحانية في شعرهم العذب، فنهيم معهم على أنفسنا في عبق النور الروحانى تارة ونستعذب أساليبهم تارة أخرى، ومنها نستشف القيمة الإنسانية لسيد الشهور وأعظمها في تربية النفس الإنسانية وبناء الشخصية السليمة كما يراها الإسلام هذا الدين القويم، ولكن نرى أن الشعر تغلفه الروحانيات الطاهرة فلنقرأ لشاعرنا محمد حسن فقى أبياته:

وتطلعت نحو السماء نواظر
لهلال شهر نضارة ورواء
تهفو إليه، وفي القلوب وفي النهى
شوق لمقدمه، وحسن رجاء
لم لا نتيه مع الهيام ونزدهى
بجلال أيام ووحي سماء
فلقد كرمت من السماء بما أتى
من وحيها .. وشرفت بالإطراء
سُدْتَ الشهور فأنت سيد عامها
بل أنت سيد دهرها المتنائى

ويتفق هذا المحور الروحانى مع رؤية شاعرنا محمد بن على السنوسى في تأمله الذاتى لشهر الغفران والأمل المرتقب فيقول:

رمضان يا أمل النفوس
الظامئات الى السلام
يا شهر، بل يا نهر ينهلُ
من عذوبته .. الأنام
طافت بك الأرواح سابحة
كأسراب الحمام
بيض يجللها التقى
نوراً يصقلها الصيام

فهذا ما يزيد قناعتنا واقتناعنا بأن أيام رمضان فرصة وأمل كل إنسان بأن يرزقه الله الرحمة في غفران الذنوب، فالصوم نفحة إلهية ورحمة ربانية على عباد الله ليصقلوا أنفسهم ويجعلوها لامعة ناصعة البياض كيوم ميلادهم، إنه الشهر الكريم الذى تتنوع فيه أساليب التقرب لرب العالمين من صيام وصلاة وتعبّد وتهجد وتدبر وتأمل وإخلاص للمولى عز وجل.

وأكثر ما يتحلى به هذا الشهر الكريم وتتزين به تلك الليالى العطرة هى «ليلة القدر» التى هي خير من ألف شهر وتجعل العبد المسلم في اصرار على مواصلة ألوان التقرب الى خالقه تضرُّعاً وتذللا وخضوعاً أملا فيما يتمناه وهذا ما نراه متمثلا في مظاهر النزعة الايمانية لدى شاعرنا أحمد عبد الهادى حين ينتابه شعور بالرهبة لهذه الليلة وها هو يقول:

شهر إذا سميته بصفاته
سجّلت شهر الصوم والصلوات

بل شهر ربي فيه قد نزل الهدى

في ليلة جُلَّت عن السنوات

فيها الملائكة الكرام لقدرها

يتنزلون بسابغ الرحمات

وفي هذا المقام يصور لنا شاعرنا محمد حسن فقى روعة هذه الليلة وهى تقع فى أجواء الصيام والتضرع والخشوع ونقرأ له قوله:

أضرع إليه لعله من فضله

يهدي ويشفي من عضال الداء

فلقد حظيت بصوم يوم قانت

وعبادة في ليلة.. غراء

* وتستمر رحلة الروحانيات في ذاتية شعراء الجزيرة، بل ويحاولون أن يوظفوا أساليبهم الموروثة حتى تخدم صياغة الكلمة والصورة الشعرية بين طيات قصائدهم خاصة موروث المكان الذى تشع منه الروحانيات مثل «مكة» التى ينيرها وينير الكون كله البيت المعمور، وفي هذا نقرأ لشاعرنا محمد حسن فقى يذكرنا بمكة مهبط الوحي والمدينة مستقر الرسول عليه الصلاة والسلام.

رمضان هذي مكة وبطاحها

تشدو بذكرى طيبة وقباء

فتصيح للتطريب منه وتنتشي

نجد بغير تواجد وبكاء

* وتنتشر ظاهرة الرحمة الآدمية بين بنى البشر متمثلة في الصدقات الظاهرة منها والباطنة حول الحرم المكى وبداخله في منظر يؤرخه التاريخ وتحفظه الذاكرة.

رمضان إن البائسين تطلعوا

أملا إليك فجُد علي البؤساء

بالخير تشملهم به.. وببسمة

يشتاقها العانون للتأساء

الله منَّ فكنت من آلائه

فاشكره بالنعمى على الآلاء

* غير أن هذه النزعة الرمضانية التى سلك محورها الشعراء وراحوا يبدعون فيها عاطفة وأسلوباً وخيالا جعلتهم يتذكرون أن هذه الليالى العطرة هى ليالى البطولات والمعارك والانتصارات، ففى هذه الأيام وبالتحديد في يوم الجمعة السابع عشر من هذا الشهر في السنة الثانية من الهجرة كانت معركة بدر الكبرى التى أعز الله تعالى فيها المسلمين ونصرهم ومنَّ عليهم بالنصر المؤزر وهذا ما نقرأه في أبيات الشاعر أحمد سالم باعطب:

كم للبطولة فيك من إشراقة

بالنصر تسحب ذيلها تتبخترُ

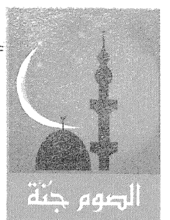
فجرت فى بدر ينابيع الفدا

كثبانها مسك يضوع وعنبرُ

وحملت من حطين أروع لوحة

مازلت ذا شغف بها تستأثر

* هذه رحلة الروحانيات الرمضانية في شعر أهل الجزيرة أرباب الأسلوب المبدع والعاطفة المتوقدة، وهذه هى النزعة الرمضانية كما جادت بها قريحتهم ولغتهم.



ترانيم رمضانية

نَحي يديك .. وفي يديه دعـينى

الصدقُ فيه.. من الهوى يحمينى

يا نفسُ حسبك ما فعلت بمؤمن

وإلام أنت خطيئـتى ويقـينى؟

مضت الشهور عليّ والفم يرتوى

بالوهم واليدُ تحتمى بالطين

والبعد عنه، عن الصفاء يردنى

لربا، فحيح جحورها يُدْمينى

وأنا عن الألق الطهور مغيبٌ

أكبو وأنهض في دروب ظنونى

مضت الشهور عليّ منذ رحيله

وهواي يبحر خلف ما يُغوينى

وضراوة الآمال تخترق المدى

بمطيتى .. ومطيتى تشقينى

* * *

رمضان يا أمل المحب.. وأنت لي

أملا يُجَمِّل بالعطاء سنينى

أبْعد خُطاي عن المروق.. ولا تدع

شططى يجور على مدار سفينى

ها أنت تشرق بالهدى لأحبتى

وتعزّ دنياهم بأكرم دين

صاموا نهارك مؤمنين، وشدهم

لقيامهم بالليل ألف حنين

واستنفروا همم الفناة، وأرخصوا

أموالهم.. جادوا بكل ثمين

وأنا المحب.. إليك أحمل همتى

وأدور.. مصباح الهدى بيمينى

لكن خوفى أن يرد مطيتى

خلل .. يناقض مسلكى ويقينى

رمضان.. يا أملا يلوحُ ويا مدى

للحب.. يأمل في الغد المأمون

الشاعر : يس الفيل

- مصر -



أيقظ نياما.. يستفز رماحهم

عنتٌ.. يكاد بلؤمه يطوينى

قالوا: ورثت المجد.. ليت مورثى

لم يُبق لى إرثا يثير شجونى

هذى هوام الأرض ترتع في دمى

وعواصف الباغي تدك حصونى

والمسلمون على ضفاف مودتى

فرقٌ.. تمد يدى لسفح جنونى

ويكاد يدفع بى خلاف أحبتى

لغد.. تنوء به مرافىء دينى

ويكاد - رغم الحب - يصرعنى غدى

وأنا المؤمل في غد يحمينى

* * *

رمضان عد أملا يدوم.. وفرحة

تلتف بي.. ومن الضياع تقينى

أنت الذى بك أستمد حقيقة

ضاعفت.. منذ بها رحلتَ - أنينى

ها أنت في ثقة تعود.. مؤكداً

صدقى، وصدق محبتى ويقينى

إن الضياع على يديك يشدنى

لِسَنى.. يجمل بالعطاء سنينى

مازلت يا رمضان توقظ فطرتى

وتردنى لبراءة التكوين

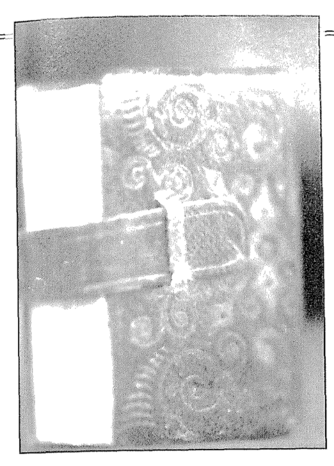
هلا أعدت لى انطلاقة صحوتى

لأعود ممتشقا سهام حنيني؟

إنى أنوب.. وقد أتيت - صبابة

يا رحلة الأمل التى تحييني

سر أصغر مصحف فى العالم


صورة مكبرة للمصحف النادر بنسبة ٤٠٠ ٪

هذا مصحف نادر صغير الحجم جدا، تمت مراجعته وتصحيحه بمعرفة متخصصين تحت اشراف مشيخة الازهر الجليلة واعتماد صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر منذ اكثر من ثلاثة وثمانين عاما.

عندما علمت بوجود هذا المصحف النادر لدى مواطن مصري بمدينة المنصورة بجمهورية مصر العربية.. كان علينا أن نتابع هذا الموضوع من بدايته.

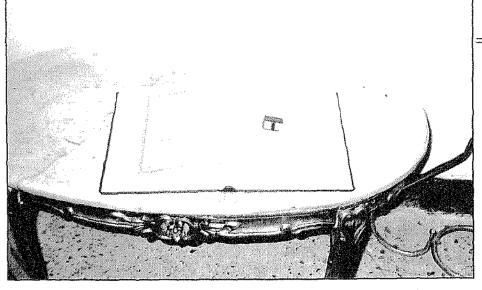
بدأنا بلقاء مع السيدة بشرى عبد العال محمد التي روت لنا قصة هذا المصحف النادر.. حيث قالت:

كان والدى يرحمه الله إماما وخطيبا ومتفقها في الدين وكان له الكثير من محبيه الذين يتحلقون حوله أوقاتاً طويلة، يتلقون منه ما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم كما كان - يرحمه الله - كثير التنقل بين المحافظات والبلدان تلبية لرغبة محبيه من المسلمين في هذه البلدان.

وفي إحدى جولاته أهداه أحد محبيه مصحفا صغيرا جدا (٢٫٥ سم طولا × ١٫٥ سم عرضا × ١ سم سمكاً) وعلمت من والدى أن الذي أهداه هذا

اعداد وتصوير :
يعقوب السيد حسنين

المصحف هو شيخ صالح طيب، وقال له «احتفظ بهذا المصحف فان له أربعة أشباه فقط موزعة بين تركيا وباكستان ومصر.. لكن هذا المصحف بالذات فيه كنز لمن يحمله، وبه أيضا سر قد تكتشفه في يوم من الأيام».

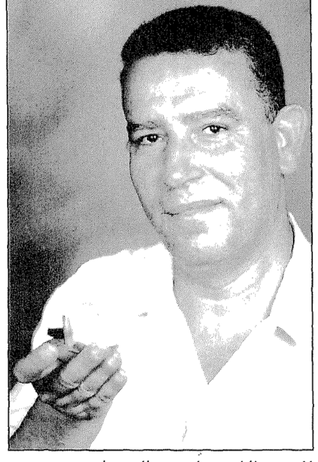


المصحف النادر يشغل مساحة ثلاث كلمات فقط من المصحف العادى

ولما توفى والدي احتفظت بهذا المصحف وقمت بتغليفه ليظل على صورته الجميلة.. إلى أن كان يوم زواج ابنتى من رجل فاضل توسمت فيه التقوى وحسن الخلق فقررت أن أهديه هذا المصحف النادر، وفعلا أهديته إياه، وعرفته بما قيل حول المصحف من كونه فيه كنز لمن يقتنيه، وأن به سراً لم يكتشف بعد، فأخذه فرحاً، وحرص عليه حرصا شديدا إلى حد أنه اودعه أحد البنوك للحفاظ عليه.

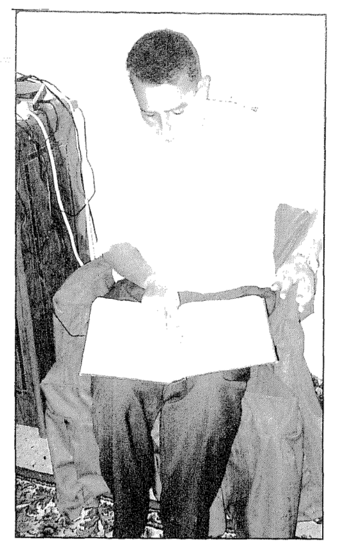
وسألناها عن زوج الابنة الذى في حوزته المصحف النادر قالت: إنه الأستاذ/ مصطفى عبد الحميد عمّار، وهو موظف كبير بوزارة الداخلية - وأرشدتنا عن كيفية الاتصال به.

وقد رتبنا معه لقاء - بعد أن طلبنا منه إحضار المصحف الصغير لتصويره.. والتقيناه في الموعد المحدد.. وعند لقائى به لم أر معه المصحف



المصحف النادر بين أصبعي الاخ عمار

موضوع الاستطلاع، فبادرته على الفور بالسؤال عن المصحف، ولماذا لم يحضره معه - كما سبق واتفقنا - فابتسم الرجل بوقار وقال «لا تقلق فانه معى» ثم مد



المصحف بين هامشي المصحف العادي

يده في جيبه وأخرج مغلفا صغيرا، وفتحه بحرص وعناية شديدين، وأخرج المصحف·· وكذلك أحضر معه عدسة مكبرة·· و ··

وبنفس الحرص أخذت المصحف في يدي، وهو فعلا تحفة نادرة طباعة وتغليفا علاوة على جودة الورق· وقد قمت بوضع هذا المصحف الصغير جدا على أحد المصاحف ذات الحجم العادى فلم يشغل من الأخير إلا مساحة ثلاث كلمات ـ وقد بدا المصحف العادى الى جوار المصحف الصغير عملاقا·

وبعد أن قمت بالتصوير سألت ضيفنا الأستاذ/ مصطفى عمار عن إحساسه بامتلاك هذا المصحف النادر، وطلبت منه أن يحكى لنا قصته·· فقال:

اعتقد أن السيدة بشرى قد تحدثت عن كيفية وصول هذا المصحف النفيس لي، وقد كان ذلك ثاني يوم زواجي من ابنتها «في الصباحية» وقد شعرت بسعادة غامرة بهذه الهدية التى لا تقدر بثمن، وعندما اخبرتنى أن به سرا كنت أسائل نفسي يا ترى ما هو سر هذا المصحف؟ وهل سيوفقنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لاكتشافه؟ ـ ومع الوقت أحسست ان كل حياتي العملية والمعيشية اصبحت تسير في هدوء وصفاء ـ والحمد لله رب العالمين ـ ففكرت أن ذلك قد يكون هو السر المقصود·· وبعد مرور ثماني سنوات ونصف السنة من حيازتي لهذا المصحف وفي أحد الأيام أحضرته واحضرت «العدسة المكبرة» وأخذت اتفحص المصحف فلاحظت وجود ورقة داخل الغلاف الجلد للمصحف فانتزعتها برفق من الغلاف وقرأت ما فيها «بالعدسة المكبرة» فإذا هى ورقة مصحف بنفس الحجم تحمل آيات من سورة سبأ من الآية ٣٦ {قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون}·

وحتى الآية ٣٩ {قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه وهو خير الرازقين}·

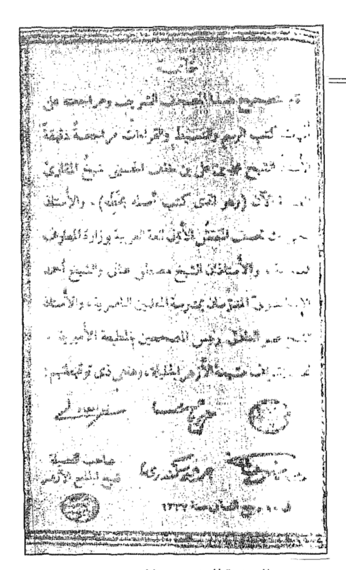
وعندما قرأت هذه الصفحة ظننت أنها منزوعة من نفس المصحف الذي معي، فرجعت إلى سورة سبأ فوجدت أنها غير منزوعة منه، والعجيب أنها طبعة مختلفة حيث تبدأ بالآية ٣٦ على خلاف نفس الصفحة بالمصحف.. فقمت باعادة الصفحة إلى مكانها .. وقلت في نفسي إن الآيات الكريمة التى حوتها هذه الصفحة تتضمن وعد الحق تبارك وتعالى ببسط الرزق لمن يشاء من عباده.. فلعل هذا هو السر المقصود في هذا المصحف.. وقد يكون أيضا ما أشير اليه بأنه «كنز لمن يحمله» وقد تصورت أيضا أن المقصود بالكنز عندما يرغب أحد المتاحف الاسلامية في اقتنائه.

والحقيقة الحقة يعلمها الله وحده - سبحانه وتعالى -

خاتمة:

وهذا نص ما ورد في الصفحة الأخيرة من هذا المصحف:

قام بتصحيح هذا المصحف الشريف ومراجعته على أمهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعة دقيقة الأستاذ الشيخ محمد بن على بن خلف الحسينى شيخ المقارىء المصرية الآن (وهو الذى كتب أصله بخطه)، والأستاذ حرمي بك ناصف



صورة من الصفحة الاخيرة من المصحف

المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية، والأستاذان الشيخ مصطفى عناني، والشيخ أحمد الاسكندري المدرسان بمدرسة المعلمين الناصرية، والأستاذ الشيخ عمر العادلي رئيس المصححين بالمطبعة الأميرية.

تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلة، وها هي ذى توقيعاتهم.

توقيعات:

صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر

في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ

الدكتور عبدالرزاق السنهوري

بعد عام دراسي في مدرسة القضاء الشرعي ٠٠ سافر الدكتور عبد الرزاق السنهوري (١٣١٣ ـ ١٣٩١هـ/ ١٨٩٥ ـ ١٩٧١م) الى فرنسا في بعثة علمية لدراسة القانون٠٠ فركب السفينة من ميناء الأسكندرية ـ قاصدا جامعة «ليون» ـ في ١٢ أغسطس سنة ١٩٢١م أي في صبيحة اليوم التالي لذكرى عيد ميلاده ـ وهو ـ يومئذ ـ في السادسة والعشرين من عمره٠

ذهب السنهوري إلى أوربا، إبان علوها الاستعماري الذي عمت بلواه كل أرجاء الشرق الاسلامي احتلالا وإذلالا واستغلالا٠٠ وفي مناخ فكري وحضاري ظن فيه الكثيرون أنهم بإزاء نهاية التاريخ٠٠ فالدولة الإسلامية الجامعة قد تفككت٠٠ والاستعمار قد ورث ولايتها٠٠ وتيارات فكرية عريضة ومؤثرة ـ في الشرق ـ قد أدارت ظهرها لحضارتها الموروثة ولتراثها الحضاري، يأسا وقنوطا، وأخذت تبشر بالحضارة الغربية المنتصرة، باعتبارها الطريق الوحيد للتقدم، والنموذج الفريد للنهوض٠

سافر السنهوري إلى فرنسا ـ بلد «النور ٠٠ والأنوار» فماذا صنع هناك؟

لقد سافر حاملا لهموم أمته في قلبه وعقله٠٠ إلى الحد الذي جعله مستعصيا على الانبهار والاندهاش بالنموذج الحضاري الغربي٠٠ بل إن إيمانه بعظمة المدنية الاسلامية، وارتقاء الشريعة الاسلامية، وخلود الأمة الإسلامية، قد جعلت كفة «النور الشرقي» ترجح في عقل ووجدان الشاب السنهوري علي كفة «الأنوار الغربية»، التي أعشت أبصار الكثيرين في ذلك التاريخ٠

فبعد شهرين من إقامته بفرنسا، يرى رؤيا ـ في المنام ـ تذكرنا عندما نقرأ ما دونه عنها في مذكراته برؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ رؤيا تحدد البوصلة الفكرية والحضارية للسنهوري، وتعكس إيمانه بالشرق والإسلام، ليس كماض وتراث، وإنما كمستقبل متفوق على النموذج الغربي٠٠ فشمس الشرق ـ في هذه الرؤيا ـ هي الأوسع مدى، والأسطع نورا٠٠ والسنهوري ـ في هذه الرؤيا ـ هو حامل شمس الشرق، الأكثر بهاء ونورا٠٠ فهي إذن «رؤيا ـ رسالة» حملها السنهوري منذ ذلك التاريخ٠٠ ولقد حدثنا عنها ـ في مذكراته ـ على استحياء٠٠ وفي تردد ـ فقال:

«رأيت فيما يرى النائم: أن الغرب تشرق عليه شمس ساطعة، حدقت فيها طويلا، ثم أدرت وجهي نحو الشرق، فخيل لي أنني أنقل شمسا أوسع مدى وأسطع نورا من أرجاء الشرق الواسعة٠ وحسبت أني أنا الذي أنقل هذه الشمس بيدي٠ وكأني سمعت لفظ «العلم» يهمس ثم أفقت من نومي٠

قد يكون من الغرور أن أدون هذا الحلم في مذكراتي، ولكن تأثيره فيّ كان عظيما٠ ولا أزال أرى الشمسين: شمس الغرب الساطعة، وشمس الشرق أبهى وأسطع، وقد تضاءلت أمامها شمس الغرب٠ اللهم حقق هذا الحلم، فأنت قادر على كل شيء»٠

هكذا ٠٠ ومنذ ذلك التاريخ حسم السنهوري اختياره لنموذج التقدم وصيغة البعث الحضاري للشرق وشعوبه٠٠ فشمس الشرق هي الأوسع مدى، والأسطع نورا ـ إنها «أسطع نورا من أرجاء الشرق الواسعة»!

أما صاحب الرؤيا، فهو «صاحب رسالة»٠٠ إنه «حامل شمس الشرق بيديه»٠٠ والعلم ـ الذي سافر إليه ـ هو مفتاح هذا النور٠٠ ولقد دعا الرجل ربه أن يحقق هذا الحلم، فهو ـ سبحانه ـ علي كل شيء قدير٠

لذلك، وجدنا السنهوري ـ في فرنسا ـ لا يقف ـ في نشاطه العام وخياراته الفكرية، فقط، عند رفض الانبهار بالمدنية الغربية، وإنما يتخذ الموقف النقدي، الواعي والعميق، للعرب والمسلمين الذين انبهروا بهذه المدنية، وبشروا بنموذجها الحضاري٠

لقد انتقد ـ وهو بباريس ـ أولئك الذين دعوا ويدعون إلى استبدال المدنية الغربية بالمدنية الإسلامية٠٠ وتحدث عن أن أمتنا ليست الأمة الطفيلية التي تترك مدنيتها العريقة ـ المؤسسة على شريعتها الإسلامية ـ لترقع لها ثوبا من فضلات الخياطين٠



بقلم المفكر الإسلامي :

أ.د. محمد عمارة ـ مصر

وانتقد الذين تبنوا مناهج الفكر الغربي والتطور الحضارى الغربي في دراسة تاريخنا وحضارتنا ونظمنا الاجتماعية والسياسية.. انتقد الدكتور منصور فهمى (١٣٠٣ ـ ١٣٧٨هـ/ ١٨٨٦ ـ ١٩٥٩م) الذى سبق السنهوري إلى الدراسة في فرنسا ـ والذى تبنى مناهج غلاة المستشرقين في دراسته عن زوجات الرسول، عليه الصلاة والسلام ـ وهو ما تراجع عنه بعد ذلك منصور فهمى باشا ـ.

وانتقد الشيخ على عبد الرازق (١٣٠٥ ـ ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٧ ـ ١٩٦٦م) الذى درس الخلافة الإسلامية وعلاقة الدين بالدولة في الاسلام، بمناهج العلمانية الغربية، وبالرؤية النصرانية التى تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

وفي ذات الوقت، لفت السنهورى الأنظار الى الأعمال الفكرية المتميزة، التى أبدعها دارسون مصريون ومسلمون في فرنسا، من مثل رسالة الدكتوراه التى انجزها الدكتور محمود فتحى عن التعسف في استعمال الحق بالشريعة الاسلامية، كنموذج للتعامل الصحى مع تراثنا وشريعتنا ومدنيتنا.

بل ورأينا السنهورى ـ طالب البعثة ـ يحاضر عن الأدب العربي في الأسرة الفرنسية التى يقيم معها، وبعض أصدقائه وأصدقاء هذه الأسرة «لإفهام هؤلاء القوم أن للعرب أدبا له قيمة» إذا ما قورن بالأدب الفرنسي الذى لا يعرفون سواه[١].

رأيناه يكتب ذلك.. ويقوم به بعد شهرين فقط من سفره إلى هناك!

وغير النقد للمنبهرين والمندهشين..

رأينا السنهورى يخطط ـ وهو في فرنسا.. ومنذ فجر حياته العلمية ـ لمشروع النهضة الإصلاحية والإحيائية والتجديدية للشرق وشعوبه، بالاسلام ومدنيته وشريعته.. فيكتب «مواد البرنامج» الذى مثل رسالته الإصلاحية التى نهض بها ـ هذا الرجل العظيم ـ على امتداد سنوات عمره المديد.. وفي مختلف الميادين التى عمل فيها.. كاتبا ومفكرا.. ومدرسا للقانون.. وصائغا للدساتير.. ومشرعا للقوانين المدنية.. وحارسا للعدل في محراب القضاء.. ورجل سياسة ودولة.. ونموذجا للقيم والخلق العظيم.



د. عبدالرزاق السنهوري

رأيناه يكتب «مواد برنامج» رسالته الإصلاحية، مشيرا إلى «أشعة الشمس» التى حملها في «رؤياه» فيقول: «وددت لو استطعت عند رجوعى إلى مصر أن أخدم بلادى في الوجوه الآتية، وأن أجتهد في إنشاء دراسة خاصة يكون الغرض منها:

١ ـ طريقة جديدة لدراسة الشريعة الاسلامية، ومقارنتها بالشرائع الأخرى، حتى يتيسر فتح باب الاجتهاد في تلك الشريعة الغراء.. وحتى تؤثر تأثيرا جديا في القوانين المستقبلة للأمة.. أسأل الله أن يحقق هذا الأمل.

٢ ـ كنت أحلم صغيرا بالجامعة الاسلامية، وكنت أتعشقها.. والآن أراها أقل إبهاما وأكثر تحديدا.. على أن دون تحديدها تحديدا كافيا سنين من التجارب والدراسة أرجو أن أجتازها.

٣ ـ ووددت أن أشترك في نهضة اقتصادية ومالية في مصر.

٤ ـ وأن أشترك في نهضة لإصلاح طرق التربية والتعليم.. وإصلاح الأزهر.. وما يدخل في إصلاح التربية من تربية للمرأة وإصلاح حالتها الاجتماعية.

٥ ـ وأن أشترك في نهضة لإصلاح اللغة العربية.

٦ ـ والعمل على سيادة الأمة ضد كل سلطة فردية، سياسية أو اقتصادية.. وأرجو ألا أموت قبل أن أرى الوقت الذى ينادى فيه بسيادة الأمة، لا على

**** السنهوري أفاد من الحضارة الغربية من غير استلاب**

**** نهضة الشرق والمسلمين كانت همه وشاغله**

**** القوميات نزعات تفرقة وتشتت عمل الغرب على زرعها بين المسلمين**

**** السنهوري عاب كثيراً على مفكري الشرق الذين أخذتهم حضارة الغرب ودعوا إليها**

**** السنهوري كان مجدداً ومصلحاً، على ثوابت الدين والقيم**

صفحات الجرائد وفي بطون الكتب، بل في كل كبيرة وصغيرة من حياة الأمة العملية، فالمستقبل لسلطان الشعوب، وهو سيمحو سلطان الطبقات.

٧ - وأتمنى لو تكونت جمعية أمم شرقية الى جانب جمعية الأمم الغربية.

٨ - وودت لو أتيح لمصر أن تكون من البلاد الشرقية كإيطاليا من البلاد الغربية في عهد إحياء العلوم.. وحبذا لو بدىء بتكوين مجامع علمية لغوية وفنية تتولى قيادة النهضة.

٩ - وتكوين حزب العمال والفلاحين.. حزب الاشتراكية الديمقراطية، الذي يستمد مبادئه من تجارب الأمم الغربية ومن التعاليم النقية الصحيحة التي أتى بها الإسلام والمسيحية.

هذه النهضات نحن في أشد الحاجة إليها. وفقني الله إلى أن آخذ بنصيبي في ذلك، وأن أقوم بما يجب عليّ مما يتسع له مجهودي[٢].

هكذا، ومنذ فجر شبابه، خطط السنهوري معالم المشروع الإصلاحي، الذي كانت حياته - الغنية والمديدة - إنجازات تطبيقية لها في مختلف الميادين.. الأمر الذي يفصح عن عبقرية في التخطيط، وعزيمة فولاذية في الإنجاز للتخطيط.

وفي السنوات الخمس التي أمضاها السنهوري بفرنسا، تبحر في علوم القانون الغربي - أصوله الرومانية.. وتقنيناته الحديثة.. ونهل من منابع الثقافة الفرنسية والأوربية.. واتصل بالحركات والتيارات الاجتماعية والثورية - والاشتراكية منها بوجه خاص - وزامل المبعوثين العرب والمسلمين الى مؤسسات العلم الفرنسية.. وساح في كثير من البلاد الأوربية متأملا ودارسا.. وقضى في لندن شهرا ونصف الشهر يجمع مراجع رسالته للدكتوراه «القيود التعاقدية على حرية العمل في القضاء الانجليزى».

وتشهد مذكراته في سنوات الابتعاث - التي دونها في (أوراقه الشخصية) - على أن وطنه وأمته وإسلامه، وتجديد الفقه الإسلامى وتقنينه، وإحياء الشريعة الاسلامية بالاجتهاد الجديد، ونهضة الشرق بالإسلام، ونهضة الإسلام بالشرق، كانت هي شغله الشاغل، والحلم الذي سهر على رسم معالم تحقيقه، جاعلا منه رسالته المقدسة في الحياة.

وعندما ألغيت الخلافة العثمانية - في مارس ١٩٢٤م - وبدا للكثيرين أن النزعة القومية - على النمط الغربي - قد انتصرت على الجامعة الإسلامية، كتب السنهوري، في مذكراته محذرا من هذه النزعة المتعصبة المفتتة لوحدة الأمة، وداعيا الى توظيفها - بعد تهذيبها - في خدمة الكيان الإسلامي الجامع والأكبر.. فقال في ١٩٢٤/٤/٢١م أي في الشهر التالى لإلغاء الخلافة الإسلامية: «إن فكرة القومية دبت في الشرق، ولا يمكن أن تنتشر، وكل ما يطلب من الشرقيين هو أن يتدبروا التاريخ فيروا أن الغرب انتشرت فيه هذه الروح فأصبح القوم أقواما، وكانت نتيجة المبالغة في هذا المبدأ أن صار كل قوم عدوا للأقوام الأخرى، ووقعت بينهم الحروب. فالشرق إذا أراد أن يبنى نهضته على مبدأ القومية فلابد في الوقت ذاته من أن يوجد شيئا من الاتصال بين أقوامه المتعددة في مبدأ نهضتها حتى يسهل بعد ذلك أن تكون هذه الأقوام على صفاء ووداد، ويجمعها كثير من عوامل التوحيد.

فلم يتزعزع إيمانه بالجامعة الإسلامية، التي أراد للقوميات أن تكون لبنات في بنائها.. وهو التصور الذي بلوره في رسالته الثانية للدكتوراه - في العلوم السياسية والاقتصادية عن (الخلافة كعصبة أمم إسلامية).

وإذا كانت مصر قد ابتعثت ابنها عبد الرزاق السنهوري الى فرنسا ليتخصص في القانون، وينجز

رسالة للدكتوراه.. فإن الرجل العظيم قد أنجز في تلك السنوات الخمس أضعاف المطلوب والمأمول.. أنجز رسالة للدكتوراه في القانون - عن (القيود التعاقدية الواردة على حرية العمل في القضاء الانجليزى).. بالفرنسية من جامعة «ليون».. ونال عنها جائزة أحسن رسائل الدكتوراه.

وأنجز رسالة ثانية للدكتوراه، تطوع بها - دون تكليف .. بل ومع تحذير أستاذه «إدوار لامبير» علامة القانون المقارن.. وناظر «مدرسة الحقوق الخديوية» بمصر - سابقا - وهي التى تخرج منها السنهورى، فلقد حذر «لامبير» السنهورى من صعوبة الموضوع، ومن المناخ السياسى والفكرى الأوربى المعادى له!.. ومع ذلك تقدم السنهورى فانجز هذه الرسالة الثانية - في العلوم السياسية والاقتصادية - عن (فقه الخلافة، وتطورها لتصبح هيئة أمم شرقية) مقدما فيها - بعد الجزء التاريخى - اجتهاده الجديد، ونظريته العبقرية في جمع الاسلام، وفى ذات الوقت تمييزه، بين الدين والدولة.. وفي جمع الخلافة، وفى ذات الوقت تمييزها، بين الفكرة القومية والجامعة الإسلامية.

وأنجز - أيضا - دبلوما من معهد القانون الدولى - بجامعة باريس - .

أنجز السنهورى رسالته عن (الخلافة) التى لم يكن مكلفا بها، ولم يطلبها منه أحد.. والتى سيؤخر إنجازها عودته إلى وطنه، وترتيبه في السلم الوظيفى، وذلك علاوة على ما يجلبه إنجازها له من عداء الفرنسيين في عقر دارهم.. ولكن «الرسالة» التى حملها السنهورى «رسالة الأمة» هى التى جعلته ينجزها، وينالها بتفوق نادر - كما أشار إلى ذلك - في مقدمتها - أستاذه «لامبير» الذى كتب في هذه المقدمة عن تلميذه تحت عنوان «عبقرية السنهورى» يقول: «لقد وجدت ضالتى المنشودة أخيرا على يد السنهورى، وهو من أنبغ تلاميذى الذين درست لهم خلال حياتى العملية كأستاذ. إنه تلميذ قد أثبت فعلا أنه جدير بأن يكون أستاذا»[٣].

كما كتب عن السنهورى الخبير القانونى المشهور «جورج كورنيل» في مجلة جامعة «بروكسيل» يقول: «إنه من أحسن ركائز مجموعة معهد القانون المقارن في جامعة ليون».

كما كانت رسالته هذه عن (الخلافة) نقطة الانطلاق والارتكاز للأستاذ الكبير «موريس هوريو» في بناء نظريته الجديدة عن «النظام القانونى» في علم الاجتماع التشريعى.

ولقد كان تصدى السنهورى - في هذه الرسالة عن (الخلافة) للرد على دعوى الشيخ على عبد الرازق في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) الصادر بالقاهرة ١٩٢٥م أن الإسلام دين لا دولة ورسالة لا حكم، وأن الخلافة - تاريخيا - كانت سلطة كهنوتية مستبدة - كان تصدى السنهورى لهذه الدعوى - تحت عنوان «رأى شاذ» دليلا على أن السنهورى كان يعيش معارك الفكر في وطنه حتى وهو يدرس خارج عالم الإسلام!.

وفي فرنسا تبلور الفكر الاجتماعى للسنهورى، فتمنى أن يقوم بمصر المستقلة حزب اشتراكى ديمقراطى للعمال والفلاحين «بعيد عن التطرف الاشتراكى، يستمد مبادئه من تجارب الأمم الغربية ومن التعاليم النقية الصحيحة التى أتى بها الإسلام والمسيحية»[٤]. لأنه كان يرى «أن الشيوعية داء وبيل، والرأسمالية هى أيضا داء وبيل»[٥] وأن كلا من الثورة الفرنسية والثورة البلشفية قد أحلت محل الاستبداد الذى إزالته استبدادا أشد[٦].. كان يريد حزبا اشتراكيا ديمقراطيا «يطبق روح الاشتراكية التى لا تتناقض مع الروح الشرقية الإسلامية، والتى تنجز الإصلاحات الداخلية، فتوزع الثروة توزيعا أقرب إلى العدل، وتقوى الأمة على أسس إسلامية»[٧].

هكذا خطط السنهورى - منذ فجر حياته العلمية - معالم الرسالة الإصلاحية التى عزم على حمل أمانتها في حياته المستقبلة.. وهكذا بدأ إنجاز عدد من معالم الإصلاح الفكرى إبان بعثته العلمية الى فرنسا.

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) المصدر السابق. ليون في ٢٤، ٢٥/١٠/١٩٢١م.

(٢) المصدر السابق، ليون في ٢١، ٢٣/١/١٩٢٢م. و٢٥/٢/١٩٢٢م، و٨ / ٥/١٩٢٢م، و١/٨/١٩٢٣م. و١٠/٩/١٩٢٣م. و٩/١٠/١٩٢٣م.

(٣) انظر مقدمة «لامبير» في الطبعة العربية لكتاب «فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية»، ص ٣٧ - ٤١ ترجمة: د. نادية عبد الرزاق السنهورى، مراجعة وتقديم: د. توفيق الشاوى، طبعة القاهرة ١٩٨٩م.

(٤) الاوراق الشخصية.. ليون في ٩/١٠/١٩٢٣م.

(٥) المصدر السابق ، القاهرة في ٣/٦/١٩٥١م.

(٦) المصدر السابق، ليون في ١١/١٠/١٩٢٣م.

(٧) المصدر السابق، لاهاي في ١٥/٨/١٩٢٤م.

أبو العلاء المعري .. والسجن الرابع

لا نعلم أحدا من الناس عامة والشعراء والحكماء والفلاسفة خاصة حبس نفسه أو فرض عليها، أو رضي لنفسه أن تحبس في أكثر من سجن واحد غير أبي العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء (٣٦٣ - ٤٤٩) الذي مضى يعدد محابسه وسجونه التي ألفى نفسه في غياهبها وعماياتها سواء منها ما فرض عليه وما فرضه هو على نفسه حيث يقول[١]:

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسد الخبيث

وواضح أن هذه المحابس أو السجون أبعد وأعمق من تلك المحابس التي يمكن أن تلقانا عند طائفة من البشر - إذا جاز لنا أن نطلق عليها هذا الوصف - كفرض لون من ألوان الحياة، أو نمط من أنماط السلوك على النفس، وممارسته باستقلالية متميزة، من مثل الإضراب عن الزواج، أو تناول نوع من أنواع الطعام كالنبات مثلا عند من عرفوا بالنباتيين، وما أشبه ذلك من أنماط السلوك البشري الذي يلقانا عند كثير من الناس المتميزين - أو على الأقل، الذين يريدون أن يكونوا متميزين في مجتمعاتهم بطبيعة الحال، والذي قد يكون أساسا أثرا من آثار المذهبية أو العقائدية كالبرهمية والنصرانية مثلا.

ونحن هنا لا نقصد هذا الضرب من المحابس المذهبية أو العقائدية، وإنما نقصد أنماطا أخرى تتدخل النفس تدخلا عميقا في توجيهها وممارساتها كاعتزال الناس والانقضاب من المجتمع وتقطيع كل الأواصر والوشائج التي تربطه بالناس والمجتمع الذي يعيش فيه استجابة لما فطر عليه الإنسان من اجتماعية الحياة والسلوك وفق المقولة المعروفة «الإنسان اجتماعي بطبعه»، ومهما حاول الإنسان أن ينفلت من تلك العلائق الاجتماعية فلن يقدر إلا إذا رضي لنفسه أن يعيش في مجتمع آخر لا ينتمي إلى البشر، ويخلو من كل متطلباتهم كمجتمع الغاب مثلا.. وعندئذ ستكون هذه الخطوة أولى خطواته وأوسعها نحو الفناء والعدمية..

ومن هنا كانت حبالة المجتمع وقيوده تتشابك بقوة، وتشد بعنف كالقيود البلاستيكية، حول رقاب أولئك المتمردين كلما حاولوا الانفلات من بقية المجتمع، أو الانقضاب من دنيا الناس، والاستقلالية في المأكل والمشرب والملبس، وفي أنماط أخرى من السلوك البشري التي لا تستقيم حياة الناس بدونها.

وإذا تأملنا حياة أبي العلاء المعري، أو بعبارة أدق، إذا تأملنا تأمل أبي العلاء في حياته، فإننا نجده قد فرض على نفسه، أو قل وجد نفسه بعد التأمل العميق سجينا في ثلاثة سجون أو محابس من خلال بيتيه السابقين، وقد كفانا مؤونة البحث عن هذه المحابس وتحديد ماهياتها، وأراحنا من عناء الضرب في متاهات المجهول بحثا عن تلك المحابس الغريبة المتعددة.

وإذا أنعمنا النظر في هذه المحابس ألفيناها نوعين متمايزين: محابس أو معتقلات اضطرارية لا أثر للاختيار الإرادي أو القصدية، ولا دور للعقل الذاتي فيها لأنها فُرضت عليه فرضا باعتبارها قدرا مقدورا من الله سبحانه كوجوده في الدنيا، أو مجيئه الى الحياة ورحيله عنها.. وقد أشار صاحبنا الى هذا السجن، وردد هذه الفكرة طويلا في لزومياته على شاكلة قوله[٢]:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي
ولا حياتي، فهل لي بعد تخيير
ولا إقامة إلا عن يدي قدر
ولا مسير إذا لم يقض تيسير

بقلم : أ. د. خليل ابو ذياب
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

ومن ذلك قوله أيضا[٣]:

ولم نحلل بدنيانا اختيارا
ولكن جاء ذاك على اضطرار

وقد سبق أبا العلاء بشارُ بنُ بُرد حيث يقول مقررا هذه الفكرة[٤]:

خلقت على ما فيّ غير مخيّر
هواي ولو خُيرت كنت المهذبا
أريد فلا أُعطى، وأعطى ولم أرد
وقصّر علمي أن أنال المغيّبا
وأصرف عن قصدي وعلمي مقصّر
وأمسي وما أعقبت إلا التعجبا

ووراء هذا السجن الإجباري، سجن الوجود الدنيوي نجد سجن العمي الذي زُج به في عمايته منذ أوائل الرابعة من عمره إثر إصابته بالجدري في أواخر سنته الثالثة[٥].

وللرجل أن يصف هذين الأمرين برغم خروجهما عن إرادته، أو عجزه عن التدخل الاختياري فيهما بأنهما محابس، ولغيره أن يخالفه في ذلك.. وهذا أمر مردّه الى اعتبارات متعددة يعود بعضها الى طبيعة النفس والعقل وقدرتهما على التكييف والرضا أو الاستسلام والإذعان وتقبل الأمور في كل أحوالها، أو العجز عن التكييف مع الواقع ومحاولة الانفلات منه والتمرد عليه والرفض له!! على أية حال، فهذان المحبسان - الحياة والعمى - اضطراريان لا أثر للاختيار والإرادة فيهما البتة، لأنهما كما أسلفنا، قدر مقدور من الخالق العليم الحكيم جل جلاله، ومن جهالة الإنسان وسيطرة الشيطان عليه يأتي رفضه لهما أو تمرده عليهما!! أما المحبس الثالث الذي أشار إليه فهو «لزوم بيته وعزلته عن الناس وانقضابه من المجتمع» وهذا سجن اختياري إرادي شيده أبو العلاء وأعلى جدرانه بكل طوقه وحوله، وضيق منافذ الشمس والهواء فيه بكامل وعيه وعقله، وتقحم زنازينه بملء رغبته، وأوصد أبوابه من خلفه بمطلق إرادته وبعد طول تأمل ونظر ومشورة على نحو ما يقول في رسالته الى أهل المعرة منصرفه من بغداد حول سنة ٤٠٠هـ «أما الآن فهذه مناجاتي إياهم منصرفي عن العراق مجتمع أهل الجدل وموطن بقية السلف بعد أن قضيت الحداثة فانقضت، وودعت الشيبة فمضت، وحلبت الدهر أشطره وجربت خيره وشره، فوجدت أوفق ما أصنعه في أيم الحياة عزلة تجعلني من أناس كبارح الأروى من سانح النعام، وما ألوتُ نصيحة لنفسي، ولا قصّرت في اجتذاب المنفعة إلى حيّزي، فأجمعت على ذلك واستخرت الله فيه بعد جلائه على نفر يوثق بخصائلهم فكلهم رآه حزماً، وعدّه إذا تم رشدا، وهو أمر سُري عليه بليل، قُضي ببقّة، وخبّت به النعامة، ليس بنتيج الساعة، ولا ربيب الشهر والسنة، ولكنه غذيّ الحقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل»[٦]. وكل هذا يؤكد الاختيار والقصدية في هذا السلوك الاجتماعي الذي مارسه على مدى نصف قرن تقريبا. وقد عبّر عن حبسه نفسه في بيته في إحدى درعيات سقط الزند فقال[٧]:

> **** أبو العلاء رغم عزلته التي حاول فرضها على نفسه، فقد غدا بيته قبلة لطالبيه ومحبيه**

لذاك سجنت النفس حتى أرحتُها
من الإنس ما إخلاء ربع بإخلال

ولقد كان يمكنه أن يجد من نفسه أو من خلصائه الذين شاورهم فيه رفضاً له وحضا على الاستمرار في حياة التكيف والاختلاط والمشاركة التي عاشها على طول أربعين سنة دون أن يخطر في وهمه - ربما - مثل هذا الخاطر الرهيب! أو يمثل له هذا السلوك الغريب.. وأخباره التي وصلت إلينا. إذا صحت - في تلك المرحلة المتقدمة تصوره لنا إنساناً عادياً متوازناً مبرأ من المؤثرات النفسية العنيفة التي يمكن أن تنجم عن مثل تلك العاهة التي ألمت به في سن مبكرة، قادرا على التكيف العميق معها دون أن تنطوي على شيء من العقد النفسية المرهقة[٨]. وربما كان ذلك لتوغلها في حياته وتجذرها في نشأته المبكرة، ثم لقدرته على التسامي والاستعلاء على آثارها المفزعة والموحشة، واقتداره الأكبر على التكيف معها في إطار المجتمع

الكبير الذي عاش فيه، وطبيعة الحياة ونوعية الرعاية التي حظي بها في أسرته أو مجتمعه الصغير.

وغني عن البيان أن مثل هذه العاهات والنقائص كلما كانت متوغلة في طفولة الإنسان الأولى ونشأته المبكرة، كانت أقل وأظهر محدودية في آثارها السلبية وتأثيراتها النفسية التي تنعكس على حياته، وتظهر فيما بعد على سلوكياته وأقواله، وكان هو من وجه آخر أقدر على التكيف معها والتصالح مع آثارها السيئة!!

** المعري في داخله انسان ودود ينزع إلى خير الآخرين

** نفسية المتنبي النزاعة الى الكبرياء والتعالي وحب الذات لم يتلبسها المعري طويلا

** في مرحلة عزلته ظهرت في المعري اثار الفلسفة التشاؤمية، وهي من اسقاطات نفسية المتنبي عليه

ومن هنا يمكننا أن نزعم من خلال ما وصل إلينا من أخبار أبي العلاء وأشعاره المبكرة أنه عاش تلك المرحلة الطويلة الأولى من حياته خالياً من آثار العقد النفسية التي يمكن أن تنجم عن عاهة العمى في العادة خاصة إذا كانت متأخرة، ولم يكد يظهر شيء من آثارها على سلوكياته الاجتماعية؛ حتى إذا كانت رحلته إلى بغداد حول سنة ٣٩٨[٩] وما وقع له فيها من أحداث في مجلس الشريفين الرضي والمرتضى[١٠] وفي مجلس المرتضى إثر تعصبه الشديد على المتنبي[١١]، وعندما رغب في لقاء علي بن عيسى الربعي أحد علماء النحو آنذاك[١٢] وعندما جاءته رسالة أمه تنقل إليه خبر مرضها ورغبتها في رؤيته قبل موتها[١٣]، وما انطوت عليه تلك الرحلة البغدادية من مثيرات[١٤]، ألفى نفسه على مفترق طريقين متباينين: طريق التكيف والاختلاط والمشاركة والاندماج في المجتمع استمرارا لحياته الراهنة وتواصلا معها، وطريق العزلة والانقضاب والتفرد والوحدة.. ولم يطل الوقوف عند هذا المفترق، ولم يتردد طويلا في اختيار إحداهما حيث عجلت أحداث الرحلة البغدادية المتلاحقة برحيله عن مجتمعها الصاخب، وقوّت عزمه على تنفيذ أشر محابسه حيث فرض على نفسه الإقامة الجبرية في بيته في المعرة وحبسها حبسا انفراديا صارما لو أمكنه ذلك على نحو ما سنرى[١٥].

ومن هنا نستطيع أن نعتبر رحلة بغداد هي المفجرة لكل العقد المتراكمة المخزونة في أغوار نفسية أبي العلاء الموروثة منذ طفولته المبكرة عندما إيف بهذه الآفة القاسية، وقد بعثت في هذه الآونة لتشكل حياته المقبلة في إطارها الجديد الذي فرضه عليها. وقد كان لما أوتيه من قوة الإرادة وصدق العزيمة أثر بالغ في تحقيق هذا الأمر وتنفيذه، وإن لم يقدر على تنفيذه بالصورة التى كان يسعى إليها ويتصورها عند اتخاذ القرار، فإذا كان قد نجح في عزل نفسه في كسر بيته بالمعرة، ومنعها من الاختلاط بالمجتمع، ورفض الخروج منه حتى في حالات الجفله من الروم، فإنه عجز عن منع الناس - أو بلفظ أدق - طلاب العلم الذين كانوا يفدون عليه أفواجا من شتى الأمصار من تقحّم محبسه وإفساد عزلته!.

بيد أن هذه المحابس الثلاثة التي عددها شيخ المعرة على أهميتها، لم تكن في نظرنا كل المحابس التي حبس نفسه فيها، وإنما يمكننا أن نتحسس في تراثه الأدبي معالم سجن آخر، وربما استطاع غيرنا أن يضيف إليها شيئا آخر، كما يمكن لآخرين أن يخرجوه من بعضها أو من جميعها، ويعيدوا إليه حريته السليبة، وتوازنه النفسي المفقود، وتكيفه الاجتماعي الضائع!! ومن هنا فإننا نرى أن أبا العلاء كان يقيم من حوله سجنا رابعا فيما وراء سجونه الثلاثة التي أعلنها لا يقل أثرا عنها؛ وهو محبس اختياري ينتمي إلى محبسه الثالث/ العزلة، وهذا المحبس هو «نفسية المتنبي» وما تمخض عنها من فكر وفلسفة وشعور!!

وعلى الرغم من أن المعري لم يكتشف هذا السجن، أو لم يكشف، ولم يحاول كشف النقاب عنه في البيان أو المنشور الآنف الذكر الذي عدد فيه محابسه، فإنه يمتد إلى البدايات المبكرة في حياته ونفسيته وشاعريته منذ أن أخذ يتلقى شعر المتنبي عن راويته محمد بن عبد

الله بن سعد[١٧]، وتأثره بالبيئة الحلبية التي كانت ما تزال تعج بشهرة المتنبي الذي لم يمض على رحيله عن الدنيا مأسوفا على شاعريته أكثر من خمس عشرة سنة. وقد استطاعت نفسية المتنبي المتمردة التي صبغت شعره طبع بصماتها القوية العنيفة على نفسية الطفل أبي العلاء، فتشبعت بها تشبعا بالغا، وانعكست آثارها على شعره وفكره ونفسيته في مرحلتي الاختلاط والعزلة.

وإذا حاولنا البحث في شعره عن تلك الآثار التي خلفها هذا السجن، فإننا نجدها تتخذ مسارين متمايزين: مسار «سقط الزند» ومسار «اللزوميات» وإذا أردنا أن نتبين أبعاد هذا المحبس في نفسية أبي العلاء في إطار سقط الزند، فإننا نجدها تتمثل في مظهرين: أحدهما فني والآخر نفسي. أما الفني فهو ما تساقط في ديوانه من أفكار المتنبي ومعانيه التي تقرّاها أبو العلاء وأفاد منها واتكأ عليها في جوانب شعره المتعددة؛ وقد فطن الى هذه الظاهرة بعض شراح «السقط» خاصة ابن السيد البطليوسي الذي عُني بابراز المعاني والأفكار التي استعارها أبو العلاء من المتنبي[١٧]، كما كانت هذه الظاهرة موضوعا لأطروحة جامعية[١٨]. على أن هذا الجانب لا يعنينا هنا بقدر ما يعنينا الجانب الآخر وهو المظهر النفسي الذي امتد مع أبي العلاء على مدى حياته في مرحلتي الاختلاط والعزلة؛ ففي مرحلة الاختلاط كان ذلك المظهر النفسي يتجسد في التأثير البالغ الذي خلفته نفسية المتنبي في نفسية - أبي العلاء - من خلال الإحساس الغامر بمكانته وتفوقه وتميزه وتفرده، وهي التي كانت الشنشنة التي نعرفها من أخزم «المتنبي» عبر مسيرته الشعرية على طول حياته ومن لدن طفولته الأولى أو صباه الباكر منذ أن كان يتلقى دروسه الأولى في المكتب الشيعي أو المدرسة العلوية، عندما رد على بعض أترابه وقد استحسن وفرته فقال[١٩]:

لا تحسُن الوفرة حتى تُرى
منشورة الضَّفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة
يعلّها من كل وافي السبال

وتتالت - متنوعة - في مختلف مراحل حياته مخلّفة مثل قوله[١٠]:

أفكّر في معاقرة المنايا
وقود الخيل مشرفة الهوادى
زعيم للقنا الخطي عزمي
بسفك دم الحواضر والبوادى

ومثل قوله[٢١]:

وإن عُمرت جعلت الحرب والدة
والسمهري أخا والمشرفيَّ أبا
بكلّ أشعث يلقى الموت مبتسما
حتى كأن له في قتله أربا

وقوله[٢٢]:

عش عزيزا أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العزّ في لظى وذر الذل
ولو كان في جنان الخلود

ومثل قوله في رثاء جدته[٢٣]:

ولو لم تكوني بنت أكرم والد
لكان أباك الضخم كونُك لي أما
تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا إلا لخالقه حكما
يقولون لي: ما أنت في كل موطن
وما تبتغي؟! ما أبتغي جلّ أن يُسمى

ولا يغيب عنا البيت الذي كان فيما يقال سببا في قتله عندما لاح له خاطر الفرار من وجوه أعدائه عندما أيقن بالهزيمة لعدم التكافؤ مع الأعداء وما قد يتمخض عنه من قتله؛ وقد أدرك هذه الخواطر أحد غلمانه عندما رآه يلوي عنان فرسه غير متحرّف لقتال ولا متحين إلى فئة، فانبرى يذكره بقوله المشهور الذي طبق الآفاق[٢٤]:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقد تركت هذه النفسية الثائرة المتمردة آثارها في نفسية أبي العلاء، أو قُل في شاعريته في سقط الزند، لأننا نظن ظنا بعيدا أن هذه الآثار لم تتجاوز شعر المعرى إلى نفسيته، بل إننا نعتقد أن ثمة حاجزا صفيقا كان يحول بينها وبين نفسيته، وأنه كان يقولها - متأثرا بنفسية المتنبي - من وراء نفسيته وأحاسيسه

(نفسية المتنبي) كانت هي السجن الرابع الذي تقمصه المعري بطوعه واختياره

رحلة بغداد كانت هي المفجرة لكل العقد المتراكمة المخزونة في أغوار نفسية المعري منذ طفولته المبكرة

ومشاعره الإنسانية التي فُطر عليها، ذلك أنه لم يكن ممن يطلبون الدنيا لذات الغايات التي جسدتها نفسية المتنبي، ونجدها عند أضرابه من الطامحين والباحثين عن المجد والسلطان!! ومن هنا فقد تكون عاهته المبكرة قد تحوّلت أو انحرفت به عن الاتجاه الإيجابي كما تمثله حياة المتنبي الى الاتجاه السلبي الذي مثله شعره، وقد جسد المعرى عبر هذا الاتجاه السالب أبعاده النفسية التي استقاها من نفسية المتنبي التي حبس نفسه في إطارها القشيب الفخم على نحو ما نجد في مثل قوله في إحدى فخرياته[٢٥]:

ورائي أمـام والأمـام وراء
إذا أنا لم تُكبرني الكبـراء
بأي لسـان ذامني متجـاهل
عليّ وخفـق الريح فيّ ثناء
ومذ قال إن ابن اللئيمة شاعر
نوو الجهل مات الشعر والشعراء
أتمشي القوافي تحت غير لوائنا
ونحن على قُوّالها أمـراء
وأي عظيم راب أهل بلادنا
فإنا على تغييره قُدراء
وما سلبتنا العزّ قطّ قبيلة
ولا بات منا فيهم أسراء

ثم اقرأ هذه الأنفاس الفخرية الشامخة من لاميته المشهورة[٢٦]:

ألا في سبل المجد ما أنا فاعل
عفـاف وإقدام وحزم ونائل
تُعدّ ذنوبي عند قوم كثيرة
ولا ذنب لي إلا العلى والفواضل
وقد سار ذكري في البلاد ومن لهم
بإخفاء شمس ضوؤها متكامل
يُهمُّ الليالي بعض ما أنا مُضمر
ويثقل رَضْوى دون ما أنا حامل
وإني وإن كنت الأخير زمانُه
لآت بما لم تستطعه الأوائل
ولي منطق لم يرض لي كُنْه منزلي
على أنني بين السماكين نازل
لدى موطن يشتاقه كلُّ سيد
ويقصر عن إدراكه المتناول
ينافس يومي فيّ أمسي تشرفاً
وتحسد أسحاري عليّ الأصائل

وغير ذلك مما نجده ماثلا في نماذجه الفخرية في السقط[٢٧].

وغنيّ عن البيان أن الفخر الذي يتجسد في هذه النماذج هو تعبير غير صادق عن نفسية المعرى التي ترفض الاستعلاء والكبر، وتؤمن بالتواضع والإخاء والمحبة، ولذا فإن هذه النغمات الفخرية ليست أكثر من ظلال كثيفة لنفسية المتنبي الطامحة المتمردة انسحبت على شاعرية المعري، ووقفت عند السطح دون أن تجاوزها إلى أعماق نفسيته، وإنما كان يترنم بها بين الحين والآخر على سبيل المران والدربة، أو كما يقول «على معنى الرياضة وامتحان السوس»[٢٨].

بيد أن أبا العلاء لم يمض إلى نهاية الشوط لاهثا في أعقاب هذه النغمات الحادة الصاخبة، وإنما نراه يرتد ارتدادا بالغا الى نزعته الإنسانية لتتجسد في مثل قوله من إحدى فخرياته[٢٩]:

ولو أنّي حُبيت الخلدَ فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

خلافا للنزعة الذاتية المفرطة عند المتنبي، وعند أبي فراس في قوله المشهور[٣٠]:

معللتي بالوصل والموتُ دونه
إذا متّ ظمآنا فلا نزل القطر

وإن كنا نجد أمشاجا من هذه النغمات الصاخبة الشاذة تتساقط على استحياء في مثل قوله من قصيدته الفخرية السابقة:

إذا أوطأتها قدمي سهيل
فلا سُقيت خناصرةُ العهادا

وليته لم يتردّ في حبالة نفسية المتنبي وأبي فراس ليظل أسير نزعته الإنسانية الرفيعة!!

بيد أن هذا التبجح العجيب، والصراخ الحاد، والتعالي البالغ الذي يحتقر كل عبقريات البشر، ولا يقيم لأحد منهم وزنا في بيته المشهور:

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

يضمحل في نفسية أبي العلاء ليصبح لا «شيء» عندما ينغمر في خضمّ التواضع، وتدوي نغماته العذبة الشجية في أعماق نفسه لتجعل منه فردا أقل من سائر الناس شأنا وعلما وأدبا ودينا، حتى ليُخيّل للقارىء أنه يتسلل لواذا ليغرق في ظلام النسيان فلا يخطر على قلب أحد، ولا يمر في وهم إنسان[٣١].

وإذا تحولنا إلى مرحلة العزلة ألفينا نفسية المتنبي تبذر آثارها الفكرية الفاقعة في نفسية أبي العلاء لتشكل جانبا مهما من فلسفته التشاؤمية في الحياة والدنيا والأحياء خصوصا ذم الدنيا الذي شرع المتنبي له أبوابه على مصاريعها عبر قوله من مرثاته لأخت سيف الدولة الصغرى[٣٢]:

ولذيذ الحياة أنفسُ في النفـ
ـس وأشهى من أن يملَّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أف فما ملـ
ـل حياة وإنما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب
فإذا ولَّيا عن المرء ولَّى
أبدا تسترد ما تهب الدنـ
ـيا فيا ليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحـ
ـفظ عهدا ولا تتمّم وصلا
شيمُ الغانيات فيها فما أد
ري لذا أنث اسمها الناسُ أم لا؟!

وقد تناثرت هذه النغمات الفكرية الحادة في ديوان المتنبي، وتغلغلت في أغوار نفسية أبي العلاء وانتشرت في لزومياته خاصة وبعض مراثي السقط لتشكل فلسفته المتميزة في الدنيا والأحياء على نحو ما نجد في قوله من مرثاته لأبيه في مرحلة مبكرة في حياته[٣٣]:

على أم دفر غضبة الله إنها
لأجدر أنثى أن تخون وأن تخني

وقوله من إحدى لزومياته[٣٤]:

يسيء امرؤ منا فيبغض دائما
ودنياك ما زالت تسيء وتومق
أسرَّ هواها الشيخ والكهل والفتى
بجهل، فمن كل النواظر ترمق
وما هي أهل أن يؤمل مثلها
لود، ولكن ابن آدم أحمق

ويقول في لزومية أخرى[٣٥]:

نحن البرية أمسى كلُّنا دنفا
بحبِّ دنياه حبا فوق ما يجب

وقوله [٣٦]:

ومن العجائب أن كلا راغب
في أم دفر وهو في عَيّابها

وقوله [٣٧]:

ولا ترى الدهر إلا من يهيم بها
طبعا ولكنه باللفظ قاليها

وهذا ما دفعه إلى تجسيم حب الدنيا في نفوس الناس في هذه الصورة الطريفة البالغة حيث يقول:

لو أن عشقك للدنيا له شبح
أبديته لملأت السهل والجبلا[٣٨]

وأبو العلاء في كل هذه الآراء لا يحاول أن يستثني نفسه برغم ما عرف عنه من زهادة في الدنيا وإعراض عنها وانصراف عن متاعها فيقول[٣٩]:

وحبي للدنيا كحبِّك خالص
وفي عُنُقينا من هوى جعلت ربقا

وقوله [٤٠]:

أحبك أيها الدنيا كغيري
وأشراني قلاك ولست أشري
ونهوى العيش فيك مع الرزايا
وما طوِّلت من خمس وعشر

ووراء هذه النماذج المختارة نماذج أخرى أعرضنا عن سردها خشية الإطالة ودفعا للإملال، واكتفاء بما ذكرنا.

ومثل هذه الآراء ليست في الحقيقة أكثر من أصداء نفسية المتنبي أخذت تتردد في فضاء نفس المعرى، وتعكس عليها آثارها القائمة لتشكل السجن الرابع الذي تقحمه أبو العلاء بكامل إرادته، وملء رغبته واختياره لينضاف إلى سجونه الثلاثة العريقة، وليكون من أقواها وأبعدها أثرا في نفسيته وتفكيره وشعره!!

الحواشي والتعليقات:

(١) اللزوميات ١/١٨٨ التجارية، ط/٢، يذكر بعض مؤرخي أبي العلاء أنه لما رجع من بغداد لزم بيته وسمى نفسه «رهين المحبسين» يعني حبس نفسه في بيته، وحبس بصره بالعمى. (تعريف القدماء بأبي العلاء ٢٦٧: الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٣٣: بغية الوعاة للسيوطي ٣٥٦: نزهة الجليس للعباس المكي)، وهو هنا يضيف إليهما سجنا ثالثا وهو حبس روحه في جسده أي الحياة التي كتبت عليه.

(٢) اللزوميات ١/٣١٥.

(٣) نفسه ١/٤٠٤.

(٤) ديوان بشار ١/٢٤٦ نشره محمد الطاهر بن عاشور ط/ اللجنة، أغاني الدار ٣/٢٢٧ وقارن اختلاف الروايات.

(٥) التعريف/ الفهرس ٦٠٧.

(٦) رسائل أبي العلاء/ ٨ ص ٣٤، ط المثني أكسفورد/ نشره مرجليوث ١٨٩٨.

(٧) شروح سقط الزند ٤/ ١٨٨١، دار الكتب والدار القومية.

(٨) يقول في «الفصول والغايات» وهو أول كتاب صنفه بعد العزلة: «ما اعتزلت إلا بعد ما جددت وهزلت» ٢٩٧، تحقيق: محمود حسن زناتي، ط/ حجازي/ القاهرة ط/١٠ وهذا ما أشار إليه بعض مؤرخيه عندما وصفه قائلا: «لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب: رأيت أعمى شاعرا لطيفا يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء (التعريف ٣: تتمة اليتيمة للثعالبي).

(٩) انظر: الجندي: الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ١/٢٧٧، دمشق ١٣٨٢ ـ ١٩٦٢.

(١٠) يذكر نفر من مؤرخي أبي العلاء أن يوم وصوله بغداد صادف وفاة والد الشريفين الرضي والمرتضى فدخل لتعزيتهما، فتخطى بعض الناس فعثر به فقال له: من هذا الكلب؟ أو إلى أين يا كلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما. وظلت هذه الحادثة تفعل فعلها في نفس السيوطي فمضى يتتبع أسماء الكلب ونعوته في كتب اللغة حتى تجمع له منها قدر كبير ثم نظمها في أرجوزة عنوانها «التبري من معرة المعرى»، (التعريف ١٧، ٢٢٣، ٤٢٩، ٥٤٣).

(١١) كان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ويفضله على سائر الشعراء المحدثين، وكان المرتضى يتعصب عليه ويبغضه؛ فجرى يوما بحضرته ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قصيدته (لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه فضلا. فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من المجلس وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة فإن للمتنبي ما هو أجود منها؟ فقيل: السيد النقيب أعرف. فقال أراد قوله فيها:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

(التعريف ٧٦، ٢٠٦، ٢٢٤) ويبدو أن تعصب المعرى للمتنبي أثار عليه أديبا آخر هو ابن الأثير صاحب المثل السائر الذي رفض مزعمه باستواء شعره وكماله حتى قال عنه: «كان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعماها عصبية، فاجتمع له العمى من جهتين» (التعريف ٣٩٤، ٣٩).

(١٢) كان من خبر أبي العلاء مع الربعي ببغداد أنه رغب في زيارته، فلما استأذن سمعه يقول: ليدخل الاصطبلُ، وهي الأعمى بلغة أهل الشام. فخرج مغضبا ولم يعد إليه (التعريف ١٦، ٧٥) ويذكر ياقوت في سياق الخبر أن دخول أبي العلاء على الربعي ليقرأ عليه. وهى عبارة غامضة ينبغي ألا تحمل على أخذ العلم عنه لأنه كان قد حصّل من العلم أضعاف ما عند الربعي وغيره منذ عشرين سنة حيث يقول: «ومنذ فارقت العشرين من العمر

ما حدثت نفسي باجتداء علم من عراقي أو شام (رسائله ٣٢) وإذن فزيارته للربعي إنما كانت تتسم بالندية العلمية على أبعد تقدير استجابة لمقاصده من زيارة بغداد التي أعلنها في قوله: «وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب، ولا أتكثر بلقاء الرجال، ولكني آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه» (رسائله ٣٤).

(١٣) وفي ذلك يقول:

أثارني عنكم أمران: والدة
لم ألقها، وثراء عاد سفوتا
لولا رجاء لقائيها لما تبعت
عنسي دليلا كسرّ الغمد إصليتا

شروط سقط الزند ١٦٣٤/٤. وانظر: بنت الشاطئ: أبو العلاء المعرى ١٢٩ وما بعدها.

(١٤) هناك من مؤرخي أبي العلاء من يحدد سبب خروجه من بغداد مؤكدا أنه خرج منها طريدا منهزما لأنه سأل سؤالا يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال:

تناقص ما لنا إلا السكوت له
وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت في ربع دينار

(التعريف ٣٠١: البداية والنهاية لابن كثير، حوادث سنة ٤٤٩) وتابعه العيني صاحب عقد الجمان: التعريف ٣٢٠). مع أن البيتين لزومية من ديوان «اللزوميات» الذي بدأ في نظمه بعد عودته من بغداد ولزوم بيته (انظر: اللزوميات ٣٩١/١)، زجر النابح للمعرى ١١٢، تحقيق د/ أمجد الطرابلسي، دمشق، الجامع ٢٥٢/١ وما بعدها.

(١٥) بلغت هذه العزلة عند أبي العلاء حدا بعيدا حتى وجدناه في رسالته لأهل المعرة يؤكد عزمه على البقاء في منزله وعدم الخروج منه كائنة ما تكون الظروف فيقول: «وثبات في البلد إن جال أهله من خوف الروم» (رسائله ٣٤)، وهذا الأمر هو الذي دفعه الى تفصيل القول في جفلة الناس في منطقة حلب في عهد عزيز الدولة أبي شجاع فاتك الرومي مولى منجوتكين والى حلب من قبل الفاطميين، عندما تناهى إلى أسماعهم عزم امبراطور الروم على غزو حلب، ووصف مشاهد الجافلين وأحوالهم وما لقوا من عناء وشقاء دفعهم الى أن يقرروا عدم الخروج من بلدهم لمواجهة الروم. (أنظر رسالة الصاهل والشاحج ٤٢٥ - ٦٤٠ تحقيق بنت الشاطىء، ط/ دار المعارف ١٩٧٥).

(١٦) التعريف ٥١٥: الأصناف والتحري لابن العديم).

(١٧) انظر مقدمة سقط الزند.

(١٨) عنوانها «أثر المتنبي في أبي العلاء في سقط الزند» للكاتب كلية الأدب جامعة القاهرة ١٩٦٨.

(١٩) ديوان المتنبي/ عزام ص ٦.

(٢٠) نفسه/ ٧٨.

(٢١) نفسه/ ٩١.

(٢٢) نفسه/ ١٥.

(٢٣) نفسه/ ١٦١ - ١٦٢.

(٢٤) نفسه/ ٣٢٤.

(٢٥) شروح سقط الزند جـ ١/ ق ١٠.

(٢٦) نفسه/ ق ١٦.

(٢٧) نفسه قصائد ١٢، ١٧، ٢٠، ٣٦.

(٢٨) شروح سقط الزند: مقدمة الديوان.

(٢٩) نفسه ٧٥/١.

(٣٠) ديوان أبي فراس الحمداني ١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣١) الجامع ١/ ٣٥٠ وما بعدها.

(٣٢) ديوان المتنبي ٤٠٠.

(٣٣) شروح سقط الزند ق/ ٤١.

(٣٤) اللزوميات ٢/ ١٣٥.

(٣٥) نفسه ١/ ٧٥.

(٣٦) نفسه ١/ ١٣٥.

(٣٧) نفسه ٢/ ٤٤١.

(٣٨) نفسه ٢/ ٢٠٠.

(٣٩) نفسه ٢/ ١٣٢.

(٤٠) نفسه ١/ ٣٩٩.

**** المعري لم يكن يطلب الدنيا لذات الغايات التي جسدتها نفسية المتنبي**

**** النفحات الفخرية في شعر المعري ما هي إلا ظلال كثيفة لنفسية المتنبي**

البارودي الشاعر الرائد

يحتل محمود سامي البارودي في تاريخ الشعر العربي مركز الريادة من حيث الخروج على متابعة الروح التقليدية واتخاذ القصيدة القديمة نموذجا يتحرى الشاعر النسج على منواله.

وقد كان الطبيعي والمنطقي أن تظل القصيدة على هذا النموذج، فشاعر واحد لا يستطيع أن يحول شعر أمة من حال إلى حال، أو أن يغير ذوق أجيال من الناس تربت على نوعية من الشعر استقرت في نفوسها ونفوس آبائها وأجدادها مئات من السنين، ولذلك كان أغلب شعره يحمل صورا من حياة البداوة الصحراوية كما كانت الحال في شعر من سبقوه ومن عاصروه، وإن كان البارودى لم يرجع إلا الى النماذج الشعرية القوية التى عارض بعضها.

من هنا كانت بعض الرواسب التقليدية المنحدرة عبر أجيال ركائز من ركائزه الشعرية.

سار البارودي إذن على الدرب القديم محافظا على عمود الشعر كما وصفه العرب القدامى، وهو اتجاه لا يد له فيه، وما أظن شاعرا آخر يكون في مكان البارودي من نفس البيئة والعصر، ويعيش المؤثرات نفسها ولا يتابع الطريق الشعرى الذى مشى فيه البارودى. كان الشعراء يعيشون في شعرهم فوق وهاد نجد، ويذكرون شجر الغضى، وهم لم يروا نجدا ولا شجر الغضى، وكانت القناعة أن ما أتى به الأجداد هو المثل الأعلى، وأن ما خلفته الأجيال هو قمة البلاغة فتشكل ذوق الناس حسب مواصفات الشعر القديم، والبارودي يقترب من عصره في بعض شعره الذى تنكب فيه متابعة الدرب القديم، هذا الشعر الذى جعله رائدا بمعايشته لبيئته والترجمة عنها حين تحرر من القيود الشعرية التى ربطته بالنموذج الشعرى القديم.. من هنا كان اعطاؤه الحق لنا في أن نقول عنه انه من أوائل من حققوا معايشة النفس والبيئة إن لم يكن أولهم.

ولعلنا نرى بعض مظاهر التقليد في شعره حين يذكر أماكن في الجزيرة العربية لم يرها رؤية العين، من ذلك قوله:

يا سعد قل لي فلَّت أدرى
متى رعان العقيق تبدو
أشتاق نجدا وساكنيه
وأين منى الغداة نجد

أو حين يقول:

أين ليالينا بوادى الغضى
ذلك عهد ليته ما انقضى

وهو يستعير المعنى من بعض الشعر القديم، ويستخدم التشبيه الصحراوى المتكىء على حياة الرعي، والرحلة، والقتال، بل هو يتابع الشعراء في فخرهم الفردى كما ألفناه في شعرنا القديم:

ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب
إذا أنا لم أعط المكارم حقها
فلا عزنى خال ولا ضمنى أب
خُلقت عيوفا لا أرى لابن حرة
عليّ يداً أغضى لها حين يغضب

فهو يتابع الشعراء القدامى في التمسك بأخلاق الفروسية ومفاهيمها الأخلاقية الشيء الذى أقلع عنه الشعراء العرب المحدثون، فقد تبدلت المفاهيم، والقيم، وأصبح الفخر الفردى موضع سخرية.



بقلم : د. كمال نشأت
- مصر -

ولكن هذه النقلة في الحياة وفي الذوق لم تتم إلا بعد سنين طويلة، وتحت تأثير الاتصال بالعالم الغربى والأخذ بأسباب رقيه في العلم والثقافة والحضارة، وميزة البارودى هى أنه أرجع للشعر متانة الصياغة القوية التى تجعلك تحس أن قصيدته من الممكن أن تنسب الى شاعر من فحول الشعراء القدامى، ذلك ان الركاكة والعجمة كانتا من خصائص الفترة التى عاش فيها والميزة الأخرى الأهم هى أنه عاش بيئته وعصره فكان أن أحس بكيانه فردا في عصر غير عصور الشعراء القدامى، وأنه يعيش بيئة لا تمت الى حياة الصحراء بصلة، قال. واصفا حى (روضة المنيل) في القاهرة متشوقا:

ليت شعرى متى أرى روضة
المنيل ذات النخيل والأعناب.
حيث تجرى السفين مستبقات
فوق نهر من اللجين المذاب
قد أحاطت بشاطئيه قصور
مشرقات يلحن مثل القباب
ملعب تسرح النواظر فيه
بين أفنان جنة وشعاب
كلما شافه النسيمُ ثراه
عاد منه بنفحة كالملاب
ذاك مرعى أنسي وملعبُ لَهْوي
وجنى صبوتى.. ومغنى صحابي

وقيمة البارودى بالنسبة إلى عصره ترجع الى أنه كتب الشعر بنفس المتانة التى كتبه بها الشعراء الفحول القدامى، وهو بمعارضاته لهم رد الثقة الى نفوس معاصريه من أن شاعراً حديثا يستطيع مجاراة الأقدمين، وهى خطوة نحو الاحساس بالشخصية لابد منها للتحرر من أثر الأدب القديم والاحساس بالعجز أمامه، هذا فضلا عن ظهور شخصيته الفنية فيما رسمه من مناظر مصرية صميمة، وذلك حينما تحدث عن مصر، ونيلها، ومزارعها، وآثارها.

فضلا عما تناوله من أحداث الثورة العرابية التى



محمود سامي البارودي

كان واحدا من زعمائها. ولعل وصفه للآثار المصرية أحدث ما تناوله الشعر في عهده، واتجاه البارودى هذه الوجهة تطوير للشعر، وتخليص له من العموميات، ورجوع به الى بيئاته الاقليمية، التى يقال فيها حتى يحمل روح هذه الأقاليم وخصائصها.

فقد ضيع النموذج العربى القديم الذى وضعه الشعراء أمامهم روح الاستقلال، وقضى على المعايشة للبيئة والعصر، فتشابهت قصائد الشعراء، وانتفت الشخصية الخاصة بالشاعر، فكنت لا تفرق بين قصيدة شامية وقصيدة مصرية وقصيدة مغربية، فالشعراء قد فقدوا روح الاستقلال، فعاشوا بأرواحهم في ربى نجد مارين بوادى العقيق وجبل رضوى، وتحدثوا عن كاظمة ووصفوا رحلة الابل وثغاء الشياه والنياق، واستعملوا الرماح والسيوف، حتى المعشوقات لم يذكروهن بأسمائهن فكن هند ودعد وليلى، والشعر إذا مسه التقليد، وفقد روح الصدق، ومعايشة الواقع، أصبح لغوا وثرثرة، من هنا كان مؤرخو الأدب وناقدوه يعرفون للبارودى فضله رائدا من رواد التجديد الرفيق، وهو فضل شخصى لم يكن نتيجة تطور عام مس الحياة، ولو كان كذلك لوقف إلى جوار البارودى شعراء آخرون، فتقدم البيئة ينعكس على الجميع، ولكنها بادرة الفنان صاحب النفس الصادقة والموهبة الكبيرة، ولقد صدق الناقد الذى قال عنه: (إن فضل البارودى على عصره أكبر من الفضل الذى لعصره عليه).

سَرْيَةُ الهوى إلى ت

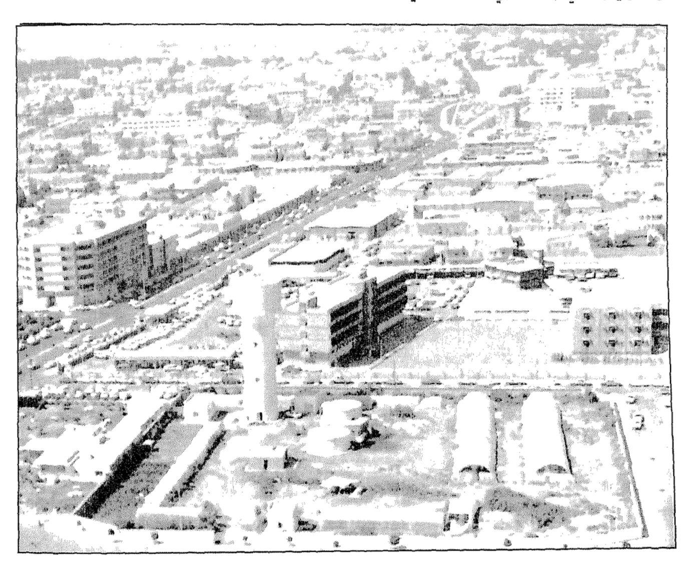
أهدي هذه القصيدة، تحية لمدينة تبوك التي تلطف بدعوتي لزيارتها:

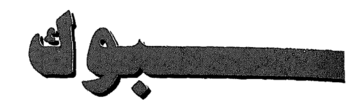
أولا: حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز، أمير منطقة تبوك، بمناسبة الاحتفال السنوي بتقديم «جائزة تبوك للتفوق العلمي» لعام ١٤١٨هـ. الذي أقيم يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٩/١/٢هـ.

ثانيا: سعادة الأديب الجليل الأستاذ محمد بن عمر عرفة، رئيس نادي تبوك الأدبي، للأشتراك في أمسية شعرية أقيمت في النادي مساء يوم الأثنين الموافق ١٤١٩/١/١هـ.

وتبوك .. المدينة السعودية الشمالية الرقيقة المزدهرة، كنت قد أمضيتُ فيها بعضاً من سني طفولتي وصباي بعد أن قدمت إليها رفقة والدي رحمه الله.. الذي جاءها قاضياً من المدينة المنورة.

وهي بكرام أهلها وخصب ثراها وباسق نخلها وعين سكرها التاريخية، لا تنسى مهما طال الزمن أو قصر.





تبوك



شعر :

د. بهاء بن حسين عزِّي - جدة

يا فؤادي أرحنيْ .. قد جئت داراً
طالما اشتـقـت أهلهـا وثراها[١]

قُمت تسري سرى المُعنَّى بحُب
دام خمسين حجَّة ما سلاها

فهي سحرٌ ، وإن تطاول عهدٌ،
ظلَّ فينا يشدُّنا لهـواها

يا لحسناء كُلَّما شاب جيلٌ
شبَّ فيها جمالُها وبهاها

ولعمري، فإن هرمتُ بجسم
أنت مازلت بالشباب كُفاها[٢]

فترنَّم لها ترنُّم طير
جاء للسكر وانتشى من رواها[٣]

واعتلى الأيك حولها يتغني
وتغنَّى وخلُّهُ يتلاهى[٤]

* * *

يا فُؤادي أراك هيمان أرض
لي فيها رُبُوعُها وحماها[٥]

لي فيها طفُولة وصباء
ولداتٌ بهم زماني تاها[٦]

لي فيها حدائقٌ وسواق
وعُيُونٌ نميرُها لا يُضاهى

ونخيلٌ جنيتُ منها سنيناً
طال شوقي إلى لذيذ جناها

كنتُ والصَّحبُ حولها نتحرَّ
ها لزَهْو ومن رآه ارتقاها

ولعمري فكم تماديتُ شرقاً
ثُمَّ غرباً وما طعمتُ حلاها

باسقاتٌ، فليتهُنَّ تريَّثـ
ـن لصب درى عُلُوَّ ذُراها[٧]

* * *

وإذا الصَّبُّ عاد بالشَّوق يهفُو
لحبيب ترى الهوى يتباهى

وإذا الرَّبُّ شاء عودة بر
لرؤوم فمَنْ سيُرجي لقاها

جدة - ١٤١٨/١٢/٢٤هـ الموافق ١٩٩٨/٤/٢١م.

الهوامش:

(١) داراً: المقصود بذلك مدينة تبوك.
(٢) الكُفَى: الكُفُو أو الكفؤ وهو المثْل والنظير.
(٣) السكْر: عَيْنُ السكْر التاريخية التي جَفَّ ماؤها.
(٤) الأيْك: الشجر الكثير الملتفُّ، وكان كثيراً في تبوك خاصة حول عين السكر.
(٥) الهيمان: المحبُّ الشديد الحب.
(٦) الصِّباء: الصغرُ والحداثة. اللدات: الرفاق، خاصة في عهد الصباء.
(٧) باسقات: طويلات.. وكانت النخيل الباسقة كثيرة في تبوك.

زيد بن حارثة

ت ٨ هـ

اسمه زيد بن حارثة بن شرحبيل من قضاعة، وأمُّه من طيء أصابها سباء في الجاهلية، لأنها خرجت لزيارة قومها بنى معن، وبينما هي تتهيأ للقاء بفرح، أغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر مع ابنها زيد، وقد قدموا بابنها زيد الى عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، وكان أن وهبته السيدة خديجة للنبى {صلى الله عليه وسلم}[١].

والملاحظ أن له أكثر من خصيصة في الإسلام، فقد اختار العبودية في القرب من الرسول على الحرية مع أهله، فقد عرضه المختطفون في أكثر من مكان للبيع، ويقال إنه في إحدى المرات رآه الرسول موقوفا للبيع في البطحاء، وكان غلاماً صغيراً ذا ذؤابة، فقص رؤيته على السيدة خديجة، فقالت: كم ثمنه؟ فقال: سبع مائة، فقالت عليك بشرائه، وحين حضر زيد، قال: أما إنه لوكان لى لأعتقته، فقالت: هو لك فأعتقه[٢]، ولقد كان أول فتى أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب[٣]، وبينما هو يعيش في هذا المناخ الطاهر، نرى أن أباه كان يتفطر قلبه عليه، ويحاول التعرف على أى مكان يكون فيه، ويقول في ذلك شعراً حزيناً تواتر في هذه الفترة، يقول:

بكيتُ على زيد، ولم أدر ما فعل
أحيٌّ فيرجى.. أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدرى، وإنّى لسائل
أغالك بعدى السهل، أم غالك الجبل
ويا ليت شعرى، هل لك الدهر أوبة
فحسبى من الدنيا رجوعك لى بعجل
تُذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا غربها أفل
وإن هبَّت الأرواح، هيجن ذكره
فيا طول ما حزنى عليه، وما وجل
سأعملُ نصَّ العيس في الأرض جاهدا
ولا أسأم التَّطواف، أو تسأم الإبل
حياتى، أوتأتى إليّ منيتى
فكل امريء فان، وإن غرَّه الأمل[٤]

ولما كان الشعر يُبَثُّ على كل فم في الجزيرة العربية، فإن هذه الأبيات الدامعة تصل الى زيد، فلا يملك إلا أن يرد عليها بقوله:

أحنُّ إلى أهلى، وإن كنت نائياً
بأنى قعيدُ البيت عند المشاعر
فكفُّوا من الوجد الذى قد شجاكم
ولا تُعملوا في الأرض نصَّ الأباعر
فإنى بحمد الله في خير أسرة
كرام معد .. كابراً بعد كابر

فهو يتمنى أن ينعم في المناخ الذى يعيش فيه، ويرجو أن يكفَّ البحث عنه، ولكن لهفة الأب لم تكن تقدر على هذا، فقد واصل التقصى مع شقيقه عن هذا الفتى المخطوف من وطنه



بقلم : أ . د . عبده بدوي
- مصر -



وأسرته حتى اهتديا إلى مكانه عند الرسول، وهنا قالا بلهفة: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم جيران الله، تفكون العانى، وتطعمون الجائع، وقد جئناك في ابننا عبدك، فتحسن إلينا في فدائه، فقال عليه السلام: ادعوه، ويُخَيَّرُ بما تريدان، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارني أحدا.

فلما جاء زيد، قال الرسول: خيرتك إن شئت ذهبت معهما، وإن شئت أقمت معي، فردَّ في لهفة، بل أقيم معك، فيعجبُ أبوه لأنه اختار العبودية على أبيه وأمه وعمه وبلده وقومه ولكن الفتى يبالغ في إظهار ولائه، فيأخذ الرسول بيده، ويقوم به إلى حيث يكون الملأ من قريش ويقول: اشهدوا هذا ابني وارثاً وموروثا، فتهدأ أنفس الأب والعم والابن، وتهبُّ على مكة مقدمات رسولية، ويعيش زيد مقرباً، ويعرف باسم «زيد بن محمد»، وحين يصبح صالحا للزواج، يختار له ابنة عمته أميمة - أو أمية - ومع أن «زينب بنت جحش» وافقت على الزواج احتراماً لرأى الرسول، إلا أنها ضاقت بهذا الأمر نفسيا، وكان أن تعالت على زيد باعتبارها قرشية وهو من الموالى، وقد احس زيد بتبرمها بالحياة معه، وتطاير المودة والسكن من العش الجديد، وتدور الأحاديث حول الطلاق، وحول أن العرب كانوا لا يتزوجون من مطلقات أبنائهم بالتبنى، وقصر المنع على مطلقات الأبناء من الأصلاب، ويكون أمر الله «ادعوهم لآبائهم»، ويعرف زيد باسم زيد بن حارثة[٥] وبعد الطلاق يكون الزواج من الرسول ولسنا بحاجة الى ما ذكره بعض المستشرقين في هذه القضية، فهى ابنة عمته، ولم يكن بحاجة الى أن يعجب بجمالها بعد زواجها من زيد، وقد تكفل بالرد على هذا الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه محمد عليه الصلاة والسلام، ويكفى أنه الصحابى الوحيد الذى ورد اسمه في القرآن الكريم [٦]، المهم أنه عاش ابتداء في بيت الرسول، وأن الرسول كان دائم التقدير له، فقد كان في مقدمة سيوفه لنُصْرة الإسلام، وما أكثر السَّرايا التى شارك فيها، وكان أميراً بها ولقد كانت غزوة مؤتة آخر الغزوات التى شارك فيها، والتى قدم على كل الأمراء، فقد أخذ اللواء، وقاتل بجسارة وإيمان حتى قتل طعناً بالرماح[٧] وحين علم الرسول عليه الصلاة والسلام دعا له، وقال «استغفروا لأخيكم فقد دخل الجنة وهو يسعى»[٨] وحين رأى ابنته بكى حتى انتحب، وحين رأى هذا سعد بن عبادة قال معلقا «هذا شوق الحبيب الى الحبيب».

فكما عاش مُخْتَطفاً في الحياة، كان لا بُدَّ من اختطافه الى الجنة، ليظل واحداً من أحب الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام، واذا كان لم يحفظ له الكثير من الشعر، فقد حفظ له الكثير في الجسارة والبطولة من أجل الإسلام.

الهوامش:

(١) العقد الفريد ٩/٢

(٢) سيرة أعلام النبلاء للذهبى ص ٢٢٣.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٤/١.

(٤) نفسه ٢٦٥/١.

(٥) فلما قضى زيد منها وطرا، زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، وكان أمر الله مفعولا (الأحزاب/٣٧).

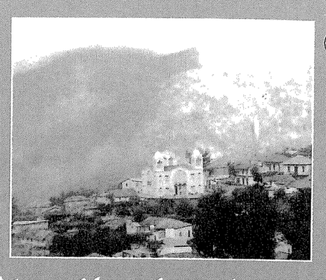
(٦) نفسه، وفي ابن هشام ان الرسول آخى بين زيد بن حارثة، وحمزة بن عبد المطلب عمه - الدرر في اختصار المغازي والسير. ابن عبد البر، تحقيق شوقى ضيف ص ٩٧.

(٧) قتل زيد بن حارثة الأمير الأول، ملاقيا بصدره الرماح، مقبلا غير مدبر، والراية في يده، فأخذها جعفر بن أبى طالب، الدرر لابن عبد البر، تحقيق د. شوقى ضيف ٢٢٣ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢٢٩/١، صحيح البخارى ٦١١/٢.

مجلة السائح العدد (١١٧)

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقرئ
الملامح ويرسم اللوحة



قبرص

بلد الجبال والبحر

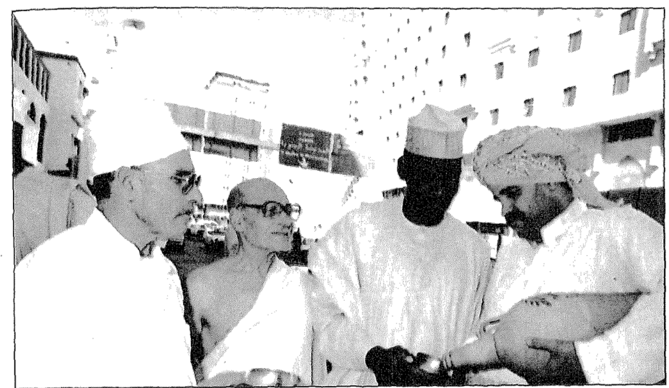


جولة فى وسط أمريكا

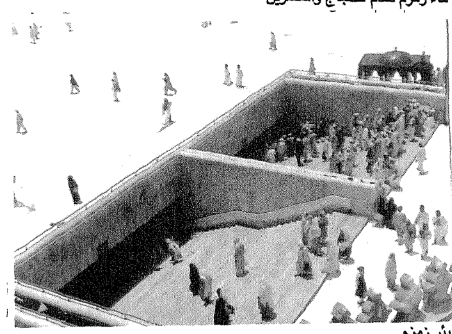
السائح

Shaaban, Ramadan 1420 H -- Nov - Dec, 1999 C

زمــزم المباركة



ماء زمزم تقدم للحجاج والمعتمرين

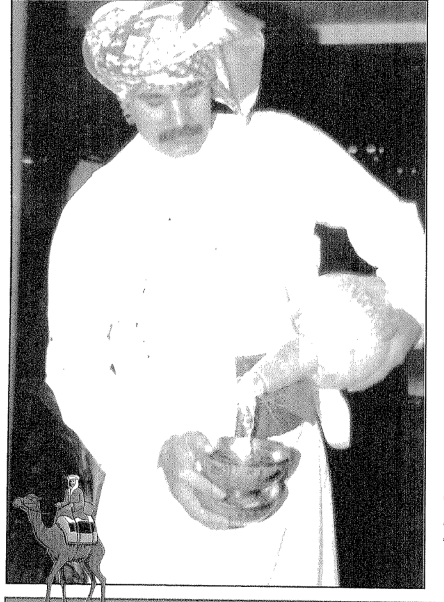


بئر زمزم

ما بين الصفا والمروة، كانت السيدة هاجر تسعى، بحثاً عن ماء يُطفىء ظمأ طفلها الذي أخذ منه العطش مأخذا.. كانت تصعد الجبل وتهبط الوادي وتصعد الآخر، لعلها تجد أثراً لطير أو بشر أو حتى حيوان.

وتقضي إرادة الله سبحانه أن يتفجر الماء من تحت قدمي طفلها اسماعيل عليه السلام.. انه ليس ماء ككل المياه.. إنه ماء مبارك، انه طعام طعم وشفاء





سقم.. إنه ماء زمزم.

لقد ظل هذا البئر (بئر زمزم) يتدفق ماء مباركا منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا والى ما يشاء الله أن يتدفق.. بل من السنّة للزائر والمعتمر والحاج أن يشرب منه بل (ويتضلع من مائه) حسب تعبير الفقهاء.. وأن يتوضأ ويغتسل منه مع صدق النية فان فيه كل الخير.

وظل بئر زمزم مكان عناية أولي الأمر لتوفير الماء لراحة الحجاج والمعتمرين والزائرين لبيت الله الحرام.

وبلغت العناية به حدّها في عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ورعاه، فقد هيأت حكومة خادم الحرمين الشريفين ماء زمزم مبرداً وسهلا للحجاج والمعتمرين والزائرين، ومن خلال ٧٣٣ صنبوراً، بالإضافة الى البرادات الموزعة في جميع أنحاء الحرم المكي والمدني، ويبلغ عددها اكثر من ٨ آلاف براد في كل من شهر رمضان وموسم الحج، ومن ضمن التطويرات في ماء زمزم إقامة مدخل للرجال ومدخل للنساء.

ويتم تبريد ماء زمزم في محطة خاصة أمر خادم الحرمين الشريفين بإنشائها وهى مجهزة بأحدث التقنيات اللازمة لتوفير الماء بالكميات الكافية، من خلال أنابيب عالية التقنية ليظل ماء زمزم نقياً من الشوائب.

جولة في وسط أمريكا

مشاهدات وانطباعات (٢)

في شيكاغو:

بعد التجوال في مدينة نيويورك وضواحيها الجميلة ومعالمها الحضارية وميادينها الرحبة وهى قلب الحضارة الغربية النابض حزمنا أمتعتنا وأخذنا السيارة الى المطار حيث انطلقنا نحو شركة «تي دبليو. اي» للإقلاع الى مدينة شيكاغو وبعد إنهاء الاجراءات اتجهنا الى باب الخروج الى الطائرة وركبنا متن الرياح وتقلع بنا الطائرة الى شيكاغو وتستغرق الرحلة زهاء ساعتين ونيف وكانت نظرتي إلى هذه المدينة مليئة بالمخاوف والأوهام لكثرة ما سمعته وقرأته عن عدد الجرائم التى عرفت بها والخوف في هذه المدينة من أمور الحزم كما قيل لي «وكفى بالله حافظا وحسيبا» وسرعان ما هبطت بنا الطائرة وكان الابن ماجد على سلم الطائرة في استقبالنا ودخلنا المطار الذي يموج بأفواج من البشر ويعد مطار شيكاغو من أزحم المطارات العالمية لكثرة عدد الطائرات التي تقلع منه وتهبط فيه والتي تموج بين أرجائه حيث تسمع زمجرتها فهو أعظم مطار في العالم وقد اكتظ بالمسافرين فهو مطار رحب فسيح ولقد سبق لي أن مررت بهذه المدينة منذ سبعة وعشرين عاما في طريقي للدراسة بجامعة أوكلاهوما مما ذكرني بقول القائل:

يا موطن الخصب ألا عدت ثانية
سقى زمانك هطال من الديم

ولقد كنت شديد الرغبة في رؤيتها وإلى إمتاع البصر بمعالمها الجميلة وبعد استراحة في الفندق انطلقنا نسعى في أرجائها وكان الجو منعشا لا حر فيه ولا قر نتأمل هذه الجموع الحاشدة من سكانها إذ تمر بك ألوان وأشكال على اختلاف أصنافها وأنواعها وإذا ألقيت نظرة عليها طالعتك ناطحات السحاب الشامخة العملاقة ولقد امتلأت شوارعها وميادينها بالبشر والسياح أحس بينهم كما قال المتنبي:

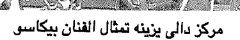
ولكن الفتى العربي فيهم
غريب الوجه واليد واللسان

وتعتبر مدينة شيكاغو التي أسست عام ١٨٠٠م من أعظم المدن الأمريكية بعد نيويورك.. وتربط بين الشرق والغرب الأمريكي وبالرغم من تدميرها نتيجة احتراقها سنة ١٨٧١م عادت بحجم أكبر ونشاط أوسع ومعظم سكانها من أصول أوروبية من شرق أوروبا وايرلندا وايطاليا.. إن شيكاغو هي أكبر مدن ولاية «ألينوي» ذات المزارع الواسعة والبحيرات الطبيعية التى تتجمع من مسايل الأمطار، وسوق البورصة يمثل ثلث حجم مبيعات العالم في النواحى الزراعية والصناعية ونزلنا في وسط المدينة نتجول في أرجائها وهناك في الحي التجارى في قلب المدينة توجد مراكز اكبر الشركات الأمريكية وتوجد ثاني أطول عمارة في العالم «سيرز تاور» وهي بعد بناية الاتصالات في ماليزيا - وتتألف من ١١٠ طوابق ويبلغ ارتفاعها ٤٥٠

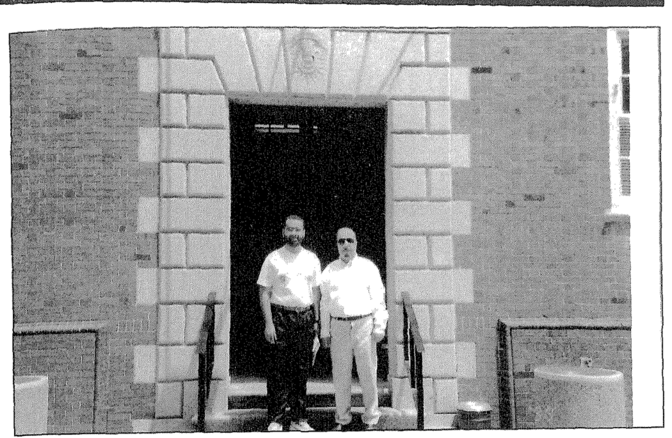
بقلم: عبد الله بن حمد الحقيل
امين عام دارة الملك عبد العزيز - سابقا -

مدينة شيكاغو

قـدمـا ويزورها مـلايين السـيـاح من داخل أمـريكا وخارجها وقد أنشئت في عام ١٩٧٣م ويعمل فيها اكثر من ١٦٠٠٠ موظف وبها ٣٢ مصعدا ويعتبر هذا البرج من معالم المدينة وتتجمع حولها عمارات شاهقة اخرى ودخلنا الى هذا البرج مع جموع كبيرة وأخذنا تذاكر الصـعـود الى الدور ١١٠ بحـوالي ثمـانيـة دولارات للشخص دخلنا في البداية الى صالة عرض سينمائي عـرضت تاريخ المدينة في فيلم وثائقي ثم مـشـينا في ممرات منظمة الى المصاعد واذكر ان رحلة الصعود أو الهبوط تستغرق حوالى السبعين ثانية فقط!! ومن هناك رأينا مـعالـم المدينة بوضوح، مكثنا هناك قرابة الساعة ثم هبطنا وتوجـهنا الى سيـارتنا التى قـضـينا قـرابة السـاعة نبحث عن موقف لـهـا في مـواقف المدينة التي كانت احيانا تكلفة الوقوف فيها لساعات تماثل اجرة غرفة في فندق ٥ نجوم هذا مع صـعـوبة وجود الموقف



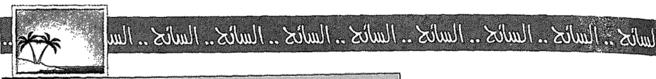
مركز دالي يزينه تمثال الفنان بيكاسو



الاستاذ عبدالله الحقيل مع ابنه

وندرته في قلب المدينة واخذنا نتجول في شوارع وسط المدينة تارة بالسيارة أو نذرعها سيرا على الاقدام وقد سمعنا ان هناك بناية جديدة يجري تشييدها وستكون اعلى برج في العالم، ثم قمنا بزيارة لمتحف العلوم والاطفال الذي تشتهر به هذه المدينة لما يوجد فيهما من تعريف بالحضارات القديمة والحديثة والعلم والتقنية، ثم ذهبنا الى المركز الاسلامي الذي تأسس عام ١٩٤٠م ولمنطقة كنزي التي تشتهر بالمحلات العربية والإيرانية، ثم انطلقنا نجوب معالمها ونهرها الجميل وكلما شاهدت الأنهار في اي مدينة تذكرت قول احد القدماء من الحكماء: «لا تسكن في بلد ليس فيه طبيب ولا نهر جار ولا خباز» فرحم الله آباءنا وأجدادنا الذين عاشوا في بلداننا رغم قسوة الحياة وصعوبة حياة الصحراء وشاهدنا الكثير من معالم الحياة الامريكية والزوارق وتدير شركات سياحية سفنا سياحية تحمل الواحدة منها مئات الركاب وصعدنا فيها حيث تجولت بنا في عرض النهر بين أحياء هذه المدينة وقد كانت نزهة ممتعة بين ركاب من جميع الأجناس والالوان وقد كان في المدينة وعلى ضفاف البحيرة مهرجان حضرناه اسمه (Taste Of Chicago) أو مذاق شيكاغو حيث تجتمع عشرات الجنسيات وتعرض مأكولاتها وقد كنا هناك بين مئات البشر من جميع الجنسيات المهاجرة من الشرق والغرب وهناك تشعر بحقيقة شيكاغو حيث تزدحم فيها جميع الجنسيات وعلى جوانب الشارع تجمع مهرجون يبيعون البالون وعدد من قراء الكف والفنجان والخزعبلات وقد ارتادهم عدد من الفارغين يتأثرون ويصدقون ما يقولون - وكذب المنجمون ولو صدقوا - .

ومن الممتع أن يكتشف المرء هذه المدينة الكبيرة من خلال السير في شوارعها وأحيائها ونظام النقل السريع حيث يتدفق في الصباح أصحاب الاعمال الى وسط هذه المدينة بالقطارات والحافلات والسفن فهناك مد منتظم من القادمين من خارج المدينة للعمل بها كما انها مليئة بالاحداث في كل وقت وفي شارعها الرئيسي




مدينة شيكاغو

«ميتشقن افينيوا» تتجمع المتاجر الفخمة والانيقة ومجموعة من الماركات العالمية والبنايات التي تلفت النظر وخلال التجوال في المدينة وجدنا مطعما سعوديا هو الطازج فابتهجنا بهذا المعلم السعودي والاقبال الكبير عليه وفي صباح الاثنين ١٤/٣/١٤٢٠هـ الموافق ٢٨/٦/١٩٩٩م أفطرنا على عجل وحزمنا حقائبنا ونزلنا الى إدارة الفندق للمحاسبة ثم نودع مدينة شيكاغو وامتطينا سيارتنا متوجهين الى المدينة التى يدرس فيها الابن ماجد والتي هي مقر «جامعة الينوي» شامبين، وواصلنا السير وسرنا عبر طريق مرقوم رقم ٥٧ والطرق في امريكا مسماة بأرقام تعينها وتحددها إذ ان الارقام الفردية تتجه شمالا وجنوبا بينما الارقام الزوجية تتجه شرقا وغربا وما عليك إلا أن تخرج الخريطة وتحدد المكان الذي تبتدىء منه والمكان الذي تريد ان تنتهي إليه وتقف على ارقام الطريق أو الطرق الواصلة بينهما وبهذا يصل الانسان الى غايته دون مرشد أو دليل ودون حاجة الى السؤال فالخرائط متوافرة في مكاتب الاستعلامات ومحطات الوقود المنتشرة على طول الطرق، خرائط واضحة ومرقمة والطرق يجد فيها المرء ما يمتعه ويشاهده من مناطق جميلة واماكن سياحية واستراحات. لقد انطلقنا عبر الطريق ٥٧ واخذنا طريقنا نحو «شامبين» وقد حددت سرعة السيارات بحيث لا تتجاوز ٦٥ ميلا في الساعة نحو ١١٠ كيلا في الساعة ويلتزم المسافرون في هذه الطرق السريعة بهذه السرعة المحدودة كما يوجد في كل طريق سريع إذاعة خاصة به وفي زوايا هذه الطرق السريعة توجد سيارات رجال المرور الذين يراقبون حركة المرور وبسرعة خاطفة يتم ايقاف السيارة المسرعة.. وتوجد على جوانب الطريق مناطق جانبية معدة لنزول المسافرين للراحة والاستجمام ويطلق عليها (Rest Area) مناطق استراحة حيث يجد المسافر وسائل الراحة والوجبات الخفيفة والشاي والمثلجات لقد كان الطريق الذى نسلكه تنتصب على جوانبه المناظر الخضراء والبحيرات والمزارع والقرى والحقول الواسعة ولهذه الطرق ضريبة ورسوم للمرور عليها فلابد من التوقف قليلا عند مداخل الطرق والجسور ومخارجها لدفع رسوم المرور فلقد توقفنا ثلاث مرات امام أكشاك

صغيرة متعددة وقفنا بجوارها. وفي بعض الاماكن نضع الرسوم بدون عامل «اتوماتيكيا» وترتفع بوابة الخروج أوتوماتيكيا وتتم هذه الاشياء في لحظات والرسوم من دولار الى نصف دولار وتؤخذ هذه الرسوم حسب المسافات التى قطعتها السيارة وتبعا لطول المسافة وقصرها تدفع الرسوم كما لاحظت ذلك في عدة ولايات مررنا بها والهدف من ذلك تمويل وإصلاح هذه الطرق وتلك الجسور وتعبر هذه الطرق مئات الالوف من السيارات. لقد قطعنا الطريق خلال ثلاث ساعات حيث توقفنا في تلك الاستراحات نلتقط الصور ونستجلى النظر ونقلب الطرف في تلك المناظر الجميلة والهضاب البديعة والاودية السحيقة على حد قول الشاعر:

ترى الهضاب تعالى الله سامقة
ما إن يرى مثلها في الكون أشباه

حيث يمد المرء طرفه نحو هذه المناظر فما أعظم صنع الخالق جل وعلا وأخيرا وصلنا بلدة «شامبين» دون أن نحس بالتعب حيث كانت أنظارنا مشدودة الى مفاتن هذه الطبيعة حيث الاشجار والانهار والبحيرات ومزارع القمح والذرة كما قال الشاعر العربي:

واد اغن سرى النسيم بارضه
مترقرقا بندى النمير الصافي

ونزلنا ببيت الابن وهي دار أنيقة ذات طابقين على ضفاف بحيرة وبقينا في المنزل تلك الليلة حيث كنا تعبنا في نهار ذلك اليوم وبعد صلاة العشاء والاستماع للأخبار كان نومنا عميقا وفي الصباح نهضنا وصلينا وافطرنا ثم استرحنا قليلا واتفقنا على أن يكون تجولنا هذا اليوم مقتصرا على معالم هذه المدينة مبتدئين بزيارة المركز الاسلامي الذي يحتوي على مسجد كبير الحق به قسم للنساء ودورات مياه ومكتبة ومكتب اداري وقد رحب بنا امام المسجد وادخلنا مكتبه وبدأنا التعارف وعرفنا من خلاله بعض أعمال المركز والجالية الاسلامية التي تتكون من العرب والباكستانيين والهنود والاندونسيين والأتراك والأفريقيين وعدد من الأمريكيين الذين دخلوا في الاسلام وقلت له ان عليكم ان تبذلوا جهودا اكثر في الدعوة الى الله وخلال بقائنا في هذه المدينة كنا نتردد على المركز لاداء الصلاة والمذاكرة والنقاش حول الامور الاسلامية وأهمية تعريف المجتمع الامريكي بتعاليم الاسلام ودعوتهم اليه بالحكمة والموعظة الحسنة وتصحيح مفاهيمهم عن الأمة الاسلامية والعربية ثم ذهبنا الى معالم المدينة. الحضارية وتجولنا حولها وتنقلنا بالسيارة لجهات متعددة والتعرف على معالمها ومعارضها والاماكن السياحية والتجارية والحدائق العامة والمزارع الواسعة وهناك لا ترى أديم الارض فالأرض مغطاة بالخضرة ولهذا لا تتسلل الى البيوت ذرات الغبار حيث إن الارض مكسوة بهذه الخضرة التى لا تفارق مواقع العين وعلى حد قول القائل:

الأرض قد كسيت رداء اخضرا
والطل ينثر في رباها جوهرا

والانطباع الذي اخذناه عن هذه المدينة التي تقوم على جامعتها العريقة وهي تتكون من «أربانا» و«شامبين»، «سافوي» هو جمال مبانيها وسعة شوارعها ومبانيها مجمعات متكاملة كل مجمع يحتوي على مرافق متعددة وكل فيلا مكونة من دورين وهي فسيحة الأرجاء وأسواقها منفصلة عن المنازل واللافت احترام النظام وحب الهدوء والرياضة والمشي والمحافظة على النظافة والحدائق والاشجار:

بلد طيب وظل ظليل
شجر ضاحك ونهر بديع

وتوجد بحيرات بجوار كل مجمع سكني وهي بحيرات واسعة كما توجد طرق للمشاه وأخرى لهواة الدراجات الهوائية ولقد وقفنا عند تلك البحيرات خلال تجولنا والتقطنا صوراً جميلة على شاطئها والتي تزين المدينة وقد حوتها الورود والازهار، إنها كنز حفيل



وخضرة طبيعية خلابة وقد طلبت من الابن ماجد ان أرى بلاد «الامش» على بعد ٤٠ ميلا وذهبنا لمناطقهم حيث دخلنا منطقة من الريف الزراعي المعمور وابنية سكنية من طابق واحد ومن طابقين وامتد الطريق يسير في سهل زراعي وهم قوم يرفضون كل جديد ويمتهنون الزراعة ولا يستخدمون الآليات الحديثة كالسيارة والكهرباء فمواصلاتهم عربات الخيل ويستخدمون الاشياء الطبيعية في مأكلهم وحياتهم وهم من الكاثوليك وقد نزحوا من اوروبا منذ ثلاث مائة سنة، ومنتشرون في مناطق كثيرة من امريكا مثل انديانا ونيويورك وبنسلفانيا وأولهم نزح الى امريكا عام ١٧٤٠م ولا يستخدمون السيارة أو المذياع أو التلفاز أو الهاتف. وقد سألت بعضهم عن صحة ذلك فقال: من الممكن استخدام تلك الاجهزة في حالة الطوارىء القصوى والامور الضرورية العاجلة، والإنارة لديهم مصدرها الغاز ويعمل الطفل عند بلوغه السادسة في الزراعة واطعام الخيل حتى تكبر مسؤولياته حين يتزوج فيعطى قطعة ارض ليحرثها ويعيش فيها ولا يلبسون المجوهرات ولا يستعملون الماكياج ويطلق المتزوجون منهم لحاهم وهذا يميز المتزوج عن غيره وقد رأيتهم يسيرون مجموعات على اقدامهم في يوم الاحد وقد عادوا من الكنيسة ويتعلم اولادهم الى المرحلة المتوسطة أو الثانوية ويقدمون أكلاتهم الشعبية والمكونة من الدجاج والبطاطا المهروسة وفطيرة التفاح وغير ذلك من إعداد البيت ويستضيف البعض منهم الزوار مقابل أجر قدره عشرة دولارات ثم يتوجه للعمل ولا داعي لدخوله الجامعة وبعد جولة في تلك القرى والمزارع



ملعب سو لجرفيلد ووسط المدينة

والبيوت ورؤية هؤلاء وتقاليدهم رغم طول الطريق كانت المزارع تغطي الارض ومعظم الاراضي الزراعية منبسطة ثم عدنا أدراجنا بعد تمضية يوم حافل مفعم بالمناظر والمشاهد والذكريات ولله في خلقه شئون.

وبعد زيارة لمدينة شامبين وتجول في معالمها ومناطقها وجامعتها العريقة وبحيراتها الجميلة وطبيعتها الخلابة وأسواقها التجارية التي تحفل بكل انواع المنتجات والهدايا والتحف، كما تكثر بها المكتبات لوجود الجامعة بها ولعل اكثر ما يميز أهلها هو البشاشة ـ وبشاشة وجه المرء خير من القرى والترحيب الودود وتعاملهم اللطيف مع السائحين والطلاب مما جعلني اقول في قصيدة مطلعها:

يا حبذا أنت يا شامبين من بلد
وحبذا النهر والارياف والسمر

وبعد زيارة تلك المدينة، وبعد تمضية ايام ممتعة مفيدة في ربوعها، ودَّعت تلك الربوع مرددا قول الشاعر العربي:

بنفسي تلك الأرض ما اجمل الربى
وما احسن المصطاف والمتربعا

قبرص بلد الجبال والبحر

تعد قبرص من أكبر المراكز السياحية جاذبية في شرق حوض البحر المتوسط وهي تتمتع بطقس رائع وطبيعة خلابة وكرم ضيافة مبالغ فيه من أهلها الذين لا يستعملون كلمة «أجنبي» أو «غريب» بل يستعملون كلمة «ضيف» مما جعل نسبة كبيرة ممن يزورونها يقررون معاودة الحضور اليها.

ظلت قبرص التى تقع بين ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوروبا هدفا للقادمين اليها من زوار وتجار وقراصنة وغزاة، وأصبحت الآن هدفا للسائحين ورجال الأعمال.

يمتد تاريخ قبرص الى أكثر من ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث بها آثار تعود الى عصور ما قبل التاريخ، وفي القرن الثانى عشر قبل الميلاد جاء اليونانيون الى الجزيرة، ثم سيطر عليها الفراعنة والآشوريون والفرس والرومان وفتحها العرب وظلت بيدهم الى ان سيطر عليها الصليبيون ثم أعاد فتحها المماليك وظلت تحت سيطرتهم الى أن أخضعها العثمانيون لحكمهم، وفي العام ١٨٧٨ قام الإنكليز باستئجارها من العثمانيين، ليشرفوا منها على مصالحهم في قناة السويس.

وفي العام ١٩١٤ احتلت بريطانيا الجزيرة واعتبرتها من مستعمراتها الى أن استقلت العام ١٩٦٠.

ومعالم قبرص متعددة لا حصر لها وأبرزها:

نيقوسيا:

هي المدينة العريقة الواقعة في قلب الجزيرة، وعاصمتها منذ القرن الثاني عشر بعد الميلاد، ويبلغ عدد سكانها ١٥٠ ألف نسمة، وهي تتكون من نيقوسيا القديمة التى يحيطها سور المدينة الفينيقى القديم المبنى في القرن السادس عشر، وشوارع المدينة ضيقة تحوى مبانى تراثية ومتاجر تعرض المنتجات الحرفية التقليدية، ومنها السلع النحاسية والفضية ذات الطابع الشرقى الجميل. ومن أهم معالم نيقوسيا القديمة القصر الكبير، والواقع الى جوار كاتدرائية القديس يوحنا والمتحف البيزنطي. ويوجد في نيقوسيا ٢٥ فندقاً من مختلف الدرجات.

ولا يستطيع زائر نيقوسيا مغادرتها دون مشاهدة المتحف القبرصى وما يحويه من نفائس من بينها تمثال أفروديت إلهة الحب والجمال، متحف الفنون الشعبية، بوابة فاما جوستا، والمركز القبرصي للصناعات اليدوية.

ليماسول:

تعد ليماسول ثانى أكبر مدن قبرص، ويزيد عدد سكانها عن ١٠٠ ألف نسمة، وهى في نفس الوقت أكبر ميناء بحرى في الجزيرة، والمركز التجارى الأول بها. حيث تم إنشاء مينائها الجديد الضخم بالاضافة إلى مرفأ لليخوت.

تطورت ليماسول في السنوات الأخيرة فأصبحت المدينة السياحية الأولى في قبرص، بما تحويه من فنادق ومطاعم، ومتاجر، وملاه، هذا بالاضافة الى الكرنفال والمهرجانات العديدة حيث لا يكاد يمر أسبوع خلال فصل الصيف إلا وتشهد المدينة مهرجانا جديداً بمناسبة عيد جديد.. فهناك عيد الزهور وعيد الفاكهة.

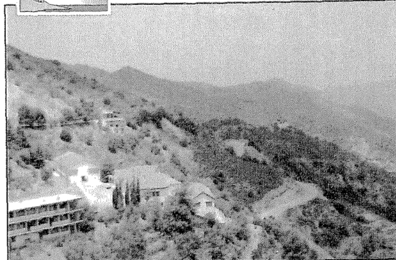
ويوجد في ليماسول العديد من المزارات السياحية، من أبرزها متحف الآثار، ومتحف الفنون الشعبية، والقلعة التى تم فيها عقد قران ريتشارد قلب الأسد العام

اعداد : د. خالد عزب
- مصر -

١١٩١ ميلادية، والتى أصبحت الآن متحفا للقرون الوسطى، ومعبد أبوللو.

لارنكا:

تعد لارنكا هي المدخل الرئيسي لزوار قبرص عن طريق الجو ففيها مطار قبرص الدولى الذى يربط الجزيرة بدول أوربا والشرق الأوسط، وهى مدينة عريقة ذات تاريخ قديم وتبعد عن العاصمة نيقوسيا ٥٠ كيلومترا ويبلغ عدد سكانها ٤٠ ألف نسمة، ويوجد فيها كنيسة القديس لعازر، وفيها الى جوار بحيرة الملح واحد من أهم الآثار الاسلامية في قبرص وهى تكية هالا سلطان. وبها قلعة أثرية، ومنطقة كيروكيتيا التى تحوي آثارا من العصر الحجري.

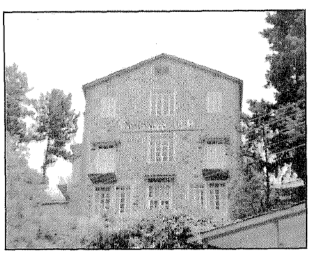

جبال هيرلوس فى قبرص


فيرولوس الطبيعة والجمال

الأماكن الجبلية:

تمتاز قبرص بأنها إحدى الأماكن القليلة في العالم التى تستطيع فيها أن تستحم في مياه البحر الدافئة وفي نفس اليوم وخلال أقل من نصف ساعة بالسيارة تستطيع ان تتمتع بالتزحلق على الثلوج في جبال ترودوس وقمتها أو ليمبوس التى ترتفع عن سطح البحر ١٩٥٠ متراً.

وجبال قبرص لا تقدم فقط الثلوج لرياضة الشتاء من كانون أول ديسمبر وحتى آذار مارس، بل إنها بطبيعتها الساحرة ونقاء وجمال هوائها البارد تعتبر جنة حقيقية لزوارها خلال بقية شهور السنة. وإنها الهدف الأول ليس فقط لعشاق جمال الطبيعة والاستجمام بل ايضا لعلماء النبات، والرسامين والفنانين وهي المكان الأمثل لإقامة المؤتمرات والاجتماعات. وتعتبر منطقة الجبال هذه وأبرز بادوليس جنة صغيرة على الأرض حيث الطبيعة الساحرة المغلفة بالرداء الأخضر كزينة الزهور وأشجار الفاكهة وغابات الأرز والصنوبر وشلالات المياه.


من الفنادق القديمة فى قبرص

الصورة البيانية في الشعر الأندلسي

بقلم: د. قرش عبد القادر
- جامعة الجزائر -

الصورة البيانية وعناصرها:

لقد تفنن الشاعر الاندلسي في عرض معانيه الشعرية في صوره الفنية، متأثرا بذوق عصره ممزوجا بذوقه الخاص. وقد كيّف نفسه مع أنماط الصورة الفنية، فظهرت في وضوح وجلاء في مختلف الأنماط، فاختار لتشكيل هذه الصورة ألوانا من التشبيهات، وانماطاً من الاستعارات، ونماذج من الكنايات، ونوّع في الصورة التشبيهية المركبة والمفردة والحسية والمجردة. ولم تكن الصورة الاستعارية عنده جامدة بل تنوعت طرق تشكيلها بين التشخيص والحوار لبث الحياة في الجماد وأضفى عليها جانبا من البديع ليحقق به الجمال الفني فتوسل بمختلف ألوانه، وإن غلب عليه الميل الى المطابقة التي تدل على مغايرة الواقع ودلالتها على رغبة الشاعر في تغيير ما حوله من أوضاع الى ما يقابلها من ظروف وأحداث. فأمدتنا الصورة بالمتعة الفنية والمتعة الفكرية في تناسق وانسجام. كما استعان الشاعر بالحركة واللون والحواس.

الصورة التشبيهية:

التشبيه لون من ألوان التعبير الجميل المؤثر تعتمده النفوس البشرية حينما يدعوها الى ذلك غرض أو آخر من الأغراض التي رصدها البلاغيون القدامى والمعاصرون، فرسخوا بخصوبتها آفاقه الرحبة التي اتسعت لفئات الأمة وطبقاتها لتحقيق مآربهم الفكرية وخلجاتهم الشعورية ومقاصدهم اليومية[١].

وهذه الأغراض تتعلق في مجملها بركن المشبه وهي:

١ - بيان حال المشبه وذلك حين تكون صفة المشبه به معلومة وصفة المشبه مجهولة فيساق التشبيه لتمكين المخاطب من ادراك حال المشبه.

٢ - بيان مقدار حال المشبه وتجسيد قوته وضعفه وزيادته ونقصه وسُموّه وانخفاضه الى غير ذلك من الصفات التي تخضع للمقاييس والتحديد.

٣ - تعزيز حال المشبه، ويتحقق هذا الغرض بتوضيح حال المشبه في ذهن السامع وتمكينها من خاطره وذلك عندما تشبه الأمور المعنوية بالحسية المشاهدة عيانا والمتخيلة تحققا.

٤ - تجسيد حال المشبه والترغيب فيه وذلك عن طريق الموازنة بينه وبين المشبه به ليستحسنه المخاطب.

٥ - تقبيح حال المشبه والتنفير منه.

وقد اهتم العرب بالتشبيه كأداة للبيان تبرز الصفة الغالبة في المشبه أو المراد تغليبها عن طريق محاكاته أو تشبيهه ومقارنته بشيء آخر، وبهذا يكون دور التشبيه التعبيري هو نقل الصفة أو الصورة من

الأكثر الى الأقل في الأغلب. وهو ضرب من المحاكاة في صور الشاعر لما يريد التعبير عنه من المعاني عن معادل حسي من الطبيعة أو البيئة المدركة بالحس.

والصورة الشعرية تتفاوت بين مدركات الحس ومدركات العقل أي تتفاوت في الاعتماد على الحس أو التصوير الحسي القريب، أو في الاعتماد على التجريد العقلي. والتشبيهات فيها مادة غزيرة للكشف عن جوانب الحياة والطباع ومظاهر السلوك والنشاط الانساني، فضلا عن المشاهدات الغنية للطبيعة التي تعطى تجربة معينة.

ومن خلال التشبيهات نقع على أسرار كثيرة للشعراء ومظاهر نشاطهم، اذاً فهي تكشف عن بيئة الشعراء وتقف على أسرار الحضارة وجوانبها المختلفة من تقاليد وعادات وأذواق وسلوك وأخلاق.

والتشبيه هو علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال، وهذه العلاقة قد تستند الى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة أو في أكثر من الصفات المحسوسة[٢]، والمشابهة بين الطرفين سواء كانت قائمة على أساس حسي أو معنوي، فالعلاقة الرابطة هي علاقة مقارنة.

والتشبيه هو اخبار بوجود الشبه الذي هو اشتراك الطرفين في صفة أو أكثر، ويقوم على ملاحظة نوع من النسبة المنطقية بين الأطراف، أي أن طرفي التشبيه لا تتداخل معالمها، والمظهر العملي لهذا التمايز هو أداة التشبيه فهي الحاجز المنطقي الذي يفصل بين الطرفين ويحفظ لهما صفاتهما الذاتية المستقلة حتى ولو حذفت الأداة فان افتراضها يظل قائما[٣] والتشبيه على عكس الاستعارة التي تلغي الحدود بين الطرفين.

طبيعة التشبيه ودوره في تشكيل الصورة:

هو ثمرة مخيلة الانسان التي يغذيها تباين النفوس ويشبعها اختلاف البيئات ويلونها تجديد التجارب[٤]. وقد انتبه (علي الجندي) الى طبيعة التشبيه فتحدث عن المصدر الحقيقي المتفجر بالتشبيهات الأصيلة فقال: (ان التشبيه مبني على ما تلمحه النفوس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها.. وهو في الواقع عملية أساسية في التفكير)[٥].

وقال عبد القاهر الجرجاني عن التشبيه بأنه قياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتستفتي فيه الافهام والأذهان لا الاسماع والأذان[٦].

والبراعة في التشبيه اقترنت بالتفطن الى العلاقات الخفية بين الأشياء ورصدها[٧]، فبراعة الشاعر عند عبد القاهر تشتمل في ايقاع الائتلاف بين الأشياء المختلفة ولكي يصل الشاعر الى هذا الائتلاف لابدّ أن يكون حاذقا دقيق الفكر لطيف النظر لأن ايقاع الائتلاف بين المختلفات في الأجناس انما يقوم على مشابهة لها أصل في العقل بيد أنها خفية لا يستطيع أن يصل اليها الا الخاصة ممن تقوى عندهم ملكات الفكر والتصور والاستنباط[٨] فالبراعة تتوقف على القدرة الذهنية، والتخيل عند الشاعر والجهد المبذول ليقف على حقائق الأشياء التي يصفها ويتعرف عليها ويكون في ذلك أثر من نفسه فيتأثر ويؤثر فبمجرد أن يكون الانسان على علاقة بشيء فانه يتولد لديه انفعال ازاءه، فيحدد المشاعر والانفعالات التي تربطه بذلك الشيء[٩]، والشيء الذي يضطر الشاعر الى التشبيه هو الحاجة الى التعبير عن العلاقة بين الأشياء والعلاقة بين الأشياء والمشاعر[١٠]، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه تفاعل الذات الشاعرة مع الموضوع أي تفاعل الذات مع العالم الخارجي وقدرتها على تعديل هذا العالم واعادة تشكيله. ويبدو أنه كلما كان التباين بين الطرفين بينا كان تأثير التشبيه في النفس قويا. ومن هنا لابد من تأكيد دور الأديب في صناعة التشبيه والتماس حالته النفسية وذوقه وبيئته الخاصة في الكيفية التي أخرج عليها تشبيهه[١١].

وتكمن بلاغة التشبيه في مضاعفة قيمة المعاني وتحريك النفوس الى المقصود بها. وقد نرى ما يحصل للنفس من الانس باخراجها من خفي الى جلي كاخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته كالانتقال من المعقول الى المحسوس[١٢]، والتشبيه كما يقول أحمد مطلوب بأنه حدث لغوي وعملية ذهنية عمادها طريق التخييل في تصوير تجربة الشاعر[١٣].

ومن هنا تتضح حقيقة التشبيه بأنه صورة شعرية والنظر اليه يكون من خلال مفهومها فلا ينظر الى التشبيه من خلال كل حقيقة اذا كانت مجردة أو حسية وانما من خلال عملية التقريب والجمع بحدّ ذاتها ومع موقع هذا الجمع داخل السياق العام وما يمكن للعلاقة الجديدة المستحدثة، ان تولد من ايحاءات ومدلولات[١٤]، فطبيعة الصورة المثبتة في المشبه به هي التي تحدد ميولنا تجاه المشبه وذلك لأنها تمثله أمامنا وعلى أساس هذا التمثيل ينظر اليه، ومن هنا يتضح لنا بأن العملية كلها تدور حول وجه الشبه الذي يشترك فيه طرفا التشبيه، وقد قال البلاغيون بأن الشيء يشبه بالشيء في أمور كثيرة منها ما هو من البيئة أو الحياة الاجتماعية أو الحالات النفسية ويشبه أيضا بالصورة والشكل والحركة والفعل واللون والطبع[١٥]. ووجه الشبه في حقيقته الفنية هو ثمرة لأحساس الاديب بما يجمع المشبه الذي له معه تجربة مخصوصة مع المشبه به الذي يثير في نفسه ووجدانه ما يفيض في تشبيهه تماسكا عاطفيا وتجاوبا شعوريا بين طرفيه[١٦]، ووجه الشبه امّا أن يكون بينا لا يحتاج الى تأويل واما أن يكون محصلا بضرب من التأويل. والتأويل مساحة شاسعة من التأمل والتدبر يجول فيها الفكر ويرودها التبصر بحرية، وهذه المسألة الفكرية التأملية تظهر أكثر في التشبيه البليغ الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه وفي التشبيه الخيالي والتمثيلي والتركيبي، وسيتضح كل ذلك من خلال دور التشبيه في خلق الصورة الأندلسية والاتجاهات التي توسل بها الشاعر في فترة البحث.

دور التشبيه واتجاهاته في تشكيل الصورة الأندلسية:

١ ـ الاتجاه التوضيحي الافهامي:

تنحصر أبعاده بما يمكن أن يوضح من مزايا المشبه، ويمكن أن نسميه بالصورة المفردة أي ما يكون فيها التشبيه حاصلا باعتبار صورة بصورة أو معنى بمعنى والشاعر فيه لا يقوم بمجهود تصويري خلاق بقدر ما يتولى تنبيه القارىء الى زوايا نظر جديدة تعوّض فيها الصورة الموصوف[١٧]، لأن الشاعر انتقل من نقطة الى نقطة في نفس العالم، كأن يصف محسوسا بمحسوس أو يصف مجردا بمجرد[١٨] كقول ابن حمديس يصف خيل الأمير ويعدّد أوصافها.

أو أشعل كالسيد عرّض سابحا
فحسبته بالايطلين غزالا
أو ادهم كالليل اما لونه
فلكم تمنى الحسن منه خيالا[١٩]

ونورد مثالا آخر لابن عبدون يصف فيه السيوف يقول:

فيوردها ظماء وهي ماء
ويصدرها رواء وهي نار[٢٠]
ويقرضها اعاديه لجينا
وترجع وهي لو سلمت نضار

فهو يشبه السيوف في نصاعتها وبياضها بالماء قبل أن تسلط على الأعداء، ولما تُسلط عليهم يشوبها لون الدم فتصبح شبيهة بالنار في اللون وكأن هذه السيوف تكون عطشى لتكرع من دم الأعداء فترتوي ثم يعوّض هذه الصورة بصورة أخرى للتوضيح والافهام، فيقول عندما يسلطها على أعدائه فلونها يكون شبيها باللجين الأبيض ولما ترجع تصبح شبيهة بالذهب

الأحمر. وهذه الصورة نقلها من بيت ابي الشيص:

فــاوردها بيــضــا ظمــاء صــدورها

وأصـدرها بالري الوانهـا جـمـر[٢١]

وكذلك نورد قول الشاعر ابن صارة وهو يُسْتَدْعَى الى مجلس أنس يقول:

لا تدعني في كف الزمــان ســدى

كالقوس عطلها الرامي من الوتر[٢٢]

وقـد تلين الليـالي بعـد قـسـوتهـا

ويسـمح الورد بعـد الشـوك بالزهر

وقوله أيضا في صورة تشبيهية أخرى مصدرها الانسان والطبيعة:

وبســتـان ورد في مطارف سندس

يرف على غـيـد السـوالف ميّـد[٢٣]

نظرت اليــه في الكمــام فــخلتــه

نوائب تبــر عــمّــمت بزبرجــد

ومن الصور التوضيحية التي يلجأ فيها الشاعر الى التفصيل في اللون والاصباغ ما تراه عند ابن خفاجة في وصف فرسه الأشقر:

وأشــقــر تضــرم منه الوغى

بشــعلة من شــعل البــاس[٢٤]

مـن جـلـنـار نـاضــر لـونـه

وأذنـــه مـــن ورق الآس

يطلـع للغــرة فـي شـــقــرة

حــبــابة تـضــحك فـي الكأس

ونجد صورا كثيرة في وصف النارنج من حيث لونه وشكله وأغصانه يقول ابن صارة الشنتريني:

أجمـر على الأغصـان زادت غضـارة

به أم خـدود أبرزتهـا الهـوادج[٢٥]

وقـــضب تثنت أم قـــدود نـواعـم

أعـالج من وجـدي بهـا مـا أعـالج

ويقول عن شخص مهفهف يختال في ابراده شبه خفقات جوانحه بحركات جفونه فالصورة فيها ابداع وجمال وقد استخدم لها أداة التشبيه الفعل، حاكيت، يقول:

وعــاينت في مـــرآة وهمي خـــدّه

فحاكيت فعل جفونه بجوانحي[٢٦]

لا غــرو ان جــرح التــوهم خــدّه

فـالسـحـر يفـعل في البـعـيد النازح

قــامت عليّ شــواهد من حــبــه

فــأرى الكناية فــيــه كــالافـصــاح

وهذا النوع من التشبيه تكون العلاقة فيه بين طرفيه بيّنة واضحة تدرك من دون تأويل فهو تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشيء اذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر، والتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورد والشعر بالليل والوجه بالنهار.. أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنثور.. وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح[٢٧].

كقول الشاعر الطليق القرشي متغزلا:

أنـت كـــالبـــدر يرى الليل بـه

مــؤنســا وطورا مــوحــشــا[٢٨]

الاتجاه التصويري:

يفيد ابراز صورة حسية تسهم في تثبيت هيئة المشبه في الذهن وتتجلى قيمة هذا التشبيه في الناحية التصويرية المظهرة لصفات المشبه[٢٩]، فالشاعر في هذا الاتجاه ينتقل من نقطة في عالم الى نقطة أخرى تنتمي الى عالم آخر، كأن يصف محسوسا بمجرد أو مجردا بمحسوس فنسمي هذا تحويلا. لأن الشاعر يولد من الموصوف صورة مختلفة يعمل الخيال كثيرا في بلورتها[٣٠]، كما نرى ذلك في احدى صور الأعمى التطيلي التي تعرض فيها لوصف الصحراء، وهو يرمز بها الى حالته النفسية ومعاناته البائسة وظروفه

القاسية، فصحراؤه التي قد تكون أعماقه تنبت الملل والسأم وهي شاحبة كأيام الصدود يقول:

وبيد كأيام الصدود ترى الضحى
بها شاحبا لا من شكاة ولا حب[٣١]

فانه شبه الحسي بالمعنوى ومثال ذلك أيضا نجده عند ابن اللبانة في قوله:

ويوم كحاشية الرداء المعلم
أوفى بسرّ مسرّة لم تكتم[٣٢]
شاهدته وكأنه من روضة
وكأنني من طائر مترنم

فانه يشبه المعنوي بالحسي وهذه الصورة تحمل جوانب نفسية الشاعر المبتهجة، ومثال ذلك أيضا نجده عند ابن صارة في هجاء صاحب له:

وصاحب لي كداء البطن صحبته
يوهني كوداد الذئب للراعي
يثني عليّ جزاه الله صالحة
ثناء هند على روح بن زنباع[٣٣]

ويؤلف ابن حمديس بين المعنويات والحسيات في براعة كبيرة كقوله في وصف شمعة:

تمشى لنا نورها في الدجى
كما يتمشى الرضا في الغضب[٣٤]

ويبدع ابن خفاجة في تصوير الحنين والشوق في صورة محسة للغريب الذي يذكره الغروب بوطنه فيقول:

أبدا احنّ اليك شوقا
كالغريب مع الغروب[٣٥]

وهناك مجموعة من التشبيهات لابن سهل الأندلسي تدخل ضمن الاتجاه التصويري. يقول واصفا امرأة حسناء:

وزاهرة المرأى معطرة الشذا
قد ابتدعت خلقا من المسك والنور
رقت مثل مذعور الظباء وانما
مشت مثل ما يمشي القطا غير مذعور[٣٦]

ولا يخلو بعض مديحه من المعاني الطريفة كالتي خلعها على ممدوحه أبي عمر بن الجدّ:

أضحى أبو عمر بن الجدّ منفردا
في الناس كالغرة البيضاء في الدهم
محببا كالصبا في نفس ذي هرم
معظما كالغنى في عين ذي عدم[٣٨]

في الأمثلة التي مرّت معنا رأينا جذور الموضوع الموصوف في عالم وجذور الصورة الواصفة في عالم آخر فاضمحل الحاجز الذهني الذي يفصل المحسوس عن المجرد ويخلي السبيل الى عالم واحد موحد وذلك بفضل الخيال الذي قام بعملية التحويل.

الصورة التشبيهية المركبة:

ينتزع وجه الشبه في الصورة المركبة من أمور يجمع بعضها الى بعض، وتتولد هذه الصورة في نظر بعض النقاد في عدّة أشكال منها: تشبيه المركب بالمركب أي ما كان طرفاه مركبان من عدّة أمور مجتمعة متداخلة حال الشيء أو هيئته المتمثلة في تركيب صفات أو هيئات تجسد أوضاعها[٣٩]، ومن ذلك قول ابن صارة في وصف عصا له:

ولي عصا من طريق الذم أحمدها
بها أقدم في تأخيرها قدمي
كأنها وهي في كفي أهش بها
على ثمانين عاما لا على غنمي[٤٠]

هذا الوصف من التواصل الشعوري والاسقاط النفسي بين الشاعر وموضوعه، والصورة المركبة تركيبا جيّدا نجدها عند ابن الزقاق في قوله:

وكـأن البـحـر إذ طلعت ذكـاء
ولاح بمنتـه منـهـا شـعـاع
جـيـوش في السـوابغ قـد تبـدى
لبـيض الهند بينهـمـا التـمـاع[٤١]

وابن الزقاق يتصيد الصورة المركبة فيعتمد على المقارنة والمطابقة في تصنيع صوره ويتجلى ذلك في قوله:

نشـر الورد في الغـدير وقـد د
رّجـتـه بالهـيـوب نشـر الرياح
مـثل درع الكمي فـرقـهـا الطعن
فـسـالت به دمـاء الجـراح[٤٢]

ويعكس الصورة للمبالغة فيقول:

والسـيف دامي المضـربين كـجـدول
في صـفـتيـه شـقـائق النعـمـان[٤٣]

ومن الصور التركيبية الطريفة المبتكرة والتي فيها طاقة تصويرية وتخيلية ما نجده عند الرصافي النبلسي من لوحات وصفية منها وصف نهر تظلله شجرة:

ومـهـدّل الشطين تحـسب انه
مـتـسـيل من درة لصـفـائه
فـاءت عليـه مع الهـجـيرة سـرحـة
صـدئت لفيـئتـهـا صـفـيحـة مـائه
فـتـراه ازرق في غـلالة سـمـرة
كـالدرع اسـتلقى بظل لوائه[٤٤]

ويكثر الخيال الدقيق في الوصف عند ابن حمديس فيرسم الصورة المركبة تركيبا جزئيا أو كليا ويستوفي في عناصرها فيقول واصفا جدولا ينبعث من عين ماء:

ومرو صدى الروضـات يسـحب دائبا
على الأرض منه جـملة تتـبـعض
اذا مـا جـرى واهتـز للعين مـزيدا
حـسبت به فـروا من النسـر ينفض
وتنسـاب منه حـيـة غـيـر أنهـا
تطول على قـدر المسـاب وتعـرض
له رعـدة تعـتـاده في انحـداره
كـمـا تبـسط الكف العنان وتقـبض
كـأن له في الجـسم روحـا اذا جـرى
به نهضة والجسم بالروح ينهض[٤٥]

ويتـوسل الشـاعـر الأندلسي بألوان الزهور لخلق الصورة المركبة الطريفة فيبدع في ذلك، فاللون الأحمر في الورد يذكر ابن اللبانة بخدّ الحبيب يقطر خجلا يقول:

والورد تحت الطل فـيـهـا مـشـبـه
هدا ينوب من الحـيـاء فـيـقطر[٤٦]

واللون الأحـمـر أيضـا عند الأندلسيين مـصـحـوب بالدم والجراح والقتال يقول ابن الزقاق:

والغـصـن فـوق الماء تحت شـقـائق
مـثل الأسنة خـضـبت بدمـاء[٤٧]

ونجد أمـثلة أخرى للصورة الأندلسية المركبة في تشبيه المفرد بالمركب والمركب بالمفرد أي أن المشبه به أو المشبه يتألف من عدة أمور مركبة كقول ابي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي:

كـأنما السـوسـان صبّ مـدنف
لعـبت يداه بجـيـبـه المشـقـوق
يـوم الـوداع ومـزقت أثـوابـه
جـزعـا عليـه ايما تمزيق[٤٨]

ومن الصـورة المركبـة مـا نجـدها عند ابن بقي في قوله وهو يمدح:

اقـبلت بالجـيـوش ملمـومـا كـتـائبـه
كأنك البدر تحت العارض الهطل[٤٩]
في فـتـيـة كـسـيـوف الهند أنحلهم
حب الصـوارم والخطيـة الذبل

وتيمموا بعيون غير فاترة
من الاسنة لم تهجع مع المقل
ان لا تكن أعينا نجلا فان لها
في أضلع القوم مثل الأعين النجل

فالممدوح وسط كتائب جيشه شبهه بالبدر وسط المطر فهو يظهر رغم كثافة المطر، ثم يعود الى أفراد هذا الجيش فيقول فتية كسيوف الهند خفة واستقامة قد انحلهم حب السيوف والرماح وهم دائما يقضون منتبهون أعينهم حادة مثل الأسنة الحادة التي يتقلدونها والتي تحفر في أضلع الاعداء حفرا شبيهة بالأعين النجل الواسعة. فهذه الصورة المركبة مصدرها الحرب وأجواؤها رغم أنها في المدح. ونرى صورة أخرى عند ابن سوار وهو يمدح:

أغر طليق الوجه يهتز للندى
كما اهتز مصقول الفرند يماني[٥٠]

ومن الصور التشبيهية المركبة التي مصدرها الانسان وأحواله وصفاته تشبيه ابن اللبانة للورد الذي يقطر منه الماء كالخد الذي يذوب من الحياء فيقطر، ثم يخصص من هذا الورد النرجس ويمنحه صفات الشاعر، انه خجل مثله فعلا صفحة اللون الأصفر يقول في هذه الأبيات:

والورد تحت الطل فيها مشبه
خدا يذوب من الحياء فيقطر[٥١]
وكأن نرجسها أصيب بروعتي
فعلا لون مثل لوني أصفر
فكأنما الريحان روحي كلما
تتغير الأشياء لا يتغير

ونجد الصورة الطبيعية المركبة التي مصدرها الآلة الحربية في قول ابن اللبانة:

وما هو نهر أعشب النبت حوله
ولكنه سيف حمائله خضر[٥٢]

وهناك الصورة المركبة التي مصدرها الحضارة كقوله أيضا وهو يمدح ناصر الدولة صاحب جزيرة ميورقة فيقول:

وغمرت بالاحسان أفق ميورقة
وبنيت فيها ما بنى الاسكندر[٥٣]
فكأنها بغداد أنت رشيدها
ووزيرها وله السلامة جعفر

ومن الصور المركبة التي مصدرها جو الحرب ينتقل الشاعر الى جو الطبيعة فيأخذ تشبيهاته منها كقول ابن الزقاق وهو يشبه مركبا بمركب:

والسيف دامي المضربين كجدول
في ضفتيه شقائق النعمان[٥٤]

وأحيانا يذهب الشاعر بعيدا في الصورة المركبة ليقربها الى الأذهان والافهام فيستعين بصورة أخرى للتفصيل في الشكل واللون والفعل يقول ابن صارة:

ياربَّ نارنجة يلهو النديم بها
كأنها كرة من أحمر الذهب
أو جنوة حملتها كفّ قابسها
لكنها جنوة معدومة اللهب[٥٥]

وهناك صورة جميلة يرسمها ابن صارة للبدر يشكلها من اللون يقول:

انظر الى البدر واشراقه
على غدير موجه يزهر[٥٦]
كمشحذ من حجر اخضر
خطَّ عليه ذهب أحمر

ونجد عند ابن السيد البطليوسي المشبه مركباً والمشبه به مفرداً يتألف من صورتين للتفصيل يقول:

ترى ليلنا شابت نواصيه كبرة
كما شبت، أم في الجو روض بهار؟[٥٧]

ونفس الشيء عند ابن بقي القرطبي في قوله:

الا انما الدنيا كراح عتيقة
أراد مديروها بها جلب الأنس
فلما أداروها أثارت حقودهم
فعاد الذي راموا من الانس بالعكس[٥٨]

فالتشبيه المركب أو الصورة المركبة يكون طرفا التشبيه فيها هيئة حاصلة من عدّة أمور متداخلة أجزاؤها بعضها ببعض فالشاعر عندما يستخدم التشبيه المركب يدخل في التفصيل كما يقول عبد القاهر الجرجاني «فانك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة فقد دخلت في التفصيل والتركيب وفتحت باب التفاصيل ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء أو رضاك بالعفو دون الجهد»[٥٩]

ويضيف عبد القاهر «إن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين: احدهما: أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما والثاني: ان تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها»[٦٠] ويمكن أن نضيف الى الصورة التركيبية التشبيهية استقصاءها للمعاني من خلال التفصيل فابن حمديس يصف حمامة يقول:

وناطقة بالراء سجعا مرددا
كحسن خرير من تكسر جدول
مغردة في القضب تحسب جيدها
مقلّد طوق بالجمان المفضّل
اذا ما امّحى كحل الدجى من جفونها
دعتك الى كأس الغزال المكحّل[٦١]

هذه الصورة واضحة الدلالة في تصور الشاعر للحمامة فهي مخلوق مغرد يشيع الحيوية والبهجة، ويسري عن النفوس حزنها وأساها ويضعها أمام الجوانب المشرقة من الحياة، والتي تتمثل في خرير الماء وانسيابه عبر الجداول وتغريد الطيور وانشادها على الأغصان التي تعبث بها الرياح، وما يضفى ذلك على الانسان من الهدوء والرضي، ويستعمل الشاعر لذلك الألوان الزاهية لتكتمل الصورة، وقيمة هذه الصورة تبدو فيما تمتاز به من التأكيد على الجانب المتفائل للحديث عن الشراب ووصف بعض مظاهر الجمال، حتى جاءت الصورة مرآة للشاعر نفسه ونقطة اشعاع للأمل والنور، ويظهر ذلك واضحا في حالة الشاعر ومظهره حين يغمر الفرح نفسه، فالشاعر في هذه الصورة استعان بالحركة والصوت والألوان واسقاط حالة الحمامة على حالته ومشاعره فالمعيار الأول في التشبيه هو الحمامة في حالة غنائها والمعيار الثاني الذي يوضح الأول هو خرير الماء وتكسّره في الجدول.

التشبيه التمثيلي:

هو التشبيه الذي يجعل فيه وجه الشبه بضرب من التأويل وتكون مساحة التفكير واسعة والخيال فيه أعمق، وهو تشبيه الصورة للدلالة على طبيعة وجه الشبه ذلك لأن الصفات التي ينتزعها من طرف التشبيه لتجمع بينهما تلتقي خطوطا وألوانا وهيئة وحركة لتشكل صورة مشتركة جديدة لا هي محضة للمشبه ولا هي خالصة للمشبه به، فتشبيه الصورة هو الذي جاء فيه وجه الشبه صورة منتزعة من عدة أوصاف متمازجة في كيان موحد وهذا النوع من التشبيه له تأثير في النفس[٦٢]، ويكون وجه الشبه محتاجا الى تأويل والمعنى يتمثل أمام أعيننا كأنه يحدّث ويتحرك بما يضفى عليه من الحياة والحيوية وبما يدخل فيه من جمل تكوّن بائتلافها مجموعة الصورة[٦٣]، واثر التمثيل يظهر في نقل النفس من العقلي الى الحسي والوصف يحتاج الى اقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه وزيادة التثبت[٦٤]، وللتمثيل تأثير في المتلقي ويقول في ذلك عبد القاهر الجرجاني «ان المعنى اذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك؛ الى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر والهمة في طلبه»[٦٥].

والدراسة التي دارت حول التشبيه التمثيلي استقرت حول وجه الشبه بين الأفراد والجمع والتركيب فوجه الشبه المفرد قد يكون حسيّا أو عقليا، ووجه الشبه المركب تركيبا اعتباريا يجعله بمنزلة الواحد بأن يكون حقيقة ملتئمة وأوصافا مقصودا من مجموعها هيئة واحدة، وهي اما حسية أو عقلية، وهناك وجه الشبه المتعدد أي يذكر الشاعر عددا من أوجه الشبه[٦٦]، ونجد في هذا الاتجاه التصويري نماذج كثيرة في الشعر الأندلسي، في فترة بحثنا هذا نكتفي ببعض منها، فابن حمديس يصف زهرة الشقائق قائلا:

فلم تر عيني بينها كشقائق
تبلبلها الأرواح في القضب الخضر
كما مشّطت غيد القيان شعورها
وقامت لرقص في غلائلها الحمر[٦٧]

- ويشبه ابن أبي العافية السوسن فيقول:

كأنما السوسن الغضّ الذي افتتحت
منه كمائمه المبيضة اللون
بنان كفّ فتاة قطّ ما خضبت
تلقى بها من يراها خيفة العين[٦٨]

- وقول ابن سهل في وصف حبيبه:

مستحسن الأوصاف ممنوعها
فلا ترمه بسوى الفكر
كالماء في السحب وكالدر في الـ
أصداف والشادن في القفر
در ثناياه وألفاظه
فلقبوه الكوكب الدري
كأنما الخال على خده
سواد قلبي في لحظى الجمر[٦٩]

- شبه مفاتن الحبيب بأوصاف حسية استمدها من مظاهر بيئته، وهناك تشبيهات تمثيلية مصدرها الطبيعة كقول الأعمى التطيلي:

والناس كالناس الا ان تجرّبهم
وللبصيرة حكم ليس للبصر[٧٠]
كالايك مشتبهات في منابتها
وانما يقع التفضيل بالثمر

- ومن الصور التمثيلية ما نجده عند ابن اللبّانة:

يروقك في أهل الجمال ابن سيد
كترجمة راقت وليس لها معنى[٧١]
حكى شجر الدفلاء حسنا ومنظرا
فما أحسن المجلى وما أقبح المجنى

- وكقوله يمدح:

الأرض حاجتها اليك بطبعها
كالعين حاجتها الى الانسان[٧٢]
عالج بسيفك ما وراء بحورها
فعليلها في أصعب البحران

- فالتشبيه التمثيلي أكثر تركيبا وأوسع عطاء في رسم الصورة، يشهد للشاعر بالبراعة والمقدرة على التشكيل فهو ظاهرة بارزة عند الأندلسيين. حيث تتكون الصورة من أجزاء متعددة في كل من طرفيها حتى يحقق للمتلقى الامتاع الحسي والاشباع الفني، وتحتوي كل صورة تشبيهية تعتمد على التمثيل على عناصر وجزئيات مكونة لها وتفصيلا تركيبية أو حركية تقوم بدورها الذى وظفها الشاعر فيه لتوضح ما سبقها وتؤكده وتبين ما خفي فهمه. فالشاعر يوضح اثر المشبه في نفسه ثم يصوغ هذا الأثر في صورة ينسج خيوطها من البيئة مثلا أو من غيرها. ويتوسل لرسم الصورة التمثيلية برصد الحركة فيصور اهتزاز النبات وترنحه ضاحكا وسط روضته الخضراء بصورة الشارب المترنح من النشوة، حيث تعتمد الصورة على رصد الحركة بين الطرفين وتنمو الصورة في التشبيه التمثيلي فيجعل الشاعر المشبه به أكثر من صورة وأكثر من جزئية إمعانا في الابانة والايضاح، وعلى

المتلقي أن يختار أقرب الجزئيات المصورة المؤثرة فيه وقد ترك الشاعر الاختيار لنفسه عندما يستخدم أداة العطف - أو - بين طرفي صورته، فيما مضى معنا من الصور التشبيهية نجد الرؤية التشبيهية متضحة عند الشاعر الذي سخر خياله لادراك ما خفي من العلاقات بين الأشياء في رسمه للصور التشبيهية التي وقعت عليها حواسه وخوالجه فلم يصفها الشاعر بمعزل عن شعوره وعواطفه بل مزج تصويره بعاطفته واحساسه فطابق جوّه النفسي بجوّه الفني وبرزت ألوان صوره ملائمة بين الشعر والشعور وخرجت عنده درجات عديدة بين التشبيهات الحسية والمعنوية والمفردة والمركبة استلهم بعضها من وحي التراث وجدّد فيها بما أملته عليه متطلبات التطور في عصره وابتكر في بعضها فأتى بصور تشبيهية بارعة. فشكل المادي المحسوس عنصرا بارزا في التشبيه فعقد الصورة بين طرفين محسوسين أتى بها من الواقع، وتمثلت الصور المركبة في البيتين أو البيت الواحد فالمشبّه في الأول والمشبه به في الثاني وربط بين الطرفين بأداة التشبيه ثم رفع من مقدرة المشبّه به على المشبه. ويلجأ الشاعر الى التفصيل في الصورة فيستعين بصورة أخرى وينوّع في أدوات التشبيه بين الحرف والفعل، وتكون الصورة قوية عندما يفسر ويفصل في الطرف الثاني من التشبيه. ويصور المحسوس في صورة المعنوي والمعنوي في صورة المحسوس في أسلوب يقوم على اثارة الانفعال.

الصورة الاستعارية:

- الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة البيانية:

أهميتها: الاستعارة وسيلة للتعبير بالتصوير تؤثر بشحناتها النفسية وومضاتها الحسية والفكرية النابعة عن التجربة الصادقة. وتفيد الصورة الاستعارية شرح المعنى، وتفعل في النص مالا تفعله الحقيقة، ثم هي طريقة للتجديد والتوليد لأنها تكشف عن صور جديدة ومعان بديعة[٧٣]

سنتناول في هذا البحث بنية الاستعارة كصورة محددة المعالم ونذكر أوجهها المستخدمة في الشعر الأندلسي، وعلاقتها بأركان الصورة البيانية الأخرى ولا يهمنا كلّ التحديدات التي لحقت الاستعارة عبر العصور بقدر ما يهمنا استخلاص وتحليل بنيتها وتوظيفها والدور الذي تلعبه في التعبير. فالاستعارة جزء من عملية المجاز وجوهرها يقوم على عملية الانتقال من دلالة الى دلالة والعلاقة التي تربط بينهما هي علاقة المشابهة، اذا فالانتقال والمشابهة هما ركنان أساسيان في تكوينها[٧٤]، وقد عرفها الجاحظ بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه»[٧٥] وهذا التعريف لا يوضح أركانها وخصائصها. وعرّفها ابن المعتز تعريفا لا يميّزها عن المجاز بشتى أنواعه ولكن عبد القاهر الجرجاني ميّزها عن المجاز المرسل فقال (الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه)[٧٦] وهذا التعريف يقتصر على الاستعارة التصريحية فقد حصرها في المشبه به بينما المكنية هي تشبيه حذف منه المشبه به. ولكن السكاكي يعرفها فيضم نوعيها، يقول:

«وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[٧٧] والاستعارة وجه بلاغي تنتقل به دلالة اللفظة الحقيقية الى دلالة أخرى لا تتناسب مع الأولى الا من خلال تشبيه مضمر في الفكر[٧٨] وتتكون الصورة الاستعارية من عملية الجمع والتقريب بين حقيقتين متباعدتين ويكون عنصر التماثل أو المشابهة عنصرا مميّزا للاستعارة عن باقي الأوجه البلاغية.

أقسامها:

وقد قسّمها البلاغيون باعتبار ما يذكر منها من الطرفين الى استعارة تصريحية واستعارة مكنية، فالتصريحية هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون

المشبه، والمكنية هي التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه[٧٩].

غرض الاستعارة:

تهدف الاستعارة المكنية كأداة فنية لتحقيق غرضين حسب طبيعة المشبه به المحذوف ولازمه المثبت للمشبه. فالغرض الأول هو تجسيد الأمور المعنوية وابرازها للحس في كيان مادي ملموس. والثاني هو تشخيص الجمادات وبثّ الحياة فيها ومنحها الحركة بشتى مظاهرها[٨٠]. والغرض من الاستعارة كما قال عبد القاهر الجرجاني هو أنك ترى بها الجماد حيًا ناطقا والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية، ومن خصائصها انها ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون[٨١]، ذلك لأن الخيال حين يستعين ببعض العناصر الحسية فانما يبغي غاية هي التسامي، فليست غاية الاستعارة هي تقديم المعنى للاقناع به معتمدة على الوضوح البصري أو الحسي فحسب بل من أجل اضفاء الحياة والحركة على الجمادات وجعلها تتحرك في الذهن حركات تنبعث منها اشعاعات ايحائية لا يمكن أن يصل اليها التعبير المجرّد[٨٢]، والتوتر في الاستعارة وليد التفاعل بين المستعار والمستعار له وقد تتولد عنهما معان هي المعنى الثالث، والشاعر هو الذي يصل بفضل مخيلته الى ادراك العلاقات الخفية بين الحقائق فيقرب بينها مجازا، فكلما كانت المسافة بين قطبي الاستعارة كبيرة كان التيار المنبثق من تجسيد الفكرة في الوهج الاستعارى قويا والمسافة بين الحقيقة الأولى والثانية هي التي تحدد قيمة الاستعارة[٨٣]، وعندما تبتعد الحقيقة الأولى عن الثانية يضطر القاريء الى بذل جهد عقلي أقوى للكشف عن العلاقة القائمة بينهما وهذه العملية تقوى بقوة الاستعارة التعبيرية الايحائية وتثير في نفس القارىء غبطة، ويذكر عبد القاهر الجرجاني التطرف في صعوبة بلوغ العلاقة فيقول ان الغموض في اكتشاف العلاقة بحيث لا يبلغ حد التعقيد والتعمية أو المحال[٨٤]، ويضع الصورة الشعرية درجات ويعطي أمثلة للصورة الغامضة في الاستعارة[٨٥].

الفرق بين الاستعارة والتشبيه:

أهم فرق هو أن الاستعارة تقوم على عملية انتقال في المعنى من مدلول الى مدلول آخر، أما في التشبيه فكل لفظة تحافظ على معناها الحقيقي، والنقطة الثانية هي عملية التطابق فالاستعارة تسعى الى تحويل الحقيقتين الى حقيقة واحدة أو توحي بأنها توحد بينهما، وفي التشبيه هناك تواجد الحقيقتين فتبقى كل حقيقة محافظة على ذاتها.

وقد توسل الشاعر الأندلسي بأشكال وأنواع من الاستعارات للتعبير عن خوالجه وأفكاره وبيئته وعن كل مظهر من مظاهر الحياة. فاذا راجعنا عددا من صور ابن خفاجة في وصف الفرس نجد عنده ألوانا من الاستعارات الى جانب الفنون البلاغية الأخرى ونذكر من ذلك وصفه لفرس أشهب يقول:

أجنوب تقتاد لي من جنيب
أم شمال عنانها بشمالي
جال في أنجم من الحلي بيض
وقميص من الصباح مذال
أشهب اللون أثقلته حليّ
خبّ فيهن وهو ملقى الجلال
فبدا الصبح ملجما بالثريا
وجرى البرق مسرجا بالهلال[٨٦]

هذه لوحة فنية فيها الاستعارات ناطقة حيث جعل الشاعر رياح الجنوب منقادة له طائعة ورياح الشمال قد أسلمت عنانها بيده وكانت خاتمة الصور، هذه الصورة التي تحوى حشدا من الاستعارات تمثلت في أن الصبح قد ألجم بالثريا وان البرق صار جوادا والهلال سرجه، وهذا خلاف ما تعارف عليه الناس. وقريب من هذا قول الداني في وصف فرس أشهب أيضا سار على نفس نهج ابن خفاجة من حيث

استعارة صفات معنوية الى المحسوس أو استعارة الصفات المحسوسة للمعنوي مع المحافظة على جمال التعبير ودقة التصوير والبراعة في الافادة من عنصر الخيال في تأليف الصورة الأدبية الفنية المعبرة يقول الشاعر:

وأشهب كالشهاب أضحى
يختال في مذهب الجلال
قال حسودي وقد رآه
يخب ويختال الى القتال
من الجم الصبح بالثريا
واسرج البرق بالهلال[٨٧]

فالشاعر استعان لتأليف هذه الصورة بالتشبيه فجعل جواده شهابا ثم نقل الشهاب الى المحسوس وجعله يختال عجبا وتيها وتهدف الاستعارة الى تحقيق تجسيد الأمور المعنوية وإبرازها للحس في كيان مادي وتشخيص الجمادات وبث الحياة فيها وجعلها تتحرك كما هو مبيّن عند ابن خفاجة في وصفه لمجلس أنْس ولهو في حديقة شَخَّصَ جماداتها وأعطاها سلوكا انسانيا وأفعالا بشرية يقول:

سقيا ليوم قد انختُ بسرحه
ريًا تلاعبها الشمال فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني
طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فترفع للشبيبة راية
فيه ويطلع للبهارة كوكب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا
وافترّ عن ثغر الهلال المغرب[٨٨]

نلاحظ في هذه الأبيات الاستعارية أن شعور الشاعر يسبق التشخيص ويلقى عليه ظله ويبث فيه حياته، فنقل الشاعر هذه الأشكال في الحديقة كما وقعت في الحسّ والشعور. ومن الاستعارات التي اعتمدت على الأمور المعنوية قول ابن عبدون من قصيدة في المتوكل:

ركبت اليك جناح كل عزيمة
قرب الردى من خلفها مزءود[٨٩]

- وله من قصيدة في الرشيد بن المعتمد:

اليك أبا الحسين ركبتُ عزما
يضيق برحب مسعاه الطلاب[٩٠]

- وقال في صورة أخرى تعتمد على المعنوي:

سجيريٌ من نهر لا تخمشن
وجه الاخاء بظفر العذل[٩١]

- واعتمد الشاعر على أمور حسية لتكوين صورته الاستعارية كقوله:

ومـا أنسى ليلتنا والعناق
قد مزج الكل منا بكل[٩٢]
الى أن تقوّس ظهر الظلام
وأشمط عارضه واكتمل
ومس رقيق رداء النسيم
على عاتق الفجر بعض البلل

واستخدم الشعراء الأندلسيون أيضا الاستعارات المفردة والمركبة في تصويرهم لنوازعهم وعواطفهم ممزوجة بالواقع فكانوا يستخدمون التركيب في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة. والاستعارة من هذا النوع تعرف بالتمثيلية وذلك لكي يرسموا الصورة بالخطوط والألوان والأشكال والحجوم ملتمسين وشائج اللفظة المستعارة المستمدة من نفس مبدعها. وفي هذا السياق يصور ابن خفاجة عهد الغرام مخاطبا البرق في قوله:

لك الله من برق تراءى فسلّما
وصافح رسما بالعذيب ومعلما
اذا ما تجاذبنا الحديث على السُّرى
بكيت على حكم الهوى وتبسما

ولم اعــتنق برق الغــمــام وانما
وضـــعت على قلبي يديّ تـألما
ومـا شـاقني الا حـفـيف أراكـة
وسـجع حـمـام بالغـمـيم ترنما
وسرحة واد هزّها الشوق لا الصبا
وقد صدح العصفور فجرا فهينما
اطفتُ بهـا اشكو اليـهـا وتشـتكي
وقـد ترجم المكاء عنها فـفـهـمـا
تحنّ ودمع الشـوق يسـجم والندى
وقـرّ بعـيني أن تحن ويسـجـمـا
وحـسـبك من صبّ بكى وحـمـامـة
فلم يدر شوقا أيما الصب منهما[٩٣]

والمتـأمل في اللوحـة الاسـتـعـارية المركبـة يجـد أن الشـاعر يلجأ الى طريقة التجسيم والتشخيص حيث وصف البرق بانسان ثم حذفه وأبقى شيئا من لوازمه وهو السـلام والمصـافـحة والحديث ليخـرج الاسـتـعـارة المكنية، وكذلك ما فعله مع الشجرة حيث أضـفى عليها الحياة والحركة وأعطاها مشاعر انسانية فجعلها تحنّ وتشكو، وهذه الاسـتـعـارة توحي لنا بـالجـو النفـسي والتـجـربـة الحـزينة التي عـاشـهـا الشـاعـر من خـلال الذكـرى، ويمكن أن نقـع على صـور كـثـيـرة تجـسم المعنوى وتشـخـصـه تشـخيصـا نابضـا بالحياة والحركة فـمن ذلك الصـور الطريفـة لابن سـهل يصف مـحـبوبه قـائلا:

لحظ يرى القـتل منى نفـسـه
والعـار أن يتـرك قلب الخلي
غض الصـبـا يسـفـر عن منظر
احسن من عـصـر الصـبـا المقبل
صُـورٌ من نـور ومـن فـتنة
والناس من مـاء ومن صلصل[٩٤]

كل صـورة اسـتـعـارية تعطينا تجربة من تجارب الشـاعر وليسـت استعارة وقتية تنتهي بانتهاء الصورة وانما هي موصولة بحالته النفسية وتجربته وآلامه وما يراه حوله وما يحسّ به فهي نتيجة للتأمل العميق في الحياة.

ونضيف شيئا مهما وهو ان المعنى الذى تبتكره الاستعارة ليس ترجمة للواقع أو صورة منه وانما هو معنى جديد جاء من تفاعل الحقيقتين.

وهكذا نكون قـد رأينا جـانبـا من الصـورة الاستعارية عند الشعراء الأندلسيين التي توسلوا فيها بالتشخيص والتجسيد وخلقوا من المعنى المجرّد كائنا حسيّا يحس وينطق وينشر الحياة بدبيبها والحركة بقوتها في الجماد. وقد شكلوا صورا قوامها الانسان والحيوان والطير وغيرها من عناصر الطبيعة، وأغلب أساليب الاستعارة اضافة الفعل الى المشبه والاتيان بأفعال مضارعة تحكي الحركة لتشخيص المعنوي، وأسقط الشاعر أحلامه وآلامه على استعاراته فعبرت عن ذاته ولعب الخـيـال دورا واسـعـا في الصـور المتلاحقة.

الهوامش:

(١) البلاغة والتطبيق، ص ٣١١.
(٢) الصورة الفنية، جابر عصفور، ص ١٧٢.
(٣) نفس المرجع، ص ١٧٤.
(٤) البلاغة والتطبيق، ص ٢٦٧.
(٥) البلاغة والتطبيق، ص ٢٦٨.
(٦) نفس المرجع ، ص ٢٦٨.
(٧) الصورة الفنية، جابر عصفور، ص ١٨٥.
(٨) نفس المرجع، ص ١٨٦.
(٩) نفس المرجع، ص ١٩٤.
(١٠) نفس المرجع ، ص ٢٠٣.
(١١) البلاغة والتطبيق، ص ٢٧٠.
(١٢) نفس المرجع، ص ٣١٤ ـ ٣١٥.
(١٣) نفس المرجع، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.
(١٤) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ١١٥.
(١٥) خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ١٩٥.
(١٦) نفس المرجع، ص ١٩٥.
(١٧) ابن حمديس ١٧٤، الديوان، ص :٣٩٠.

(١٨) البلاغة والتطبيق، ص ٢٨٠.
(١٩) ابن حمديس، ١٧٤، الديوان، ص ٣٩٠.
(٢٠) الذخيرة، قسم٢، مجلد٢، ص ٧١٧.
(٢١) نفسه.
(٢٢) نفسه، ص ٨٤٨.
(٢٣) نفسه، ص ٨٤٢.
(٢٤) نفح الطيب، ج٣، ص ٣٤٥.
(٢٥) الذخيرة، قسم٢، مجلد ٢، ص ٨٤٠.
(٢٦) نفس المرجع، ص ٨٣٩.
(٢٧) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ٧١، والصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ١١٨.
(٢٨) الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، ص ١٧٧.
(٢٩) الصورة الشعرية، ص ١١٩.
(٣٠) خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ١٩٥.
(٣١) الديوان، ص ١٣.
(٣٢) ابن اللبانة، ص ٩٤.
(٣٣) ابن صارة، ص ١٦٠.
(٣٤) الديوان، ص ٢٤.
(٣٥) ابن خفاجة، ص ٣٦.
(٣٦) ابن سهل، ص ٩٥.
(٣٧) نفس المرجع، ص ١٤٤.
(٣٨) نفس المرجع، ص ٩٩.
(٣٩) البلاغة والتطبيق، ص ٢٩٥.
(٤٠) ابن صارة، ص ١٦٠.
(٤١) ديوان ابن الزقاق، ص ٥٦.
(٤٢) الديوان، ص ١٣١.
(٤٣) الديوان، ص ٢٦٧.
(٤٤) الديوان، ص ٣٢.
(٤٥) الديوان، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.
(٤٦) شعر ابن اللبانة، ص ٤٥.
(٤٧) النوريات ٨٨.
(٤٨) نفسه، ص ٨٧.
(٤٩) الذخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٦٢٠.
(٥٠) الذخيرة، قسم٢، مجلد ٢، ص ٨٢٤.
(٥١) شعر ابن اللبانة، ص ٤٦.
(٥٢) نفسه، ص ٤٦.
(٥٣) نفسه، ص ٤٧.
(٥٤) الديوان، ص ٢٦٧.
(٥٥) نفح الطيب، ج٣ ، ص ٦٠٢.
(٥٦) نفسه، ص ٦٠٠.
(٥٧) مختارات من الشعر الأندلسي، نيكل، ص ١٥٨.
(٥٨) نفس المرجع، ص ١٦٢.
(٥٩) الاسرار، ص ٢٠٦، الصورة البلاغية، ص ٥٨٢.
(٦٠) الاسرار، ص ٢٠٧، الصورة البلاغية ، ص ٥٨٢.
(٦١) الديوان، ص ٣٦١.
(٦٢) البلاغة والتطبيق، ص ٣٠٧.
(٦٣) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥٥٣.
(٦٤) نفس المرجع، ص ٥٥٨.
(٦٥) البلاغة والتطبيق، ص ٣٠٧.
(٦٦) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥٥٣.
(٦٧) نفس المرجع، ص ٥٥٨.
(٦٨) النوريات، ص ٨٧.
(٦٩) الديوان، ص ١٥٠.
(٧٠) الذخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٨٤٥.
(٧١) شعر ابن اللبانة، ص ٩٨.
(٧٢) نفسه، ص ١٠٠.
(٧٣) البلاغة والتطبيق، ص ٣٦٥.
(٧٤) الصورة الشعرية، صبحي البستاني، ص ٦٩.
(٧٥) انظر البلاغة والتطبيق، ص ٣٤٣.
(٧٦) نفس المرجع، ص ٣٤٥.
(٧٧) البلاغة والتطبيق، ص ٣٤٦.
(٧٨) الصورة الشعرية، البستاني، ص ٦٩ ما قاله دوماسيه.
(٧٩) البلاغة والتطبيق، ص ٩٣٥٤.
(٨٠) نفس المرجع، ص ٣٥٦.
(٨١) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥١٨.
(٨٢) نفس المرجع، ص ٥٤١.
(٨٣) الصورة الشعرية، البستاني، ص ٩٢.
(٨٤) نفس المرجع، ص ٩٧.
(٨٥) نفس المرجع، ص ٩٩.
(٨٦) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص ٢٩٢.
(٨٧) وصف الحيوان، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
(٨٨) الديوان، ص ٣٦.
(٨٩) الذخيرة، قسم٢، مجلد ٢، ص ٧٠٦.
(٩٠) الذخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٧٠٩.
(٩١) نفسه، ص ٧١٥.
(٩٢) نفسه.
(٩٣) الديوان، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
(٩٤) ابن سهل، ص ١٤٥.



حوار مع الدكتور عبد القادر طاش المدير العام لقناة اقرأ الفضائية

(إقرأ) نجمٌ إسلامي في سماء العولمة الفضائية

في غرة شهر رجب ١٤١٩هـ/ ٢١ اكتوبر ١٩٩٨م، كان بداية الانطلاقة الحميدة لهذه القناة الوليدة (قناة اقرأ الفضائية)، أسستها (الشركة الاعلامية العربية).. الآن وقد مضى على بثها عام كامل، فإن المتتبع لهذه القناة يتبين بوضوح تميزها وتفردها في المضمون والأداء.

فهي قناة عربية إسلامية شاملة، تقدم برامجها باللغة العربية، وتنطلق من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.. وتمتاز بالشمولية في الموضوع وأسلوب العرض والتناول.

جاءت هذه القناة في وقت جأر الناس فيه بالشكوى من هذا العبث الاعلامي الذي تبثه الكثير من الفضائيات.. جاءت (اقرأ) لتستجيب لرغبات ملايين المسلمين في أنحاء المعمورة، في انموذج اعلامي هادف، يتغيا الكلمة الصادقة، والمعلومة الهادفة، لنشر الوعي الديني الصحيح.

ومن أهداف هذه القناة: ترسيخ المنهج الوسطى السمح للاسلام، وتقوية مشاعر الانتماء للهوية الحضارية للأمة، وتحصينها ضد محاولات الاستلاب الثقافي.. ودحض الشبهات المثارة حول الاسلام والمسلمين. وتهدف هذه القناة الوليدة الى المساهمة في عرض قضايا العصر وتساؤلاته، ومشكلاته المستحدثة وتوضيح الرؤية الاسلامية فيها.

ولقناة (اقرأ) دورها الفاعل في التعريف بالشعوب والدول الاسلامية، وتسليط الضوء على احوال الجاليات والاقليات المسلمة في شتى أنحاء العالم.. وقناة بهذا التصور المشرق وهذا الاداء الفريد الرائع، وسط كم هائل من الفوضى الاعلامية التى ضج المشاهد المسلم بما تبث، قناة بهذا التصور والتميز والتفرد من حقها على وسائل الاعلام المقروءة ان تقدم لها كلمة الشكر الدافعة لها أبداً على الاستمرارية في الاداء الجاد الملتزم.

ومن هنا جاء هذا الحوار الهادف مع الدكتور عبد القادر طاش مدير قناة اقرأ الفضائية.

***** بداية نود أن نقف على ملامح التوجه العام لـ (اقرأ) الفضائية..؟**

(اقرأ) قناة تنبع من دوحة الاعلام الإسلامي الذى يحاول أن يقدم للناس اعلاماً هادفاً يحقق كثيرا من احتياجات المشاهدين، ويلبى رغباتهم في رؤية إعلام نظيف جاد، يخدم قضاياهم، ويعمق ثقافتهم، ويروح عن أنفسهم، في حدود الضوابط القيمية التى هي بمثابة الحارس لاستقرار المجتمعات وأمنها، وطمأنينتها وعيشها في كنف آمن.

من هنا ننظر الى هذه القناة وفلسفتها وفكرتها الأساسية باعتبارها ملاذاً للأسرة العربية المسلمة، ونأمل - إن شاء الله تعالى - أن تجد في هذه القناة ما يشعرها بالأمان أولا، وما يحقق لها بعض ما تصبو اليه من آمال وتطلعات فتشبع بعض رغباتها وتطلعاتها الحقيقية في مجالات متعددة، يأتي على رأسها ولا شك الثقافة الدينية، باعتبار ان هذه الثقافة هى أس مجتمعنا الاسلامي.

قناة (اقرأ) الفضائية في كل أبعادها وفلسفتها محاولة لتوسيع دائرة مفهوم الإعلام الهادف، ليقرب من هذه الثقافة الدينية، والى ألوان متعددة من الثقافات المطلوبة لتكوين الانسان المسلم المعاصر، سواء في المجالات الفكرية والثقافية أو في المجالات السياسية والعلمية والاقتصادية، أو في المجالات الاجتماعية.

و(اقرأ) لا تغفل الجانب الترويحى، إذ تقدم جانباً من الترويح البرىء الذي يحقق للانسان توازنه النفسي والاجتماعي.

***** الآن وقد مضى عام على هذه التجربة المتفردة**



الدكتور عبد القادر طاش المدير العام لقناة اقرأ الفضائية

المتميزة لـ (قناة اقرأ)، ما تقييمكم لهذه التجربة، وما ملامح الرؤية المستقبلية لـ (اقرأ)؟؟

تجربة (اقرأ) في مضمونها الكلى، جديدة في مجال الإعلام، بل من قبيل ذكر الواقع دعونا نقول إنها رائدة، فهى ربما تعد اول قناة فضائية ذات طابع إسلامي - صحيح إن هناك مجموعة من القنوات العربية التي سبقت اقرأ في الاهتمام بالثقافة الاسلامية بشكل عام في كثير من برامجها - مثل قناة الشارقة مثلا - لكن تختلف تجربة قناة (اقرأ) في انها ارادت ان تقدم منظومة متكاملة وفق المفهوم الشامل للاعلام الاسلامي، وبذلك ربما اعطاها هذا تميزاً وريادة أيضاً فى هذا الميدان.

يبقى بعد ذلك، ما الذى حققته قناة اقرأ خلال عام من عمرها في هذا الميدان؟، وفي هذه التجربة الفريدة لتجسيد هذا المفهوم الشامل والمتكامل للإعلام الاسلامي الهادف؟!

وبكل تواضع نقول، إن التجربة لا تزال في بدايتها ومن ثم من الصعوبة بمكان ان نخرج بحكم شامل ونهائي، ونعتقد بعامة إن القناة استطاعت ان تحقق بعض اهدافها التي كانت قد وضعتها نصب عينيها في بداية مشوارها.

لكن تبقى هناك مجموعة من الأهداف التى لم نستطع تحقيقها، هذا من جانب، ومن جانب آخر حداثة التجربة وقلة الخبرة من قبل القائمين علي هذه التجربة، كان لهما أثرهما في عدم اتضاح جوانب كثيرة من الصورة المثلى التى نود ان نصل إليها، الى جانب ذلك هنالك أيضاً مجموعة من العقبات والمعوقات التى لابد من مواجهتها ولابد من الاعتراف بان لها دوراً في عدم التمكن من تحقيق كل ما نصبو إليه.

وبشكل عام نعتقد أن التجربة يكفيها على الأقل انها رائدة، ويكفيها انها ربما أعطت الامل في ان مثل هذا المشروع (اقامة قناة هادفة ومن منظور اسلامي)، اعطت الأمل في أنه أمر ممكن وليس مستحيلا، وأن هناك آفاقاً كبيرة يمكن ان ينطلق إليها مثل هذا المشروع.

***** قناة (اقرأ الفضائية) التفرد والتميز، والجدية، والالتزام بمنهج الاسلام.***

***** (اقرأ) .. أنموذج اعلامي هادف، انتظره الناس كثيرا.***

***** (اقرأ) محاولة لصياغة وجدان إسلامي يرسخ هوية هذه الأمة في أعماقها.***

***** إنها أداة للتواصل الحضاري مع ثقافات الآخرين.***

***** (اقرأ) طموحات متجددة لخدمة الاسلام والمسلمين.***

***** هذه التجربة المتميزة لـ (اقرأ) وَبحسكم الإعلامي المعــــهــــود، هل ترون امكان تكرارها في إعـــلامنا الفضائي٠٠؟!**

حقيقة نحن نرحب، بل ندعو الى ان تكون هناك قنوات تزاحمنا وتنافسنا في هذا الميدان، لان الحاجات كبيرة، وتطلعات المشاهدين واسعة، ونعتقد بان الساحة تتسع لكثير من التجارب، والمشروعات التى تصب في هذا الاطار، وحتى بالمنطق التجاري، فإنا نقول بأن السوق واسعة وتستوعب الكثير من مثل هذه التجارب التى يتطلع اليها الكثير من المشاهدين٠٠ وفي هذا الميدان متسع لمثل هذه التجربة ويمكن القول بأن لهذه التجربة روادها وطلابها٠٠ هذا من جانب العطاء الفكرى والقيمى لهذه التجربة٠٠ وهذا ما أعنيه بأن في السوق متسع٠

أما إذا كان الأمر متعلقاً بمنطق الربح والخسارة، أي منطق التجارة البحته، فانه من الصعوبة لمثل هذه التجارب، تجربة الاعلام الهادف، وبخاصة قناة فضائية ذات منظور اسلامي، من الصعوبة ان تصبح عملا أو مشروعاً تجارياً بحتاً، والذين ينظرون الى مثل هذا المشروع بمثل هذا المنظور في رأيي، إما انهم مثاليون أو بعيدون عن الواقع، وفي رأيي ان هذا المشروع ينبغي ان يكون مشروعاً مثالياً يقوم على فلسفة تقديم اعلام هادف وبناء٠

***** (اقرأ) تمثل الوسطية المحمودة، بعيداً عن طرفي (الافراط والتفريط)٠**

***** تعمل على إشاعة اللغة العربية السليمة المبسطة وإشاعتها بين المسلمين٠**

***** كثير من الفضائيات غدت هدماً وتدميراً للأخلاق والقيم٠**

***** تعمل (اقرأ) على انتاج عمل درامي تمثيلي يخدم اهدافها الرسالية٠**

***** نأمل ان نجد دراسة متخصصة تقييمية لـ (قناة اقرأ)٠**

الجانب التسويقى والتجاري لا شك يشكل رافداً مالياً داعماً لأى عمل إعلامي، والدافع الرسالي لقناة (اقرأ) لا يعني أن ترفض الجانب التسويقي والتجاري أو أن تنأى بنفسها عنه، ذلك لأن أي عمل مثل هذا يحتاج الى مال يدعمه ويسير عمله حتى لا يتوقف، وبالتالي تتوقف رسالته التي يسعى اليها٠٠ ومع كل هذا ينبغي التأكيد على ان الجانب التجاري والتسويقي ينبغي ألا يكون هو الأصل، وانما هو رافد مكمل، ذلك لاننا نعلم اليوم أن المشروعات الاعلامية الضخمة تحتاج الى تمويل كبير، ومن ثم ليس من المعقول ان نقول بأن المشروعات الرسالية في الاعلام لا تلتفت الى هذا الجانب، بل هو جانب له أهميته في اكمال رسالتها وايجاد الكوادر المبدعة لتعميق أدائها٠٠ ويلاحظ هنا، أن البحث وراء هذا المردود المالي أو الرافد المادي فيه منزلقات كثيرة، قد تؤدي الى الاغضاء عن بعض الجوانب الفكرية وبعض الضوابط الاخلاقية، والقبول ببعض مالا يتمشى مع الاطر الاخلاقية والفكرية والقيمية لهذه القناة، وأيضاً قد يخل ببعض الجوانب الفنية، لكل هذا ينبغي ضبط الرافد المادي لهذه القناة بضوابطها التى قامت من اجلها، حتى لا تنزلق في منحدرات تفقدها خصوصيتها وتميزها في التوجه والعطاء٠٠ ومن هنا فإنى ادعو الى إعادة النظر في تركيبة مثل هذه المشروعات من حيث انها ينبغي ان تفيد من الروافد المادية ـ حسب منظومة توجهها العام ـ وحتى لا تصبح مثل هذه المشروعات مشروعات خيرية بحتة، إذن لماذا لا نصل الى صبغة وسطية توفيقية تجمع بين الجانب الرسالي والخيري، وكذلك الجانب التجاري والتسويقي ونوسع قاعدة المساهمة في مثل هذه المشروعات الحضارية لان هذا التوسيع في المساهمة، سواء المالية أو الفكرية لا شك انها في النهاية تخدم الرسالة البعيدة لمثل هذه المشروعات، وهذه المساهمة تعطي لهذه المشروعات ضمانة الاستمرارية٠

وحتى لا يتوقف هذا المشروع وأمثاله، او يتعثر في مسيرته، وضماناً لاستمرار هذه المشروعات يجب ضمان الروافد، لانطلاقة أوسع لهذه المشروعات٠

***** الرؤية المستقبلية لهذه القناة الوليدة، ماذا عنها٠٠؟!**

الرؤية المستقبلية ينبغي ان تقوم على استراتيجية تضع

فيها الخطط والبرامج، وتحدد الأهداف المبتغاة في سياقات مرحلية لتنفيذها.

وليس بالضرورة كما يظن بعض الناس ان تولد هذه القناة مكتملة النمو، ذلك لان هناك اسلوب تدرج ومراحل لابد من مراعاتها وأخذها في الحسبان، قناة (اقرأ) تبث على مدى (عشرين ساعة في اليوم)، وهنا ينبغي مراعاة ما هو مطلوب لملء هذا الزمن الممتد من الانتاج والمواد.

إذن، التدرج والنفس الطويل ضرورة لازمة في هذه المرحلة، ومن المهم قبل هذا كله أن تكون الرؤية واضحة، وهذه الرؤية ينبغي ألا تكون قاصرة على مرحلية محدودة، ثم يأتي التنفيذ المرحلي ليحول تلك الرؤى الى واقع يفيد منه المشاهد، وهذا ما نبتغيه ونسعى إليه، الافادة الحقيقية النظيفة القيمية للمشاهد.

لا شك أن التجارب تعلم الانسان، ونحن خلال هذا العام، استفدنا الكثير من الدروس سواء من حيث تصميم البرامج ومناقشة الافكار، وتقويم هذه الاعمال أو من ناحية الخطط التى توضع للتنفيذ، وهذه كلها مطلوبة.

الحوار مع الذات ومع الآخر واحد من صيغ العطاء الحضاري.. إلى أيّ حدّ نجد (اقرأ) في هذا الاطار؟

اعتقد أن العصر الذي نعيشه الآن بفضل هذا التطور المذهل في تقنيات الاتصال، قد أدى الى هدم كثير من السدود والحواجز وأدى الى انتقال الافكار والآراء بسهولة ويسر إلى كل فرد في انحاء العالم يريد ذلك، وهذا العصر يقتضي منا أن نواكبه بقدر كبير من الانفتاح الاعلامي الذي من خلاله نستطيع أن نستوعب الكثير من هذه التطورات، وبالمقابل يتسلح الانسان العربي المسلم بالادوات التى يمكنه عن طريقها أن يواجه الافكار ويتعرف عليها بطريقة علمية، وايضاً يستطيع ان يحاورها ويناقشها، وربما تتكون لديه قناعات لمواجهة ما يرى انه ضار به أو معارض لثوابته الدينية والفكرية والاجتماعية، وهذا كله لا سبيل الى تحقيقه إلا بالحوار، ومن هنا اعتقد بأن الاعلام الاسلامي لابد ان يكون أحد ركائزه الاساسية ان يكون اعلاماً فيه قدر كبير من الانفتاح في الحوار مع الذات ومع الآخر، ومن هنا نحرص في قناة اقرأ الفضائية على أن يكون لنا نصيب في هذا الحوار - الحوار مع التراث والحوار مع الآخر.



نحن نعاني في مجتمعاتنا العربية المعاصرة أن الحوار ان لم يكن مفقوداً فعلى أقل تقدير فهو ضعيف جداً، سواء على مستوى التيارات والاتجاهات الموجودة في داخل هذه المجتمعات، بعضها مع بعض أو بيننا وبين الآخر، خارج حدودنا الجغرافية وحدودنا الفكرية ايضا.

مع تفاوت الافكار وتباينها في كثير من الأحيان، الى أيّ حد استطاعات (قناة اقرأ) ابراز ما ينبغي ابرازه من الفكر الرسالي والقيمي، بعيداً عن مزايدات بعض المتحاورين؟!

.. عندما جاء هذا الانفتاح الاعلامي، كأنما وجد فيه بعض الاعلاميين العرب متنفساً لهم فانطلقوا فيه دون ضوابط، ودون رؤية فكرية تضع الاطر التى يمكن ان تتحرك من خلالها.

الحوار بحدّ ذاته ليس هو الغاية، بل وسيلة.

في كثير من الاحيان ربما تكون الغاية ليست واضحة، ومن هنا يتحول الحوار من وسيلة الى غاية، وهذا في رأيي خطأ، أو هو ليس مما ينبغي أن يكون، اذن، لابد ان نحدد غاياتنا من الحوار ثم بعد ذلك نستخدم الوسيلة الموصلة لتلك الغاية، وعلى كل وسيلة اعلامية أن تحدد غاياتها وتتخذ إليها سُبُلها المناسبة.

من هنا، ومع غياب الغاية المرجوة، تجد بعض القنوات العربية، تتخذ من الحوار وسيلة للاثارة، أو لكسب مزيد من المشاهدين، وهناك نوع آخر له غاياته، ظاهرة أو مستترة.

إذ نجد بعض القنوات الفضائية غايتها ابعاد الفكر الاسلامي أو اضعافه ومحاولة تحجيمه، واظهاره بمظهر الضعيف.

والمطلوب اذن، من قناة رسالية هادفة مثل قناة (اقرأ) ان تحدد ما هي الغاية التى تسعى اليها ثم بعد ذلك تنسجم مع اطارها العام الذى تتحرك فيه، وهو الاطار الاسلامي، وهذا ما نحاول ان نفعله، لكن قد لا نستطيع ان نحقق هذا الهدف كاملا لعدة أسباب منها:

ان تجربة الحوار المنفتح هي تجربة جديدة في مجتمعنا العربي المعاصر، وكل تجربة جديدة لها محاذيرها ولها سلبياتها، وقصَرُ الفترة الزمنية لهذا المفهوم الحواري الجديد له ايضا آثاره على التجربة.

وفي اطار هذا المنهج الحواري، ونحن نتحدث في اطار الفكر الاسلامي، اقولها صراحة إننا نفتقر للكفاءات

الدكتور عبد القادر طاش في سطور

* عمل أستاذا للصحافة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورئيساً لقسم الإعلام بها لمدة سبع سنوات (١٩٨٤ ـ ١٩٩١م).
* انتقل للعمل في المجال الصحفي حيث رأس تحرير صحيفة (المسلمون) الدولية الأسبوعية التى تصدرها الشركة السعودية للأبحاث والنشر (١٩٩١ ـ ١٩٩٥م).
* ترأس تحرير صحيفة (عرب نيوز) الصادرة باللغة الانجليزية بالملكة العربية السعودية (١٩٩٥ ـ ١٩٩٨م).
* يعمل الآن مديرا عاما لقناة اقرأ الفضائية التي بدأت البث في شهر أكتوبر ١٩٩٨م.
* له مساهمات بحثية وعدة مؤلفات باللغة العربية منها:
- دراسات إعلامية.
- الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي.
- أمريكا والإسلام: تعايش أم تصادم.
- قدرنا أن نكون إسلاميين.
- المسلمون في آسيا الوسطى والدور الإسلامي المطلوب.
- الاعلام وقضايا الواقع الإسلامي.
- الثقافة والإعلام وما بينهما.
* شارك في الكتابة الصحفية المنتظمة في عدة مطبوعات عربية وله عمود يومي في صحيفة «المدينة المنورة».
* شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي وفي أوربا وأمريكا.

الاعلامية القادرة على إجراء الحوارات الراقية التى يمكن أن تحقق الغاية المنشودة، طاقاتنا الاعلامية في مجملها لا تزال تسير على النمط التقليدي في الحوار، وربما يكون بعض المحاورين أقل اطلاعاً على فكر الآخرين، وأسلوب تفكيرهم، ومن هنا يكون الحوار فيه شيء من الضعف وهذا يصحبه عدم التوفيق في الوصول الى الغايات المرجوة.

لا ينبغى ان نحكم على بعض هذه التجارب باستعجال وفي جزئيات منها، بل ينبغي ان ينظر اليها متكاملة، فاذا كان هناك برنامج حواري معين، نجد بعض المشاهدين يحكمون على البرنامج كله من حلقة أو حلقتين وبعضهم ينظر إلى تجربة القناة بكاملها من خلال عدد محدود من البرامج التى تقدمها. وهذه نظرة جزئية لا تعطى الحقيقة الكلية لطبيعة الحكم وبطبيعة الحال فان هذا التصرف فيه عدم موضوعية في النظرة وبالتالي في الحكم الناتج عن هذه النظرة المتعجلة.

وما نريده ممن يودون تقويم هذه التجربة الوليدة (قناة اقرأ) ان يعطوا أنفسهم مساحة أوسع في المتابعة المتأنية، ومن هنا يمكن ان يأتى الحكم ناضجاً سوياً، نفيد منه جميعاً.

ونحن الآن بعد مرور عام على البث الفضائى لهذه القناة، ومحاولة جادة من القائمين بأمر هذه القناة، فإننا نجرى الآن دراسات تقيمية جادة لما قدمت إقرأ من برامج، موضوعاً وأداء.

ولا يخفاكم أن دوامة العمل اليومى ادارة وتنسيقاً ومتابعة وتسييرا، لم تعطنا الفرصة لمثل هذه النظرة التقيمية، ومن هنا كان لازماً علينا التوقف قليلا في مرحلة زمنية معينة لاجراء هذا التقييم وهو بدون شك تقويم للمسيرة في مستقبلها، ومرور عام على هذه القناة فرصة مناسبة لاجراء هذا التقييم الموضوعي والعلمي لبرامج القناة وتوجهاتها.

***** مقدمو البرامج الحوارية، هل هم مجرد وسيط لتوزيع الاسئلة على المتحاورين، أم مشاركون بالرأى وموجهون لدفة الحوار؟!***

أعتقد ان أي وسيلة إعلامية ينبغي الا تكون وسيلة موجهة أساساً، وينبغي على مقدم البرنامج ان يدير حواره بطريقة ذكية، ويعطي رأيه باسلوب اقناعي وبطريقة غير مباشرة حتى يمكن للمشاهد أن يتقبل هذا التوجيه ويرضى به.

ذلك لان التوجيه المباشر يضع حاجزاً بين البرنامج والمشاهد. نحن نتعامل مع مشاهدين لديهم قدر وافر من الذكاء، وبرامجنا الحوارية في قناه إقرأ تستقطب نخبة متميزة من المفكرين والأدباء والعلماء، وعلى مقدمي البرامج ان يراعوا خصائص هذه النخبة الواعية، حتى يتمكنوا من ايصال الرسالة المطلوبة بطريقة محترفة، وباسلوب ذكى

يتغلغل الى العقول والقلوب بسهولة ويسر.

**** مشروعان أساسيان لهما أهميتهما القصوى، مشروع التوفيق بين المذاهب الاسلامية، ومشروع الحوار مع الآخر، إلى اى مدى يمكن لـ «اقرأ» أن تقوم بذلك؟!**

أما أن تقوم (اقرأ) بهذين المشروعين، فالجواب، نعم، القضية ليست خياراً امام (اقرأ) بل هي واجب وأمر أساسي في رسالتها، لكن يبقى بعد ذلك كيف يمكن ان تقوم بهذا الدور؟ ومتى؟ .. وما الاسلوب المناسب لاداء هذا الدور.

من حيث المبدأ المهمتان أساسيتان بالنسبة لاقرأ، وحاضرتان في التصور الأساسي للقناة، وربما مشار الى ذلك بشكل عام في اهداف القناة ورسالتها.

اما من حيث تفصيل الحديث في هذين المشروعين، يمكننا القول:

فيما يتعلق بالمدارس الفقهية المنتمية للمدرسة السنية، نعتقد أن ما قدمته (اقرأ) وتقدمه من خلال برامج الفتاوى، تحاول ان تبقى على هذا التنوع الفقهى الموجود في داخل هذا الإطار السني بشكل عام، وتحقيقا لهذا فقد استضافت (اقرأ) في برامجها الدينية والفقهية كبار العلماء والفقهاء الذين يمثلون هذا التنوع الفقهي.

أما فيما يتعلق بالمذهبيات، ولنأخذ مثالا لذلك (السنة والشيعة) فان (اقرأ) لا شك تسعى لايجاد نوع من الحوار الذي قد يؤدي الى الوفاق، وإلى ايجاد ارضيات مشتركة بين هذه التيارات الكبرى في الجسم الاسلامي بشكل عام، لكن هذا الجانب فيه محاذير كثيرة ومن ثم نحن نطرقه على مهل وبشيء من الحذر، ليس خوفاً من الدخول فيه، ولكن محاولة للوصول الى الهدف المنشود، وقد بدأنا بذلك في بعض الاشارات التى وردت في بعض البرامج، ويمكن هنا الاشارة الى ما طرح في برنامج (مدارات الاحداث) وهو يمثل الاختبار الاول لهذه الفكرة تحت عنوان (التقريب بين المذاهب الاسلامية)، واعتقد ان هذه الحلقة اثارت جدلا واسعاً ولازلنا في مرحلة تقييم هذه الحلقة وما نتج عنها، ونعتقد انها كانت فاتحة في هذا الطريق، ورغم بعض السلبيات التى رافقت هذه المحاولة، تبقى لدينا العزيمة في ان نستمر في هذا الطريق، وفق الاهداف والمبادىء الثابتة لهذه القناة.

أما الحوار مع الآخر، فإنَّا في قناة اقرأ نؤكد أننا اصحاب حوار، وللرأى الآخر مكانته، ونعلم ان للحوار ادواته ووسائله، ولكن في الوقت الحاضر ليس متوفراً لدينا هذه الوسائل، وهذا الاتجاه للحوار مع الآخر موضوع ضمن خطة برامج القناة، وقد بدأنا بداية متواضعة إذ قمنا بترجمة بعض البرامج الى اللغة الانجليزية، وهي تبث الآن على القناة، وهذه مرحلة تتبعها مرحلة أخرى، نعمل فيها على انتاج برامج ناطقة بالعديد من اللغات المتداولة الآن عالميا.. ونأمل في المستقبل ان تكون قناة اقرأ شبكة لقنوات متعددة ناطقة بالعديد من اللغات، ذلك لان رسالة الاسلام رسالة عالمية، للناس كافة، واستخدام اللغات العالمية الحية في ارسال هذه القناة وسيلة فاعلة لايصال هذه الرسالة الخالدة للناس كافة، ومن جانب آخر فهي تصحيح لمفاهيم خاطئة الصقت بهذا الدين الحنيف.

**** كثير من الشعوب المسلمة على مستوى العالم تجهل ابجديات الاسلام، باعتباره عقيدة توحيد ومنهاج حياة.. وهؤلاء في حاجة ماسة لمعرفة دينهم..؟!**

اذا كنَّا مهتمين بتوجيه رسالتنا الاعلامية الى الآخر من غير المسلمين، فإنَّا أكثر اهتماماً في توجيه هذه الرسالة الى المسلمين من غير العرب في كل قارات العالم، نخاطبهم بلغاتهم التى يتحدثونها.

ومعلوم ان (أربعة أخماس) المسلمين في العالم من غير العرب، ومن ثم فان هؤلاء لهم حق علينا أن نقدم اليهم الثقافة الاسلامية بلغاتهم، وهذا جمهور عريض جداً، ينبغي العناية به ويلاحظ أن الثقافة الاسلامية قد ضمرت حتى بين المسلمين من العرب، وذلك لضعف المنهج الاسلامي في مناهج الدراسة في تلك الدول، مما أدى الى انتشار الأمية الدينية، وذلك بسبب ان المصادر التعليمية والتربوية في مدارسهم لم تزودهم بما يرفع أميتهم وجهلهم بدينهم، حتى يتمكنوا من تعلم الثقافة الاسلامية، وحتى يستطيعوا الالمام الكافي بالمنهجية الاسلامية في الاخلاق والسلوك والتعامل، هؤلاء يحتاجون حقيقة الى اعلام اسلامي جاد يوصل اليهم الثقافة الاسلامية وقيم الاسلام بصورة واضحة ونقية، ومؤثرة.

**** في عالمنا اليوم ظهرت مصطلحات فرضت نفسها على الساحة الاعلامية ومنها (العولمة) على سبيل المثال.. هل يمكن ان نتعرف على المعالم الاساسية لهذا المصطلح؟**



الدكتور عبد القادر طاش اثناء الحوار مع المحرر

هذا الموضـوع ذو جـوانب مـتعددة وواسـعـة، ولكن في عـجالة يمكن القـول أن هناك اتجـاهـات مـتـعـددة في نـهج العولمة وابعادها، بعضـهـم يصور العولمة على انها العـالمية ذات الانتشار الواسع، وهناك من يصور العولمة بأنها ثقافة مـهـيمنة لطرف من الاطراف القـوية في هذا العـالم، ولهـذا نسـمع بمصطلح (الأمـركـة) أو (الاوربة) ومـا الى ذلك، (العولمة) تحتـاج الى تحديد دقيق، ومعالجة في مستـويات متعددة، هناك مستوى فكري يتعلق بمدى هيمنة ثقافة على ثقافات أخرى، كما يذهب البعض إلى ذلك، وهناك من يقول بأن العـولمة هي نتـاج لظروف وتبـدلات حـصلت في الواقع الذي نعيشه اليوم، ولا شك ان هذا ناتج طبيعي لهذه الثورة الهائلة التى حدثت في مـجال الاتصال والمواصلات، وانتقال الافكار من مكان الى مكان.

وبصـرف النظر عن الجـوانب المتـعـددة للعـولمة يبـقى السـؤال المهم وهو: كـيف يتـعـامـل المسلمـون مع هـذه الظاهرة؟!.

هل نقبلها، هل نرفضـهـا، هل نتكيف معهـا، هل نضـع عـولمتنا الخـاصـة بنا؟! مـدى تأثيـر هـذه العـولمة على خصوصياتنا الخلقية والفكرية والدينية والاجتماعية؟!.

كل هذه الاسئلة اعتقد أنها مطروحة، وبكل أسف فان كـثيـراً من الحـوارات التى تتم في هذا الاطار تأخـذ طرفين متناقضين، إذ هناك من يدعو الى الأخذ بهذه العولمة بكل ما فيها باعتبارها قدر محتوم علينا..

وهناك من يرفض هذه العـولمة، ويعـتـبـرها رجـسـاً من عـمل الشـيطان، ونحن في هذا السجـال نحتـاج حـقيقة الى وقفة نحلل فـيـهـا العـولمة، مـعطيـاتها - سلبيـاتهـا - ايجـابيـاتهـا، وهذا هو المنهج الاسـلامي، الذي يدعـو الى النظر والدراسـة والبـحـث في الأشيـاء، بعيداً عن اسلوب الرفض المطلق، أو القبول المطلق بدون نظر ورويَّة.

والأهـم من ذلك هـو: كـيف نصنع عـولمتنا الخـاصـة بنا، التى يمكن ان نقـدمـهـا للآخـرين، إذا كـانت العـولمة تعنى فـتح الحـدود، وازالة السـدود، وانـتـقـال الافكار والآراء بحرية بين الشـعـوب، فنحن هنا أولى بأن تفيد من هذه الفرصة ونستثمرها لان ديننا هو دين عـالمي للعـالمين جـمـيـعـاً، ولان ثقافتنا فـيـهـا من الثـراء والغنى والقيم مـا يمكن ان نقدمه للآخرين، ونعتقد بأن في مبادىء الاسلام وتعاليمه وقيمه علاجاً لكثير من المشكلات التى يعاني منها مجتمعنا المعاصر.

وكل هذا الذي يحـدث الآن من الخـوف الشـديد من العـولمة انما هو دليل على ضـعـفنا اصلا وعلى عـدم ثقـتنا بأنفسنا.

***** الاعـلان، لا شك يمثل وسـيلة من وسـائل الدعم المادي لأي قناة، مـا مـدى تعـامل (اقـرأ) مـع الاعـلان.. وكيف..؟!***

الاعلان لا شك يمثل واحداً من روافد الدعم لأي قناة، ولكن نحن لدينا ضـوابط للاعـلان، هي مكان الالتزام لدينا، والذين يتعـاملون مـعنا بحـمد الله لديهم هذا الوعي، ونحن رفضنا الاعلانات التى لا تلتزم بضـوابطنا، وبعض المعلنين انتجوا اعلانات ملتزمـة بضوابط (اقرأ).. وهذا امر في غاية الأهمية، ذلك لان جزء من مـهمتنا ورسالتنا ان نساهم في ايجاد اتجاه اعـلاني منضبط، وقد وجدنا تجـاوبـاً طيبـاً في هـذا الميـدان.. ولا شك أنَّا نـثـمن تجـربة التلفـزيون السعودي في الاعلان حسب ضوابطه.

***** الانتاج الدرامي.. ولـ (اقرأ) خصوصيتها.. هل ستعمل على انتاج تمثيلي خاص وفق منهجيتها؟***

الجانب التمثيلى جانب له أهميته بخاصة ذلك الذي يخدم اهداف وتوجهات (اقرأ) في منهجيتها الخاصة بها.

إلا أنَّا لا نستطيع في هذه المرحلة انتاج عمل تمثيلى لسببين:

أولا: ان هذا الجانب يحتاج ان تكون لنا فيه رؤية واضحة وضوابط قادرة على ان تقدم منتجا راقيا هادفا، يودي الغرض المطلوب منه.. ونسعى الآن لتحديد هذه الرؤية، ولنا دراسة في هذا الجانب وسوف تتبلور هذه الرؤية قريباً ان شاء الله تعالى.

ثانيا: ان هذا المشروع الانتاجي يحتاج الى تمويل كبير، وقد لا نستطيع الآن - على اقل تقدير - أن ندخل في هذا المشروع الكبير، لكن في النية مستقبلا العمل فيه، وقد بدأنا فعلا مخاطبة بعض المختصين من اصحاب هذا الفن، وقد وصلنا تجاوب كريم في هذا الجانب.. وسوف يكون للقناة دورها في هذا المجال في المدى المتوسط لها.

***** بغرض تكثيف البرامج القيمية الرسالية في بعض القنوات العربية، الى أي حد يمكن ان تتبنى (قناة اقرأ) هذا الدور التنسيقي بين القنوات المعنية؟!***

هذا أمل ربما يكون من السابق لأوانه الآن أن يكون ضمن الخطة العملية للقناة، ذلك باعتبار أن القناة لا تزال تجربة وليدة، ولا نريد ان تحمَّل اكثر مما تستطيع ان تقوم به آنياً ويكفى أن نركز الآن على انجاح هذه التجربة وانضاجها ثم بعد ذلك يمكن أن تأتي أهداف أخرى في مراحل أخرى، بغرض الوصول الى الأمثل والأنفع للمشاهد.

***** في نهاية هذا اللقاء الثر.. ماذا يود الدكتور عبد القادر طاش ان يضيف؟!***

بمناسبة هذا اللقاء الطيب الذى أشكر مجلة المنهل على اجرائه، وبمناسبة مرور عام على بداية البث لـ (قناة اقرأ الفضائية)، فاني اقول ان هناك تجارب عديدة في الاعلام الهادف، سواء في المجال المطبوع أو المسموع أو المرئي واعتقد ان تجربة (اقرأ) هي واحدة من التجارب التى تضاف الى تلك التجارب، مدى نجاحها او عدم نجاحها، أمرٌ متروك للمشاهدين من جهة، وللباحثين منهم بخاصة من جهة أخرى.

وأملى بهذه المناسبة ان يتوافر عدد من الباحثين الجادين لدراسة هذه التجربة، تجربة (اقرأ)..



ومن هنا نود من الباحثين المختصين ان ينظروا في هذه التجربة، في كل ابعادها وجوانبها، وتقوم مسيرتها من خلال الدراسة العلمية الموضوعية المنهجية، فانا أدعو الباحثين، وبخاصة في جامعاتنا العربية للالتفات الى التجارب العملية في في مجال الاعلام الاسلامي وتقديم دراسات موضوعية عنها، لان هذه الدراسات تفيدنا الى مواقع القوة والضعف، ولا شك ان هذا يساعد على التمتين من مواطن القوة ومعالجة مواطن القصور والضعف، هذه حقيقة أمنية كبيرة آمل ان تتحقق باذن الله تعالى.

وفي نهاية هذا اللقاء يبقى عليَّ حقيقة أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والوفاء لمجلتنا الحبيبة المنهل..

ومجلة المنهل، مجلة عريقة في مسيرة الثقافة السعودية بخاصة والثقافة العربية بعامة ومنذ أن بدأت هذه المجلة كانت ولازالت ذات منهج واضح، ويحمد فيها الاستمرارية، حتى عندما جاءت التطورات الحديثة أخذت بها، وبقيت ملتزمة بثوابتها الموضوعية في التناول الثقافي والفكري والاجتماعي والعلمي، لها سمتها ومنهجها الإسلامي والعربي، وكما قلت فان هذا يحمد لها أنها استقرت على هذا المنهج واستمرت عليه رغم الكثير من التيارات التى مرت على الثقافة، ظلت ثابتة على منهجها، وهذا لا شك سمة من سمات المجلات العريقة ويبقى لمجلة المنهل تميزها وتفردها ونكهتها الخاصة.

الجانب الآخر الذي يميز مجلة المنهل أنها تستقطب أقلاما متنوعة من شتى البلدان العربية والاسلامية، أقلام لها مكانتها العلمية والفكرية على مستوى عالمنا العربي.. وهناك أقلام ربما لا نجدها إلا في مجلة المنهل، حتى أصبحت من أعمدتها، ولهذه الاقلام الرصينة قراؤها ومتابعوها والحريصون على اقتناء المجلة من اجلها، واذكر بين هذه الاقلام أستاذي الكبير الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي الذى تتلمذت عليه، ولا أعني التلمذة المنهجية في داخل الفصل بل هو استاذي في كتاباته، ومن هنا أوجه له التحية.

حوار:
السمانى كمال الدين

صدى الألحان

شعر/ مفرح السيد
- السعودية -

أيهـا الحب الذى ولّى زمانه
وتوارى عن فـؤادى عنفوانه
قبل ما يمضى من الحب أوانه
أين منّى في هوى الماضى حنانه

* * *

أيهـا الحب الذى قـد راح عنى
سلب المقدور هذا الحب منى
كم تمنينا ومـا يجدى التمنى
مـا لهـا لو حـققت في الحب ظني

* * *

أيهـا الحب الذى صـار حطاما
أهرقت في ليله الكف المداما
وانطوى في ظلمة الليل الندامى
وتلاشى الجو من نفح الخزامى

* * *

عـادت الألحـان في الدنيا عويلا
تندب العهد الذى كـان جميلا
وخليل في الهوى ضم خليلا
قـصر الليل وقـد كـان طويلا

* * *

يا صدى الألحان اين الحب أينا
كيف ضاع الحب هذا من يدينا
كم على الأطلال نحنا وبكينا
وانتهى هذا الهوى ثم .. انتهينا



أوراق زوجية

هن

مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

الياقوت.. مُفرح القلوب

ظل الياقوت الأحمر لبضعة آلاف من السنين جوهرة تيجان العائلات المالكة، وحلية الأميرات والأغنياء.. والأمل المنشود.. للباحثين عن الكنوز. إن هذا الحجر الذى احتاجت الطبيعة الى ملايين السنين لتكوينه هو الأكثر ندرة والأعلى سعرا بين الأحجار الكريمة، ويشكل هو وأخواته مثل الياقوت الأزرق «الصغير» نصف تجارة العالم بهذه الأحجار الملونة.

وفي عصرنا الحالي اهتدت التقنية الحديثة الى طريقة صنعه في الافران وأمكن تصنيعه في الولايات المتحدة الامريكية واليابان وسويسرا وروسيا وفرنسا وفي كل مكان لاغراض مختلفة مثل زجاج الساعات والاجهزة الطبية، وصناعة سفن الفضاء وصولا الى اجهزة فحص الاسعار في المحلات التجارية، حيث تحمى صفائح الياقوت الازرق هذه الاجهزة من الخدش وتسمح لأشعة الليزر بقراءة الاسعار.

ويقع الياقوت بنوعيه في قلب صناعة النظم العاملة بأشعة الليزر والاقمار الصناعية.

وهكذا فان النسخة التى يصنعها الانسان لهذه البلورات البالغة من العمر بلايين السنين توسع أهداف الإنسان باتجاه غزو الفضاء الكوني.. عن طريق الصواريخ.. وسفن الفضاء.

الياقوت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

ورد ذكر الياقوت في القرآن الكريم في موضع واحد في سورة الرحمن الآية/٥٨ حيث شبه الله العلى القدير نساء أهل الجنة بالياقوت والمرجان. قال تعالى: {كأنهن الياقوت والمرجان}.

وورد في صفة الجنة قوله {صلى الله عليه وسلم} «وحصباؤها الياقوت واللؤلؤ». قال سبحانه وتعالى في سورة الكوثر {إنا أعطيناك الكوثر} والخطاب هذا للرسول {صلى الله عليه وسلم} تكريما وتشريفا له ولمكانته الرفيعة ودرجته السامية عند الله عز وجل.. ومعنى الآية أننا أعطيناك يا محمد الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن هذا الخير العميم «نهر الكوثر» وقد ثبت في الصحيح أن الكوثر: «نهر في الجنة حافتاه من ذهب.

ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدا».

وقد ذكر الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله يقول: (كأنهن الياقوت والمرجان)، فأما الياقوت، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم أستصفيته لأريته من ورائه. وخيل الجنة من ياقوته حمراء. فقد سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: هل في الجنة من خيل؟ قال: «إن الله أدخلك الجنة فسوف تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت؟ كما يوجد في الجنة ثمة متابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ورد في المسند أنه قال {صلى الله عليه وسلم} إن الركن والحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة».

منافع الياقوت وأثاره الطبية:

يعتقد الكثيرون حتى الآن أن التحلي بالياقوت يؤمن الفحولة ويحمى من الأمراض والأخطار.

ويقال أنه يمنع نزف الدم إذا علق على ألإنسان، وأما خاصيته في تفريح القلب وتقويته ومقاومة السموم فأمر عظيم. وهو يفرح القلب إمساكا، ويقطع العطش إذا وضع في الفم أو تحت اللسان، ويقال إنه ينفع من الوسواس والخفقان وضعف القلب.

ومن منافعه أنه يخلع على لابسه مهابة وأبهة، وينبل

اعداد : أ.د. سامية محمد عامر
- مصـــر -



في أعين الناس، ويكون مهيبا موقرا منظورا إليه، مشارا إليه بالبنان.

أصناف الياقوت وخواصه:

: الياقوت الأحمر لونه أحمر بدرجاته المختلفة وهي:

١ ـ الياقوت الوردي.
٢ ـ الياقوت الخمري.
٣ ـ الياقوت الرماني.
٤ ـ البهرمان.
٥ ـ الياقوت الأرجواني.
٦ ـ الآرجوان.
٧ ـ الجمرى أو البنفسجي.

ثانيا: الياقوت الأصفر:

ولونه أصفر بدرجاته المختلفة من الأصفر الفاقع الى الباهت.

ـ الرقيق ـ الخلوفي ـ الجلتاري ـ الآترجي ـ التيني ـ المشمش.

ثالثا: الياقوت الأسمانجوني:

وينتظم اللون الازرق بجميع درجاته المختلفة كل أنواع الياقوت الأزرق.

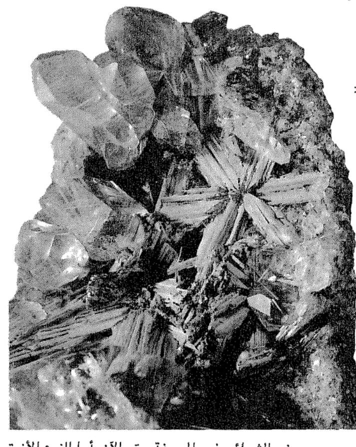
١ ـ الياقوت الأزرق.
٢ ـ اللازوردي.
٣ ـ النيلي أو الياقوت الذكر.
٤ ـ الياقوت الكحلي.
٥ ـ الياقوت الزيتي.
٦ ـ الياقوت البنفسجي.
٧ ـ سفير.

رابعا: الياقوت الأبيض:

جميع أصنافه الأربعة لونها أبيض.

١ ـ المهاى أو الأبيض.
٢ ـ الياقوت الذكر.
٣ ـ الياقوت الأنثى.
٤ ـ سفير أبيض.

التركيب الكيميائي لكل هذه الأنواع واحد وهو ثالث أكسيد الألمونيوم لو ٢أ٣ (AL2 o 3) إلا أن النوع الأبيض يتكون من ثالث أكسيد الألومنيوم النقي Pure Corndum أما النوع الأحمر فيكون مشوبا بالقليل من اكسيد الحديديك ح٢/٣٠ والنوع الأصفر يكون مشوبا



ببعض الشوائب غير المعروفة حتى الآن، أما النوع الأزرق فيكون مشوبا بآثار طفيفة من أكسيد الحديد والتيتانيوم.

ومعامل إنكسارة الياقوت ٧٦٠٦ر١ ـ ٧٦٨٧ر١، ودرجة الصلابة ٩، والوزن النوعى ٩٨٩ر٣ ـ ٠٠٠ر٤ ، ونظام تبلوره سداسي.

ويذكر احمد بن يوسف التيفاشى أن أجود الياقوت هو الأحمر البهرماني، الرماني، الوردى، المشرق اللون الذى ينفذه البصر بسرعة، الخالى من العيوب.

ومن عيوب الياقوت التى تعتريه الشعرة والسوس وقيل: إن أردأ ألوانه الأحمر الوردى الذى يضرب الى البياض والسماقى الضارب الى السواد وكذلك الرمادى ويسمى السنورى أو الزيتى.

ومن خصائصه أنه يقطع كل الأحجار ولا يقطعه شيء غير الماس ولا يكون مثقوبا بغير الماس.

الياقوت في الشعر العربي:

ـ يقول جرير في وصف محبوبته:

إذا مشيت على الحصباء صورها
شعاع خديك ياقوتا ومرجانا

- أما البحترى فيقول:

أما ترى الورد يحكي خجلة ظهرت
في صحن خد من المعشوق منعوت
كأنه فوق ساق من زبرجدة
نثر من التبر في محمر ياقوت

- وقال أبو نواس، من أروع النسيب والتشبيب:

فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة
في كف لؤلؤة ممشوقة القد.

- وقال الصنوبرى:

الجزع، والياقوت، والدر
عيناك، والخدان ، والثغر

- قال حاتم الطائي:

وعلقن في أعناقهن لناظر
جمانا وياقوتا ودرا مؤلفا

- وقال أبن أحمر:

كأن دوي الحلي تحت ثيابها
دوي السفا لاقى الرياح الزعازعا
جمان وياقوت كأن فصوصه
وقود الفضا زان الجيوب الروادعا

- وقال جميل بن معمر (جميل بثينة) الشاعر العذري:

من البيض معطار يزين لبانها
جمان وياقوت ودر مؤلف

أهم مناطق استخراج الياقوت في العالم:

لعدة قرون كان الصفير ذو الحجم الكبير يأتى من كشمير واليواقيت الجميلة تأتى من مايانمار «بورما حاليا» وسريلانكا، أما اليوم فقد أصبحت تايلند وكمبوديا وأستراليا وكينيا ونيجيريا مناطق استخراج رئيسية وشقت مناجم جديدة في الصين وفيتنام. وهناك نوع من «الصفير» الأزرق يأتى من مونتانا في الولايات المتحدة الأمريكية وتجدر الإشارة هنا أن ما يانمار هي منطقة المناجم الأسطورية حيث خرج من مناجم موجوك في هذه البلاد عدد كبير من اليواقيت المميزة التى جمعها مهراجات الهند وشاهات فارس وسلاطين آل عثمان. النوع الذى تنتجه هذه المنطقة يسمى «يواقيت دم الحمام» وهو النوع النادر الذى يعثر على القليل منه سنويا، إنه ذو ألق متميز بسبب الكروميوم المشع.

عمليات قطع وصقل الياقوت:

تنتشر مصانع القطع والصقل في شوارع «بانكوك» و«كانثابورى» وتبدأ معالجة الآحجار الخام بعد أن يقيم الصانع الماهر البللورات ويقرر الشكل الذى يجب أن تتخذه أحيانا تشطف حواف البلورة وتقطع وغالبا ما يتم تشكيل الأحجار بأشكال دائرية أو بيضاوية أو على شكل مثمن الأضلاع أو بأى شكل بواسطة دواليب يتم تعشيق حوافها بالماس، وتستمر عملية الصقل الى أن يتحول سطح الحجر إلى ما يشبه المرآة.

تقليد الطبيعة لانتاج الياقوت الصناعي:

يعالج معظم الياقوت والصفير، وأنواع أخرى من الأحجار الكريمة بالتسخين، وذلك لتكثيف ألوانه واكتمال صفاته، وإنتاج مجوهرات نقية قابلة للتسويق وهذه المعالجة معروفة منذ زمن بعيد. وجاء في رسالة لكاتب عربى من القرن الحادى عشر وصف دقيق لعملية تسخين الياقوت، وهى العملية نفسها التى تجرى في العصر الراهن.

وبدخول التكنولوجيا الحديثة أصبح من الممكن جعل النتائج دقيقة فالمعالجة بالحرارة هدفها تنقية الياقوت من الداخل. وتصل درجة حرارة التسخين في أفران الغاز والكهرباء المسيطر عليها بالكمبيوتر الى ٢٠٠٠ درجة سنتقريد تقريبا.

وتتنوع عمليات التسخين أو إعادة تصنيع الياقوت والصفير، وهناك اليوم طريقة جديدة تسمى «المعالجة بالتغلغل» يقوم بها تاجر أمريكى يسمى «جيفرى بيرجمان» يشترى من بانكوك أحجاراً ذات ألوان تعتبر لا قيمة لها أو عديمة اللون من الصفير السريلانكى ثم يرسل ما يشتريه الى مختبر في كاليفورنيا حيث تغلف بعنصرى التيتانيوم والحديد. وبعد طبخه لمدة ٦٠٠ ساعة في درجة حرارة عالية يتغلغل التيتانيوم والاكسيد في الحجر بطول ٤، مليمتر، ثم ترسل الأحجار المعالجة بالحرارة الى بانكوك ثانية حيث يقوم الصناع المهرة بصقلها محاذرين إزالة الطبقة الزرقاء الرقيقة ويبدو أن هذه الطريقة قديمة قدم التجارة نفسها فقد كتب بللينى قبل ١٩ قرنا أن الزجاج يمكن أن يتألق مثل اللهب عندما يغلف بطبقة معدنية مطروقة ولامعة. وبذلك نجد أن الكثير من البضاعة التى تباع على أنها ياقوت لا تعدو أن تكون مركبات صناعية من صنع الإنسان لذلك نجد أن تحديد هوية الياقوت تحديدا دقيقا بدون تدريب أمر مستحيل. ومع زيادة الطلب على الياقوت والصفير الصناعى لدخوله في كثير من الصناعات كما سبق ذكره ظهرت محاولات عديدة لصناعته نذكر منها طريقة الصهر،



حيث تجري العملية في أفران كهربائية تحتوى على المادة المصهورة «أكسيد الألونيوم والكروميوم».

ويتم تسخين الخليط جيدا تحت درجة حرارة تتجاور ١٠٠٠ درجة ثم توضع بذور الياقوت في قلب هذا الخليط المتوهج ويستغرق نمو بلورات الياقوت سنة تقريبا لتتحول الى ياقوت. وهناك طريقة أخرى تجرى في مختبر في لوس انجلوس تقوم بها «جوديت أوسمر» الباحثة السابقة في تنمية بلورات الفضاء، وتختلف عن الطريقة السابقة أنها لا تستخدم بذورا بلورية، مع أنها تستخدم طريقة الصهر نفسها.

وخلاصة القول في هذه الطريقة أن العمليات حين تكون دقيقة، فإن الذرات الناتجة تصطف في أشكال شبكية سداسية وتتبلور مكونة الياقوت، تماما كما يحدث في الطبيعة.

وفي الاتحاد السوفيتي السابق أجريت تجارب لإنتاج الياقوت بالتسخين المائى ولكن غالبية الياقوت الصناعى ذى السعر العالى ينتج بطريقة التسييل، وذلك لأن هذا النوع نادر نسبيا وله مظهر الياقوت الطبيعى بألوانه المتنوعة ويستجيب لميول شتى المستهلكين وعلى العكس من هذه التقنيات يستخدم أحد أكبر المنتجين العالميين للياقوت الصناعى طريقة مختلفة تسمى طريقة «الانصهار باللهب».

وهي طريقة بدأت وتطورت منذ تسعينيات القرن التاسع عشر. ويقع هذا المصنع في مونتى السويسرية بين جبال الألب وبحيرة جنيف. ويحتوى هذا المصنع على ما يقارب الألفى فرن وقودها الهيدروجين، وقد بدأ العمل باستخدام مسحوق أكسيد الألومنيوم عديم اللون، وللحصول على اللون الأحمر يضاف اكسيد الكروميوم. أما للحصول على اللون الأزرق فيضاف التيتانيوم والحديد، وللحصول على اللون الأخضر يضاف عنصر الكوبالت. أما اللون الأصفر فيمكن الحصول عليه بإضافة النيكل بدلا من الحديد. ثم يسقط المسحوق من وعاء قمعى الشكل ويمر عبر اللهب فيتحول الى سائل يستقر على بذرة بللورية حيث ينمو الياقوت والصفير خلال خمس ساعات ونصف الساعة على شكل اسطوانى بطول ٧ سم وعرض ٢ سم. وقد أصبح الآن ستة منتجين على الأقل بهذه الطريقة، اضافة الى مؤسسات اخرى تستخدم تقنيات مختلفة، وكل هذا ينتج أكثر من بليون قيراط من الكورنيوم سنويا.

استخدامات الياقوت الأحمر والأزرق الصناعي:

١ - أكبر سوق للياقوت الأزرق الصناعى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يباع بالجملة بأقل من ٥ دولار للقيراط، ويتم تحويل جزء كبير منه الى شرائح تستخدم كزجاج للساعات، وتكلف ساعة من هذا النوع أكثر من ٤٠٠ دولار، حيث تتكون واجهتها الزجاجية من الصفير الأزرق الذى لا يؤثر فيه أي نوع من الحوامض أو أى مادة كيماوية اضافة الى أنه ضد الخدش.

٢ - يستخدم في صناعة ساعات الكوارتز والبوصلات والعدادات الكهربائية وكخيوط مرشدة في آلات النسيج.

٣ - أكثر استخدامات الصفير تقدما تتم تطويرها في الولايات المتحدة. ففى امريكا أصبحت قضبان الياقوت الصناعى حجر الزاوية في عالم نظم أشعة الليزر ويرجع ذلك الى أهم ما يتميز به الكورندوم وهو المتانة ودرجة ذوبانه العالية وقابليته لتحرير كل أنواع الموجات، من موجة الأشعة فوق البنفسجية مرورا بموجات الأشعة المنظورة ووصولا الى الأشعة تحت الحمراء، وبواسطة إيجاد التوافق بين أطوال الموجات المهمة المطلوبة، يستطيع قضيب واحد القيام بكل المهمات.

٤ - في جو الفضاء أو المفاعلات النووية، تستطيع جزيئات الإشعاع اختراق رقائق السليكون التقليدية فتعيق هذه الجزيئات المشحونة عمل الرقائق. ولكن استخدام الصفير لتدعيم هذه الرقائق التى تستخدم في صناعة الدوائر الكهربائية يجعلها تقاوم بشكل طبيعى اختراق الأشعة وذلك لان الصفير يعتبر عازلا جيدا في معظم الأحيان.

٥ - وأخيرا هنالك خصائص مهمة للصفير ساهمت في نجاح الولايات المتحدة في حرب الخليج الأخيرة وتحرير الكويت. إن قضبان الصفير تشكل أساس عمل جهاز يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويوجد قرب محرك الطائرة الحربية، مبرمجة اصدار اشارات قوية تجعل المحرك وكأنه نسخة ثانية من محرك طائرة العدو أو دبابته أو أى آلة من آلاته ومهمة هذا الجهاز هى تضليل صواريخ العدو.

٦ - إستخدام الصفير في صناعة أنف الصاروخ فالصفير يستعصى على الخدش والحك حين يمر الصاروخ عبر عاصفة رملية مثلا، وهكذا فإن الأنف المصنوع من الياقوت الأزرق يسمح بدخول الإشعاع الذى يحتاجه جهاز الاحساس في الصاروخ للوصول الى هدفه بدون عائق.

الحناء علاج طبى ناجح

ظاهرة النقش بالحناء كانت موجودة منذ فجر التاريخ وقد استعملت المرأة العربية النقش بالحناء منذ آلاف السنين والتي ارتبطت في البداية بالأميرات من «كيلوبترا» الى «قطر الندى» ثم شاع بين عامة النساء.. ثم اقترن بالأفراح والأعياد والعلاج.

وروي أن الحناء شجرة من الجنه وأن أول من تحنت بها السيدة «هاجر» زوجة سيدنا ابراهيم وأم اسماعيل عليهما السلام، فعندما كانت تجمع الحصى حتى لا يتسرب الماء الذى نبع لاسماعيل اخذت يدها تتشقق وعندما دبت الحياة في مكان معيشتها، مع ابنها اسماعيل جاء اناس من العرب ودلوها على وجود شجرة الحناء وحملوا لها منها وريقات طحنتها وخضبت بها يدها فشفيت والتأمت الجروح.

فما هي شجرة الحناء وما هى فوائدها؟؟:

شجرة الحناء ضاربة جذورها في اعماق التاريخ نظرا لما لها من استعمالات طبية عديدة اذ يكبر نباتها حتى يصير شجرة معمرة متساقطة الأوراق من موسم لآخر ويصل علوها ما بين ٨٠ سم الى ١٢٠ سم وقد يصل علوها أحيانا الى زهاء سبعة أمتار وموطنها الأصلى مصر القديمة وبلاد فارس ثم انتقلت الى افريقيا وأوروبا.

والحناء صلبة عديمة الشكل لونها أسمر أو أحمر قاتم تذوب جزئيا في الماء البارد وكليا في الماء المغلي.

أهمية الحناء عند المسلمين:

ترتبط الحناء عند المسلمين بجانب من الفكر الديني فاستعمالها سُنَّة وإن النبي [صلى الله عليه وسلم] قد ندب إلى استعمال الحناء للزينة أو استعمالها كدواء.. وهناك من الأحاديث للرسول [صلى الله عليه وسلم] ما رواه الامام ابو داود واحمد: أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ما شكا اليه أحد وجعاً في رأسه إلا قال له «احتجم» وما شكا اليه وجعاً في رجليه إلا قال له «اختضب الحناء».

وكان إذا صدع غلف رأسه بالحناء وهو يقول «إنه نافع باذن الله من الصداع» رواه ابن ماجة في سننه.

وذكر ابن القيم في فوائد الحناء.. ومن منافع الحناء انه محلل نافع من حرق النار وفيه قوة موافقه للعصب إذا ضمد به وينفع إذا مضغ من قروح الفم، وقد ورد في غير كتاب من كتب العرب الطبية ما نوه بأهمية الحنة الصحيحة فأشار «ابن عوام» في كتابه «الفلاحة» الى أن: «الحنة باردة وترطب بطبيعتها تستعمل النساء أوراقها للخضاب كزينة ويستعملها الرجال لتبرد وتهدىء المزاج».

وما من كتاب كتبه أطباء العرب القدامى إلا ذكروا فيه «الحناء» كعلاج يقول ابن سينا في كتابه الشهير «القانون في الطب» قيل انه يفعل في الجراحات فعل دم الأخوين فهو نبات ينفع لأوجاع العصب يدخل في مراهم الفالج والتمدد ودهنه يلين الأعصاب وينفع في كسر العظام يطلى على الجبهه مع الخل للصداع، وفي قروح الفم موافق لأوجاع الرحم.

فوائد الحناء:

وللحناء العديد من الفوائد للأماكن التى توضع عليها وهي:

أولا: الرأس والشعر:

- تخفف حرارة الرأس وتنقي فروة الشعر من الميكروبات والطفيليات ومن الافرازات الزائده من الدهون.
- تفيد في علاج القشرة والتهابات فروة الرأس.

اعداد : نائلة عثمان انعيم
- الاردن -



- تقلل من افراز العرق.
- تغذي الشعر وتكسبه حيوية وقوة.
- تعتبر أفضل وسيلة لصبغ الشعر لاحتوائها على مادة لونية طبيعية تخترق الشعرة وتصبغها تماماً دون اضرار جانبية.

ثانيا: الأيدي والأقدام:

يقضي معجون الحناء على الطفيليات التى تسبب الحساسية سواء بين أصابع الأرجل أو ثنايا الجسم فهي تقضي على فطر «التينيا» الذي يصيب الأقدام فيما بين الأصابع على سبيل المثال.

- تمنع المواد القابضة المتوفرة في الحناء من تشقق الجلد وتمده بالصلابة والحيوية وبذلك تفيد في علاج شقوق الأيدى والأقدام.

فوائد عامة:

- يمتاز نبات الحناء بأن جميع أجزائه ذات فائدة صحية فيقال إن لحاء الشجرة بعد غليه يمكن تناوله كعلاج للدوسنتاريا الأميبية.
- يستخلص من أزهار الحناء عطر «التمر حنة» وهو عطر عربي شهير.
- تستخدم ثمرة نبات الحناء المغلية في علاج متاعب الدورة الشهرية وأوجاع البطن ومفيد لآلام الظهر.
- يستخدم في علاج الجروح والتئامها.
- يستخدم في علاج العين «بدول الخليج» لأنها تعزل الجسم عن حرارة الرمل وتحول دون وجع العين الذي هو أحد العوارض الناتجة عن تسرب الحرارة.
- محلل نافع من حرق النار.
- فيه قوة موافقة للعصب إذا ضمد به.
- ينفع في قروح الفم.
- يستخدم في علاج السرطان كما جاء في كتاب «الخالصي».
- يستخدم في التحنيط لاحتوائه على مادة مطهرة تقتل الفطريات التي تعمل على تحلل الجثث.
- يستخدم في الترطيب والتنظيف والتطهير.

فوائد الحناء:

بدأت شركات ومستحضرات التجميل في الخارج تدرك أهمية الحناء في صناعتها، فبدأت تستخدمه في تركيب أنواع مختلفه من الشامبو ومنظفات البشرة وكريمات معالجة تشققات القشرة، وحول هذا الموضوع سبق وأن نشرت مجلة العلوم الطبية دراسة للدكتورة «اليس كوب» الخبيرة بأمراض الشعر والتجميل تقول فيها «إن المركبات الكيميائية التي تستخدم الآن في صبغة الشعر تضعف من افراز المواد الطبيعية من فروة الرأس وأن الصبغة الوحيدة المفيدة للشعر هي الصبغات المصنعة من: مواد طبيعية مثل الحناء.

ففي الوقت الذي ادرك فيه الغرب قيمة الحناء الذي استخدمته جداتنا منذ مئات السنين وأصبح يصنعه ويعيده الينا بأسماء جديدة إلا أن المرأة العربية مازالت بعيدة عن استخدامه بل وتعتبره «موضة» قديمة.

فمتى ندرك أهمية الحناء، أهمية ما تركناه وأهملناه؟؟

فاعلية الصورة البيانية في القصة الشعرية قصيدة (دلال) للشاعر عبد الله الفيفي نموذجاً

إن التنافذ بين فن الشعر وفن القصة مما يعزز الفنين ويستثمر خصائصهما المشتركة ولا سيما حين يجتمعان في مضمار القصة الشعرية، وليس من شأن هذه السطور أن تتعرض لطبيعة الصلة ما بين الشعر والقصة لان ذلك مما تعرضت له دراسات كثيرة. فضلا عن تلك الدراسات التي رصدت القصة الشعرية في الشعر العربي منذ مرحلة ما قبل الاسلام وحتى الوقت الحاضر[١]. حتى اذا ما دخلنا رحاب هذا العصر بدت القصة الشعرية[٢] مما لا يمكن انكاره أو تجاهله في ديوان الشعر الحديث لا سيما ان الشعراء المعاصرين اتخذوا من القصة الشعرية وسيلة تعبير مهمة من خلال تنمية احد عناصر القصة داخل القصيدة. وربما طمحت القصيدة الحديثة لأن تكون قصة متكاملة «لها ما يميزها من اجواء وحدث نام واشخاص نعرفهم ونحيا مشكلاتهم»[٣].

ويطلق الدكتور عز الدين اسماعيل تسمية (القصيدة القصصية) على هذا النمط الشعري اذ يورد ان القصيدة القصصية صارت تكتب الآن على انها نوع ادبي متميز[٤] ولو شئنا أن نفرق بين مصطلحي القصة الشعرية والقصيدة القصصية لقلنا إن الشاعر حين يغلب الطابع الشعري وتكون القصة أداة فنية ثانوية فإن مصطلح القصيدة القصصية يبدو مناسباً، بيد أن مصطلح القصة الشعرية يبدو اكثر ملاءمة حين ينسج الشاعر قصة كاملة يختار لها الاهاب الشعري شكلا، وفي هذه الحالة يكون الشكل الشعري ثانوياً قياساً بالقصة التى تنتظم القصيدة.

النموذج التطبيقي:

وفي المجموعة الشعرية الموسومة (اذ ما الليل اغرقني) للشاعر عبد الله الفيفي تتجلى ظاهرة القصة الشعرية ولا سيما في قصيدة دلال[٥] التي ستكون نموذجاً تطبيقياً للتحليل الذي سينحو منحى خاصاً يقوم على رصد الصورة البيانية بانماطها الثلاثة (الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية والصورة الكنائية)[٦]، من حيث صلتها بعناصر القصة، فالصورة البيانية تسهم بطريقة وباخرى في رسم الشخصية ونمو الحدث. وتدخل بالضرورة في نسيج السرد الشعري. وتتولى هذه السطور الاجابة عن سؤال مهم هو: هل للصورة البيانية دور في اظهار تأثير عناصر القصة؟. وهذا ما سيكشف عنه الجانب التطبيقي من هذه الدراسة.

يتقمص الشاعر في قصيدة دلال ـ التي جاءت في اطار ثلاثة مشاهد قصصية ـ دور الراوي الذي

بقلم: الدكتورة وجدان عبد الإله الصائغ
دكتوراه في النقد البلاغي ـ العـراق



دلال [*]

سارت شُعاعاً نابضاً متوقدا
فيها انتفاضات الربيع مُوردًا
تخطو على إيقاع نغم فاره
فاه الشبابُ بلحنه فترددّا
من (كعبها) انبثّ الضياء وعانقتْ
ذرّاتُ تُرْب العاشقين المُهتدى
وعلى جديلة شعرها سالت سبا
ئكُ من كنوز الله تهمي عسجدا
هي فتنة الدنيا ملاكٌ طاهرٌ
رأت الطريق أمامها قد مُهدا
ولها دلالُ الغصن ميّاس الجنى
فتحتْ لها الدنيا يداً ثُمَّ يدا

* * *

قالت: «وماذا لو رميتُ بمهجتي
في موجة الدنيا اللعوب لتسعدا!؟»
بلجتْ براعمها فألفتْ حولها
صور الجمال وكلُّ مال مُعْتدا
كانت يتيمة والد لم يرْعها
والأمُّ أشقى من رعاها مولدا
كانت (دلال) تُحسُّ مأساة امها
وترى حواليها الربيع زبرجدا
فمضتْ تُداري عاشقاً حيناً وحيـ
ـناً تشتري بوصالها المترددا
قد أطمعَتْ .. ويْلُم ما في مهجة
حرّى تخوض صراعها المتمردا!

* * *

غاصتْ بأحضان النُّضار وأغرقتْ
بالناعم الأملود .. فدأها النّدى
لكنّها سُلبتْ ثراء الروح في
لُجّ السراب وحلْمها المتوردا
ثابت .. وعادت بالجمال وقد ذوى
زهرُ الربيع.. وجفَّ في العود الندى
ولربّما تذوي الزهورُ البائسا
تُ .. بفصلها .. بيد الليالي والصّدى

(*) نشرت في مجلة (المنهل): العدد ٤٤٠ (صفر ١٤٠٦هـ = أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٥م).
المصدر: الفيفي، عبد الله: إذا ما الليل أغرقني. ط. (١) مطابع الشريف الرايض: ١٤١١هـ (١) مطابع الشريف الرياض: ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

يسرد علينا قصة تلك الفتاة بلمسات شعرية دالة، والراوي هنا من النوع الذي يعلم بسياق الاحداث وتطوراتها اكثر من الشخصية[٧]. لذلك يمهد في المشهد الاول للمفاصل المهمة في حياة دلال ابتداء بالاستهلالة التي تكشف عن براءة ذاتها ونصاعة روحها اذ يقول:

سارتْ شُعاعاً نابضاً متوقداً
فيها انتفاضاتُ الربيع مُورّدا
تخطو على إيقاع نغم فاره
فاه الشبابُ بلحنه فترددا

من كعبها انبثّ الضياء وعانقتْ
ذراتُ تُرب العاشقين المُهْتَدَى
وعلى جديلة شعرها سالت سبا
ئك من كنوز الله تهمي عسجدا
هي فتنة الدّنيا ملاك طاهر
رأت الطريق أمامها قد مُهّدا
ولها دلال الغصن مياس الجنى
فتحت لها الدّنيا يداً ثم يدا

يكنّي الشاعر ـ في البيت الشعري الاول ـ عن لسات الجمال الفطري والبراءة الغضة بعنقود من الصور البيانية، اذ تطالعنا الاستعارة التصريحية التي صيرت دلال (المستعار له) شعاعاً. وقد اضفى الشعاع (اللفظ المستعار) على الفتاة دلالات النصاعة والنقاء فضلا عن القدرة في اثارة الاريحية في النفوس. وينتقي خيال الشاعر لفظ (نابض) قرينة استعارية لاستعارة مكنية يستحيل الشعاع ـ تحت ظلالها ـ قسيماً استعارياً للقلب (المستعار منه) المترع بالحياة، ايحاء برهافة المشاعر والاحاسيس. وتطل من لفظ (متوقد) استعارة مكنية أخرى تصير الشعاع وهجاً (متوقدا) اشارة الى جذوة الشباب وعنفوانه، ويهب الربيع بطلة القصة الشعرية كل دلالاته المقترنة باللون الزاهي والعطر الذاكي فضلا عن التجدد والحيوية في نسيج صورة كنائية انتظمت الشطر الثاني.

ملامح البطلة حسيا:

ان هذا الاستهلال للقصة الشعرية قد أضاء جانباً من ملامح دلال الحسية وطبيعة سريرتها حيث استعانت الصور البيانية المتواشجة بتأثير ثلاث حواس هي حاسة البصر المستقاة من لون (الشعاع) الناصع، والربيع والوان وروده (موردا)، ولون التوقد (متوقدا). وحاسة السمع المستوحاة من صوت النبض (نابض). فضلا عن حضور حاسة اللمس المستمدة من وهج الوقد (متوقدا). اذ يعزز حضور تلك الحواس تأثير اللوحة الشعرية.

ولكي يفصح الشاعر/ الراوي عن ميعة الصبا وفورة الشباب فانه يستعين بالصورة البيانية التي ترصد ايقاعية خطوات دلال ـ بطلة القصة الشعرية ـ في البيت الثاني حيث يتأنسن الشباب (المستعار له) ـ تحت ظلال التشخيص الاستعاري ـ مغنياً يتسق (لحنه) مع تلك الخطوات الموقعة.

ويغدق حضور الالفاظ (ايقاع)، (نغم)، (فاه)، (لحنه)، (ترددا) على اللوحة الاستعارية طابعاً سمعياً بيناً. ويشكل تردد صوت النون والفاء مهاداً ايقاعياً اذ يتكرر صوت النون اربع مرات (ن ... ن ... ن ... ن) وصوت الفاء ثلاث مرات (ف ... ف ... ف) وفي اطار ما يُدعى بـ (التجمعات الصوتية)[٨] التي من شأنها ان تدخل في مفاصل الصورة الشعرية لتزيدها عمقاً في الدلالة وثراء في تدفق الايحاءات.

ويأتي البيت الثالث كي يكشف عن ملمح حسي آخر من ملامح دلال وهو لون بشرتها إذ تغدو بطلة القصة الشعرية (المستعار له) ـ تحت خيمة الاستعارة المكنية ـ مناراً للعاشقين بقرينة قول الشاعر (من كعبها انبث الضياء) افصاحاً عن لون بشرتها البيضاء التي تخفي تحت إهابها الفطرة الخيرة المتمثلة بنقاء السريرة وبهاء الروح وتكرس هذا المعنى الاستعارة المكنية التي شخصت (ذرات ترب العاشقين) اناسي (المستعار منه) (تعانق) خطوات دلال وتباركها.

وتظل الصورة البيانية اداة القصة الشعرية ووسيلتها في رسم ملمح خارجي آخر من ملامح دلال حيث تعكس في البيت الرابع لون شعرها وغزارته حين يصطفي خيال الشاعر (السبائك) قسيماً استعارياً مشتركاً لثلاث صور استعارية مكنية إذ تصيرها الأولى ماء (المستعار منه) بدلالة الفعل المستعار (سالت). وتجعلها الثانية والثالثة غيمة (المستعار منه) بدلالة الفعل المستعار (تهمي). تعبيراً عن نعومة شعر دلال وغزارته. ويضفي الفعلان المستعاران (سالت)



و(تهمي) على اللوحة الاستعارية سمات التجدد والحركية. ويعكس حضور اللفظين (سبائك) و(عسجد) دلالات اللون الاصفر البراق المقترن بالنفاسة والندرة.

سجايا البطلة النفسية:

ولكي يستكمل الراوي/ الشاعر ملامح شخصيته القصصية فانه ينتقل من سماتها الحسية التي اضاءتها الصورة البيانية الى سجاياها المعنوية حين يصوغ صورة تشبيهية مجملة تجمع بين دلال (المشبه المحسوس) وفتنة الدنيا (المشبه به المعقول). ولم يشأ الشاعر أن يورد وجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه كي يترك لمخيلة القارىء سانحة انتقاء وجه الشبه الذي يخدم السياق الشعري، ويشفع الشاعر هذا التشبيه بتشبيه مفصل يعقد من خلاله الصلة بين دلال (هي) (المشبه) والملاك (المشبه به). ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه هو سمة الطهر وقد ورد في نسيج التشبيه (طاهر). ويتآزر هذان التشبيهان كي يشكلا نمطاً تشبيهيا اطلق عليه البلاغيون (تشبيه الجمع)[٩]، حيث يتكرر فيه ايراد المشبه به دون المشبه وغايته هي استكمال صورة (دلال) الحسية الموحية بالجمال الاخاذ وصورتها المعنوية المقترنة بالسمو والعفاف.

وينتظم قوله: (رأت الطريق امامها قد مهدا) صورة كنائية تنم عن اقبال الحياة على البطلة، وقد رمز لها الشاعر بالطرق الخالية من العقبات.

وتمضي الصورة البيانية في اضفاء اللمسات الفنية على قوام دلال في البيت الشعري الاخير حيث يكون لفظ (دلال) محوراً لصورتين بيانيتين فهو قرينة استعارية لصورة استعارية مكنية تضفي السمات الانسانية على (الغصن مياس الجنى) (المستعار له) فيتجلى حسناء تقطر فتنة وغنجاً ويكون اللفظ ذاته (دلال) وجه شبه يجمع بين طرفي تشبيه مفصل يعقد الصلة بين بطلة القصة الشعرية المشار اليها بضمير الغائب (لها) (المشبه) و(الغصن مياس الجني) (المشبه به). ويهب المشبه به المشبه ايحاءات العطاء والجمال والتجدد. وتتآزر هاتان الصورتان البيانيتان كي تشيا باعتدال قوام دلال وتثنيه حين سيرها. ويشاء الشاعر أن يختم هذا المشهد باستعارة مكنية تستعير لـ (الدنيا) (المستعار له) من عالم الانسان (المستعار منه) سمات الكرم والعطاء المتدفق بدلالة (فتحت لها ... يداً ثم يدا) كناية عن احتفاء الحياة بها واقبالها عليها لما تمتلكه من صفات جمالية وسجايا نفسية سامية.

> **الكاتبة في سطور**
> - دكتوراة في النقد البلاغي.
> - أستاذة النقد الادبي والدراسات البلاغية.
> - لها جمهرة من الدراسات والبحوث نشرت في العديد من المجلات المختصة.
> - صدر لها كتاب «الصورة البيانية في شعر عمر ابي ريشة».
> - لها مجموعة من القصائد.
> - شاركت في مجموعة من المؤتمرات والندوات.

حركية الصورة:

ومنذ مستهل هذا المشهد نلحظ ان الشاعر يفضل ان يلتقط لبطلته (دلال) صوراً تزخر بالحركة وهي تنعكس على صوره البيانية. أو لم تر كيف يهتم بسير دلال (سارت) وخطواتها (تخطو) و(من كعبها) على صعيد الحركة المحسوسة؟ وربما كنى عن حركتها المعنوية واسلوب عيشها بـ (الطريق الممهد). وبذلك فان الشاعر يهب صوره البيانية فيضاً من الحيوية والعنفوان.

ويضم المشهد الثاني ذروة الحدث الذي تنهض به هذه القصة الشعرية حيث تتجه دلال صوب طريق

لم تألفه في حياتها بل تجرب الخوض فيه وتحاول اقناع ذاتها به عبر حوار ذاتي (Monologue) (١٠). يطل علينا من خلال استهلالة المشهد الثاني في قول الشاعر:

قالت: وماذا لو رميتُ بمهجتي
في موجة الدنيا اللعوب لتسعدا؟
بلجتْ براعمها فألفتْ حولها
صور الجمال، وكل مال مُعْتَدا
كانت يتيمة والد لم يرعها
والأم أشقى مَنْ رعاها مولدا
كانت دلال تحسُّ مأساة امّها
وترى حواليها الربيع زبرجدا
فمضت تداري عاشقا حيناً وحيـ
ـنا تشتري بوصالها المترددا
قد أطمعتْ ويْلُم ما في مُهْجة
حرّى تخوضُ صراعها المتمردا

ويكون التجسيم الاستعاري[١١] أداة فنية في البيت الاول تتشكل من خلاله صورتان استعاريتان مكنيتان أما الاولى فانها منحت المهجة (المستعار له المعقول) جسماً بدلالة الفعل المستعار (رميت). واما الاخرى فقد اسبغت على الدنيا (المستعار له المعقول) اجواء البحر ودلالات عالمه الغامض بقرينة (موجة) وحرف الجر (في).

وينتقي خيال الشاعر لفظ (اللعوب) قرينة استعارية لاستعارة مكنية ثالثة تتشخص من خلالها الدنيا (المستعار له) فتاة متقلبة لا يقر لها قرار. وتشع من تواشج هذه الصور الاستعارية كناية تشي بالرغبة العارمة التي اجتاحت دلال في اختراق حواجز الفضيلة والامان والنأي عنهما.

ولقد وردت هذه الصور البيانية في اطار تساؤل ينم عن بدء استجابة البطلة لتلك النوازع اللاهثة وراء البريق الزائف.

وتنطوي الاستعارة المكنية التي شخصت الدنيا (المستعار له) على ثنائية ضديَّة تعكس نقيضين، اذ تظهر الدنيا - في خاتمة المشهد الاول - في غاية اللطف والسخاء. في حين أنها تبرز - في مستهل هذا المشهد - باهاب آخر يشي بالتغير والتقلب ارهاصاً بوقوع حدث وشيك تنقلب فيه حياة دلال رأساً على عقب.

وتسجل الصورة البيانية بداية انسياق بطلة القصة الشعرية الى ذلك السبيل الوعر حيث يطالعنا البيت الثاني باستعارة مكنية تضمنها قول الشاعر: (بلجت براعمها) حيث تستعير البراعم (المستعار له) من الفجر دلالات الانبلاج (بلجت) الموحية بالاشراق والتجدد. وتسبغ لفظة (البراعم) على الصورة ايحاءات الغضارة واللون الأخضر الزاهي. وتنبثق من هذه الاستعارة صورة كنائية تتجلى من خلالها تلك الفتاة (المكنى عنها) ايكة براقة زاهية الالوان ايماء الى أصباها الغض. وقد استجابت لها الحياة في هذه المرحلة حين زينت لها هذا السبيل واخفت امامها عواقب حصولها على ذلك المال الحرام الذي كنى عنه الشاعر بقوله: (مال معتدا).

الارتجاع الفني:

يعود الشاعر الراوي، وبأسلوب الارتجاع الفني (Flash - back) (١٢) إلى ماضي دلال، حيث يسترجع في البيت الثالث من مقطع القصيدة الثاني المهاد الاجتماعي الذي ترعرعت فيه متلبثاً عند حدث فقد الأب حين تنسج الصورة الكنائية التي انتظمت البيت خيوط مأساة تلك الفتاة مشيرة الى طبيعة الاجواء التي ادت الى انهيار القيم والمثل لديها لا سيما انها شهدت معاناة امها وخلو حياتها من الرعاية والرفد المادي. ويكرس تكرار الفعل (رعى) الذي ورد مجزوماً مرة وبصيغة الماضي اخرى (لم يرعها، و(رعاها).

أجواء الفقد والحرمان:

وتنزع شخصية الفتاة في البيت الرابع صوب السقوط ومحاولتها تبريره والاقتناع به. وتأتي الصورة



التشبيهية المرسلة كي تعقد الصلة وعبر فعل التشبيه (ترى) - بين شباب دلال المترع بالحيوية والذي رمز له بالربيع (المشبه المحسوس) وبين الثراء وقد عبر عنه بالحجر المؤات (الزبرجد) (المشبه به المحسوس) ايحاء برغبة البطلة في ان تستبدل نبض الشباب وعنفوانه بسكونية الزبرجد وجموده.

لقد تفننت ريشة الشاعر في تلوين هذه الصورة التشبيهية اذ نهلت من الربيع الوانه المتجددة واستقت من الزبرجد خضرته البراقة التي ارتضتها بطلة القصة بديلا عن الوان الربيع الحية.

ولكي ترسم الصورة البيانية تهاوي تلك الفتاة في دوامة الرذيلة فانها تعكس في البيت الخامس - وتحت افق صورة كنائية - كثرة المتهافتين عليها (عشاقها) العابرين الذين تتشكل من مجموعهم صورة الشخصية الشريرة التي تلتهم الجانب الخيّر من البطلة وتمتص نضارتها وتغير مسار حياتها باتجاه الهاوية.

ومثلما منح السياق الشعري لفظة العشق (عاشقاً) ايحاءات الغواية والزيف، فان الوصال يغادر دائرة السمو والرفعة كي يدخل في اطار الضعة والابتذال حين تجسمه الاستعارة المكنية بضاعة (المستعار منه) بقرينة الفعل المستعار (تشتري) ايماء لإيغالها في اقتناص (عشاقها) بعد ان نجحوا في اغوائها ببريق المال الخادع.

ويشكل تكرار ظرفي الزمان (حيناً، وحيناً) قوام صورة كنائية نمت عن اجواء الزمن الموبوء الذي شغلته بطلة القصة بما يتنافي والقيم الخيّرة للمجتمع لاهية عن العاقبة السيئة التي تتربص بها. ويتضمن إنشغالها هنا بحياتها الجديدة غياب سريرتها الخيّرة من جانب فضلا عن ضمور نضارتها ووشك أفولها تحت وطأة الزمن الذي لا ينجو من تأثيره انسان على وجه هذه البسيطة.

خاتمة المشهد:

ويتخلى الشاعر/ الراوي عن رداء الحياد في خاتمة هذا المشهد حيث يتفاعل في البيت السادس مع سياق القصة الشعرية فيشير الى مأساة بطلته وما تثيره من شجن في النفوس لا سيما ان الشاعر كنى عن خوضها في عالمها المعتم بـ (المهجة الحرى) وهي تعاني (صراعها المتمردا) وتشع من هذه الصورة الكنائية - التي انتظمت البيت - ثنائية ضدية تنمّ عن التعاطف معها على اساس انها ضحية و(قد اطمعت) تلويحاً بما تنطوي عليه النفس البشرية من نوازع انساقت اليها دلال. بيد ان طرف هذه الثنائية الآخر هو احساس الشاعر/ الراوي بالسخط عليها إذ تمادت في غيّها ولابد في هذه الحالة من ان تواجه مصيرها المحتوم كي تكون عبرة لسواها من بنات جنسها. ان هذا الانتقال من السرد الموضوعي الى السرد الذاتي له ما يبرره اذ يفرضه سياق القصة الشعرية، وهو يأتي استجابة لذروة الحدث الذي شهد سقوط القيم النبيلة في اعماق دلال وقرب ذبول ألقها وخفوت بهاء ملامحها.

ويعود الشاعر/ الراوي الى فضاء السرد الموضوعي في مشهده الثالث والأخير حيث يواصل سرده لاحداث قصته الشعرية فيستهل المشهد بوصف انغمار دلال في مباهج الحياة الزائلة إذ يقول:

غاصت بأحضان النضار وأغرقتْ
بالناعم الأملود فـــداّها النّدى
لكنّهـــــا سُلبتْ ثراء الروح في
لُجّ السّـراب وَحُلْمَـهَـا المتـورّدا
ثابت وعـادتْ بالجـمـال وقـدْ نوى
زهرُ الربيع وجفّ في العـود النّدى
ولربّمـا تنوي الزهـور البـائسـا
ت بفصلها.. بيد الليالي والصدى

يروق للشاعر في البيت الاول ان يصبغ لوحة دلال - في هذه المرحلة - باللون الاصفر البراق المستوحى من صفرة النضار. فهو لا يكتفي بحضوره - تحت افق الاستعارة المكنية - اما

(المستعار منه) تلوذ باحضانها دلال كي تحس في كنفها بالسكينة والامان. بل انه يحيل النضار - في اطار استعارة مكنية اخرى - بحراً (تغوص) في اعماقه دلال تكريساً لاجواء الاحاطة والاشتمال.

وتنهل الاستعارة المكنية التي انطوى عليها قول الشاعر (اغرقت بالناعم الاملود) من البحر ودلالاته مرة أخرى اذ يتجلى قسيماً استعارياً لـ (الترف والنعيم) (الناعم الاملود) بقرينة حرف الجر (الباء) والفعل المستعار (اغرقت) اشارة الى انقطاع دلال عما يصلها باسباب الحياة الكريمة وانغلاق عالمها على اجواء الرذيلة بعيداً عن الهواء الطلق والاجواء الخيّرة. ويضفي الفعلان المستعاران (غاصت واغرقت) على اللوحة الاستعارية ايحاءات الضياع والغرق المؤذن بالاختناق والموت الوشيك، ولكي تتقصى الصورة البيانية اجواء الثراء التي كانت تنغمس فيها بطلة القصة الشعرية فانها تصير الندى - في قول الشاعر (فداها الندى) انساناً (يفدي) دلال بكيانه في سياق استعارة مكنية نمت عن قدرتها على سلب العقول الخاوية بسحر فتنتها وبريق شكلها.

وتفصح الصورة البيانية في البيت الثاني عن الخسارة التي منيت بها دلال. صحيح انها كسبت الثراء المادي الذي يقع خارج ذاتها ولكنها خسرت سموها وعنفوانها اذ افتقرت روحها الى زاد الفضيلة وقد عبرت عنه الصورة الاستعارية - التي انطوى عليها قول الشاعر (سلبت ثراء الروح) - اذ شخصت الروح (المستعار له) انساناً مثرياً وما ذلك الا لأن دلال استبدلت الجوهر الأصيل والثابت (ثراء الروح) بما هو براق وغير حقيقي وقد كنى عنه بـ (لج السراب) الموحي بالزيف. وقد اصطبغ حلم الفتاة بلون الورد (حلمها المتوردا) كناية عن الق ذلك الحلم ولقد جاءت واو العطف كي تعطف ذلك الحلم الزاهي على اثراء الروح حيث سُلبتهما تلك الفتاة وخسرتهما معاً، بيد أنها لم تع خسارتها الحقيقية في غمرة انسجامها مع تلك الاجواء الحالكة.

ويكتنز البيت الثالث بالايحاءات التي تخدم سياق القصة الشعرية فثمة كناية تشع من قول الشاعر (ثابت) تشي بنمو في شخصية دلال اذ تستيقظ الفطرة الخيّرة في اعماقها كي تؤنبها على ما جنته يداها وتعيدها الى جادة الرشاد، وبذلك تنهي هذه الكناية رحلة البطلة الخائبة في دروب الطيش والهوى. ويشفع الشاعر هذه الكناية بكناية اخرى انتظمت قوله: (وعادت بالجمال وقد ذوى زهر الربيع وجف في العود الندى) اذ تشير الكناية الى تغيّر ملامح الجمال وتلاشي نبض الشباب وعنفوانه. لقد غيبت هذه الصورة البيانية ألق الربيع والوانه الزاهية لتحل محله صفرة الذبول ولون الهشيم، ايماء لتأثير عنصر الزمن على ملامح دلال. كما عزز الفعلان (ذوى جف) ايحاءات الافول والانكسار.

وتتضح في خاتمة القصيدة العبرة المستقاة من هذه القصة الشعرية حيث يصوغ الشاعر في البيت الرابع والاخير عنقوداً من الصور البيانية تطالعنا منها الاستعارة التصريحية التي تحل من خلالها النساء في اهاب الزهور، وتغيب هذه الاستعارة النساء لتحضر الزهور محلها. لقد اسبغت الزهور (اللفظ المستعار) على النساء (المستعار له) دلالاتها المقترنة باللون الزاهي والرائحة الشذية والملمس الناعم فضلا عن الجمال والغضارة، وتشع من قول الشاعر: (البائسات) كناية تنم عن الظرف القاسي الملفع بالشقاء. وتتشكل من قوله: (بفصلها..) تورية تشي بمعنيين احدهما يشير الى فصل الربيع وهو زمن تألق الزهور وزهوها، واما المعنى الآخر فينم عن القطف المفضي الى الافول والموت. وتضفي الاستعارة المكنية على الليالي (المستعار له) سمات الجاني فتبرز بملامح شرسة وقاسية، وتعزز القرينة الاستعارية (يد) بوصفها اداة الجاني ووسيلته في الايذاء اجواء البطش والوحشية التي تخوض في غمارها تلك الزهور اللاهثة خلف بهرج الثراء وقد اقترن في مخيلة الشاعر بالصدى فبدا



ـ وفي سياق استعارة مكنية ـ جانباً آخر يسهم في قتل تلك الزهور وسحقها. لقد لوّن الشاعر وبوعي منه خاتمة قصته الشعرية باللون الاسود المستمد من الليالي حداداً على بطلة قصته الشعرية التي أمست هشيماً وحطاماً.

وبعد:

فان الصورة البيانية التي تفنن الشاعر عبد الله الفيفي في صياغتها كانت أداة فنية أبرزت عناصر القصة الشعرية في قصيدة (دلال) ولا سيما الصورة الاستعارية بشعبتيها المكنية والتصريحية حيث أفاد الشاعر من عبقرية الاستعارة في تشخيص المعنويات والمحسوسات وتجسيمهما، تليها الصورة الكنائية فالتشبيهية بانماطها المفصل والمجمل والمرسل والجمع.

لقد مهرت الصورة البيانية في رسم ملامح بطلة القصة الشعرية الحسية منها والمعنوية، كما رصدت حركتها التي تشكل عنصر الحدث، وانصتت لحوارها الهامس مع ذاتها. ولم يحدد الشاعر ـ وبوعي منه ـ لقصته الشعرية زماناً ومكاناً معينين رغبة منه في اطلاقهما وصولا الى العبرة المستقاة من احداث القصة برمتها واشارة الى أن هذه الاحداث مما يمكن ان تقع في كل زمان ومكان.

وقد تسلل تأثير الحواس ولا سيما حاسة البصر الى نسيج الصورة البيانية، فالشاعر يستهل قصته الشعرية باللون الابيض المعبر عن النقاء والجمال ولكن سياق احداث القصة يقود بطلتها الى صفرة النضار الممهدة لموتها المعنوي وانتقالها الى اجواء لا يليق بها سوى اللون الاسود المعتم الموحي بالحزن والاسى.

الهوامش:

(١) ينظر: د. جلال خياط، الاصول الدرامية في الشعر العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢، ص ٧ كما ينظر: د. بشرى الخطيب، القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠ ص ٨ ـ ٩.

(٢) اطلق د. جلال خياط مصطلح القصة الشعرية على هذا النوع من القصائد. ينظر: د. جلال خياط، ص ٧ وهو المصطلح الذي تبنته هذه الدراسة.

(٣) د. محسن اطيمش، دير الملاك، دراسات نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢، ص ٢٣.

(٤) د. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة ودار الثقافة، ط ٣، بيروت ١٩٨١، ص ٣٠.

(٥) عبد الله الفيفي، اذا ما الليل اغرقني، مطابع الشريف، الرياض ١٩٩٠، ص ٦٩ ـ ص ٧٣.

(٦) ينظر: د. حفني شرف، التصوير البياني، مكتبة الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٩. وينظر: د. وجدان عبد الاله الصائغ، الصورة البيانية في شعر عمر ابي ريشة دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٧، ص ١٨١ وما بعدها.

(٧) ينظر: د. سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٥، ص ١٨٠.

(٨) د. محسن اطيمش، ص ٣٢٤.

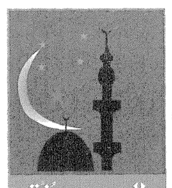
(٩) ينظر: الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، بيروت ١٩٨٠ ص ٣٧١.

(١٠) ينظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الادب، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ٣٢٩.

(١١) ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف (بدون تاريخ) ص ٦٣. كما ينظر: د. وجدان عبد الاله الصائغ، الصورة الاستعارية في شعر الاخطل الصغير، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الاداب/ جامعة الموصل، الموصل ١٩٩٥ فصل التجسيم الاستعاري، ص ٦١ وما بعدها.

(١٢) ينظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ١١٠.

أطفالنا والصيام



مرحلة الطفولة في حياة كل منا هي أهم مرحلة ففيها نتعلم ونتعرف على الأشياء.

نتعلم القيم والمبادىء، نتعلم المعنى الحقيقي للإيمان وكيف نصبح مسلمين بكل هذه الكلمة من معان عظيمة وجميلة وعلى حد قول الكلمة المأثورة ـ العلم في الصغر كالنقش في الحجر ـ فكل ما نتعلمه في طفولتنا ونشب عليه يحفر داخلنا ويصبح هو اسلوبنا في الحياة وفي تعاملنا مع الآخرين لذا على كل أم وأب أن ينتهز المناسبات الدينية ويعلما صغارهم تعاليم الدين الحنيف بالقول والفعل وبأن يكونا قدوة حسنة لهم.

وبمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك علينا أن نوضح لأبنائنا المعنى الحقيقي للصيام ويجب أن نوضح أن معنى الصيام في شهر رمضان ينقصه الكثير من التوضيح حتى تصل الفكرة واضحة للطفل، فمن القصور الشديد أن يصل معنى هذا الشهر للطفل على أنه فقط ابتعاد عن الطعام والشراب مما يؤدى الى تعجب الطفل وتساؤله لماذا ينهانا الله عن تناول هذه المأكولات والمشروبات وقد تعودنا عليها وسمح لنا بتناولها؟! ولكى يجد الطفل إجابة عن تساؤلاته ولكى تكتمل هذه الصورة أمام الطفل نحتاج الكثير من الاهتمام الحقيقي لتوصيل الفكرة الحقيقية للصيام مثل التآخى بين الناس فمواعيد الإفطار واحدة والإمساك عن الطعام واحد أيضا وهذا يقوى روح الجماعة بين المسلمين، خاصة أن الاسلام يحض ويشجع على العمل الجماعي.

وأن للصيام فوائد اجتماعية وخلقية عظيمة الشأن فهو يربى في الإنسان فضيلة التقوى وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/١٨٣).

والصيام يعود المسلم على الصبر وقوة التحمل والإرادة والعزيمة وهى من الصفات الضرورية للمسلم الصغير.

كما يربى الصيام لدى الطفل صفة المراقبة والانضباط الذاتى فالصائم لا يراقب أحدا بصومه إلا الله سبحانه لأنه هو المطلع عليه.

والصوم فيه إحساس من الغنى بآلام الفقير الذى لا يجد قوت يومه فالغنى إذا ما صام فسوف يحس بآلام الجوع وهنا يدرك ما يعيش فيه الفقير الذى يصاحبه الجوع في رمضان وغير رمضان.

والصوم فوق كل هذا فيه وقاية للمجتمع المسلم من الشرور والآثام لأن الصائم لا يمسك فقط عن الطعام والشراب وإنما يهجر جميع المعاصى والسيئات فجوارحه تصوم عن كل ما هو خبيث من القول والعمل.

شروط صيام الأطفال:

قد اختلف الأئمة على تحديد السن التى يجب على الآباء والأمهات أن يأمروا أولادهم عندها بالصيام فبينما قال الشافعي وأبو حنيفة «يؤمر الولد بالصوم وهو ابن سبع سنين» نرى الإمام أحمد

سهير ابوبكر عبدالوهاب
- مصر -



يحدد بداية الصوم بعشر سنين وقال اسحاق «إن من واجب الآباء والأمهات أمر أولادهم بالصوم عند بلوغهم للأثنى عشر ربيعا».

ويقول الإمام الأوزاعى «إذا أطاق ثلاثة أيام تباعا لا يضعف فيهن حُمل على الصوم» ويستحسن تدريب الصبيان المميزين على الصوم لما روي عن الربيع بن مسعود قال «أرسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} - غداه عاشوراء - إلى قرى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائما فليتم صومه ومن كان مفطرا فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصوّم صبياننا الصغار منهم ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياه عند الإفطار» رواه البخارى.

كما يجب تشجيع الأطفال على الصيام إذا كانت صحتهم تتحمله ولا يجب أن يدفع الخوف على الأبناء أو على قدراتهم على الإستذكار والتحصيل حتى لا نزرع في الأطفال أن المهم هو فقط التفوق الدراسى أما الشعائر الدينية فهى أشياء ثانوية نقوم بها عندما تسمح الظروف وهذا عكس ما نرغب في ترسيخه في عقول وضمير أبنائنا وهو أن الدين هو القيم والإلتزام، وهى الأهم والأكثر أهمية وإذا التزمنا بها فسوف ننجح في كل أمور حياتنا بعد ذلك .

دربوا أطفالكم على الصوم بالرفق واللين:

إذا كان تدريب الأطفال على الصيام أمر مستحب فإن ضربهم على ذلك حرام لما قد يؤدى بهم إلى الانحراف مستقبلا فإن إجبار الطفل على الصوم قد يدفعه الى تناول المفطرات سرا ثم يتظاهر بالصوم وتكبر معه هذه الخيانة لأن الطفل عادة لا يقدر معنى الأمانة ولا يحترم المسئولية. لذا يجب على الآباء والأمهات أن يدربوا اطفالهم على الصوم وأن يحببوا إليهم ذلك بالرفق واللين.

ويجب على الآباء والأمهات أن يتدرجوا عند تدريب اطفالهم على الصيام وليكن هذا التدرج على النحو التالي:



١ - عند وصول الطفل إلى سن سبع سنوات يمنع عنه الطعام والشراب لمدة ثلاث ساعات يوميا ويفضل أن تبدأ هذه الفترة من العصر وحتى الإفطار على أن يتم ذلك مرة واحدة أو مرتين كل أسبوع.

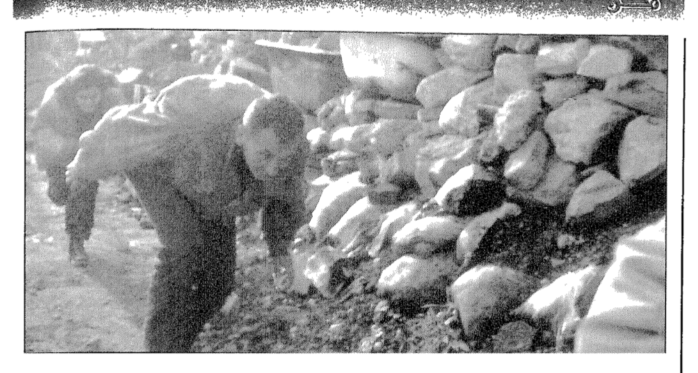
٢ - وفي الثامنة من عمره يبدأ الطفل في صيام ثلاث ساعات كل يوم طوال شهر رمضان.

٣ - وفي التاسع من عمره يمكن مد فترة الصيام من الصباح وحتى آذان العصر على أن يكون ذلك يوما بعد يوم.

٤ - وفي سن العاشرة يدرب الطفل على صيام ثلاثة أيام كل أسبوع صوما عاديا أى منذ الفجر حتى آذان المغرب.

٥ - وفي العام التالي، أى عندما يبلغ سن الحادية عشرة من عمره يكون الطفل قادرا على صيام أيام الشهر الكريم كلها منفذا لأوامر الله {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}.

بهذا نجعل الطفل مخلوقا يرقى ويرتقى نحو الخير والتقوى والصلاح ويصبح فردا سويا في هذه الحياة.



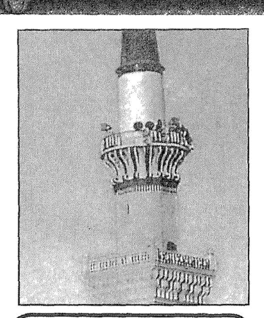
حبيس الجدران

** هذه محاولة في الطريق لطالبة في المرحلة المتوسطة..

تعال واذرف دمعة الأحزان
على ثرى الحبيس في الجدران
جدار نفس قد طغت شهواتها
فصار لها عبدا مدى الأزمان
جدار أنانية وحب لذاته
جعلته يرجو الشيء كالصبيان
لا يرى في الكون حقا لغيره
فهو الوحيد صاحب الوجدان!!
هو الذي يعاني الهم وحده
ما الكون غير ظالم هدّام!!
يرى حلي الدنيا في وصل صحبه
ويرى خراب العمر في الهجران
يعيش بين نار حب وغيرة
وتواصل وتشاجر وكلام
تقول له إن أنت إلا فارغ
ألا ترى قذائف النيران؟؟
على إخوانك في الدُنا تصليهمُ
فيقول مالي همي قد كفاني!!
تقول له أخي انظر إليهمُ
ألا تراهم مقطعي الأبدان؟
ألا ترى الأيتام تبكي أهلها؟
ألا ترى الثكالي في الخيام؟

نور محمد البار
- جدة -

رمضان يا قطر الندى



سـهام مهران عبدالله

- سوريا -

اليـوم أنسج للمـبـارك بردتي
من عـسـجـد، وزمـرد تنداحُ
اليـوم والشـهـر الفـضـيل مكرّم
رمـضـان - يا قطر الندى - فـوّاح
أجـهز على التـخريب تنجزْ عبرة
للمـفـسـدين ، ويكمل الإصـلاح
واقطف زروع الشـر في ريعـانهـا
فـهم أتاحـوا قطفـهـا، وألاحـوا
وهب الجـمـوع هداية، ومناقـبـاً
ولأنت منّاح الهـدى وفـلاح
ولقـد قـصـدتك يا حـبـيـبي لائذاً
بحـسـان فـعلك والندى وضّـاح
كنت الفـضـيل مدى السنين منائراً
فـشـمـوس هديك نعـمـة، ونجـاحُ

رحيل

سـهام مهران عبدالله

- سوريا -



أزف الفـراقُ حـبـيـبـتى لا ترحلي
وترفـقي .. هاك الفـؤاد.. تمهلى
لا تعـجـلي فـالقلبُ يأتي عـودة
فـإذا ذهبت تركـتنى جسـداً خلى
والعـقلُ دونك مـهـمل ومكبل
كيف الحـياة بدونـه.. هل تقبلى؟!
فـإذا أبيت سوى الرحـيل وفرقـتى
فلتـهـملي هذا الفـؤاد وتقـتلى
لا تعـبـئى أبداً بصب عـاشق
يكوي الغـرام فـؤاده.. لا تسـألى
الله لى بعـد الفـراق حـبـيـبـتى
الله لي .. فـالعـمـر بعدك ينجلى
حسـبى سناك على النجـوم مـوزع
حـسـبى هواك فـإنه هـو قـاتلى

رسالة من زكي مبارك إلى السيدة الجميلة

حبيبتي يا حسناء قريتي ـ سنتريس:

رسالتى إليك اعتراف وعرفان في نفس الآن .. اعتراف بجميل حبك ورقيق إحساسك نحوى وحنو قلبك عليَّ فها أنت في سنتريس لما علمت بقرب مغادرتى الوطن إلى باريس فلم تشئي أن تعوقى رحلتى فتذرفي الدموع وتطلقى الآهات وتبعثى التنهدات حارة جارفة حزنا على فراقى لك.. غير أنك كنت خير من أضرم فيّ طموحات الأمل والانطلاق إلى الرفعة والعلاء، والتزود من عاصمة النور بالنور.. نور الفكر، ونور العلم، ونور الحضارة حتى أعود إلى وطنى ـ مصر ـ برسالتى التى نذرت لها روحى وحياتى ومصيرى.. كنت خير من أحيا في وجدانى طموحات الأمل بغير أن تراودك غيرة من أن أتمرد على حبنا فيزيغ بصرى، هنا أو هناك حيث الحسناوات في باريس لا يكففن عن المعابثة وإطراح شباك الغرام وشراك الهوى على أمل أن يقع في هواهن واحد مثلى؛ وإن كنت لا أعرف سر غرامهن بأبناء الشرق، وشدة لهفتهن على مطارحتهم الغرام وإهدائهم عطور الحب لعلهم يستجيبون لأهوائهن ونزواتهن.

إنني يا حبيبتى أجاهد وأجاهد وأضرب على نفسى ـ في كثير من الأحيان ـ عزلة شبيهة بعزلة أبى العلاء حتى أتقى حسناوات باريس.. فهن دائبات على مناوشتى، دائبات على اختلاق الحيل للاقاتى ومطارحتى بكلمات الهوى والغرام.

في إحدى الليالى قمت بنزهة قصيرة على ضفاف السين عند الأصيل، وكان الجو شبه غائم. ومع ذلك فالنسمات الرطبة الحلوة تداعب وجوه الذين يتنزهون كما تداعب أمواج النهر وكأنها تتغنى بألحان الهوى والغرام.. يا عجبا: كل شيء هنا ينتشى بالغزل: الماء والسماء، والأشجار والنسمات، فكأننى، والحق أقول كنت أسير في جنان كل أنيسها من الحور العين.

ماذا أقول يا حبيبتي؟ اغفرى لي هذا الاعتراف.. أرجوك، أرجوك، ولا تتوجسى منى خيفة ولا تخامرك الشكوك فقلبي لك وبك يا حسناء سنتريس.

أجل، سرت على ضفاف السين عند الأصيل .. خامرتنى ظنون كثيرة، بل غازلتني مغريات أكثر؛ ولكن سرعان ما رجعت إلى روحي، ورجعت الى ضميري فتذكرت رسالتى التى جئت من أجلها ونذرت نفسي لها وسعيت غاية السعي لأحققها؛ فقلت لحسان السين:

يا جيرة السين يحيا في مرابعكم
فتى إلى النيل يشكو غربة الدار
جنت عليه لياليه وأسلمه
إلى الحوادث صحب غير أبرار
أحاله الدهر في لأواء غربته
روحا مُعَنَّى وجسما نضو أسفار
يسعى الى المجد ترميه مخاطره
بنافع من شظاياها وضرار

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
ـ مصر ـ

عــزاؤه أن عــقــبى كل عــادية

يشــقى بهــا الحــر إكليل من الغــار

ومن هنا تدركين يا حسنائى أننى كنت دوماً في شقاق حاد بينى وبين نفسى، أحيانا كان يطيف بي لواذع ملحفة من الإحساس بالضيق والملال وكأننى أدخلت في سجن لا أنيس فيه ولا جليس. فلا يسعنى سوى أن أذرف الدموع فتنزل حارة على كبدى ذلك لأننى كنت أحس بوطأة الغربة تطبق على أنفاسى فتضيق من الدنيا الواسعة وتصير بزخرفها وزينتها الخلوب كالحة مربدة.. ومن ثم كنت أشكو باريس إلى باريس؛ فقلت لها مرة:

يا جنة الخلد كــيف يشــقى

فــي ظلك النـازح الـغــريبُ

النـاس مـن لهــو نشــاوى

ودمــعــه دافق صــبــيب

يقــتــات أشــجــانه وحــيــدا

فــلا صــديق ولا قــريب

أقــصــى أمــانيــه حين يمسى

أن يهــجــع الخــفق والوجــيب

حبيبتى يا حسناء قريتى:

في هذا القلق الضارى الذى ينشب أظفاره في سواء وجدانى فيدميه، كنت لا أجد منقذاً ينتشلنى من ذلك العذاب الواصب، سوى ذكريات عشقنا في وصالنا وتباعدنا، في تهيامنا وتعاتبنا.

هل تذكرين يا حبيبتي يا حسناء سنتريس يوم أن اتهمونى بحبك وكأن الحب جريمة يعاقب عليها صاحبها.. الحق أننى عجبت لهم:

عــجبت لهم أنى رمـونى بحــبـهـا

ولا مــهــجــتى رهـن لديهــا ولا قلبى

- هو محمد زكي عبد السلام مبارك.
- من مواليد سنتريس بمحافظة المنوفية - ولد سنة ١٨٩١.
- تعلم في الأزهر.
- دخل الجامعة المصرية سنة ١٩١٦م.
- نال اجازة الدكتوراه في الأدب سنة ١٩٢٤م.
- هاجر الى فرنسا سنة ١٩٢٧م.
- نال إجازة الدكتوراه في الأدب من السربون.. وبلوم الدراسات العليا في الآداب من مدرسة اللغات الشرقية في باريس سنة ١٩٣١م.
- عمل بالتدريس بمصر وبغداد وبعد عودته من العراق عين مفتشا بوزارة المعارف (التربية).
- توفي سنة ١٩٥٢م.

** من آثاره الفكرية:
- الأخلاق عند الغزالي.
- التصوف الإسلامي.
- مدامع العشاق.
- النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى.
- ليلى المريضة في العراق.
- ديوان زكي مبارك.

فــيــارب صــدق في هواها عــواذلى

فــإن عـنـائى أن ألام بـلا ذنب

وإلا فــلا تقطع عليّ مــلامــهــم

فــإن مــلام المرء فــاتحــة الحب

وأحيانا كنت أنحى باللائمة على قلبى الذى كلف بك واستهام فيك حتى أضنانى معه، إذ كانت أشواقه عارمة لا قدرة لى على رده، ولا قدرة لى على إقناعه بالتريث، فلا يندفع جموحاً بغير تؤدة أو تعقل.. كنت

أخاطبه، بل أهمس إليه، بل أناجيه خيفة الرقباء والوشاة.. خاطبته فقلت له:

رويدك أيها القلب
فقد أودى بك الحب
وقد أصبحت لا تسلو
فلو أمسيت لا تصبو
وبين القلب والعين
سجالا كانت الحرب
فتنكيه ويبكيها
لعمرك إنه خطب
لقد أسرفت في حبي
كذلك يفعل الصب

ولا تعجبي من اعترافي لك بحبي فأنت أدرى بوجيب قلبي، ودلالات كلماتي، ورموز إشاراتي.. فبعد أن خاطبت قلبي ونصحته فإنني أوضحت له المخاطر التي يمكن أن تلحق به فتصيبه بجراح ماله قدرة على احتمالها، فذكرت له عنادك ومطالك وتغافلك عني؛ فقلت له:

وأصفيت الهوى حبا
له من دله حجب
فمنه الصد والبعد
ومني العفو والقرب
فلو عاتبته يوما
لزاد عناده العتب
وقد راسلته جهدي
فضاعت عنده الكتب

لكني لم أجد مناصاً من أن أضرع إليك وأستميحك العذر في أن ترفقي بقلبي، وأن ترفقي بروحي فلا تعذبيها فمالها طاقة على تأبى الدلال:

فكن يا سيدي براً
بصب ماله ذنب
لئن ضيعتني قلبي
فأنت الروح والقلب
وإن آثرت إبعادي
ولم يشفع لي الحب
فإن عقابكم عدل
وإن عذابكم عذب

حبيبتي يا حسناء قريتي:

هل تذكرين مساء يوم الثلاثاء ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧؟ حين التقينا عند ساقية «أبو حجاج» بين مخارف الصفصاف وأشجار التوت.. هل تذكرين؟ كان لقاؤنا حديثا، رأيتك تنكرين حديثنا وكأنني قد اجترحت إثما مبينا فصرت كالعاصفة المروعة ترغين وتزبدين بكلمات قاسية نزلت عليَّ كالصاعقة المدمرة.. إيه يا حسناء سنتريس:

ما الذي أنكرت مني
في مساء الثلاثاء؟
فحين نام الدهر عنا
وتولى الرقباء
أنا لا أذكر شيئا
يقتضي هذا الجفاء

بعد هذه الحادثة السعيدة، حادثة الثلاثاء صرت لا تردِّين عليَّ رسائلي التي كنت أرسلها اليك من القاهرة، فملأني الخوف منك والخوف عليك.. فقد استبنت أنك وجدت في الهجران راحة لك وعقاباً لي على ما جنيته منك فتجاسرت وبعثت إليك رسالة أعلنك فيها حرباً بحرب وسلوانا بسلوان، وتباعداً بتباعد..

قلت في رسالتي:

أيها المسرفون في النّيل منّا
بين صد يدمى الفؤاد وضن
لا تدلّوا بحسنكم قد سلونا
وأمنا من هجركم والتجني

لكنما الشوق غلاب ٠٠ فلم أصبر على صدودك وانقطاع ما بيننا من أسباب الوصال، فوسطت إحدى قريباتي لترأب الصدع الذي بيننا فنرجع كما كنا حبيبين عاشقين، ولكنها استغرقت في وساطتها وقتا طويلا حتى ظننت أنها فشلت في مهمتها، وهنا ساءت حالتي فدبت الأسقام والآلام في جسمي وروعتني الأتراح من كل صوب٠٠ آه يا حسنائي ٠٠ آه يا مولاي:

مولاي لو أبصرتني
لفزعت من دمعي الطليق
وشجاك جسمي ناحلا
وكأنه الطيف الطروق
أشكو إليك وإنما
يشكو المضيم الى الشفيق
فارحم فديتك مهجة
أودى بها الحزن العميق
حزن يقطع في الحشا
فكأنه غدر الصديق
يا ويح قلبي لم يزل
يهفو به الروح الخفوق
وتقوده الذكرى الى
عهد الهوى الغض الرفيق
أيام نمرح في الصبا
في ذلك العيش الأنيق
أيام نُسقى في الهوى
والود كأساً من رحيق

حبيبتي يا حسناء قريتي:

لا يخطر ببالك يا حبيبتي أنني ممن تسبيه حسان باريس أو تخدعه أفانين الهوى اللعوب التي يجدنها ويحسن بها مخادعة القلوب٠٠ أقول لك، بل أقول للنيل، بل أقول لنفسي:

مغاني النيل كيف أقمت
ريب أزهارك الخطوب
وكيف ألقيته بأرض
أصح أحلامها كذوب
أديم أجوائها سواد
فلا شروق ولا غروب
وحب غاداتها موات
فلا سكون ولا هبوب
ومن تبع جسمها بشيء
فقلبها مقفر جديب

ولئن كان للباريسيات شيء في نفسي فإنني كنت أثوب للعقل والحكمة فقلت:

فيالك من صب على البين مولع
أثارت شجاه أعين وخدود
رشادك لا تجزع فكم من صبابة
تحمل عنها القلب وهو عميد
ستأسو عذارى النيل آثار ماجنت
عليك عذارى السين حين تعود

وبعد:

أقول في ختام رسالتي:

رعى الله في الوادي العزيز عقيلة
عزيز عليها أن يقال بعيد

١٠٣٢ ـ أبو عواد:

حاولت اكثر من مرّه أن أجد تفسيراً لهذه اللامبالاة في طباع بعض الزوجات، فلم أجد غير ثقتهن بأن أزواجهن لا يفكرون أو لا يستطيعون الزواج عليهن، ولو عرفت الزوجه أن النار من مستصغر الشرر لوقفت على باب زوجها كالحاجب المتحفز.

١٠٣٣ ـ أم عمرو:

يجب ان تقوم العلاقة بين الزوجين على الحب والاحترام المتبادل والثقة وفوق كل هذا الإحساس بالأمان اما اذا تحولت إلى حرب بارده يهدد كل من طرفيها الآخر بما يملك من اسلحة، هنا يصبح انهاء هذه العلاقة افضل لأنها ببساطة فقدت اهم مقوماتها وهو ان يكون كل من الزوجين سكن للآخر.

١٠٣٤ ـ أبو عواد:

إن مشكلة العنوسة، وبروز علاقات غير طبيعية في المجتمع لم تبرز إلا عندما أحكمت المرأة سيطرتها على الزوج، وأقر طوعاً أو كرهاً أنه زوج لامرأة واحدة حتى تموت أو يقضي الله أمراً كان مفعولا.

١٠٣٤ ـ أم عمرو:

ان كل الإحصاءات المعروفة تؤكد ان عدد الرجال اكثر من عدد الإناث لكل مراحل العمر ولذا تصبح لمشكلة «العنوسة» المذكورة أسباب كثيرة من أهمها عزوف الرجال عن الزواج ممن تقل عندهن نسبة الجمال والمال وتزيد عندهن نسبة العقل. لذا نقول ليس هناك داع للحجج الواهية.

١٠٣٥ ـ أبو عواد:

نعم تصبح عين الرجل فارغه عندما تبدأ الزوجة في عدم الاهتمام بنفسها كما رآها واختارها أول مرّه، وعندما يدرك أن الآخر كانت اهتماماته وسيلة بوقوع الضحية في الشرك لم يعد لها حاجة، عندها يجد أن التى ملأت بصره وسمعه لم تعد قادرة على المواصلة، فيما هناك أخرى قادرة على تعويض ما بدأ يفقد.

١٠٣٥ ـ أم عمرو:

ما دامت عادة الزوجات الإهمال في مظهرهن بعد حصولهن على الزوج فماذا يفعل هذا الزوج اذا حذت الثانية حذو الأولى؟ الزوجة تتفانى في تحسين نفسها لزوجها اذا التفت الزوج الى ذلك وعلق عليه وامتدحه واذا لم تكن قد وضعت بين رحى البيت والغيظ بدون رحمه.

١٠٣٦ ـ أبو عواد:

لا أقول أن كل تفكير عند الزوج للزواج من أخرى سببه الزوجه.. ولكني أقول أن هذه هي القاعدة ولكل قاعدة استثناء.

١٠٣٦ ـ أم عمرو:

الكل يعرف أن أهم أسباب الزواج الثاني وصول الزوج الى مرحلة المراهقة المتأخرة واعتقاده ان امرأة أصغر واصبى ستعيد الشيخ الى صباه وهيهات ان يصلح العطار ما أفسد الدهر.

١٠٣٧ ـ أبو عواد:

عقد الزواج يعني أن فلانه هي زوجة فلان بمعنى أنها على ذمة رجل.. ولكنه لا يعني أبداً أن (الطرطور) فلان ملزم أن يكون زوجاً لفلانة فقط طالما أن الشرع أباح له حتى الزوجه الرابعة.. لكننا ينطبق علينا قول الشاعر:

نرقع دنيـــانا بتـــمـــزيق ديننا

فـــلا ديننا يبـــقى ولا مـــا نرقع

١٠٣٧ ـ أم عمرو:

عقد الزواج يعنى ان فلانة هي زوج فلان، وفلاناً هو زوج فلانة «وياريت» نكبر عقولنا ونفوسنا وننميها بدرجة تسمح لنا ان نجد ما يشغل اوقاتنا ويسلينا غير الزواج، هنا سنفهم ديننا ودنيانا معاً بصورة صحيحة بدلا من الإنتقاء والإختيار حسب اهوائنا وامزجتنا الشخصية الفردية.

١٠٣٨ ـ أبو عواد:

لا تريدي أن يتزوج زوجك عليك؟! حسناً، كوني له مدى الحياة على الأقل في تعاملك كما كنت في أيام زواجكما الأولى.. هل تذكرين تلك الفراشة الملونة والقطة الاليفة والحمل الوديع؟.. ما رأيك عندما يصبح نحلة تلسع، وهراً يخربش، وحملا ينطح؟!.. هل يتشابهان؟.

١٠٣٨ ـ أم عمرو:

الفراشة الملونة والقطة الأليفة والحمل الوديع؟! ما هذا؟! ما الذى يحدث لو سمينا الأشياء بأسمائها الزوجة انسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من ايجابيات وسلبيات، من حقوق وواجبات. اليس ذلك افضل واوقع من حديقة الحيوانات هذه؟.

١٠٣٩ ـ أبو عواد:

إلى السيدة «س» «يصعب على الطيار أن يقرر الهبوط وينفذه في لحظة الاقلاع وعنفوانها».

١٠٣٩ ـ أم عمرو:

اذا قرر الطيار الإقلاع فعليه أن يقلع ويذهب بعيداً حيث لا يرى مرة ثانية.

١٠٤٠ ـ أبو عواد:

إلى زوجتى العزيزة: «اطمئني لا أفكر في الزواج فقد أحسنت توريطي في بناء بيت هو عظيم كصاحبه حتى ساعة اعداد هذه الورقة والديون أشعلت رأسى شيباً.. لكني ومع ذلك قد أفعلها ولو سراً.. ككل الجبناء من الزملاء أو أحتسب صبري عليك عند واحد أحد.

١٠٤٠ ـ أم عمرو:

اذا تورط الزوج في الديون فلن يكون ذلك بسبب اسراف زوجته ولكن بسبب عدم قدرته على ادارة بيته اقتصادياً وتشجيع زوجته على المشاركة في ذلك ولذا سيصنع نفس الشيء مرة أخرى سواء كان شجاعاً أو جبانا وتزوج جهراً أو سراً وبالمناسبة كثير من الزوجات تصرف نقود زوجها على اساس القول المأثور «قص ريش طيرك ليطير لغيرك».

١٠٤١ ـ أبو عواد:

لو كنت امرأة وتزوج عليّ بعلي.. لتصرفت بحكمة وذكاء يجعلانه يعود إليّ ليقدم لي كل باقات الأسف حين أثبت له أنني زوجة لا يمكن تعويضها بأخرى ولو كانت أجمل منها.

١٠٤١ ـ أم عمرو:

الزواج ليس مسابقة ولا مغامرة، الزواج شراكه ومسار واحد لهدف واحد.. الزواج قبل وبعد كل شيء وعى ونضج بالمسئولية المشتركة مسئولية الفرد تجاه نفسه وتجاه الأسرة التى ينتمى إليها.

١٠٤٢ ـ أبو عواد:

وحتى لا أتهم بالتحيز (وقد حصل).. على الزوج أن يقابل ما تبديه الزوجة من اهتمام به من خلال نفسها باهتمام مماثل بها من خلال نفسه، فأيضا بعض الزوجات عيونهن فارغة ولو من طرف واحد على الأقل.

١٠٤٢ ـ أم عمرو:

يجب ان يهتم الإنسان بنفسه لنفسه فإذا رضي هو عنها سيرضى عنها الآخرون. أما فروغية العين هذه فكما هو معروف مرض يتفشى بين جنس الرجال.

الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران) وتعاليم التلمود

(٥٢٩ـ٦٠١هـ/ ١١٣٥ـ ١٢٠٤م)

***** في الحلقة السابقة من هذه الدراسة القيمة، تحدث الدكتور البار عن ترجمة موسى بن ميمون ونشأته، وقصة اعتناقه الاسلام، وذهابه الى المغرب، وعمله بالطب، واشتغاله بالتلمود، وآرائه وفلسفته للحياة والاحياء. وفي هذه الحلقة يكمل ما انقطع من حديث!.**

إنقاذ الحياة:

يتحدث إسرائيل شاحاك[١] في كتابه القيّم «الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل» عن ما يقوله الحبر الأعظم موسى بن ميمون وتعاليم التلمود حول إنقاذ حياة اليهودي وغير اليهودي فيقول:

«فبحسب الهالاكاه (قانون التلمود) فإن واجب إنقاذ حياة اليهودي لا يعلو عليه واجب آخر.. أما بالنسبة للأغيار فإن المبدأ الأساسي التلمودي يقول بوجوب الإقلاع عن إنقاذ حياتهم.. ويعبر التلمود عن نفسه عن ذلك بالحكمة القائلة بوجوب ألا يرفع الأغيار من البئر إذا وقعوا فيه، وألا يدفعوا إليه» ويشرح ابن ميمون ذلك بقوله: «أما بالنسبة للأغيار الذين لسنا في حالة حرب معهم فينبغي ألا نتسبب في موتهم، ولكن إنقاذهم ممنوع.. فإذا شوهد أحدهم على سبيل المثال يسقط في البحر ينبغي الامتناع عن إنقاذه لأنه مكتوب «وأنت لن تقف ضد دماء قرينك ولكن الأغيار ليسوا أقرانك».

«وينبغي للطبيب اليهودي خصوصا ألا يعالج مريضا من الأغيار» وابن ميمون هو نفسه طبيب لامع واضح تماما حول هذه النقطة فهو يكرر في فقرة أخرى: «الفارق بين قرينك وبين الإغيار» ليستنتج قائلا: «إلا أن رفض اليهودي وخاصة الطبيب اليهودي إنقاذ حياة الأغيار قد يثير، إذا شاع الرفض، عداء الأغيار من ذوي النفوذ مما قد يعرض اليهودي للخطر، وعندما يكون هنالك خطر من هذا النوع فإن واجب تفاديه يحل محل الحظر المفروض على مساعدة الأغيار»، وهكذا يتابع موسى بن ميمون فيقول «ولكنك إذا كنت تخشاه أو تخشى عداوته فاعمل على شفائه لقاء أجر وإن كان ممنوعا عليك فعل ذلك بدون أجر».

وهذا ما كان يفعله موسى بن ميمون نفسه، رغم شهرته الواسعة في مصر، وحصوله على الأموال والضياع من صلاح الدين الأيوبي وابنه الملك الفاضل ورجال دولته، إلا أنه لم يكن يعالج مجانا أحدا من المسلمين، ولو كان فقيراً، بل كان دائما يصر على أخذ الأجر، وكما يقول إسرائيل شاحاك: «فإن إصراره على أخذ الأجر كان من أجل تأكيد أن عمله هذا ليس من أعمال الخير والبر والإحسان بل واجب لا يمكن تفاديه».

ويبدو أن الأطباء من أهل الذمة وخاصة من اليهود كانوا يسقون مرضاهم السم ليقتلوهم إذا كان هؤلاء المرضى من العامة الذين لا سلطة لهم ولا نفوذ، وبحيث يعسر كشف الجريمة. وبما أن



بقلم: د. محمد علي البار
مستشار الطب الاسلامي - جده -



قتل الأغيار وعدم إنقاذهم من الأمور التي يأمر بها التلمود ويتقرب بها اليهودي إلى الله، بشرط ألا يحدث أي ضرر من هذه الجريمة على اليهود، فإننا نرى عبد الملك بن حبيب الألبيري فقيه الأندلس المتوفي سنة ٢٣٨هـ يقول في رسالته الموجزة «الطب النبوي»: «وإن كان الطبيب من أهل الذمة فسقى المسلم دواء، فمات، فعلى السلطان أن يكشف عما سقاه، وإن كان طبيبا معروفا بالطب والبصر به، للمظنة التي تواقعه لعداوة اليهود والنصارى للمسلمين»[٢]، ويبدو أن هذه الحوادث قد تكررت وزادت في عهد ملوك الطوائف عندما قوي نفوذ اليهود وتولوا الوزارات مثلما فعل ابن النغريلة.. وقد أدى ذلك فيما بعد إلى أن شدد المرابطون، وبعدهم الموحدون، المراقبة على هؤلاء الأطباء من اليهود والنصارى، وبما أن الحوادث قد كثرت من اليهود خاصة، فقد فرض الخليفة الموحدي على اليهود في قرطبة أن يسلموا أو يغادروها إلى حيث شاءوا.

وقد استطاع اليهود رغم ذلك إخفاء نواياهم بذكاء شديد، واستطاع موسى بن ميمون نفسه الذى كان يأمر أتباعه بعدم إنقاذ الإغيار، ومنهم المسلمين، من خداع القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي، وزير صلاح الدين، ورئيس ديوان الكتابة والإنشاء، وبواسطته استطاع أن يخدع صلاح الدين الأيوبي نفسه، ويقال أن صلاح الدين كان أول حاكم يسمح لليهود بأن يسكنوا القدس من عهد تيطس الذي دمر الهيكل تدميرا كاملا سنة ٧٠ بعد الميلاد تحقيقا لنبوءة عيسى عليه السلام «لا يبقى حجر على حجر في هذا الهيكل» وطرد اليهود ومُنعوا من دخول أورشليم (القدس، إيلياء) وعندما وقع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عقد تسليم القدس من بطريقها كان أول شرط ألا يسكن القدس يهودي.. وقد وفي المسلمون بهذا الشرط ولم يسمح لليهود بالسكن فيها حتى جاء الصليبيون واحتلوا القدس ونقضوا كل العهود ووصلت الدماء للركب ودمروا كل شيء، فلما أنقذ صلاح الدين الأيوبي القدس وحررها من ظُلمهم وظلماتهم، اعتبر أن العهد القديم قد ألغي بسبب أفعالهم. وبتأثير موسى بن ميمون سمح صلاح الدين لأربع أسر يهودية بأن تسكن القدس وذلك بعد مرور

ألف ومائتي عام تقريبا على طرد اليهود وعدم السماح لهم بالسكن فيها.

واستطاع موسى بن ميمون بذكائه وخداعه أن يوهم المسلمين وغيرهم أنه يسعى لخير الإنسانية. وقد وضع دعاء نسب إلى ابن ميمون بواسطة طبيب ألماني يهودي يدعى ماركس هرتس في القرن الثامن عشر وتذكره كتب أخلاقيات مهنة الطب باسم دعاء ابن ميمون لإظهار إنسانية هذا الرجل وحبه للخير وللبشرية عامة. وهو كذب وافتراء تنقضه كتب ابن ميمون نفسها كما تنقضه الكتابات الحديثة، ومنها كتاب اسرائيل شاحاك «الديانة اليهودية وتاريخ اليهود» الذي نقلنا عنه فيما سبق وفيما سيأتي.

دعاء موسى بن ميمون المزعوم:

لقد أوردت نقابة الأطباء المصرية في كتابها «نظام وواجبات الطبيب وآداب المهنة»[٣] هذا الدعاء مترجما عن اللغة الإنجليزية التي وضعها الأديب الفريد نوالد عن الأصل الألماني: «يا إلهي القادر على كل شيء لقد خلقت جسد الإنسان بحكمة متناهية وباركت أرضك وأنهارك وجبالك فمنحتها مواد شافية، وهي تعين مخلوقاتك على تخفيف معاناتهم وتشفي أمراضهم، ومنحت الحكمة للإنسان ليخفف معاناة أخيه الإنسان وللتعرف على متاعبه، واستخلاص المواد الشافية، ولاكتشاف قدراتها، ولإعدادها واستخدامها لتناسب كل داء واخترتني بحكمتك الإلهية للعناية بحياة وصحة مخلوقاتك، وأنا الآن على وشك أن أكرس نفسي لواجبات مهنتي فيا إلهي القدير هبني العون في هذه الأعمال الجليلة لتفيد الجنس البشري لأنه بدون مساعدتك فلن يكلل بالنجاح أبسط الأشياء.

«رب ألهمني لمهنتي ولمخلوقاتك ولا تدع التعطش للربح والطموح للشهرة والإعجاب أن تتدخل في مهنتي، ويمكنها أن تقصيني عن المهمة الكبرى المتمثلة في صنع الخير لمخلوقاتك.. اللهم احفظ قوى بدني وروحي بحيث تكون مستعدة دائما ببشاشة لمساعدة ومعاونة الغني والفقير، والصالح والشرير، والصديق والعدو، على حد سواء. رب دعني لا أرى فقط فيمن يعاني الجانب الإنساني وحده، وأنر عقلي، حتى يمكنه التعرف على ما هو موجود فعلا، الأمر الذي يساعد على تفهم ما هو غائب وخفي».

ويواصل دعاءه طالبا من الله أن يهبه الحكمة والقناعة في كل شيء إلا في العلم العظيم الخاص بمهنة الطب، وأن لا يدع الغرور يتملكه، وينهي دعائه بقوله: «يا إلهي قد اخترتني برحمتك للعناية بأمر حياة وموت مخلوقاتك، وإني لأكرس نفسي لمهنتي فأعني على أداء هذه المهنة الجليلة لكي أنفع الجنس البشري فبدون عونك لن ينجح حتى أبسط الأشياء».

وهذا الدعاء لا علاقة له بموسى بن ميمون وإنما وضع بعد وفاته بأكثر من ستة قرون، وبلغة لا يفهمها ابن ميمون، وهي اللغة الألمانية. والسبب في ذلك أن اليهود يريدون تلميع صورة موسى بن ميمون وإظهاره بصورة الطبيب الإنسان المحب للخير والإنسانية رغم أن كتاباته واضحة جدا في التزامه بتعاليم التلمود، وعدم إنقاذ الأغيار إلا في حالة تعرض اليهود للمخاطر.. ولابد من كسب ثقة الأغيار وخداعهم وخدمتهم، خاصة ذوي السلطان والمكانة، ومع هذا فينبغي خداعهم في جميع الأحوال، وأخذ الأموال الهائلة منهم.. وأما العامة فإن أمكن قتلهم بعدم إنقاذهم، أو حتى زيادة الجرعة الدوائية، بحيث لا يمكن اكتشاف سبب الموت، فالواجب الذي يحتمه التلمود هو التخلص منهم بأي وسيلة لا تثير حنق الأغيار على اليهود.

تجربة العقاقير على غير اليهود:

ويذكر إسرائيل شاحاك في كتابه الديانة اليهودية وتاريخ إسرائيل أن موسى بن ميمون قال: «ومن المسموح تجربة عقار من العقاقير على كافر إذا

كان ذلك يفي بغرض ما» وهذا ما يكرره أيضا، حسب قول شاحاك، الحاخام الشهير موسى ايسرلس، وبالتالي يجوز أن يجرّب على الأغيار أي عقار حتى قبل أن يجرب على الحيوانات، وليس من المهم ما قد يحدث من مخاطر ومضاعفات على صحة متعاطي العقار لأن المتعاطي من الأغيار، ولا يوجد ما يمنع من الإضرار بهم أو حتى قتلهم.. كل ذلك بشرط واحد هو أن لا يكشف هذا الأمر، وأن لا يؤدي مثل هذا العمل الإجرامي للإضرار بالطبيب اليهودي، وبصورة أهم أن لا يؤدي ذلك إلى النقمة ضد اليهود والإضرار بهم، فإذا تم تجنب ذلك فمن المحبّذ إجراء التجارب على الأغيار حتى إذا أدى ذلك إلى إصابتهم بأضرار بالغة، أو ما هو أعظم من ذلك إلى فقدان حياتهم، إذ أن حياة غير اليهودي لا تساوي، كما قال التلمود حياة كلب أو خنزير، فالكفرة الأغيار كلهم أنجاس وخنازير، ولا يجوز التفريق بين هؤلاء الأغيار ولا بين مللهم فكلهم من القاذورات ولكن من المهم جدا التفريق بين من يضر ومن ينفع من هؤلاء الأغيار، وبالتالي اجتناب ضرره وأخذ منفعته أما العامة الضعفاء الذين لا صولة لهم ولا جولة فينبغي أن يعاملوا بكل قسوة بشرط واحد هو عدم إثارة النقمة ضد اليهود.

انتهاك حرمة السبت:

يقول اسرائيل شاحاك[٤] أن انتهاك حرمة السبت يصبح واجبا عندما تتطلب ذلك الحاجة الى إنقاذ يهودي ولا يثير التلمود مشكلة إنقاذ حياة الأغيار أيام السبت كمسألة دينية بما أنها ممنوعة، على كل حال، حتى في أيام الأسبوع.

«ويقرر التلمود إذا كانت هناك قابلة يهودية ودعيت لتوليد امرأة من الأغيار في أيام الأسبوع (غير السبت) فعليها أن تقوم بذلك إذا كان ترك المرأة سيؤدي الى ضرر لليهود وعليها أن تأخذ أكبر أجر ممكن، أما إذا دعيت يوم السبت فعلى القابلة أن تتعلل بأن شريعة دينها تحرم عليها انتهاك حرمة السبت» وقد قرر ذلك بكل وضوح موسى بن ميمون حيث يقول: «ينبغي الإمتناع عن مساعدة امرأة من الأغيار في حالة الولادة يوم السبت حتى لقاء أجر، كما ينبغي عدم الخوف من العداء حتى عندما لا ينطوي هذا النوع من المساعدة على انتهاك لحرمة السبت».

وذلك لأن الأصل عدم مساعدة الأغيار في جميع أيام الأسبوع ولكن بما أن ذلك سيثير عداء الأغيار ضد اليهود ويسبب لهم مشاكل عدة، فإن المراجع الحاخامية الكبرى ومن ضمنها ابن ميمون تبيح مداواة الأغيار أثناء الأسبوع لقاء أجر، ولكنها مع ذلك تمنع المداواة يوم السبت بحجة عدم انتهاك حرمة السبت»،

وأما الشخصيات الهامة مثل النبلاء والحكام فيجب مداواتهم حتى في أيام السبت كما يقرر الحاخام يوئيل سركس ولكن عندما يمكن التدليس على الأغيار بعذر مراوغ فإن الطبيب اليهودي يرتكب معصية لا تحتمل إذا عالج أحد الأغيار يوم السبت.

ويقرر ذلك أيضا موسى بن ميمون وحاخامات ميتز في فرنسا الذين سمحوا للطبيب اليهودي بأن يدواي الحاكم العظيم يوم السبت، وأن يعبر الجسر أيضاً للوصول إلى قصره أما الأغيار الأقل مكانة فلا يجوز عبور الجسر من أجلهم ولا مداواتهم يوم السبت.

ويقرر الحاخام حاتام سوفير المتوفي سنة ١٨٣٢ في بحثه Responsa أن المسلمين والنصارى ليسوا فقط عباد أوثان وإنما ينبغي الامتناع البتة عن إنقاذ أي واحد منهم ويشبههم بالعماليق الذين كانوا في فلسطين أيام موسى ويوشع بن نون، والتلمود واضح في قوله: «من المحظور إكثار بذرة العماليق» وعليه فإنه محرم على اليهودي مساعدة هؤلاء الأغيار طوال الأسبوع وبما أن الفلسطينيين هم من نسل العماليق والكنعانيين فإنه ينبغي العمل بكل وسيلة على

إنقاص نسلهم وعدم إنقاذ أي واحد منهم يقع في خطر. ومن الواجب المحتم على كل يهودي أن يعمل على إبادتهم وطردهم من إسرائيل، وخلاصة القول كما يقول شاحاك: «إن خداع الأغيار عوضا عن مساعدتهم أمر لا بأس به إذا كان من الممكن تفادي العداء».

وقد نُشر في القرن العشرين كتاب معتمد بالعبرية، ومختصر له بالإنجليزية بعنوان «القانون الطبي اليهودي» وقد نشرته مؤسسة موساد هارف كوك ـ كما يقول إسرائيل شاحاك. وفيه النص التالي:

«يمنع بموجب الحكم الوارد في التلمود ومجموعة الشرائع اليهودية انتهاك حرمة السبت من أجل إنقاذ حياة مريض من الأغيار في حالة خطر، ويمنع أيضا توليد امرأة من الأغيار في يوم من أيام السبت»، ولا يستثنى من ذلك إلا مداواة ذوي النفوذ أو عند توقع نقمة من الأغيار ضد اليهود وفي هذه الحالة فقط تجوز مداواة الأغيار يوم السبت بشرط ألا يكون في نية الطبيب إبراء المريض ومساعدته بل تجنب الخطر المتوقع على اليهود.

كتاب شرائع موسى بن ميمون:

يقول اسرائيل شاحاك[٥]: في عام ١٩٦٢ نشر في أورشليم (القدس) باللغتين العبرية والانجليزية جزء من كتاب الشرائع لموسى بن ميمون والمسمى كتاب المعرفة والذي يتضمن قواعد أساسية جداً للإيمان اليهودي، ويظهر في النص العبري الوصية الكاملة القاضية بإبادة الكفار وهم جميع الأغيار والقائلة: (ان واجب المرء إبادتهم بيديه). أما الترجمة الإنجليزية فتقول: من واجب المرء أن يأخذ اجراءات فعلية لتدميرهم وفي النص العبري أمثلة للشخصيات الهامة من الأغيار التي يجب إبادتها مثل يسوغ الناصري وتلاميذه وتسادوك وباتيوس وتلاميذهما ولا تظهر أي كلمة من هذه الكلمات في النص الإنجليزي.

وكان موسى بن ميمون بالإضافة إلى موقفه تجاه الأغيار عموما والمسيحيين خصوصا عنصريا معاديا للسود، ففي كتابه «دلالة الحائرين» كما يقول إسرائيل شاحاك: «يقول موسى بن ميمون في الكتاب الثالث الفصل ٥١: «بعض الأتراك والبدو في الشمال والسود والبدو في الجنوب وأولئك الذين يشبهونهم في أقاليمنا فطبيعة هؤلاء البشر كطبيعة الحيوانات البكماء. وهم بحسب رأيي ليسوا في مستوى البشر ومستواهم بين أشياء الوجود هو دون مستوى الإنسان وأعلى من مستوى القرد لأن لهم أكثر مما للقرد من صورة الإنسان والشبه له»».

ويقول اسرائيل شاحاك: «لا ريب أن عددا لا بأس به من الحاخامات المؤيدين لمارتن لوثركنج (أحد السود الأمريكان المنادين بالمساواة والذي اغتيل في الستينيات) كانوا إما معادين للسود، وقد دعموه لأسباب تكتيكية تتعلق بمصلحة اليهود أو منافقين بارعين إلى حد انفصام الشخصية، قادرين على الانتقال السريع جداً من المتعة الدفينة بالعنصرية المسعورة إلى الارتباط المعلن بنضال معاد للعنصرية والمراوحة بين هذه المتعة وذاك الارتباط.

ومن يستطيع القيام بهذه الأدوار المتناقضة سوى أحبار اليهود إتباعا لتعاليم التلمود وموسى بن ميمون، الذي خدع القاضي الفاضل والسلطان العظيم صلاح الدين الأيوبي، وابنه الملك الأفضل، وبقية الأمراء وأفراد الحاشية في البلاط الأيوبي.. حتى مدحه الشعراء ومنهم القاضي السعيد بن سناء الملك الذي قال فيه[٦]:

أرى طب جالينوس للجسم وحده
وطب ابن عمران للعقل والجسم
فلو أنه طبَّ الزمان بعلمه
لأبراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبُّه
لتم له ما يدّعيه من التّم

وداواه يوم التم من كلف به
وأبراه يوم السرار من السُّقم

تأثر موسى بن ميمون بالثقافة الإسلامية:

إن موسى بن ميمون هو نتاج الثقافة السائدة في عصره وقد نهل من تلك الثقافة في الأندلس في مدينته قرطبة التي حفلت بالعلم والعلماء، وكان معاصره ابن رشد أحد أبرز أعلامها.

وفي فاس في المغرب حيث توسع في الثقافة ودرس الفلسفة الأرسطية - الرشدية، كما تعلم الطب بالإضافة الى دراسته الفقه المالكي وعقائد المعتزلة والأشاعرة وأشعار الصوفية.

ونجد التأثيرات الفقهية وكيفية تقسيم أبواب الفقه واضحاً جلياً في كيفية تقسيم كتابه الموسوعي (مشنا توراة) (مراجعة التوراة) الذي كتبه بالعبرية، واستغرق فيه عشر سنوات. وقد بدأه في سن الثالثة والثلاثين وانتهى منه في سن الثالثة والأربعين. وقد جمع هذا الكتاب دراسة للتوراة والتلمود، واستنباط الأحكام منهما بصورة مقاربة لكتب الفقه الإسلامي، وكتابه هذا مع كتابيه الآخرين الهامين (السراج)، وهو تعليقات على شروح المشنا، وكتابه الديني الفلسفي (دلالة الحائرين)، توضح الى أي مدى استفاد موسى بن ميمون من دراسته للقرآن والفقه الإسلامي والمذاهب الإسلامية، ففي كتبه الثلاثة الهامة حاول أن ينفي التجسيد الفظيع الذي تميّزت به التوراة والتلمود لله سبحانه وتعالى، فالتوراة تصور الله في صورة آدمي بل تنص على ذلك نصوصا واضحة، جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» وكان الرب يتمشى في الجنة، ففي سفر التكوين أيضا أن آدم اختبأ وامرأته من وجه الرب الإله وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: يا آدم أين أنت؟».

والرب عندهم يظهر لإبراهيم ويعقوب ويصارع يعقوب طوال الليل فلا يستطيع أحد منهما أن ينتصر على الآخر. والرب عندهم يكلم رفقة زوجة إسحاق، عندما كانت حاملا وذهبت تسأله عن حملها فأخبرها أنها حامل بتوأم.. والرب ينزل من السماء ليقتل ابن موسى في حواري مصر، ولكن صفورة أم الغلام، وزوجة موسى، تخطف الغلام وتقطع غرلته، وتمسح ساق الرب (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) بدم الغرلة، فينفك الربُّ عنها.. والربُّ يحب اللحم المشوي جداً حتى أنه مستعد حسب زعمهم الكاذب أن يعطي نصف مملكته لمن يقدم له قرابين اللحم المشوي اللذيذ بشرط واحد هو أن يكون مقدم اللحم أحد الأحبار اليهود، وبالذات من سبط هارون لأنه قرر ألا يكهن لديه إلا سبط هارون. وهو فرع لسبط ليفي (اللاوي).

ولهذا قرر ابن ميمون أن كل ما ورد في التوراة أو التلمود من صور بشعة من التجسيم لله سبحانه وتعالى ينبغي أن يؤول. ويقول روجيه جارودي في كتابه «الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر[٧] في الفصل الذي عقده عن موسى بن ميمون: «ويأخذ الميموني على عاتقه تفسير مجازات النبوة وهو يفعل ذلك استنادا الى دراسة دلالية (علم الدلالة) حيث يقول الميموني في كتابه «دلالة الحائرين» «والتوراة تتكلم بلسان البشر وعلى ذلك فنحن نطبق بالضرورة على الله مجازاً ألفاظاً مستعارة من الخبرة الجسدية لدى البشر.. فبواسطة الفكرة الجسمانية نحن نجعل الأذهان تفهم أن الله موجود، وبواسطة فكرة الحركة نجعلها تفهم أنه حي» فالبشر مغرمون عند الحديث عن الله إلى استعارة صورة العالم المرئي لكي يستحضروا اللامرئي.

والميموني في نقده للتجسيم هو أكثر جذرية من ابن رشد ويجب أن ننفي عن الله أي شبه بينه وبين أي من الكائنات»، ولنا هنا تعليق سريع فابن رشد لم يكن يواجه تجسيما شديدا كما هو لدى اليهود في توراتهم

وتلمودهم بل إن أشد الطوائف المجسمة بين المسلمين يقرون بأن الله ليس كمثله شيء، وأنه لا يشبه أياً من مخلوقاته، بينما التوراة والتلمود تصف الله بأنه ينام ويصحو ويدرس التوراة على يد الأحبار، ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وهو كثير النسيان سريع الغضب وشديد الحقد إلا على ابنه البكر اسرائيل.. وهو يحارب معهم حتى أنه وقع في الأسر ذات مرة وأسره الكنعانيون في فلسطين!! صورة مضحكة مزرية.. ولهذا كان على موسى بن ميمون الذي تثقف بالثقافة الإسلامية أن يكون أكثر جذرية في محاربة هذه الخزعبلات ورفض التجسيم البشع لله تعالى.

ونرى تأثيرات الفرق الإسلامية من أمثال الأشاعرة والمعتزلة في فكر موسى بن ميمون عندما يقول: «ليس بوسعنا أن نقول ما هو الله في ذاته» وهو أمر متفق عليه عند جميع فرق المسلمين والنبي [صلى الله عليه وسلم] يقول «لا تتفكروا في ذات الله وتفكروا في مخلوقات الله وكل ما خطر ببالك فالله غير ذلك وخلاصة القول «ليس كمثله شيء».

ويقول ابن ميمون: «ما من وسيلة لإدراك الله ومعرفته إلا عن طريق أعماله ومخلوقاته، وصفاته عين أفعاله» ولا يمكن الخلط بين فعل الله والفعل الإنساني لأن الفاعل بالنسبة له ليس سابقا على فعله، خلافا للفنان من البشر الذي هو سابق وخارجي بالنسبة لأعماله، من حيث أن فعل الله هو ذات جوهره».

وعلم الله ليس من شاكلة علمنا.. فعلمنا لا يشبه علم الله في شيء إلا في الاسم لأن ما نعرفه نحن إنما نعرفه من خلال تأمل الكائنات لذا فإن علمنا لا يشمل المستقبل ولا المطلق.. وليس الأمر كذلك بالنسبة لله فهذه الأشياء رهن علمه الذي سبق وجودها، وهو الذي أوجدها، والله هو الخلاق، ذو الخلق الذي لا ينقطع، هو فعل.. وجوده وجود كل الأشياء، لا يدّعي كل منها وجودا إلا من قبيل المجانسة.. إنه لا يحدّ، ولا يمكن لشيء مما هو موجود في الكون أن يقارن به إلا مجازا.. والصفات السلبية هي التي يجب أن نستخدمها لنهدي الذهن الى ما يجب أن نعتقده بخصوص الله، أي ليس كمثله شيء.

«إن الله يرسل إلى كل شعب أنبياء يتكلمون بلغة أبناء هذا الشعب ويخاطبونهم على قدر عقولهم». ويقول: «اعلم أن هذا الكون يشكل في مجمله شيئا واحدا.. ووحدة العالم هذه تنبع من وحدانية الله، وكما أن من المستحيل عزل أو فصل القلب أو الكبد عن الجسم البشري.. فإنه من المستحيل على بعض أجزاء الكون أن توجد دون البعض الآخر» ولكنه يؤكد أن الله ليس هو الكون، بل هو منفصل عنه، ويقول: «ما من شبيه لله بين الكائنات.. وحيث أن الله ليس بجسم فليس ثمة علاقة بينه وبين الزمن، ومن باب أولى بينه وبين المكان، والمهم ليس أن نقول ماهية الله ولكن أن نقول ما يفعله. إن هذا الكون يدلنا بالضرورة على خالق يتصرف بقصد ومشيئة، ويقول: «فكما أننا لا نستطيع أن نعرف العلة النهائية لوجود الله فإننا لا نستطيع بعقولنا القاصرة أن نعرف العلل النهائية لمشيئته «فالتنزيل هنا يحل محل العقل».

مسألة النبوة:

والنبوة عند ابن ميمون هي المرتبة الأكثر رفعة للإنسان والتعبير عن الكمال الذي يمكن لنوعه أن يبلغه.. فالمسألة الجوهرية ليست إذاً في معرفة فيما إذا كان بوسع الإنسان أن يبلغ ذلك بقدراته وحدها أو أنه بحاجة الى اللطف الإلهي للوصول إليها وهو يعتقد اعتقادا جازما أن النبوة لا يدركها الإنسان بجهده بل هي منحة من الرب الكريم للشخص المختار ذي الصفات الخاصة التي خلقه الله عليها «لأن التنزيل سيكون بلا فائدة إذا كان بوسع العقل منفردا أن يقودنا إلى الله». وهنا نرى صدى عقائد المسلمين وخاصة أهل السنة، خلافا لبعض الفلاسفة مثل ابن الطفيل الذي يرى أن الفيلسوف والمفكر يستطيع أن

يصل إلى الله دون الحاجة للوحي، وإنما العامة هي التي تحتاج للوحي للوصول إلى الله.

الشريعة:

يقول ابن ميمون: «بإبراهيم (عليه السلام) تم تحقيق الهدف الرئيسي معرفة الله الحق وإلقاء الوثنية والشريعة تعني الاستجابة اللامشروطة لدعوة الله وأوامره، فالشريعة تجعلنا نتذكر الله من جديد ونحبّه ونطيعه».

ويقول: «كل جاهل يتخيل الكون برمته لم يوجد إلا لشخصه هو، كما لو لم يكن ثمة مخلوقات أخرى سواه.. والشهوات الوهمية كالصحة والثروة والأولاد، كان أيوب (حسب القصة الواردة في التوراة المحرفة) يعتبرها هدفاً لأنه لم يكن يعرف شيئا إلا عن طريق التقاليد والسنة، لا عن طريق التأمل والتفكر».

ويجب أن ننزه الله عما نظنه خيراً أو شراً نسبيا فيقول: «عندما نعتقد أننا اكتشفنا تناقضات في العالم الذي خلقه الله أو في كتبه المنزلة فذلك لأننا نحكم بعلمنا نحن، الذي لا يشترك في شيء من علم الله، إلا في الاسم».

حب الله:

يقول: «إذا كان أبونا إبراهيم قد سارع في التضحية بإسحاق (الحق أن الذبيح هو إسماعيل) فليس ذلك خوفا من أن يهلكه الله أو يفقره، بل فقط لأن من واجب البشر أن يحبوا الله ويخشوه، بمعزل عن أي طمع في الثواب أو خوف من العقاب»، وهنا يظهر صدى كلام رابعة العدوية والصوفية في حب الله والمسارعة إلى طاعته.. ويكرر ابن ميمون هذا المفهوم في كتابه دلالة الحائرين عندما يتحدث عن الإنسان الذي يعبد الله بدافع الحب: «إنه ليس مدفوعا بالخوف من العقاب، ولا بأمل الحصول على الثواب، ولكنه يطبق شريعة الحق لأنها الحق، والسعادة تأتي فضلا عن ذلك، وهذه المرتبة من العبادة مرتبة رفيعة لا يرقى إليها كل حكيم، وقد بلغها أبونا ابراهيم الذي كان القدس (الله) عز وجل يدعوه خليلي».

ما معنى أن نحب الله كما يجب؟ ذلك يعني أن نخصه بحب كبير قوي في غاية القوة حتى أن النفس تغدو مقيدة بهذا الحب وتحيا هاجسه بشكل مستمر كما لو كان المرء سقيما من الوجد الذي يشغل تفكير المحب بحبيبه دائما، ويدفعه الى التفكير في ذلك على الدوام، قاعدا أو قائما وحتى عندما يأكل أو يشرب، إن حب الله أعظم في قلب أحبائه الذين يجعلونه شغلهم الشاغل، ويجعلون منه كما تأمر التوراة «حبا من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل طاقتك» (سفر التثنية ٦:٥)، ولم يقل سليمان مجازا، إلا ما هو مبسوط في هذا المقطع وذلك عندما يصرح: لأني سقيم من الحب (نشيد الأنشاد ٥:٢) ونشيد الأنشاد ليس في الواقع إلا مجازا واستعارة لحب الله.

ملاحظة: نشيد الأنشاد غزل جسدي فاضح منحط أشد الانحطاط.

وهكذا نرى تأثير المتصوفة من المسلمين في كلام ابن ميمون، وخاصة رابعة العدوية، حين تقول:

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب حتى أراك

وتقول: «إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة في جنتك ولكن حبا لك..»

وكانت تقول مستغربة: «أو لو لم يخلق الله الجنة والنار ما عبده أحد؟» وكانت تسمي الذين يعبدون الله خوفا من العقاب بأنهم كالعبيد، والذين يعبدون الله رغبة في الثواب كالتجار، ولكن الأحرار هم الذين

يعبدون الله حبا له دون أمل في الثواب أو خوف من عقاب.

وقد تأثر موسى بن ميمون تأثرا كبيرا بابن رشد وكلاهما عاش في قرطبة في زمن واحد تحت حكم الموحدين.. ومن ذلك محاولة ابن ميمون للتوفيق بين الديانة اليهودية والفلسفة، وهو نفس ما قام به ابن رشد في كتابه: «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال» وفيه أظهر مطابقة الحكمة (الفلسفة) للشرع، وأن الشريعة قسمان ظاهر ومؤول وأن الظاهر منها هو فرض الجمهور، وأن المؤول هو فرض العلماء. وأما الجمهور ففرضهم فيه حمله على ظاهره وترك تأويله.. ويذكر ابن رشد أن حقيقة الشرع هي حقيقة العقل أيضا.. ولكن للعقل مجاله المحدود الذي لا يتجاوزه ومع هذا فلا يمكن أن تتصادم حقيقة عقلية مع نصوص شرعية.

ونتيجة تأثر ابن ميمون بذلك كله من فقه وعقائد وفلسفة إسلامية وظهور ذلك في كتابه «دلالة الحائرين» فإن كثيرا من الأحبار وقفوا ضده، وخاصة في بداية الأمر، وشنوا عليه حملات شديدة وسموا كتابه «ضلالة الحائرين» و(الضلالة) ولم يقتصر ذلك على يهود المشرق الذين هالهم استخدام ابن ميمون للتأويل في فهم التوراة وخاصة في نفي التجسيم الفظيع الذي تميزت به التوراة والتلمود، وإنما امتد ذلك إلى يهود المغرب والأندلس بل وإلى يهود أوروبا فنرى الحاخام سلومون (سليمان) كبير حاخامات مونتبلييه في جنوب فرنسا يشن حملة صاعقة على كتاب موسى بن ميمون «دلالة الحائرين» ويتهمه بالهرطقة واستطاع أن يقنع السلطات الكنسية المسيحية بمنع هذا الكتاب، وإحراق النسخ الموجودة منه، وذلك عام ١٢٣٣ م، أي بعد أقل من ثلاثين عاما على وفاة موسى بن ميمون[٨].

ولكن ما لبثت آراء موسى بن ميمون أن اكتسبت تأييد كافة أحبار اليهود إلا من شذ منهم، وأصبحت كتبه من المصادر الهامة الأساسية لدراسة التوراة والتلمود، والتي يرجع إليها اليهود إلى يومنا هذا.

ثبت بكتب ابن ميمون[٩]:

١ - رسالة المصطلحات المنطقية.. وضعها وهو في سن السادسة عشرة وهو لا يزال في قرطبة باللغة العربية.

٢ - كتاب السراج: وهو شروح وتعليقات على المشنا، وبدأه وهو في سن الثالثة والعشرين، وانتهى منه في سن الثالثة والثلاثين، ووضعه بالعربية.

٣ - الكتاب الموسوعي «مشنا توراة» أي مراجعة التوراة وقد استغرق أيضا عشر سنوات، وظهرت فيه آثار الثقافة الإسلامية، وتأويله لكل ما في التوراة من تجسيم لله تعالى، وقد وضعه باللغة العبرية، وجمع فيه أقوال التلمود ورتبها ترتيبا قريبا من أبواب الفقه الإسلامي.

٤ - سفر الوصايا أو القواعد الأخلاقية ووضعه بالعربية.

٥ - قوانين أورشليم: وهو مختصر تعاليم التلمود بالعبرية.

٦ - دلالة الحائرين: وهو أهم كتبه وأشرنا إلى ما فيه من فلسفة وعقائد وكيف حاول أن يوفق بين الشريعة والحكمة (الفلسفة) مما أدى الى اتهامه بالهرطقة، والتأثر بالفكر الإسلامي.. ولكن ما لبث اليهود أن تقبلوا هذا الكتاب وأصبح من أهم مراجع كتبهم الدينية.

٧ - رسالة اليمن (إجريت تيمن) كتبها ليهود اليمن، وكيف يتحايلون على الحكام والقضاة من المسلمين. وقد قيل أن اليهود في اليمن في زمنه كانوا يعانون من التضييق مثل ما حصل في الأندلس والمغرب على عكس الوضع في الشام ومصر والعراق.

٨ - رسالة الردّة.

٩ - رسالة في الفلك (التقويم اليهودي).

١٠ - كتاب الفرائض: وتناول فيه كل ما أحلَّته الشريعة اليهودية وما حرَّمته.

١١ - رسائله الى أصدقائه: وقد جُمعت هذه

الرسائل، وأغلبها بالعربية، ثم ترجمت إلى العبرية، وكان لها رواج عظيم عند اليهود.

١٢ ـ رسالة الي يهود المغرب (إجروت هشماد).

أما كتبه الطبية فكانت تجميعا ونقلا عن كتب من سبقه من الأطباء مثل ابن سينا والرازي وابن زهر وفصول أبقراط وغيرها. ولم يكن فيها أبحاث جديدة أو ملاحظات ذات قيمة، ولهذا فإن كتبه الطبية على عكس كتبه الفلسفية والدينية لم تحظ بأي اهتمام وهي:

١٣ ـ كتاب الفصول: ويعرف بفصول القرطبي حاول فيها تقليد الفصول لأبقراط.

١٤ ـ رسالة شرح أسماء العقار وفيها أسماء العقاقير وشرحها.

١٥ ـ المقالة الأفضلية في تدبير الصحة: وضعها للملك الأفضل علي بن يوسف (ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي).

١٦ ـ رسالة في البواسير.

١٧ ـ تلخيص كتاب «حيلة البرء».

١٨ ـ رسالة في الجماع.

١٩ ـ مقالة في الربو ومقالة في بيان الأعراض.

٢٠ ـ الرسالة الفاضلية في تدبير المنهوش، كتبها للقاضي الفاضل ولي نعمته، وهي الرسالة التي سماها ولغنسون «رسالة السموم والتحرز من الأدوية القتّالة».

٢١ ـ مقالة تشتمل على فصول في كتاب الحيوان لأرسطو.

٢٢ ـ تهذيب الاستكمال في الرياضيات، وهو التهذيب لكتاب ابن هود.

٢٣ ـ تهذيب كتاب ابن أفلح في الهيئة.

هذه هي كتب ورسائل ابن ميمون، ولا قيمة حقيقية لكتبه في الطب أو الرياضيات أو الحيوان. إنما قيمة كتبه في النواحي الدينية والفلسفية، وقد أثّرت على اليهود على مدى القرون، ولا تزال من المراجع الهامة إلى يومنا هذا.

وقد قال عنه ابن القفطي في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»، أنه كان يشارك الأطباء ولا ينفرد برأيه لقلة مشاركته، ولم يكن رفيقا في المعالجة والتدبير»، وقال «أنه صنّف مختصرا لواحد وعشرين كتابا من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار، وعدم الفائدة، لم يفعل فيه شيئا».

وهكذا يبدو أن شهرة موسى بن ميمون في الطب لم تكن في محلها، وذيوع صيته كان من حظه في مداواته للقاضي الفاضل.. أما كتبه الطبية فلا قيمة لها.

الهوامش:

(١) اسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل، ترجمة رضى سلمان وتقديم إدوارد سعيد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٧، ص ١٣٦ وما بعدها.

(٢) عبد الملك بن حبيب الألبيري: الطب النبوي، شرح وتعليق وتحقيق د. محمد علي البار، دار القلم ـ الدار الشامية، بيروت ١٩٩٣، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٣) نظام وواجبات الطبيب وآداب المهنة ـ رسالة غير منشورة، توزع على الأطباء وأعضاء نقابة الأطباء، القاهرة.

(٤) اسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود ص ١٣٨.

(٥) المصدر السابق ص ٥١ ـ ٥٤.

(٦) انظر «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، لابن أبي أصيبعة، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥، ص ٥٨٢، ٥٨٣.

(٧) روجيه جارودي: الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر، ترجمة د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي، بيروت ١٩٩١، ص ١٤٠ ـ ١٤٥.

(٨) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، عام ١٩٨٢، الماكروبيديا ج ٣٥٢/١١، ٣٥٣ مادة ميمونيدس.

(٩) جمعنا ذلك من دائرة المعارف الاسلامية ودائرة المعارف البريطانية، والأعلام للزركلي، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وكتاب القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء.

سارة

تأليف الأستاذ :

عباس محمود العقاد

كتب عن هذه القصة أدباء مرموقون، فقالوا إنها فتح جديد في القصة العربية، وكتب عنها فريق آخر فقالوا إنها تنتسب إلى المقالة النفسية، وليست من القصة في شيء! فماذا أقول في الوجهتين المختلفتين، وكلتاهما لقوم من ذوي الأصالة والروية، وليسوا أصحاب مراوغة واحتيال.

لقد قرأت سارة، فعرفت أن كلا الفريقين معه عذره الواضح فيما قرر من حكم، فحكاية الحب العاصف بين أديب كبير، وحسناء خالية هي قصة لا نزاع في وصفها، ومبالغة العقاد في تحليل الخلجات والهواجس والنظرات والامتداد في ذلك أحيانا إلى جو يوحي بالمقالة لا القصة يجعل سارة ميدانا للتحليل النفسي أولا قبل أن تكون قصة، فمن يتجه إلى ذلك فقد يعذر!

وفي سارة غرائب كثيرة، فهي لم تبدأ البدء الطبيعي، بذكر ما كان في اللقاء الأول وما أعقبه من مسرات أجاد المؤلف وصفها فيما بعد، ولكنها بدأت بعد قطيعة قاسية عاناها الحبيبان معاناة مرهقة، والتقى العقاد فجأة بصاحبته بعد هذه القطيعة، فقال لها وقالت له، وكان لهذا الموقف من التغلغل في نفس العقاد ما جعله يبدأ به القصة! ولا أظن أن ذلك كان من قبيل التشويق وجذب القراء على عادة من يصطنعون الألغاز في أول القصة لتشغل بال القارئ فيسارع في القراءة ليصل إلى حلّ اللغز، فالمؤلف أكبر من أن يصطنع الحيلة الروائية ليجذب قارئا ما إلى أدبه، وأدب العقاد من قبل ومن بعد ليس متعة لكل قارئ، بل لقارئ ذى حظ كبير من الثقافة، والعقاد يعلم ذلك جيدا فلا يحاول أن يهبط إلى القارئ العادى ليرتفع به! وما أجمله لو فعل ذلك، ولكنه يظل في أفُقه الشاهق يدعو قارئه إلى الصعود إليه غير ملتفت إلى ما قد يعانيه من جهد، ولا حيلة له في ذلك فقد دأب منذ صباه على القراءة الجادة الرصينة، فرسمت له مثلا أعلى في الكتابة، لا أعضده الآن ولكنى أوضحه، وأضعه في موضعه الصحيح، فالقول بأن الافتتاح المفاجئ في مطلع القصة كان أداة تشويق، أبعد ما يكون عن منهج العقاد، وإن قال به ناقدون ذوو شأن!

لقد بدأت القصة حقيقة في الفصل التاسع بعد الصفحة الرابعة والتسعين فيما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي) وقد أحس العقاد بأنه يفاجئ القارئ بهذا السؤال حين قال في مقدمة هذا الفصل[١]:

«من هي سارة؟ من هي الفتاة التي مشينا معها هذا الشوط ولا نعرفها، بل رأينا منها خيوطا ولم نر صورة، والتي قرأنا عنها كلمات كثيرة، ولكنها كلمات بينها كثير من الفواصل، وحروفا كثيرة ولكنها حروف يعوزها الإعجام».

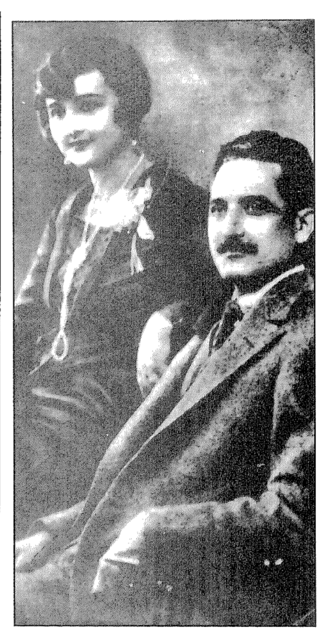
وسؤال العقاد محير حقا، لأنه حين يقول إننا قطعنا مع الفتاة شوطاً كبيرا ولا نعرفها، قد ظلم القارئ الواعي، فكل ما تقدم فيما يربو على التسعين من الصفحات أعطى القارئ إلماماً كافيا بصفات سارة، وميولها، وما هى عليه من ذكاء وجمال واحتيال، كما أعطى القارئ فكرة عن (همام) بطل القصة التى شاء العقاد أن يخلع عليه هذا الاسم كما خلع اسم سارة على حبيبته وهي ذات اسم آخر، فعرف طباعه النفسية، ومواقفه المتميزة في الغضب والرضا، والهدوء والانفعال، وإذا كان لم يعرف ما جدَّ بعد ذلك من ظروف اللقاء الأول، وانطباع صورتها الجميلة في نفس العقاد لأول مرة فمعنى ذلك أنه يفتقر إلى الأسماء والملابسات بعد أن عرف ما يختفى تحت الضلوع من خلجات وأهواء.



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة

فيما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي) وصف تفصيلي رائع لسارة، تلخيصه ينقص من مضمونه، ولكنه يعطي فكرة ما عن فتاة جميلة لا مراء، وجمالها لا يختلط بغيره في ملامح النساء، لونها كالشهد المصفى يأخذ من محاسن الألوان البيضاء والسمراء والحمراء والصفراء في مسحة واحدة، عيناها نجلاوان تخفيان الأسرار ولا تخفيان النزعات، فيها خطفة الصقر ودعة الحمامة، وفمها فم الرضيع لولا ثنايا تخجل العقد النضيد في تناسق وانتظام، وبين وجهها النضير وجسمها الغضير جيد كأنه الحلية الفنية سبكت لتنسجم بينهما، وفقا لتمام الحسن من كليهما، حزمة من أعصاب تسمى امرأة، استغرقتها الأنوثة فليس فيها إلا أنوثة، ولو أنها تفرقت بين أجسام شتى لكانت فيها خميرة أنثى يوشك أن تطغى على جميع تلك الأجسام، شغلتها جواذب الجسد قبل أن تفقه معناها وتسمع باسمها ومسماها، ففيما دون العاشرة وبين جدران مدرسة ليس فيها إلا البنات تزل بُنيَّة لم يكعب ثدياها وتقترف أم الخطايا التى تقترفها النساء والرجال حتى ذعر منها الكاهن عند الاعتراف! وقال لها العقاد حين سمع ذلك أنك اليوم تخطئين وما تعترفين، لا تنظر الى الأديان نظرة الوثنية التى نشأت قبل أن ينشأ الأنبياء، ولها فراسة نفاذة في كل ما بين الجنسين من علاقة، لو حصَّلتها بالتعليم لأنفقت أعمارا طويلة، وكان همام يسمع منها ما قل أن تفهمه امرأة وإن شعرت به، وتمييزها لملامح الرجولة ومظاهرها تمييز لا يخطىء لأنه أشبه بالغريزة التى لم تعرف غير الصواب، تحب التدليل كما تحبه بنت من بنات حواء ولكنها تكره التدليل السخى الفياض، وتحب أن يُقَطَّر لها تقطيرا، وكأنها الطيارة المحلقة، وكأن نزواتها هى القوة الدافعة لها في الفضاء، فإذا دفعتها فهى ناهيك من حركة وصعود وهبوط، وهى وثنية في مقاييس الأخلاق كما هي وثنية في التدين، لا تؤمن بالعصمة الإنسانية في أحد ولا في صنعة، وشديدة الايمان بضعف الإنسان مع أضعف المغريات.

أما مذهبها في الكرامة فمذهب خليق أن يخيف من يحب لها الكرامة، وهي في نظرها كسوة اجتماعية لا يخلعها المرء في المجالس، ولا يلبسها ممزقة مرقعة، ومثل



العقاد مع سارة فى لقطة نادرة

هذه الكرامة لا تمنع صاحبها أن يقارف المنكرات، كلما حلت له وغفلت عنه عين الرقيب».

هذه خلاصة سمات سارة كما رسمها العقاد، وأنا لا أخلي العقاد من غرض هادف في تسجيل ما قال، لأنه أفرط إفراطا زائدا في وصف المحاسن الجسدية، وأفرط إفراطاً مماثلا في وصف المساوىء الخلقية! فماذا يعني بذلك، أنا أعرف أن الرجل الكريم إذا قضى عهداً سعيدا مع حبيبته تبادله الحب ثم أعقب سعادته شجى الفراق لسبب ما، لا يسهب في تعداد مساوىء إنسانة كانت كل شيء له في الحياة، ولاقى من صدودها ما ينوء

بحمله الصخر الصلد، فلماذا اندفع العقاد في تعداد مساوئها الخلقية هكذا، وأكثر مما ذكرت لأني لخصت صفحات متعددة في صفحة!

إن العقاد حين أسهب في ذكر محاسنها الجسمية يقدم للقارىء عذره في تأكيد العلاقة بها وأنه كان مضطراً الى الهيام بفاتنة تملك هذا الوجه وهذا الشعر وهذا الثغر وهذا القوام، وهو حين أسهب هذا الإسهاب المزعج في وصف حيوانيتها الصارخة كان يريد أن يقدم الأسباب الكافية لإهمالها وطردها من حظيرة نفسه! وصاحبة هذا السلوك الشاذ لابد أن تكون معروفة بسلوكها المنحدر أمام فاحص متمرس كالعقاد، ولكنه تغاضى عنه! وما جاء الهجران لأنها أشركت معه غيره كما تنطق صفحات القصة، ولكن لأنها آثرت غيره عليه ووضعته في مرتبة لا تُرضى كبرياءه العظيمة! هنا اندفع العقاد لتسجيل مثالب كثيرة توقعه في مأخذ خلقي حين ارتضاها، ولا تبرئه في مسلكه حين جافاها! لأنه في الواقع لم يكن صاحب الأمر في الجفاء، بدليل أنه ارتضاها بعد أن اعترفت له بالسقوط عن يقين، وكبرياء العقاد المعهودة تمنعه أن يخالف قول القائل:

وتمتنع الأسود ورود ماء
إذا كان الكلاب ولغن فيه!

وأنا لا أقول إن سارة بريئة: ولكنى أقول إن العقاد هو الآخر ليس بريئا، فكيف يقيم الدنيا ويقعدها على أمر شاركها فيه! ألأنها امرأة؟!.

هذا ما أكتبه عن سارة، في ضوء ما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي؟) وكنت أود أن يكتب العقاد فصلا آخر تحت عنوان (من هو) ليعرف القارىء طبيعة همّام كما عرف طبيعة سارة، والعقاد الكاتب الأديب الشاعر حقا ليس في حاجة إلى تعريف، ولكننا نريد هنا أن نعرف العقاد العاشق في تجربته العملية لا في تهويمه الشعري! وقد يقول قائل ان فصول القصة تعريف ممتد بالعقاد العاشق، وأنا أقول إن فصول القصة تعريف ممتد بسارة، ومع ذلك احتاجت إلى فصل خاص بها يبرز سماتها الجسدية والنفسية معا، هذا الفصل كنا ننتظر نظيره من العقاد تحت عنوان (من هو؟) وليس يعوزه وهو الكاتب المقتدر أن يتحدث عن نفسه العاشقة بأحسن ما يود أن يعرضه للقارىء، والقارىء بعد ذلك يأخذ من كلامه ما يشاء، ويدع ما لا يراه مطردا في خطه القويم؟

إن أعظم سمات (سارة) أنها مدد زاخر لعلماء النفس، فقد استطاع الكاتب الكبير أن يفسر كل خلجة، وأن يعلل كل لفتة. وأن يشرح بواعث كل نظرة، كما عرف كيف يأخذ النفي من ظواهر الإثبات، والبغض من ظواهر الحب، والكذب من بوارق الصدق. كل ذلك قد برع فيه العقاد براعة تحليلية موفقة، وله صبره المديد على تصوير أزمات النفوس، ومع ما عرف عنه من الإيجاز كثيراً والمساواة دائما في شرح بواطن نفسه، فإنه حين رصد تياره الشعورى في كثير من المواقف كشف اللثام عن خوافي دامسة في عالم اللاشعور، كما صدق القول أمام نفسه في مواقف كثيره، وبخاصة في موقفه التصويرى الرائع لما أعقب لقاء سارة بعد الجفاء، وتحديد الموعد للقاء، أقول لما أعقب ذلك من صراع نفسى هائل صوره العقاد تصويرا أميناً بقلمه الجبار، لقد تواعدا على اللقاء في منزله بعد الجفاء في عصر اليوم المقبل، ومن ساعة هذا الموعد والعقاد في شجون تتناقض وتتباعد، لم يذهبها عنه اللجوء إلى السينما، ولا النوم المتقطع في الليل، لأنه أثناء النوم كان يحلم بها وحدها، وفي الصباح جابه نفسه بهذا السؤال:

أتريد أن تقابلها؟ وهنا دارت في نفسه ـ نفس العقاد وحده ـ مناقشة عنيفة طويلة كأعنف ما تكون المناقشة بين رجلين مختلفين، كلاهما مُصرّ على عزمه، وكلاهما يحاول جهده أن يخدع الآخر ويستميله، فقال أحدهما:

ـ كيف لا تنتظرها؟ أتعطى سيدة موعدا ولا تنتظرها؟ أهذا يليق برجل.

ـ ولكنها ليست كسائر السيدات، ولا زائرة من زائرات المجالس العامة التى تقع بيننا وبينهن هذه التكاليف!.

ـ ومم عساك أن تخاف، انتظرها، وقل لها إنك لا تريد أن تراها بعد هذا الموعد!

ـ عجبا! أتجهل ما أخافه؟ أتجهل هذه الآلام التى لا حيلة فيها لمخلوق، ولا تزال تبتدىء حيث تنتهى، لأنها تبتدىء وتنتهى بالشكوك! وليس للشكوك قرار حاسم ولا مقطع يقين.



- علام هذه الشكوك التى ليس لها أول ولا آخر، اصرفها عنك مرّة واحدة، وافرض أسوأ الفروض، وقدر أنها تخونك، وأنك تلهو بها في ساعات فراغك، ولا يعنيك من شأنها بعد ذلك إخلاص ولا خداع.

- أأنت مخلص فيما تقول؟ كيف تنقلب هذه المرأة التى كانت كل نساء الأرض عندى، وكل ما يخفق له قلبى، فتصبح بين مساء وصباح، وهى لهو ساعة ومتعة فراغ؟ أهذا خداع يجوز على إنسان؟

- لكن الفتاة مليحة مع ذلك، تصور بضاضتها وهى جالسة إلى جانبك في المركبة، وأنفاسها وهى تهب على خدك فتسرى في جميع أوصالك! وقبلتها وهى ترتعش على شفتيك، وحلاوتها وقد زادها التحول في هذه الأشهر حلاوة على حلاوة.

- هذا حق ولكن ماذا؟ انتظرها والْهُ بها ولا تدعها لغيرك ينال منها مالا تنال، ولا تستضعف عزيمتك هذا الاستضعاف المهين.

- عزيمتي! اين هى عزيمتى إن كانت لا تنجدنى في هذا النزاع العنيف؟

- إنها تنجدك ولكن أنت لا تريدها الآن، لا تريد عزيمة الجفاء والقطيعة، ومتى أردتها غداً، فهى في كل ساعة لديك، ومع هذا ألا يشوقك أن تستمع إلى حديثها أيام القطيعة بينكما؟ ألا يجوز أن تفسر لك بعض الغوامض وتريك من البواطن ما ينقض الظواهر؟ وتصف لك من حالها في غيابك عنها ما يهمك ولو من باب الدراسة والاستقصاء!

ومع انتهاء الحوار إلى هذا الرأى، فإن العقاد قد خالفه، وهرب من البيت حين حانت ساعة اللقاء! وذلك في رأيى مستبعد، لأن أسلوب الحوار يصور الاتجاه الى اللقاء، فهل أراد العقاد أن يفاجىء القارىء بما لم يكن؟، أو أن ذلك قد كان ضد طبيعة الأشياء لمشاعر امتاز بها العقاد؟.

وتعدد اللقاء، واتضحت حقيقة الغدر كما تصوره العقاد أخيراً، وإن كانت القصة تدل عليه من مبتدئها مما يجعلنى أميل إلى أن قسوة الغدر أخيرا كانت هى القشة التى قصمت ظهر البعير، لا عنصر الغدر في ذاته! ولا أحب أن أتحدث عن (الرقيب) الذى سلطه العقاد على ترصد خطواتها حتى عرف قمة المأساة! فالمسألة لم تكن تحتاج الى رقابة، وظن العقاد الكيد أشبه باليقين.

وفي ساره فصل تحت عنوان (حُبَّان) يتحدث فيه العقاد عن صلة بالآنسة ميّ، وهو حديث دلت رسائل ميّ (التى نشرت أخيرا) إلى جبران أنها كانت بمعزل عن كل ما قيل عن حبها للعقاد أو الرافعى أو ولى الدين يكن أو غيرهم ولكن الأدباء الكبار رأوا في ملاطفتها الاجتماعية التى ترعى حقوق الضيافة في منزلها نوعاً من الود المتبادل، فاعتقدوا ذلك، وألفوا الكتب والقصائد في شأنه! وميٌ كانت عفيفة صابرة ملتزمة وذات إحساس يمنعها أن تجابه أحداً بموقف يخدش إحساسه، وقد اعترفت في آخر أيامها للأستاذ طاهر الطناحى أنها لم تتبادل الحب الصادق الا مع جبران وبينها وبينه آلاف الأميال! مما يذكرنا بقول الشريف الرضي:

سهمٌ أصاب وراميه بذى سلم
منْ بالعراق لقد أبعدت مرماك!

ويقينى أن البعد الساحق كان الدافع لهذا الحب! ولو كان جبران من شهود ندوتها الأدبية لما زاد حظه عن أنطون الجميل، وهو اذ ذاك شاب مسيحى أديب مكتمل الخلق، لا تقوم الحوائل الدينية بينه وبينها إذا أرادت الاقتران!

ولقصة سارة فضل كبير على أكثر شعر العقاد الغزلي حيث بينت بعض المناسبات العاطفية لهذا الشعر، وبمراجعة ما في القصة، وتطبيقه على هذه القصائد تشرق أضواء كثيرة على المعانى المستترة خلف الإيحاء العام، ومن أشهر هذه القصائد قصيدة «النعيم المفقود» المبتدئة بقوله:

فيم اجتنابك ظلها الممدودا
ولم اتقاؤك يومها الموعودا
ولأيِّ طارقه كرهت مزارها
ونممت طالعه، وكان حميدا

وختامها الرائع قوله:

وجد الجحيم بكل أرض من رأى
في حيث سار نعيمه المفقودا

الفرق بين المداراة والمداهنة

تختلط الألفاظ في كثير من الأحيان مع بعضها، خاصة إذا كان استعمالها قليلا، أو كان مما يتعلق بالحلال والحرام، ولكن مع أن هاتين الكلمتين كثيرتا التداول، وينطق بهما الجم الغفير من الناس، إلا أن هناك التباسا، وتداخلا في معنييهما، مما يستدعي الكشف عن هذا اللبس، وإذا علمنا أن إحدى الكلمتين مندوب إليها والأخرى محرمة، عرفنا شدة الحاجة إلى بيان الفرق؛ ليزول اللبس، وتتكشف حقيقة كل واحدة من الكلمتين.

فنقول:

قال القاضي عياض - وتبعه في ذلك القرطبي - رحمهما الله - والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لإصلاح الدنيا، أو بذل الدنيا لإصلاح الدين، أو بذل الدنيا لإصلاح الدين والدنيا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة: ترك الدين لإصلاح الدنيا[١].

قال ابن حجر في فتح الباري[٢] باب المداراة مع النساء: المداراة هو بغير همز بمعنى المجاملة والملاينة، وأما بالهمز فمعناه المدافعة.

(قلت) ومن المهموز قوله تعالى {ويدرأ عنها العذاب أن تشهد} الآية/٣، معناه والله أعلم - يدفع عنها الحد إذا لاعنت بعد لعان زوجها.

وكذلك قوله تعالى عن المؤمنين {ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار}[٤] وكذلك قوله تعالى {فادرؤا عن أنفسكم الموت}[٥].

فالآية ويدرؤن بالحسنة السيئة. أي يدفعون بالكلام الجميل الطيب الكلام القبيح الصادر من الجهلة، وكذلك يدفعون أعمال الجهلة الحمقى بأعمال حسنة طيبة، وبمعنى الدفع أيضا (فادرؤا عن أنفسكم الموت) أي ادفعوا.

والإمام البخاري[٦] - رحمه الله تعالى - ترجم في صحيحه للمداراة فقال «باب المداراة مع الناس» ثم ذكر قول أبي الدرداء: إنا لنكشرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتعلنهم. وذكر حديث عروة بن الزبير (أن عائشة أخبرته أنه استأذن على النبي {صلى الله عليه وسلم} رجل فقال - أي النبي {صلى الله عليه وسلم}: ائذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له القول، فقال: أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه - أو وَدَعَهُ - الناس اتقاء فحشه».

ثم نقل ابن حجر قول ابن بطال في ذلك فقال:

قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ في القول، وذلك من أسباب الألفة.

وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق: المداهنة من الدهان وهو الذى يظهرُ على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة: هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والانكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك[٧].

وذكر ابن حجر - قبل ذلك ما يؤيد استحباب المداراة - حديث جابر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال (مداراة الناس صدقة) وحديث أبي هريرة «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس» وبين أن الحديث الأول لا بأس به وأن الثاني سنده ضعيف[٨].

(قلت) يغنى عنهما فعله {صلى الله عليه وسلم}.

ثم ذكر ابن حجر[٩] قول الخطابي في حديث عائشة فقال: قال الخطابي جمع هذا الحديثُ علماً وأدباً وليس في قول النبي {صلى الله عليه وسلم} في أمته بالأمور التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره، فان ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة. ولكنه لما جبل عليه من الكرم، وأعطيه من حسن الخلق أظهر له



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة ام القرى - مكة المكرمة

البشاشة، ولم يجبهه بالمكروه لتقتدى به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله. وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته.

وبذلك عرفنا أن المداراة محمودة مندوب إليها، والمداهنة مذمومة، وأن ضابط المداراة أن لا يكون فيها قدح في الدين، والمداهنة المذمومة، أن يكون فيها تزيين القبيح، وتصويب الباطل ونحو ذلك.

وقد علق سيد قطب رحمه الله تعالى في كتابه الظلال على قوله تعالى {ودُّوا لو تُدْهنُ فيُدْهنُون}[١٠] فقال بعد أن ذكر خُلُق النبي {صلى الله عليه وسلم} وإنك لعلى خُلُق عظيم[١١] ثم بين ما في قوله تعالى {فَسَتُبْصرُ ويُبْصرُون بأيكم المفتون}[١٢] قال.

ثم يكشف له عن حقيقة حالهم - أي حال المشركين - وحقيقة مشاعرهم، وهم يخاصمونه ويجادلونه في الحق الذي معه، ويرمونه بما يرمونه، وهم مزعزعو العقيدة فيما لديهم من تصورات الجاهلية، التى يتظاهرون بالتصميم عليها، إنهم على استعداد للتخلي عن الكثير منها في مقابل أن يتخلى هو عن بعض ما يدعوهم إليه! على استعداد أن يدهنوا ويلينوا، ويحافظوا فقط على ظاهر الأمر لكي يدهن هو ويلين، فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق، وإنما هم أصحاب ظواهر يهمهم أن يستروها.

{فلا تُطع المكذبين، ودُّوا لو تُدْهنُ فَيُدْهنُون} ثم يعرف سيد قطب المداهنة فيقول: فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير، فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها، لأن الصغير منها كالكبير بل ليس في العقيدة صغير وكبير، إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء، لا يطيع فيها صاحبها أحداً، ولا يتخلى عن شيء منها أبداً.

ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون النبي {صلى الله عليه وسلم} ليدهن لهم ويلين، ويترك سب آلهتهم، وتسفيه عبادتهم، أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب!! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان حاسماً في موقفه من دينه: لا يدهن لهم ولا يلين، وهو فيما عدا الدين، ألينُ الخلق جانباً، وأحسنهم معاملة، وأبرهم بعشيرة، وأحرصهم على اليسر والتيسير، فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيه ربه (فلا تطع المكذبين).

ثم نقل عن السيرة النبوية لابن هشام مشي جماعة من المشركين إلى أبي طالب ليكف محمداً {صلى الله عليه وسلم} عنهم، ورد النبي {صلى الله عليه وسلم} على ذلك.

ثم عقب سيد قطب يرحمه الله رحمة واسعة على عرض عتبة بن ربيعة على النبي {صلى الله عليه وسلم} أموراً كالمال والسلطة والطب. وكيف رد النبي {صلى الله عليه وسلم} ذلك. فقال.

فهذه صورة أخرى من صور المساومة، وهي كذلك صورة من صور الخُلُق العظيم تبدو في أدبه {صلى الله عليه وسلم} وهو يستمع إلى عتبة حتى يفرغ من قوله الفارغ، الذي لا يستحق الانتباه من مثل محمد {صلى الله عليه وسلم} في تصوره لقيم هذا الكون، وفي ميزانه للحق، ولعرض هذه الأرض، ولكن خُلُقَه يمسك به: لا يقاطع ولا يتعجل ولا يغضب ولا يضجر، حتى يفرغ الرجل من مقالته، وهو مقبل عليه. ثم يقول في هدوء «أقد فرغت يا أبا الوليد؟ زيادة في الاملاء والتوكيد....اهـ.

(قلت) ففعل النبي {صلى الله عليه وسلم} لعتبة بن ربيعة وأدبه معه، بل وتعظيمه، بذكر كنيته - أبي الوليد - مداراة للناس، واستمالة لهم ليقبلوا الحق، وعمل عتبة كان مداهنة وتنازلا عن عقيدته التى يهاجمها النبي {صلى الله عليه وسلم} في أعز شيء فيها وهي أصنامهم وآباؤهم.

وهكذا يتجلى لنا الفرق واضحاً بين المداراة والمداهنة سواء من حيث اللغة أو من حيث الشريعة وحكمها.

الهوامش:

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/٤٥٤ (٧٨) كتاب الأدب (٣٨) باب لم يكن النبي {صلى الله عليه وسلم} فاحشا ولا متفاحشا. رقم الحديث (٣١٣٢)، ذكرت كلام عياض بتصرف.

(٢) الفتح ٩/٢٥٢.

(٣) النور الآية/٨.

(٤) الرعد الآية/ ٢٢، وكذلك القصص الآية/٥٤.

(٥) آل عمران الآية /١٦٨.

(٦) ٧/٨٠ طبعة استانبول.

(٧) فتح الباري ١٠/٤٥٤.

(٨) نفسه.

(٩) في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق ٦/٣٦٥٦ - ٣٦٦١.

(١٠) القلم الآية/٩.

(١١) القلم الآية/٤.

(١٢) القلم الآيتان ٥ - ٦.

تحقيقات عرضية

***** ثلاث رحلات جزائرية الى باريس تقديم وتحقيق خالد زيادة، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩ ـ ١٠٩ + ١ص:**

١ ـ الرحلات هي: رحلة السيد سليمان بن صيام ط الجزائر ١٨٥٢. رحلة أحمد ولد قاد ١٨٧٨، رحلة محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني (رحلة الوفد الجزائري) ط. الجزائر ١٩٠٢.

٢ ـ يهمنا منها ـ هنا ـ شيء واحد هو رسم «الأرقام» فنحن في الجزائر بين ١٨٥٢ ـ ١٩٠٢ وبين يدينا نصوص أصيلة أي أنها نشرت كما تركها أصحابها الجزائريون أو كما طبعت لأول مرة في الجزائر ويتخللها مقدار كبير من «الأرقام» على شتى أعدادها بين الواحد والعشرة.. كان من محاسن المحقق أن قدم النصوص كما هي دون تدخل أو تعديل.

وليس اهتمامنا هذا إثارة جديدة ـ قديمة لمشكلة رسم الأعداد وما يراه أخواننا في المغرب العربي من ضرورة الالتزام بما هم ملتزمون به في الوقت الحاضر من رسمها هكذا (12345678910).

وحجتهم أن هذا هو الرسم الصحيح وقد اخذته أوربة عن العرب وسمتها الأرقام العربية.

ولا نشك في أن اوربا سمتها وتسميها الأرقام العربية.

ولكن هذه النصوص التى بين أيدينا ونصوصاً أخرى مغربية مناظرة ترينا أن المغرب العربي كان ـ وإلى زمن قريب (هو هنا ـ مثلا ١٩٠٢) يستعمل الرسم الذى يستعمله أهل المشرق وهو ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١ هذا الى ما هو معروف من عودة الرسمين ـ أصلا وعموما ـ الى الهند.

٣ ـ في الرحلات فوائد كثيرة، وفي صدد رسم الحروف رأينا أصحابها يرسمون الـ J مثل الانكليز، الانجليز، يرسمونه ڤ: الانقليز، ويرسمون الـ J (الفرنسية مثل JAGEMENT چوچمه ومثل الـ J الـ GE بثلاث نقاط.

٤ ـ ورد في النص (الفصل الثاني من الرحلة القادمة) ص ٦٨ «عوج بن عنان» ولابد من أن يكون الأصل: عوج بن عناق.

٥ ـ وكلمات لم تكن قد ترجمت مثل الكولون LA COLONE (المستعمرة)

٦ ـ قال المحقق ص ١٠٨ «الحمام الزاجل» وصحيحها: حمام الزاجل.

٧ ـ بذل المحقق جهداً في جلاء النصوص ولا سيما في إعادة الكلمات والمصطلحات الى أصلها الفرنسي. ولكنه قد يقصر في «التعريف» فابن دريد (ص ٥٢) شاعر عربي شهير! لا تكفي في التعريف والإهمال ـ في هذه الحال أولى. وابن دريد لغوي اولا وشاعر ثانيا.

****** المدائح النبوية في الأدب العربي ـ تأليف زكي مبارك، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت، تاريخ الإهداء رجب ١٣٥٤/ اكتوبر ١٩٣٥ ـ ٢٥٣ ـ ١، يصعب أن تكون الطبعة الأولى، وتاريخ الإهداء اولى ـ أو أقرب ـ الى الطبعة الأولى.**

١ ـ ص ٢٠ في الكلام على الأعشى، ترد «منفوخه» ويشرحها: قرية في اليمامة. الصحيح: منفوحه.

٢ ـ يحيل في هذا الخبر (ص ٢٠) وغيره (ص ٢٣) على مهذب الأغاني ١٦٣/١، فلماذا و«الأغاني» نفسه مطبوع؟

٣ ـ ص ٢٨ قال أبو جعفر الألبري: «حدثني بعض أشياخنا بالاسكندرية» ويحيل على «نفح الطيب ج١ ص ٩٣٢ طبع لندن».

لابد من أن تكون «الألبري» : الألبيري.

بقلم : د. على جواد الطاهر
ـ عليه رحمة الله ـ

**** *شجرة البؤس ـ طه حسين، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨ ـ ١٨٨ ص ص :***

١ ـ قال طه حسين في الإهداء: «هذه صورة للحياة في إقليم من أقاليم مصر آخر القرن الماضي وأول هذا القرن، نقلها من صدري الى القرطاس أثناء الرحلة في لبنان» وفي آخرها: بيت مري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٥٤.

٢ ـ كأنها مقالة طويلة، أو حديث في مجلس .. وهي تبعد بذلك عن أن تكون رواية. واذا حسبتها قصة طويلة فلتلاحظ أن طه حسين يلتزم الحديث أكثر مما يلتزم الفن القصصي.

٣ ـ جاء فيها ص ٨: «وأظنك في حاجة قبل أن يتقدم هذا الحديث الى أن تعرف شيئا من أمر هذين الرجلين» وص ١١ «ثم امتحنت الأسرة بفقد ابنيها جميعا في خطوب لا أعرض لها الآن»، ص ٢٧ «.. كما سترى»، ص ٥٧ «أما خالد فكدنا نشغل عنه بحديث أبيه» ص ١٦٨ «ومن الحماقة الحمقاء.. أن»، ص ١٨٥ «وجب أن نعترف بـ..» ص ١٨٣ «وفي الانسان خصال بغيضة لم تستطع الحضارة تهذيبها».

٤ ـ ص ٢٧ « الأعزب» ص ٢٨ «هو أعزب» والفصيح هو «العزب».

٥ ـ ص ١٢٥ «واستأنفت المعددة غناءها الذي كان يمزق القلوب» يسمي ندب الميت غناء.

٦ ـ ص ص ١٨٤ «فلست أعرف أعتى من (الإنسان) اذا ازدهاه الغرور» وتكررت ـ يريد اذا ركبه الغرور فأعجب بنفسه.

والازدهاء من الكلمات المعقدة، وربما كثر استعمالها في الاستخفاف. يزدهيه: يستخفه، كأنها يخيفه. جاء في «أساس البلاغة» وازدهاني كذا استفزني. وفلان لا يزدهيه الوعيد».

وقال الحماسي (جعفر بن علبة الحارثي):

فلا تحسبي أني تخشعتُ بعدكم
لشيء ولا أني من الموت أفرق
ولا أن نفسي يزدهيها وعيدهم
ولا أنني بالمشي في القيد أخرق

٧ ـ ص ١٨٠ «لا تجيب على هذا السؤال» عنْ.

**** *عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ـ سليمان البستاني، تحقيق ودراسة خالد زياده، بيروت، دار الطليعة، تشرين الثاني ١٩٧٨ ـ ٢٥٢ منها ٧١ ص للدراسة.***

١ ـ احتفظت هذه الطبعة بصورة غلاف الطبعة الأصلية: عبرة وذكرى.. بقلم سليمان البستاني مطبعة الأخبار، اكتوبر سنة ١٩٠٨ ـ ولنلاحظ «بقلم...» ولم يقل تأليف.

٢ ـ الكتاب حسن التبويب بين التمهيد (المقدمة) والخاتمة (الإطلالة على المستقبل) وكأنه مقالة طويلة متصلة الفقَر تدل على سيطرة الكاتب ونضج المادة لديه وعمق الفكرة في نفسه مخلصاً للدستور والآمال المعلقة عليه.

٣ ـ الدستور المقصود دستور عام ١٩٠٨ ولكن ذكرى مدحت باشا فيه عطرة فهو صاحب دستور عام ١٨٧٦ والى روح مدحت باشا أهدى المؤلف كتابه.

٤ ـ يعجب الذي يقرأ الكتاب لسلاسة لغته (العربية). ويأتى العجب لدى نظره الى لغة عصر التأليف فاذا هي في العموم على درجة من التعثر، ولدى نظره الى القرون السابقة لها وما تحكم بها من سجع مفتعل مستثقل وركة وعجمة.

ويمكن أن نجد أسباب هذه اللغة المأنوسة السلسة الرصينة لدى المؤلف في ثمرة الجهود القريبة العمل على النهضة، وفي تمكن المؤلف من التراث ثم في تمكنه من اللغة الأجنبية (الفرنسية مثلا) وليس في اللغة الأوربية سجع أو ركة أو عجمة.

٥ ـ ص ٨٤ «الدستور» هنا ترجمة لـ CODE (الفرنسية).

٦ ـ كلمة «البوستة» هي الشائعة ، والمؤلف يستعملها ولكنه قال ص ١١٥ «البرد» يريد البريد.

٧ ـ قد يستعمل «جلالة» للسلطان كما في ص ١٦٠ «جلالة السلطان»، ص ٨٤.

٨ ـ عرّف المحقق ص ٧٩ «الكواكبي» ولكنه لم يعرف: سعاوي وسليمان وغانم.

طرائق العبّ في شُـ

الأحماض من الجذر الثلاثي (حمض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فنيّ ساخر، يتناول مظاهر الحياة المعاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

* موضوع الأحماض:
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعانى العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض:
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض:
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:
١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

روى ابن سلام الجمحيّ[١] عن لقائه بشيخه الأصمعيّ[٢] قال: كنتُ يوماً في بيت أستاذي الأصمعي العلامة العبقري والفهامة الألمعي، فقدّم لي «الشاي» السيلاني

فقلت: يا أبا سعيد، هل كان العرب يعرفون الشاي في الجاهلية؟!

قال: نعم، كانوا يقدمونه للضيفان صباح مساء، وكانت نيران حاتم الطائي[٣] عامرة بأباريق الشاي، فضُرب به المثل في الجود والكرم!

قلت: وهل ذكر الشعراء الشاي في قصائدهم المشهورة؟

قال: عجباً لك يا ابن سلام، تصنف في «طبقات الشعراء» وتجالس الأمراء والخلفاء، ولم تسمع بفخر عمرو بن كلثوم في معلقته وهو يقول:

ونشربُ إن أردنا «الشاي» صفوا
ويشربُ غيرنا «البيبسي» السّخينا[٤]

قلتُ: يا أبا سعيد، قد عرفنا الشاي، فما «البيبسي»؟!

قال: هو شراب أسود اللون، ينعش البدن، مرتفع الثمن! ولا يشرب إلا بارداً، ومثله الميرندا، والسفن أب، والفانتا!

قلت: وهل ثمة أثر في أشعار العرب أنها لا تشربُ إلا باردة؟

قال: أجل. لما كنتُ أجمع اللغة رأيت أعرابيا وفي يده صورة لمحبوبته، وفي الأخرى زجاجة «بيبسي» وهو ينشد:

وإني لأهواها وأهوى لقاءها
كما يهوى الصّادي[٥] الشراب المبرّدا!

ولذلك عاب عمرو بن كلثوم على خصومه أنهم يشربونها ساخنة!

قلت: فما بلغ من ضررها؟

قال: إنها تعسّرُ الهضم، وتكدرُ الفهم، ولو شرب منها الخليلُ وسيبويه لما جادت قرائحهم بشيء!



بقلم: د. أحمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ



ألم تسمع قول الأعرابي الجاهلي وقد حرّمها على نفسه، وحرّم الاستشفاء بها:

فــلا والله أشــربهــا حــيــاتي
ولا أشــفي بهــا أبداً ســقــيمــاً[٦]

إذا رُجَّتْ زجاجتها رجاً قوياً فارت فوران المرجل، وثارت ثوران البركان،ولقد رأيت غلاما معه زجاجة «سفن أب» قد غلبته، وهو ينادي:

يا أبت، أدرك فاها، غلبني فوها، لاطاقة لي بفيها !

فقلت: والله لقد جمع العربية في ثلاث!

قلت: يا أبا سعيد، وكيف تجمع هذه الأسماء: ببسي، فانتا، سفن أب؟ هل تجمع جمع تكسير أم جمع مؤنث سالماً؟

قال ابن سلام: فحار الأصمعي، وصمت طويلا، وجعل العرق يتصبب على جبينه!

فقلت: يرحمك الله يا أبا سعيد، جمعت اللغة والنوادر، وحفظت ستَّ عشرة ألف أرجوزة، وحظيت بثناء الأئمة والعلماء، والأدباء والشعراء، كالشافعي وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين[٧]، وخالطت الخلفاء والوزراء، وشُبِّه بك الممدوحون بفصاحتك ودقة لفظك، كما قال الشاعر في مدح الأمير أبي الفضل الميكالي:

لك في المفــاخــر مــعــجــزات جــمــة
أبداً لغــيــرك في الورى لم تجــمــع
بحــران: بحــرٌ في البــلاغــة شــأنه
شعــر الوليد وحسن لفظ الأصمعي[٨]!

ولك أكثر من أربعين مصنفا في الإنسان والحيوان والنبات والشجر واللغة والأدب، والألفاظ، والأصوات، والقلب والابدال، والمذكر والمؤنث، ولا تعرف جمع تلك الأسماء؟!!

فالتفت إليّ الأصمعي وقال: وكيف تجمعها أنت؟

قلت: ببسي: ببسوات، وفانتا: فانتوات، وسفن أب: سفن أبات!! فضحك الأصمعي وقال ساخراً: يا بني، هذه المشروبات لا تجمع، وإنما «تُجْمَعُ» زجاجاتها في الصّناديق!!

قلت: فما كان حالُ أبي نُواس[٩] لما رأى «الببسي» أول مرة في أسواق بغداد؟

قال: أقبل عليها يُعبُّها عباً، وخصها بقصائد فريدة حلوة اللفظ، قريبة المأتى، متينة الأسر، رقيقة الحواشي، سماها «البيسيات»!

وقد رآه بعض العسس يشرب «البيسي كولا» فظنوه يشرب الخمر، ورفعوا أمره الى الخليفة، فجلده ثمانين جلدة!

قلت: يا أبا سعيد، ألا تضع فيها رسالة ينتفع بها الناس؟

قال: بلى، سأفعل حتى تكون أنفس الكتب وحديث العرب، وسأجعلها في ذيل كتابي «الأصمعيات»! هات القلم والقرطاس.

قال ابن سلام: فجئته بالقلم والقرطاس، فصنّف قبل أن يقوم من مقامه رسالة سماها:

«طرائق العبِّ في شُرب السِّفن أبْ»!!

الهوامش:

(١) ابن سلام الجمحي: لغوي كبير، تتلمذ على الأصمعي والمفضل الضبي، له «طبقات فحول الشعراء» وقد أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل، وهو ناقد نوّاق، توفي سنة (٢٣٢هـ ـ ٨٤٦م).

(٢) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب، إمام في اللغة، له «الأصمعيات» (توفي ٢١٦هـ ـ ٨٣١م).

(٣) حاتم الطائي: فارس جواد جاهليٌّ، ضرب المثل بجُوده، وهو شاعر أيضاً (توفي ٥٧٨م).

(٤) أصله:
ونشربُ إن وردنا الماء صفواً
ويشربُ غيرنا كدراً وطينا

(٥) الصّادي: صدى: صدى: اشتد عطشه، فهو صاد وهي صادية (جمع صُداة وصواد).

(٦) يعني الشاعر الخمرة طبعا، الخليل بن أحمد: إمام في اللغة، ت (١٧٥هـ) سيبويه: صاحب «الكتاب» في النحو، ت (١٨٠هـ).

(٧) هؤلاء من أجل علماء الحديث والفقه.

(٨) البيتان لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في مدح الأمير أبى الفضل الميكالي. والوليد هو البحتري (ت ٢٨٤هـ).

(٩) أبو نواس: الحسن بن هانىء، شاعر عباسي، له قصائد سماها (الخمريات) كان ماجناً، قيل إنه تزهد في آخر حياته، توفي سنة (١٩٥هـ).

«مجلة الثقافة»

على عتبات عامها السابع

هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.



غلاف مجلة الثقافة

في مثل هذا الشهر (رمضان) من العام ١٤١٤هـ. كان بين يدي القراء، العدد الأول من مجلة (الثقافية) التي تصدر عن الملحقية الثقافية السعودية بلندن - حيث صدر العدد الأول منها عن شهري رمضان وشوال ١٤١٤هـ الموافقين لشهري مارس وابريل من العام ١٩٩٤م.

ومجلة الثقافية صدرت لتعكس النشاط الأكاديمي بكافة جوانبه العلمية والفكرية لطلبة الدراسات العليا من السعوديين الذين يتلقون العلم في الجامعات البريطانية المختلفة فكانت ميدانا لنشاطاتهم وبحوثهم العلمية التي ينجزونها في مجالاتهم

الأكاديمية المتنوعة، إضافة إلى نشر ما يجد من ابتكارات ونظريات علمية وانجازات فكرية تقوم بها الجامعات والمعاهد في بريطانيا.

ومن الأدوار الهامة لمجلة (الثقافية) حرصها على ابقاء الروابط الوثيقة بين الطلاب السعوديين وبين وطنهم العزيز، فقد واظبت على نشر أخبار المملكة العربية السعودية وكل ما يجدّ فيها من أحداث وما يتحقق من انجازات ومشاريع.

من هذا المنطلق أصبحت (الثقافية) من ناحية أولى حلقة وصل بين الملحقية وبين طلابها السعوديين - بكل ما يتصل بنشاطاتهم وعملهم الأكاديمي ورسائلهم واطروحاتهم الجامعية - ومن ناحية ثانية شكلت (الثقافية) جسراً علمياً وفكرياً بين ما تنتجه حركة التقدم العلمى والثقافي في الغرب وبين عالمنا العربي بكل تطلعاته وطموحاته نحو اكتساب المعرفة العلمية، والاستفادة من أحدث الأفكار والانجازات المتقدمة في العالم أجمع.

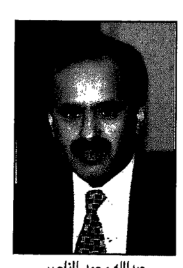
وقد أخذت (الثقافية) في الانتشار، فصار لها الكثير من القراء الذين يتابعون ما ينشر فيها من مواد علمية وفكرية ترضي تطلعاتهم في معرفة الجديد في العالم المعاصر.

ومع الاهتمام المتزايد بالمجلة - داخل بريطانيا وفي العالم العربي - قرر القائمون عليها توسيع مجالاتها لتشمل الفنون الأدبية من شعر وقصة ورواية، ونقد أدبي الى جانب فنون أخرى متنوعة.

وأولت الثقافية اهتماما خاصا لتراثنا العربي وثقافتنا الاسلامية من خلال نشر البحوث والدراسات الفكرية التى تكشف عن الجوانب المشرقة في تاريخنا العريق، مما استوجب استكتاب كتاب وأدباء مميزين، فأمدوها بنتاجاتهم الأدبية والفكرية.

وكان للاستقبال الطيب من القراء، والمساهمة الفاعلة من الكتاب والأدباء أثر كبير فيما وصلت اليه (الثقافية) من تطوير في تحسين مستواها من حيث اختيار المادة والإخراج الفني عدداً إثر عدد وزيادة أعداد النسخ المطبوعة تلبية لحاجة الأعداد المتزايدة من القراء.

والمنهل بكافة منسوبيها تتمنى للزميلة (الثقافية) ولكل القائمين عليها مزيدا من التقدم والازدهار.



عبدالله محمد الناصر
المشرف العام ورئيس التحرير
- الملحق الثقافي - السعودي
في بريطانيا وإيرلنده.



الانسان والصحة النفسية

١ - الانسان كائن اجتماعي:

الانسان جزء من المنظومة الكونية برغم كينونته المتفردة التى تختلف في تفردها عن الآخرين وأي انفصال لتلك الكينونة عن المنظومة الكبرى فيها شقاء الانسان وعذابه النفسي الذى لن يستريح منه الا بعد أن ينتظم مره أخرى في تلك المنظومة، ان الانسان ينمو من خلال تفاعله مع الآخرين وحبه لهم وعطفهم عليه والانسان البائس الناقص في تكوينه النفسى هو الانسان الذاتى الذى ينطوى على ذاته وينفخ فيها فتتورم ويتصدع النحن الجمعى نتيجة لتورم الذات الانويه.

٢ - الانسان كائن إيقاعي:

فهو مثل القمر له تحولاته من البدر الى الهلال الى المحاق ومثل تعاقب الفصول وتعاقب الليل والنهار وايقاع الانسان يتمثل في كونه يرضى حينا ويغضب حينا يحزن حينا ويفرح حينا آخر يهدأ ويتوتر ويجوع ويشبع ويحب ويكره وهذا الايقاع شيء طبيعي في حياة الانسان والصحة النفسية تكمن في أنه يجب عليه ان يوظف حالاته الحياتية المختلفة التوظيف الملائم الذى يتناسب مع حالته المزاجية التى قد لا يملك قهرها أو دفعها.

وهناك ايضاً إيقاع صناعى يهدف الى تهدئة التوتر وانسجام الحالة النفسية مع الجسد ويتمثل هذا الايقاع في المشى وقراءة الشعر حيث التفعيلة والقافية ايقاع، وفي الزخرفة حيث الوحدة الهندسية ايقاع وفي سماع الموسيقى الهادئة القديمة.

٣ الانسان كائن ناطق «العلاج باللغة»:

المرض النفسي ينشأ من عدم القدرة على التعبير عن المشاعر والاحاسيس واللغة العربية لغة ثرية تعبر عن وجدان الانسان اجمل تعبير مما يساعد الانسان على تجاوز ازمته النفسيه والكلمة في اللغة العربية على الرغم من بساطتها «فهى بساطة اللون الابيض الذى يحمل في طياته الوان الطيف السبعة» تحمل في ثناياها ما يعبر عن مشاعر واحاسيس متنوعة معقدة تساعد الانسان على ان يعبر مشاكله ويتخطاها ويحولها الى قوة دافعة عبر برزخ اللغة الجميل واللغة العربية تعبر عن سائر انواع العواطف والفضائل والسجايا والمعنويات والمدركات سواء باللفظ المباشر أو بالرمز أو بالكناية والاستعارة والمجاز وطالما الانسان عبر عن نفسه خير تعبير فإنه يهدأ نفسيا ويتفرغ لشئون حياته بنفس راضية وروح مستقرة وجسد مستريح.

٤ - الانسان كائن رامز:

مولع بصنع الرموز والطلاسم وحلها، عندما كنا

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

اطفالا نلعب في الطمى ونصنع منه اشكالا متعدده تتميز بالبساطة في الشكل والتعقيد في المضمون حيث انها ترمز لآمال كبار تعتمل في نفوسنا البريئة في تلك الأيام الخوالى الجميلة كنا نشعر بالجوع فنهرول الى امهاتنا نطلب منهن الطعام ونحن نقول «عصافير بطوننا تزقزق» ولم نكن نطلب الطعام بصورة مباشرة وانما بصورة رمزية وعندما ذهبت السيدة العربية للأمير تشكو اليه قلة الجرذان اعجب بكنايتها وامر بمدها بما تحتاج اليه من الطعام، وفي تراثنا الشرقى أن كل كنز يحيط به طلسم لابد من حله أولا حتى نصل الى الكنز وكنز النفس أي الصحة النفسية لا يمكن الوصول اليه الا بصنع الرموز وحلها والشعر العربى مملوء بالرمز والكناية والاستعاره والمجاز الذي يساهم في حل ازمة الانسان النفسية وتهدئة خواطره المضطربه واعادة الحياة الى مسارها الطبيعي.

حكايات من مارستان مصر

العطر المراوغ:

إنها فتاتي - ففتاته تتمتع بهذا القسط الوافر من السذاجه مع الخجل الذى يجعلها تتعثر في ظلها وحب شديد للمعرفة يعيد للاذهان فتيات القرن الثامن عشر والتاسع عشر اللاتى كن يحاولن بخفر شديد إن يفتحن كوى للروح للنظر للعالم مع تمسك بالقيم والتقاليد، إنها فتاتي .. ذات الروح المنقبه التى تقابل كل جديد ووافد بالحذر الذى لا يمنعها من ان تفتح نافذه في حجاب روحها لكى تستطلع حتى تقبل أو ترفض وهي في القبول أن الرفض حذره حذر من يخطو أولى خطواته في دروب الحياه الوعره، انها فتاتي.. والعيش اخضر والارواح مساعدة فلم افقد بعد الكثير من اخضرار روحى وعذريتها، انها فتاتى .. فأشعارى التى لا تفهمها تطربها ونثرى الذى لا افهمه يجعلها في نشوة تجعلنى في ملكوت آخر.

كنت اجلس واياها في ظل أيكة في المصحة النفسانية التى اعمل بها طبيباً وتأتى هى للتدريب فيها توطئة لاقتحامها مجال علم النفس التحليلى فأعرض عليها الحالات المرضية التى عليها ان تدرسها واسهب في الشرح مستبقياً حالتى للختام حتى إذا أتى ذلك الختام لا اجرؤ على مفاتحتها وان كانت - باعتبارها - استهلالا لمحلل نفسانى لابد وقد ادركت ما يعتمل في الفؤاد وما يتعارك في النفس وما يتآلف في الروح وما تقوله العيون وما تبرزه الكلمات، كان خوفى كله من يوم تنهى فيه تدريبها فكنت في نهاية كل لقاء اعدها اننى سأعد لها حالات مرضية لم يسبق لها مثيل في اللقاء القادم حتى اثير حبها للمعرفة رغم اننى ساعتها لا يكون في ذهنى تلك الحالات التى اتحدث عنها لكننى كنت اعمل باقي الاسبوع في اكتشاف الحالات النادرة واستطلع نواياها واستكشف خباياها حتى اكون على اهبة الاستعداد واظهر امامها بالمظهر الجدير اللائق.

لكنها لم تأت في الموعد المضروب وكنت انتظرتها طويلا اطول من الف عام مضت في ساعة لم تترك اثراً اهتدى به الا عطر روحها الذى كان يسرع مبتعدا وهو يراوغ كلما امسكت بطرفه أو خلت أنى فعلت بل لابد اننى فعلت واننى يوما ما سأمسك بطرف الخيط وسأهتدى اليها وستهتدى اليّ وإننا كما اجتمعنا لنفترق .. افترقنا لنجتمع.

بواكير الفؤاد:

حاولت أن استعيد لحظة بوح العينين لما التقتا خارج دائرة الزمن وبعيداً عن محيط التاريخ لماذا تأتى تلك اللحظات التى قد تغير مجرى الحياة كموت الفجاءة بلا سابق إنذار أشحذ فيه المقل وأصفى الروح وأجلو صدأ النفس لأجتلى سر عينيها الذى يخفى في اللحظات العادية لكنه يبوح ويفوح بشذا الروح النبيله من اللحظات غير العادية كانت معى وكنت معها فلماذا لم تتصارح العينان بما تكنه روحانا أو لماذا لم ادرك أنا هذا إلا غداة البين وفي لحظة الوداع تلك اللحظة التى اعادت روحى الاسيرة وسلبتها في نفس الوقت اخذتها معها كأنها بعض المتاع الذى هل يسقط منها في قطار الحياة عندما تلحق بقطار الزواج؟.

أثر ازدياد ثاني أكسيد الكربون على النبات

يعتبر بعض العلماء أن زيادة تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون (CO_2) تؤدي إلى تفاقم مشكلة تلوث الغلاف الجوي، بينما يعتبره آخرون مورداً اقتصادياً إذا استغل يؤدي الى رفع انتاجية المحاصيل الزراعية ويسهم في حل مشكلة الغذاء التي يعاني منها سكان العالم. فقبل عدة عقود كان CO_2 يعد من الغازات الجوية الثابتة الكمية بحوالي ٣٠٠ جزء لكل مليون جزء (ج م ج) لذلك اقتصر على اعتباره من العناصر الضرورية لاتمام عملية التمثل الضوئي في النبات Photosynthesis وتبين بعد ذلك أن كمية CO_2 تغيرت كثيراً خلال العصور الماضية وأنها الآن في تزايد مستمر، حيث ازدادت من ٣١٤ (ج م ج) عام ١٩٥٨ إلى ٣٤٥ (ج م ج) عام ١٩٨٥، ويتوقع أن تتضاعف كميته الى ٦٠٠ (ج م ج) في حوالي منتصف القرن القادم، والسبب في ذلك يعود إلى نشاط الانسان في المجال الصناعي وقطع الغابات وحرق الوقود.

وبما أن تفادي التغيرات البيئية الناجمة عن زيادة CO_2 في الجو أمر صعب، بدأ الباحثون الزراعيون بالاهتمام بتحليل أثر زيادة CO_2 على نمو النبات لايجاد طرق عملية للتكيف مع الظروف البيئية المتغيرة.

أثر ثاني أكسيد الكربون على نمو النبات:

يحصل النبات على ما يحتاجه من الكربون عن طريق امتصاص غاز CO_2 من الجو عبر المسامات الموجودة في أوراقه، فيقوم النبات الأخضر بعملية التمثيل الضوئي حيث يتم تحويل CO_2 والضوء والحرارة والماء والمواد الغذائية الى مركبات عضوية (الكربوهيدرات) ضرورية لنمو النباتات، وبالمقابل تطلق النباتات الاكسجين وبخار الماء الى الجو بعملية النتح Transpiration وأن أي نقص أو زيادة في أحد هذه العناصر يؤثر على معدل عملية التمثيل الضوئي ومن ثم على نمو النباتات، ويحتاج النبات CO_2 للاستمرار في النمو والتكاثر ومن ثم تخزين الكربون الفائض لاستعماله عند الحاجة أو التوقف عن أخذ ثاني أكسيد الكربون عن طريق اغلاق مسامات أوراقه. ولكن النباتات لا تستجيب لازدياد CO_2 بنفس الدرجة أو الطريقة وذلك لاختلاف مقدرة النباتات على التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة وكذلك لاختلاف خصائص النباتات الفسيولوجية، ويمكن تقسيم أغلب النباتات إلى المجموعات الثلاث التالية:

١ ـ مجموعة نباتات C3 (Three Carbons) وتشمل أغلب المحاصيل الزراعية التي تنمو في الأقاليم المعتدلة مثل القمح والشعير والقطن وفول الصويا والبطاطا وعباد الشمس وغيرها، وأن درجات الحرارة المثلى لنمو نباتات هذه المجموعة هي بين ٢٠م - ٢٥م.

٢ ـ مجموعة نباتات C4 (C4 - Dicarboxylic Aid) وتشمل الأعشاب والنباتات المدارية مثل الذرة وقصب السكر والدخن وغيرها. ولا يتأثر نمو نباتات هذه المجموعة بدرجات الحرارة المرتفعة جداً حيث أن درجات الحرارة المثلى لنموها هي بين ٣٠ - ٣٥م.

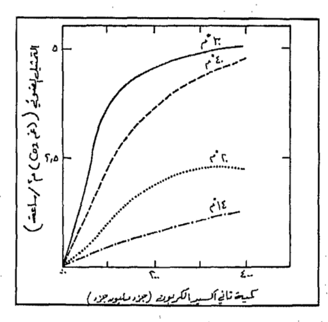
٣ ـ مجموعة نباتات (Crassulacean Acid Metabolism) (CAM) وتشمل النباتات الصحراوية وبعض الأشجار المثمرة مثل الأناناس.

إن تأثير زيادة CO_2 على نمو النباتات يتضح من خلال معرفة علاقته بدرجة الحرارة والتمثيل الضوئي والنتح وفعالية استعمال المياه ومكونات التربة المعدنية، وبينت النماذج الرياضية المناخية أن مضاعفة كمية CO_2 في الجو ستزيد من معدل درجة حرارة الأرض بحوالي ٥ر١م - ٥ر٤م وأكثر من ذلك في العروض العليا. وسيكون لذلك آثار على نمو النباتات

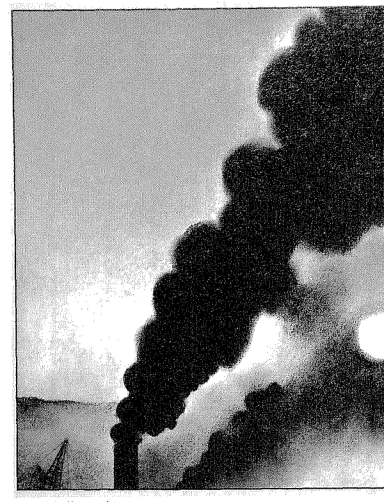
بقلم :د. علي أحمد غانم
ـ الجامعة الاردنية ـ

وعلى مقدرتها على التكيف مع الظروف المناخية، فارتفاع معدل درجة الحرارة سيؤدي إلى زحف الأقاليم المناخية نحو الشمال حيث تضطر بعض النباتات لهجرة مناطقها الحالية الى مناطق جديدة تلائم شروط نموها، ولابد من الإشارة هنا إلى أهمية الأشعة الشمسية على نمو النبات والتي قد تفوق أهمية درجة الحرارة، ولقد لوحظ ارتفاع نشاط عملية التمثيل الضوئي في منتصف النهار بالمقارنة مع فترتي الصباح والمساء.

ولقد تم اجراء تجارب ودراسات تفصيلية لأثر ازدياد CO_2 والحرارة على النبات، ولوحظ بشكل عام أن ذلك سيؤدي إلى زيادة الإنتاج النباتي. وأشارت التجارب الزراعية إلى أن زيادة CO_2 ترفع من معدل عملية التمثيل الضوئي لجميع النباتات ولكن بدرجات متفاوتة، فيزيد التمثيل الضوئي في نباتات C3 بدرجة أكبر من نباتات C4، وتعتبر الأعشاب من النباتات الأكثر استجابة لزيادة CO_2. ويبين الشكل (١) العلاقة بين التمثيل الضوئي لنبات الذرة وCO_2 على درجات حرارة مختلفة[١].



شكل (١) العلاقة بين التمثيل الضوئي في نبات الذرة مع كمية ثاني اكسيد الكربون على درجات حرارة مختلفة.



مداخن المصانع فى البلدان الصناعية تلوث البيئة مما يؤثر على النباتات

ولوحظ أنه على درجات الحرارة المنخفضة (أقل من ١٥°م) لا يوجد استجابة لنمو النبات مع ازدياد CO_2، فكلما زادت درجة الحرارة زاد نشاط عملية التمثيل الضوئي ومن ثم نمو النبات. ويظهر أن أعلى معدل لعملية التمثيل الضوئي يحدث على درجات الحرارة بين ٣٠ - ٤٠°م مع ازدياد CO_2 الى ٤٠٠ (ج م ج). وكذلك أن ازدياد CO_2 يخفض من عملية النتح في نباتات C4 أكثر من نباتات C3، حيث أن بعض النباتات تقاوم ارتفاع درجة الحرارة عن طريق تصغير أو اغلاق مسامات أوراقها مما يقلل من عملية النتح والتبخر، ويزيد من فعالية استعمال المياه Water Use Effeciency.

وأن مضاعفة كمية CO_2 تؤدي إلى مضاعفة فعالية استعمال المياه عن طريق تقليل كميات المياه التى تستهلك أثناء نمو النبات، وتعرف فعالية استعمال المياه بأنها النسبة بين المادة الصلبة Dry Matter في النبات الناتجة من عملية التمثيل الضوئي وكمية

المياه المستهلكة بعملية النتح والتبخر[١]. وأن فعالية استعمال المياه تزداد في مجموعة نباتات C3 بسبب زيادة معدل التمثيل الضوئي وزيادة انتاج المادة الصلبة، بينما تزداد في مجموعة نباتات C4 بسبب انخفاض النتح والتبخر بسبب انغلاق مسامات الأوراق لمواجهة قساوة الظروف البيئية كارتفاع درجة الحرارة.

فإذا كانت نتائج التجارب الزراعية فاعلة في الظروف الطبيعية، فإن لازدياد فعالية استعمال المياه أهمية كبيرة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية التي تقل فيها الزراعة بسبب قلة مواردها المائية. وربما يؤدي ذلك إلى امتداد نمو بعض المحاصيل الزراعية من المناطق شبه الصحراوية الى المناطق الصحراوية، ويعني ذلك أن أراضي واسعة من الصحارى العربية تصبح ملائمة لنمو بعض المحاصيل الزراعية.

وبازدياد معدل عملية التمثيل الضوئي الناتجة عن زيادة CO_2، فإن النباتات تستهلك كميات أكبر من مكونات التربة المعدنية والعضوية، لذلك يفضل تعويض النقص عن طريق اضافة السماد للتربة لكي تفي بحاجة النبات المتزايدة للمواد الغذائية من التربة. وأثبتت التجارب الزراعية أن زيادة ثاني أكسيد الكربون تغير من محتوى النباتات من العناصر العضوية، فوجد أن أوراق نبات فول الصويا، على سبيل المثال، تصبح غنية بالكربون وفقيرة بالنيتروجين[٢]، لذلك يستحسن اضافة سماد النيتروجين للتربة لتفي بحاجة نبات فول الصويات من النيتروجين.

فالنباتات تستجيب لزيادة CO_2 والحرارة عن طريق زيادة انتاجيتها وزيادة المساحة الورقية وزيادة أغصانها بالإضافة الى زيادة عمق وسمك الجذور. فمضاعفة كمية CO_2 إلى ٦٦٠ (ج م ج) ستزيد من انتاجية المحاصيل الزراعية بنسبة (٣٢٪) مع توفر عناصر التمثيل الضوئي الأخرى كالضوء والحرارة والعناصر الغذائية في التربة. فزيادة الانتاج تتم عن طريق زيادة عدد الثمار عند الحصاد ويعود ذلك إلى ازدياد عدد الإغصان[٣].

ويبين الجدول التالي نسب زيادة الانتاج لبعض المحاصيل الزراعية عند مضاعفة كمية ثاني اكسيد الكربون[٤].

المحصول	الزيادة (٪)	المحصول	الزيادة (٪)
الرز	٩	القطن	١٠٤
القمح	٣٨	فول الصويا	١٧
الشعير	٣٦	البندورة	١٣
الذرة	١٦	البرسيم	٤

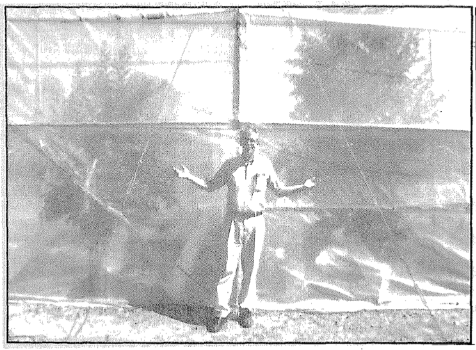
ويرافق زيادة CO_2 أيضاً زيادة في المساحة الورقية Leaf Area بسبب زيادة عدد ومساحة الأوراق[٣]، ونتيجة لاختلاف الظروف البيئية فإن النباتات في المستقبل ستكون أكبر حجماً من نباتات اليوم وتتميز بأغصان أكبر وبجذور أكثر عدداً وأسمك وتمتد إلى أعماق أكبر في التربة. ولوحظ في التجارب الزراعية زيادة في نمو وانتاج الجزر والفجل[٥].

تكيف النبات:

تختلف طريقة تكيف النباتات الحولية عن الأشجار المعمرة، فبما أن تضاعف كمية CO_2 في الجو تحتاج إلى حوالي ٧٠ سنة فإن النباتات الحولية ستمر بأجيال متعددة (فدورة تحسين المحاصيل الزراعية الحولية تستغرق حوالي عشرة أعوام من بداية عملية التحسين حتى تسويق الانتاج) تمكنها من التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة عن طريق تغير خصائصها الموروثة لكي تستمر في الانتاج والتكاثر. أما النباتات التي لا تستطيع التكيف فإنها تهجر مناطقها إلى مناطق أخرى حيث تتوفر الظروف الملائمة لنموها، ويحدث ذلك للنباتات التي لا تستفيد كثيراً من ازدياد CO_2 كالبرسيم وفول الصويا والذرة.

ومن النتائج الهامة للتجارب الزراعية أن مضاعفة

CO_2 تزيد من قدرة النبات على الاستمرار في الحياة والنمو على درجات حرارة مرتفعة، بينما تموت على تلك الدرجات تحت ظروف CO_2 العادية، ولقد لوحظ بالتجربة على نبات الأفوكادو أن ثماني شجرات ماتت بعد شهر من زراعتها بتاريخ ١٩٨٦/٧/١ في أريزونا/ الولايات المتحدة، بينما ماتت أربع شجرات من ثماني شجرات زرعت تحت ظروف مضاعفة CO_2 إلى ٦٤٠ (ج م ج)[٦].



الصورة تبين اختلاف حجم الشجرتين .. الشجرة الكبيرة مزروعة فى جو ذي كمية مضاعفة من ثاني أكسيد الكربون والشجرة الصغيرة فى البيئة العادية

أما النباتات المعمرة كأشجار الغابات والأشجار المثمرة، فإنها تتكيف عن طريق التغير التدريجي في خصائصها بحيث تتلاءم مع الظروف البيئية الجديدة وذلك عن طريق زيادة نمو أعضائها وأوراقها وجذورها. فاستجابة الأشجار المعمرة تعتمد على توفر المياه والنيتروجين وهما العنصران الأساسيان لنمو الأشجار، ولذلك ربما تنمو بعض الأشجار في مناطق جديدة ملائمة لنموها في غير مناطقها الحالية وهذا يؤدي على احداث تغير في توزيع الأشجار والغابات في العالم[٧].

الأضرار:

وينتج أيضا عن ازدياد كمية ثاني أكسيد الكربون في الجو أضرار على النباتات منها:

١ ـ ازدياد نمو الأعشاب الضارة بين المحاصيل الزراعية.

٢ ـ ازدياد أثر الحشرات حيث أنه في حالة نقصان محتوى الأوراق من العناصر (كالنيتروجين) فإن الحشرات تضطر لأكل كميات أكثر من الأوراق حتى تحصل على حاجتها من المواد الغذائية (كبروتين النيتروجين).

٣ ـ ازدياد احتمال حدوث الحرائق في الغابات بسبب ارتفاع درجة الحرارة وتكرار حدوث الجفاف.

المصادر:

(1) Rosenberg, N., Blad, B. & Verma, S. 1983: Microclimatology: The Bilogical Environment, Second edition, John Wiley & Sons, NY.

(2) Strain, B. & Cure, J., 1983: Direct Effect EFFect of Increasing Carbon Dioxide on Vegetation, U.S. Dopartment of Energy, DOE/ER-O238.

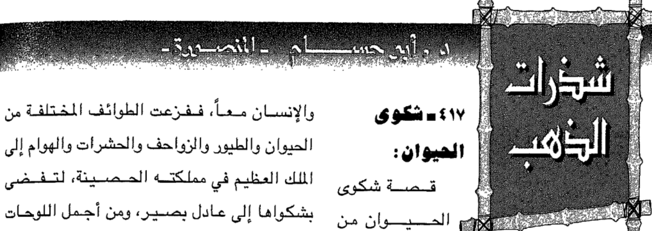
(3) Baker, J. et al., 1989: Response of Soybean to Air Temperature and CO2 Concentration, crop sci. 29: 98-105.

(4) Kimball, B. A., 1983: Carbon Dioxide and Agricaltural Yield, U.S. Water Conservation Laboratary, Arisona.

(5) Idoso, S. et al., 1987: Effects of Atmospheric CO2 Entichment on Plant Growth. Agric. Ecosys Environ. 20: 1-10.

(6) Kriendemann, P. et al. 1976: Vine Response to Carbon Dioxide Enrichment During Heat Therapy, Austr. J. Plant Physiol/ 3: 605-18.

(7) Paster, J. & Post. W, 1988: Response of Northern Forest to CO2 Induced Climate Change, Nature, 334. P.58-61.



٤١٧ - شكوى الحيوان:

قصة شكوى الحيوان من الإنسان من أجمل القصص في التراث العربي، إن لم تكن أجمل قصة هادفة انحدرت إلينا من تراث القرن الرابع المليء بأثمن الذخائر، وأعلق النفائس، وكاتبها المجهول أحد إخوان الصفا الذين تركوا أبدع الرسائل الفلسفية الحافلة بما يمثل الذهن المتحضر، ذى الشعاب المختلفة المتنوعة، ولو أتيح للرسائل من يتخصص في تحليلها، ومعرفة أصولها الفلسفية الغائرة في أطباق الفكر الإنسانى منذ شهد وجوده في مصر والصين والهند واليونان والرومان إلى حين اكتسحه المد العربي الزاخر بتياره المتموج، لو أتيح لها هذا النفر من المتخصصين لرأينا كيف تفتحت عقولنا الماضية على آفاق تشرق بالنور وتتوهج بالضياء.

أما ظلم الإنسان للحيوان فقد أحسَّه مفكر عملاق من مفكَري إخوان الصفا، ولم يشأ أن يعبر عن أحاسيسه في أسلوب علمي يرتب القضايا المنطقية واصلا بها إلى النتائج الصحيحة، بل كان شاعراً عاطفيا في اتجاهه حين تخيل طوائف الحيوان قد فزعت من ظلم الإنسان، ولم تجد منصفاً تشكو إليه ما ينزل بها من الفوادح غير ملك الجن، لأنه قادر على الانتقام من الحيوان والإنسان معاً، ففزعت الطوائف المختلفة من الحيوان والطيور والزواحف والحشرات والهوام إلى الملك العظيم في مملكته الحصينة، لتفضى بشكواها إلى عادل بصير، ومن أجمل اللوحات الفنية التى تعرض في متاحف أوربا، لوحة هذه الشكوى، إذ تأثر بالموضوع فنان حساس فرسم مشهد المحاكمة يتصدره ملك الجن بقرونه الناهضة، وعينه الملتهبة، وحوله حوارييه ممن هم على شاكلته في الجهة اليمنى، وقد وقف ممثلوا الإنسان في الجهة المقابلة.. أما العجيب حقا فهو ما جمعت اللوحة الخالدة من مشاهد الحيوان والطير والزواحف والهوام، وقد اجتمعت في مشهد واحد يقف فيه الظبي جوار الأسد، والعصفور جوار النسر، دون خوف! لوحة رائعة تحتاج إلى فنان مبدع يشرح ما بها من ظلال خالطت الأضواء ووجوه نطقت بأبلغ ما تخفى السرائر، فأين هو؟ ولا أستطيع في هذه الشذرات أن أتتبع كل ما دار في مجلس سيد الجن، ولكنى أكتفى بالتقاط بعض المشاهد دون اختيار، لأنها كلها في مستوى واحد من الإبداع.

٤١٨ - زعيم البهائم:

وقف زعيم البهائم ليقول: أيها الملك، كنا نحن وأباؤنا سكان الأرض قبل خلق آدم قاطنين في أرجائها في رغد من العيش، ثم إن الله خلق آدم وكثرت ذريته، فضيقوا علينا الأماكن، وأخذوا منا

أسارى من الغنم والبقر والخيل والحمير، وسخرونا في الأعمال الشاقة من الحمل والركوب والدوران في الرحى والدواليب بالقهر والعذاب طول أعمارنا، فهرب منا من هرب، وشمر بنو آدم في طلبنا، فمن وقع منا في أيديهم شدوا وثاقه، ثم عذبوه بالذبح والسلخ وشق البطن وقطع المفاصل، ونتف الريش، وادّعْوا أن هذا حق واجب لهم علينا، وأنهم أرباب ونحن عبيد.

سمع الملك هذه الشكوى، وأمر بطوائف الإنس فحضرت لترد على الشكوى، وكانت قاعة المحاكمة تتسع لكل حوار، يجيء بين الشاكي والمشكو، حيث أمر الملك أن يتحدث عن كل طائفة ممثل لها فتكلم الحمار والجمل والفيل والخنزير والثور وأدلى كل بمواجعه الداميات.

٤١٩ ـ شكوى الكبش:

فمما قال الكبش: أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدى بنى آدم، يأخذون صغارنا، فيفرقون بينها وبين أمهاتها ليستأثروا بألبانها لأولادهم، ويجعلوها مشدودة بين أيديها وأرجلها، محمولة الى المذابح والمسالخ جائعة عطشى، تصيح فلا ترحم، ثم نراها مذبوحة مسلوخة مشقوقة أجوافها مفرقة أعضاؤها ورؤوسها وكروشها وأكبادها في دكاكين القصابين، مقطعة بالسواطير، مطبوخة في القدور مشوية في التنور، ونحن سكوت لا نستطيع أن نبكى أو نشكو، فإن شكونا لا نجد من يرحم، لو رأيتنا كذلك أيها الملك لرحمتنا.

٤٢٠ ـ شكوى الخنزير:

أما الجمل فتكلم قليلا ثم نظر الى الخنزير، وصاح به: قم أيها الخنزير واذكر ما تلقون من جور بنى آدم، وكأن الجمل كان يعلم أن مصاب الخنزير فوق كل احتمال فدعاه للإفصاح.

قال الخنزير: والله ما أقول من كثرة اختلاف القائلين في أمرنا، أما حكماء الجن فالملك يعرف ما لديهم، وأما الإنس فقد كانوا أكثر اختلافا وأبعد اتفاقا، إن المسلمين يقولون إننا ملعونون، ويستقبحون صورنا، ويستقذرون لحومنا، والروم يتنافسون في أكل لحومنا في قرابينهم، واليهود يلعنوننا من غير ذنب منا إليهم، ولكن لعداوة بينهم وبين النصارى، والأطباء من اليونان يتداوون بشحومنا وساسة الدواب، يخالطوننا بدوابهم وعلفها، لأن حالها يصلح بمخالطتنا، فقد تحيرنا لا ندرى لمن نشكو، ومما نشكو ونتظلم، وقام غير الخنزير كثير وكثير.

٤٢١ ـ تأثر الملك:

وكأن ملك الجان قد تأثر بما سمع، فالتفت إلى جماعة ممن حضروا مجلسه من حكماء الجن وقادتهم وقال: ألا تسمعون شكاية هذه البهائم

والأنعام، وما يصفون من جور بنى آدم عليها وقلة رحمتهم لها؟؟

قال الحكماء من الجن: سمعنا كل ما قالوا، وهو حق، ومن أجل ذلك هربت بنو الجان من بين أيديهم إلى البرارى والقفار، ورءوس الجبال، وبطون الأودية، وسواحل البحار، لما رأوا من قبح أفعالهم وسوء أعمالهم، ومع هذه الخصال كلها لا يتخلصون من سوء ظنهم بالجن، وذلك أنهم يعتقدون أن للجن في الإنسان نزعات وخبطات، وفزعات في صبيانهم ونسائهم وجهالهم، حتى إنهم يتعاوذون من شر الجن بالتعاويذ والرقى والتمائم وما شاكلها، ولم يروا قط جنيا قتل إنسيا، أو جرحه أو سرق متاعه، أو نُقِّب داره، أو فتق جيبه أو بتر كمه، أو قطع على مسافر طريقه، أو خرج على سلطان أو أخذ أسيرا.

سمع الملك كل ذلك فخلا للتشاور مع قضاة الجن، فكلهم أجمعوا على أن يرسل الملك رسلا إلى جميع الحيوانات التى لم تمثل في المحاكمة، فتعرفها الخبر، وتطلب منها أن تبعث كل طائفة ممثلا لديها يصدع بآلامها وآمالها ، وصدر الأمر بتأجيل المحاكمة حتى تأتى الوفود.

٤٢٢ ـ لقاءات ومشاورات:

صدع المستمعون للأمر، وطافت الرسل بجميع الحيوانات والطيور والهوام والزواحف، فجعل رئيس كل طائفة يبحث الأمر، ويختار من يمثله، وننقل مشهداً من مشاهد الاختيار، حيث وصل رسول الجن الى ملك الجوارح ـ وهو العنقاء ـ فعرفه الخبر، فنادى منادى الجوارح سيد النسور والعقبان والصقور والبزاة والشواهين والحدأة والرخم والغربان والبوم والببغاء، وكل طير ذى مخلب مقوس المنقر يأكل اللحم، ثم عرّفها الخبر وما جاء به الرسول، فقال الوزير الخاص بملك الجوارح، ليس فينا أحد يصلح لهذا الأمر غير البوم، قال الملك: ولم ذلك؟ قال الوزير: هذه الجوارح كلها تنفر من الإنس وتفزع منهم، ولا تفهم كلامهم، ولا تحسن مخاطبتهم ولا تجاورهم إلا البوم، فإنه قريب المجاورة لهم في ديارهم الخربة، ومنازلهم الدارسة، وقصورهم البالية، فهو يعرفهم، وينظر الى أثارهم الباقية، ويعتبر بالقرون الماضية.

فسمع البوم ما قيل، فقال للملك: لا يمكن المسير الى مجلس الحكم، لأن بنى آدم يبغضونني، ويتطيرون برؤيتي ويشتمونني من غير ذنب إليهم، ولا أذية منى، فكيف إذا وقفت أمامهم في المجلس، وأظهرت الخلاف ونازعتهم في الكلام والمناظرة؟.

فقال الملك، ومن يصلح؟ فقال البوم: إن ملوك بنى آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين ويكرمونها ويحملونها على أكفهم، فلو بعث الملك واحداً منها لكان صوابا، وتعد مشاورة حاسمة، انتهى الأمر باختيار الببغاء لأن بنى آدم يحبونه، فابتسم الببغاء ورحب، وتوجه الى مهمته.

٤٢٣ ـ مشورة الثعابين:

ومن الطريف أن ملك الهوام وهو الثعبان قد

جمع أبناء جنسه وفيه الأفاعي والحيات والعقارب والضب والحرباء، والخنافس والعناكب والنمل والجنادب والبراغيث والقمل والصراصير وكل ما يتكون في العفونات أو يدب على رءوس الأشجار، وحين رأى ملك الهوام هذه الطوائف قال متألما: من يصلح من هذه الطوائف كي نبعثه للمناظرة وأكثرها صم بكمٌ عمي بلا يدين ولا رجلين ولا جناحين، ولا منقار ولا مخلب، ولا ريش على أبدانها، ولا صوف ولا فلوس، وأكثرها حفاة عراة، مساكين بلا حيلة، ولا حول لها ولا قوة، وقد رق قلب الملك عليها ودمعت عيناه ثم دعا الله أن يكون لها حافظا ومعينا.

أسائل نفسي؟ كيف يتجه المؤلف الفنان بهذه الرحمة الدافقة الى طوائف الثعابين والعقارب والحيات؟ ألم تكن أسراب الحمام، وجماعات العصافير أولى وأحق! إن خطر الثعابين أقوى من خطر الآساد والنمور، فهل أراد المؤلف الفنان أن يبدع فيأتي بما لا يخطر علي بال.

وقد لبت كل طائفة دعاء الملك الجني. وأرسلت من يمثلها، ودار حوار عاصف شمل عدة صفحات رائعة يصعب تلخيصها لأنها من أجمل صفحات البيان العربي، والبيان يفسد بالتلخيص إذْ كل لفظ له مدلول، وكل حرف لا يغني غناءه سواه!.

وقد انتهت المحاكمة إلى نتيجة رضى عنها طوائف الإنس، لأنها اختارت حكيما فارسيا أبدع الدفاع، وأتى من وسائل الإقناع ما عنت له النفوس، ودل على فضل الإنسان بمالا ينكره غير الجاحد، فمال ملك الجن إليه، وختم المحاكمة بقوله: الآن حصحص الحق، وصدق الله الذى فضل الإنسان على الحيوان وعلى كثير من المخلوقات، فيا أيها الحيوانات أنتم أعوان الإنسان فأطيعوه ولا تعصوا له أمرا، ويا بني آدم أنتم سادة الحيوان، فعاملوه بالرفق، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين.

٤٢٤ ـ تعليق نقدي:

ونسأل: هل كان للرسالة (رسالة الانسان والحيوان) هدف غير الدعوة الى الرحمة وحسن المعاملة بين الإنسان والحيوان؟ سؤال يجيب عنه الدكتور زكي مبارك فيقول:

«كاتب الرسالة متفوق في علم الحيوان، ورسالته تجرى مجرى القصص الطريف، ولكن هذا القصص يدور حول محور واحد، وهو شرح طبائع الطير والحيوان، ولذلك نرى الكاتب يبدىء ويعيد في الكلام عن خواص الكائنات الحية التى استبد بها الإنسان، وينطلق فيسرد طبائعها جنسا جنسا، ثم يمضي فينطقها بما أودعت غرائزها من ضروب الأسرار، ولا يزال يمعن في الدرس والبحث حتى يمكّن القارىء من معارف جمة طريفة تشوق العقل والخيال» فالرسالة كما قال القائل:

من اللائى أمدّ بهن عقلٌ
وهذّبهن فكر وانتقا



خشخاش .. مكتشف أمريكا الحقيقي

يخطيء كثير من الكتاب والمفكرين العرب المسلمين عندما يصدقون مزاعم الغرب الذى يدعى ان الذى اكتشف أمريكا هو المكتشف الرحالة كريستوفر كولومبوس وقد قامت البلدان الامريكية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية قبل سنوات وفي ذكرى وصول كريستوفر كولومبوس وبالتحديد الى جزر البهاما بتكريم ذكراه ولسنا هنا بصدد تقويم شخصية كولومبوس مكتفيا بما ذكر من أخلاقه السيئة مايندى له الجبين وعقله المختل في المؤلفات التى ألفها المترجمون الغربيون أضف الى ذلك هذه الروايات المتناقضة التى تجعل شخصية هذا المكتشف أقرب الى الاساطير من أي شيء آخر، فمن قائل أن هدف الرحلة كانت من أجل تأسيس وطن قومى لليهود ومن قائل غير ذلك.

ولو أردنا مزيدا لأوردنا ما ذكره الباحث لطف الله قارى في ندوة الأندلس عندما قال: «عندما أبحر كولومبوس الى الغرب في رحلته الشهيرة سنة ١٤٩٢م كان معه من الآلات الفلكية بوصلة بحرية من اختراعات ملاحي العرب وتنسب الى الملاح الشهير أحمد بن ماجد وجهاز طوره الفلكي الشهير كمال الدين بن يونس وخرائط بحرية ومزاول شمسية وجداول فلكية وخيوط رصاص لسبر أغوار البحر، وكل هذه الأدوات الأخيرة من اختراعات الأندلسيين المسلمين».

فليس الهدف في مقامنا هذا دراسة رحلة كولومبوس ولكن الهدف هو احقاق الحق وهو أن المكتشف العربي الأندلسي خشخاش هو المكتشف الحقيقي للقارة الأمريكية. وفي تراثنا العربي الإسلامى عشرات الإشارات إلى اكتشاف العرب للقارة الأمريكية.

فقد أورد مؤرخ الاسلام الكبير المسعودى صاحب مروج الذهب اكتشاف العرب المسلمين بقيادة المكتشف العربي العظيم خشخاش، يقول المسعودي:

وقد ذهب قوم إلى أن هذا البحر (أي المحيط الأطلسي) أصل ماء سائر البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها في كتابنا «أخبار الزمان» في أخبار من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا وأن منهم رجلا من أهل الأندلس يقال له خشخاش، وكان من فتيان قرطبة وأحداثها، فجمع جماعة من أحداثها، وركب بهم في مراكب استعدها في هذا البحر المحيط فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة. وخبره مشهور عند أهل الأندلس».

وقد ذهب كثير من مفكرى ومستشرقى الغرب الى الاعتقاد بصحة هذه الرحلة وفي مقدمتهم المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكى الذى تحدث عن الرحلة وحاول قدر استطاعته تحديد توقيتها.

وقد قامت محاولة أخرى لمجموعة من الناس اسمهم المغررون برحلة الى أمريكا وقد تناولها الشريف الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق» نترك نقلها خوف الإطالة.

إن على العرب والمسلمين أن يطلعوا على تاريخهم ليعلموا أن أجدادهم قاموا بجهود علمية في ميدان الطب والجبر والهندسة والكشوف الجغرافية مما اضطر علماء أوروبه لدراسة آثارهم.

ما أحوجنا إلى إعادة الاعتبار الى المكتشف العربي الأندلسي خشخاش الذى قام برحلته العظيمة وحق لنا أن نفخر به ونذكره كما يذكر الغربيون كريستوفر كولومبوس.

بقلم : د. طاهر تونسي



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



المتوكل للسيارات والآليات
محمد نور صلاح جمجوم واولاده



بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية يشرفنا ان نرفع اسمى ايات التهانى لمقام خادم الحرمين الشريفين ولسمو ولي عهده الأمين ولسمو النائب الثاني - يحفظهم الله - والى الشعب السعودي الكريم بهذه المناسبة الوطنية الكبيرة داعين الله ان يعم الخير والامن والامان ربوع هذا الوطن الغالي.



المتوكل للسيارات والآليات
محمد نور صلاح جمجوم واولاده

انطلق مع بيجو
٤٠٦ العائلية
الجديدة كلياً

جدة طريق مكة ـ كيلو ٥ ـ ت: ٦٨٧٢٦٢٢/ ٦٨٧٥٦٨٧/ ٦٨٧٥٤٩٧/ ٦٨٧٢٤٦٦/ ٦٨٧٢١٦٨.
فاكس: ٦٨٧٦٥٣٥ ـ تلكس: ٦٠١٣٦٥ فبراس أس جي ـ ص.ب: ٢٥٣٨ ـ جدة: ٢١٤٦١ المملكة العربية السعودية
الفروع:
فرع جدة طريق المدينة: ٦٨٢٦٦٩١ ـ فرع مكة المكرمة: ٠٢/٥٤٣٣٠٣٤
فرع المدينة المنورة: ٠٤/٨٣٦٦٢٥٥ ـ فرع خميس مشيط: ٠٧/٢٢٢٣٠٤١

مسابقة أرامكو السعودية السنو
الحادية والعشرون لرسوم الأطفال

دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الحادية والعشرين لرسوم الأطفال، التي ستكون مخصصة هذا العام لمو

بيئتنا وكيف نحافظ عليها

وذلك إسهاماً من الشركة في توعية البنين والبنات في المملكة العربية السعودية بأهمية البيئة والحفاظ عليها، من خلال إبراز مواهبهم وإبداعاتهم الفنية

ملاحظة مهمّة:

يرجى من جميع الأطفال الراغبين في الاشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ومدرسيهم أن يقرأوا نظام وشروط المسابقة بعناية، وأن يتّبعوها بدقة، حتى لا تستبعد رسومهم.

شروط المسابقة:

١- يحق لكل طفل لا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على اربع عشرة سنة ويقيم في المملكة أن يشارك في المسابقة.

٢- يجب على الطفل الالتزام بموضوع المسابقة وهو بيئتنا وكيف نحافظ عليها.

٣- يتقدم كل طفل للمسابقة برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين او غيرهم.

٤- يجب أن يكون الرسم عملاً أصلياً غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى.

٥- يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم، كأن ينفذ من اوراق القص أو اللصق الملونة، أو قطع القماش، أو ما شابه ذلك، وستستبعد الأعمال المجسمة من مواد بارزة كقطع الخشب، أو قطع البلاستيك، أو الفخار، أو ما شابه بها، ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأحبار أو ما يراه مناسباً لرسمه.

٦- يجب أن يكون الرسم نفسه خالياً تماماً من أي دلالة على اسم الطفل أو مدرسته.

٧- يجب أن يكون مقاس الرسم ٣٥سم/ ٥٠سم وللطفل الحق في الاستفادة من هذه المساحة أفقياً أو عمودياً.

٨- يجب تنفيذ الرسم على الورق المقوّى، أو تثبيته على لوح من الورق العادي أو القماش.

٩- يجب أن يكون الرسم مرتباً ونظيفاً.

١٠- يجب تثبيت القسيمة المرفقة بهذا الإعلان أو صورة منها، على ظهر الرسم، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح.

١١- عند إرسال الرسوم يجب على مرسليها وضعها في ظروف أو مغلفات متينة تحميها من التلف أثناء نقلها بالبريد.

١٢- تصبح جميع الرسوم المشاركة في المسابقة ملكاً لأرامكو السعودية، سواءً أفازت أم لم تفز وتبقى هذه الرسوم في حيازة إدارة العلاقات العامة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسبما تراه مناسباً.

١٣- تشكّل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة، ويعد قرار هذه اللجنة نهائياً.

١٤- آخر موعد لتسلّم الرسوم هو يوم ١٤٢٠/١١/١٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٢/١٦م، ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب التأخير هو البريد، وذلك عن طريق ختم البريد على الظرف.

١٥- ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:

مسابقة رسوم الأطفال الحادية والعشرون
إدارة العلاقات العامة - الغرفة رقم ٢٢٦٤
مبنى الإدارة الشرقي، أرامكو السعودية، الظهران ٣١٣١١

الجوائز:

خصصت الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية:

خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات
خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ سنوات و ١١ سنة
خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى إدارة العلاقات على الهاتف رقم ٨٧٣٩٣٠٢ و ٨٧٣٩٩٩٤ مع تمنياتنا للجميع



شركة الزيت العربية السعودية
www.saudiaramco.com

يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورتيهما وتثبيت إحداهما على ظهر الرسم المشارك به وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم

مسابقة أرامكو السعودية الحادية والعشرون لرسوم الأطفال
اسم الطفل كاملاً: ....
تاريخ الميلاد: ....
الصف الدراسي: ....
اسم المدرسة: ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً
ص.ب: .... المدينة: .... الرمز البريدي: ....
الموقع: .... الشارع: ....
الهاتف: .... الفاكس: ....
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ....
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به: ....
التاريخ: ....

مسابقة أرامكو السعودية الحادية والعشرون لرسوم الأطفال
اسم الطفل كاملاً: ....
تاريخ الميلاد: ....
الصف الدراسي: ....
اسم المدرسة: ....
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً
ص.ب: .... المدينة: .... الرمز البريدي: ....
الموقع: .... الشارع: ....
الهاتف: .... الفاكس: ....
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ: ....
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به: ....
التاريخ: ....

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٦٣) المجلد (٦١) العام [٦٥] شوال/ذو القعدة ١٤٢٠ هـ - يناير / فبراير ٢٠٠٠ م

الاصدار السنوي الخاص

المجتمع.. الأسرة.. الطفولة

الواقع والتحديات

عيدٌ مبارك

مجموعة بن لادن السعودية

ومنسوبوها يتشرفون برفع أسمى آيات التهاني وأجمل
عبارات الأماني بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك إلى مقام

خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي
الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العامّ

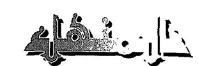
والى حكومتنا الرشيدة والى أبناء وطننا العزيز
سَائلين المولى عزّ وجلّ أن يعيده على
الجميع باليُمن والبركات

مجموعة بن لادن السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا.

سورة النساء (الآيه ١)



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية أسسها المغفور له
عبدالقدوس القاسم الأنصاري عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز
بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر جنيهان
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

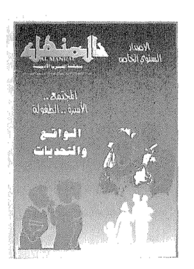
جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

اشارة

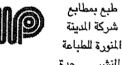
● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

عزيزي القارىء / عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد



طبع بمطابع
شركة المدينة
المنورة للطباعة
والنشر - جدة
تليفون : ٦٣٧٠٦٠٦
فاكس : ٦٣٠٤٦٧٦

فهرس العدد ٥٦٣ ـ المجلد: ٦١ ـ العام: ٦٥

ـ الهجرة من الريف الى الحضر أحدثت قدراً كبيراً من عدم التوازن البنائي.

د. نوري

ـ خطبة الجمعة واحدة من مكونات الذهنية الاسلامية في المجتمع إذا أحسن استخدامها.

ـ د. يوسف الكتاني

ـ الانفصام الخطير بين المدرسة والاسرة نتج عنه هذا الاداء الهزيل في المستوى التعليمي والتربوي.

ـ د. محمد عبده يماني

ـ كثير من المسلمين اليوم يعيشون بشخصيتين مزدوجتين هما سبب الانفصام بين الباطن والظاهر.

د. البوطي

ـ ثقافة الأبوين تغرس في الطفل المضامين الأولية للتحسين والتقبيح.

د. الشثري

ـ في ظل تراجع العملية التربوية للوالدين، يتعرض الطفل لمؤثرات خطيرة تصحبه طوال حياته.

د. البلاسي

ـ الفروق في الخلفية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأسر تفسر نسب التباين في المخرجات المدرسية بين الطلاب.

د. الثبيتي

ـ العلاقات بين الاقارب في كثير منها تحولت الى ما يعرف بالعلاقات الوظيفية.

د. مجد الدين

ـ الثقافة والعادات والأعراف لها دورها الفاعل في تشكيل أنموذج الزواج بين المجتمعات.

د. باقادر

.. فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

الطفولة والأمومة:

فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة ..

أبعاد وخطورة التمويل الأجنبي للجمعيات الأهلية

أ٠ سهيله زين العابدين

ـ التوازن في (التوبيخ) و (التعزيز) قيمة تربوية هامة ..

د٠ سهير زكريا فودة

ـ فهم الأسس النفسية للطفل يساعد كثيراً على ايجاد انتاج متميز للأطفال٠

د٠ عبد العزيز شرف

ـ القصة التربوية تقوم على البساطة في التناول وتكثيف عناصر التشويق٠

د٠ مصطفى رجب

ـ العناصر البصرية والسمعية المنتجة للحس الجمالي عن الطفل ينبغي ان تختار بعناية فائقة٠

د٠ الغوثاني

ـ التعبير الفنى تشكيل للتوازن النفسي عند الطفل٠

د٠ يوسف خليفة

ـ الطفل العدواني يفتقد الحس بالخطأ والصواب٠

د٠ زياد الحكيم

ـ كثير من الدراسات أثبتت ان الفهم عند الاطفال يسبق انتاج التعبير بالكلمة٠

د٠ شاكر

ـ الرضاعة الطبيعية هي صمام الامان للطفل٠

د٠ آمال فكري

ـ فقد الثقة يلجىء الصبى الى التعويض سلباً أو ايجاباً ٠

د٠ الفيومي

ـ الوالدان والأسرة، يشكلان الصياغة الأولى للطفل٠

د٠ ابراهيم خليفة

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- أستاذ علم الحديث والقانون بكلية الشريعة.
- رئيس شعبة القرآن والسنة والأصول - كلية الشريعة - جامعة القرويين.
- رئيس جمعية الامام البخاري.
- عضو المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب.
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية - مصر.
- عضو لجنة الاعجاز القرآني - مكة المكرمة.
- له مؤلفات في مجال الحديث والفكر الاسلامية والثقافة أهمها: «مدرسة الامام البخاري - جزآن ، أعلام السنن - جزآن ، رباعيات الإمام البخاري.



- دكتوراه في الاعلام قسم الصحافة.
- أستاذ مساعد الاعلام والصحافة جامعة الملك عبد العزيز.
- له العديد من المشاركات العلمية والقلمية في الصحف والمجلات.
- له العديد من المؤلفات منها:
  * العرب في الصحافة الامريكية.
  * التلفزيون التجاري في الولايات المتحدة.
  * الصحافة الادبية في المملكة العربية السعودية.
  * دراسات في الصحافة المتخصصة.

دكتور غازي زين عوض الله

- عمل في سلك التدريس بجامعة الملك سعود ثم ترقى الى درجة استاذ ثم عين مديراً لجامعة الملك عبد العزيز في ١٣٩٢/٨/٥هـ ثم عين وزيراً للاعلام، ثم عاد الآن يدرس في الجامعة.
- من المهتمين بالسيرة النبوية وقضية تبسيطها وتيسيرها لأولاد المسلمين . كما أنه من المهتمين بموضوع تصنيف الحديث النبوي بواسطة الحاسب الآلي، ومن اهتماماته الاساسية موضوع قضايا الاقليات المسلمة في العالم .
- عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي .
- له حوالي ٢٠ مؤلفا من أهمها: علموا أولادكم محبة آل بيت النبي {صلى الله عليه وسلم}، علموا أولادكم محبة الرسول {صلى الله عليه وسلم} أفريقيا لماذا، لا تضيعوا أفريقيا كما ضاعت الأندلس، المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية.

أ . د . محمد عبده يماني

- دكتوراة الفلسفة .. علم الاجتماع.
- رئيس قسم الاجتماع كلية الشريعة والعلوم الاجتماعية جامعة ام درمان الاسلامية.
- أستاذ مساعد قسم الاجتماع - جامعة الملك عبد العزيز/ جدة.
- له العديد من المشاركات العلمية.



- عضو هيئة التدريس بجامعة الازهر.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- خبير دولي بـ «منظمة الايسيسكو».
- شارك في العديد من المؤتمرات العربية.
- له جمهرة من المؤلفات.
- له مجموعة من المقالات والقصص في المجلات والصحف العربية.



د . محمد السيد علي بلاسي

- دكتوراة فى أصول الشريعة الإسلامية عام ١٩٦٥م جامعة الأزهر .
- رئيس قسم العقائد والأديان فى جامعة دمشق .
- اشترك فى كثير من المؤتمرات العالمية ، وهو عضو فى المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية فى عمان .
- له مايقارب أربعين مؤلفاً فى علوم الشريعة الإسلامية وآدابها والفلسفة والاجتماع ومشكلات الحضارة وغيرها، تُرجم بعضها الى الانجليزية والألمانية والفرنسية .

د . محمد سعيد رمضان البوطي

- تخرجت من كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض – قسم التاريخ.
- كاتبة بحوث ومقالات فى الاجتماع والأدب.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي بالهند، ورئيس المدارس النسوية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة .
- من أعمالها (مسيرة المرأة السعودية الى أين؟ – المرأة بين الافراط والتفريط – بناء الأسرة المسلمة – من عمق الروح وصلب الفكرة – دور المرأة المسلمة فى وضعنا الراهن .

سهيلة زين العابدين

- أستاذ مشارك المناهج وطرق التدريس، كلية البنات - جدة .
- خريجة جامعة تمبل بولاية بنسلفانيا، الولايات المتحدة الامريكية .
- أشرفت على العديد من دراسات الماجستير والدكتوراه .
- لها ابحاث علمية كثيرة .
- نشرت العديد من الابحاث والمقالات العلمية والتربوية فى المجلات والصحف العربية .

د . سهير زكريا فودة

- أستاذ مساعد - قسم الاجتماع - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض.
- وكيل قسم الاجتماع.
- له العديد من الدراسات والمشاركات العلمية.

د . عبدالعزيز بن حمود بن ابراهيم الشثري

- دكتوراه في علم الاجتماع، والاجتماع التربوي.
- رئيس قسم الخدمة الاجتماعية - جامعة أم القرى.
- عضو في عدد من الجمعيات العلمية في مجال علم الاجتماع.
- له العديد من الدراسات والبحوث في مجال علم الاجتماع.



أ . د . عبدالله عايض سالم الثبيتي

- استاذ علم الاجتماع - جامعة آل البيت ، الاردن ورئيس قسم الاجتماع.
- له العديد من المؤلفات منها:
- الاسرة والاقارب. - أزمة التنمية العربية.
- المكتبة وأساليب البحث (محرر ومشارك في التأليف).
- قدم حوالى ثلاثين دراسة وبحثا في مجال الاجتماع والتربية والتنمية.
- عضو عامل في مجموعة من اللجان العلمية والادارية.
- عضو عامل في مجموعة من الجمعيات العلمية.
- شارك في العديد من الندوات العلمية.

أ . د . مجد الدين عمر خيري خمش

- دكتوراة علم الاجتماع.
- أستاذ الاجتماع - كلية العلوم الاجتماعية جامعة الملك عبد العزيز/ جدة.
- له العديد من المشاركات العلمية في المجلات والصحف - وله العديد من المشاركات في الندوات والمحاضرات.
- له جمهرة من المؤلفات منها:

* علم اجتماع اللغة.
* الاسلام والعلوم الاجتماعية.
* العلماء والدولة الحديثة.



د . بكر احمد باقادر

- دكتوراة في فلسفة التربية.
- أستاذ التربية - بكلية التربية - سوهاج، مصر.
- له العديد من المشاركات العلمية.
- له العديد من الكتابات في المجلات العامة والمتخصصة.
- له العديد من المؤلفات والدواوين الشعرية.



أ . د . مصطفى رجب

- دكتور دولة في العلوم الفنية وعلم الجمال والنقد.
- عضو عامل في عدد من الجمعيات العلمية والفنية.
- له مجموعة من المخطوطات في الفن العربي والاسلامي.
- له العديد من الدراسات والابحاث التي تنشرها له الدوريات العربية المحكمة.
- شغل العديد من المواقع التربوية القيادية في وزارة التربية السورية.
- باحث متفرغ .. يقيم حاليا في مدينة جدة.



د . راتب مزيد الغوثاني

الإنســان خَلْقُ الله، جلَّت قــدرته، أنزله إلى الارض لـ (يستعمرها) - أي يعمرها - وهيَّأ له فيها فجاجاً وسبلا، لتفي متطلبات حياته وعيشه ما كان له أن يعيش فيها .. وسخر الله سبحانه، لهذا الانسان كل ما على سطح الارض وكل ما تحتها، بل، سخر له السماء من فوقه تمطر عليه خيراً وبركة، والنجوم ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والبحار والمحيطات والأنهار، والجبال والتلال والاودية والآكام. كلها مسخرة لهذا (الانسان) تمده باسباب الحياة الكريمة، الناعمة المرفهة، كل ذلك إذا ما أحسن الاستغلال، وأفاد من خيراتها بما ينبغي من أوجه الافادة.

إذن، كل هذا الكون، بكل ما فيه، مسخر، ممهد، ميسر، للانسان..

وهذا واحد من طرفي المعادلة.

أمـا الطرف الآخـر فـهـو المنهج، منهج (الاستعمار).. الله - جلَّت قدرته - لم يترك الانسان هملا، بل زوده بـ (العقل) المفكر، المدبر، المتبصر.. ووهب هذا العقل منهجية العيش السليم الداعية والموجبة لامثل أساليب الإعمار، ليعود النفع له (آنياً) ولمن بعده (مستقبلا..) ويعيش الانسان في أمن متكامل مع نفسه ومع من حوله، ما أحسن تطبيق المنهج الموضح لأسلوب التعامل الامثل لمعطيات هذا الكون.

ومع كل ما يجنيه الانسان من خير هذا الكون المسخَّر له، ما تبع المنهج الرباني، فانه (الانسان) ايضاً يكون عابداً لله سبحانه وتعالي خالقه وخالق هذا الكون **{وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العالمين}** (الزمر آية ٧٤)... هكذا، أورثنا الأرض، وسخرها لنا لنعمل فيها (باسم الله) وبمنهج الله، وحينئذ (نتبوأ من الجنَّة حيث نشاء).

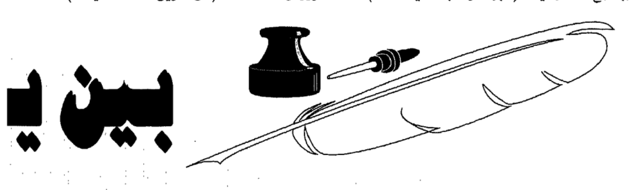
هذا الانسان، كرمه الله سبحانه. (ولقد كرَّمنا بنى آدم). **وهو نفخة الروح العليا**، وهذان (التكريم - والروح العليا) يقتضيان من الانسان أن يكون بمستوى منهجيتهما، أداء وعطاء وكسبا، يعلو ذلك كله الوهب وإنجاح المسعى ما صدقت النوايا.

المجتمع، (فرد، وفرد)، صاروا أناسيَّ وجماعة ومجتمعا، والمجتمع، يغدو بلدة، ومدينة ودولة، بل أمة.

وهذه الأمة بكثرتها، نتاج (أسرة)، والأسرة نتاج (زوجين).. وهكذا تقول مقتضيات التسلسل. ولكل منهجه في الأداء والعطاء، والكسب. والاسلام وضع للامة منهجها المسير لحياتها، المنظم لعطائها، المحدد لطبيعة تعاملها، بعضها مع بعض. إذا ما انتهجته حقاً وسارت عليه غدت خير امة أخرجت للناس، وبقدر حيدها عنه يكون ضلالها وخسرانها (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما).

الأمة الاسلامية: جاءت لتكون خير أمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ذلك لأن أفراد وجماعات هذه الامة (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) هذه هي منهجية هذه الأمة، وهذا واجبها في هذه الحياة الدنيا، وهذا قدرها.. أمة، وجماعة ذات حضارة، نورية، تقبس من نور الله تعالى و(يهدى الله لنوره من يشاء).

هذه الأمة، تكسرت على جنباتها كثير من سهام الاعداء، يبتغون إفسادها واضلالها، وعلى أقل تقدير اخضاعها لمنهجهم، منهج المستعمر الغالب، ومنذ بداية القرن العشرين وحتى يومنا هذا، تعمل دول (السطوة والجبروت) على تغيير منهجية هذه الأمة، مع تغيير الأساليب و(التكتيكات).. ومنهجيتهم اليوم أن يصبوا فوق رؤوس هذه الأمة (عن طريق الفضائيات) ما



استطاعوا من وابل الافساد والاضلال.

وما عليه الامة اليوم ليس كله بسبب الآتي من الخارج فحسب، بل بسبب كثير من الآتي من (داخلنا).. ضعف التعليم، ضعف التربية ومراقبة الأبناء، ضعف المجتمع بعامة في اداء واجباته، ضعف كثير من مؤسسات الامة الاجتماعية والتربوية والتعليمية والثقافية والاعلامية والفكرية..

ادواء وتشوهات.. التفت على خاصرة هذه الأمة.

وهذا العدد السنوي الخاص:

عندما يناقش موضوع (الأسرة.. والمجتمع) - وهما قوام هذه الأمة، التى ينبغي ان تكون لها (الخيرية) على الناس كافة، - هذا العدد عندما يتناول بالنقاش والدراسة والتحليل هذا الموضوع - إنما يتحدث عن اهم مرتكزين أساسيين لحياة متكاملة، نابضة بالحيوية الفاعلة والنشاط المتصل، والذهنية المتقدة، والعطاء المتفرد.

ذلك لأن الاسرة: هي النواة الأولى والخلية الحيَّة التى في كنفها ينمو الطفل، يناغي، يدندن، يحبو، يمشي على قدميه.

الاسرة تكفله وتصوغه، بالحكاية، بالمثل، بقصة البطولة، بترنيمة السلوك السوي، ينشأ سوياً مُعَافَى - يشب عن الطوق وهو يحمل بين جنبيه نظام حياة وميراث أمة.

وتأتي المدرسة والجامعة لتصقله، وتجدد ذهنيته، وتفجر طاقاته وقدراته.. وتعده لتحمل مسئوليته في مجتمع عريض هو في حاجة لمعرفته وخبرته..

والمجتمع: لا شك له صياغاته، ومحاور أدبياته منها الموجب ومنها السالب.

إذن: هذا العدد يغوص في قلب الحياة، يقلبها من كل جوانبها، خيرها وشرها، جميلها وقبيحها، موجبها وسالبها.

كل ذلك ليخرج بنظرة تقيمية لمناهج حياة سلفت، وأخرى معاشه الآن، وثالثة مستقبلية، نبتغي منها ان تكون اكثر ايجابية..

للحياة مشارب شتى، وأنحاء واسعة، وكل واحد منا في هذه الحياة - الى حد كبير جدا - **هو صياغة أسرته ومجتمعه**، وتبقى تطلعاته مرهونة بمواريث ثقافية سبق اختزانها، أو مستجدات قد تغير في المورث، بالاضافة أو التعديل، أو الزيادة أو النقصان، أو قد تكون بالشطب الكامل للموروث، والثوابت، وإحلال بديل عنها.

أجيال هذا القرن، دارت حياتهم في فلك اجتماعي عريض، بدءاً من حكايات الجدات، وانتهاءاً بحكايات الفضائيات والمقهى الالكتروني، والانترنيت... وما يَجِدُّ..!

هذا العدد الخاص: قراءة متأنية موثقة لحياة مجتمع هذا القرن، فى لهوه ولعبه، في جده وصرامته، في فرحه وترحه. في أغانى الزرع والحصاد والنفره، في اغاني الفتوَّة ونماذج البطولة، في ريشة الفنان ولوحة المبدع، وحرف الشاعر وحكاية القاص.

قراءة متأنية، في ايجابياته وسلبياته، في أخلاقه وسلوكه، في قوته وضعفه.

قراءة تضع بين يدي المختصين والمسئولين نتائج ونماذج يمكن النظر فيها، برؤية جديدة ومنهجية جديدة..

هذا العدد السنوي الخاص : أسطر من الحياة ، وفي الحياة وللحياة.



علاج المشكلات النفسية للمجتمع المسلم

ثلاث أشياء تعد بحق موضوع هذا البحث ومداره:

أولها: حقيقة الانسان.

ثانيها: المعنى أو الشيء الذي يتوجه اليه الاسلام من الانسان.

ثالثها: الاثر التربوي الذي ينبغي أن يحققه الاسلام في كيان الانسان.

إذن، فلنبدأ حديثنا ببيان موجز جدا لهذه الأشياء.

١ ـ ما الانسان؟:

إن الانسان كيان ثلاثي التركيب. اذ هو مؤلف من:

أولا: الهيكل الجسدي الذي يروح ويغدو به.

ثانيا: جملة الغرائز الحيوانية التي تعدّ قاسما مشتركا بينه وبين سائر الحيوانات الاخرى.

ثالثا: الروح: هذا السر الذي يشرق على الدماغ فيكون وعيا وعقلا، وينعكس على القلب فيكون وجدانا، وينتشر في اجزاء البدن وخلاياه فيكون حياة وشعورا.

وهذه الروح التي يتمتع بها الانسان، ليست كما قد يتصور بعض الباحثين، مجرد شرط للحياة كشأنها في سائر الحيوانات الاخرى، بل هي في الانسان تنطوي على سر آخر يمتاز به عن سائر اصناف الحيوانات، ولا ادل على ذلك من قول الله عز وجل: {**فإذا سَوَّيتُه ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين**}، فقد نسب الله جل جلاله الروح الإنسانية إلى ذاته العلية، من دون أرواح سائر الحيوانات الاخرى. وهي نسبة تدل على حقيقتين اثنتين:

أولاهما: قدسية هذا السر وسمو منزلته عند الله عز وجل، بما قد اودع فيه من خصائص ومزايا.

الثانية: احتجاب كفة هذا السر عن العقول كلها، واستئثار الله عز وجل بعلم حقيقته، فلا مطمع لعلم عالم، من دونه، مهما بلغ واتسع، أن يدرك حقيقته، ويتبين مجراه من كيان الانسان.

وعلى هذا، فقد صح لنا أن نقرر بأن الانسان كيان مؤلف من هيكل جسدي، وقوى عقلية، وعواطف وجدانية، ودوافع غريزية.

٢ ـ لمن يتوجه الاسلام؟:

فإذا عرفنا الانسان من حيث هو كيان مؤلف من هذه الاركان، فإن من المهم أن نعلم أن الاسلام انما هو ذلك النور الهادي الذي وجهه الله عز وجل بالرعاية والارشاد لهذه الاركان الثلاثة في عمق الكيان الانساني. أي فلا يكون الانسان مسلما لله حقا، إلا اذا أسلم له عقله إيمانا وتصديقا، واصطبغت به عواطفه حبا ومهابة وتعظيما، واستسلم له أعضاؤه وغرائزه سلوكا وتطبيقا.

بقلم: أ.د. محمد سعيد رمضان البوطى ـ سوريا



وهذا هو المعنى الدقيق المراد بقوله عز وجل {**قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين**} (الأنعام/ ١٦٣) وهو بعض مما يدل عليه قوله تعالى: {**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور**}.

٣ـ الثمرة التربوية للاسلام في كيان الانسان:

فإذا اصطبغ الكيان الانساني كله بالاسلام، على النحو الذي اوضحناه، تحقق له من ذلك أثر تربوي في داخله. ويتلخص هذا الاثر في تآلف العقل مع كل من الغريزة والوجدان، وفي انسجام هذه الجوانب الثلاثة من الكيان الانساني في الاتجاه الى هدف مشترك والسير على صراط واحد. وبوسعنا أن نعلم، لدى تأمل يسير، إن هذا قصارى ما تهدف اليه فنون التربية ومناهجها في حياة الانسان، اذ كل ما تهدف اليه، على اختلاف مذاهبها ومناهجها، هو اخضاع الوجدان والسلوك، لمقتضيات المعرفة الانسانية الصحيحة.

غير أن من الثابت يقينا، إنه ما من وسيلة تربوية، تملك أن تحقق هذا الهدف التربوي الاقدس في حياة الانسان غير الاسلام. فلقد بذل علماء التربية قديما وحديثا جهودا شاقة ومتنوعة ابتغاء تطويع كل من العاطفة والغريزة الانسانية، لما يقتضيه قرار العقل الانساني، دون أن تثمر جهودهم أي ثمرة ايجابية على هذا السبيل. وذلك لاسباب وعوائق كثيرة، لا مجال للتعريف بها والحديث عنها في هذا المجال.



إلا أن هذا الذى عجزت السبل التربوية المتنوعة عن بلوغه وتحقيقه، حققه الاسلام في كيان اصحابه، من أيسر سبيل ودون أي عائق. وإن لنا في تراجم ذلك الرعيل الاول، صحابة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وتابعيهم، لاكبر شاهد وأوضح دليل على ما نقول، على أن هذا الشاهد يمتد واضحا مستمراً في حياة كل من جاء من بعدهم، فاعتنق الاسلام بجد واخلاص. وان نظرة سريعة منا الى الحالة النفسية والسلوكية لذلك الرعيل الاول، في شطر حياتهم الجاهلية الاول مع مقارنتها بالحالة النفسية والسلوكية ذاتها في شطر حياتهم الاسلامية الثاني، لتنطق نطقا بينا بهذا الحق الذي نقول. بل اننا لنجد البرهان ذاته لدى المقارنة بين حياة اي من هؤلاء

الغربيين الذين يهرعون سراعا الى اعتناق الاسلام قبل وبعد عهد هذه الهداية الربانية في حياة كل منهم الشخصية.

أساس المشكلات النفسية كلها:

من خلال هذه المقدمة الوجيزة، يمكننا أن نتبين مصدر المشكلات النفسية المتنوعة التى تطفو على سطح مجتمعنا الاسلامي، ومن ثم فإن المهم هو أن نقف على المصدر ونتأكد منه، لا أن نلاحق النتائج المتفرعة عنه.

أساس المشكلة - على ضوء ما أوضحناه - أن جل المسلمين إنما سرى الاسلام، في احسن الاحوال، الى كياناتهم الفكرية، ثم وقف عندها ولم يتجاوزها الى مكمن العواطف والوجدان من انفسهم، أي فالاسلام عقيدة قابعة في مستقر الوعي والادراك من اذهان اكثر الناس وعقولهم. **اما ساحة الوجدان من نفوسهم حيث تجيش العواطف الدافعة والرادعة والمجدة فبعيدة عن سلطان الاسلام وهديه، واقعة في جاذبية الشهوات والاهواء الغريزية المختلفة.!**

وهكذا، فإن الاسلام في حياة هؤلاء الناس، إنما يتصل بقناعاتهم الفكرية فقط، على احسن الاحوال كما قلنا، وتظل الجوانب الاخرى في انفسهم بعيدة وطليقة عنه، بل متشاكسة معه.

وقد علمنا، مما قرره علماء النفس قديما وحديثا، أن دوافع السلوك في حياة الانسان انما يتمثل معظمها في عواطف الرغبة والرهبة، اما قرار العقل والفكر فلا يمثل من هذه الدوافع اكثر من ٣٠٪ ولو كانت قيادة السلوك الانساني بيد القرار العقلى وحده، لتلاقى الناس جميعا على صراط الهداية والرشد، لأن العقل الانساني لا يتيه عن الحقائق الجلية الكبرى وإن اجتهد في فروعها ومستلزماتها الفرعية الصغرى. ولكن الاهواء والرغائب النفسية، هى التى تستقل بالدوافع السلوكية للناس، مهما لاحقهم العقل بنداء النصح والتنبيه والتحذير.

وعندما يتقلص سلطان الاسلام عن ساحة العواطف والوجدان في كيان الانسان، ثم ينكمش متقوقعا على ذاته في سجن الدراية العقلية وحدها، تبرز من جراء ذلك حالة من الازدواج المتشاكس في كيان هذا الانسان، فيغدو مسلما بعقله وفكره، طليقا بعيدا عن الاسلام بعواطفه ووجدانه، ومن ثم بغرائزه ايضا، وانما يكون زمام السلوك، كما قلنا، بيد العواطف المسلحة بسلاح الغرائز والأهواء، لا بيد الفكر الضعيف الاعزل الا من حجة الاخبار والبيان.

ومن هذا المصدر الوحيد تتفرع سائر المشكلات النفسية المتنوعة، التى قد يعاني منها الفرد المسلم اليوم، والتى تنعكس بمظاهرها المؤلة الخطيرة على صعيد المجتمع الاسلامي كله.

أهم المشكلات الفرعية وأبرز آثارها النفسية:

وعلى الرغم من أنه لا يعنينا في هذا البحث أن نقف عند تحليل هذه المشكلة الفرعية والاسهاب في بيان آثارها ونتائجها، فإنه لابد من تعداد لأهمها، وتعريف موجز بكل منها، حتى إذا أوضحنا ذلك

**** الإنسان نسيج متلاحق من جسد وروح، وعقل ووجدان وغرائز**



بالقدر الذى لابد منه، انتقلنا الى الحديث بشيء من التفصيل في علاج ذلك وهذه هي اهم هذه المشكلات:

أولا: العصبية للذّات والانتصار للنفس:

ومردّ هذه العصبية الى طبيعة الانانية، الكامنة في كيان الانسان، وهى من أخطر الآفات النفسية التى أوجب الاسلام على الانسان معالجتها والجهاد الدائب للتحرر منها٠

وهذه الانانية قد تتمثل في **(النزعة الفردية)** عند بعض الناس، وهم الذين تهيأت لهم ظروف تقديس اشخاصهم اكثر من ظروف الانخراط مع أقوام أو فئات، أو الانتصار لرأي أو مذهب، وقد تتمثل في **(النزعة الجماعية)** عند آخرين، وهم الذين شغلوا عن فرديتهم بالانتصار للذات من خلال الانتماء الى مذهب، أو الانضمام الى قوم أو هيئة أو جماعة٠

إن كلا هاتين النزعتين تعبير ـ بلا ريب ـ عن كبرياء النفس وأنانيتها، ولكنها تسعى الى تغذية نزعتها هذه عن طريق احد هذين المسلكين، حسب الظروف المحيطة والوسائل الممكنة، غير أن العصبية الناجمة عن (النزعة الفردية) أنانية مكشوفة واستكبار معلن٠ ومن ثم فإن الشأن في صاحبها أن يلقى في طريقه الى ممارستها عنتا وعقبات كثيرة وهو الأمر الذى ينبه المجتمع الى التوخى منه والحذر منه ومن أمثاله، فلا جرم أن خطره الاجتماعي أقل، وأن جل آثاره الضارة إنما تعود الى صاحبه٠

أما العصبية الناجمة عن (النزعة الجماعية) فاستكبار خفيّ، لا يتحرك الا تحت قناع الانتصار للحق والدعوة الى ما يقضى به المنطق والعقل، ومن ثم فإن صاحب هذه النزعة يلقى للتغلغل في المجتمع والتأثير عليه طريقا، بل طرقا، أرحب، ولا يعدم أن يجد أو ـ يجمع من حوله جندا من الانصار والمؤيدين، حيث ينصهر الكل من بعد، فى بوتقة هذه الانانية الجماعية التي تدعو الى الحق ظاهرا وتنتصر من خلال ذلك للذات وللنفس باطنا، فلا ريب أن خطر هذه النزعة الثانية أعمق في النفس وأكثر انتشارا في المجتمع وتأثيرا عليه٠

ومن أسوأ آثارها، سحق مشاعر الود والتآلف بين قلوب الافراد والجماعات، واشاعة عوامل الحقد والبغضاء فيما بينهم، وتحويل الامة والمجتمع الى فئات متناحرة متصارعة، اذ يزعم كل منها أنه وحده المتمسك من دون الاخرين، باهداب الحق، ذلك لأن كلا منهم انما يعتمد في الاستدلال على ما يرى انه الحق بما توحي اليه به نفسه، ويتفق مع منهج عصبته وعصبيته، لا بما ينطق به العقل السليم ويقرره البرهان العلمى الصحيح في تجرد وصفاء٠

واذا تأملنا في ظاهرة انقسام المسلمين اليوم الى فئات وجماعات، متدابرة متباغضة، وبحثنا عن العوامل الكامنة وراءها ، علمنا انها تتلخص في عامل العصبية هذه٠٠ هذا العامل المهلك الذى يتبدد معه رشد العقل ويهتج من ورائه رعونات النفس وأهوائها، اذ تستبدّ (الانانية الجماعية) بنواصي الحقائق العلمية والدينية والقضايا المصيرية٠

وإلا، فما الذى يجعل إخوة من المسلمين، يتهارجون في قلب مسجدهم الواحد، ثم يتقاتلون ولا

**** الكيان الانساني في أنسجته تلك إذا اصطبغ بالإسلام غدا له من داخله نور يهديه إلى السواء٠**

** كثير من المسلمين اليوم يعيشون بشخصيتين مزدوجتين هما سبب الانفصام بين باطنه وظاهره

مقاتلة العدو للعدو؟.. ما الذي يحميهم على أن يخرجوا من حصن المبادىء الكلية المشتركة التي بوسعها أن تؤلف فيما بينهم، ليشردوا وينتشروا في بيداء الخلافات الاجتهادية الفرعية ومنعرجاتها، ابتغاء أن يجعل كل من رأيه وحده الحق الذي لا يتسلل الباطل اليه، ومن رأي خصمه الباطل الذي لا يمكن للحق أن يدنو الى طرف من أطرافه؟ ما الذي يحمل الواحد من هؤلاء على أن يتحول من التقدير للفكرة والمبدأ الى تقديس للشخص والكيان، بحيث يغدو واقع الشخص الذي يقدسه هو مقياس الحق الذي يؤمن به، بدلا مما ينبغي أن يكون الامر عليه، من اتخاذ الحق وحده مقياسا لتقويم الجماعات والاشخاص؟..

ثانيا: فقد الاستقرار النفسي والفكري:

وهذه المشكلة تنشأ بدورها عن عوامل اجتماعية يطول ذكرها، من شأنها - اذا بقيت لفترة طويلة - أن تزج افراد ذلك المجتمع في ألوان من القلق النفسي والاضطراب الفكري والشعوري وأيا كانت هذه العوامل، فمن الطبيعي أن تثور في حياة الامم والشعوب في ظروف معينة، وأن تترك في النفوس آثارا من الاضطراب والقلق، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون أمرا عرضيا عابرا، ولا سيما عندما تمر تلك الأمم أو الشعوب في منعطف حضاري كالذي نمر نحن فيه اليوم.

غير أن البلاء العظيم، الذى نعاني منه، إنما يتمثل في طول الفترة الزمنية التي استغرقها مرورنا في هذا المنعطف حتى لقد كدنا أن نعدّ أنفسنا سجناء فيه. وانها لفترة طويلة حقا.. بدأت منذ أواخر عصر الخلافة العثمانية الى يومنا هذا.. عمر طويل من الدهر، ونحن مبعثرون خلاله في سجن هذا المنعطف.. تقطعت بنا السبل عن الماضي، فما نملك اليوم شيئا من ذخره أو مقوماته، اللهم الا الوصف والذكرى بعد فخر الانتماء والانتساب.. وتخلفت بنا العثرات فيه عن المستقبل، فما يربطنا به الا الاحلام والأماني.

ولم يكن التصاقنا بهذا المنعطف أمرا عائدا - في الجملة - الى اختيارنا، بل تضافرت عليه عوامل مختلفة أفقدتنا القدرة على التحكم بأمرنا:

(١) هرمت الخلافة العثمانية وأصابها الوهن وتسلل اليها الفساد، بمقدار ما كان لها الحظ الوافر من قبل، في القوة والصلاح، ثم انتثرت حطاما بفعل العواصف الطورانية التى اهتاجت من داخلها والخطط الصهيونية التي احاطت بها كخيوط العناكب من خارجها[١].

(٢) نهضت الدول الاوروبية نهضتها، ودخلت عصر النجار الذى يشبه اليوم عصر الفضاء وركبت متن الدراية والصناعة والعلم، فانبهرت ابصارنا لمرأى هذه النهضة، وكان من اهم اسباب ذلك انحسار اسباب القوة من حياتنا واشتغالنا بحال (الرجل المريض) دفاعا عنه أو تعجلا بموته.. ثم انتثار عقد وحدتنا بين أيدى الناهبين والمقتسمين.

(٣) كان من آثار هذا الانبهار، ذلك السعى التقليدى الاعمى وراء الغرب، أملا في نهضة كنهضتها، واخذنا نضع الاسلام في قفص الاتهام



ذاته الذى وضعت أوربا فيه دينها.

ولقد استغلت بريطانيا واقع هذا الانبهار آنذاك، فحاولت - وقد نجحت في محاولتها - أن تضع لهذا الانبهار فلسفة غرستها في اغوار نفوس كثير من افراد هذه الأمة آنذاك.. إذ أوهمتهم أن أية نهضة اسلامية كالتى نهضتها اوروبا، لا تتم الا من وراء ثورة اصلاحية في نطاق الايديولوجيات العامة والعقائد الدينية، مهما اختلفت مضامين هذه الاديان بعضها عن بعض.. وسرعان ما خدع بهذا الكلام كثير من الباحثين والمفكرين، فوضعوا لبلادهم برامج اصلاحات دينية اسلامية، كالتى وضعها اقطاب النهضة الاوروبية والثورة الفرنسية، دون أي رجوع الى فوارق المضمون والظروف، ودون أي تحكيم لموازين العلم والبحث.

وهكذا، فإن هذه العوامل التى اشير اليها هنا باختصار، زجت بنا في هذا المنعطف الذى حبسنا في داخله، والذى لا نزال نتعثر فيه الى يومنا هذا.

فلا نحن ابقينا صلاتنا المنسجمة مع الماضى، تحت سلطان السنن الكونية للتطوير، في ميزان المنطق والعلم، ولا نحن حققنا شيئا من امنيات اللحاق بنهضة كالتى نهضتها أوروبا.. **بل بقينا، كما قلت، نتحرك في اضطراب داخل هذا المنعطف المملّ الثقيل.**

وقد كان لابد - والحالة هذه - أن تطرح افكار وشعارات متناقضة متصارعة، بعضها يتنكر للماضى كله، لمجرد انه ماض وقديم.. وبعضها يذهب الى النقيض من ذلك فيحارب كل جديد لمجرد أنه عنوان تناقض مع القديم، وآخرون ينادون، في تردد وتدبر، بتحكيم نبراس الاسلام ومنهاجه في الأمر. وذلك بقبول كل ما يرى أنه حق وخير مهما كان وافدا وحديثا، ورفض كل ما يرى أنه فاسد وباطل، مهما كان اصيلا وقديما.

فهؤلاء وأولئك والآخرون، لا يزالون يتصارعون.. يتصارعون في جو نفسانى هائج، لا يكاد يسمح للعقل أن يهيمن، ولا للفكر أن يصفو ويقرر. وانما الذى يهيمن فيه النفس وحظوظها والاهواء وأهدافها، حيث يضيع في غمار ذلك صوت العقل والمنطق مهما استبان أو ارتفع.

وبوسعنا أن نلاحظ انعكاس هذا الصراع على مناهج التربية والتعليم، وانتشار أصدائه الى اجهزة الاعلام ومنابر التبليغ والارشاد، فيسرى أوار هذا الصراع في هذه الاقنية كلها، ليصل بشكل اعظم عتوا وأكثر تشنجا الى الجيل الناشيء الجديد.

في هذا المناخ الذي وصفت، لابد أن يتبدد الاشراق الفكرى ويزول الاستقرار النفسي، ويحل محله القلق والاضطراب.. وباستمرارها يسود الاضطراب وينتشر في ارجاء المجتمع وانحائه، وهل الأمة أو المجتمع الا الفرد المتكرر؟.

ثالثا: مشكلة انجذاب الشخصية المسلمة الى فلك الحضارة الغربية:

وهي من اخطر المشكلات النفسية التي يرزح تحتها المجتمع الاسلامي اليوم.. وما من ريب في أن الأمة الاسلامية - في مجموعها -

**** السير الموصل إلى تزكية النفس هو المعني بالجهاد**

**** هيهات أن يملك العقل وحده قيادة السلوك في حياة الانسان**

تقع اليوم، بكل موازينها الفكرية ومشاعرها الوجدانية، في منطقة الجاذبية الغربية، فهي مهما تحركت لا تتقلب الا ضمن سلطان التأثر بها والدوران حولها والانعطاف اليها.

وقد يخيل لاحدنا أن كثيرا منا يناقش الافكار والقيم الوافدة، بكامل التحرر ومنتهى التجرد. غير أن مورد التفكير والتمييز في نفوس هؤلاء المناقشين عامة، مطبوع بقناعة عميقة خفية، بأن لا سبيل للتعامل مع الكون والحياة اليوم إلا طبقا لموازين الحضارة الغربية، ذلك لأن هذه الحضارة فرضت نفسها - على حد تصورهم، وتصريحهم في كثير من الاحيان - على حركة الحياة الاجتماعية بكل انواعها واتجاهاتها.

ولذا فإن كلا من (الممكن) و(غير الممكن) في منطقهم الفكرى والجدلى، إنما يستلهم حقيقته ومقياسه من مقتضيات تلك الحضارة وقراراتها.

ولا نشك أن ثمة اصواتا ترتفع هنا وهناك، يقف اصحابها خارج منطقة النفوذ، أو على حافتها، غير أن هذه الاصوات لم تبلغ الى الآن أن تشكل تيارا يتمتع بأية جاذبية متكافئة.

ومن أبرز ما أفرزته هذه المشكلة النفسية الخطيرة، اننا لم نعد نملك (على الصعيد العملي) أية قاعدة حضارية ثابتة ننطلق منها لمناقشة المبادىء والثقافات والقيم. أي فنحن لا نملك اليوم ذاتية نابعة من كياننا وتاريخ وجودنا، نستلهم منها أية قواعد فكرية أو ثقافية متميزة، تحدد معالم وجود حضارى مستقل لنا وتمتعنا بذاتية ننطلق منها الى البحث والنقاش.

> تحقيق الارادة المتجهة الى الخير، والخلاص الدعاء المتجه الى الله عزّ وجل بالضراعة والذل، يتم توفيق الله للمسلم

فأصولنا الثقافية التى كانت مصدر حضارتنا العظمى ملقاة اليوم على رفوف الاهمال، بل مرمية في زوايا النسيان.. وانما يتم الاعتماد اليوم على اصول ثقافية اخرى اقتطعناها، كما هي، من الغرب، بكل ما تحمله من تسويقات للنزعة المادية التي تؤله الطبيعة، وتجعل الانسان سيد نفسه والمالك لمصيره.

إن **فنون التربية وعلم النفس والاجتماع والفلسفة والاخلاق، التى تدرس في مدارسنا وجامعاتنا ليس كل منها الا مجموعة نظريات وتصورات وضعت تعبيرا عن النظرة الغربية الى الوجود**، ودعما لبناء المجتمع الذى ارتضاه لنفسه الغرب. ولا شك انها تتناقض، بشكل حاد، كليا أو جزئيا مع مبادئنا ومسلماتنا الاسلامية الراسخة التى كانت الى الامس القريب مصدر ثقافتنا وسياج حضارتنا.

والغريب اننا ننظر، فنجد أن هذه الفنون الثقافية من تربية واجتماع وفلسفة وعلم نفس، انما تصاغ في كل مجتمع من المجتمعات تعبيرا عما ارتضاه لنفسه من اصول فكرية وقيم حضارية الا في مجتمعنا العربي المسلم، فإنها لا تدرس عندنا الا من وجهة الاخرين وتعبيرا عما ارتضوه هم لانفسهم.. فهى في الوقت الذى تكون مرآة صقيلة يطالع كل مجتمع من المجتمعات عليها ذاته، لا تكون في مجتمعاتنا الا مرآة نطالع من خلالها وجوه الآخرين.. ومن ثم فإن دراستنا لهذه الفنون الثقافية لا تعنى اكثر من اننا نفكر بعقول غيرنا،



ونخزن في ادمغتنا المفرزات والنتائج التي لا جذور لها في حياتنا الراهنة ولا تاريخنا الغابر. ثم نندفع في محاولة ملحة الى أن نبنى - مع ذلك - صرح وجودنا الحضارى عليها[٢].

ولا تقف المشكلة عند هذا الحد، بل انها لتشتد من خلال الواقع النفسي الذى يعانى منه كثير من ارباب الفكر والنظر في حياتنا الاجتماعية الى درجة لا يبالي أن يطرح معها أرباب تلك النفوس الحل الوحيد في نظرهم لمشكلة الصراع بين الاسلام والحضارة الغربية، والحل الوحيد الذى يتقدمون به انما يتمثل في (قراءة جديدة للقرآن الكريم، يتم فيها تجاوز قيود التفسير اللغوي، بحيث يتوصل من وراء هذه القراءة الجديدة الى صيغة يتم فيها التوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية)[٣].

واوضح أن التفسير الوحيد لهذا الحل انما هو الدعوة الى زج الاسلام هو الآخر - بكل اصوله ومصادره واحكامه - في تلك الجاذبية الغربية، بحيث يتحول من عقبة تقف في وجه عشاق الحضارة الغربية الى مجرد ذيل لها، بل اداة من ادواتها، وبذلك يغدو الطريق معبدا وعريضا الى التعامل مع الكون والانسان والحياة على الطريقة الغربية، ويصبح الاسلام عندئذ مجرد مصباح على هذا الطريق، وينتهى العهد الذى كان فيه للحضارة الاسلامية، وجود مستقل، بل متفوق فوق هذه الأرض، وتغدو اثرا بعد عين أو تنطوى على نفسها لتتحول الى صفحة مستهلكة في مجلد الحضارة الغربية.

فهذه هى أهم المشكلات النفسية المتفرعة عن تلك المشكلة الاساسية الكبرى التى المحنا اليها، في صدر هذا البحث.. واليها وحدها مرّد حلّ المشكلات الاجتماعية وكثير من المشكلات الفكرية التي يقوم ويقعد بالحديث عنها والبحث عن علاجها كثير من الكتاب والباحثين اليوم.

علاج هذه المشكلات:

أولا: العلاج الكلى للمشكلة الكلية:

إذا كانت هذه المشكلات الثلاثة فروعا - كما اوضحنا - لمشكلة اساسية كبرى، فلا ريب أن علاج هذه المشكلات الفرعية، لابد أن يكون هو الآخر فرعا عن علاج اساسى، اليها مرد حل تلك المشكلة الكبرى، ولقد اوضحنا أن جذور هذه المشكلات النفسية كلها، انما تكمن في أن الاسلام لا يحظى من كيان الانسان اليوم الا بجزء منه فقط. وهذا الجزء، في احسن الاحوال، انما هو الفكر وحده أما وجدانه المتمثل في العواطف الدافعة والرادعة والممجدة، فمشغول ومحجوب عنه بشواغل وملهيات شتى.. **اذن يصدق القول بأن كثيرا ممن يعتنقون الاسلام اليوم، يتمتع كل منهم بشخصيتين مزدوجتين، وانما هو مسلم باحداهما فقط، وهى الشخصية الفكرية.**

وفي اعتقادي أنا اذا تفهمنا أن هذه هى المشكلة الكبرى، امكننا أن نقع على علاجها وأن نحدده في سهولة ويسر.. فما هو العلاج؟.

إنه، بأبسط عبارة واضحة: بذل الوسائل الممكنة، لاخضاع الكيان الانسانى كله للاسلام بحيث يتفهمه العقل، ويتعلق به الوجدان، ويخف الى الاستجابة له البدن والاعضاء، ولا اظن أن هذا العلاج يجهله أحد ممن وعى المشكلة التى المحنا اليها. ومن ثم فإن حلها لا يكمن في مجرد الاشارة الى حيث يوجد العلاج.. وإنما يكمن في ايجاد الرغبة الصادقة - قبل كل شيء - في استعماله.

ومن المعلوم أن هذا هو الشرط الاول لبلوغ اي هدف من الاهداف، فإن روح العمل اي عمل، انما تتمثل في الرغبة الصادقة في النهوض به، وبدون هذه الرغبة لا يعدو العمل أن يكون أمنية من الاماني، أو حديثا يجتره اللسان.

اذن .. فمن لك بايجاد الرغبة في استعمال علاج هذه المشكلة؟.. وكيف السبيل الى غرسها في النفوس؟.

ان صح ما يقوله العلماء من أن الرغبة في شيء ما نتيجة طبيعية للرهبة من شيء آخر، فإن الرغبة فى استعمال هذا العلاج انما تنمو في نفوس من ارهبهم ذكر الموت والبلى واقلقهم نبأ الاحداث التى ستتوالى من بعد ذلك، بكل يقين، طال الزمن اليها أم قصر.

فمن ذا الذى أيقن واقع عبوديته لله عز وجل، ثم تصور منهاج الرحلة الانسانية في هذه الحياة الى الله عز وجل، ثم تصور قدوم ذلك اليوم الذى يصدر فيه الناس اشتاتا ليروا اعمالهم إذ تأكل الندامة قلب كل منهم، ويتلهف قائلا: (يا ليتنى قدمت لحياتى)، (رب ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت)، أقول: فمن ذا الذى وعى هذا كله بعقله ويقينه، ثم يغره بعد ذلك بريق هذا السراب، وتأسره خادعات الليالي والأيام، فضلا عن أن لا تثور لديه الرغبة الكافية في أن يستعمل أي علاج لتحرير النفس من غوائل هذا السراب، ثم لاخضاعها لسلطان الله وأمره؟.

إذن فاليقين الجازم باليوم الآخر، والاصغاء بصدق وصفاء نفس الى النداء الموجه من رب العالمين الى الانسان: {يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه}، هو المفتاح الأول للدخول الى حل هذه المشكلة، ومد رواق الاسلام وسلطانه الى الكيان الانساني كله.

فإن لم يستيقظ هذا اليقين في طوايا الفكر والعقل، لم تتحقق الرهبة التى لا يمكن أن تنبثق الرغبة في حل المشكلة الا منها. ومن ثم فإن معالجة هذا الموضوع مهما نال اهتماما واتخذ أبعادا، لا يعدو أن يكون حديثا يضاف الى سلسلة الاحاديث التى تملأ بها الاذان، أو كتابا يضاف الى أوقار المجلدات التى لم تستطع أن تغير واقعا ولا أن توقظ سادرا أو ترد شاردا.

ولا حيلة، في هذا المقام، لايجاد هذه الرغبة فعلا في نفوس اولئك الذين لا يبتغون من الاسلام لانفسهم اكثر من زاد ثقافى يتمتعون به، ولا يريدون من انفسهم للاسلام اكثر من انتماء فخرى، أو تراثي، اليه، سوى أن اتوجه الى كل منهم بهذه الكلمات:

تذكر يا أخى المسلم هويتك في هذه الحياة، ثم الوظيفة التى وكلت اليك للقيام بها، **أما الهوية فتقول: انك عبد مملوك لله عز وجل، بيده جميع تقلباتك، واليه وحده مصيرك.. هوية وُقِّعَ عليها قول الله عز وجل: {إن صلاتى ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}.**

واما الوظيفة التى خلقت من اجلها، فهى أن تمارس عبوديتك لله بالسلوك الاختياري، كما قد جُبلت عليها بالواقع الاضطراري، وعبوديتك الاضطرارية هذه حقيقة ثابتة لا مرد لها، ولا معنى لتجاهلها أو انكارها. إن لم يقر بذلك عقلك استكبارا، أيقن واعترف به واقع كل ذرة من كيانك ضعفا وهوانا.. ولا ريب انك تملك اليوم - بما وهبك الله من حرية الاختيار - أن تعرض عن هذا الحق



وتتناســاه، مــا طاب لك ذلك، ولكنك لن تملك غـدا، عندما تتمدد على فراش الموت، ويكشف الحجاب عن بصرك الثاقب الحديد آنذاك، لترى الحقائق كلها بأم عينيك، سوى أن تغمس كيانك كله في ذل العبودية والصـغـار لمولاك عز وجل. غـير انك اعجـز في تلك الساعة عن أن تضع عبوديتك هذه موضع التنفيذ. وصدق الله القائل {**يوم يُكْشَفُ عن ساق ويُدْعَوْنَ إلى السُّجُود فلا يستطيعون**}.

وإنما تملك حينئذ شيئا واحدا فقط، هو الندامة والاسى، في ساعـة رهيـبـة ولّى منهــا مــعنى الزمن الذى كنت تملك أن تتحـرك فيه وأن تجعل منه وعاء للسلوك الذى تريد.

نعود بعد هذا فنقـول: إذا تحققت الرغبـة لدى المسلم في أن يمتـد سلطان الاسـلام على كيانه كله، واتجـهت منه العزيمة الى ذلك، انتقل بذلك من ساحة النفـاق مع الله ومع الناس، في افكاره وتصرفاته، واستقر على قاعدة ايمانية صلبة، ذات اهمية كبرى في توجيه المسلم الى مرقاة التربية النفسية والسمـو الخلقى، الا وهي قاعدة الصدق.. الصدق مع الله والصدق مع الناس.

ويتـهـيـأ المسلم، اذا استـقـر فـوق هذه القـاعدة، لقبـول المعـالجـة، بل للسـيـر وراءها والبـحث عنهـا، وسـرعـان مـا يتـجـه بكل قـواه الفكرية ومـشـاعـره الوجـدانية الى طريق التـزكـيـة.. ويبـدأ الدخـول في منهاج قد يكون شاقا وطويلا الى ذلك، ولكنه يمارسه

**** الاسـلام (عـقـيـدة) قـابـعـة في مسـتـقـر الوعي والادراك من اذهـان المسلمين وعقـولهـم، أمـا سـاحـة الوجدان من نفوسهم حـيث تجـيش العواطف الرادعة والممجدة، فـانها بعــيـــدة عن سلطان الاســـلام**

ويؤدى وظائفـه في طـواعـيـه ورضـا. ذلك لأن وجـود الرغبة التى تحدثنا عنها، من شأنه أن ييسر له كل شيء. والسـيـر الموصل الى تزكية النفس هـو المُعْنَى بالجهاد في قول الله عز وجل {**وجاهدوا في الله حق جهاده**} (الحج/٧٨).

وفي قوله تعالى: {**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**} (العنكبوت/٦٩) وهو المراد بكلمة التـزكـيـة المتكررة في كتاب الله عز وجل، من مثل قوله تعالى {**هل لك إلى أن تزكّى وأهديك إلى ربك فـتـخـشى**} (النازعات/١٨)، وقوله سبحانه: {**قـد أفلح من زكّـاها وقـد خـاب من دسّاها**} (الشمس/٩).

وانما ينمـو اسـلام المسلم باستمرار وصول غذائه اليه، وما غذاؤه في كل الاحوال الا السير في طريق هذه التزكية التى هي الروح أو العـصـب الممـتـد في كيان الاسلام.

ويحين الآن أن نتساءل: ما التـزكـيـة؟ .. ثم مـا هو المنهـاج العلمي لبلوغها؟.

لكي نجيب عن الشطر الأول من السؤال، يجب أن نتذكر ما قلناه، من أن الانسان ثلاثي التركيب، فـهو مـركب من هذا الهيكل الجسدي، ومن الغرائز الحيوانية السارية فيه، ومن الروح التى هي سر لا نعلم حقيقته.. هذا السر الذى يشرق على الدماغ فـيكون وعـيـا وتفكيرا، وينعكس على القلب فـيكون وجدانا، وينتشر في كل اجزاء الجسد وخلاياه فيكون شعورا وحياة نابضة.

فهذه الروح التى قضى الله أن تقع في هذا السجن الجسدى الترابي، استوحشت، واستبد بها الحنين الى العالم الفسيح الذى هبطت منه، وظلت تشعر بالاسى والاغتراب، من جراء الحجب الكثيفة التى اسدلت بينها وبين عالمها العلوى الذى كان موطنا لها. وهذا الحنين الخفى لا ينفك عن الروح في وقت من الاوقات أو مكان من الأمكنة، أيا كان الجسد الذي تقبع فيه.

غير أن الذى يمنع سواد الناس وعامتهم من أن يسمعوا حنينها هذا، أو أن يتبينوا شيئا من مرماه ومدلوله، انما هو ضجيج الغرائز الهائجة في النفس، وثورة الشهوات التى يتضرم سعيرها على سطح الشعور الانساني، ولا سيما اكثر الناس يمدون غرائزهم هذه كل يوم بمزيد من المغريات والمهيجات. فمهما تعالى صوت الروح اشجانا وحنينا واشواقا، من اعماق الكيان الانسانى، فإنها لا تنتشر بين ضجيج تلك الغرائز والشهوات النفسية ولا تتعالى الى فكر احدهم، الا مبهمة غامضة غير مفهومة ولا مترجمة.

بل كثيرا ما تصادر النزوات النفسية والغرائز الشهوانية، تلك الاشجان واللواعج العلوية، الصاعدة من اعماق الروح، فلا تدعها حتى تترجمها الى لغتها، وتجعلها تعبيرا عن متطلباتها، وكثيرا ما يخدع الفكر بذلك مع أن الحقيقة على خلافه.

ولست استقى هذا التحليل من خيال شعري، ولا اختراع اسطورى. بل إنه المعنى العلمى الثابت الذى يعيش في كيان الانسان. ذكره العلماء اعتمادا على دلائلهم العلمية، وذكره الفلاسفة من منظور منطقهم الفلسفي، واكده اصحاب المواجيد الايمانية بمقاييسهم الوجدانية. ولا يتسع هذا البحث لعرض هذه الادلة أو شيء منها. ولعلنا جميعا نذكر في هذا الصدد قصيدة ابى على بن سينا، وهو يؤكد هذه الحقيقة من خلال وعيه الدينى، ودرايته الفلسفية، واختصاصه العلمى والطبي، اذ يقول:

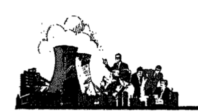
هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التى سفرت ولم تتبرقع

إلى أن قال:

تبكي وقد ذكرت عهودا بالحمى
بمدامع تهمى ولّما تقلع
حتى اذا حان المسير الى الحمى
ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
اخذت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع
قد كان اهبطها الإله لحكمة
خفيت عن الذهن الذكي الالمع

هذه الحقيقة الخفية عن كثير من الناس، هي التي تبرز ضرورة التزكية، وتنبه الى مدى اهميتها في حياة الانسان. ذلك لانها السبيل الوحيد الى تخفيف ضجيج الشهوات والاهواء حول الروح، والى فتح النوافذ والكوى الممكنة بينها وبين عالمها العلوى

**** من أخطر الافات النفسية نزعات الأنانية، فردية وجماعية**



الذى تظل في حنين دائم، وهى السبيل الى تعهد الروح بغذائها الذى تحتاج اليه وتنمو وتنتعش به.

ومن الثابت يقينا أن الروح إن تلقت غذاءها الذى تحتاج اليه، والذى سنتحدث عنه بعد قليل، انتعشت وشعرت بالتحرر حتى وهي في سجنها الضيق من هذا الجسد، واشرقت على النفس كلها بضياء علوى يغمرها حنينا الى الله وحبا له ومهابة منه. وهيمنت بمشاعرها واشواقها على مكمن الغرائز في النفس، بعد أن كان هو المهيمن على الروح والمحيط بها من سائر الجهات. وفي هذه المرحلة تتحول النفس من أمارة بالسوء الى لوامة عليه، ثم ترقى فتصبح مطمئنة راضية. وعندئذ تنطق المشاعر كلها بلسان ذاك الذى سلك سبيل هذه التزكية، حتى وصل اليها وقطف ثمارها، فأنشد يقول في نشوة بالغة وسعادة غامرة:

كانت لنفسى اهواء مفرقة
فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده
وصرت مولى الورى فدحرت مولائي
تركت للناس دنياهم وشأنهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

ولسنا نعنى بهذا الذى نقول أن الغرائز الحيوانية تجف وتنضب في هذه المرحلة، ليتحول صاحبها الى كيان ملكى وروحانى مجرد، فإن هذا لا يكون، وما ينبغى أن يكون. ذلك لأن هذا الدين انما فُصِّل في عقائده واحكامه وآدابه، على قدر الكيان الانسانى باجزائه الثلاثة الجسمية، الروحية والغريزية. وقد قضى الله ببالغ حكمته أن تكون رعاية كل من هذه الاجزاء على الوجه السليم، نوعا من الوقاية لكل من الجزئين الاخرين، كما أن اهمال واحد منها يعود بالضرر والنقص على الآخرين.

ويعجبنى في تقرير هذا المعنى ما يقوله شاعر باكستان محمد اقبال، في خطبة القاها في الحفل السنوي للرابطة الاسلامية في مدينة (اسلام آباد) عام ١٩٣٠ يقول:

«إن الاسلام يقرر أن الإنسان وحدة كاملة، دون فصل في الاحكام والمصائر بين المادة والروح. فالقربات التعبدية، والمصالح الدنيوية، ومساجد العبادة، ومناصب الرئاسة وميادين العمل، في المادة والروح، انما هي اجزاء متعددة لكل واحد. فإن هذا الانسان لم يسكن عالما يتحتم عليه أن يتخلص منه بالتماس الهجرة الى عالم روحى تقي. فالمادة التى ترقى بها تعاليم الاسلام وتنظمها، ليست سوى شكل من اشكال الروح، ومظهر آخر في حدود الزمان والمكان».

المنهج السلوكي الى التزكية:

ذلكم هو معنى التزكية، وهو يعبر في الوقت ذاته عن مطمح النظر في القيام بوظائفها، وتلك هي الاجابة عن الشطر الأول من السؤال الذى طرحناه. وعلينا الآن أن نجيب عن الشطر الثاني منه: كيف تتحقق هذه التزكية، وما المنهج السلوكي اليها؟

وإذا شئنا أن نستعيض هنا عن كلمة (التزكية) هذه بتعبير اكثر وضوحاً واقرب تصويرا للمشكلة وحلها فلنقل: كيف يكون السبيل العملي الى الاصطباغ الكلي بحقيقة العبودية لله عز وجل، حيث لا يستعبد المسلم مال ولا جاه، ولا عصبية شخصية،

ولا شيء من آفات النفس من أنانية وكبر وعجب وأثرَة ونحوها.

لا ريب أن سلوك السبيل الى ذلك ليس بالامر اليسير. وكيف يكون يسيرا وهو القاعدة الجهادية العريضة التى كلف الله عباده جميعا بالانطلاق منها؟.. وكيف يكون يسيرا وهو الحاجز الذى يميز المؤمن الصادق في ايمانه عن المنافق الذى يتجمل بمظاهر التدين والايمان امام الناس، بل هو الحصن الذى يقي المسلم من الدخول تحت قوله {صلى الله عليه وسلم} فيما رواه البخاري وابن ماجه: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، واذا شيك فلا انتقش إن اعطى رضى، وإن لم يعط سخط» وهو الحارس الذى يحمى ايمان المرء من الذئبين الجائعين اللذين حذر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منهما في قوله: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» (رواه احمد والترمذي والدارميّ).

ومن اجل اهمية هذا الجهاد، وكونه الطريق الوحيد الى تزكية النفس وبلوغ مرضاة الله عز وجل بذل سلفنا الصالح رضى الله عنهم كل طاقاتهم سعيا في هذا الطريق، وسلكوا الى مجاهدة النفس وردّ غوائلها واجتثاث رعوناتها مسالك كثيرة متنوعة، كلها يدخل في فنون التربية ابتغاء تصعيد الوجدان، ونحن نستعرض من ذلك كله ما اجمع عليه السلف وتمت عليه دلالة الكتاب والسنة، ونذكر انفسنا بأنه جوهر الاسلام ولبّه، وانه السلّم الوحيد الى التحقق بالمنهج الالهى الذي الزم الله عز وجل به عباده، وانه المفتاح الذى لابد منه لتذليل كل صعب وجمع كل شمل وتحقيق كل نصر.

ومع ذلك، فانا لن نرسم خطى هذا الجهاد، كما قد يتوقع الكثير، من خلال عرض فلسفة عميقة ذات ديباجة واطار، ولا من خلال اعتماد منهج حركى تضبطه التنظيمات الشكلية، وتتحرك في داخله الالسنة المتناقشة والاعضاء المهتاجة، بل سنتبصره خلال ما هو ابسط فهما وأيسر منالا.. سنتبصره من خلال اوضح الآيات التى نقرؤها صباح مساء في كتاب الله عز وجل. غير أن كثيرا منا عن ترياق هذه الآيات ساهون معرضون.. وهو يتلخص في اتباع ما يلي:

أولا: تفكر الانسان في ذاته ومصيره، وفي مراقبة الله عز وجل له، وايقاظ العقل لذلك عند كل غفلة ونسيان.

والفكر حركة العقل، فمن دونه لا يغنى العقل شيئا.

والفكر هو الذى يحرر العقل من سلطان النفس وغوائلها، فمن دونه لا يستبين الانسان الفارق بين دوافعه العقلية ورعوناته النفسية.

ومن اجل هذا يختم الله كثيرا من آياته الكونية وأوامره التكليفية بمثل قوله: «أفلا تتفكرون.. لعلكم تتفكرون».

غير أن دوام الفكر يحتاج الى موضوع يشتغل به الذهن ويطوف حوله العقل، والموضوعات التى تصلح لذلك كثيرة ومتنوعة، ولكن اهمها واقربها اتصالا بالوجدان الانساني، موضوع النعم والالاء الكثيرة الظاهرة والباطنة التى يتقلب كل منا فيها لحظة فلحظة.

وإذا تأملنا، لاحظنا أن الوجود الانساني كله مكون من هذه النعم، فمنها يتألف سدى ولحمة عيشه.. ثم إن الانسان منفعل بهذه النعم والالاء



كلها، وليس فاعلا لشيء منها: فمظاهر العافية في كيانه.. واشراق الفكر والوعي على كيانه.. ونهوض الأعضاء من سمع وبصر ونطق ويد ورجل، بوظائفها.. واداء الباطن من هذه الاعضاء للواجبات المطلوبة منها.. وتلاقى السماء والارض في تناسق تعاونى دائب على تحضير رزقه وطعامه اللائقين.. وانسجام الافلاك في حركة دقيقة دائبة ابتغاء تنظيم حركاته وسكناته المعاشية في حدود الزمان والمكان.. وغير ذلك من مظاهر المنن الالهية العجيبة التى لا حيلة للانسان في جلبها اليه ولا في دفعها عنه ولا في السيطرة عليها بأى لون من الوان التحكم أو التسيير: كل ذلك دليل ناطق بأن الانسان، فيما يتمتع به من طاقات ذاتية، وما يحيط به من منن كونية، ليس اكثر من جهاز استقبال، إن انقطع عنه ارسال هذه النعم المتنوعة العجيبة، عاد مخلوقا جامدا فارغا عن كل ما كان يشمخ ويتباهى به، مثله كمثل الشاشة التى تلمع عليها مظاهر الصور والحركات والالوان، حتى اذا انقطع عنه الارسال عادت جرما هامدا لا حركة فيه ولا حياة.

وليس بين الانسان وبين أن يفيض قلبه حبا، الى درجة الصبابة والعشق، لخالقه الذى أمدّه بكل هذه النعم، ثم متعه باستمراريتها، ووقاه من كل ما قد يتربص بها، سوى أن يوجه فكره الى هذه الحقيقة، يَمْثُلُ امامها، ويتبين مظاهرها، ويستشف مدى حب الله لعبده من خلالها.

ومهما يكن فإن التفكر، كلما كان في نجوة من الناس وضوضائهم وملهيات الدنيا وشواغلها، فإن ثماره تكون أتم واسرع، لاسباب علمية ونفسية لا يتسع المقام للخوض فيها.

وانما يتم ذلك بتنظيم ساعات من الخلوة يجعل المسلم لعمره نصيبا منها، يقبل فيها الى عقله المتجرد الحرّ، مستعينا بذكرى كلام الله وبالغ عظاته، ثم التأمل في نفسه من خلال المثل الذى عرضناه ونبهنا اليه.

ولست ادعو بهذا، الى الانعزال عن المجتمع، والعيش بعيدا عنه، في كهوف جبال أو بطون أودية، فليست هذه فطرة الانسان ولا هي وظيفة المسلم. ولكني ادعو المسلم الى التأسى برسول الله {صلى الله عليه وسلم}، إذا كان يأخذ نفسه بساعات من الخلوة والبعد عن الناس.. أدعوه الى أن يخلو الى عقله كلما اراد أن يرجع الى حساب صندوقه، أي كما يصنع التاجر إذ ينخرط كل يوم في صخب الناس وضجيج الاسواق، ولكن ذلك لا يمنعه أن يخلو الى نفسه في زاوية من داره، بعيدا عن اصدقائه واهله واولاده، ليستغرق في النظر الى دفاتره وأوراقه وحساباته. إن من الواضح جدا انه لولا اهتمامه بهذه الساعات من العزلة في عمره التجاري، لما قدم له متجره الذي يغص بالغادين والرائحين إلا الندامة والخسران.

إن مثل هذه الساعات، هي التى تحرر الفكر مما قد يتسلل اليه، من وحى العصبية أو دوافع الاغراض الشخصية، أو جموحات الاهواء النفسية، ثم ترقى بالمسلم شيئا فشيئا الى مستوى الصفاء القلبى، إذ ينخرط في عداد من امتدحهم الله عز وجل بسلامة

القلب، وذلك في قوله عز وجل: **{يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم}** (الشعراء/ ٨٩) وهم الذين صدق عليهم قوله عز وجل **{يحبهم ويحبونه}**.

ثانيا: التزام ورد منتظم دائم، من تلاوة كتاب الله عز وجل، وما يتبعه من التسبيح والتهليل والاستغفار، مما يدخل في عموم معنى الذكر.

اما تلاوة كتاب الله عز وجل، فما اظن اننا بحاجة الى سرد ما ورد من الأحاديث الصحيحة في فضل تلاوته وتدبره ولم يقع خلاف بين المسلمين في أن التقرب الى الله تعالى بتلاوة كتابه، يعد من أفضل القربات التي تترك اثرها البارز في تزكية النفس وتخليصها من الرعونات والآفات.

وقد كان أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأخذون أنفسهم بأوراد معينة من تلاوة القرآن في كل يوم وليلة. وربما يشغل احدهم عذر ضرورى عن ورده ذات يوم، فقضاه في اليوم الثاني في حسرة وألم. كما قد وقع لعمر رضى الله عنه اكثر من مرة.

وأما الذكر والتسبيح والاستغفار، ونحو ذلك، فهو العلاج الذي وصفه الله تعالى لرسوله، واكده وكرر الأمر به في كثير من آي كتابه المبين. فقد قال: **{وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناءى الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى}** (طه. ١٣٠)، وقال: **{وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار}** (آل عمران/ ٤٣).. وقال: **{واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين}** (الاعراف/ ٢٠٥).

وقال: **{واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا}** (الدهر/ ٢٥)، ولا اعلم خلافا بين اهل العلم في انه لابد للمسلم أن يتخذ لنفسه وظيفة دائمة من ذكر الله عز وجل، وأن افضل الاوقات لذلك هو البكور والآصال، كما نص على ذلك كتاب الله عز وجل، فإذا عرض له عارض شغله عن اداء ورده في وقته المعتاد، كان الافضل أن يتداركه فيما بعد، في اي وقت من ليل أو نهار، حتى لا يكون انشغاله عنه ذريعة الى تضييعه. وقد ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «من نام عن حزبه أو شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل».

ولا التفات الى من يزعم بأن الذكر عبادة مطلقة، وأن تعيين وقت خاص للعبادة المطلقة بدعة محرمة.. إذ أن ثمة فرقا كبيرا بين العبادة المقيدة بالاطلاق عن الوقت المحدد، والعبادة المطلقة عن قيد الوقت المحدد. وانما ذكر الله تعالى من القسم الثاني لا الاول. ويعرف الفرق بين هذين القسمين أولو التحقيق من اهل العلم.

وقد زعم هذا الذى يقول هذا الكلام، أن يقصى صاحبه عن ذكر الله تعالى من أيسر سبيل... ذلك لأن من يضع هذا الوهم في حسابه، لا يكاد يتجه الى هذه العبادة العظمى في أي وقت من أوقات حياته، اتقاء الوقوع في البدعة فيما يزعم.

وربما ابصرته في هذه الاوقات الفاضلة، فرأيته يغط في نوم عميق أو يتلبس بلهو أو غيبة محرمة، دون أن يتنبه الى خطورة ما هو فيه من اثم وضلال حذّر منهما كتاب الله تعالى بصريح البيان وربما كان شفيعه في ذلك انه لا يريد أن يشغل الوقت ببدعة الذكر في وقت معين.

نعم، على الذاكر الذى اختار لنفسه وقتا لم



يخصصه له دليل من القرآن أو السنة، أن يكون على بينة من أن اختيار هذا الوقت للذكر انما هو برغبة شخصية منه نظرا الى انه الوقت المناسب له مثلا، وأن لا يفتقد أن هذا الاختيار يستند الى دليل ديني معين، فتلك هي البدعة عندئذ.

ولا ريب اننا لا نقصد بالذكر مجرد حركة اللسان في الفم، ولا فرقعة السبحة في اليد، كما لا نقصد القفز على اصوات المنشدين وانغامهم. وانما نعني به ما عناه الله تعالى به في محكم كتابه عندما أمر بذلك نبيه [صلى الله عليه وسلم]، اذ قال له: {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين} ألا وهو ذكر القلب، وحركة الفكر، وتيقظ الوجدان. وان كانت حركة اللسان مطلوبة في مثل قوله [صلى الله عليه وسلم] «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله» فانما هي لفائدة تنبيه القلب وتحريك الوجدان وحجز اللسان عن الاحاديث الملهية التي قد تلهي القلب وتشغل النفس.

اما اثر ذكر الله عز وجل، في تحرير النفس من المشكلات النفسية التي نحن بصدد الحديث عنها، فحدث عن ذلك ولا حرج.. انه العلاج الاعظم، بل الاوحد، لتزكية النفس، وكنس كل ما قد يرسب فيها من امراض الانانية والحقد والحسد والتعلق بالدنيا، بكل معانيها وأنواعها.

وبيان ذلك انه يتكون في القلب من الاستمرار علي ذكر الله عز وجل، شعور تبثه الروح بالرقابة الالهية على كل ما يتلبس به الانسان من التصرفات والاقوال والنيات. فما يكاد يهم بعمل شيء أو يعزم على النطق بكلمة أو يضمر قصدا معينا، الا ويدفعه ذلك الشعور القدسي الى تقويم عمله، وتمحيص نطقه وتصحيح نيته.

وتلك هي الحراسة الالهية العظمى في حياة المسلم، وذلك هو الاحسان الذي وصفه رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، بأن يعبد المسلم ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فعلا، فهو موقن بأن الله عز وجل يراه.

ثالثا: (وهذا علاج سلبي)

تجنب أكل الحرام، فإن الجسم الذي رُبّي على المال الحرام، تكمن فيه - على الغالب - نفس نزاعة الى الانحراف والانفلات من حدود الله عز وجل. وإن انضبطت ضمن حدوده في الظاهر، تجمعت منها الادواء والافات الخطيرة في الباطن.

**** الغرب عمل جاهداً على تفكيك المسلمين من داخلهم، وتشكيكهم في معتقداتهم**

والمال الحرام يبدأ من سلب اموال الاخرين بدون رضا، أو بدون وجه شرعي، ثم يتنوع الى انواع واشكال مختلفة، حتى ينتهي عند الشبهات المختلفة التي هي مظنة الحرام.

ومن لم يستطع أن يتخلص من الشبهات، استطاع إن أراد، أن يتخلص من المحرمات ومن وجد معذرة يتذرع بها بالنسبة للوقوع في الأولى لم يجد أي عذر يتمسك به بصدد اقتحام الاخرى. وللتغذي بالمال الحرام نتائج خطيرة جدا في حياة المسلم، أهونها ما يعانيه القلب من قسوة عجيبة، لا تحركه معها موعظة واعظ، ولا تذكرة مذكر، ولا ينفعه

معها تحذير ولا ترغيب ولا ترهيب.

اذ يقع الانفصال بذلك بين العقل والقلب، فيدرك العقل دون أن يتأثر القلب، ويخضع الأول دون أن يلين الثاني. وهيهات أن يملك العقل وحده قيادة السلوك في حياة الانسان، كما قد اوضحنا ذلك، ومن شأن التهاون في الاخذ بهذا العلاج، أن يجعل اسلام المسلم شعارا يصطبغ به ظاهره فقط.

أما الباطن الخفي فيظل سوقا في سبل اخرى تحضها دوافع الشهوات والاهواء. بل اذا استمر المسلم في اقباله على المال الذى تطوله يده كيفما اتفق، لم يعد يفيده شيء مما ألمحنا اليه من قبل، فلا تلاوة القرآن أو سماعه تنبهه من غفلة، ولا الاذكار والاوراد تصلح شيئا من حاله أو ترقق من قلبه.

وقد روى مسلم والترمذي وغيرهما من حديث ابي هريرة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل الا طيبا، وأن الله أمر المرسلين بما أمر به المسلمين» فقال: {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم} وقال: {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم}، قال: ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذّى بالحرام، فأنّى يستجاب له؟.

وما أكثر المسلمين الذين اذا عددناهم بمقياس الصلاة والعبادات الظاهرة واستعمال المسابح في الايدى وتعويد اللسان على المواعظ والكلمات الدينية المنمقة، وما أقلهم اليوم، إذ اعددتهم بمقياس التعفف عن الحرام والتزام حدود الله في المآكل والمشرب. وكم رأينا مسلمين يعدون في خيارهم، يصوغون الكلام حلوا عذبا في الدعوة الى الاسلام وهديه، حتى إذا لاحت لاحدهم سبيل تجارة رابحة تستوجب بعض الانحراف أو كله عن ميزان الاسلام وحكمه، أسرع يقتحم السبيل غير هياب ولا وجل، فإذا ما نبهه أخ مسلم، تأول ما لا يحتمل التأويل، وصاغ فقها جديدا لا أساس له ولا دليل عليه.

رابعا وأخيرا: كثرة الدعاء وشدة التضرع والابتهال الى الله عز وجل:

وهذا العلاج، بحد ذاته عبادة ذات أهمية قصوى. بل هو مخ العبادة ولبها. بل هو العبودية التى تعد أرقى مراتب القرب الى الله عز وجل.

وكلنا يعلم أن الله أمر عباده بالدعاء، وأكد ذلك،، وكرر الامر به في محكم كتابه، وجعله من سمات عباده المخلصين. فقال جل جلاله: **{أدعو ربكم تضرعا وخيفة انه لا يحب المعتدين}** (الاعراف/٥٥) وقال: **{فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون}** (غافر/١٤)، وقال: **{ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا}** (الاعراف/ ٥٦)، ووصف المخلص من عباده بقوله **{انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين}** (الانبياء/ ٩٠).

وانما يستشعر الانسان أهمية الدعاء وضرورة التضرع الى الله، عندما يشعر بحاجته الماسة الى الله تعالى ويستيقن أن لا معين غيره وأن لا رجاء الا منه. فعندئذ يدعوه بقلب صادق وشعور مستيقظ خاشع، وانما السبيل الى استمرار هذا الشعور، الاخذ بالعلاجات الثلاثة التى سبق ذكرها، على ان من المعلوم لكل مسلم صادق في اسلامه أن الذى يعين الانسان على السير في طريق الاستقامة انما هو توفيق الله عز وجل، فلو تخلى هذا التوفيق عن الشاب المستقيم، لانقذف منذ تلك اللحظة في اقصى



اودية الانحراف، وانما يتم توفيق الله تعالى للمسلم بأمرين اثنين: صدق الارادة المتجهة الى الخير، واخلاص الدعاء المتجه الى الله عز وجل بالضراعة والذل.

وقد استوقفني شاب ذات يوم في رحاب الجامعة، وشكا اليّ في التياع أن نفسه تنازعه الوقوع في الشر، ولا يكاد يقوى على امتلاك زمامها والتغلب عليها، وأن حياة الجامعة تزيد من ضراوة نفسه، وناشد فيّ الشاب أن أهديه الى سبيل يتخلص بها من عذاب نفسه.

فقلت له: أرأيت الى هذا الالتياع الذي تعرض به شكواك عليّ، اعرض هذه الشكوى نفسها بمزيد من الالتياع على ربك جل جلاله، وناجه وتضرع اليه في ساعة ليس فيها بينك وبينه أحد، واسأله أن يمنحك التوفيق والقوة، فإنك إن فعلت ذلك مرارا وثَبَتَّ عليه استجاب الله دعاءك، وحقق لك التخلص من عذاب نفسك بأيسر سبيل.. وقد كان ذلك بحمد الله وتوفيقه.

إن انتهاء الانسان الى حالة تجعله مضطرا لمدّ يده الى من يعينه في تخليصه من رهق أو بلاء يعانيه، ثم لا يجد من يعينه في ذلك الا الله جل جلاله - هو جوهر العبودية القسرية التى فطر الله الانسان عليها. وإن وقوفه فعلا في ضراعة وذل على اعتابه جل جلاله يدعوه ويسأله ويرجوه، هو جوهر العبودية الكسبية التى أمر الله الانسان أن يمارسها.

ومعنى هذا الكلام الذى نقوله، أن على المسلم أن يلتمس أولا علاج الآفات النفسية التى يعانى منها باتباع السبل الثلاثة التى مضى ذكرها، ثم يعالجه - الى جانب ذلك - بالدعاء المستمر يتوجه به الى الله تعالى في ضراعة وذل وبقلب منكسر، مستشعرا انه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وانما امره ووجوده كله بيد الله عز وجل. وليقدم وسيلة وشفيعا الى الله تعالى بين يدى ذلك عزم الارادة وسلامة النية وذل النفس بين يدى ربوبية الله وسلطانه[٣].

وما أكثر من يهونون من أمر الدعاء، محتجين بأن ما يطلبه العبد إن كان مسطورا في قضاء الله لم ينفعه الدعاء في طلب الوقاية منه، وإن لم يكن مسطورا لم يحتج الى الدعاء من أصله.

ولا نريد أن نجيب عن هذا الاحتجاج بما قرره العلماء في هذا الصدد، فإن بحثنا هذا يتسم بطابع آخر.. ولكنا نوجز ونقول: أن الله عز وجل أمر عباده بالدعاء ووعدهم بالاستجابة، ووعد الله صدق ولا يلحقه خلف.. وهذا ما يهم المسلم معرفته، فما لنا وللبحث فيما ليس من شأننا ولا اختصاصنا، وفيم يؤرق الانسان فكره في أمر عائد الى تدبير الله وعظيم قدرته وسلطانه؟.. قضاء الله حكم من احكامه، واستجابته الدعاء وعد قطعه على نفسه. وانما وظيفتنا أن نخضع لحكمه ونؤمن بوعده، ثم نكل تدبير الأمر اليه.

الهوامش:

(١) اقرأ مذكرات حاييم وايزمن، وما ذكره من التخطيط للقضاء على الخلافة العثمانية في سبيل الوصول الى فلسطين.

(٢) اقرأ فصل (سلطان الثقافة الغربية على الفكر الاسلامي المعاصر) لمحمد مبارك.

(٣) صاحب هذا الاقتراح هو الدكتور احمد ابو زيد، انظر العدد الرابع من مجلة (عالم الفكر) الكويتية، المجلد الثاني عشر.

التخطيط للتنمية الاجتماعية

ـ هل الامية تمثل مشكلة حقيقية في الدول العربية تقف في سبيل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحد بالتالى من تحقيق آمالها وتطلعاتها في مستقبل افضل، بالرغم من أن الانسان قد عاش فترات زمنية طويلة دون استخدام القراءة والكتابة ـ الا نادرا ـ ومع هذا استطاع أن يسهم في مجتمعه اسهاما حقيقيا؟.

للرد على هذا التساؤل كان لابد أن تأتى الاجابة عليه من واقع ما يتميز به عالمنا المعاصر عن العصور السابقة.

ـ يتسم العالم المعاصر الذي نعيش فيه كما يجمع العاملون في ميادين الفكر والمعرفة ـ بأنه عالم سريع التغير.. عالم يتفاعل محتواه البشرى والمادي في اطار من التأثير المتبادل بينهما مما يؤدي الى حركة تغير مستمرة من العسير الوقوف على نقطة محدَّدة فيها. فمن الحقائق المميزة لعالمنا المعاصر أن (٢٥٪) من مجموع البشر الذي عاش على الكرة الارضية يعيش عليها الآن، وأن العلماء الموجودين الآن يمثلون (٢٥٪) من جميع العلماء في تاريخ البشرية، وأن حجم المعلومات الفنية المتاحة يتضاعف كل عشر سنوات، وأن هناك ١٠٠٫٠٠٠ (مائة الف) مجلة تصدر الآن باكثر من ستين لغة، وأن هذا العدد يتضاعف مرة كل خمسة عشر عاما.

معنى هذا أن التغير الذي يتسم به عالمنا المعاصر هو تغير كمي يمكن أن نحدده بالارقام التي تنتج عن قياسنا له. غير أن هناك في الواقع نوعان من التغير يدركهما الانسان من واقع علاقته ببيئته:

أولهما: التغير بالحركة الناتجة عن استخدام القوة فالقوة تغير من وضع الاشياء كما ندركها من حيث الزمان والمكان، انه ذلك التغير الناتج من القوى الطبيعية كالزلازل والفيضانات والرياح والامطار والاعاصير.. الخ أو من القوى التى أوجدها الانسان بنفسه كاستخدام الآلة البخارية التى كانت بمثابة تحول عميق في مجتمع زراعي كان بطيء التغير حتى ذلك الوقت. ما ندركه هنا ـ كتغير ـ انما هو نتيجة لقياسنا للطريقة التى يتغير بها وضع الاشياء من حيث الزمان والمكان بعد تأثير قوى معينة على بيئتنا الطبيعية. هذا النوع من التغيير هو ما يطلق عليه التغير الكمى الذى يمكن قياسه من جوانب متعددة.

النوع الآخر: من التغير هو ذاك الذي يتصل بالفروق المشاهدة لابعاد الاشياء واشكالها كما تحددها خبراتنا السابقة، أي اختلاف ابعاد واشكال

بقلم: د. محسن عبدالحميد أحمد ـ المغرب





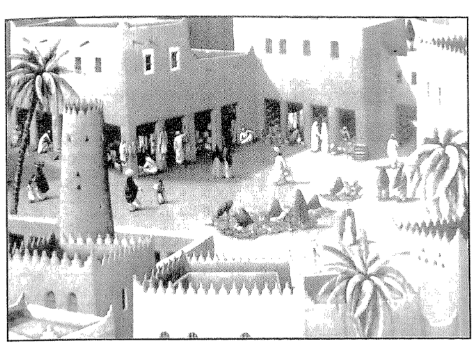
الانماط المألوفة للاشياء. هذا النوع من التغير هو ما يسمى بالتغير الحضاري والاجتماعي، وهو تغير يمكن قياسه ايضا ولكن ما يقاس هنا هو الكيف وليس الكم.

ويعتبر التجديد اساس التغير الحضاري. ويقصد بالتجديد هنا تلك العملية التي يتم بواسطتها ترتيب وتنظيم الاشياء الموجودة بطريقة تختلف عما سبق أن رتبت أو نظمت بها: مثل ترتيب الكلمات على صفحة الكتابة والألوان على لوحة الرسم، والرموز في المعادلة الرياضية.

- لأول مرة في تاريخ العالم المكتوب نصل الى مرحلة يتفاعل فيها التغير الكمي والتغير الكيفي مما يسبب الاضطراب والقلق اللذين هما سمة عالمنا المعاصر. ولما كان من غير الممكن السيطرة على التغير نفسه، فاننا نسعى الى التحكم في المعدل الذي يؤثر به على تصوراتنا وحياتنا، ولهذا فاننا ننشىء المؤسسات والنظم التي تتولى الحفاظ على بعض التغيرات السابقة التي نستحسنها والتقليل من معدل تغيرها عن طريق تشكيل العرف والعادات والتقاليد.. الخ وعلى الجانب الآخر لابد للمجتمع أن يتمشى مع التغيرات ويحدث التجديدات اللازمة حتى لا يفشل في الاستمرار والبقاء. وفي سبيل ذلك عمد المجتمع المعاصر الى اقامة مؤسسات جديدة تعمل على احداث تغييرات تتمشى مع الظروف والاوضاع المتجددة، هذه المؤسسات الجديدة هي مؤسسات البحث العلمي والتخطيط والتنمية. وفي ظل تطلعات وآمال العنصر البشري وحسن استخدامه لامكاناته المادية والبشرية نحو تحقيق أمله في حياة افضل.

اتضحت أهمية مؤسسات البحث العلمي

** الأمية مشكلة حقيقية تقف في سبيل تحقيق أهداف خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية



والتخطيط والتنمية في عالم قصرت فيه المسافات ووجدت به دول مضطردة التقدم وأخرى نامية تتطلع الى تعويض ما فاتها وتسعى الى حقها في الوجود والحياة. من أجل ذلك كان على الدول النامية أن تضع في اعتبارها **أن التخطيط العلمى للتنمية أصبح ضرورة ملحة من أجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي**، وأن الامية تمثل مشكلة حقيقية تقف في سبيل تحقيق أهداف خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المدى الزمني المحدد لبلوغها. لهذا فقد أولت الدول العربية اهتمامها بمشكلة الامية، كما كان طبيعيا أن يوجه المؤتمر الاقليمي الثاني لتقويم نشاط محو الأمية في الدول العربية الذي عقد في الاسكندرية في ديسمبر ١٩٧١م نداء الى قادة الأمة العربية وزعمائها ورجالات الفكر والتخطيط والاقتصاد والاعلام والمؤسسات الجامعية والعلمية ليعملوا على القضاء على مشكلة الامية ادراكا من المؤتمر انها قيد يعوق حركة الامة العربية نحو تطورها وتقدمها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

- إذا كانت الامية تمثل مشكلة حقيقية توليها حكومات الدول العربية اهتمامها، فما هو دور المسئولين عن التخطيط لمحوها؟.

إن مجرد اتباع الاساليب التقليدية لمواجهة مشكلة الامية أصبح موضع شك في ضوء ظروف عالمنا المعاصر. بالرغم من الجهود الضخمة التي بذلت في شتى انحاء العالم خلال السنوات الماضية التى ادت الى انخفاض نسبة الامية من (٣ر٣٩٪) عام ١٩٦٠م الى (٢ر٣٤٪) عام ١٩٧٠ الا أن عدد الاميين قد زاد في نفس الفترة من (٧٤٠) مليون نسمة الى (٨٠٠) مليون نسمة في العالم.

إذاً لابد من التجديد في نظرتنا للأمور في ضوء ظروف وأوضاع مجتمعاتنا العربية. ويكفى تدليلا على ذلك أن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم



والثقافة (اليونسكو) باعتبارها الوكالة المتخصصة في معالجة المشكلات التعليمية والثقافية في مختلف انحاء العالم قد حرصت منذ انشائها في أواخر الاربعينيات من هذا القرن على توجيه قسط كبير من عنايتها الى مشكلة الامية، واتجهت عنايتها في أول الأمر الى نشر فكرة **«التربية الاساسية»** التى تمثل محو الأمية عنصراً جوهريا من عناصرها.

وفي سبيل نشر هذه الفكرة اسهمت مع الدول المعنية في انشاء بعض المراكز الاقليمية والوطنية لتدريب العاملين على تطبيق هذه الفكرة، وكان من اهم هذه المراكز (مركز سرس الليان) لخدمة الدول العربية، وفي خلال الستينيات حينما اتجه العالم الى الاهتمام بقضية التنمية تحولت عناية هذه المنطقة الى نشر فكرة **«التعليم الوظيفي أو محو الأمية الوظيفي»** مع تجديد في الأسس والمنهج والاسلوب. ولو امعنا النظر في جوانب التجديد في قدرة «محو الأمية الوظيفي» لوجدنا أن أهم الأسس التي ترتكز عليها هذه الفكرة هي أسس (التنمية المخططة) والتى منها الآتى: أن مشروعات وبرامج التعليم الوظيفي جزء من خطط التنمية الاقتصادية ترتبط بها وتتكامل معها - انها جزء من الخطة العامة للتعليم **وإعداد القوى البشرية** - إنها تتبع منهج التخطيط وتستفيد من اسسه ومبادئه - انها تستلزم منهجا تربويا مناسباً يتسم بالمرونة والقابلية للتغير بحيث تأخذ في اعتبارها تنوع الأهداف والمواقف ... الخ.

التنمية الاجتماعية:

من المسلّم به أن المجتمعات البشرية على اختلاف نظمها تمر بتطورات مستمرة متناولة الكثير من انظمتها ومؤثرة تأثيرا مباشرا وواضحا في بنائها الاجتماعي، بعض هذه التغيرات يتم بطريقة تلقائية والبعض الآخر وفقا لخطط مرسومة وسياسات موضوعة لتحقيق أهداف محددة ومقصودة.. ومنذ مطلع القرن العشرين بدأت كثير من دول العالم تولي اهتماما خاصا بتحسين مستوى معيشة مواطنيها بصورة لم تشهدها تلك الدول من قبل حتى أصبح هذا العصر يسمى بحق «عصر التنمية» من أجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي تأكيدا لاهمية الدور الذي تلعبه التنمية في رفع مستوى الحياة الانسانية. وقد زاد اهتمام الدول النامية بصورة خاصة بمشروعات التنمية مستهدفة بذلك تنمية مواردها وامكاناتها وضمان استغلالها لثرواتها المحلية بطريقة تضمن حياة أفضل لمواطنيها.

**** التخطيط العلمي للتنمية ضرورة ملحة من أجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي**

إن التنمية لغة هي «النمو والاتساع والتحسين»، أما مفهومها الاصطلاحي فقد اختلف باختلاف اتجاهات الباحثين والمفكرين. فقد ذكر البعض أن التنمية تعنى «التقدم الاجتماعي الذي يهدف الى تحقيق ظروف اقتصادية افضل» وقد ركز اصحاب هذا الرأي على



** التنمية قائمة على التفاعل بين الطاقات البشرية في المجتمع وعوامل البيئة بهدف زيادة قدرة المجتمع على البقاء والنمو

الجوانب الاقتصادية في التنمية باعتبار أنها ضرورة أساسية لاشباع حاجات المجتمع وتحقيق تطلعاته في التقدم والرفاهية. كما عرفت التنمية على انها **«مفهوم معنوي يعبر عن عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغييرات الوظيفية في المجتمع تحدث نتيجة للتدخل الاداري بتوجيه التفاعل بين الطاقات البشرية في المجتمع وعوامل البيئة بهدف زيادة قدرة المجتمع على البقاء والنمو»**. وهذا التعريف لا ينظر الى التنمية على انها هدف في حد ذاتها بل وسيلة لزيادة قدرة المجتمع على النمو والتطور كما يجمع بين شقى التنمية الاقتصادي والاجتماعي.

إن التنمية بمفهومها الشامل اصبحت هي الاصطلاح المقبول خاصة في المجتمعات التي تسعى الى تحقيق اقصى حد ممكن من النمو المتوازن الشامل.

- إن الانسان هو وسيلة التنمية وهدفها، فهى تستهدف قدراته الفكرية والعضوية كما تستهدف وجوده الاجتماعي وبيئته المادية. لقد كان هناك جدل طويل حول ما هو اجتماعي وما هو اقتصادي في عمليات التنمية، ومهما يكن من أمر هذا الجدل الفكري فانه يمكن القول بانهما وجهان لعملة واحدة، فالتعليم مثلا يستهدف تطوير قدرات الانسان



الفكرية وتزويده بالوسائل الاجتماعية التي يستكمل بها وظيفته ودوره في المجتمع، وهو في الوقت نفسه اعداد للمهارات الضرورية للعمل بكفاية في مجالات الانتاج والتنظيم والادارة، وهو من هذه الناحية استثمار طويل المدى وشرط من شروط الانتاج التكنولوجي. على أن التعليم فوق ذلك كله من الاساليب الفعالة في تطوير المجتمع، فالتنشئة الاجتماعية التي ألفها الانسان ما هي الا ضرب من التعليم، ولا شك أن لكل مناشط التنمية اقتصاديات هي حلقة في سلسلة التنمية الاقتصادية ووسيلة وهدف، فعن طريق التعليم تتكون الطرق والاساليب الفنية وعن طريق توفير الرعاية الصحية والاجتماعية تتكون القوى العاملة. لذلك فالتغيير الذى تقتضيه التنمية سواء في النسق الاقتصادي أو النسق الاجتماعي هو في حقيقة الأمر تغيير في الانسان نفسه، حيث إنه تغيير في العلاقات الاجتماعية والمعارف والمهارات. كما أن النسق الاقتصادي يرتبط أشد الارتباط بالنسق الاجتماعي بحيث يمكن القول بأن النسقين الاقتصادي والاجتماعي هما نسقان فرعيان للنسق الحضاري. فإذا رجعنا الى عوامل الانتاج في النسق الاقتصادي وهي الارض ورأس المال والعمل والادارة نجد أن كل هذه العوامل متصلة أوثق الصلة بالعنصر الحيوي (الانسان) للنسق الاجتماعي.

فالعامل الذي هو من عناصر الانتاج ومستواه التعليمي والمهني والصحي والثقافي ما هو إلا نتاج الاسرة ونظم التعليم والثقافة وغيرها، كما أن رأس المال وتكوينه يتأثر تأثرا كبيرا بالعادات والانماط السلوكية الاجتماعية والاستهلاكية في المجتمع.

إن النمو الاقتصادي لا يتم في فراغ وانما يمثل عملية تتم في اطار اجتماعي ومن ثم لا يمكن التركيز على العوامل الاقتصادية وحدها مجردة من محتواها الاجتماعي والثقافي. ان التنمية ليست تقدما اقتصاديا فحسب ذلك لانه من الممكن الحصول على تقدم اقتصادي بدون جهود مناسبة للتعليم أو الصحة أو الخدمات الاجتماعية وبدون اهتمام باحتياجات أهل الريف والبادية، وبدون اهتمام كاف لتحسين نوعية الحياة أو مستوى المعيشة. ان التقدم الاقتصادي ضرورة ولكنه وحده بعيد عن الظروف الكافية للتنمية الحقيقية. لهذا تتجه كثير من دول العالم الى الاخذ باسلوب تنمية المجتمع باعتباره الطريق العملي لتحقيق التنمية الاجتماعية الشاملة. ويرى البعض أن تنمية المجتمع عملية تعليمية، لهذا فمن المناسب ونحن نتحدث عن تعليم الكبار أن نتعرض بالتعريف لاسلوب تنمية المجتمع.

- **تعرف تنمية المجتمع بأنها «عملية تعليمية وعملية تنظيمية»**، تتضح كعملية تعليمية في تغيير اتجاهات الافراد وتصرفاتهم باعتبار أن هذه الاتجاهات من أهم العوامل التي تؤثر على التغير الاجتماعي والاقتصادي وتتضح كعملية تنظيمية في محاولة اعادة توجيه المؤسسات القائمة وايجاد مؤسسات جديدة لتحقيق التنمية، كذلك تعرف تنمية المجتمع على أنها «برنامج يهدف الى تحقيق التنمية المحلية في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية

الانسان هو وسيلة التنمية وهدفها، يقوم بها أداء ويفيد منها ناتجاً

العوامل الاقتصادية ليست في منأى عن المحتوى الاجتماعي والثقافي للمجتمع

حيث تقوم على منهج متكامل يشمل مختلف المناشط التى يقوم بها الناس».

وتعرف هيئة الأمم المتحدة تنمية المجتمع على انها «**عملية تهدف الى تنسيق وتوحيد جهود الافراد والهيئات الحكومية لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية لتكون جزءا متكاملا في المجتمع القومي، كما تهدف الى تهيئة عوامل التقدم الاجتماعي باستغلال طاقات المجتمع وامكاناته بمساهمة افراده وجماعاته.**

كذلك تعنى تمكين الافراد الذين يعيشون في مجتمع محلي من مناقشة مشكلاتهم وتحديد احتياجاتهم ووضع الخطط والعمل معا لسد هذه الحاجات».

ولا شك أن تنمية المجتمع المحلى تهدف الى ايجاد مجتمع متكامل وبلوغ أهداف المجتمع الكبير.

من هذا يتضح أن تنمية المجتمع منهج وأسلوب لتطوير المجتمعات المحلية عن طريق الاهتمام بالوسائل والطرق التعليمية اللازمة لتحقيق برامج التنمية حتى تصل الى النتائج المنشودة وحتى تنمو اتجاهات الناس وافكارهم في عادات سلوكية وفكرية سليمة.

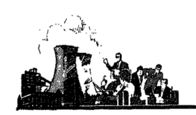
لهذا، عندما نقول أن الأمية هي مشكلة الغالبية العظمى (٧٠٪) من السكان في بلادنا العربية، ننبه أن على قيادات تعليم الكبار في الدول العربية أن تكون أكثر التزاما للوظيفة التنموية.

ولكن، ماذا تعنى هذه الوظيفة التنموية؟.

إنها - على الاقل - تحتمل المعاني التالية:

- أن نكون على وعي خاص باتجاه وابعاد التغير في مجتمعاتنا المحلية.
- أن ننمي قدرة الافراد على التفكير والتخطيط والتنظيم والتنفيذ بكفاءة أكبر ووعي متزايد لدورهم في شبكة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تشكل الحياة العامة.
- أن نوجد نوعا من التعاون من المهن والتخصصات الاخرى، ذلك لأن معرفة مدى امكان مساهمة المهن الاخرى وفهم اهدافها ولغتها ضرورة لازمة لتحقيق التعاون المثمر ولايجاد جهود مشتركة بناءة تتجسد في العمل كفريق متعاون.
- أن نهتم أكثر باعداد العاملين في محو الأمية وتعليم الكبار لمهام متعددة في مجالات العمل الاجتماعي واعداد المتخصصين الذين يمكنهم الاسهام في عمليات التخطيط والتأثير على أولويات التنمية في الخطط الوطنية.. وغير ذلك .

ولما كانت برامج تعليم الكبار ومحو الأمية لا تسير كلها وفق نمط ثابت لكل الفئات والقطاعات والمجتمعات المحلية، فإن الأمر يقتضي أن يكون



التخطيط والتقويم أساسا لكل جهد يبذل أو عمل يؤدي لتدارك صعوبات التنفيذ وتطوير الاساليب ورفع كفاية وفاعلية البرامج.

التخطيط:

- تميز المجتمع الصناعى الحديث - في مراحل تطوره الاولى - بتخطيط الانتاج داخل كل وحدة من الوحدات الاقتصادية وعدم وجود تخطيط على نطاق المجتمع ككل، حيث كان التواؤم بين الانتاج والاستهلاك يتم بعد اتمام عملية الانتاج لا قبلها، وعلى أساس تفاعلات العرض والطلب في السوق، وقد أدت عدة عوامل منذ الحرب العالمية الثانية الى انتشار التخطيط انتشارا كبيرا واصبح التخطيط نظاما لتوجيه الانتاج والاستخدام الامثل لموارد المجتمع.

- يعتبر التخطيط من الميادين التي تطورت بشكل واضح في فترة قصيرة نسبيا، وكان لذلك أثره في تعدد التعاريف التى أعطيت للتخطيط. **فالتخطيط هو الاسلوب العلمي الذي تتبعه الدول من أجل تنظيم عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بغية رفع المستوى المعيشي للمواطنين**، وهو يتضمن حصر المواد البشرية والمادية والمالية واستخدامها أكفأ استخدام ممكن بطريقة علمية وعملية وانسانية لسد حاجات المجتمع. ومن ثم يتضمن التخطيط رسم خطة اقتصادية واجتماعية تضع اهدافا معينة ليسد حاجات المجتمع في حدود الموارد المتاحة وخلال فترة زمنية محددة وذلك عن طريق تنفيذ برامج ومشروعات معينة. وعلى هذا فالتخطيط وسيلة الى غاية وهو يتميز بأنه وسيلة منتظمة ومستمرة يتم فيها حصر كافة موارد المجتمع - مادية كانت أو مالية أو بشرية - وتحديد طريقة تعبئتها واستغلالها أو تشغيلها وتوجيهها وتوزيعها بشكل يساعد على تحقيق الغايات المرجوة خلال فترة زمنية محددة وبأدنى قدر من الضياع في هذه الموارد وتأخذ الخطط عادة شكل اجراءات لتحقيق أهداف معينة تحدد في أغلب الاحوال وفقا لمقاييس مادية مألوفة. فالخطة عبارة عن الاطار المادي لمجموعة من المثل والآمال التي يهدف الى تحقيقها المجتمع وتتبلور فيها السبل التي تمكن الدولة من أن تجعل رغباتها عن المجتمع الجديد الذي تصبوا اليه حقيقة واقعة. وتتحدد الغاية أو الغايات التي يهدف التخطيط الى تحقيقها على أساس عدة عناصر:

أول هذه العناصر: هو الشكل الذي يتسم به المجتمع في الوقت الحاضر.

وثانيها: الشكل المراد بلوغه في المستقبل، بعيدا، كان هذا المستقبل أو قريبا.

وثالثها: النمط الذي يتبعه المجتمع في تطوره - خاصة في الماضي القريب - ومدى رضا الدولة (ممثلة في اجهزتها) عن هذا النمط وعن مؤداه في المستقبل أو رغبتها في تعديله. ويتميز التخطيط كتنظيم للنشاط الاقتصادي والاجتماعي بخصائص أساسية من أهمها:

(أ) وجود هيئة مركزية مسئولة عن تحديد الاهداف الاقتصادية والاجتماعية وعن اختيار

الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الاهداف، كما تقوم بالتنسيق بين أهداف القطاعات المختلفة بحيث تتناسق جميعها مع الاهداف العامة المختارة.

(ب) توفر مقاييس موضوعية تحدد بواسطتها الحاجات الاجتماعية وتوفُّر أسس للاختيار بين الوسائل البديلة لسد هذه الحاجات، ذلك لأن التخطيط ـ كعملية مواءمة بين الحاجات الاجتماعية وبين الانتاج، وبين ما يمكن تحقيقه من اشباع في الحاضر وما يمكن الحصول عليه في المستقبل ـ يتطلب توفر مثل هذه المقاييس والاسس لأن التخطيط في غياب هذه المقاييس والاسس يصبح مجرد قرارات بيروقراطية ادارية.

(جـ) تحديد أهداف القطاعات المختلفة التى ينقسم اليها النشاط الاقتصادي والاجتماعي على أساس الأهداف العامة للمجتمع وفي ضوئها. وعلى هذا لا تكون الخطة مجرد تجميع لبرامج قطاعية منعزلة بل برنامجا شاملا أساسه توجيه الموارد الكلية المتاحة الى خير الاستخدامات أي الحصول على أقصى ناتج كلي ممكن من الموارد المتاحة دون أن يشترط لذلك الحصول على أقصى ناتج لكل قطاع من القطاعات.

ـ نظرا لاختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية التي توجد في مختلف دول العالم، ونظرا لاختلاف المستويات التي قد يتم التخطيط لها في ظل تلك النظم، بالاضافة الى اختلاف الاهداف التي يراد تحقيقها والفترات الزمنية المتاحة، نظرا لكل ذلك فقد ظهرت أنواع مختلفة من التخطيط بحيث يمكن أن تتمشى مع الاوضاع القائمة أو تحقق الهدف الذي يسعى اليه المجتمع. ويهمنا في هذا الصدد أن نعرض لبعض أنواع التخطيط على أساس مقارنة كل نوع بما يضاده حتى يمكن اظهار أوجه الاختلاف بينهما.

(أ) التخطيط الشامل والتخطيط القطاعي:

يقصد بالتخطيط الشامل وضع خطة تشمل جميع فروع النشاط الاقتصادي والاجتماعي وتغطى كل القطاعات المختلفة. ويؤدى التخطيط الشامل الى النمو المتوازن لجميع القطاعات كما أنه ييسر للمخططين مهمة اختيار أفضل الاستخدامات البديلة للموارد المتاحة في المجتمع. ومن الواضح أن هذا النوع من التخطيط يحتاج الى اجراء دراسات متعددة لمعرفة طبيعة العلاقات القائمة بين فروع النشاط المختلفة ومدى اعتماد بعضها على بعض.

أما التخطيط القطاعي فيقصد به اعداد خطة لقطاع معين من النشاط الاقتصادي أو الاجتماعي مثل الزراعة أو التعليم، ويسود هذا النمط من التخطيط جميع الدول النامية تقريبا.

(ب) التخطيط المركزي والتخطيط اللامركزي:

يقصد بالتخطيط المركزي وجود هيئة مركزية للتخطيط تكون مسئولة عن كل ما يتعلق باعداد الخطة والرقابة على تنفيذها وادخال أي تعديلات عليها تبعا لتطورات الظروف خلال فترة التنفيذ ولا يعنى ذلك أن اعداد الخطة سيتم دون استشارة الهيئات والمنظمات والمنشآت التي ستتولى عملية التنفيذ، بل على العكس فنجاح تنفيذ الخطة يستوجب أخذ رأي المسئولين في وحدات الانتاج والخدمات لانهم أقدر على اقتراح الوسائل



والاجراءات التى من شأنها تقليل الفجوة بين ما يستهدف تحقيقه وبين ما يتحقق فعلا.

أما التخطيط اللامركزي: فتكون هناك مهام معينة تختص بها هيئة التخطيط المركزي، ومهام أخرى يترك للمنظمات المتخصصة والهيئات والمشروعات سلطة اتخاذ قرارات فيها. وفي هذا الصدد يستحسن التفرقة بين اعداد الخطة وبين تنفيذها. فاعداد الخطة لابد أن يكون مركزيا بمعنى أن الهيئة المركزية للتخطيط هي التي تحدد الحجم الكلى للاستثمار وتوزيعه على القطاعات المختلفة وحجم الانتاج والخدمات في كل قطاع وذلك لضمان أن ما يصدر من قرارات يكون قائما على أساس النظرة الى المجتمع كوحدة متكاملة وعلى الأثر الكلى الشامل لهذه القرارات، أما تنفيذ الخطة فيجب أن يعتمد على شيء من اللامركزية، والحكمة من ذلك أن مركزية تنفيذ الخطة بمعنى ضرورة الرجوع الى الهيئة المركزية للتخطيط في كل كبيرة وصغيرة يؤدي الى اطالة الاجراءات وتأخير سرعة البت ويحول دون الدراسة العميقة ويوحي بعدم الثقة ويضعف روح المسئولية ويحصر الخبرة الفنية في أشخاص قلائل. ولا شك أن كل ذلك يعوق تنفيذ الخطة ويقف حائلا دون تحقيق اهدافها في الفترة المحددة.

(جـ) التخطيط القومي والتخطيط الاقليمي:

يعتبر التخطيط القومي والتخطيط الاقليمي مستويات مختلفة للتخطيط. فالتخطيط القومي بعيد المدى موجه الى جميع الانشطة حيث تتكامل فيه الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ويهدف الى ضمان حسن استخدام الموارد المادية والبشرية المتاحة والمتوقعة لتحقيق أهداف معينة ترتبط بالسياسة القومية.

أما التخطيط الاقليمي فهو عملية متصلة من الدراسة والبحث تهدف الى تحقيق التوازن بين الموارد المتاحة وبين الاحتياجات الملحة للمجتمع الاقليمي. وتحقيق النمو المتصل والمتوازن بين أقاليم الدولة، وتقريب الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بينها مع الاخذ في الاعتبار الاهمية النسبية والميزة النسبية لكل اقليم عن الآخر.

**** تنمية المجتمع منهج وأسلوب لتطوير المجتمعات المحلية عن طريق الاهتمام بالوسائل والطرق التعليمية**

(د) التخطيط طويل المدى والتخطيط قصير المدى:

يعتبر التخطيط طويل المدى والتخطيط قصير المدى مستويات مختلفة للتخطيط من حيث البعد الزمني. فالتخطيط طويل المدى يواجه الاهداف البعيدة دون التعمق في تفصيلاتها أو تحديد وسائل تحقيقها غير أن هذه الخطة تنفذ بعد ذلك على مراحل وتحدد لكل مرحلة فترة زمنية معينة، وتوضع لكل مرحلة خطة متوسطة المدى تذهب في تحقيق

** التخطيط أسلوب علمي يهدف الى تنظيم عمليات التنمية

اهدافها الى حد معين من التفصيلات مع تحديد وسائل تحقيق هذه الاهداف. وتقسم الخطة متوسطة المدى بدورها الى خطط قصيرة المدى (سنوية) توضح كل منها حجم الموارد المتاحة والاهداف المقررة في ضوء هذه الموارد.

ان وضع خطط لمدد مختلفة يعني في الواقع الجمع بين طول المدى في توقع الاهداف وقصر المدى في تنفيذ الاهداف، أي الجمع بين بعد التوقع ودقة التنفيذ. من هذا يتضح أن التخطيط يستخدم للدلالة على اتجاهين، الاتجاه الافقي الذي يشير الى البعد الزمني كالتخطيط طويل المدى والتخطيط قصير المدى والاتجاه الرأسي الذي يقوم على المستويات المختلفة للتخطيط القومي والتخطيط الاقليمي، وتحتوي جميع هذه الانواع من التخطيط على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ووجود لغة مشتركة بين المخططين الاقتصاديين والاجتماعيين في جميع المستويات.

- هناك خطوات معينة منطقية وضرورية تتبع عند وضع أي خطة تعكس بالضرورة العمليات التي تتبع في التخطيط والمراحل التى تمر بها هذه العمليات. وتتم عمليات التخطيط طبقا لخطوات محددة نوجز الاساس منها في الآتي:

(أ) التحديد الاولى لاهداف الخطة:

يتم التحديد الاولي لاهداف الخطة بواسطة الاجهزة السياسية المسئولة وذلك في ضوء اعتبارات عامة اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية وغيرها. وعلى أساس هذه الاهداف العامة يتم وضع الاهداف التفصيلية للخطة في ضوء الدراسات التى يقوم بها جهاز التخطيط.

(ب) ترجمة الاهداف الاولية للخطة الى أهداف تفصيلية:

يتناول جهاز التخطيط هذه الاهداف ويترجمها الى اهداف تفصيلية أكثر تحديدا ويحدد لكل منها مدى أهميته النسبية بحيث يمكن على ضوء هذه الاوزان النسبية المقارنة بين الوسائل البديلة لتحقيق الخطة وتقويم الآثار المترتبة على تنفيذ الخطة فيما بعد.

(جـ) جمع البيانات والمعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات:

إن عملية التخطيط كما سبق وأن أوضحنا تمارس رأسيا من خلال مستوياتها المختلفة وأفقيا خلال جوانب تخطيطية مختلفة لكل مستوى في فترة زمنية محددة وتتزود عملية التخطيط بمجموعة من البيانات والمعلومات عند ملتقى تقاطع الخطوط الرأسية بالخطوط الافقية كما تتلقى توجيهات من المستويات الاعلى في الوقت الذي تنقل فيه المشاكل من المستويات الادنى الى المستويات الاعلى، ولتحقيق ذلك لابد من توافر نظام كفء لجميع البيانات والمعلومات والاحصاءات من الاتصال تسهل عمليات التنظيم والمتابعة والتقويم.



(د) تحديد الوسائل البديلة لتحقيق الاهداف:

يقوم المخطط بتحديد الوسائل الرئيسية التى يمكن عن طريقها تحقيق أهداف الخطة في نفس الوقت الذى يتم فيه جمع البيانات والمعلومات والاحصاءات المختلفة. فإذا فرض أن زيادة الانتاج في صناعة معينة كانت من الاهداف التفصيلية للخطة، فإن على المخطط أن يحدد الكيفية التى يمكن أن تتم بها هذه الزيادة .. هل تتم عن طريق اعادة تنظيم الانتاج لاستخدام الطاقات المعطلة فيه؟ أو هل تتم عن طريق تدريب العمال لزيادة كفاءتهم؟ أو هل تتم عن طريق زيادة الاستثمارات لزيادة القدرة الانتاجية وبالتالى زيادة الانتاج؟ ومما لا شك فيه أن لكل هذه الوسائل البديلة آثارها المباشرة وغير المباشرة وعلى هذا فإن اختيار الوسيلة المثلى يتوقف على مقدار دقة التخطيط في تحديد الوسائل البديلة المكنة ودراسته للآثار المباشرة التى يمكن أن تترتب على استخدام كل وسيلة من الوسائل البديلة المختلفة.

(هـ) تحديد الوسيلة المثلى:

الوسيلة المثلى من بين الوسائل البديلة لتحقيق الاهداف هي تلك الوسيلة التى تكون نسبة المنتج الى الموارد المستخدمة فيها أعلى النسب بالمقارنة بالوسائل الاخرى التى يتم تحديدها ودراستها، وفي الواقع أن اختيار الوسيلة المثلى من الأمور الصعبة في عمليات التخطيط ورغم هذا فإن المخطط يحاول دائما الوصول الى الحل الامثل بناء على المعلومات المتوفرة لديه عند اختيار هذا الحل. وللتأكد من سلامة الحلول المختلفة التى تم اختيارها يعاد النظر فيها عن طريق اعادة الدراسة ومحاولة جمع معلومات وبيانات جديدة.

(و) ترجمة الحل المختار الى مجموعة من الاقتراحات لاصدار قرارات تنفيذية:

تقدم بعد ذلك المقترحات الكفيلة بترجمة الحل الامثل أو المختار الى عدد من القرارات التنفيذية التى يمكن للجهات القائمة بالتنفيذ أن تتبعها للوصول الى الهدف المنشود. ولا يعني ذلك بالضرورة أن تكون هذه الخطوة من ضمن مسئوليات الجهاز المركزي للتخطيط بل يتوقف ذلك في الغالب على مدى المركزية أو اللامركزية السائدة في عملية التخطيط.

إن عملية التخطيط ترتبط بالظروف الخاصة بكل دولة وغالبا ما يكون ارتباطها أقوى بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية، لهذا فإنه من الافضل أن يكون لكل دولة نماذجها التخطيطية وألا تعتمد على استيراد ونقل نماذج دول أخرى تختلف عنها في الظروف والامكانيات، وأن تحاول تطوير وسائلها وأساليبها الخاصة وايجاد البناء التنظيمي المناسب لاداتها التخطيطية وتقويم برامج ومشروعات خططها.

التقويم:

ـ كأثر من آثار الحرب العالمية الثانية أعطت دول العالم أولوية كبيرة للمشروعات والبرامج التى تهدف الى تنمية مواردها الاقتصادية وتقوية كيانها

الاجتماعي والسياسي، وقبلت حكوماتها تحمل مسئوليات أكبر كما استخدمت مصادر أعظم من أي وقت مضى لدفع عجلة التنمية. وفي هذا الافق المتسع من عمليات التنمية، ظهرت الحاجة الى الحصول على معلومات أفضل عن النتائج التى تحققها مشروعات التنمية، كما دعت الظروف الى الاخذ بمبدأ التخطيط اقتصاديا واجتماعيا، والذي يعتبر «التقويم» بالضرورة عنصراً من عناصره.

- التقويم ليس فلسفة أو خطة عمل، فهو ليس غاية في ذاته ولكنه وسيلة من وسائل تنفيذ الفلسفة العامة أو الخطة المرسومة تقاس بها التأثيرات الكلية أو الجزئية والتغيرات التى وقعت نتيجة للوجود المادي للمشروع أو الخطة.

وتنصب عمليات التقويم في مجال التنمية الاجتماعية - في غالب الاحوال - على تجربة ميدانية سواء أكانت مشروعا أم برنامجا، وذلك خلال سريانها، وفي مجال تنفيذ عملياتها. ويتناول التقويم بصورة عامة أي مجهود موجه نحو محاولة معرفة التغيرات التى حدثت خلال وبعد فعل وتأثير مشروع أو برنامج معين وأن أي جزء من هذه التغيرات يمكن ارجاعه الى البرنامج أو المشروع نفسه. ومن المسلم به أن مثل هذا المجهود يكون أكثر نجاحا لو وضعت خطة التقويم منذ البداية في نفس الوقت الذي تحدد فيه اهداف المشروع واغراضه أي عند تخطيط المشروع أو البرنامج. وعلى هذا فالتقويم عملية تبدأ بابتداء المشروع أو البرنامج ذاته هدفها الكشف عن أحسن الطرق لتحقيق أهدافه، وهي في اطار مفهوم التخطيط عملية نقد ذاتي يجب أن تتوفر لها كل ضمانات البحث العلمي، ومن ثم فإن المنطق الذي تستند اليه وتسير به عملية التقويم يعتبر أن هذه العملية محاولة غير مباشرة للاقتراب من الطريقة المثالية في تخطيط وتنفيذ مشروعات وبرامج التنمية.

- يهدف التقويم في النهاية الى الحكم الموضوعي المبني على وقائع يتم جمعها طبقا لمعايير محددة وذلك بدراسة وتحليل المعلومات والحقائق المتوفرة وتفسيرها في ضوء العوامل والظروف التى من شأنها أن تؤثر على العمل المؤدّى سواء من حيث التصور أو التخطيط أو الادارة أو التمويل أو التوقيت أو أسلوب التنفيذ أو نوع الاستجابة أو صور النتائج... الخ.

ويتم تقويم مشروعات وبرامج التنمية الاجتماعية كأي مشروعات وبرامج أخرى من حيث النمو الكمي والكيفي ومن حيث الفاعلية والكفاية.

فتقويم نمو مشروعات وبرامج التنمية الاجتماعية يتمثل في القياس الموضوعي للتغيرات التي حدثت في المشروع أو البرنامج من جانبين: جانب التغير الكمي أي النمو بالاضافة وجانب التغير الكيفي أي النمو البنائي. فالتغير الكمي هو ذلك النمو في المشروع الذي يمكن قياسه والتعبير عنه كميا كاستكمال وحداته واجهزته ومعداته والايدي العاملة وميزانيته... الخ، مما يمكن التعبير عنه بجدول حياة المشروع أما التغير الكيفي فهو ذلك النمو البنائي الناتج عن نمو التنظيمات الداخلية للمشروع وهو في الواقع نتاج الظروف المحيطة



بالنمو نفسه كتوقيت المشروع والآراء المتصلة به ومدى استجابة المجتمع له واقتناع الاهالي باهدافه.. الخ جميعها قد تكون ذات اهمية أكبر من أي جهود تبذل اثناء سريان المشروع أو البرنامج. فالتغير الكمي والكيفي لمشروعات وبرامج التنمية يعنيان نوعين مختلفين لعمليتين احداهما قصيرة المدى (النمو الكمي) والاخرى طويلة المدى (النمو الكيفي).

ويتم تقويم المشروعات والبرامج الاجتماعية أساسا من حيث الفاعلية والكفاية، ففاعلية المشروع ترتبط بما اذا كان حقيقة يحقق اهدافه المنشودة والمدى الذي بلغه من هذه الاهداف، في حين أن كفاية المشروع ترتبط بصورة أكثر وثوقا بالتكلفة الاقتصادية التي يحقق بها المشروع أهدافه. وتأسيسا على ذلك فان تقويم كفاية المشروع تأخذ في بعض الاحيان اسما آخر هو «تحليل التكلفة والناتج» إن دور الاقتصاد يعتبر أقل أهمية في عمليات تقويم كفاية المشروعات الاجتماعية عما هو عليه في المجالات الاخرى التي تستخدم تحليل «التكلفة والناتج» كالمشروعات الاقتصادية. ففي هذه المجالات يمكن ترجمة كل الناتج وكل التكاليف الى وحدات نقدية، كما أنه يمكن حساب نسبة الناتج الى التكلفة لايضاح صلاحية المشروع من وجهة النظر الاستثمارية. أما بالنسبة للمشروعات الاجتماعية فإنه من الواضح بداهة أن كثيرا من عائد هذه المشروعات لا يمكن ترجمته الى وحدات نقدية ذات دلالة، إذ قد لا نجد أي عائد اقتصادي مباشر أو أي أساس لتحديد ذلك في صورة نقدية. وربما يكون أهم تساؤل جدير بالاثارة في هذا المجال هو: أي من المشروعات البديلة يمكنها أن تحقق هذه النتائج بفاعلية أكثر وبتكلفة أقل؟ وبصورة أخرى: أي من المشروعات هو «الحدية» من حيث العلاقة بين الفاعلية والتكلفة.

- لما كان العائد من المشروعات الاجتماعية يتضمن عادة تغييرا ما فإنه من المفيد أن يكون لدى المقوم معرفة بالنظريات المتصلة بهذا التغيير لتحديد مكنات التغيير المرغوب. إن أي محاولة لتقويم المشروعات الاجتماعية دون الاخذ في الاعتبار بالاسس النظرية التي تقوم عليها، تكون بمثابة ربط سطحى بين الاستثمارات والناتج، حيث إن المبادىء التي تؤخذ من هذه النظريات تعطي خطوطا توضيحية لاسلوب التأثير المستخدم في المشروع، كما أن هذه النظريات لها أهميتها في تخطيط المشروعات الاجتماعية حيث انها في مضمونها تحدد الاهداف المرحلية والمتتالية للمشروع. فمثلا يرتبط مفهوم «تعليم الكبار» بجوانب متميزة من النظرية الاجتماعية منها «نظرية التعلم»، «نظرية الدوافع»، «نظرية الاتجاهات»، «نظرية الدور».... الخ.

والذي يهمنا أن نخلص اليه هو أن التخطيط والتقويم أصبحا الآن من الركائز الاساسية لاي عمل ناجح في مجالات التنمية الاجتماعية، وعلى هذا يجب اعداد العدة لاختيار الافراد الأكفاء لاعدادهم وتدريبهم على هذه العمليات الحديثة حتى يمكن تطوير العمل في الاتجاهات العلمية السليمة التى تحقق اهداف المجتمع في اطار قيمه ومبادئه ومثله العليا.

خطيب الجمعة ودوره في التوعية الإسلامية وفي التوجيه والإرشاد

يتميز المسجد في الإسلام بأنه المؤسسة الأولى من بين المؤسسات في المجتمع الإسلامي على الإطلاق، لكونه مكان صلاة وعبادة، وتعلم وتعليم، وتوجيه وتثقيف، وهو ما ينفرد به عن غيره من دور العبادة وأماكنها في جميع الأديان السابقة عليه كلها، ومن هذا الامتياز والاختصاص يستمد المسجد أهميته الكبرى ودوره الحضاري، وأثره في أوجه النشاط المختلفة، وجوانب الحياة المتعددة في المجتمعات الاسلامية.

فالمساجد بيوت الله، ومجتمع المؤمنين وملتقاهم، ومركز العلم والدين، لأنها مدرستهم وجامعتهم فيها يتلون كتاب الله ويقرأونه ويتدارسونه بينهم، ويتعلمون السنة ويفقهون أحكامها، وهي معقل الدعوة الاسلامية، وموئل التربية الدينية، وهي مقر الندوة ومنطلق الجهاد، وفيها تبعث النفوس وتحيا العقول، وتتقوى العزائم، وينطلق الإشعاع إلى الناس جميعا، وبذلك استحقت أن يسميها الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} رياضا للجنة و«أحب البلاد إلى الله تعالى» مصداقا لما أكده القرآن الكريم بقوله: {**في بيوت أذن الله أن تُرْفَع ويُذْكَر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**} (النور/ ٣٦، ٣٧).

والمسجد النبوي الشريف منذ تأسيسه أصبح قلب المدينة النابض، ومركز خدمة المجتمع الإسلامي، ومجمع أهل الرأى والشورى، ومحور أنشطة الدولة ومصالحها المتعددة، وغدا مصدر الاشعاع الإسلامي ومجتمع المسلمين، لأنه كان فيه الصلاة، والقراءة، والذكر، وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة، وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون في كل ما يهمهم من أمر دينهم

بقلم: أ.د. يوسف الكتانى ـ استاذ التعليم العالى ـ جامعة القرويين ـ المغرب





ودنياهم، كما أكد ذلك ابن تيمية[١].

ومن هنا اعتبر المسجد أهم معالم الحضارة الإسلامية، وقوام الحياة الإسلامية، ومركز التأثير والتوجيه، مما يعطي الأهمية للقائمين عليه، والعاملين فيه، والمسيرين له من أئمة وخطباء وعلماء، ويجعل مسؤوليتهم عظمى ودورهم خيرا في حياة الأمة الاسلامية، لاتصالهم الدائم بالناس وارتباطهم المستمر بهم ولما لهم من التأثير في حياتهم كلها، وفي مقدمتهم الخطباء لما لهم من دور في التوجيه والارشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولأهمية دور الامامة والخطابة تولاها الرسول {صلى الله عليه وسلم} منذ بعثته الشريفة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ثم تولاها من بعده خلفاؤه الراشدون، وظل أمرها راجعا الى الخليفة أو من ينوب عنه من أهل العلم والفضل، الذين هم وحدهم المؤهلون في شريعة الإسلام لامامة المسلمين والخطابة فيهم.

خطيب الجمعة داعية الى الله:

إن خطيب الجمعة يستمد مسؤوليته ودوره ومنهجه من مبدأ الدعوة الإسلامية التى هي أساس رسالة الرسل عليهم السلام، ومنطلق تبليغهم وحركاتهم مصداقا لقوله تعالى: {**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**} (فصلت/ ٣٣) ومن ثم يكون دور الخطيب هو دور الداعية في المجتمع الاسلامي وتكون

الصفات والميزات المشروطة في الخطيب هي نفس صفات الداعي ومميزاته فما هي إذن صفات خطيب الجمعة؟.

من صفات خطيب الجمعة ومميزاته:

١ - عقيدة راسخة، مؤسسة على البرهان اليقيني.

٢ - ملكة نفسية عميقة الجذور متولدة عن هذه العقيدة.

٣ - إرادة تنبعث عن هذه الملكة، منطلقة على طريق الخير.

٤ - كيان يعتز بأعمال الخير والبر، تدفعه تلك الإرادة المحركة.

٥ - وأن يكون هو صالحا في ذات نفسه، وأن يستمر في العمل من أجل بقائه كذلك، لأن ذلك هو مظهر مسؤوليته في التوجيه والإرشاد.

٦ - أن تكون اعماله وتصرفاته مرآة لأخلاقه وسلوكه، باعتباره قدوة للناس، مصداقا لقوله عليه السلام: «أئمتكم شفعاؤكم فاختاروا بمن تستشفعوا».

٧ - أن يكون شجاعا في الحق، صادقا في الرأي، مؤمنا بما يدعو إليه، وأن يقوم بعمله احتسابا لله قبل كل شيء، لأن الاخلاص والتجرد هو غاية كل العبادات، مصداقا لقوله عز وجل: **{وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة}** (البينة/ ٥).

٨ - أن يكون بصيرا بالوسط الذى يعيش فيه، خبيرا بأحوال النفوس، عارفا بطبائع الناس وسائر احوالهم الاجتماعية، قاصدا الهداية المطلوبة من طريقها النافع.

٩ - العلم التام بما يدعو إليه، وهو العلم بالقرآن، والسنة، والسيرة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين، وسلف الأمة الصالح، والمذاهب الفقهية، والنظريات العلمية، ومختلف الفرق والنحل.

١٠ - التزام الحكمة في الخطبة، باحترام من يخاطبه، ومراعاة عواطف من يحاوره ويرشده، مصداقا للآية الكريمة: **{ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}** (النحل/١٢٥).

منهج خطبة الجمعة .. وكيف ينبغي أن تكون:

لما كانت خطبة الجمعة من شعائر الاسلام الكبرى، ولأهميتها ودورها وتأثيرها في الناس، وجب أن تكون منهجية في اسلوبها ومعانيها، حتى تنساب الى النفوس، وتسكن القلوب، وتحدث الآثار المرجوة منها في التغيير والإصلاح والارشاد، وتتحقق المقاصد المبتغاة منها وتكون مرآة لما حواه الاسلام من معرفة صالحة وأرشد اليه من تربية كريمة لذلك ينبغى أن تتضمن الخطبة العناصر التالية:

١ - ضرورة أن يكون موضوع الخطبة واحدا وواضحا، حتى لا تتشعب بالمستمع والمتلقي السبل ولا تتعدد عليه القضايا فيتشتت ذهنه، وتختلط عليه



الموضوعات فلا يعقل منها شيئا.

٢ ـ ينبغي أن تكون حلقات موضوع الخطبة متسلسلة تسلسلا منطقيا مقبولا، يجعل منها وحدة متكاملة حتى يستطيع المستمعون متابعته في جميع خطبته، وأن يفهموها ويستفيدوا منها تحقيقا لمقاصدها.

٣ ـ ينبغي أن تعتمد الخطبة أساسا على القرآن والسنة باعتبارهما الأصلين الكريمين من أصول الاسلام، مما يتحتم معه الابتعاد عن الأحاديث الموضوعة، والأخبار الواهية، والمبالغات التى لا تتفق مع الشرع، وتتنافي مع العقل.

٤ ـ كما ينبغي للخطيب أن يتجنب في خطبته الأمور الخلافية، والجزئيات التى لا طائل من ورائها، وذلك حتى لا تخرج الخطبة عن مقاصدها وتؤدي إلى نتائج عكسية.

٥ ـ ينبغي الربط بين موضوع الخطبة وبين الأحداث الاسلامية حتى تتحقق الملاءمة بين الدين والحياة، ويرتبط الناس بدينهم، ويجدون فيه الحلول الناجعة لقضاياهم ومشاكلهم، فإن القرآن الكريم نزل منجما طوال البعثة النبوية، متجاوبا مع الناس، موجها لحياتهم.

٦ ـ ينبغي أن تبتعد الخطبة عن أسلوب اليأس والقنوط من رحمة الله، والتشاؤم من أحداث الحياة ومشاكلها لأن ذلك لا يؤدي إلى خير، ويخرج بالخطبة عن مقاصدها الشرعية السامية، ومراعاة ظروف الترغيب وأحوال الترهيب كل في محلها، أي أن تكون روح الخطبة وتوجيهها مبنيا على التبشير والتيسير، مصداقا للحديث الشريف: **«يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»**[٢].

٧ ـ ينبغي أن تكون الخطبة مركزة موجزة مختصرة، وأن يكون أسلوبها وعبارتها وألفاظها سهلة يسيرة، بعيدة عن الغرابة والتكلف، وتأسيا بالرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} في خطبه التى كانت تعد كلماتها عدا، وكذا الشأن في جميع خطب الخلفاء الراشدين، وسلف الأمة الصالح، لأن التطويل يؤدي إلى الملل والسأم، مصداقا للحديث الشريف: **«يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فمن أمَّ بالناس فليتجوز، فإنّ خلْفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»**[٣].

٨ ـ ينبغي ألا تقتصر الخطبة على النصوص المجردة، بل لابد من شرحها وتوضيحها، وبيان معانيها مع ضرب الأمثال والعبر من قصص الأنبياء والصالحين، ومن السيرة النبوية الطاهرة، وسيرة الخلفاء ومن تبعهم بإحسان، تأسيا واقتداء بأسلوب القرآن في الدعوة والتبليغ، وما سار عليه الرسول الكريم في سنته الشريفة، ولذلك ينبغي في الخطبة التذكير بأيام الله واستخلاص العبر منها في المناسبات، مصداقا لقوله تعالى: {**وذكرهم بأيام الله**} (ابراهيم/ ٧١).

وقوله تعالى: {**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**} (فصلت/ ٥٢).

٩ ـ ينبغي ألا تكون الخطبة سلبية تقتصر على

سرد النصوص والاستدلال بها، دون توجيه لحياة الناس، وتغيير للمنكر في حياتهم، وتعرض للشبهات والأباطيل، وتفنيدها ودحضها والرد عليها، مصداقا لقوله تعالى: {**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**} (الأنبياء/ ١٨)، وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو روح الشريعة وأساس الدعوة، مصداقا لقوله تعالى: {**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولائك هم المفلحون**} (آل عمران/ ١٠٤).

١٠ - ويستحب أن تتضمن الخطبة الدعاء للمسلمين بالهداية والتوفيق والتيسير، وفي مقدمتهم ملوك المسلمين وحكامهم، كما قال الحسن البصري «لو كانت لي دعوة مستجابة لوهبتها للسلطان، فإن الله يصلح بصلاحه خلقا كثيرين.

الدور الفاعل والمؤثر لخطيب الجمعة:

١ - تعميق الايمان في النفوس والقلوب، والايمان بوحدانية الله وكتبه ورسله وملائكته وبالبعث والنشور، وذلك عن طريق التلقين والتبليغ، والتوضيح المستمر المتواصل.

٢ - هداية الناس الي الحق، ودعوتهم الى الخير والتقوى والبر، مصداقا لقوله عليه السلام: «لأن يهدى الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس»[٤].

٣ - تفقيه الناس في أمور دينهم، وتعريفهم بتاريخهم، وحضارتهم، ومعالمهم.

٤ - غرس الفضائل والكمالات في نفوسهم عن طريق أحداث السيرة النبوية، وتعاليم الرسول وتوجيهاته وصحابته، بضرب الأمثال الحية والواقعة من حياته الشريفة.

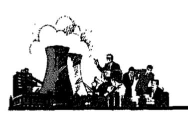
٥ - تمتين روابطهم بالاسلام، وتأكيد علاقتهم به عن طريق ربط الدين بالحياة، والايمان بالعلم كما جاء بذلك القرآن والسنة الشريفة.

٦ - تعويدهم على التواصي بالحق والانتصار له، والقول الحق مصداقا لقوله تعالى: {**والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**} (سورة العصر).

٧ - تعويد الناس على رقابة أنفسهم وضمائرهم وأعمالهم، ليبقوا سائرين على الصراط المستقيم، وذلك عن طريق تعهدهم بالنصح والهداية، مصداقا لقوله تعالى: {**إن الله لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم**} (الرعد/ ١٢).

٨ - توجيههم الدائم الى التفكر في أنفسهم، وفي مخلوقات ربهم، وفي آلائه ونعمه، فذلك أدعى إلى التعلم والهداية والالتزام بالمنهج الاسلامي السليم.

٩ - تعويدهم على الثبات على المبدأ ، والصبر عند الشدائد والمبادرة الى الجهاد في سبيل الله تحريرا لأنفسهم وأوطانهم، ودفاعا عن دينهم، مصداقا لقوله عليه السلام: «**ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني رسولا، وأنزل عليَّ كتابا، وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت**



فإن تقبلوا عني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تربوه عَلَيَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»[٥].

١٠ ـ توضيح ما غمض عليهم، وبيان ما خفي عنهم، وتنبيههم الى ما ينبغي عمله، وما يجب تركه من باب الأمر بالمعروف والنهي والمنكر.

خطب الرسول نموذج وقدوة:

كانت أول خطبة خطبها الرسول عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: **«أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٦].**

ثم خطب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس مرة أخرى فقال: **«إن الحمد لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقسُ عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي، قد سماه الله خيرته من الأعمال، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده، والسلام عليكم[٧].**

الهوامش:

(١) د. عبد الحليم محمود ـ المسجد وأثره في المجتمع الاسلامي ص ٣٣.

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ـ كتاب الجهاد ـ باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ومن عصا إمامه ٢٦/٤.

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب من شكا إمامه إذا طوّل ـ فتح الباري ٢٠٠/٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٧٢/٤ ـ طبعة دار إحياء التراث العربي ـ لبنان.

(٥) رواه السيوطي في الدر المنثور ٢٠٢/٤ والطبرى في التفسير ١١١/١٥ وابن كثير في تفسيره ١١٦/٥ والقرطبي في تفسيره ٣٢٨/١٠.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ١٤٦/٢.

(٧) المصدر السابق ١٤٦/٢ و ١٤٧.

الفضائيات وأثرها على المجتمع

أكثر الباحثين في علم إعلام الفضائيات أو ما يمكن أن نسميه بالبث المباشر D.B.S وقفوا على كثير من الحقائق التي تعطي مؤشراً كبيراً على أن ثمة اختلالا وعدم توازن في النظام الإعلامي الدولي مما ومنح العديد من دول العالم الثالث عامة والدول العربية خاصة فريسة أمام تحديات الاعلام الدولي الذي أخذ بشكل معاكس من خلال قنواته الفضائية يؤثر على ثقافات الدول الصغيرة والنامية وخصوصاً على الشرائح الاجتماعية من الشباب الذين تأثروا بانبهار بالحضارات والثقافات الأوربية وعلى وجه الخصوص الأمريكية التي تشكل في وقتنا الحاضر نظام القطب الواحد في اتجاه أحادي.

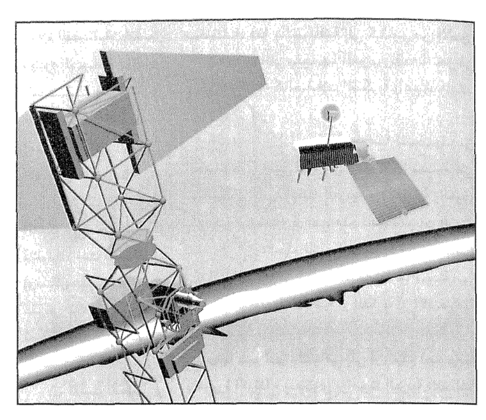
ومن خلال وقوفنا على كثير من البرامج التي تبثها القنوات الفضائية الدولية أو العربية بالتبعية، يلاحظ أن معظمها يسير في الاتجاه الفكري والثقافي نحو شبابنا - الذي بات يتأثر بها بشكل ملاحظ في أنماطها الايديولوجية ذات الاتجاه الفكري الواحد الذي يأخذ في أنظمته وفي اعتباره التكتيك التنميطي الذي يسلب الأفكار ويشكلها ويحتويها وفق اتجاهاته ورغباته بما يخدم بها مصلحته الفكرية والثقافية، لكي تكون حافظة لأوامره ومصالحه «البراجماتية».

ولما كان شبابنا هو المستهدف الرئيسي في نظام العولمة (Golobalization)، اهتم الإعلام الدولي الممثل في فضائياته بهذا العنصر المهم من شرائح الشباب في المجتمعات النامية وذلك لأن له أهمية خاصة في بناء الأمم والشعوب. ومن خلال هذه الايدلوجيات في الاتجاه الفكري نحو شبابنا العربي والمسلم **استطاع الاعلام الدولي عبر فضائياته أن ينجح إلى حد كبير في استلاب الثقافة العربية والاسلامية من خلال الاختراق الفكري والثقافي لشبابنا مما يؤثر سلباً على مستقبل هويتنا العربية والاسلامية التى نخشى عليها أن تطمس معالمها وملامحها وتصبح منمطة بهوية الغرب.**

وأحسب أن الارتقاء في مستوى الاعلام الدولي سواء من حيث الشكل أو المضمون هو الذي ساعد الى حد كبير في انبهار شبابنا به - خاصة وأنه مسلح بأحدث التكنولوجيا المتطورة والمستوى العلمي الرفيع الذي استطاع أن يحتوي العقل العربي والاسلامي بما أحدثه من أثر في مضمون رسالته الإعلامية المتطورة من تغيير الاتجاهات والمواقف في الرأي العام العربي والإسلامي الذي تأثر به. بما يخدم «براجماتيته» في كل الاتجاهات الموجهة إلينا خصوصا إذا أخذنا في الاعتبار أن الشباب بحكم فترة المراهقة التي يمرون بها وما تتميز به هذه المرحلة من خصائص فسيولوجية وسيكولوجية سيقبلون على مشاهدة برامج البث المباشر أو ما

بقلم : د. غازي زين عوض الله - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة





** البث الفضائي الوافد يستهدف قطاع الشباب لأنهم الاكثر تأثراً وانبهاراً

يسمى بإعلام الفضائيات بدرجات متفاوتة وفقاً لمبدأ الفروق الفردية بينهم ومدى تعمق الإيمان في قلوبهم بالرسالة الإعلامية الموجهة لهم إضافة لعدم وعي الوالدين بمدى حساسية الفترة التي يمر بها أبناؤهم ودورهم في عدم التوجيه والمراقبة بما تحكمه فرضية أو نظرية الالتقاء المرشد من قبل الوالدين لأبنائهم نحو خطورة البث المباشر.

ونحن نعرف سلفاً كما يعرفه الآخرون من الباحثين وغيرهم المهتمون بدراسة مضمون البرامج الفضائية الموجهة **أن للبث المباشر من الخطورة الاجتماعية على المجتمع عامة والشباب خاصة ما يدعونا للوقوف عنده والعمل على تفادي أخطاره**، ولا يمكن أن ينكر أحدنا ذلك خصوصاً بعد ظهور الكثير من السلبيات التي انعكست على سلوكيات شبابنا في اتجاه معاكس لكثير من عاداتنا وقيمنا الإنسانية والحضارية تشبهاً بالصورة الحضارية الغربية التى لا تتوافق مع طبيعة الأشياء التي تحكمنا في أعرافنا الاجتماعية والثقافية والفكرية والعقدية.

فلهذا لايمكننا أن نهون من خطورة الإعلام الفضائي بما يحدثه من أثر يحمل في طياته الشر الكثير، فضررها أكثر من نفعها لأنه من الملاحظ أن أكثر البرامج التي تبث من الفضائيات الأوروبية **وبعض الفضائيات العربية - وللأسف الشديد - تحمل في مضمونها أبعاداً ثقافية وفكرية لا تبعث على الارتياح النفسي والفكري الذي يخدم العمل النبيل والصورة الجيدة في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين المجتمعات المختلفة بل إن لها من التوجيهات التي تقوم على تخدير واشغال الطاقات الشابة وتعطيلها ومحاكاة الرغبة البهيمية في النفس الإنسانية محاكاة لا تخلو من الاسفاف والسخف**[١]، وامتدت خطورة

** الإرسال الأوروبي والامريكي حركة استلاب مدروسة نحو الاتجاه الواحد والقطب الواحد

** العولمة صياغة جديدة للمجتمعات المتخلفة في بوتقة الفكر والثقافة الغالبة

إعلام الفضائيات لتشمل وجوه الحياة سواء من الناحية الدينية أو السياسية أو الاقتصادية إضافة إلى النواحي الثقافية والاجتماعية.

ويذكر لنا ذلك ناصر العمر في محاضرة له بعنوان «البث المباشر» (وسائل سمعية حيث عرض تلك الوجوه التي تمثل خطورة البث المباشر).

١ - تقليد النصارى في عقيدتهم مثل: الانحناء، حمل الصليب، دخول بدعة الأعياد وهذا حدث اجتماعي في أغلب الأسر الإسلامية والعربية.

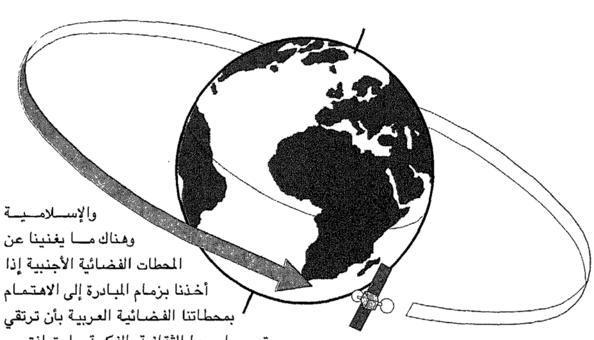
٢ - تمجيد النصارى والانبهار بهم ودفع الشباب الى تقليدهم ليصبحوا صوراً ممسوخة لهم، والأمثلة على ذلك كثيرة فيما نشاهده من برامج لها خصوصيتها في مثل هذه الأحداث الاجتماعية التي يفرزها الغرب ويقلدها شبابنا في مناسبات اجتماعية مختلفة، هذا بالإضافة إلى كثير من الأمور الاجتماعية التي يقيمها الغرب ونقلدها نحن في صورة عمياء كالحفلات التنكرية وأعياد الميلاد وغيرها.

وقد يكون لنا عذرنا عندما نتخوف من الفضائيات ونحسب لها ألف حساب مما نخشاه على تنميط ثقافاتنا وهواياتنا العربية والإسلامية والخوف يأتي من مضمون برامج هذه الفضائيات التي لا نستطيع أن نتحكم فيها أرضيا ولا فضائياً بمحاصرتها وفرض القيود عليها إذا ما وجدنا أنها لا تخدم مصالحنا الثقافية أو الفكرية أو الاقتصادية أو السياسية أو الدينية.

وهذا ما أدى بالتالي إلى أن نرفع أصواتنا بضرورة الارتفاع بمستوى برامجنا العربية الفضائية التي تتوافق مع بيئتنا الاجتماعية والثقافية والفكرية وفيها ما يغنينا ويغني شبابنا عن مشاهدة الفضائيات الأوروبية والأمريكية **ولكن المشكلة أن مثل هذا الارتقاء في تحسين مستوى البرامج باختلاف أشكالها وأنواعها يحتاج إلى عقول مفكرة أكثر من كونها مخططة لأهداف وأبعاد تجارية تلاحق متطلبات سوق الإعلام التجاري الذى يتحكم فيه المعلن لكي يخدم مصلحة ترويج إنتاجه من السلع التجارية التي تحتاج الى برامج ترفيهية لا تلتزم بأخلاقيات المهنة الإعلامية الجادة** بقدر حرصها على تقديم البرامج ذات الطعم واللون المثير الذي يخاطب الغرائز الحسية قبل العقل الجاد ذي الفكر المستنير.

وهذا هو مكمن الخطر والضرر فإذا كان الإعلان التجاري مساعداً إلى حد كبير في تسطيح ثقافة المشاهد من أجل خدمة أغراضه الاستهلاكية والتنميطية فإن كثيراً من البرامج التي تبثها القنوات الفضائية الأوروبية والعربية وقفت هي الأخرى إلى





جانب الإعلان التجاري في تنميط ثقافة المشاهد بما يخدم أغراضها ومصالحها الخاصة التي تبعث على التواكل وعدم الاهتمام بالوقت حيث ان المشاهد يقضى أمام الفضائيات الساعات الطوال دون أن يخرج بأي فائدة تنمي معارفه الفكرية والثقافية وكان بالإمكان الاستفادة من ذلك الوقت في وجوه تعود عليه بالنفع فيما لو توفرت له القراءة الجادة والإطلاع المفيد والترفيه البريء.

ونخلص من وراء ذلك كله إلى أنه كما أن للفضائيات آثاراً سلبية علينا في كثير من الأمور الاجتماعية والثقافية والفكرية التي نتعرض لها من خلال منظومة برامجها فلها أيضا من الآثار الإيجابية التي تنعكس علينا إيجابياً في تنمية ثقافتنا الفكرية والمعرفية والمهارية إذا ما أخذنا في الاعتبار أهمية النظر إلى الاختيار الأمثل والأفضل من البرامج المنتقاه التي تقدمها بين وقت وآخر بعض المحطات الفضائية الأجنبية والعربية والتي لها من الفوائد العلمية ما يخدم مصلحتنا القومية والإسلامية وهناك ما يغنينا عن المحطات الفضائية الأجنبية إذا أخذنا بزمام المبادرة إلى الاهتمام بمحطاتنا الفضائية العربية بأن ترتقي بمستوى برامجها الثقافية والفكرية بما يتوافق مع عقول الشباب المستنير الذي أخذ بلا شك بالرغم من تأثره بسلبيات الفضائيات الأجنبية من حيث الايديلوجيات والأفكار المعادية يستفيد من الجانب الآخر بالعمل الايجابي من إعلام الفضائيات الدولية التي احتوته وساعدته الى حد كبير في تنمية مهاراته الفكرية والثقافية وأصبحت بالنسبة له موطن جذب وانبهار حتى انه ادمن عليها وأدار ظهره عن كل المحطات المحلية العربية والفضائية ولم يعد يلقي أي بال لها إلا ما ندر وما أعنيه هنا أنه **لابد من إعادة النظر في تحديث برامجنا المحلية والفضائية بما يتوافق مع معطيات نمونا الحضاري والفكري وبما نستطيع من خلاله أن نكون مقنعين للمشاهد المستنير لكي يقبل على محطاتنا ويعجب بها ويأخذها بديلا عن غيرها من المحطات** الفضائية الأوروبية والأمريكية التي تتمتع بخريطتها البرامجية بدسامة مضمونها العلمي والفكري والطرح الجريء والمناقشة الموضوعية لكثير من القضايا التي يتم طرحها بأسلوب وحوار هادف وبناء واحترام للرأي

**** فضائياتنا العربية في أغلبها بعيدة كل البعد عن واقع الحياة ومستجداتها**

**** الاعلام العربي والاسلامى عليه ان يعي المستجدات ويدرك متطلباتها ويعمل على تطويعها لقيمه ومبادئه**

الآخر دون الاستخفاف بقيمة المشاهد الذي يتابعها وإذا أردنا أن نحقق ما حققه الغرب من هذا التكتيك الفكري المتطور في اشكال علمية متعددة الجوانب ومتميزة من حيث الشكل والمضمون في تلك البرامج المتقدمة **علينا أن نغير أو نحول اتجاه المشاهد العربي المسلم لمتابعة محطاتنا الفضائية** عندما يجد منها برامج تحمل في مضمونها وفي شكلها أطواراً متقدمة من العلوم والتكنولوجيا ومن واقع اجتماعي وثقافي متعايش ومن طرح قضايا معاصرة تهم المشاهد في كل نواحي حياته العامة والخاصة ويجد فيها كل ما يعينه على معالجة مشكلاته التي تشكل له هاجساً مخيفاً تجاه مستقبله.

كما يمكننا من خلال هذه الأطروحات التي نقدمها لمشاهدنا العربي المسلم وفق تصورنا للمستقبل ونحن على مشارف دخول القرن الحادي والعشرين أن **نقاوم كل التيارات المعادية الموجهة ضدنا** وضد شبابنا خاصة سلباً ونستبدلها بأفكار وايديلوجيات عربية إسلامية تخدم مصالحنا على كافة الأوجه.

التحصين الاجتماعي على المستوى المحلي[٢]:

يرى كثير من الباحثين والمفكرين والمهتمين بدراسة آثار البث المباشر من الناحية الايجابية والسلبية بأن لكل دولة عربية وإسلامية سبلا تستطيع من خلالها تضييق الآثار المترتبة على القنوات الفضائية العالمية في أضيق نطاق حتى إذا ما كان لديها الوعي الكافي والمبادرة الحاسمة من هذه السبل ويمكن حصرها في النقاط التالية:

١ ـ **تكوين فريق عمل متخصص لدراسة الآثار الناتجة عن البث المباشر** تشمل أثر الاتصال العالمي على مفاهيم المجتمع سلباً وإيجاباً وأثرها على القيم والسلوك وأوجه التغيرات التي حدثت بعد هذا الاتصال وكيف يجب أن تتخذ الحلول للتحصين الاجتماعي خصوصاً بعد انتشار الإعلام الفضائي الذى غزا بيوتنا دون أن يكون لنا أي تدخل فيه.

٢ ـ **وضع سياسة وطنية تشجع الانتاج المحلي والتأليف والابتكار للمواهب النابغة لإنتاج برامج محلية تنافس البرامج المبثوثة عن طريق الأقمار الصناعية** وخاصة من ناحية المضمون[٣].

٣ ـ **توعية الرأي العام بالأهداف الحقيقية للبث المباشر والانعكاسات الاجتماعية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع** وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة من ندوات ومحاضرات ومناقشات المختصين واستطلاع آراء أولياء الأمور والأبناء لتقريب وجهات



النظر والتوصل إلى حلول مناسبة.

٤ ـ **الاهتمام ببرامج الشباب خاصة وطرح مشكلاتهم وقضاياهم** لمناقشتها وتقديم الحلول لها كما يجب الاهتمام بملء أوقات الفراغ لديهم بأساليب ممتعة ومفيدة في آن واحد[٤].

٥ ـ **التوسع في استخدام الوسائل الإعلامية البديلة كالكتاب والمجلة والشريط الإسلامي وتعاون الدعاة فيما بينهم في هذا الشأن وغيره**[٥]، مما يساعد على امتصاص الكثير من الآثار السلبية التي يفرزها إعلام الفضائيات على الأفراد والمجتمع وعلى وجه الخصوص الشباب الذين يأتي تأثرهم من الانبهار الحضارى الأوروبي ويتمثل في صور سلبية لا تخدم حضارة أمتهم وثقافتهم بقدر ما نستفيد منها في التطوير بما يتوافق مع قيمنا وحضارتنا الأصيلة التي كسبناها من قيمنا الدينية المتحضرة.

وبعد أن تعرفنا على أبعاد الخطر الذي يهدد الدول الإسلامية والعربية عامة ويهدد شبابنا خاصة من آثار اللعبة الاستعمارية الأوروبية والأمريكية الجديدة عن طريق إعلامها الفضائي الموجه لمجتمعاتنا بآثاره السلبية الذي يعتبر بحق أدهي وأخطر أساليب الحرب حيث انها حرب خفية مغلفة بعبارات وأهداف براقة قد تخدع الكثير من ذوي النوايا الطيبة.

وكما تشير العديد من الدراسات العلمية التي درست آثار إعلام الفضائيات الأوروبية والأمريكية الموجهة لمجتمعاتنا إن ضررها أكثر من نفعها وإن الذين يتأثرون بايجابياتها قلة من الناس والعكس صحيح من الجانب السلبي وهذا ما يفرض علينا أن لا نتهاون في الأخذ في الاعتبار بالدراسات العلمية المتخصصة التي توضح لنا مدى خطوزة وأبعاد اللعبة الأوروبية والأمريكية في التفنن بإعلامها والذي هدفه الأساس استلاب ثقافتنا وتنميطها بثقافته لطمس كل ما هو من شخصية العربي المسلم والهدف معروف لدى الجميع.

المراجع العلمية:

(١) محمد زكي، مشاهد العنف في التلفزيون العربي ص ١٢٢.

(٢) حمدي قنديل، اتصالات الفضاء ص ٢٣٣.

(٣) ابراهيم إمام، كيف نتصدى لطوفان البث المباشر ص ٣٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ندوة البث المباشر ـ الحرس الوطني ـ مهرجان الجنادرية عام ١٤٠٩هـ عن البث المباشر حقائق وأرقام، د. ناصر بن سليمان العمر ص ١١١.

**** إدارات الدعوة والارشاد في عالمنا الاسلامي والعربي، عليها فقه واقع الحياة، وتحديد صياغة هذا الواقع في اطار الدين ومعطياته وثوابته**

الهجرة الريفية الحضرية وانعكاساتها على معدلات العمالة والعطالة

نسبة لأن غالبية القوى العاملة في المناطق الحضرية في الدول النامية تتكون من المهاجرين، فإن معدل الهجرة الريفية الحضرية هو المحدد الأساسي لعرض طالبي الوظائف الجديدة. وعليه فإنه من أجل الوصول إلى فهم طبيعة وأسباب العطالة في الحضر يجب أن تكون هناك معرفة واضحة بعمليات الهجرة الريفية الحضرية. الأبحاث التي تتعلق بالبحث عن العوامل الهامة المؤثرة في الهجرات الريفية الحضرية والعلاقة بين الهجرة الريفية الحضرية والفرص الاقتصادية النسبية تحتل أهمية عظمى هذه الأيام.

هدف هذا البحث هو استعراض ونقد أهم النماذج التي وضعت عن اقتصاديات الهجرة الريفية الحضرية.

نموذج لويس - فاي - رانز:

النموذج التقليدي الذي يعرضه كل من لويس وفاي ورانز ينحو تجاه مرغوبية الهجرات الداخلية المتواصلة، الذي بموجبه يتم سحب فائض العمالة الريفية من الزراعة التقليدية لتعمل في المناطق الحضرية مانحة بالتالي قوى عاملة زهيدة الثمن للعمل في المصانع الحديثة في الحضر.

يشجع لويس وزملاؤه تحرك العمال من القطاع الزراعي إلى القطاع الصناعي. من أجل حدوث ذلك، يوصي لويس بإعطاء المهاجرين أجرا أعلى من حد الكفاف Subsistence Wage الذي كانوا يتقاضونه من قبل عندما كانوا عمالا زراعيين كحافز لهم كي يهجروا العمل الزراعي ويقدموا إلى المدن.

إذن فإن عملية الهجرات كانت تعتبر ذات فائدة اجتماعية واقتصادية وذلك لأن الموارد البشرية يتم تحركيها من موقع لا يكاد يتعدى فيها معدل الإنتاج الحدي عن صفر إلى مواقع أخرى لا يكون فيها معدل الإنتاج الحدي فيها موجبا فقط بل ينمو بخطى متزايدة نتيجة للتراكم الرأسمالي والتقدم التقني[١].

يسلم نموذج فاي ورانز بأن معدل الإنتاج

بقلم: د. محمد عثمان الأمين نوري - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة



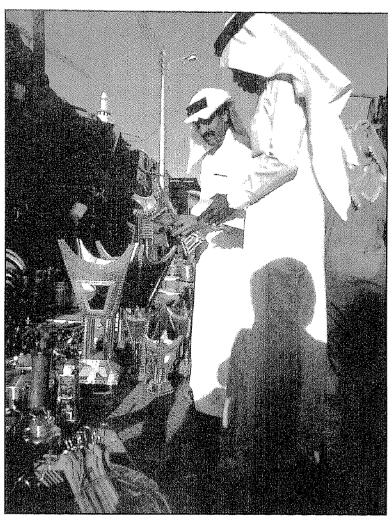


الحدي للعمالة الزراعية يبلغ صفرا وعليه فإن معظم العمال الزراعيين يمكن سحبهم من الحقول للعمل بالمصانع دون إحداث أي آثار سلبية على معدلات الإنتاج الزراعي الكلي. يعزز النموذج حجته بالتأكيد على أن سحب الفائض من العمال الزراعيين يؤدي إلى تقليل تكلفة العمليات الزراعية وفي نفس الوقت استغلال طاقتهم العاملة استغلالا أمثل في مواقع أخرى (المناطق الحضرية) يكون فيها معدل الإنتاج الحدي موجبا[٢].

عضّد هيرك هذا الاتجاه عندما رأى أنه في غياب أي نزوح من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية - حيث تبز معدلات الخصوبة الريفية الخصوبة الحضرية - فإن القوى العاملة في القطاع الزراعي ستنمو بمعدلات أعلى من نمو القوى العاملة في القطاع الصناعي. في ظل هذه الظروف فإن الهجرة من الريف إلى المدن تعتبر ضرورة إذا كانت بمعدلات متوازنة تضمن توازن القوى العاملة في القطاعين، وقد تصبح ذات أهمية نوعية إذا غدا نمو القطاع الصناعي هدفا رئيسا من أهداف الاقتصاد النامي[٣].

الهجرة الريفية الحضرية وكفاءة توزيع الموارد البشرية يعرضها هؤلاء باعتبارها تحقيقا فعليا لعملية التكيّف الذاتي التي تعمل على مساواة معدلات الإنتاج في القطاعات المختلفة وبالتالي لم يعتبر أمرا مهما يستحق دراسات نظرية أو أبحاثا تطبيقية عملية متعمقة.

ما حدث حديثا من ارتفاع هائل في حجم سكان المناطق الحضرية بمعدلات سريعة لم تكن



الريفية الحضرية) وليس للزيادة الطبيعية كما هو الحال بالنسبة للمناطق الريفية.

وإذا سلطنا الضوء على البيانات المرتبطة بالمستويات العالمية في النمو الحضري في الفترة من عام ١٨٠٠م - ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠٥٠م (إذا سارت الأمور على النمط السائد الآن) نجد الآتي:

أ - يزيد سكان المدن الكبرى بمعدل الضعف كل نصف قرن.

ب - معدل زيادة سكان المدن من عام ١٨٠٠م - ١٩٥٠م بلغ ٢٥٠٪.

ج - معدل زيادة سكان المدن من ١٨٠٠م - ١٩٥٠م بلغ عشرون ضعفا تقريبا حيث كان عدد المدن (١٠٠ ألف نسمة فأكثر) ٥٠ مدينة فقط في عام ١٨٠٠م وبلغ عددها ٩٠٠ مدينة في عام ١٩٥٠م، ومن المتوقع أن يسكن حوالي ربع سكان العالم في مدن من سعة ١٠٠ ألف نسمة فأكثر في عام ٢٠٠٠م. أما إذا ضممنا المدن من سعة ٢٠ ألف نسمة فأكثر إلى المناطق الحضرية فإن ٤٥٪ من سكان العالم سيسكنون في مناطق حضرية في عام ٢٠٠٠م. ومن المتوقع أن ترتفع النسبة الى ٩٠٪ في عام ٢٠٥٠م إذا سارت الأمور على ما هو عليه الحال الآن[٥].

لا شك أن تزايد الهجرات الريفية الحضرية اعتبر المسبب الأساسي لكل من ارتفاع معدلات نمو حجم سكان الحضر وتزايد ارتفاع معدلات العطالة مسبوقة وما صاحبه من ارتفاع في معدلات العطالة الحضرية هزّ مسلمات المنظرين الاقتصاديين التنمويين فيما يتعلق بكفاءة عملية السوق في توزيع الموارد البشرية على المدى البعيد. ففي الفترة ما بين ١٩٦٠م الى ١٩٧٠م ازداد سكان المدن بمعدل ٦٠٪ في أفريقيا و٥٢٪ في أمريكا اللاتينية و٥١٪ في جنوب آسيا بينما زاد سكان الريف بمعدل ١٦٪ فقط في الفترة السابقة[٤]. وتعزى الزيادة في النمو الحضري بالمقارنة مع الزيادة في المناطق الريفية في المقام الأول إلى الزيادة غير الطبيعية (الهجرات



الحضرية. فالهجرة لعبت الدور الرئيسي في إحداث اللاتوازن البنائي بطريقتين مباشرتين:

أولا: من ناحية العرض فإن الهجرة للمناطق الحضرية أحدثت زيادة غير متناسبة في معدل نمو طالبي الوظائف الحضرية بالنسبة إلى معدل حجم سكان الحضر، الذي يعتبر مرتفعا أصلا بسبب وجود نسبة عالية من المتعلمين الشباب بمعدلات أعلى مما كان متوقعا. هذه الظاهرة أحدثت زيادة في عرض العمالة الحضرية، وفي نفس الوقت عملت على تجفيف المناطق الريفية من خيرة مواردها البشرية.

ثانيا: في جانب الطلب نجد أن توفير الوظائف الحضرية صعبة ومكلفة بالمقارنة مع الوظائف الريفية. فعلى سبيل المثال فإن منظمة العمل الدولية قدّرت تكلفة الاستثمار في الوظيفة الحضرية بـ ٥٠٧٠ دولارا بالمقارنة مع ٦١٦ دولارا للوظيفة الزراعية للعامل الواحد الأمر الذي أحدث هبوطا في جانب الطلب[٦].

الزيادة السريعة في جانب العرض مع ما يقابلها من انخفاض في نمو الطلب تؤدي الى تغيير طبيعة مشاكل توازن القوى العاملة ذات المدى القصير الى حالة مزمنة لفائض عمالة حضرية على المدى البعيد.

الكثير من الدراسات المبكرة في الهجرة وضعت ثقلا على العوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية مع اعترافها بأهمية العوامل الاقتصادية ولكن الأخيرة لم تحظ بتقييم عميق. العوامل الرئيسة التي تم تصنيفها تشمل:

أ ـ العوامل الاجتماعية والثقافية: تتضمن رغبة المهاجر في الهروب من قيود التقاليد الصارمة للنظام الاجتماعي كما تشمل آثار علاقات العائلة الممتدة وعلاقات القرابة المتشابكة (المهاجرون المبكرون للمدينة يدعمون أقاربهم من المهاجرين الجدد).

ب ـ العوامل الطبيعية: وتشمل عوامل مثل المناخ والكوارث الطبيعية.

ج ـ العوامل الديمغرافية: وتتضمن انخفاض معدلات الوفيات متزامنا مع ارتفاع معدلات المواليد.

د. عوامل اتصالية: وتنتج من تحسن وسائل الاتصال وانتشار وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة من اذاعة وتلفاز ودور عرض وصحف.. الخ وانتشار وسائل النقل والترحال الميسرة والسريعة.

كل هذه العوامل تعتبر عوامل مناسبة، ولكن هناك قناعة متنامية بين الاقتصاديين[٧]، وغير الاقتصاديين[٨] على أن طبيعة الهجرة الريفية الحضرية يمكن تعزيز فهمها وتوضيحها بإضافة العوامل الاقتصادية. هذه العوامل الاقتصادية تتضمن ليس قوى الطرد Push Factors من قطاع زراعي تقليدي إعاشي على مستوى الكفاف وقوى الجذب Pull Factors المتمثلة في أجور حضرية مرتفعة نسبيا ولكن أيضا قوى طرد مرتدة Push Back Factors كامنة تتمثل في ارتفاع معدلات العطالة الحضرية.

نظرية تودارا في اقتصاديات الهجرة الريفية الحضرية:

البراهين الواقعية الواضحة الشاملة التي حدثت

منذ عام ١٩٦٠م وما بعدها عن الهجرات الهائلة لسكان الريف إلى المناطق الحضرية أدت إلى رفض نموذج لويس وفاي في التنمية.

وقامت محاولات جادة لإيجاد نماذج بديلة، ويعتبر نموذج تودارا وليد هذه المحاولات. يحاول هذا النموذج وضع نظرية عن الهجرة الريفية الحضرية تفسر العلاقة المحيِّرة بين استمرارية تدفق المهاجرين من الريف إلى المدينة في ظل ظروف ارتفاع معدلات البطالة الحضرية.

يسلم نموذج تودارا بأن الهجرة تسير وفق الفروق «المتوقعة» عوضا عن الفروق «الواقعية» في الدخل. فالمُسلَّمة الأساسية تقرر أن المهاجرين كمتخذين عقلاء رشداء للقرار يقيمون مختلف فرص العمل المتاحة أمامهم في القطاعين الريفي والحضري، مختارين في النهاية المواقع التي تؤدي إلى تحقيق أقصى كسب «متوقع» يقاس الكسب المتوقع بالفرق في الدخل الحقيقي بين فرص العمل والأجر في الريف والحضر وبين مدى احتمال حصول المهاجر الجديد على وظيفة حضرية.

تسلم النظرية بأن أفراد القوى العاملة يقارنون دخولهم «المتوقعة» في فترة زمنية محددة في القطاع الحضري بمتوسط دخلهم الحقيقي السائد الآن في القطاع الزراعي الريفي ويقررون الهجرة إذا كان الدخل الأول المتوقع أعلى من الدخل الأخير السائد. فبدلا عن حدوث تعديلات في الأجور ينجم عنها توازنا بين الدخول الريفية والحضرية كما هو الحال في نموذج ذي صبغة تنافسية، فإن الهجرة الريفية - الحضرية نفسها تصبح القوة التوازنية الأساسية.

ففي ظل أجور حضرية لا تتجه نحو الانخفاض فإن توازن الأجور «المتوقعة» الريفية والحضرية لا يمكن أن يتحقق إلا عند انخفاض احتماليات فرص العمل الحضرية الناجم عن الارتفاع المتنامي لمعدلات البطالة الحضرية، حدوث معدلات هجرة ريفية حضرية تفوق في حجمها معدلات النمو في فرص العمالة الحضرية تعتبر ظاهرة لا توازنية Dis-equilibrium Phenomenon.

وكملخص لما ذكر يمكن القول أن هناك أربع سمات أساسية لنموذج تودارا عن الهجرة:

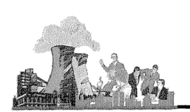
أ - إن الهجرة تحفز باعتبارات اقتصادية عقلانية للحسابات النسبية في الربح والخسارة، خاصة الاقتصادية منها، إضافة إلى جوانب اجتماعية ونفسية.

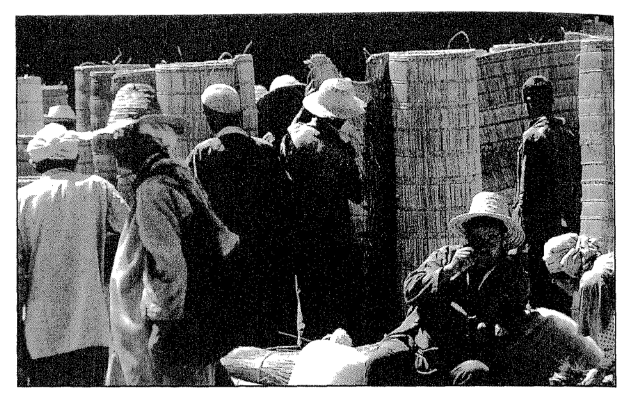
ب - قرار الهجرة يعتمد علي الفروق «المتوقعة» وليس «الحقيقية» بين الأجور في الريف والحضر، حيث تتحدد الفروق في الدخول «المتوقعة» بالتفاعل بين متغيرين هما: الفروق الحقيقية في الأجور الريفية الحضرية من جهة واحتمال النجاح في الحصول على وظيفة في القطاع الحضري من جهة أخرى.

ج - احتمال الحصول على وظيفة حضرية يرتبط ارتباطا عكسيا بمعدل العطالة الحضرية.

د - معدلات الهجرة بحجم أكبر من معدلات نمو فرص العمالة الحضرية لا يعد ممكنا فقط بل إجراء عقلانيا، ويرجح حدوثه في ظروف استمرارية الفروق الريفية الحضرية في الدخل «المتوقع».

إذن فارتفاع معدلات العطالة الحضرية يعتبر المحصلة المنطقية لحالة اللاتوازن المتجذرة في





الفرص الاقتصادية بين معظم المناطق الريفية والحضرية في الدول النامية.

التوصيات:

ما يلي بعض أهم المضامين التي يمكن أن يسترشد بها واضعوا السياسات الاجتماعية والاقتصادية:

أ - التقليل من اللاتوازن في فرص العمل والأجور بين الريف والحضر:

نسبة لأن المهاجرين يستجيبون للفروق في الدخول «المتوقعة» فمن المهم تقليل حجم اللاتوازن بين الفرص الاقتصادية في القطاع الريفي والقطاع الحضري. فالسماح للأجور الحضرية بالارتفاع بمعدلات أعلى عن متوسط الأجور الريفية سيعمل على تكثيف الهجرة الريفية الحضرية على الرغم من ارتفاع معدلات العطالة الحضرية. هذا من شأنه أن يخلق مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية في المناطق الحضرية وفي نفس الوقت سيحدث عجزا في القوى العاملة الريفية خاصة في موسم العمل.

ب - خلق وظائف حضرية يعتبر حلا غير كاف لمشكلة العطالة الحضرية:

فارتفاع فرص العمل الحضرية - من خلال ما تحفزه من هجرة وافدة متوقعة - سيؤدي إلى ارتفاع معدل العطالة الحضرية.

ج - التوسع التعليمي الشامل غير المتنوع سيؤدي إلى مزيد من مشاكل الهجرة ومشاكل العمالة:

ارتفاع عرض المهاجرين الريفيين الفائضين بمعدلات تفوق معدلات الزيادة في فرص العمل الجديدة قد أدى الى اللجوء إلى استخدام حيلة

رشيدة مؤداها استخدام التحصيل العلمي كمحك في انتـخـاب طالبي الوظائف الجـديدة. هذا الإجـراء سيدفع الطلاب الى الاستمرار في التدرج في السلم التعليمي. ازدياد الطلب على التعليم سيضع ضغوطا إضـافـيـة على الحكومـات لتـوظيف قـدر مـعـتـبـر من مواردها الشحيحة في الاستثمار في التعليم ولكن معظم المتخرجين من المؤسسات التعليمية سينضمون إلى الكم الهـائل من القـوى العـاملة من الخـريـجين العاطلين عن العمل، وبالتالي فإن فرص الاستثمار في التـعليم غـيـر المتنوع مـا بعد التـعليم الابتـدائي سيؤدي إلى استثمار في موارد بشرية غير مُسْتغلة الأمر الذي يتطلب تغييرا في السياسة التعليمية بحيث تولي الدول الناميـة أهميـة عظمى الى تنويع التعليم وتبوًّأ التعليم التقني مرتبة أسمى.

د ـ ينبـغي تشـجـيع قـيـام برامج تنمـوية ريفـيـة متكاملة: هذه البرامج تتضمن العمل على الإبقاء على توازن صحيح بين الدخول الريفية والدخول الحضرية، وتوسـيـع قـاعـدة الاقـتـصـاد الريفي، وينبـغي إزالة المحفزات غير الضرورية لصالح الهجرة الريفية الحضرية من خلال برامج مبتكرة محكمة التخطيط والتصميم والتنفيذ. هذه البرامج ينبغي أن تركز على خلق مصادر للدخل زراعية وغير زراعية وتنمية فرص العمل والخـدمـات الصـحـيـة، وتحـسين مـسـتـوى المؤسسات التعليمية الريفية، وتأسيس البنية التحتية، وخلق ظروف عمل مواتية في المناطق الريفية، وإنشاء المصـانـع في المناطق الريفـيـة بعـيـدة عن المدن، وتأسـيس مؤسـسـات تعليـمـيـة عليا مثل الجـامعـات والمعاهد التقنية العليا في المناطق الريفية بغية إبقاء الطلاب الريفيين في مناطقهم عند تلقيهم تعليمهم العالي وبالتالي الحد من الهجرة الريفية الحضرية المؤقتة للطلاب طلبا للتعليم في الحضر وما يصاحبه من تبني الطالب الريفي لنمط أسلوب الحـيـاة الحضرية وما يتبعه من تحول الهجرة المؤقتة إلى إقامة دائمة بالحضر وما يترتب على ذلك من حرمان المناطق الريفية من خيرة أبنائها.

الهوامش:

(١) أنظر: W.A. Lewis; Economic Development with Unlimited Supplies of Labor, Manchester School of Economic and Social Studies, 1954.

(٢) G. Rains and J.C. Fei; A Theory of Economic Development, The American Economic Review, Li, 3 (1961), 553-56.

(٣) B. Herrick; Urban Migration and Econmic Development in Chile; Cambridge: Massachusetts Institute of Technology, 1965.

(٤) أنظر: J.E. Stiglitz; Rural - Urban Migration, Surplus Labor, and The Relationship between Urban and Rural Wages Eastern Africa Economic Review, 1, 2 (1969), 1 - 27.

(٥) انظر: السيد عبد العاطي السيد؛ علم الاجتماع



الحضري: مدخل نظري ز دار المعرفة الجامعية ٤٠ شارع سوتر - الازاريطة - الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ١٥٩ - ١٧٠.

(٦) أنظر: International Labor Force Office Employment Policy in Africa, Report IV (1), Third Accra, Africa Regional Conference, 1969.

(٧) أنظر: سميرة أمين وأحمد النوري: الهجرة السودانية والمسألة السكانية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٤٥ - ١٩٩١م.

أنظر أيضا: C.R. Frank Urban, Unemployment and Economic Growth Oxford Economic Paper XX, 2 (1968), 250 - 74.

أنظر أيضا: D. Byerlee; Research on Migration in Africa: Past, present and Future; Michigan State University Press, 1972.

أنظر أيضا: G, S. Fields; Rural Urban Migration, Urban Unemployment and Underemployment and job Search in LDC;Yale University Press, 1972.

أنظر أيضا: J.R. Harris and M.P. Todaro; Migration, Unemployment and Development: A Two Sector Analysis, The American Economic Review, LX, 1 (1970), 126 - 42.

(٨) أنظر: نور محمد أبو بكر العمودي: الهجرة الريفية الحضرية، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

انظر أيضا: اسحق يعقوب القطب: الحركة السكانية من الريف الى المدن في الوطن العربي - الهجرة من الريف الى المدن في الوطن العربي - المعهد العربي لإنماء المدن ١٩٨٦م.

أنظر أيضا: Ichael Wintle: Push Factors in Migration: The Case of The Province of Zeeland in The Nineteenth century; Population Studies V. (46) No. (3) 1992.

أنظر أيضا: J. Gugler; The Impact of Migration on Society and Economy in Sub - Sahara Africa: Empirical Findings and Theoretical Consideration, African Social Research, No. 6 (1968), 463-86.

أنظر أيضا: G. Motara; Factors Affecting Rural - Urban Migration in Latin America, Belgrade Yugoslavs, 1965.

أنظر أيضا: R.N. Thomas; Internal Migration in Latin America, Ball State University, Muncie, Indiana, 1970/

أنظر أيضا: C.R. Hutton; The Causes of Labor Migration, Urbanization in Sub-Sahara Africa, ed., Gugler (Kampala), 1971/

الأسـرة والقـرن القـادم

أشعر بسعادة غامرة وأنا أرى المنهل المجلة تُعْنَى بموضوع على قدر كبير من الاهمية وهو موضوع (الأسرة والمجتمع) والقرن القادم، وهذا الموضوع يدعونا الى ان نفكر بعمق في قضية دخولنا الى القرن القادم ككل، ثم يلفت النظر الى دور الأسرة والمجتمع في تلك المرحلة الخطيرة من حياة الأمة، وقد بدأ العالم من حولنا يدرس ويخطط لدخول القرن القادم في المجالات الاقتصادية على وجه الخصوص، ثم السياسية والاجتماعية.

وبكل أسف وقفنا في عالمنا العربي والاسلامي موقفا سلبيا، صاحبه أنواع من اللامبالاة، **ولهذا فنحن ندخل الى القرن القادم بكل أسف بدون تخطيط ولا تنظيم ولا وعي بأبعاد وخطورة المرحلة القادمة** مع انها مرحلة معقدة ودقيقة، والفجوات بيننا وبين العالم الغربي ستكون كبيرة، والقفزات كبيرة، لأن الفجوة التكنولوجية ستكون أكبر والتطور سريع، ولهذا فمن المتوقع اذا سرنا على هذا المنوال ان يصبح دورنا هامشيا ونكون عالة على الأمم، وغير قادرين على ان نستغل قدراتنا وامكاناتنا بصورة صحيحة.

وعندما نلقي نظرة سريعة على القرن العشرين ومنجزاته نجد أن هذا القرن قد تميز عن القرون الأخرى بأنه القرن الذي تحققت فيه تغييرات جذرية، وكما يقول مالك بن نبي: «بأن منجزات القرن العشرين بدت وكأنها ترسم للانسانية نقطة اللارجوع على محور الزمن الذي هبّت فيه أكبر عواصف التاريخ على مصير الانسانية».

وتلك حقيقة فإن الثلث الأخير من هذا القرن قد تجمع فيه كل نتاج هذا التغيير من نفسية واجتماعية وسياسية وعلمية، كالحضارة العلمانية وحضارة الصاروخ وحضارة الالكترونيات.

فمن هنا ونحن نُدْلفُ الى القرن الواحد والعشرين **لابد وان نفكر بعمق في الأبواب التي سندخل منها، والخطوات والاستعدادات والترتيبات اللازمة لهذا الدخول والتحديات المتوقعة.**

ان قضية الأسرة ودورها والمدرسة والمؤسسات الثقافية ستلعب أدوارا كبيرة في بناء المجتمع وتأهيله لدخول القرن القادم، وهناك قضية مهمة وهي اننا قبل ان نبدأ في مناقشة قضايا القرن القادم من المناسب ان نلقي نظرة على ما تم في القرن الماضي ونتعلم الدروس من القضايا التي مرت بنا

بقلم: د. محمد عبده يمانى - جـدة



**** نحن ندخل القرن القادم - بكل أسف - بدون تخطيط ولا تنظيم ولا وعي بأبعاد وخطورة المرحلة القادمة**

والاخفاقات التي صاحبتنا، لأن هذا يعيننا في التخطيط ومن ثم في التفاعل مع المرحلة القادمة خاصة وان **الأسرة في بلادنا في المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص وفي الخليج بل وفي كثير من الدول العربية والاسلامية لم تعد قادرة على تربية اولادها بنفس المعطيات السابقة ولا في نفس الظروف التي كانت تعيش فيها، لأن المجتمع قد تحول وتبدل ودخلت الى الساحة عوامل جديدة مثل العمالة الاجنبية والارسال التلفزيوني العالمي والانفتاح على العالم ككل، وبعض هذه العمالة الاجنبية لها اتصال مباشر بقضايا التربية، لأن الخدم أثروا بعاداتهم وتقاليدهم في اطفال المجتمع وصياغتهم، وساهم في ذلك اهمال بعض الأمهات لأدوارهن مما زعزع وضع البيت العربي وعرضه لتبدلات لا سيطرة للأسرة عليها**، وهذا أمر لابد ان نأخذه في الاعتبار اذا أردنا أن ندرس بعمق المؤثرات التي كان لها دور فاعل سلبا أو ايجابا في قضايا الأسرة في بلادنا.

وقد عالجت هذا الموضوع في كتابي «للعقلاء فقط» وأوردت في هذا السياق انه في غمرة السعة والرخاء التي مَنَّ الله علينا بها، وفي زحمة الحياة الحديثة التي اصبحنا نعيشها، وبين انياب المدنية التي تخاذلنا أمامها فأطبقت علينا، في غمرة هذا وذاك أملت علينا الظروف المعيشية شروطا، وفرضت متطلبات، واستدعت امكانيات مختلفة، **ولعل ابسط مثال على هذا انتشار المربيات والخدم بأنواعهم في منازلنا، وحتى عهدنا اليهم بمنازلنا وابنائنا وشؤوننا، ليشرفوا عليها، وأدركنا الوهن والضعف والتخاذل،** فما عدنا قادرين على أي عمل مهما كان بسيطا، وغدونا نتخوف من أي طارىء مهما كان عارضا،

وراحت الحياة تمضي بنا على هذا المنوال، وتسرب الداء الى اعمال الأسرة، واصاب العائلة في كبدها، اذ انتشرت بين بعض فتياتنا ظاهرة الاعتماد في حياتهن على الخدم والمربيات في جميع شئون حياتهن أو معظمها، وحتى الخاصة منها في بعض الأحيان، وتنتقل هذه الظاهرة معهن الى منزل الزوج لتصبح عادة، فاذا ما رزقن بأطفال عهدن بهم الى المربيات، وأصبح أكثر ما يهمهن هو المظهر الخارجي لأطفالهن، ويكفي أن يكون الطفل أنيقا نظيفا مرتبا، ليدخل السرور في نفس أمه ويجعلها تشعر بالبهجة والارتياح وتنسى هذه المسكينة أن نظافة الطفل وحدها لا تكفي وان مظهره الخارجي غير مهم اذا ما قيس بما ينمو ويترعرع في داخله من قيم وعادات وتقاليد وأخلاق يكتبسها من مربيته، فان خيرا فخير.. وان شرا فشر، ويكون في النهاية نتاجاً خاصاً بالمربية أكثر من الأم، وقد يطلق عليه طفل المربية لأنه يبكي اذا سافرت مع ان أمه حاضرة، ويفرح بقدوم المربية أكثر من فرحه بقدوم أمه، وهنا موطن الخطورة لأنه يتعلم منها كل شيء، ويأخذ عنها كل شيء، وهذا جانب خطير بالنسبة لمستقبل الأسرة، بل والأمة ككل.

- ثم تأتي قضية التعليم والمدرسة على وجه الخصوص، وهنا أذكر مجموعة من العوامل التي أثرت بصورة مباشرة ومنها **مثلا انتشار الأمية حتى بلغت ما يزيد عن ٥٠٪ في بعض الدول**، وقضايا التسرب في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وما صاحب ذلك من ضياع لكثير من طاقات الأمة واستمرار العملية التعليمية بصورة سلبية وتركيزها على الحفظ والتلقين وضعف الاساتذة ورداءة المناهج الدراسية وبعدها عن قضايا المجتمع، ولعل أخطر ما واجهناه ونواجهه الآن هو **الانفصام الخطير بين المدرسة والاسرة، فلم تعد المعادلة كما كانت في السابق، بل إن الأسر ضيعت أولادها في الداخل بتسليمهم لمربيات يساهمن في صياغة الجيل بالشكل الذي ضيع اطفال هذه الأمة وفصلهم عن مجتمعهم.** كما ذكرنا - وجاء الارسال التلفزيوني ليكمل الدور في غفلة من الأسرة، وظنت معظم الأسر أن المدرسة ستقوم بالدور المطلوب بعد ان تخلت عن دورها بوعي أو بدون وعي، لكن المدرسة اصبحت اسوأ حالا من الأسرة، **فالبيئة المدرسية لم تعد منتجة كما كانت في السابق، وصلة المدرس بالطالب ضعيفة وسطحية، وليس فيها أي تفاعل تربوي:** «تتميز المناهج الدراسية بأن قسما كبيرا منها غير مرتبط بالبيئة، ولا يصب في مجرى التنمية ولا يتفاعل مع متطلبات وقضايا العصر الذي نعيش فيه، ولا يفكر في التهيئة لما سيأتي به الغد».

**** الأسرة لم تعد قادرة على تربية أولادها**

ومن المؤسف ان التعليم الابتدائي لا يلقى اهمية اساسية في خطط وزارات التربية وموازناتها **فالأساتذة غير المؤهلين تأهيلا تربويا عاليا يرسلون للمدارس الابتدائية كعقاب لهم،** ورواتب مدرسي الابتدائية هي الأدنى، بينما عدد الحصص الاسبوعية التي يدرسون هي الأعلى، ولا يزال الطالب الذي لا يتجاوز عمره السنة السادسة يعامل وكأنه فرد في جيش نظامي بروتينيته ومظهريته وتلقينه وأوامره ونواهيه.

تعتبر المدرسة الثانوية ممرا للتعليم الجامعي الاكاديمي أو التوظيف الحكومي الكتابي ولا تزال الغالبية الساحقة من الطلبة يدخلون فرعي الآداب



** العمالة الوافدة، والارسال التلفزيوني العالمي، والخدم، أثروا في صياغة أطفال المجتمع

والعلوم في حين ينعق البوم في الفروع التقنية والمهنية الأخرى، وعلى الأخص الصناعية منها.

ومع الأسف تتردد الحكومات في اتخاذ القرارات السياسية المطلوبة بوضع حد على الطلبة المقبولين في التعليم الأكاديمي الصرف قبل أن نصل الى ما وصلت اليه الحال في العالم الثالث من تخرج جيوش جرارة من العاطلين عن العمل من خريجي الثانويات العامة والجامعات.

مازالت الغالبية من جامعاتنا لا تزيد عن أن تكون امتدادا لمدارسنا الثانوية عقلية واسلوب تعليم، ومناهج تلقينية، وعبودية اكاديمية، وابتعادا قد يكون مفروضا عن مشاكل المجتمع وطموحاته بالنسبة للتخصصات أحيانا وبالنسبة للبحث العلمي احيانا أخرى.

فهل تستطيع هذه المؤسسات التعليمية أو تلك المناهج أو طرق التدريس التي وصفنا أن تنمي الانسان الذي نريد؟ هل تستطيع بناء انسان له استقلاله الذاتي، قادر على تكوين الاحكام أو اصدار القرارات؟ هل تستطيع ايجاد التفكير التكاملي الذي يربط بين الأشياء والمشكلات الشخصية والعامة؟ هل تنمي فيه القدرة على التعليم المستمر وملاحقة المعرفة المتجددة؟ هل تنتج انسانا قادرا على رسم الخطط والقدرة على اجراء التقويم؟ هل تصقل عقلا يشم رائحة التغييرات قبل أن تصبح اعصارا فيستشرف المستقبل ويعد له قبل أن تصدمه المفاجآت.

من المتوقع ان يكون ٧٠٪ من انواع العمل جديدا تماما قبل سنة ٢٠٠٠ فهل تستطيع مؤسساتنا التعليمية تهيئة القوى البشرية لتلك الحقبة؟ أم اننا سنواجه هذه الحقيقة كما واجهنا ظهور الحاسب الالكتروني عام ١٩٥٠ عندما انتظرنا أكثر من ربع قرن قبل ان نفكر في ادخال هذا المجال الجديد في جامعاتنا؟[١].

وأنا أوافق تماما على هذا الرأي الذي يصور خطورة المرحلة التعليمية التي نمر بها، ولابد ان تعي مؤسساتنا الاجتماعية اهمية دراسة دور الاسرة وتحفيزها لأخذ دورها من جديد وإلا سندلف الى مجتمع أميّ يقرأ ويكتب ولكنه ليس بقادر على ان يستفيد من القراءة والكتابة لعجزه عن مواكبة العالم من حوله وجهله بكل معطياته وعدم علمه وعدم قدرته الاستفادة من ثورة المعلومات.

«إن الدور القادم دور خطير ومؤثر في حياتنا ككل، والأسرة تؤدى دورا هاما في ذلك، وستلعب التكنولوجيا دورا مؤثرا وتخلخل المعاملات، فاذا لم تستطع الأسرة تهيئة الأفراد لدخول العالم الجديد، وعجزت المدرسةُ عن تقديم العلوم الصحيحة والعصرية فإن بدائل المستقبل ومؤثراته ستعمل على صياغتنا وتوجيه مسيرتنا دون أن يكون لنا أي دور فاعل في ذلك لأن الأسرة مضيعة وضعيفة والتعليم هو الآخر ضعيف وغير قادر على تأهيل الناشئة في العالم الجديد وفي القرن القادم على وجه الخصوص.

ومن الخطورة جدا ان نعتقد أن الدول

والحكومات يمكن أن تقوم بهذا الدور بمفردها إذ لا يمكن لوزارات التربية أن تقوم بهذا العبء وحدها ما لم تشاركها جهات عديدة أخرى، من أهمها وأبرزها وزارات الاعلام، إننا حتى الآن لم نستعمل في هذه المنطقة الامكانات الرهيبة للوسائل الاعلامية إلا لأغراض الدعايات والتسلية، والمطلوب هو النظر بعمق إلى الامكانات التعليمية والتثقيفية لهذه الوسائل واستخدامها - وعلى الأخص التلفزيون - لتنشيط عمليات التعليم المجدد للمجتمع ككل وعلى مدى الحياة، ولكن الذي يحدث هو العكس، إننا نستخدم التلفزيون لعرض نماذج عجيبة من الأفلام والروايات التي لا تمت إلى الواقع بصلة أو أنها تتميز بالعنف والعدوانية أو التخدير، والغريب أن بعضا من هذه البرامج التي تعرض عندنا قد حظر عرضها في بعض البلدان المتقدمة، ومع ذلك فإننا نستمر في عرضها.

فاذا كانت قوة المال هي التي تفرز نوع البرامج التلفزيونية في المجتمعات الغربية وذلك لتمرير الاعلانات الدعائية من خلالها ومعها، فما المبرر لنفعل الشيء ذاته في بلدان لا تحتاج لريع الاعلان؟ وإذا كانت بلدان العالم الثالث الفقيرة تستورد برامج التلفزيون القديمة، الدونية المستوى، بسبب رخص أثمانها، فما الذي يدفع بلداننا الغنية لتفعل الأمر ذاته؟ لقد تعللت الجهات المسئولة يوما ما بعدم وجود الوقت الكافي لوضع برامج جدية تثقيفية علمية بصورة مكثفة، ولكن فهمها الحقيقي لأهداف التلفزيون للأغراض الدعائية وللتسلية وضح عندما بدأت كل دول الخليج تبث على قنوات جديدة برامج مسلية باللغة الانجليزية، لقد تغلبت الرغبة في تسلية الأجانب على إشباع الحاجات الحضارية الضرورية على الأقل لجزء من المواطنين.

وهكذا أضعنا فرصة تاريخية لتكون برامجنا التلفزيونية أداة عظيمة لمكافحة الأمية الأبجدية الحضارية، وحل بعض المشاكل الاجتماعية وشرح الأسس الخفية للحضارة التكنولوجية التي تكتسح حياة إنساننا والتشارك مع الناس في نقاش المستقبل من مشاكل جديدة وتحديات خطيرة[٢].

اننا نتحدث عن قضية مهمة وهي بناء هذا الانسان، الذي يبدأ من النواة وهي الأسرة، ويتبلور في المدرسة، ثم ينطلق ليصنع في الجامعة فاذا عجزت هذه المؤسسات عن القيام بدورها فعلى الأمة السلام، لأن مفتاح النهضة سيكون التنمية البشرية وتنمية الانسان في بلادنا، وهذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعلمنا كيف صنع الرجال وحررهم وعلمهم وكان لهم القدوة والاسوة فنجحوا في صناعة ذلك التاريخ المجيد.

واذا ركزنا على الحديث في القرن القادم عن موضوع الاسرة ودورها القادم فلابد من القاء الضوء على بعض الأسس وهي أن للاسرة دوراً تربوياً كبيراً وخاصة في بناء شخصية الفرد واعانته

**** الطفل أصبح نتاجاً خاصاً بالمربية، يفرح بقدوم المربية أكثر من فرحه بأمه**



على أن يكون فاعلا ومنتجا، وهذا دور تتقاسمه مع المدرسة، ثم ان لهــــا دوراً في المرحلة القادمة خاصة في مجال تعامل الأولاد بنين وبنات مع ثورة المعلومات والاتصـــالات في المرحلة القادمة، وكـيف نعـدهم للتعامل مع هذا البث بكل الوانه، وسلبياته وايجابياته، ثم كيف تستطيع الأسرة ان تتخلص من هذا الهم الكبير الذي ضرب الأمة في عقر دارها وهي المربيات الاجنبيات واللاتي يستوردن من كل حدب وصوب، وبكل الطرق وبدون أي تحسب لأصولهن، ولا ثقافتهن ولا فكرهن ولا حتى في مدى سلامتهن الصحية نساءا ورجالا وهو أمر خطير ومؤثر.

ولابد ان تعي الأســرة.. كل أسـرة خطورة وابعاد هذا الأمر الذي دخلنا اليه بطوعنا واختيارنا وغفلنا عن مخاطره الحقيقية، ولابد ونحن نخطط للمرحلة القادمة أن نفكر في عمق المخاطر التي احاطت بنا والنتائج السلبية لهذا التوجه والترهل الذي قادنا الى استقدام كل هذه الملايين دون تحسب لهذا العمل.

ومن الناحية الأخرى فان من واجبنا أن نعلم أن قضية الوطن والوطنية قضية مهمة، وقد ضيعنا هذا الأمر وغفلنا عنه، وغفلت الأسـرة على وجه الخصوص، فالاطفال يفتحون أعينهم على أمور لا تعينهم على الارتباط بالوطن ولا تعلمهم حب هذا الوطن، ومن هنا يكون هناك خواء خطير وضياع لابناء هذه الأمة وكأننا أمة لا انتماء لها.

وقد اكتفينا بكل أسف بتحية العلم في الصباح والمساء، وضيعنا الرموز الحقيقية التي تعين الأطفال على الارتباط بالوطن وتعلمهم تاريخ هذا الوطن ورجالات هذا الوطن وقيم هذا الوطن.

** سلبية العملية التعليمية، والتركيز على الحفظ والتلقين، ورداءة المناهج، وضعف الأساتذة، كل ذلك أدى إلى ضياع طاقات الأمة

ولا نستطيع أن ندرب أطفالنا على حب الوطن اذا كنا نحن لا نباشر عملية التربية أمهات، وآباء، ومدرسين، خاصة وأن هذه القضايا لا تأتي الا بالقدوة، وجزى الله سيدنا محمداً (صلى الله عليه وسلم) خير الجزاء وهو يعلمنا: **«يولد الانسان على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**.

وقضية الانتماء الوطني ليست قضية انتماء الى تراب أو أرض وانما انتماء الى وطن بكامل مفهومه، الى وطن له تاريخ، وله قيم، وله عقيدة، وله انتماء، وله كرامة.

ومن هنا فاني أرى اهمية دور الأسرة في بناء الوعي الوطني لدى الأطفال والناشئة، ولابد أن تعي دورها بكل مسئولية.

ثم نأتي الى قضية مهمة أخرى وهي أن الأسرة في وطننا لابد أن تأخذ في اعتبارها المتغيرات

** الانفصام الخطير بين المدرسة والأسرة نتج عنه هذا الاداء الهزيل في المستوى التعليمي والتربوي

** الأساتذة غير المؤهلين يرسلون للمدارس الابتدائية عقاباً لهم

والتطورات التي حصلت في العالم من حولنا، والمؤثرات، وأن عليها أن تغير من تعاملها مع الأطفال، فتحترمهم وتعني بوعيهم، وتعطيهم الثقة في أنفسهم، وتحرص على صحتهم النفسية، وتعودهم على الاحترام المتبادل وتعلمهم معاني الحرية وآداب الحوار، ثم لابد من أن نغرس في أنفسهم الرغبة في الانتاج ونعلمهم أن العمل فضيلة كالأخلاق، وأن الانسان انما تكون قيمته بمقدار ما يتمتع به من أخلاق، وبمقدار ما يكون منتجا.

وختاما فاني أشعر بأن من الواجب أن نعمق دراساتنا لدور الأسرة في القرن القادم، وعلى جامعاتنا ومؤسسات البحث عندنا أن تتعاون لدراسة هذا الموضوع بصورة أعمق، وطرح البدائل والخطط التعليمية والتربوية والثقافية التي تمكن الأسرة من أخذ دورها بصورة فاعلة. كما أن من واجب هذه المؤسسات أن تعيد النظر بشكل جدي في قضايانا التعليمية سواء في مراحل الابتدائية أو الثانوية، أو حتى الجامعية، فقد اصبح التعليم في حاجة ماسة الى تطوير فاعل يأخذ بيده ليواكب المسيرة لأن التعليم ركن أولى في عملية التنمية البشرية، التي هي القضية الأساسية، حيث يبدو التعليم وكأنه رأس الحربة في معركتنا القادمة.

وكما قال المؤرخ (أرنولد توتينبي): **«إن تأريخ المجتمعات البشرية هو تأريخ المنافسة بين التعليم والكارثة».**

وقد كان عدونا أبعد نظرا منا، فأدار معركته معنا بسلاح العلم، وقد قال (شيمون بيريز): «إننا نستطيع أن نحسم الصراع مع العرب لصالحنا عن طريق التعليم».

ان تطور التعليم هو خيار استراتيجي وليس ترفا فكريا، ولا شعارا يرفع كما يقول الدكتور حسين كامل بهاء الدين.

وكثير من العقلاء ينظرون الى تطور التعليم وسلامته وجودة مناهجه وقدرات المعلمين.. على أن هذا الأمر هو قضية أمن قومي ومستقبل أمة، فكلما أنفقنا على التعليم وأعطيناه الأولوية وطورنا مناهجه وأصلحنا أدواته، دعمنا الأمن القومي للبلاد والأمة، فالتعليم يحمي البلاد من الأخطار المباشرة وغير المباشرة فهو يلعب دورا اساسيا في قضايا الأمن وسلامة الوطن. كما يعتبر التعليم استثمارا مهما في مجال مسيرة الأمة ونمائها.. وضمان مستقبلها.

ومن المهم اختيار نوع التعلم الذي ندخل به القرن القادم، لأن هذا التعليم لعب دورا مهما في القرن التاسع عشر في أوربا وفي نهضتها، وقد لعب التعليم نفس الدور في نهضة اليابان منذ عصر



(مـيـجـي)٠٠ ومن هنا فـلابد اذا اردنا أن ننهض ونستفيد من معطيات القرن القادم أن ننظر بعمق اكبر للعملية التعليمية في مراحلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية والتعليم الجامعي والتعليم الفني لأن مستوى التعليم عندنا لا يحقق الاهداف التى نصبوا اليها جميعا، وهو في وضعه الحاضر يقصر عن تحقيق الاهداف الاساسية للأمة ويخرج آلافا من الشباب انصاف متعلمين وفي بعض الاحيان غير متعلمين، وبالجملة لا يحقق الاهداف التي نسعى اليها لا في المرحلة الحاضرة ولا في المستقبل الذي نتطلع اليه، **صحيح ان المؤسسات التعليمية حققت تقدما كميا كبيرا ولكنها فشلت في الكيف، فعندنا مائة جامعة أو أكثر تحتوي على ما يزيد عن خمسمائة كلية، لكن التعليم لم يستطع أن يحقق اهداف الأمة العربية،** ولا يساعد في بناء الانسان العربي القادر على العطاء والمنافسة والابداع الا نادرا٠ ان التعليم في البلاد العربية والاسلامية بكل أسف مخيب للآمال، لأنه اسقط قيمة العمل والانتاج، ولم يبذل جهدا كافيا لتطوير المناهج وفلسفة التعليم وسياساته على وجه الخصوص٠

ولهذا اخذت الفجوة تتسع بين التعليم في بلادنا العربية والاسلامية، وبين التعليم في بلاد الغرب، بصورة أخلت توازننا، وجعلتنا عالة على الأمم، نعتمد في أكثر حاجاتنا على المنتجات الخارجية، واذا صنعنا فصناعة ضعيفة، وغير قادرة على المنافسة الا ما رحم ربي، وفي اقل مساحة ونسبة ممكنة، لأن التعليم لا ابداع فيه، يعتمد على المحاكاة، وعلى استيراد النماذج بشكل مشوه٠٠ والبرامج مكررة، **والمدرس غير مؤهل ولا يملك المرونة الضرورية٠**

لقد كان التعليم في السابق في بلادنا المملكة العربية السعودية أو بعض الدول العربية والاسلامية قريبا الى حد كبير من مستوى التعليم في الغرب، وكانت الفجوة صغيرة، وأذكر اننا عندما سافرنا كدفعة أولى من جامعة الملك سعود وكذلك الذين أرسلوا من بقية جامعات المملكة استطاعوا رغم الفروق التعليمية أن يسيروا ويكملوا درجاتهم العليا مع معاناة في موضوع اللغة الإنجليزية، التي كانت هي العائق الاساسي، أما الآن فالفجوة تتسع بين التعليم في بلادنا والتعليم في الغرب، والقفزات التكنولوجية والفنية تجعل الفجوة أكبر بكثير من ذي قبل، وتستوجب عملا جادا لسد هذه الفجوة، أو تقريبها على الأقل قبل أن تتسع الهوة ويصبح من الصعب التنسيق بين التعليم في منطقتنا والتعليم في البلاد المتقدمة، ومن هنا لابد من ادخال تعديلات جوهرية لكي نلحق بالركب ولابد أن تستخدم **التكنولوجيا في التعليم، وتعود المدرسة لتكون مؤسسة تربوية متكاملة، يمارس**

**** كثير من الجامعات ظلت امتداداً لمدارسنا الثانوية عقلية واسلوب تعليم ومناهج تلقينية**

**** كان على تلفزيوناتنا أن تعمل على محو الأمية الحضارية التى تعاني منها مجتمعاتنا**

**** اكتفينا بتحية العلم في الصباح وضيعنا الرموز الحقيقية التى تعين الاطفال على الارتباط بالوطن وقيمه**

**** التعليم هو رأس الحرية في معركتنا القادمة**

**** لدينا مئة جامعة، وخمسمئة كلية، ولم نستطع تحقيق أهداف الأمة بعد**

الطالب فيها حياة طبيعية، ويكون جزءا من العملية التعليمية.

والتعليم في بلادنا العربية والاسلامية كلها لم ينجح كأداة للتقدم الحضاري، وما يزال بعيدا عن تحقيق اهداف الأمة، لأننا بكل اسف ما زلنا في مناهجنا الابتدائية وما حولها وفي جزء من المناهج الثانوية نعتمد على الحفظ والاستظهار، والمدرس يعيد تدريس المادة سنوات وسنوات دون أن يطور نفسه أو يطور قدراته عن طريق الالتحاق بأي دورات أو مجالات تدريب، والمؤسسات التعليمية لا تعينه على ذلك، وفي الوقت الذي يعتبر فيه الحاسب الآلي من عناصر الدراسة الأساسية في الغرب، ما يزال مجهولا أو هامشيا عندنا، ولهذا ظل التعليم في دوامة مغلقة وضعيفة، وغير قادرة على الابداع، ولا مجرد التأهيل الصحيح، فالاساتذة تحكمهم قوالب محددة، والطلاب يتزاحمون في انتظار شهادات التخرج، يدخلون الجامعات ولا يعرفون لماذا، ويرسبون ولا يعرفون لماذا، ويتخرجون ولا يعرفون الى أين.

إن واقع السياسات التعليمية ضعيف، وغير مؤهل لتحقيق اهداف الأمة واللحاق بالركب الحضاري، ومن أخطر ما نلاحظه في التعليم انه يتنافى بكل أسف مع متطلبات النهضة الاقتصادية على وجه الخصوص، لأننا ننتج قوى بشرية غير قادرة على العمل والانتاج، بل وغير محترمة لقضية العمل، وكان من اخطر ما ركزنا عليه في التعليم صب المعلومات بصورة نظرية واهمال أمر تنمية المهارات العلمية، والقيم الاجتماعية في نفوس الطلاب، وحب الوطن، واحترام العمل.. والرغبة في الانتاج والتطور والابداع.

وهناك من يعتقد بفشل نظام التعليم العربي في الوفاء بمتطلبات التنمية الاقتصادية، فمع أن اعداد الأساتذة والطلاب في الدول العربية ارتفع ارتفاعا كبيرا إلا أن ذلك جاء على حساب تردي مستويات التعليم.. ومن المفارقة أنه فيما يعتبر الجيل الحالي أكثر الأجيال العربية تعلما.. فقد فشل هذا الجيل في فهم تعقيدات التطور البشري ودوره في التطور الاجتماعي والاقتصادي.. ويشهد على ذلك تردي دور التعليم في المنطقة العربية الى مجرد اعطاء الشهادات الورقية من قبل مؤسسات تستقطب الحد الأدنى من التمويل مما أدى الى الاهتمام بالاعداد على حساب النوعية مما دفع بملايين الخريجين من ذوي المهارات المنخفضة ليشكلوا رافدا من روافد البطالة لأن معظمهم في الواقع غير قابل للتوظيف.

ان التعليم عندنا لا يساهم في توطين ونقل التكنولوجيا، والجامعات في عالمنا العربي وفي كثير



** التعليم الموجود الآن فشل في نقل وتوطين التقنية

من العالم الاسلامي تراوح بين سوء التخطيط وعجز المناهج وتواضع قدرات المدرسين، حتى التعاون بين الجامعات العربية والاسلامية مفقود تقريبا الا في اطر نظرية واتفاقات روتينية وغير عملية ولا قيمة لها. ان مقررات الدراسة الثانوية والجامعية بعيدة عن متطلبات العصر ولا تحقق بأي شكل من أشكال الاهداف التي نسعي اليها ولا تؤهلنا الى دخول القرن القادم بأي شكل من الأشكال، وهذا أمر مؤسف لأن قضية التنمية البشرية مهمة ونوعية المواطن الذي نبنيه وكفاءته وتعليمه وقدراته وإمكاناته اهم بكثير من نوعية السلاح الذي نملكه أو تملكه الأمة.

ان التعليم في بلادنا يحتاج الى عمل فعال يجعل المنهج والمعلم والكتاب.. والمناخ التعليمي مكونات اساسية ومحاور هامة في تطوير العملية التعليمية.. ويخلص التعليم من القوالب التقليدية.. وينطلق به الى مفاهيم حديثة، وقدرات وأدوات وامكانات تناسب القرن القادم.. ويلغي عمليات الحفظ والاستظهار بدون وعي.. ويخلص العملية التعليمية.. والمناهج خاصة من تلك الكتب الضخمة التي لا تسهم في بناء مهارات الطلاب ولا يستوعبونها.. وانما تضيع اوقاتهم ولا تطور مداركهم.. ولا تقوى مهاراتهم، ولا تصنع مدرسين وفنيين واداريين قادرين على الابداع والانتاج المتميز، كما ان عملية ادخال الحاسب الآلي وبرامج الكمبيوتر في المراحل الابتدائية وما بعدها اصبح قضية مهمة ومن العار ان ينطلق العالم الى كل هذا التطور في الحاسب الآلي وفي برامج الانترنت وأولادنا لا يعرفون عن ذلك أي شيء.

إن التعليم والواقع التعليمي في البلاد العربية مخيب للآمال - بكل أسف - ولابد من تحرك جاد وفاعل يبدأ بادراك حقيقة مهمة هي ان التعليم في حاجة الى تطوير فعال وتغيير جذري يساهم في بناء الانسان في بلادنا وفي البلاد العربية والإسلامية، فلقد اسقطنا قيمة العمل والانتاج واضر هذا بنا كثيرا وسلكنا سلوكا سلبيا في مجال التعلم فلم نحقق الاهداف المرجوة لأن الفعالية قضية مهمة في مجال التعلم، فهناك فرق كبير بين أمة لها سلوك يقوده النظام والانسجام وأمة تسودها الفوضى والأنانية والتسيب لأن هذه القيم لم تلقن لأولادها في مراحل تعليمهم الأولى خاصة والتالية بعد ذلك، ولم نرسخ في المجتمع مسئولياته حتى يعلم الجميع ان أي مجتمع لا يمكن أن يكون مجتمعا محترما إلا اذا كانت له وظيفة ومبرر لوجوده وليس مجرد صلات اجتماعية.. فمن الخطورة أن يكون مجتمعا سلبيا ومعقدا، حتى وإن كان الناس يعيشون في مدينة واحدة. وكما يقول المرحوم مالك بن نبي: «من الصعب أن نعيش في مدينة واحدة بجوار بعضنا البعض، ولكننا أمة سلبية وأمة تخلط بين العلم والثقافة، فالثقافة عندها هي الدين وليس مجرد العلم» ومن المهم ان نرعى المواهب ونعطي الشباب الفرصة للعمل ونرسخ فيهم حب العمل والاجتهاد والانتاج والرغبة في البناء والقدرة على قيادة المؤسسات الحضارية، ومن الخطورة أن نراوح في مكاننا ولابد أن نتحرك بوعي ومسئولية.

التربية الأسرية
بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية

اعتبر الإسلام الرجل والمرأة عنصرين متعادلين في بناء الحياة، كما اعتبر الأسرة هي الخلية الأساسية في بناء الحياة الاجتماعية؛ فهي أصغر وحدة تنظيمية في بناء المجتمع .. وهي مصدر الراحة والاستقرار والحب والحنان والرعاية لجميع أفرادها: الأب، والأم، والأبناء، والأقارب[١].

وتشكل الأسرة في نظر الإسلام القاعدة الأساسية في بناء المجتمع، لذلك اهتم ببناء وتنظيم العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء والآباء، واعتبر العلاقة بينهما قائمة على أساس الود والرحمة والحب والاحترام المتبادل.

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (سورة الروم/من الآية ٢١).

وقال عز وجل: (وعاشروهن بالمعروف) (سورة النساء/من الآية ١٩) وقال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (سورة البقرة/ من الآية ٢٢٨).

ووضح الرسول (صلى الله عليه وسلم) أهمية الزواج والأسرة فقال: «ما بُني بناء في الإسلام أحب إلى الله ـ عز وجل ـ من التزويج».

وقال عليه الصلاة والسلام: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر»[٢].

وبالتأمل في النصوص والمفاهيم الإسلامية، نجد أن الإسلام اعتبر الأسرة مؤسسة هامة ومقدسة في الحياة، فأرسى قواعدها على أساسين: أساس قانوني، وأساس أخلاقي. فقد شرّع الإسلام الأحكام والقوانين التي تنظم شؤون الأسرة وحقوق الأفراد فيها من النفقة والميراث والالتزامات المختلفة. بالإضافة إلى أنه أرسى بناء الأسرة على أسس الأخلاق والأحاسيس والعاطفة والوجدان، التي تتعهد بتوفير أجواء الحب والتعاون والاحترام والطاعة، وحسن المعاشرة بين أفراد الأسرة.

فتلك أخلاق الإسلام العامة، وتلك دعوته إلى أفراد الأسرة بشكل خاص أن يتعاملوا بأفضل أساليب التعامل وأكثرها رقة وعذوبة[٣].

بقلم: د. محمد السيد على بلاسي - خبير دولي بمنظمة الايسسكو





قوامة الرجل ، في الاسلام ، لاتنقص من قدر انسانية المرأة

حقوق وواجبات:

وقد حرص الإسلام على الأسس الكفيلة ببناء الأسرة من الهدم والتخريب؛ فجعل بناءها قائماً على أساس متين ونظام سديد؛ فبين الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة والآباء والأبناء، وكيفية العلاقة بينهم، والتعامل معهم.

وأقوى هذه الأسس، هو الأساس التعبدي وطاعة الله سبحانه، فكل واحد من أفراد الأسرة يؤمن - كمسلم - بأنّ هذه الحقوق والواجبات المحددة للزوج، والزوجة، والآباء، والأبناء، هي فريضة إلهية ويجب الوفاء بها، وأنه مسؤول عنها يوم القيامة، ومجازى بما يناسب عمله من الثواب والعقاب.

فبرّ الوادين، والإحسان إليهما، مقرون بطاعة الله: **{أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير}** (سورة لقمان/من الآية١٤). وهو مكلف به، قال تعالى: **{ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا}** (سورة الأحقاف/من الآية ١٥).

والإنسان معاقب على تركه، ومثاب على الوفاء به[٤].

فقد رُوي عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قوله: «نظر الولد إلى والديه حبا لهما عبادة».

كذلك أمر الإسلام الآباء بحب الأبناء والعطف عليهم وتربيتهم والنفقة عليهم، قال تعالى: **{يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة}** (سورة التحريم/من الآية ٦)، وورد عن الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} قوله: «أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنهم لا يدرون إلا أنتم ترزقونهم».

وكما أوجب الشارع الحكيم على الآباء النفقة على الأبناء الصغار لأنهم عاجزين عن النفقة على أنفسهم، أوجب على الأبناء النفقة أيضاً على آبائهم حين العجز عن النفقة على أنفسهم[٥].

كذلك أشار الشارع الحكيم إلى أن حقوق كل من الزوجة والزوج فريضة، يحاسب الله عليها العباد، قال تعالى: {**ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف**} (سورة البقرة/من الآية ٢٢٨) وقال عز وجل: {**وعاشروهن بالمعروف**} (سورة النساء/ من الآية ١٩) وقال في النفقة على الزوجة: {**لينفق ذو سعة من سعته**} (سورة الطلاق/من الآية ٧)، وقال تعالى: {**الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**} (سورة النساء/ من الآية ٣٤).

وقد أعطى الإسلام (الأب) الولاية والقيمومة، ودور القيادة في الأسرة؛ ذلك لأنها مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية، وعلى صلاحها تتوقف سعادة الأفراد، وصلاح المجتمع؛ لئلا تدب الفوضى في الحياة، في الوقت الذى أكد فيه الإسلام أن لهذه القيمومة والولاية حدودها القانونية والأخلاقية، وألزم الإسلام الزوجة بطاعة زوجها، والأبناء بطاعة الأب، شريطة أن لا يصدر عنه ما يضرهم، أو يسيء إليهم، أو يدخلهم في معصية الله، أو يخرجهم من طاعته. فقد ورد في الحديث الشريف: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

لقد آمن الإسلام بأن الرجل والمرأة متساويان في الإنسانية، قال الله تعالى: {**يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**} (سورة الحجرات/من الآية ١٣).

وجعل الحبّ والاحترام بين الرجل والمرأة أمراً مقدسا؛ فقال تعالى: {**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**} (سورة الروم/ من الآية ٢١).

وروي عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] قوله: «من أخلاق الأنبياء عليهم السلام ـ حبّ النساء».

**** أعطى الاسلام الأب الولاية والقيمومة، ودور القيادة في الاسرة**

وروي عنه [صلى الله عليه وسلم] أنه قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وهكذا جعل الإسلام الحب بين الرجل والمرأة، وأوجب احترامهما لبعضهما، كما أوجب على زوجها نفقتها، وإن كانت غير محتاجة، نفقة الطعام واللباس والزينة والعلاج، وسائر حوائجها الاجتماعية، بحدود استطاعته، ووضعه المالى بشكل يليق بوضعها الاجتماعي المعتاد.

قال تعالى: {**لينفق ذو سعة من سعته**} (سورة الطلاق/ من الآية ٧).

وجعل للزوجة نصيباً من الميراث، فأعطاها ربع التركة، إذا لم يكن للزوج أبناء، وثُمْنُ التركة إذا كان له أبناء، وأعطاها نصف تركة الرجل إذا مات ولم يكن له وارث يرثه، فترث الربع بالفرض والربع الآخر بالرد عليها على مصطلح الفقهاء. كما جعل للزوج نصيباً من تركة زوجته بالحصص المبينة في كتب الفقه.

وعلى المرأة أن تطيع زوجها ولا تعصه في شيء أبداً، إلا إذا دعاها إلى معصية الله سبحانه. وأن تكون مصدر الحب والجمال والحنان والرعاية والسعادة في البيت.

وقد شرّع الإسلام الطلاق بقول الله الحق: {**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**} (سورة البقرة/ من الآية ٢٢٩) كعلاج للمشاكل المستعصية في الأسرة، والعلاقة الزوجية المعقدة التى لا يمكن حلها إلا بهذه الطريقة، وليكون المجال مفتوحاً أمام كل منهما لاستئناف حياة مستقرة سعيدة، عندما تتعذر إقامة حياة ودية بينهما، واعتبروه من أشد الأمور كراهية، فقد ورد عن المصطفى [صلى الله عليه وسلم] أنه قال: «ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق».

ودعا الإسلام إلى الصلح بين الرجل والمرأة قبل



إيقاع الطلاق، بل اعتبر العلاقة الزوجية قائمة بينهما في عدة الطلاق الرجعي، فمن حقه أن يرجعها من دون عقد أو مهر[٦].

ضوابط تربية الأبناء:

أولا: اختيار الزوجة:

الزوجة سكن للزوج، وحرث له، وهي شريكة حياته، وربة بيته، وأمّ أولاده، ومهوى فؤاده، وموضع سره ونجواه. وهي أهم ركن من أركان الأسرة؛ إذ هي المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيراً من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى ملكاته، ويتلقى لغته، ويكتسب كثيراً من تقاليده وعاداته، ويعرف دينه، ويتعوّد السلوك الاجتماعي؛ من أجل هذا عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه.

يقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». ويضع - عليه السلام - تحديداً للمرأة الصالحة، وأنها الجميلة المطيعة البارة الأمينة.. فيقول: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»[٧].

ثانيا: حق الابن في الحياة:

كان الطفل قبل الإسلام يعتبر من خلق والديه، ومن هنا كان للدولة حق قتل الطفل الضعيف مثلما كان في أسبطرة وأثينا. وقد كان قتل البنات شائعا عند بعض قبائل العرب في الجاهلية. وجاء الإسلام ليبطل هذه المعتقدات الفاسدة ويبين أن الله - سبحانه وتعالى - وحده هو المبدئ والمعيد. قال تعالى: {**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**} (سورة المؤمنون/ من الآية ١٤).

وحرّم قتل الأولاد في قوله تعالى: {**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**} (سورة الأنعام/ من الآية ١٥١).

ثالثا: حق الابن في اسم حسن:

وقد حرص الإسلام كذلك على حق الطفل في التسمية الحسنة، فقال {صلى الله عليه وسلم} «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم».

رابعا: حق الطفل في التغذية:

قرّر الله - سبحانه وتعالى - في قوله: {**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إنّ قتلهم كان خطئا كبيرا**} (سورة الإسراء/ من الآية ٣١).

حق الطفل في الغذاء وأنه ضروري بالنسبة للطفل منذ ولادته حتى يتزود بالطاقة التي يحتاج إليها للقيام بنشاطه العقلي والجسمي والنفسي. كما أكد الإسلام على أهمية الرضاعة من الأم وأنه أفضل غذاء للطفل، فقال تعالى: {**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**} (سورة البقرة/ من الآية ٢٣٣).

خامسا: حق الطفل في معاملة طابعها الحب:

فليس بالغذاء وحده يحيا الطفل، فهو يحتاج إلى الحنان والود من الآخرين، كما أنه يحتاج إلى أشخاص يلتصق بهم ماديا في صورة الاحتضان والتقبيل والمداعبة.

سادسا: العدل بين الأولاد في المعاملة:

فكلما عدلنا في معاملة الطفل مع بقية إخوانه، ولم نفضل واحدا على الآخر، كلما كانت الفرصة مواتية لنموه نموا

**** الاسلام كرّم المرأة وجعل الحب والاحترام بين الرجل والمرأة أمراً مقدساً**

سليما، وقد اهتم الإسلام بهذه الناحية في تربية الطفل ولم يفرق بين الذكر والأنثى. ولقد كانت نصيحة النبي {صلى الله عليه وسلم} «اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف». وقوله صلوات الله وسلامه عليه «من كانت له أنثى ولم يعدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها - يعني الذكور - أدخله الله الجنة» كما أكد الإسلام على أن العدل في معاملة الطفل يحميه من كل صور الاضطراب النفسي والاجتماعي.

سابعا: حق الطفل في الحرية واللعب:

والإسلام كفل للطفل حق اللعب واللهو المباح باعتباره فطرته التى فطره الله عليها. ويرى بعض علماء المسلمين منذ زمن بعيد أن من يعارض الأطفال في لعبهم إنما يعارض الحياة عندهم!

وكان الرسول {صلى الله عليه وسلم} يدع حفيديه الحسن والحسين يلعبان مع أترابهما. وقد اقتدى الصحابة بالنبي {صلى الله عليه وسلم} في هذا الشأن. وقد أدرك المسلمون أهمية اللعب في نضج الطفل اجتماعيا واتزانه انفعاليا، فبدون اللعب يصبح الطفل أنانيا ضيّق الأفق غير محبوب ومن ثم فإنّ للعب مزايا عديدة في العملية التربوية وليس مضيعة للوقت.

ثامنا: حق الطفل في الأمن الاجتماعي والحماية من الظلم:

يحرص الإسلام على إشباع حاجة الطفل إلى الأمن بكل الوسائل المشروعة، وأهمها ألا يكون مسرحاً لنزاع الوالدين وشقاقهما، وقد قال تعالى: **{لا تضارّ والدة بولدها}** (سورة البقرة/ من الآية ٢٣٣)، ويرى الإسلام أن الأمن الاجتماعي يجب أن يتوافر للطفل وخاصة اللقيط أو اليتيم، لأنه أكثر الأطفال تعرضا للإساءة والظلم والقسوة والإهمال. وندّد القرآن بمن يسيء للطفل الضعيف أو اليتيم: {**كلا بل لا تكرمون اليتيم**} (سورة الفجر/ من الآية ١٧).. {**فأمّا اليتيم فلا تقهر**} (سورة الضحى/من الآية ٩)، وقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحْسَن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» يشير بأصبعيه.

تاسعا: حق الطفل في التربية والتعليم:

وهذا الحق مأخوذ من قوله تعالى: **{وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرا}** (سورة الإسراء/من الآية ٢٤).

والمقصود بالتربية هنا: عملية الإعداد والرعاية في مرحلة النشأة الأولى للإنسان، والتربية في هذه المرحلة مسؤولية الأسرة، فقد ألزم الإسلام الآباء بضرورة تربيتهم وتأديبهم: **{يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا}** (سورة التحريم/ من الآية٦). وقد أدرك المسلمون أهمية السنوات الأولى لحياة الطفل في التربية والتعليم في بناء شخصيته، ولذا أقرّ الإسلام نظام الالتزام في التعليم فأوجب على الوالد تعليم ابنه القرآن والصلاة فإذا لم يستطع يرسله إلى الكتّاب، فإذا لم يستطع نفقته فعلى أقربائه، فالمحسنون، وإلا فبيت المال ملزم بذلك[٨]!

عللٌ .. وأدوية:

من أهم الأسباب التى أوجدت تلك الأزمة التربوية والسلوكية التى وضحت معالمها في واقع حياتنا الأسرية ما يلي:

أولا: غياب قوامة الرجل:

**** قوامة الرجل: تأمين مستلزمات الحياة لأهله**

ويعدّ من أخطر الأمور التى أوجدت الخلل التربوي والسلوكي في كثير من الأسر؟! ونسوا أن اختصاص الرجل بالقوامة التى منحه الله إياها لا يغض ولا ينقص من قدر إنسانية المرأة؛ لأنه توزيع إلهى نشأ من مفارقات عضوية جسدية ونفسية عاطفية، لا من



تفرقة في جوهر الإنسانية المشترك بين النساء والرجال. قال الله ـ تعالى ـ {**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**} (سورة آل عمران/ من الآية ١٩٥).

فالقوامة التي قررها الإسلام للرجل في أسرته تقوم على اعتبارين: مادي حسي، ومعنوي أدبي:

ويتمثل الاعتبار المادي الحسي فيما يقوم به الرجل من سعي خارج البيت؛ لجلب سائر احتياجات الأسرة ومتطلباتها. علما أن تقرير هذه الحقيقة، لا يمس شخصية المرأة بأي سوء أو انتقاص؛ لأنه تقرير لأمر واقع مشهود ومسلّم به في حياة الناس قديما وحديثا.

ولا شك أن هذا الواقع يستند إلى مبرر فطري وظيفي، ذلك أن المرأة، بطبيعتها تحمل وتضع وترضع وتحضن وهي في هذه الأحوال والظروف تلاقي ضعفاً وألما وعجزاً عن مباشرة شدائد الحياة وقسوتها التي ينهض لها الرجل دونها؛ ومن هنا فرض الله تعالى الجهاد على الرجال دون النساء.

أما الاعتبار الأدبي والمعنوي الذي لاحظه الإسلام في قوامة الرجل على الأسرة، فهو أن عمل الرجل خارج بيته يوسع أفقه، ويكسبه التجارب والخبرات، وينوع علاقاته ومعاملاته مع كل مستويات البشر، فيطلع على أساليب تفكيرهم وطرق تعاملهم، ويتعرف على مكايدهم وحيلهم ويميز بين محسنهم ومسيئهم، وهذا مالا يتوافر للمرأة بحكم وظيفتها وميدان نشاطها الفطري.

وبالإضافة إلى ذلك: فإن تقسيم الوظائف الفطرية بين الرجل والمرأة يستند إلى تعليلات معقولة مشاهدة الآثار، حيث إن الوضع الطبعي للمرأة أن تقوم على رعاية البيت وتدبير شؤون الأبناء وحضانتهم بما عرف عنها من طبع لطيف، وعاطفة رقيقة فياضة ويسهل معها أن تنزل إلى مستوى أبنائها، فتفكر بعقولهم، وتملأ أرواحهم أملا وإشراقا، وتسعد قلوبهم مودة وصفاء، وتنمى أحاسيسهم الطفولية، فإذا ما كبروا تناولتهم يد الأب ليأخذوا عنه تجارب الحياة، ويتحملوا بأسها بقوة وإرادة وتدبير سليم[٩].

ثانيا: الاتكالية وعدم الاهتمام بأمر المسلمين:

من أخطر أمراض المسلمين المعاصرين، انفراط عقدهم وتشرذم أمتهم، فصاروا تجمعات صغيرة مبعثرة، واستبدلوا رابطة العقيدة بروابط دنيوية، وضعفت رابطة العقيدة والأخوّة، حتى وصل الأمر إلى تبلد الحس عند المسلمين نحو رابطة الأخوة الإسلامية، ونسوا أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: «من



** اختيار الزوجة، حسن تسمية الابن، وتحفيظه القرآن.. حقوق حفظها الاسلام للأبناء

**** الطفل العربي المسلم يتعرض لمؤثرات خطيرة تخضعه لضغوط سلبية متنوعة في ظل تراجع العملية التربوية للوالدين**

أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

ولكن .. كيف نربي أولادنا على الاهتمام بالمسلمين:

١ - متابعة أخبار المسلمين.

٢ - اهتمام البيت المسلم بالقضايا الإسلامية الكبرى وشرحها للصغار بما يناسب عقولهم. مثل قضية فلسطين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، والشيشان، وأسرى الكويت وغيرها.

٣ - من الاهتمام بالمسلمين: التعرّف على الدعوات الهدامة التى تكيد للمسلمين: كالحركة التنصيرية ووسائلها في دس السم في العسل، وأماكن تواجدها، والمؤسسات المختفية وراءها، والتعرف كذلك على القاديانية والباطنية والشيوعية والعلمانية والصهيونية وغيرها. وتحصين الناشئة ضد هذه الحركات الهدامة[١٠].

ثالثا: وسائل الإعلام الهابطة:

نتائج الأبحاث والدراسات تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الطفل العربي المسلم يتعرض لمؤثرات خطيرة، وأن شخصيته وهى في مراحل تكوينها تخضع لضغوط سلبية متنوعة، وتتفاقم المشكلة في ظل تراجع دور الأب والأم في العملية التربوية، وبسبب نقص المواد التعليمية في أكثر من بلد عربي، فإن دور المدرسة أيضا قد أصابه قصور كبير، ومع هذا الغياب والتقصير المتعدد الصور والأشكال، تأتى أجهزة الإعلام المعتمدة في جزء كبير منها على الإنتاج الأجنبي؛ لتسد الفراغ، ولتحدث هزه قيمية خطيرة قد ندفع ثمنها باهظا في المستقبل، ولنتذكر على الدوام مقولة شمعون بيريز - رئيس وزراء اسرائيل السابق - الذى يؤكد «لسنا نحن الذين سنغير العالم العربي، ولكنه ذلك الطبق الصغير الذى يرفعونه على أسطح منازلهم»[١١].

رابعا: الفراغ الديني:

وبسببه كانت تلك الأزمة التربوية والسلوكية التى وضحت معالمها في واقع حياتنا؛ فوجدنا ما لم نكن نسمع عنه من قبل: فمن قتل الأم لابنها من أجل عشيقها، إلى قتل الولد لأبيه وأمه بسبب المخدرات، إلى رجل يرتكب الفاحشة مع ابنته.. وغير ذلك من الانتكاسات الفطرية التى تصطك آذاننا بسماع أخبارها كل يوم؟!! فضلا عن الظواهر المتفشية في الأبناء: من تدخين ومسكرات ومخدرات وزنى ولواط وسحاق.. كل هذا نظرا لأننا ابتعدنا عن التربية الإيمانية!!

والطريق إليها: ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادىء الشريعة الغراء.

ومن المسلّم به: أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يراقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وأنه سيحاسبه إن قصّر وفرّط، ويعاقبه إن انحرف



وزل - لا شك أنه سينتهي عن الموبقات والقبائح، ويكف عن المنكرات والفواحش.

ومن المعلوم يقينا: أن حضور مجالس العلم والذكر، والمداومة على صلاة الفرض والنفل، والمواظبة على تلاوة القرآن، والتهجد في الليل والناس نيام، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع، والاستماع إلى أخبار الصحابة والصالحين، واختيار الرفقة الصالحة، والارتباط بالجماعة المؤمنة، وذكر الموت وما بعده، كل ذلك يقوّي في المؤمن جانب الخشية من الله، والمراقبة له، والاستشعار لعظمته[١٢].

** ربط الولد منذ تعقله بأصول الايمان تجنبه الأزمات التربوية والسلوكية

وبعد: فلنتأكد أنه: «لن يصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

فقد انتصر سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صورا حيّة من إيمانه، تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، يوم صاغ منهم كلا على حدة قرآنا حيّا يدب على الأرض، يوم جعل من كل فرد نموذجا مجسما للإسلام، يراه الناس فيرون الإسلام.

إنّ النصوص وحدها لا تصنع شيئا، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلا، وإن المبادىء وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكا.

ومن ثم؛ جعل سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} هدفه الأول أن يصنع رجالا لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطبا، وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة، أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} أن يحوّل الفكرة المجرّدة إلى رجال تلمسهم الأيدى، وتراهم العيون، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد بن عبد الله {صلى الله عليه وسلم} من عند الله[١٣].

الهوامش:

(١) المبادىء الإسلامية: ص ١٣١.

(٢) نحو فهم صحيح عن الكون والحياة: ص ٨٥، ٨٦.

(٣) المبادىء الإسلامية: ص ١٣٣، ١٣٤.

(٤) المرجع السابق: ص ١٣٢.

(٥) نحو فهم صحيح عن الكون والحياة: ص ٨٧.

(٦) المبادىء الإسلامية: ص ١٣٢ وما بعدها، ولمزيد من التفصيلات؛ راجع: فقه السنة: للشيخ سيد سابق، ١١٥/٢ وما بعدها.

(٧) فقه السنة: ١٤/٢، ١٥.

(٨) حقوق الطفل في الإسلام: د. حلمى محمد القاعود، ص ٣ (مقال منشور بمجلة الخفجي): عدد يوليو ١٩٩٥م.

(٩) القوامة على الأسرة لماذا هى للرجل: د. حسن أبو غدة، ص ٧٥ (مقال منشور بمجلة «الوعى الإسلامى» عدد ذى الحجة ١٤١٨هـ).

(١٠) كيف نربي أولادنا على الاهتمام بالمسلمين؟ خالد أحمد الشنتوت، ص ٨٢ وما بعدها، (مقال منشور بمجلة «منار الإسلام»: عدد شوال ١٤١٨هـ).

(١١) الأطفال ومشاهدة العنف في التليفزيون: عبد الرحمن غالب، ص ٨٨.

(١٢) تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله ناصح علوان ١٤٧/١، ٢٢٩.

(١٣) دراسات إسلامية: للشهيد سيد قطب، ص ٢٥.

منهج الإسلام في تربيـ

الأبناء غراس حياة، وقطوف أمل، وقرة عين.

الأبناء، هم بناة الغد؛ وهم رجاله: مفكروه وسواعده، ودروع أمنه، وحماة استقراره، وهم في الاسلام مستودع أمانات الآباء، يحفظون الدين، وينقادون لرب العالمين، من أجل ذلك وجه الإسلام عنايته الى تربيتهم التربية الصحيحة، حتى يسعد بهم المجتمع، ويسعدوا هم بالمجتمع. فلقد شملت عناية الاسلام جميع جوانب حياة الفرد، لينمو نموا متكاملا، نموا يشمل: جسمه وروحه وخلقه وعقله، وبالمحافظة على هذا النمط العالي من التربية الراقية، يربى المواطن الصالح، الذى يعرف حقوقه وواجباته، ويبنى الفرد المسلم القوى، الذى يعيش بعقيدته الصحيحة، وعقله الواعي، وخلقه القوى.

ونحن أمة الاسلام: إذا أردنا لأنفسنا مجداً وعزا وسؤددا، علينا أن نعود إلى جوهر ديننا الحنيف، علينا أن نربى الأجيال المسلمة على نمط من الرجولة الحقة، والإنسانية الكريمة، النمط الذى لمسناه في المسلمين الأول، حيث كانوا: قوة في العقل، وقوة في الروح، وقوة في الخلق، وقوة في الجسم.

إننا لكى نربى الأبناء تربية عالية ومتكاملة، يجب أن نصوغهم صياغة تتفق مع ما نؤمن به من عقائد، ومثل عليا كريمة، مستمدة من كتاب الله ـ عز وجل ـ ومن سنة رسوله {صلى الله عليه وسلم} وللمزيد من الارشاد والتوجيه يقول فضيلة الشيخ الجليل محمد متولى الشعراوى في حديث له من برنامجه المشهور خواطر ايمانية ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ نقتطف منه ما يلي:

«أشهى ثمرات الحياة إلى الإنسان الأولاد، يعرف ذلك من ذاق حلاوتهم ومن ابتلى منهم بالحرمان. وبشدة مرارة الحرمان يعرف قدر نعمة الله بهم على الانسان، وعلى الأولاد عمارة الأرض وهى مقصود خلق الله للأكوان. قال تعالى في محكم كتابه: {**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**} (الكهف/ ٤٦). وعن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «الولد ثمرة القلب» (مجمع الزوائد منبع الفوائد للهيثمى)

بقلم: فيصل صالح أسعد ـ جدة



ـة الأولاد



ولما بشر عليّ بفاطمه قال: «ريحانة أشمها ورزقها على الله» وحب الولد من طبيعة الانسان لهذا تمنى الولد جميع الناس حتى الانبياء وقد تضرع إبراهيم عليه السلام الى ربه أن يهبه الذرية فقال: {**ربّ هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم**} (الصافات/ ١٠٠، ١٠١).

وتضرع زكريا ـ عليه السلام ـ فقال: {**وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّا**} (مريم/ ٥، ٦).

ولقد صور كثير من الأدباء والشعراء أحاسيسهم بحب الأولاد، وهذه الصور على تنوعها وتلوينها تصدر عن عاطفة واحدة، وطبيعة واحدة، هي طبيعة الحب الخالص، والود الصادق».

قال الأحنف لمعاوية: وقد غضب على ابنه يزيد فهجره: **يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، وبهم نصول عند كل جليلة، إن غضبوا فأرضهم، وإن سألوك فأعطهم، ويحبوك دهرهم، ولا تنظر إليهم شزراء ولا تكن عليهم ثقيلا، فيتمنوا وفاتك،** ويكرهوا قربك، ويَمَلُّوا حياتك» وقال أبو تمام:

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبّت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني عن الغمض

والولد ليس ملكا لوالديه فقط، بل هو ملك للأمة، ويسعد والداه، وتسعد الأمة بمقدار توفيقهم في حسن تربيته، وإعداده لرسالته في الحياة إعداداً جسميا وخلقيا، وعقليا، وتربية الولد واجب مشترك بين الوالدين وبين الدولة، في المنزل والمدرسة، إلا أن الواجب الأول، والعبء الأوفى يقع على كاهل

الوالدين، وعلى الوالدة بخاصة في حال الطفولة والصغر، لأن تأثر الولد بوالدته في هذه الحالة يكون قويا.

وقد قدر الإسلام خطورة هذا التأثر، فمنع أن يتزوج المسلم المشركة، خوفا أن يفتتن الأولاد في دينهم باتباعها، وكذلك قرَّر علماء النفس والاجتماع فقالوا: «إنه على ما يتلقاه الطفل في المنزل من الوالدين، يتوقف الى حد كبير، تكوينه واعداده للحياة». وقال الإمام الغزالي: **«والصبى أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة سانجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش عليه، وقابل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير عُلمه وعلّمه، ونشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقى وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، الوالى له،** وقد قال الله - عز وجل - **{يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}** (التحريم/ ٦).

وقد أرشد الإسلام الى قواعد عامة لتربية الطفل جسمياً وعلمياً وخلقياً؛ فأرشد إلى ما يقوى جسمه، ويشد عوده، بممارسة أنواع من الرياضة كالمسابقة والمصارعة والرماية والسباحة، وركوب الخيل، وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} القدوة العملية في ذلك، فعن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال: «مَرَّ النبي {صلى الله عليه وسلم} على نفر من أسلمة ينتضحون فقال: ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا وأنا مع بنى فلان قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال {صلى الله عليه وسلم} ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمى وأنت معهم؟ قال النبي الكريم: ارموا فأنا معكم كلكم» (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «بينا الحبشة يلعبون عند النبي {صلى الله عليه وسلم} بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال: «دعهم يا عمر» وصارع النبي {صلى الله عليه وسلم} ركانة فصرعه».

وعن عمر - رضي الله عنه - **«علموا أولادكم السباحة ومروهم يثبوا على الخيل وثبا»** ودعا الإسلام إلى تعليم الأولاد في تأكيد فقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» ولم يقصرهم على لون منه دون لون إلا أنه يرى أن أولى العلوم بالتعليم هو العلم الدينى، لأنه الوسيلة إلى سعادة الدنيا والآخرة، وبتعاليم الدين تستقر النفوس وتطمئن القلوب، وتسعى في شئونها راضية لا يبطرها نجاح ولا يزلها فشل، لأنها تكل مصائر الأمور الى الله - وجعل التعليم من حق الولد على والده وروى البيهقى عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: **«حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يحسن موضعه - أى يختار والدته من أصل طيب - وأن يحسن أدبه»** (كنز العمال جـ ١٦).

وفرض الإسلام العلم على كل مسلم ومسلمة،



ولم يقصرهما على لون منه دون لون فلكل منهما أن يأخذ منه ما يلائمه ويعينه على رسالته ووظيفته فللمرأة أن تأخذ منه ما يعدها أن تكون زوجا صالحة تسر زوجها، وتحسن القيام على شئون منزلها، وأماً صالحة تحسن تربية أطفالها، وتوجهها إلى حياة فاضلة سعيدة، وللرجل أن يأخذ منه ما يعده للرسالة التي يختارها لنفسه، ويعينه على تحصيل رزقه.

وأرشد الإسلام إلى قواعد عامة في الفضائل وآداب الاجتماع هي أسمى ما تصل إليه الآداب في أرقى المجتمعات، تتمثل في آيات القرآن الكريم وعمل الرسول {صلى الله عليه وسلم} وعمل أصحابه. ودعا الآباء إلى أن يأخذوا أبناءهم بها لينشئوهم جيلا صالحا يتحلى بالآداب والفضائل، لتسعد بهم الأسرة وتسعد بهم الأمة، وتكون كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس قال تعالى في محكم تنزيله: **{ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك إليّ المصير* وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بُنيّ إنها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير * يا بنيّ أقم الصلاة وأْمُرْ بالمعروف وانْه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إنّ الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك وأغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير}** (سورة لقمان/ ١٤ الى ١٩).

وقال الله تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث مرات لكم ليس عليكم ولا عليهم جُناح بعدهنّ طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم} (النور/ ٥٨).

في هذه الآية الكريمة يرشد الله الآباء إلى أن يعوّدوا أطفالهم الاستئذان للدخول عليهم في أوقات ثلاث هى مظان الراحة، وعدم التقيد بلياقة في لبس أو جلوس، ومظان ان ترفع الكلفة فيها بين الرجل وأهله، حتى لا يطلع الطفل على مالا ينبغى أن يطلع عليه في هذه الأوقات وهي: قبل صلاة الفجر، وعند الراحة في الظهر، ومن بعد صلاة العشاء.

وعن عمر بن سلمة أنه كان غلاما صغيرا في حجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكانت يده تطيش في الصحفة إذا أكل - أي تتحرك في الطبق دون انتظام - فقال رسول الله: **«يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك»** (رواه البخارى).

إلى آداب كثيرة استفاضت بها السنة وثبتت بالنقل الصحيح عن الصحابه رضوان الله عليهم.

* وأرشد الإسلام إلى التلطف بالأبناء في التربية والتوجيه، حتى لا ينفروا منها ولا يتبرموا بها

ولتنغرس في نفوسهم في فيض من العطف الأبوى الخالص: وعن النبي {صلى الله عليه وسلم}: أنه كان إذا رأى فاطمة ـ رضى الله عنها ـ مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ يدها فقبلها. وعنه {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم» (رواه ابن ماجه) وقد جاءه أعرابى فقال: أتقبلون الصبيان فما نقبلهم؟ فقال له: «أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة» (رواه البخارى). وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد ـ رضى الله عنهما ـ قالت: «أتيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع أبي، وعليّ قميص أخضر، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سنه، سنه وهى بالحبشية: حسنة قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزجرنى أبي. فقال رسول الله : دعها. ثم قال: أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى.

* وحث الإسلام إلى وجوب العدل بين الأولاد في العطاء والحب، حتى ينشأوا متحابين متعاونين وأنكر الإسلام أن يميز بين البنين والبنات، حتى لا يحملهم التمايز على عقوق الآباء وجفوتهم، وعن النبي {صلى الله عليه وسلم}: **«أن ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء»** (السنن الكبرى للبيهقى) وينبغى أن يأكل الوالد مع أولاده تأنيساً لهم وقياماً على توجيههم ورعايتهم، وعن سفيان ـ رضى الله عنه ـ بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة.

* ولا شك أنّ الهدف من هذه التربية، هو تكوين شخصية الولد تكوينا إسلامياً كاملا متزنا، حتى يستطيع أن يقوم بالواجبات الملقاة على عاتقه، على أحسن وجه وأكمله. ولا شك أن الوالد أو المربيّ الشفيق الرفيق هو الذي ينجح في عمله، ويقطف ثمار تربيته.. وينال حظه مضاعفا من خيرى الدنيا والآخرة، ويفوز برضوان الله سبحانه على ما أعطى وقدّم. وعلى هذا، فإن من أهم ما يدعو الإسلام المربيّن إلى تحقيقه، هو صقل النفس، وتهذيب العقل وتحرى الإقناع، وتوخيّ الحلم وسعة الصدر، وترك المجاهرة بالتقريع والتوبيخ.. لأن الولد حساس، رقيق الشعور، كالعجينة اللينة، تؤثر فيه الكلمة، وتدخل الى قلبه، إن خيرا، وإن شراً.

* والتربية الصحيحة الحقة، هي التي لا تقابل الانفعال بالغضب، ولا الصدود بالاعراض بل تتطلب من الوالدين والمربّين أن يخلقوا جواً من الثقة بينهم وبين أولادهم وأن يكون رائدهم التروّى والإقناع. وألا يوقعوهم في عقدة القنوط بالتقريع واللوم، إذا ما اتفق لأحدهم أن أخطأ أو أسرف على نفسه.. وعليهم أن يتبعوا منهج القرآن في الترغيب والترهيب.. فيفتحون بذلك للمخطىء باب الأمل والتوبة.. والله سبحانه يقول في كتابه الكريم: **{كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم}** (الأنعام/ ٥٤).

* وهكذا فإن التربية الرقيقة اللطيفة الحانية، كثيرا ما تفلح في تربية الأبناء على استقامة ونظافة واستواء.. ولكن هناك ملاحظة هامة يجب أن نعيها جميعاً وهى أن التربية التى تزيد في الرقة واللطف والحنو، تضر ضرراً بالغا بالأبناء.. لأن الزيادة في



الحنو والرقة تنشيء كيانا ليس له قوام٠٠ والنفس في ذلك كالجسم٠٠ فإذا رفقت بجسمك رفقا زائداً، فلم تحمّله جهداً خشية التعب، ولا مشقة خشية الانهاك٠٠ فالنتيجة المحتمة أنه لا يقوى أبداً، ولا يستقيم له عود٠٠ وإذا رفقت بنفسك رفقا خارجا عن المألوف، فلم تحملها أبدا على ما تكره٠٠ فالنتيجة الواقعة، أنها تتميّع وتنحرف ولا تستقيم٠٠ وفضلا عن ذلك، فإنها تشقى صاحبها، لأنها لا تدع له فرصة يتعود فيها على ضبط مشاعره وكبح شهواته٠٠ فيصطدم بالواقع الأرضى، الذى لا يعطى للناس كل ما يشتهون٠

ومن هنا، كان لابد من بعض الحزم في تربية الأبناء، وإن اقتضى الأمر باستخدام العقوبة أو الترهيب، على الأقل في بعض الأحيان٠

فمن أساليب الترهيب، أن يقرر المربي في أذهان الأولاد أنّ تعجيل العقوبة في الدنيا متوقف على الذنوب، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا، إنما يكون بسبب آثامه التى ارتكبها٠٠ لأن الولد قد يتساهل في أمر الآخرة ويستخفه٠٠ ويخاف من عقوبة الله اكثر في الدنيا٠٠ وخاصة أنه يخطو خطوته الأولى نحو بناء مستقبله٠٠ فينبغى أن يخوّف بعقوبة الله في الدنيا٠٠ وبأن الذنوب يعجل جزاؤها غالبا في الحياة٠ وصدق الله العظيم إذ يقول: **{وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير}** (الشورى/ ٣٠)٠

ويقول النبي {صلى الله عليه وسلم}: «خمس تُعاجل صاحبهن بالعقوبة: البغى والغدر وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، ومعروف لا يشكر»٠

وعلى هذا، فإن على الآباء والمربين أن يفهّموا الأبناء بأن الله تبارك وتعالى إنما يعفو عن مرتكب الخطيئة إذا ندم عليها، وتاب منها، واستغفر ربه بعدها، واستشعر أنه قد أخطأ في ارتكابها٠٠ وبذلك ينشأ الأبناء على الطهر والنقاء، والمحبة والصفاء٠٠ لا يكدّرهم إثم، ولا يدنسهم رجس٠

ويوم يتربى أولادنا على هذه الخصال الحميدة، وهاتيك المكارم٠٠ ويوم يتحررون من الخوف والجبن والخور٠٠ ويوم يفعلون كل هذا، فسيتحول الجيل يومئذ من الخوف الى الشجاعة، ومن الخور الى العزيمة، ومن الذل إلى الكرامة ليصبحوا أسياد الدنيا، ومحط أنظار الأمم٠ وبهذه التعاليم يدعو الإسلام الآباء أن يأخذوا أبناءهم بها ليسعدوا وتسعد بهم الأمة، وهذه السعادة غاية ما يهدف إليه الإسلام٠

اهم مصادر هذا البحث:

- تربية الأبناء في الاسلام لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى - رحمه الله - الجزء الأول من مجلة الأزهر ١٩٩٠٠

- التربية في مفهوم الاسلام لمحمد قطب - مكتبة السنّة بالقاهرة - مجموعة مقالات إسلامية نشرت بمجلة العقيدة الإسلامية التى تصدر شهريا لبعض كتاب اسلاميين٠

- دور الأسرة في تربية الأبناء - لسعيد عبد الله رحاب - دار الأمة للنشر والتوزيع بدبي ١٤١٠هـ٠

المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة

ونحن نستقبل الألفية الثالثة كثرت التحديات التي تواجه أمتنا الإسلامية، ومن أخطر هذه التحديات نظام العولمة الذي يعتبر العالم قرية كونية صغيرة، إذ أراد الغرب استغلال ثورة الاتصالات الحديثة في فرض سيطرته وثقافته، وتصدير أمراضه إلى كل ثقافات العالم كجزء من التطويع الثقافي للعالم الثالث لمقتضيات النظام العالمي الجديد.

هذا وإن كان مصطلح العولمة قد ظهر على الساحة في العشرة الأعوام الأخيرة، وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي إلا أن الإعداد العملي والفعلي له كان في الستينيات من هذا القرن، لإزالة الإسلام واقتلاعه بتنصير المسلمين، واستقبال الألفية الثالثة بلا إسلام، وهذا مخطط صيغت أبعاده منذ عام ١٩٦٥م في المجمع المسكوني الثاني؛ إذ نص هذا المجمع على توحيد الكنائس تحت كاثوليكية روما لتوحيد الصف في مواجهة العدو الذي هو الإسلام، فقد قرر المجمع اقتلاع اليسار في عقد الثمانينيات، واقتلاع الإسلام في عقد التسعينيات.

وتلا هذا المؤتمر المسكوني الثاني مؤتمر كلورادو في شمال أمريكا، الذي عقد عام ١٩٧٨م، وحضره مائة وخمسون عالماً متخصصاً في شؤون التنصير، وتمت خلاله دراسة أربعين بحثاً تناول كل منها منفذاً من المنافذ التي يمكن التسلل منها لتنصير المسلمين.

وكانت المرأة المسلمة في مقدمة هذه المنافذ، إذ استغلوا جهلها بدينها من جهة، وعدم حصولها على حقوقها كاملة كما منحها الإسلام، ومعاناتها من النظرة الدونية لها من جهة ثانية، وتشدد بعض علماء الدين وتفسير بعض النصوص القرآنية والحديثية طبقاً للعادات والتقاليد، وإخضاع بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالنساء لباب سد الذرائع فحرمت من حقوق منحها إياها الإسلام، باسم الإسلام، فهذا جعلها تشعر بالظلم والغبن، وهذا من جهة ثالثة، مع وجود فئات في المجتمع متأثرة بالفكر الغربي والحياة الغربية تريد من المرأة المسلمة أن تحذو حذو المرأة الغربية وتنبذ كل ما هو ديني وإسلامي، من جهة رابعة، فاستغلوا كل هذه التغيرات ونفذوا إلينا من خلالها، بل اخترقوا بيوتنا مستخدمين دعاة ما يسمى بتحرير المرأة في تنفيذ كل ما يخططون له.

المسارات التي ساروا فيها:

ولتنفيذ مخططاتهم في هدم كيان المجتمع الإسلامي من خلال المرأة لأهمية دورها في بناء كيان الأسرة والمجتمع ساروا في ثلاثة مسارات في آن واحد، كل واحد منها يخدم الآخر ويتمم أهدافه ومساعيه، وهذه المسارات هي:

١ ـ التمويل الأجنبي للجمعيات الأهلية النسائية.

٢ ـ الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان وإزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة وإلزام الدول الإسلامية التوقيع عليها مقابل إعفائها من بعض الديون التي عليها.

٣ ـ مؤتمرات المرأة العالمية.

أولاً: التمويل الأجنبي للجمعيات الأهلية النسائية:

يستهدف التمويل الأجنبي للجمعيات الأهلية النسائية تسخير هذه الجمعيات لخدمة أهداف مموليها، وفي مقدمة الممولين مؤسسات أمريكية تتبع الحكومة

بقلم: أ. سهيلة زين العابدين حماد ـ المدينة المنورة



الأمريكية مباشرة، وتحويلها جزء من ميزانية الولايات المتحدة، ويتحكم فيها الكونجرس الأمريكي، وهذا ما قالته مديرة البرامج في هيئة المنحة المحلية للديمقراطية في قسم الشرق الأوسط؛ إذ يمكن تلخيص كلامها في النقاط التالية:

١ ـ إن تحويل جزء من ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية لدعم هذه الجمعيات، ويتحكم فيها الكونجرس الأمريكي.

٢ ـ ليس من حق الجمعية التي تتلقى منهم تمويلا أن تكون جماعة ضغط «لوبي» على سياسات الكونجرس، وكما قالت بوضوح.. ممنوع استعمال أموال قادمة من الكونجرس للضغط على الكونجرس.

٣ ـ إن المطلوب من الجمعية المتلقية لتمويل الكونجرس أن تقدم المعلومات التي يريدها الكونجرس، وبذلك تتحول إلى أداة تابعة للكونجرس الأمريكي في بلادها دون أن تستطيع الإفلات من هيمنته عليها لأنه يعرف كيف يقبض على عنق العميل، عن طريق تقسيط المنحة وليس إعطائها دفعة واحدة.

وتقول المسؤولة: «نحن لا نعطي المنحة مرة واحدة، ولكن على مراحل تكون مرهونة بتلقي تقارير كتابية حول تطور العمل، وتقارير مالية، كما يتم تنظيم زيادات البرامج وهي زيادات تهدف أيضاً إلى تطوير أداء المؤسسات التي تتلقى التمويل أو مساعدتهم في المسائل التقنية، أيضاً في نهاية البرامج لابد أن يتم تقييم إجمالي للبرنامج»[١].

الهيئات الأجنبية الممولة للجمعيات الأهلية:

فيما عدا دول الخليج فإن المساعدات الخارجية من دول ومنظمات دولية، ومنظمات أجنبية غير حكومية قد ارتفع وزنها الى درجة كبيرة من مكونات التمويل فمثلا المساعدات الحكومية لدار الأيتام الإسلامية في لبنان تبلغ ١٠٪، بينما التبرعات والموارد الخارجية تبلغ ٢٠٪، وبالنسبة لجمعية الشبان المسيحيين فتصل المعونات والتبرعات الأجنبية إلى ٨٧٪ بينما المساعدات الحكومية ١٠٪.

هذا وتعد هيئة المعونة الأمريكية A .I.D أحد المصادر الأساسية للتمويل في مصر للجمعيات الأهلية غير ذات التوجه الإسلامي ـ فالجمعيات الإسلامية تعتمد على الدعم الذاتي ـ فقد وقعت هيئة المعونة الأمريكية مع الحكومة المصرية عام ١٩٩١م اتفاقاً لدعم المنظمات التطوعية الخاصة تضمنت تحويلا حجمه ٢٠ مليون دولار، ومن قبل في عام ١٩٨٧م وحتى عام ١٩٩٠م تبنت مشروعاً لدعم المنظمات العاملة في مجال التنمية المحلية بحجم تمويل ١٥ مليون دولار وأموال المعونة الأمريكية التى تأتي مرة باسم (UNI) ومرة باسم «سيريا» ومرة باسم (AID) تتبع جميعها الحكومة الأمريكية مباشرة.

وهناك مؤسسات أمريكية أخرى لا تندرج تحت اسم المعونة الأمريكية AID، ولكنها تتبع الحكومة الأمريكية أيضاً مثل المنحة المحلية للديمقراطية في واشنطن التي تقول عنها مديرة قسم برامج الشرق الأوسط أنها تم تكوينها بناء على مبادرة من إحدى لجان الكونجرس التى قامت بدعوة عدد من المهتمين بدعم الديمقراطية للمشاركة في مجلس الإدارة، وتقول عن تمويل الهيئة أنه جزء من برنامج المساعدات الأمريكية الخارجية والميزانية الخاصة بنا»[٢].

ومن المؤسسات العالمية التي تدعم الجمعيات النسائية مؤسسة «فوردفوندشن» وغيرها من المنظمات الدولية ذات السمعة العالمية في زعزعة بنيان العالم الثالث، وتهيئته لما يسمى بالنظام العالمي الجديد، أو السطوة الأمريكية الجديدة مثل :

المعونة الأسترالية، وسيداكندا وهي تتبع الحكومة الكندية مباشرة ، ودانيدا الدانمارك، وفنيدا فنلندا ، نورادا النرويج، وسيدا السويد، ومؤسسة نوفيب التابعة للحكومة الهولندية، ومنظمة فريدريش إيبرت، وهي منظمة ألمانية على علاقة بالحزب الديمقراطي في ألمانيا وجهات أخرى[٣].

ومن هذه المنظمات المركز القومي لحقوق الإنسان وتنمية الديمقراطية، والصندوق الأوربي لحقوق الإنسان والمعهد القومي الديمقراطي للشؤون الدولية لجنة الحقوقيين الدوليين.

والخلاصة بالنسبة إلى مصادر تمويل الجمعيات الأهلية، فأن هناك مصادر متنوعة ومتعددة، محلية (اشتراكات الأعضاء، معارض، بيع سلع، أو خدمات، دعم الحكومة المالي والفني، تبرعات) وأخرى خارجية «أبرزها التمويل الأجنبي».

هذا ونرى أن التمويل الأجنبي لا يشمل منطقة الخليج العربي، فهو قاصر على الأقطار الفقيرة مثل: «مصر، وتونس، والمغرب، والجزائر، والأردن، السودان، موريتانيا، جيبوتي.

ومما تجدر الإشارة إليه فإن المنظمات ذات السمة الدينية «الإسلامية على وجه الخصوص تتوافر لها مزايا الاكتفاء الذاتي من التمويل الذاتي، فأموال الزكاة والصدقة وتبرعات المسلمين تشكل المصدر الأساسي لتمويل هذه المنظمات.

أبعاد وخطورة التمويل الأجنبي للجمعيات الأهلية:

إن كانت الجمعيات الأهلية النسائية تسعى الى استقلالها عن حكوماتها، فهي بسعيها وراء التمويل الأجنبي تقذف بنفسها في أحضان الحكومات الأمريكية، والكندية والسويدية، والهولندية، والدانماركية، والألمانية، لأن هذه الحكومات لا تمول هذه الجمعيات لوجه الله تعالى، وإنما تدعمها لتسيرها وفق خطط وأهداف وضعتها هذه الحكومات مسخرة القيادات النسائية في هذه الجمعيات لتحقيقها، وبالتالي أتيح لهذه الحكومات الأمريكية والأوربية اختراق بيوتنا من خلال هذه الجمعيات.

وتظهر لنا هذه الأهداف والمخططات في مؤتمرات المرأة العالمية والاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة والأسرة.

ثانيا: الاتفاقيات الدولية:

ومن أخطر هذه الاتفاقيات، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداوCEDAW) وقد صدرت هذه الاتفاقية عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام ١٩٧٩م، وأصبحت سارية المفعول منذ ٣ سبتمبر ١٩٨١، ووصل عدد الدول الموقعة عليها إلى ١٣٩ دولة أي أكثر من ثلثي أعضاء الأمم المتحدة.

وتنص الاتفاقية على ديباجة تشجب فيها الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة وتوافق على أن تنتهج بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء، سياسة القضاء على التمييز ضد المرأة، ***وتحقيقا لذلك فهي تتعهد بتجسيد مبدأ المساواة بين المرأة والرجل في دساتيرها الوطنية أو تشريعاتها***، واتخاذ التدابير التشريعية المناسبة وغيرها من الاجراءات الضرورية لحظر كافة أشكال التمييز ضد المرأة، والامتناع عن الاضطلاع بأي عمل أو ممارسة تمييزية ضد المرأة، وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام، إضافة الى ذلك تتكون الاتفاقية من عدو من البنود تتناول كافة جوانب الحياة العامة والشخصية للنساء.

هذا وتعد اتفاقية (السيداو) بمثابة قانون دولي لحماية حقوق المرأة، حيث إنه بموجب هذه الاتفاقية تصبح الدول الأطراف الموقعة عليها ملتزمة باتخاذ كافة التدابير للقضاء على التمييز بين الرجال والنساء سواء على مستوى الحياة العامة فيما يتعلق بممارسة جميع الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي التمتع بهذه الحقوق، أو على مستوى الحياة الخاصة وعلى وجه الخصوص في الإطار الأسري.

وهذه الاتفاقية تعتبر عمل المرأة التكسبي حقاً مكتسبا وليس ضرورة استثنائية، كما أن هذه الاتفاقية لا تريد استثناء المرأة من بعض الأعمال التي توصف بأنها ذات مخاطر جسدية أو اخلاقية، فهي تريد للمرأة أن تعمل في الأعمال اليدوية، وفي المحاجر والمناجم وتعتبر منظمة العمل الدولية استثناء المرأة من هذه الأعمال تخلفاً ورجعية، وتتولى مؤسسة (فريدريش إيبرت الألمانية) متابعة تنفيذ هذه الاتفاقية في مصر بمناقشة مواد هذه الاتفاقية مع القيادات الفاعلة في مصر لتتخذ مجراها الى التنفيذ.

وقد حضرتُ ملتقى الحوار حول اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة لمناقشة المادة ١١ من الاتفاقية الخاصة باتخاذ جميع التدابير الضرورية للقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان العمل لكي تكفل لها على أساس المساواة مع الرجل، وكان هذا الحوار يوم الأحد ١٩٩٩/١١/٧م.

ومعظم البحوث التي طرحت للنقاش في هذا الملتقى تتحايل للإيهام بأن المرأة مقهورة ومغلوبة، وأن هناك تمييزاً في الأجور بين الرجال والنساء العاملين في ذات الجهة، بل ادعي أن هذا نتيجة دراسة ميدانية، وعندما سئلت الباحثة: هل هذه الدراسة الميدانية كانت على دفع الأجور بالنسبة لكمية الإنتاج أم أجور مقررة حسب اليومية، فأجابت الباحثة : كانت الأجور تقدر على كمية الإنتاج، فقالت السائلة: إذاً اتضحت الصورة الآن، فكمية إنتاج الرجال أكثر من إنتاج النساء وبالتالى كانت أجورهم أعلى.

كما قدم أحد الباحثين بحثا بيّن فيه أن الظلم واقع على المرأة فقط في كثير من القوانين وعندما ردت عليه إحدى الأخوات بينت أن هذا الظلم ذاته واقع على الرجل أيضا.

وفي الملتقى طالب البعض أن تتساوى المرأة مع



الرجل في مزاولة جميع الأعمال بما في ذلك الأعمال الليلية، والعمل في المحاجر والمناجم، رغم أن الدراسات أثبتت باستفتاء النساء أنفسهن، أنهن يرفضن الأعمال الليلية لأنها تعرضهن للخطر، وللابتزاز الجنسي، بل طالبت بعض السيدات أن يتفرغ الرجل لتربية الأولاد، كما تتفرغ لها المرأة لأن تربية الأولاد مسؤولية مشتركة بينهما، فلماذا تلزم المرأة بها وحدها؟.

وكما رأينا فهناك محاولات لتضليل الرأي العام، وإيهام المرأة المسلمة أن كل القهر واقع عليها من قبل مجتمعها، وأن هذه الاتفاقية سترفع عنها كل الجور والظلم، وأن الأمم المتحدة ستحررها من سطوة مجتمعها عليها، وليس دينها، مع أنها تريد هلاكها وهلاك مجتمعها.

ومما يؤسف له أن دول العالم الثالث بما فيها دول العالم الإسلامي تُلزم بتوقيع هذه الاتفاقيات مقابل رفع بعض الديون عنها، أو تقديم معونات هي في أمس الحاجة إليها. وهذا مؤشر خطير علينا أن ندرك أبعاده وأغواره.

ثالثا: مؤتمرات المرأة العالمية:

ـ بدأت سلسلة مؤتمرات المرأة العالمية منذ عام ١٩٧٥ بمؤتمر المرأة العالمي الأول الذي عقد في مدينة مكسيكو عاصمة المكسيك في الفترة ما بين ١٩ يونية الى ٢ يوليه، وحضرت المؤتمر ١٣٣ دولة، ومنظمة ، وأكثر من ١٠٠٠ مندوب ٧٠٪ منهم نساء.

ـ في عام ١٩٨٠ كان مؤتمر المرأة العالمي الثاني الذي انعقد في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك في الفترة ما بين ١٤ ـ ٣١ يوليو، وحضر هذا المؤتمر أكثر من ألفي مندوب من ١٤٥ دولة عضو بالأمم المتحدة والمنظمات المعنية والهيئات الخاصة التابعة للأمم المتحدة. واستعرض هذا المؤتمر أهم الانجازات التي حققت في النصف الأول من سنوات المرأة العشر التي خصصتها الأمم المتحدة للمرأة، ومن هذه المنجزات «إجازة الأمم المتحدة في ديسمبر عام ١٩٧٩م اتفاقية إزالة جميع أشكال التمييز ضد النساء.

ـ مؤتمر المرأة العالمي الثالث الذي عقد في نيروبي عاصمة كينيا في الفترة ما بين ١٣ ـ ٢٦ يوليو، وحضره اكثر من ٦٠٠٠ شخص من بينهم مندوبون من ١٥٧ دولة ومنظمة ، ومن ٥٦ هيئة خاصة تابعة للأمم المتحدة، وفي نهاية هذا المؤتمر أجيز «استراتيجية نيروبي للتطلع إلى الأمام لتقدم النساء عام ٢٠٠٠».

وتعد استراتيجية نيروبي وثيقة منهاجية معترفاً بها من المجتمع الدولي، ومن أجل تحقيق المزيد من المساواة بين الجنسين، ومشاركة النساء في تنمية الوطن وصيانة السلم العالمي قبل عام ٢٠٠٠، وضعت «استراتيجية نيروبي» متخذة المساواة والتنمية والسلم هدفاً عاماً لها ومشروعات ذات هدف واضح يركز على العمل بجد، مما عكس عالمياً مطالب النساء في مختلف بلدان العالم، وأمانيهم في مجال السياسة والاقتصاد والمجتمع والثقافة وغيرها[٤].

ـ مؤتمر المرأة العالمي الرابع في بكين الذي عقد في الفترة من ٤ ـ ١٥ سبتمبر عام ١٩٩٥م ومن أهم أعماله تنفيذ استراتيجية نيروبي.

وهذا المؤتمر يبلور جميع الأهداف والمخططات التي يسعى إليها الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة لسلخ المجتمعات الإسلامية من دينها تمهيداً لتنصيرها وطمس هويتها وفقدها شخصيتها وجعلها تابعاً ممسوخا يسير في فلك الغرب، ويقع تحت الهيمنة الأمريكية.

وعند تحليل وثيقة مؤتمر بكين نجد الآتي:

١ ـ تعتمد هذه الوثيقة على عبارة ***«تمكين المرأة» وهذه العبارة قد توهم بتمكين المرأة من المشاركة في صنع القرار، ولكنها تستهدف أيضاً تمكينها من تغيير النوع والجنس ووظائفه وأدواره ومفاهيمه***، وقد مهد لتحقيق هذا الهدف ما جاء في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة «إن تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة يتطلب إحداث تغيير في الدور التقليدي للرجل وكذلك في دور المرأة في المجتمع والأسرة».

وهنا نرى تجاوزاً لطبيعة كل من الرجل والمرأة، وما استكن في هذه الطبيعة المتغايرة من الكثير من الخصائص، والوظائف العضوية، والنفسية، وإن تساويا في الإنسانية، ولذا نجد في هذه الوثيقة ورود عبارة جندر (Gender) أكثر من ستين مرة وتعني «النوع» للذكر والأنثى، وهذه الكلمة لم ترد في ترجمة النص الرسمي لها بالفرنسية والأسبانية حيث استخدمت عبارة جنس (SeX) مما يؤكد على أن هناك سرية مفروضة حول تداول الوثيقة حتى في المحافل الرسمية المعدة للمؤتمر.

وعبارة «النوع (Gender) ليست بالبراءة التي

يتخيلها البعض - كما تقول الدكتورة زينب عبد العزيز، أستاذ الحضارة بآداب المنوفية بمصر - أو أنها مجرد صيغة مهذبة للإشارة إلى تنوع الجنس ذكراً أو أنثى، وإنما هي عبارة تخفي وراءها حركة فكرية تخريبية قائمة على رفض حقيقة اختلاف الذكر والأنثى اللذين هما من صنع الله عز وجل، بل يدعون أنه مجرد اختلاف ناجم عن التنشئة الاجتماعية، وعن بيئة يحتكرها الرجل، ويتحكم فيها لصالحه الشخصي».

وتضيف الدكتورة زينب قائلة:

«لذلك يرى مبتدعو هذه الحركة أنه لابد من تغيير هذه المفاهيم البالية التقليدية، وأنه لابد من التأكيد على عبارة «النوع» وتبنيها في المؤتمر، لأن هذه العبارة غير قابلة للمناقشة، فعبارة النوع تتضمن الاعتراف رسميا باللواطيين والسحاقيات والمخنثين، وإدراج حرية وجودهم ضمن حقوق الإنسان، كما أنها تقر حرية أن يقوم المرء باختيار وتحديد النوعية التى يود الإنتماء اليها، والنوعية التى يود معاشرتها، والإطار الذي يمكن لتلك المعاشرة أن تدور في حدوده خارج قيود الزواج أو بداخله، وإقرار الاجهاض وحرية اختيار وسيلة الحمل - سواء بالتلقيح الصناعي للسحاقيات من بنوك المنيّ، أو بنظام «تأجير البطون» للواطيين، وهي أمور تمارس في الغرب منذ سنوات.

وتضيف الدكتورة زينب قائلة: «فهم يرون أن الأسرة تمثل أول مجال لفرض التفرقة واستعباد المرأة، وفرض القمع الجنسي عليها بمختلف ذرائع المحرمات.. لذلك يجاهدون للتخلص من هذا الإطار الاجتماعي العقيم - حسب رأيهم - ***ويعملون لكي يقوم المجتمع بتقبل المنحرفين جنسياً بمختلف أنواعهم***، وتقبل العلاقات الجنسية الحرة لجميع الأعمار وبعيداً عن الأطر الشرعية. ويعترض مروجو هذا الفكر العبثي على تقسيم المجتمع إلى أدوار يقوم بها الجنس البشري، وأول ما ينتقدونه ويطالبون بإلغائه هو تقسيم هذا الجنس البشري إلى رجل وامرأة أو الى ذكر وأنثى. إذ أن كلا منهما يمكنه أن يقوم بدور الآخر، كما يعترضون على كلمات من قبيل الأمومة، والأبوة، والأب والأم، والزوج والزوجة، وأن كل هذه الكلمات مجرد مسميات لأدوار يتدرب عليها الناس في البيئة الاجتماعية، وهو ما تطلق عليه الوثيقة ***«الأدوار النمطية»*** وتطالب بإلغائها، واستبعاد أثرها لإقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط البالية، كما ينتقدون مفهوم المساواة السائد حالياً، ويطالبون بأن يعاد النظر في توزيع الوظائف، وعدم قصر بعضها على الرجال، أياً كان نوعها، وإنما لابد من أن يتم شغلها مناصفة بواقع ٥٠٪ من الرجال، ٥٠٪ من النساء - ***وتدخل في تلك المهام الأعباء المنزلية والأسرية ورعاية الأطفال***، وهم مصرون على القيام بأي شيء في سبيل إقرار هذه المفاهيم في مختلف المجالات الاجتماعية بغية تحقيق هدفهم القائم على هدم المجتمع الحالي، وتحقيق التغيير الجذري للثورة الجنسية، وهو ما تطلق عليه وثيقة المؤتمر ***«تحديات الألفية القادمة والتغيير الجذري في العلاقة بين الرجال والنساء»***.

ويمكن تلخيص ما حوته الوثيقة من أفكار تدميرية في الآتي:

أولا: في مجال الدين:

١ - إغفال ذكر الدين أو القيم أو الأنساق الخلقية، وإن ذُكِرَ الدين فهو يذكر في إطار كونه ممارسات نابعة من تراث وتقاليد المرأة الفقيرة.

٢ - جاءت أكثر من توصية بضرورة إلغاء التحفظات أو الممارسات التي يكون أساسها ديني أو حضاري، بل تستبعد الدين وتدعو إلى فصله عن شؤون حياة البشر.

٣ - تهمل هذه الوثيقة الدور الذي يمكن للدين أن يقوم به في مجال مقاومة العنف الموجه ضد النساء والاغتصاب والاتجار القسري في النساء والدعارة.

ثانيا: في مجال الأسرة:

١ - اعتبار أن الأسرة والأمومة والزواج من أسباب قهر المرأة والمطالبة بضرورة تقاسم الأعباء المنزلية ورعاية الأطفال مناصفة بين الرجال والنساء.

٢ - إغفال دور الزوجة والأم، داخل بيتها، ووصف ذلك الدور بأنه غير مربح (Un rmunerted Work) هناك نوع من أنواع الاحتقار لعمل المرأة في بيتها وقيامها بدورها كزوجة وان لا يتم عرضه في سياق الوثيقة إلا بلفظ (Un rmunerted Work) ومعناه العمل غير مدفوع الأجر.

٣ - دور الأسرة غير واضح، والعلاقة داخل إطار الأسرة تكاد تختفي في سياق الوثيقة فكلمة الزوج لم تذكر مرة واحدة، وذكر بدلا منها كلمة أوسع وأعم Parnter أي الزميل أو الشريك Spouse فالعلاقة الجنسية علاقة بين طرفين تدين لكل منهما استقلاليته الجنسية، والحقوق الإنجابية حقوق ممنوحة للأفراد

وللمتزوجين على السواء، والخدمات الممنوحة في هذا المجال تمنح للأفراد والمتزوجين، والزنا ليس مستهجناً بدليل المطالبة بضرورة مساعدة المراهقة الحامل في مسيرتها التعليمية، وان الحديث عن الإجهاض ليس مستهجناً، ولكن تطبق عقوبات تأديبية ضد المرأة التي تقوم بإجهاض غير قانوني كما جاء في البند KI.V.

٤ ـ إغفال دور الأم تماماً، ولم تلق أي اهتمام حتى إن كلمة الأمومة نفسها Motherhood لم تذكر سوى ست مرات.

٥ ـ تتعمد الوثيقة إغفال أي ذكر للأسرة الطبيعية (الزوج والزوجة) وأهميتها باعتبارها الوحدة الأساسية في المجتمع الإنساني، بل على العكس تعترف الوثيقة بممارسات شاذة وغير مشروعة تهدد بقاء الجنس البشري نفسه، وتروج لها، فهي تعترف «بتعددية أشكال الأسرة، وتدعو إليها وهي تعني الشذوذ، كما تشجع الوثيقة العلاقات الجنسية غير المشروعة بدعم الأبحاث التي تجرى حول ما يسمى بتكنولوجيا آمنة وفي مقدور الناس للصحة الإنجابية والجنسية.

ثالثا: في مجال العلاقات الجنسية:

للمرأة في جميع الأعمار مطلق الحرية في أن تحدد نوعها الجنسي. وممارسة العلاقات الجنسية مع من يروق أو تروق لها، خارج أو داخل إطار الزواج، مع التحكم الكامل في عملية الإنجاب.

رابعا: في مجال العنف:

ترى الوثيقة أن كل الرجال قادرون على العنف لذلك تعيش جميع النساء في هلع دائم والثورة الاجتماعية المطالبة بالنوع الواحد هي الوسيلة الوحيدة لوقف مختلف أنواع العدوان.

خامسا: في مجال الاستقلال الجنسي:

أية علاقة جنسية لا تخضع لرغبة المرأة تعد اغتصاباً حتى ولو كانت من قبل الزوج، والدعارة ليست خطأً إلا في حالة فرضها على المرأة.

سادسا: في مجال التعليم:

تطالب الوثيقة بضرورة تغيير المفاهيم التعليمية، وتنشئة الطلبة على عدم التفرقة بين الجنسين، وعلى مفهوم النوع الواحد.

كما تتضمن الوثيقة الآتي:

إن كل أشكال الأصوليات الدينية تعوق استمتاع المرأة بحقوقها الإنسانية كما تعوق مساهمتها الكاملة في اتخاذها القرار.

ـ يجب تمكين المرأة من تحديد ما تعنيه الثقافات والأديان والخلفيات التقليدية بالنسبة لها.

ـ يجب على الحكومات والمؤسسات الدينية، ومختلف القطاعات الاجتماعية أن تعترف بشرعية مطالبة المرأة بأن يكون لها دور فعال في تحديد وتعريف المعايير الدينية والثقافية، واتخاذ خطوات عملية لتشجيعها على ذلك، ***أي أن يكون للمرأة حق إعادة صياغة الدين وفقاً لأهداف هذه الأفكار.***

هذه المفاهيم والمطالب وغيرها لا يعنينا أمرها إن اقتصرت على مناقشتها في المؤتمرات فقط كمؤتمر بكين، ولكن الذي يهمنا هو ماجاء نصه في الوثيقة على مطالبة الحكومات بسن قوانين تسمح بتنفيذ تلك المطالب لجعلها قوانين دولية تطبق على الجميع، وخاصة القوانين التي تسمح بالانفلات الجنسي تحت مسمى «الصحة الجسدية» أو «الصحة الجنسية»، والتي تتضمن إقرار الإجهاض كوسيلة من وسائل منع الحمل الى جانب الحرية الجنسية الانفلاتية.

وربطوا هذه الانحرافات التي يروجون لها بالديمقراطية، وازدهارها، وأنهم سيواجهون أي واحد من «رجال الدين» تسول له نفسه الاعتراض على هذه المطالب، أو رفض تعديل التعاليم الدينية كي تتماشى مع مخططهم.. بل نجد البند ١٩٤ يطلب من الحكومات والمنظمات الاتصال ببعضها لمناقشة الأدوار الجدية للرجل والمرأة في المجتمع.

وقد جعل هذا البند الحكومات تفتح أبوابها للاستخبارات العالمية، وذلك عن طريق مراكز الأبحاث وجمع المعلومات «بمركز الأبحاث والتدريب من أجل تقدم المرأة Enstraw، وصندوق التنمية المنبثق من الأمم المتحدة Unifm وتنص البنود ٢٠٦ b/a، ٢٠٩ وتتضمن ١١ نقطة، وبند ٢١١ وبه خمس نقاط، وبند ٢١٢، كلها تدور حول كيفية جمع وتحليل المعلومات وتطوير الأساليب الإحصائية.

كما تكمن خطورة هذه الوثيقة أيضاً في ما جاء في البند ٣٤٣، ٣٤٤ من مخاطبة المؤسسات التمويلية، صندوق النقد الدولي، ومجموعة البنك الدولي، وصندوق التنمية الزراعية، لضمان تطبيق الوثيقة.

أي بمعنى الزام الدول بتطبيق بنود الوثيقة لتمويلها وسد ديونها.

ولم يُكْتَفَ بهذا فمن الواضح أن المؤسسات الأجنبية الممولة للجمعيات الأهلية النسائية تلزم هذه الجمعيات بالسعي لتطبيق بنود هذه الوثيقة، وظهر هذا واضحاً وجلياً في مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة، الذي هدف إلى الآتي:

أولا: ***مناقشة المحاور المطروحة من المنظور العلماني البحت، أما المنظور الإسلامي فهو مهمش تماماً، ولا يعطي للحضور من الإسلاميين - وهم للأسف الشديد قليلون جداً - الفرصة لطرح الرؤية الإسلامية الصحيحة،*** مع أن الطرح من قبل الباحثين الآخرين والباحثات كان طرحاً مشوهاً لصورة الإسلام، فهو يطرح من وجهة نظر الجماعات الدينية المتطرفة من جهة، ومن جهة أخرى من وجهة نظر الباحثين والباحثات الذين ثبت جهلهم بالإسلام، فهم يتحدثون عن الإسلام وتعاليمه عن جهل كامل.

ثانيا: كان هدف معظم الباحثين والباحثات من طرح قضية قانون الأحوال الشخصية، قصرها على العبادات، بل طالب البعض بإبعاد الدين عن دستور الدولة، وعدم جعل الإسلام دستوراً للدولة، وتعطيل الشريعة الإسلامية، وإبعادها عن قانون الأحوال الشخصية، وكانت معظم البحوث التي طرحت في المؤتمر تطالب بالآتي:

١ - إلغاء نصوص قرآنية قطعية الدلالة لا تقبل التأويل والتحريف والتي نصت على:

- قوامة الرجل - العدة - تعدد الزوجات - حظ الذكر مثل حظ الأنثيين - حد الزنا - حق الزوج في تأديب الزوجة إن امتنعت عنه.

٢ - كما طالبت بالآتي:

أ - إلغاء إذن الزوج لزوجته للسفر أو للعمل أو للخروج من البيت.

ب - عدم الطلاق لفقدان البكارة.

جـ - حفظ حق المرأة في أثاث بيت الزوجية عند طلاقها إن كانت مرتكبة خطيئة الزنا.

د - إعطاء المرأة الحامل مهلة تتعدى الثلاثين يوماً للإفصاح لزوجها عن الحمل.

هـ - وجوب الطلاق أمام المحكمة ولأسباب مشروعة ومتساوية للرجل والمرأة.

٣ - من خلال طرح موضوع الحجاب في الإسلام للنقاش نجد أن الهدف من طرحه الوصول الى الآتي:

أ - أن الحجاب ليس أمراً تشريعياً، فهو لا يتعدى كونه ملبساً مختاراً هيَّأته الجماعة لحمل اسم آخر مضمر، وأنه معوق لعمل المرأة وتقدمها، وأنه ينظر إلى المرأة كجسد يجب أن يغطى، ويحبس في البيت، وهذه النظرة تلتقي مع الغرب الذي ينظر إلى المرأة كجسد، يريده أن يتعرى للمتاجرة به، واستخدامه كسلعة.

ب - أن الحجاب عادة من العادات الاجتماعية، ونفي أن يكون تشريعاً سماوياً.

جـ - أن الحجاب لا يعبر تعبيرا حقيقيا عما إذا كانت المحجبة ملتزمة بتعاليم الإسلام أم لا، فهناك محجبات يقمن علاقات مع شبان، ثم ما الذي يؤكد أن هذه المحجبة تصلي وتصوم؟.

د - أن الحجاب يجعل المرأة المحجبة تحمل هويتين، لأنها بالحجاب تعلن أنها مسلمة، وهي في الوقت ذاته مواطنة، فأيهما هي؟ مسلمة أم مواطنة؟.

٤ - عند طرح قضايا المرأة والأدب والسينما والصحافة والمسرح، وشهادات الكاتبات يبرز أخطر مطلبين للباحثين وهما:

أ - المطالبة بخطاب لغوي أنثوي خاص بالمرأة، وقد اصطلحوا عليه ثقافة الجندر.

ب - أن تكتب المرأة بحرية عن الجنس. وفي شهادات الكاتبات خلع صاحباتها ثوب الحياء وصرحن بما لم تجرؤ المومسات على التصريح به.

د - عند التأمل في أساليب الطرح والمناقشة، وفي أبعاد المطالب نجد الآتي:

- أن هذه المطالب لا تعبر عن الأشخاص المطالبين بها، وإنما تعبر عن أهداف وأغراض مؤتمرات المرأة العالمية، وبالأخص مؤتمر بكين - تلك المؤتمرات التي تخدم أهداف أعداء ديننا وأمتنا وفي مقدمة هؤلاء الأعداء، الصهيونية، وكلنا نعلم مدى تغلغل الصهاينة في الحكومات الأمريكية والأوربية، والمنظمات الدولية، وفي الصحافة العالمية، فهم يملكون أكبر الصحف العالمية، وأكبر شبكات التلفاز الأمريكية، والذي يؤكد هذا الآتي:

١ - أن مطالب المؤتمرين والمؤتمرات تهدف إلى هدم الدين والقيم والأخلاق، وذلك بإلغاء نصوص قرآنية قطعية الدلالة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إشاعة الإباحية بإلغاء الطلاق لعدم البكارة، وعدم حرمان الزوجة المرتكبة

خطيئة الزنا من حقوقها لدى زوجها، وزيادة مدة إخطار الزوجة المطلقة لزوجها عن أنها حامل، أيضاً مطالبة المرأة الأديبة الكتابة في الجنس».

فلماذا التركيز على هذه المطالب؟.

٢ ـ ويظهر هدم الدين من جانب آخر، وهو المطالبة **بخطاب لغوي أنثوي** خاص بالمرأة، ونحن العرب لغتنا العربية هي لغة القرآن الكريم، ومعظم التكاليف التشريعية والعبادية جاءت بصيغة العموم للمرأة والرجل، وهذا دليل التكافؤ والمماثلة، وخصت النساء بالذكر في بعض التكاليف، وفي العبادات رداً على ما كان يطرح من تساؤلات في المجامع الكنسية، مما يؤكد عالمية الإسلام، وأن هذه الرسالة من عند الله، وإيجاد خطاب لغوي أنثوي بالمرأة يسقط ـ فيما بعد ـ عن المرأة التكاليف الشرعية والعبادية التي وردت بصيغة العموم كالصيام مثلا لأن نص الآية يقول: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} فالمرأة تقول أن الصيام لم يكتب عليها لأن الخطاب لم يوجه إليها في فرضه.

لقد فشل أعداء الدين من النفوذ الى القرآن الكريم، فسبق أن دفعوا تلامذتهم الى المطالبة بالكتابة بالحروف اللاتينية، وطالبوا بكتابة القرآن الكريم بالخط الإملائي، وفشلت دعواتهم تلك، واليوم أرادوا أن ينفذوا إلى القرآن الكريم، وإفساد الدين بإيجاد خطاب لغوي أنثوي، ورغم أن هذا المطلب يتناقض مع وثيقة مؤتمر بكين التي التزم بها معظم المؤتمرين والمؤتمرات في هذا المؤتمر ـ طبقاً لتوجيهات وتعليمات الجهات الممولة للمؤسسات والهيئات والمنظمات والجمعيات المنتمين والمنتميات إليها ـ بإلغاء الفوارق بين المرأة والرجل؛ إلا أننا نجده المطلب الأول والأساسي عند طرح قضية المرأة والأدب، وكأنه العقبة الكؤود التي تقف حجر عثرة أمام إبداع المرأة الأدبي، بل اعتبر البعض أن المرأة لن تتحرر إلا إذا وجدت لغة خاصة بالمرأة، ولو رجعنا إلى الوراء، إلى مائة عام نجد أن مطالب النساء كانت إلغاء نون النسوة، واليوم وبعد مائة عام يطالبن بنون النسوة وتاء التأنيث في خطاب أنثوي.

٣ ـ مما يؤكد أن معظم الباحثين والباحثات يحققون أهداف الصهيونية، وهي محاولة تغييب كلمة إسلام، واستبداله بالأصولية، والخطاب الأصولي، ولم يرد اسم «إسلام»، إلا في عنوان بحثين فقط، حتى وجدنا في ندوة المائدة المستديرة بروز هذا المسمى «المرأة والتيارات الدينية».

كما نلاحظ من الطرح استبعاد طرح المفهوم الصحيح لموقف الإسلام من المرأة، وما أعطاها من حقوق، مع الحرص على إعطاء الحضور صورة عن الإسلام من وجهة نظر الجماعات المتطرفة، بل عندما تحاجّ بعضهم يتهمك بأنك تحرض على قتلهم من تلك الجماعات.

٤ ـ تجاهل المؤتمر القضايا التي تصلح من شأن المرأة والأسرة والمجتمع، فلم يتناول الآتي:

أ ـ مكانة المرأة في الإسلام وحقوقها التي منحها إياها الإسلام برؤية إسلامية وسطية معتدلة يتم تقديمها وتوضيحها من قبل فقهاء وفقيهات، ومفكرين ومفكرات مسلمين ثقاة من مختلف دول العالم العربي، مع إعطاء نماذج للنساء المسلمات اللائي أسهمن بإيجابية في الحياة العامة أمثال أمهات المؤمنين، والصحابيات الجليلات رضوان الله عليهن، كنماذج حية حصلت على حقوقها في الإسلام، وليكنّ قدوة للنساء المسلمات، وليس ضرب الأمثلة بسيمون دي بنوار، وجورج صاند، ومي زيادة، وهدى شعراوي وغيرهن.

ب ـ وضع مسيرة المرأة العربية تحت المجهر خلال قرن مضى للتعرف على ما فيها من سلبيات، وأسباب هذه السلبيات ونتائجها، وكيفية تلافيها، وكذلك للتعرف على ما فيها من إيجابيات وكيفية الحفاظ عليها وتنميتها، ولكن المؤتمر نظر إلى حركة المرأة وانطلاقتها على أنها كلها إيجابيات، فالمرأة هي المكافحة المناضلة المغلوبة المقهورة ، والرجل والمجتمع والدين هم الذين ظلموها وقهروها.

٥ ـ المرأة في هذا المؤتمر ليس عليها واجبات، فهي ليست أماً، وليست زوجة عليها واجبات، وانما هي امرأة لها حقوق فقط، والمؤتمر اعتبر الحياة الزوجية صراعاً بين الزوجين.

لقد تمردت المرأة في هذا المؤتمر على كل أسس وأركان الزوجية، فطالبت بتهميش الزوج، ودفع أجر للمرأة مقابل قيامها بأعباء الزوجية والأمومة فهي الآن عبدة لأنها تعمل بلا أجر.

كما تمردت علىّ أمومتها فلم تهتم بقضايا الأمومة، وكيف تستطيع التوفيق بين بيتها وزوجها وأولادها وبين

عملها الذي اعتبرته هو أساس وجودها وحياتها، وكينونتها، بل اعتبرته أمراً إلزامياً عليها، ولا تجرؤ واحدة أن تقول لك إنها تريد البقاء في البيت ولا تريد أن تعمل، بل اعتبر المؤتمرات قرار الحكومة الكويتية في منح المرأة حق التقاعد بعد خدمة خمسة عشر عاماً، مع صرف كامل المرتب، اجحافاً بحق المرأة لأن هذا يحرمها من ارتقاء مناصب قيادية.

لذا فالمرأة تطالب بتغيير أنظمة وقوانين العمل بالنسبة للمرأة وإصدار أنظمة خاصة بالمرأة، متجاهلة تماماً ما ترتب على خروجها للعمل التكسبي من نتائج جد خطيرة يمكن أن ألخصها في الآتي:

- معاناتها من صراع الأدوار، فالمرأة العاملة تعاني من صراع الأدوار، لأنها تشعر أنها مقصرة في دورها كأم، ودورها كزوجة، ودورها كربة بيت، ودورها كموظفة، وهذا يجعلها تلجأ إلى الإدمان (تدخين - خمر - مخدرات) لتهرب من واقعها، وأحياناً تصاب بالاكتئاب.
- قد تتعرض للعقم لتعاطيها حبوب منع الحمل لمدة طويلة.
- ازدياد نسبة الطلاق.
- التفكك الأسري.
- الجرائم الأسرية.
- جنوح الأحداث.
- تعرض المرأة للابتزاز الجنسي في العمل.
- ظهور مرض الإيدز في مجتمعاتنا.
- ظهور عبدة الشيطان والجماعات الدينية المتطرفة والإرهاب.
- انتشار ظاهرة الزواج العرفي في مصر بصورة خاصة، وزواج المسيار في دول الخليج العربي، مما يدعو إلى بحث الأسباب والنتائج وكيفية العلاج.
- بدء ظهور اغتصاب المحارم، هو ليس بظاهرة، ولكن لابد من دراسة أسباب ذلك لتلافيه قبل استفحاله، ويصبح ظاهرة.
- عدم قيام دور الحضانة بدورها في العناية بأطفال النساء العاملات.

- كيف نواجه العولمة، وهل المرأة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية معدة بالفعل لهذا الغزو الكاسح على عقولنا، وبيوتنا وجميع أمور حياتنا؟.

وما دورنا نحن المسلمين - تجاه العولمة؟ هل سنظل سلبيين نتلقى ولا نرسل؟ هل أعددنا برنامجاً متكاملا نابعاً من ديننا، من قيمنا، من حضارتنا الإسلامية الأصيلة لمواجهة العولمة؟.

هذا ما قلته في إحدى مداخلاتي في هذا المؤتمر، بل قلت أيضاً وانه لو كان بإمكان الرجل أن يحمل ويلد لطالبته المرأة في هذا المؤتمر - بذلك - وقلت أيضا:

إن هذه القضايا وغيرها التي تعمل على بناء المجتمع المسلم، والأسرة المسلمة عند طرحها ومعالجتها من منظور إسلامي تتعارض مع أهداف ممولي الجمعيات النسائية لأن هدفهم من هذا التمويل هو انهيار مجتمعاتنا وانحلالها وتفسخها.

إن هذه الاتفاقيات والمؤتمرات يقصد بها هدم مجتمعاتنا الإسلامية وليس صلاح مجتمعاتنا، وتقويض الدين الإسلامي، وإبعاده عن شؤون الحياة، فنحن فقط الذين يضغط علينا لقبول هذه الاتفاقيات والتوقيع عليها، لأننا لو نظرنا إلي واقع المرأة الغربية نجد الآتي:

١ - ينظر إلى المرأة الغربية إلى الآن نظرة دونية، وأنها وراء خطيئة أبينا آدم، وفق ما جاء في الاصحاح الثالث من سفر التكوين، فالمرأة في نظرهم أحبولة الشيطان، وأس الخطيئة، إذ لا تزال تهمة الخطيئة الأزلية تلاحق المرأة الغربية، مع أن الإسلام أزال هذه التهمة عن المرأة، والتي لازمتها آلاف السنين.

٢ - إن معظم الأعمال التي تمارسها المرأة قاصرة على أعمال الخدمة والسكرتارية، ونسبة ضئيلة من السيدات اللائي يتولين مناصب قيادية.

٣ - ليس للمرأة الغربية المتزوجة أهلية حقوقية مالية، إذ لا يحق لها أن تتصرف في مالها إلا بإذن زوجها، ولو كانت تملكه قبل زواجها.

٤ - ليس لها جنسية بعد الزواج إلا جنسية زوجها.

٥ - سلب المرأة اسم أسرتها لتحمل اسم زوجها.

٦ - إن نظام بيت الطاعة أي إلزام المرأة بحكم من المحكمة، وبقوة الشرطة السكن الذي يهيئه لها الزوج وهي كارهة العيش معه هو يمثل المادة ٢١٤ من القانون الفرنسي واستقر علي تطبيقه الفقه والقضاء لديهم ردحاً طويلا.

٧ - معاملة المرأة الزوجة معاملة القاصر، إذ جاء في المادة ١١٢٤ لا يتمتع بأهلية التعاقد ثلاثة «القاصرون، والمحجور عليهم، والنساء المتزوجات في الحالات التي حددها القانون.



٨ - إن أجـور النسـاء العـامـلات فـي الغرب أقل من أجور الرجال الذين يعملون في ذات الأعمال.

٩ - استـعـمـال العنف في العـائلة في المجـتـمـعـات الغربية، وفي إحدى الدراسات الميدانية لظاهرة العنف في العائلة التي قامت بها أبوردين ونيزبيت تبين أن أكثر من مليوني امـرأة سنوياً تبلغ الشـرطة عن حـادث اعـتـداء زوجـهـا أو شـريكهـا عليـهـا، وتقتل يوميـاً أربع نسـاء من الضـرب المبـرح في أمـريكا، ويقـدر بأن مـا بين ٢ الى ٤ مليون امرأة تتعرض للاعتداء سنوياً في أمريكا.

أما في بريطانيا كان اكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك، وارتفع العنف في البيت بنسبة ٤٦٪ خلال عام واحد إلى نهاية مارس عام ١٩٩٢م[٥].

١٠ - ابـتـزاز المرأة العـاملة جنسـيـا: وقـد بينت هذه الكاتبة الأمريكية لين فارلي في كتابها الذي يحمل هذا العنوان وأثار ضجة في الولايات المتحدة الأمريكية حين ظهوره عـام ١٩٧٨م، والذي كـتـبت عنه مـعظم الصـحـف والمجلات الأمريكية المشهورة.

وظهر الكتاب نتيجة لدراسة ميدانية مكثفة قامت بها المؤلفة مع طالباتها في جامعات كورنيل بالولايات المتحدة ابتداء من ١٩٧٤م إلى نهاية ١٩٧٦م وبعد ذلك تعاونت مع كـثـيـر من الهيـئـات والجـمـاعـات النسـائيـة على امـتـداد الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة، وكـثـيـر من العـامـلات والصـحفيات والكاتبات والمهتمات بوضع المرأة في العمل وقد وضعت تحت الأضواء استغلال الرجل للمرأة جنسياً في العمل وكانت أدلتها دامغة.

هذا وتـقـول الإحـصـائيـات أن ٧٠٪ من النسـاء يضطررن الى ترك العمل والاستقالة نتيجة الاعتداءات الجنسية، وكثيرا مـا كـانت المرأة التي ترفض الاستجابة تجد عقوبات كثيرة من رئيسها، ويضاعف عليها العمل، ويقلل لها الأجر، ويخصم من راتبها بتهمـة التعقيد في العمل ، وفي النهـاية تضطر إلى الاسـتـقـالة للمـعـاملة المهينة.

١١ - أن ٨٠٪ من السـيـدات العـامـلات في الولايات المتحدة يردن العودة إلى بيوتهن وترك أعمالهن ليتفرغن لتربية أولادهن، لأنه ثبت أن دور الحضانة أفسدت أخلاق أولادهن.

١٢ - أن المرأة الغـربيـة الآن تصـرخ فـي البـرامج التلفازية وتقول أنها تباع وتشترى.

١٣ - تفشي ظاهرة اغتصاب المحارم.

هذا قليل من كثير من واقع المرأة الغربية، فأين هـم دعـاة إصـلاح وضـع المرأة المسلمـة الغـربيين، من إصـلاح وضع النساء في مجتمعاتهم؟.

إنهم بالعكس يريدون تصـدير أمراض مـجـتـمـعـاتـهم إلينا، ويريدون فرض ما وصلوا إليه من تفسخ وانحلال، لأن مـا يفرضـونه علينا في الاتفـاقيـات الدولية ومؤتمرات المرأة العالمية قـاهر سـائد في مـجـتمـعاتهم، ومـا تبين لهم مفاسده ومخاطره.

والذي أقـوله الآن، إن بعـدنا عن ديننا وعـدم التـزامنا بنظرة الإسلام للمرأة، وعدم منح المرأة حقوقها كاملة كما منحـهـا الإسـلام، وتفـسـيـر بعض النصـوص القـرآنيـة والحديثية طبقاً للعادات والتقاليد وهي تفاسير خاطئة، وحرمـان المرأة المسلمة من بعض حقوقها سـداً للذرائع، وتشدد البعض في الدين الى درجة التنطع، كل هذا جرأ هؤلاء على اخـتـراق بيـوتنا والتـدخل في أدق شـؤونا الأسرية، إذ نفذوا إلينا من الثغرات التي أحدثناها نتيجة سوء تطبيقنا لبعض الأحكام والتشريعات والحقوق المتعلقة بالنساء.

للأسف الشديد نجد البعض من شدة تعنته وتنطعه ألغى بعض الثوابت الواردة في نصـوص قرآنية قطعيـة الدلالة وطبقت في عـهـد الرسـول {صلى الله عليه وسلم} والخلفـاء الراشـدين، ونسب ذلك إلى الإسـلام كـحـرمـان المرأة من حق الانتخاب.

فالإسلام أعطى المرأة حقوقاً سياسية يعلمها فقهاء ومفكرو الأمة، ومن هذه الحقوق:

أولا: حق البيعة ، والآية صريحة في سـورة الممتحنة؛ إذ يقـول جل شـأنه {يا أيهـا النبي إذا جـاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقـتلن أولادهـن ولا يأتين ببـهـتـان يفـتـرينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفرلهن الله إن الله غفور رحيم}.

وقد خص الله جل شأنه النساء بالبيعة تأكيداً على أن بيـعـتـهن مـسـتقلة عن بيـعـة الرجـال، وقد بايع النسـاء الرسـول {صلى الله عليه وسلم} في العقبـة، وفي المدينة، ومن هذا المنطلق فالمرأة لها حق الانتخاب، ولا تحرم من الانتخاب باسم الإسلام، فالإسلام أعطاها هذا الحق.

ثانيا: حق الولاية يوضح هذا قوله تعـالى: {والمؤمنون

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}.

ومن ذلك حق القضاء، وقد قال فقهاء الحنفية: يجوز أن تكون المرأة قاضية في غير الحدود والقصاص، لأنه لا شهادة لها في هذه الجنايات ولها شهادة في غيرها، وأهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة، وذهب الإمام ابن جرير الطبري إلى أن الذكورة ليست شرطاً لتولي القضاء، لأن القضاء كالإفتاء والإفتاء لا يشترط له شرط الذكورة، فهكذا كان القضاء، وعلى هذا يجوز للمرأة أن تكون قاضية في الأموال وغيرها، ، كما جاز لها أن تكون مفتية في جميع الأمور.

وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تفتي في زمني أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما ولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشفاء من بني عدي الحسبة، واعتبر الفقهاء الحسبة نوعاً من أنواع القضاء.

أما الولاية الكبرى، الإمامة والرئاسة، فكما يقول ابن حزم في المحلى هي المقصودة في قوله {صلى الله عليه وسلم} «لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى إمرأة» والله أعلم.

ثالثا: حق الشورى: فلقد أخذ الرسول {صلى الله عليه وسلم} بمشورة أم سلمة رضي الله عنها، عندما عز على صحابته رضوان الله عليهم أن يحلّوا الاحرام بعد صلح الحديبية دون أن يؤدوا العمرة التي خرجوا من أجلها، إذ طلب منهم الرسول {صلى الله عليه وسلم} التحلل من الإحرام فلم يفعلوا، وذكر الامر لأم سلمة رضي الله عنها، فأشارت إليه أن يبدأ هو بما يريد، ففعل فقاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق لبعض

كما أخذ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه برأي المرأة القرشية عندما جمع المسلمين، وكان ذلك بمثابة مجلس شورى ليعرض عليهم أمر تحديد المهور، ومحاجة المرأة القرشية له دليل على أن في هذا المجلس كان يوجد نساء ورجال، وأخذه برأيها يوحي أن لها حق الجلوس في مجالس الشورى، ولها حق إبداء الرأي.

كما أن الإسلام أعطى للمرأة حق رواية الحديث، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهذا يعطيها حق الشورى.

رابعا: حق إجارة المحارب: وهذا حق سياسي، لم تعطه للمرأة جميع الأديان الأخرى سماوية كانت أم وضعية، وكلنا يعرف قصة أم هانىء التي أجارت محارباً في فتح مكة، وأراد أخوها سيدنا علي كرَّم الله وجهه قتله، فذهبت إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} وقالت له: هذا ابن أبي وأمي يريد قتل من أجرته، وسمته له فقال لها الرسول {صلى الله عليه وسلم} «أجرنا من أجرت يا أم هانىء» ، ولم يؤثر أن خفرت إجارة امرأة.

لذا نجد أن المرأة المسلمة كان لها على مر العصور دور سياسي، فمنذ بداية الدعوة تحملت الإيذاء واستشهدت في سبيل الحفاظ على دينها، وكانت سمية رضي الله عنها أول شهيدة في الإسلام، والمرأة تحملت الأذى مع الرسول {صلى الله عليه وسلم} في حصار شعب أبي طالب الذي دام ثلاث سنوات، وهاجرت إلى الحبشة، وإلى المدينة المنورة، وقاتلت في الغزوات، وسقت الجرحى، وضمدت جروحهم وداوتهم.

وبعد كل هذا نأتي الآن لنقول للمرأة ليست لك حقوق سياسية، الإسلام لم يعطك حقوقاً سياسية، ونلغي أحكاماً شرعية واردة في نصوص قرآنية، وطبقها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم من بعده ، ثم سيطرت على بعضنا بعض العادات والتقاليد، ترسبت في دواخلنا لا تمت إلي الإسلام بشيء متخذين من باب سد الذرائع ذريعة في حرمانها من هذه الحقوق.

إن هذه الحقوق ستنالها المرأة بسيطرة الغرب علينا، وبما يمارسه من ضغوط علينا، وستنالها وفق المنظور الغربي، ولا نستطيع طبعها بضوابط الإسلام، لأننا من البداية منعنا عن المرأة هذه الحقوق باسم الإسلام، وسيبدو الغرب أمام المرأة المسلمة هو المنصف المنقذ لها، والدين الإسلامي هو الظالم القاهر لها.

فلماذا لا نعطيها هذه الحقوق وفق ما أمر به الإسلام ووفق ضوابطه؟ وكذا الحال بالنسبة لسائر الحقوق التي منحها إياها الإسلام، ولم تنلها حتى الآن.

إن الوضع جد خطير، إنَّ أعداء الدين وفي مقدمتهم الصهيونية العالمية يستغلون عدم حصول المرأة المسلمة على حقوقها في الإسلام، والنظرة الدونية لها، وسوء فهم القوامة وتطبيقها، وكذلك سوء تطبيق نظام تعدد الزوجات، وسوء فهم ما جاء في الحديث النبوي الشريف من أن النساء ناقصات عقل ودين، واستغلوا جهل المرأة



المسلمة بدينها لايجاد فجوة كبيرة بينها وبينه، وأصبحت الآن تقف موقفاً عدائياً تجاه دينها، وتعلن على الملأ هذا العداء، ورأيت بنفسي هذا في مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة مما جعلني أبكي من داخلي دماً، وأتمزق ألما وحسرة.

وبناء علي ما سبق، ولحماية مجتمعاتنا الإسلامية وأسرنا ونسائنا من تحديات العولمة أرى أنه لزاماً علينا العمل بما يلي:

١ ـ أن يجتمع المجمع الفقهي بمكة المكرمة ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لوضع قوانين الأحوال الشخصية فيما يتعلق بشؤون المرأة والأسرة والزواج والطلاق، وحقوق المرأة السياسية والمدنية والثقافية وفق الشريعة الإسلامية، وطبقا للنظرة الإسلامية الوسطية المعتدلة، ونأخذ تطبيقاتها من عهد الرسول [صلى الله عليه وسلم] والخلفاء الراشدين.

٢ ـ أن تعقد مؤتمرات عالمية إسلامية سنوياً لمناقشة قضايا المرأة والأسرة والمجتمع أو ما يهددها من أخطار وكيفية معالجتها، مثل مناقشة أخطار ومشاكل الاختلاط بين الجنسين، أسباب الزواج العرفي، وآثاره وكيفية القضاء عليه، وكذلك أسباب وعوامل ظهور زواج المسيار في المجتمعات الخليجية، ظهور التطرف الديني، وفي المقابل وجود التيار العلماني، وكيف تغلغل في مجتمعاتنا.. وبحث أسباب ارتفاع نسبة الطلاق، وفتح ملف تعدد الزوجات، واساءة تطبيقه وعدم الالتزام بشروطه في الإسلام وظهور الجرائم الأسرية، وتفشي المخدرات وغير ذلك من القضايا، ودراستها دراسة وافية والعمل على معالجتها.

٣ ـ أن تقرر مادة الأسرة المسلمة ومكانة المرأة في الإسلام على طلبة وطالبات المراحل الثانوية ليعلم كل من الفتى والفتاة ما له وما عليه.

٤ ـ إنشاء صندوق دولي إسلامي لتقديم القروض والمعونات للدول الإسلامية والاستغناء عن الصندوق الدولي والمعونات الغربية حتى لا تستخدم معوناتها وقروضها للضغط علينا لقبول ما تفرضه علينا من اتفاقيات تؤدي إلى تدمير مجتمعاتنا وأسرنا، وتحلل نسائنا وتفسخهن، بل تؤدي إلى إشاعة الفاحشة في مجتمعاتنا.

٥ ـ أن تتمسك دول الخليج العربي بمنع التمويل الأجنبي للجمعيات الأهلية، وأن تحذو بقية الدول العربية والإسلامية .. ودول الخليج، وتمنع هذا التمويل، على أن يتولى بنك التنمية الإسلامية تمويل هذه الجمعيات شريطة أن تنتهج المنهج الاسلامي في خططها وأهدافها.

وأخيراً أقول إن الغرب يريد أن يفرض علينا ما يخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومخالفة نظام الزوجية القائم عليه الكون بما يسمى بوحدة النوع، مما سيؤدي الى انقراض النوع البشري، وإشاعة الفاحشة من زنا وسحاق ولواط، وهذا يؤدي إلى دمار وهلاك مجتمعاتنا، مع إفهامنا بأن هذا هو الحل الأمثل لرفع الجور والظلم والقهر عن المرأة، ونحن المسلمين لدينا الحل الأمثل الذي وضعه خالق هذا الكون، والذي رفع كل الظلم عن المرأة وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، كل حسب مهامه ووظائفه الفطرية التي يكمل بها الآخر، ولا يتم عمار الكون بتكاملهما، فلماذا لا نقدم للعالم أجمع هذا الحل الأمثل؟ بأن ننظر إلى المرأة نظرة الإسلام لها، ونمنحها كامل حقوقها في الإسلام بلا افراط ولا تفريط، فنصلح من حال نساء العالم، ونخلص البشرية من تيه وضياع يعاني منهما من جراء حلول يقدمها الشواذ والمنحرفون، دعاة وحدة النوع لينشروا الشذوذ في العالم.

أرجو أن يكون هذا مشروعنا نحن المسلمين الذي نتقدم به للعالم في الألفية الثالثة والذي سيحقق الخير كل الخير للبشرية بصورة عامة، ولنساء العالم بصورة خاصة.

هوامش :

١ ـ سناء المصري (تمويل وتطبيع) ص ٢٥ – ٢٦ – سينا للنشر ط ١ ١٩٩٨م.
٢ ـ نفسه ص ٢٤ – ٢٥ .
٣ ـ نفسه ٢٨ – ٢٩ .
٤ ـ لجنة الرعاية التابعة للجنة الصينية المنظمة لمؤتمر المرأة العالمي الرابع – مجلة بكين الاسبوعية الصفحات ٢٦ – ٣١ دار النجم الجديد بكين ١٩٩٤ .
٥ ـ د. شذا سليمان الدركزلي (المرأة المسلمة فى مواجهة التحديات المعاصرة ص ٩٦ – ٩٧ .

دور الأسرة في مواجهة التناقضات الثقافية

ثقافة الخوف في زمن العولمة:

كان اولادنا في الماضي يقضون اوقات فراغهم في الحديث معنا.. كانت قصصنا وحواديتنا تسليهم وتمتعهم وتملأ اوقاتهم، يطلبونها بإلحاح ويلتفون حولنا وحولها. كنا مع الكتاب المصدر الوحيد لما يتلقون من معلومات.

وفجأة ظهر المذياع وظهر أن هناك أناساً يحكون الحواديت افضل منا، والتف الصغار حول المسلسلات وليالي ألف ليلة. وفجأة ظهر جني آخر يحمل لهم الصوت والصورة معاً «التلفزيون» وطالت جلساتهم والتفافاتهم حوله حتى اصبحنا نغار منه ونبعدهم عنه. والآن نواجه مارداً جديداً انفتحت علينا طاقات من السحر المعروفة مقرونة بالخوف والذعر على انفسنا وابنائنا.

متاهة جديدة تبدو لنا بلا بداية او نهاية «الإنترنت» نقول اسمها بخوف وكأننا نريد أن نقول اللهم اجعل كلامنا خفيفاً عليها، ولكننا جميعاً مشدودون لها نسعى لاقتنائها وكأننا مشدودون للثقب الأسود الذى سيجذبنا بقوته المغناطيسية الهائلة فنفقد توازننا أو ما بقى لنا منه.

انفتحت هذه النافذة على العالم وسيطل منها ابناؤنا ليروا الطيب والخبيث، الغث والثمين، المقبول والمرفوض.

ماذا نفعل؟.

كيف نواجه هذا المارد الثقافي؟.

كيف نستفيد منه ونأمن شره معا؟

لقد اصطلحنا على تسمية كل ما يأتينا من العالم الخارجي «بالغزو الثقافي» وكأننا في حرب ضروس مع غيرنا. وفي الحقيقة المتأمل لهذا المصطلح يرى أنه يحمل في طياته اهانة بالغة لنا ولثقافتنا الضاربة بجذورها في التاريخ.

ان مصطلح «الغزو الثقافي» هو اعتراف ضمنى بأننا لا نملك من القيم والاتجاهات ما يمكننا من تحصين انفسنا واولادنا وتزويدهم بما يحتاجونه لحماية ثقافتهم والإستفادة من ثقافة الآخرين.

ان هذا المصطلح يشير بإصبع خفية إلى ثقافة ضعيفة جوفاء لا تستطيع احتواء البدائل الثقافية واذابتها فيها حتى تصبح جزءاً منها.

هل هذه هى الحقيقة؟ التاريخ يقول لنا غير ذلك فعندما اختلطت الحضارة الإسلامية

بقلم: د. سهير زكريا فودة ــ كلية التربية للبنات بجدة



** مصطلح (الغزو الثقافي) دليل ضعف في الحوار مع الآخر

بحضارات اخرى ازدهرت ونمت واعطت واخذت ولم تضعف او تموت.

إذاً، لماذا نحن خائفون هكذا؟ ولماذا فقدنا ثقتنا في انفسنا وفي ثقافتنا؟ ما هى المشكلة الحقيقية ومن اين تنبع؟

المتأمل لطريقتنا في التعامل مع هذه النافذة التى انفتحت علينا وعلى العالم وما نصنعه لإعداد ابنائنا لمواجهتها، يجد اننا نقع في كثير من الأخطاء التربوية التى تحتاج لمواجهة صريحة مع انفسنا، اسوق منها ما يلي:

اولا: اللجوء الى التخويف:

كثير من الأسر العربية ان لم يكن اغلبها استسهلت عملية التخويف والرفض لكل ما هو آت من بعيد. هذه الأسر تصف كل ما يأتى من الخارج بصفات سلبية بغيضة تصل إلى حد الشتائم على الرغم من أن اغلبها يملك اجهزة اتصال مختلفة كالتلفزيون والكمبيوتر وبعضها عنده امكانيات اتصال بشبكات الإنترنت إلا انها لا تكف عن الصراخ والتهويل كما لو كانت ثقافتنا إناء فارغاً ستصب فيه الثقافة الواردة بلا ادنى مقاومة.

ما الذى يحدثه الخوف في نفوس ابنائنا؟ ان انفعالات الخوف الزائدة والمستمرة لابد وان تولد احساساً دفينا دائماً بالقلق. ذلك القلق الذى يطفو بحرية على حياة الإنسان ليورثه احساساً مستمراً بعدم الراحة لأنه يخاف من اشياء لا يعرفها ولا يستطيع تحديدها أو وصفها، نحن بذلك نسلبهم القدرة على أن يعيشوا حياتهم ويستمتعوا بها في جو من الطمأنينة والسكينة.

ان النفس المطمئنة لا تسكن انساناً خائفاً.

عندما ننجح في زراعة الخوف في قلوب ابنائنا يواجهون البدائل الثقافية الوافدة وهم عزل من أهم ما يحتاجون إليه من اسلحة ألا وهو القدرة على التفكير السليم، هذه القدرة التى تمكنهم من فحص هذه البدائل والاختيار الصحيح من بينها. الخوف يجعلهم يغمضون عيونهم ويتقوقعون في اماكنهم أو ينجرفون دون وعى لما يقدم لهم. إن المجتمع الذى يخيف ابناءه لينعم بالهدوء كالأم التى تضرب ابناءها على رؤوسهم لتفقدهم الوعى حتى تنعم بقليل من النوم.

علينا أن نتذكر ان الذين يخافون من الغرق لا يستطيعون تعلم السباحة وبذا يصبحون معرضين للغرق اكثر من غيرهم.

ثانيا: القصور في تعليم القيم:

قيمنا الدينية والأخلاقية هي الحصن الذى نحصن به ابناءنا ضد ما هو مرفوض أو غير متناسق مع ثقافتنا ولكن علينا ان نعرف أن تعليم اولادنا هذه القيم لا يتم بالصراخ ولا بالضغط على حروف الكلمات قبل اخراجها من الفم، كما انه لا يحدث نتيجة اسماعهم كلمات (صح) وخطأ وحرام

**** الحضارة الاسلامية عبر تاريخها الطويل حاورت الآخر من غير تهيّب، واستوعبت أفضل ما عنده ** انفعالات الخوف الزائدة والمستمرة تولد إحساساً دفيناً بالقلق. ** الذي يخاف الغرق لا يتعلم السباحة.**

وحلال. اكتساب القيم يتم ببطء وينمو على فترات طويلة ويحتاج الى جهد وصبر من الآباء والأمهات حتى تصبح القيمة جزءاً من بناء الإنسان الاخلاقي يعيش بها ويدافع عنها.

من أهم ما يجب على الآباء مراعاته في تعليم ابنائهم للقيم ان يبدأوا مبكراً في مرحلة ما قبل المدرسة الإبتدائية وهنا يجب عليهم ان يتجنبوا صياغة هذه القيم في جمل ومواعظ لا يفهمها الصغار ولا يستطيعون ادراكها في مرحلة لا يدركون فيها إلا المحسوسات. ولكن على الآباء أن يلفتوا نظر أبنائهم إلى نماذج حية للسلوكيات التى تمثل هذه القيم في الأسرة والمجتمع المحيط.

ويا حبذا لو كان الأب والأم نموذجاً للسلوك الذى يمثل القيمة المطلوبة ولا يفوتهما ان يلفتا نظر ابنهما او بنتهما إليها بصور غير مباشرة.

ثالثا: التركيز على قيم بعينها:

دعونا نكون صرحاء مع انفسنا ولو لمرة واحدة، نحن مسجونون مسكونون في قيم بعينها. تلك القيم التى ترتبط بالغذاء والمظهر والعلاقة بين الجنسين، نركز عليها في تربيتنا الأسرية والإجتماعية لأبنائنا.

ونحن لا نقلل هنا من قيمة واهمية هذه المجموعة من القيم ولكن علينا ان نعطيها قدرها بدون ان نجعلها تطغى على غيرها من القيم، علينا أن نكون اكثر شمولية في تناولنا للقيم، هناك الكثير من القيم المعنوية التى تصنع الإنسان الواعى والمدرك لذاته ولغيره بصورة موضوعية وغير متعصبة او مبالغ فيها ماذا عن قيمة احترام الذات والحفاظ على الممتلكات العامة وتقدير العمل والإتقان فيه والمحافظة على البيئة والتأنى في اصدار الأحكام والموضوعية في فهم وتقييم الأشياء والأحداث. كلها قيم مهملة بدرجة كبيرة في تربيتنا الأسرية والاجتماعية.

رابعا: التركيز على التوبيخ بدلا من التعزيز:

المتأمل لسلوكنا مع اولادنا يجدنا نراقبهم وفي عقولنا هدف واحد هو الإمساك بالسلوك المرفوض وعقابه أو تقويمه، ماذا عن السلوك المقبول؟ هل نراه؟ هل نفعل شيئاً لتعزيزه والابقاء عليه بالتشجيع والحث؟ ربما لو زاد تركيزنا على السلوكيات المرغوبة لزادت وطغت على غيرها من السلوكيات المرفوضة وبذا ننجح في جعل ابنائنا



يتمثلون قيمهم وثقافتهم اكثر من لو تمركزنا حول السلوكيات المرفوضة فقط.

خامسا: تكوين الاتجاهات وفن الإقناع:

نحن نحتاج لإكساب ابنائنا الكثير من الاتجاهات ناحية ما نريد من أشياء وهى كالقيم تنمو ببطء وتحتاج لكثير من فن الإقناع. ان من اهم وسائل الإقناع مناقشة الرأى الآخر بهدوء وموضوعية.

ان معالجة الرأى الآخر بوضوح ومنطقية تجعلنا قادرين على أن نظهر لأبنائنا صورة افضل من الموضوعية تؤثر ايجابياً على قدرتنا على اقناعهم وخاصة الكبار منهم، عرِّف ابنك او بنتك بالأسباب التى من اجلها تريده أن يفعل شيئاً ما او يختار اختياراً معيناً. انه كلما زادت معرفة الإنسان بشيء ما كلما زادت فرص وامكانية اقتناعه به وعلينا ان نتذكر انه لتغيير اتجاه ابنائنا من شيء معين ناحية شيء آخر او ضد شيء ما فيجب ان نعرف اننا لن نحصل على ما نريد بالضبط ولن نحصل عليه بسرعة لذا يجب أن يكون هدفنا اكبر وابعد قليلا مما نريد الوصول إليه كما ان علينا ان نتسلح بالصبر والإستمرار في المحاولة حتى نصل.

ان فن الإقناع ايضاً يعلمنا ان المشاركة النشطة في تعلم اى شيء تساعد على ذلك وان افضل طريقة لتعلم شيء ما ان تحاول تعليمه لشخص آخر.

وإذا كان الإنسان يعبر دائماً عما يعتقده فإنه كثيراً ما يعتقد ما يعبر عنه حتى لو كان هذا التعبير بدأ كمشاركه للآخرين.

ان مساهمة الأبناء والبنات الكبار في الأسرة في مناقشة الاختيارات واتخاذ القرارات وايضاً اشتراكهم في تربية اخوانهم واخواتهم الصغار لهو من افضل الوسائل لاقناعهم. وعلينا ان نلاحظ ان سماعنا لرأى ما في قضية أو مشكلة لأول مرة له تأثير قوى علينا لأنه اول رأى سمعناه كما ان سماع شخص آخر يقول برأى آخر يكون له اثر قوى ايضاً لأنه الرأى الحديث الذى سمعناه الآن وقد يطغى في تأثيره على الرأي الأول الذى سمعناه من شخص آخر. لذا يجب ان يسمع أبناؤنا لرأينا حول الأشياء والقضايا والمشكلات قبل وبعد سماعهم لآراء الآخرين. هنا نملك فرصة اكبر لإقناعهم.

سادسا: التركيز على الأولاد اكثر من البنات:

كثير من الأسر تهتم بتوجيه المراهقين من الذكور اكثر من اهتمامها بتوجيه الإناث ظناً منها ان الذكور اكثر تعرضاً للمشكلات من الإناث وانهم اكثر تمرداً منهن على رغبات الكبار. والحقيقة ان اغلب الدراسات النفسية تؤكد ان معاناة الإناث في هذه المرحلة واختلاط الأمور عليهن وخاصة في نهاية مرحلة المراهقة اكثر حدة منها عند الذكور ولذا يحتجن مزيداً من الإهتمام من جانب الآباء والأمهات. ان الانطواء والانعزال والصمت والرفض الذى نشاهده عند بعض الفتيات في هذه المرحلة لهو مؤشر على وجود مثل هذا الصراع.

سابعا: التناقض في اقوال وسلوكيات الكبار:

الكثير من الآباء والأمهات يتناقض مع نفسه

فيما يقول ويفعل امام الأبناء فبينما نقول لهم لا تجلسوا طويلا امام شاشات التلفزيون تجلس الأم أو الأب امام هذه الشاشات بالساعات وكأن ذلك مسموح لهم ومرفوض للأبناء، نطلب منهم ألا يدخنوا السجائر وهم يرون أباءهم او امهاتهم يسلكن هذا السلوك: نقول لهم ساعدوا الآخرين ثم نطلب منهم اخفاء ما يعرفونه عن زملائهم حتى يتفوقوا عليهم.

هذا التناقض في القول والعمل يبطل القول، فالعمل اقوى تأثيراً من القول والإنسان يتعلم من النموذج اكثر مما يتعلم من المحاضره.

ايضا يظهر التناقض كثيراً بين آراء الأم والأب أو سلوكياتهم مما يعطى واجهة تربوية ممزقة للأبناء.

ثامنا: عدم مراعاة المظاهر الطبيعية لمراحل النمو المختلفة:

ان المقاومة لأفكار الآباء والأمهات وتفضيل افكار الرفاق عليها امر طبيعي فى سن المراهقة. ولكنها حالة مؤقته تزول بزوال هذه المرحلة التى يكون فيها النمو سريعاً فيؤثر على المراهقين والمراهقات. وهناك من الآباء والأمهات من يقابل هذه المرحلة بالتعنيف والتوبيخ والعقاب المبالغ فيه مما يفقد المراهق ثقته بنفسه واحترامه لها ويجعله اكثر رغبة في التمسك بهذه السلوكيات المرفوضة. وقد اوضحت الدراسات النفسية ان الشباب الذين يستمرون على رفض رغبات وثقافة الآباء بعد سن المراهقة اقل ثقة بأنفسهم واحتراماً لها من اقرانهم. وعلى الرغم من تصورنا ان المراهقين يتأثرون كثيراً برفاقهم فإن هذا التأثير لا يستمر على المدى البعيد إلا في الأسر التى تواجه هذه الظاهرة بعنف او بتجاهلها.

تاسعا: اعطاء الأبناء كل ما يطلبونه بدون تمييز:

كثير من الأسر تملك من القدرة المالية ما يمكنها من شراء كل ما يطلبه الأبناء أو يرغبون في اقتنائه حتى ان بعض الأبناء يطلبون لعبة ما، وقبل ان يستخدموها تشد انتباههم أخرى فيتعلقون بها وتسرع الأم او الأب الى ارضائهم بالحصول عليها فتلقى الأولى جانباً ويتكرر هذا الموقف كثيراً.

**** الوالدان هما الانموذج السلوكى المعتمد لدى الطفل والتوافق بين القول والعمل عند الوالدين ضرورة للتنشئة السليمة.**

إن توفر المال والقدرة على شراء كل ما يطلبه الابن أو البنت لا يبيح تحقيق طلباته بدون تمييز. علينا أن نعلم ابنائنا الاختيار بين البدائل من سن مبكرة وترك بعض الأشياء التى يرغبون فيها لأن اوان اقتنائها لم يأت بعد أو أنها غير مناسبة لسبب أو لآخر. هذا يعلمهم التميز والاختيار وترك مالا يناسبهم.

وأخيراً اقدم للآباء والأمهات بعض الوصفات التربوية السريعة فيما يلي:

١ - خصصوا وقتاً كافياً لأبنائكم وبناتكم تجلسون معهم فيه خصصوا وقتاً محدداً ومحترماً ومعروفاً مسبقاً واجعلوهم اهم من الأعمال والزيارات ومشاهدة برامج التلفزيون.



٢ ـ شاهدوا مع ابنائكم ما يشاهدونه من برامج أو ما يحصلون عليه من معلومات واستمعوا إلى آرائهم فيما يرونه وناقشوهم فيها.

٣ ـ اسمحوا لأبنائكم بالتعرف على اناس من ثقافات مختلفة وعلموهم كيف ينتقون مما يتعلمونه منهم ما يفيد ثقافتهم ويضيف إليها.

٤ ـ اشركوا اولادكم من مرحلة مبكرة في القيام بأدوار اجتماعية تتمثل فيها القيم والمبادىء الثقافية لمجتمعهم واشركوا الكبار في تعليم وتوجيه الصغار.

٥ ـ ابتعدوا عن التناقضات في سلوككم وكونوا نماذج حقيقية لما تطلبوه من ابنائكم وبناتكم.

٦ ـ استخدموا امثلة محسوسة في تعليم القيم للصغار وراعوا أن القيم تنمو ببطء وتحتاج الى وقت طويل لتعلمها.

٧ ـ اشرحوا لهم بالتفصيل وبصبر الأسباب التي تدعوكم لرفض سلوك أو مظهر ما.

٨ ـ اسمحوا لأبنائكم بقدر من التنوع المقبول في اختياراتهم من الملبس والمأكل وقضاء وقت الفراغ واسمحوا لهم بتنسيق غرفهم بأنفسهم.

٩ ـ استمعوا جيداً لهم وافهموا ما يريدون فعله واسباب اقتناعهم به واجعلوهم مشاركين نشطين في اتخاذ القرارات التى تهمهم.

١٠ ـ اشركوا الكبار في تربية الصغار.

١١ ـ اتفقوا على رأى واحد ويجب ألا يتناقض رأى الأم مع الأب حول قضية أو مشكلة ما.

١٢ ـ لا تعطوا أبناءكم كل ما يطلبونه بدون تمييز.

وأخيرا: اقول ان ثقافتنا بخير وهى غنية قادرة على التصدى لكل ما هو غريب وشاذ ولكنها يجب أن تظل مفتوحة قادرة على أن تجدد نفسها بكل ما هو مفيد ونافع بالأخذ والعطاء من الثقافات الأخرى وإليها. ان ما نحتاجه فعلا هو بذل الجهد والوقت في تربية أبنائنا بصورة شاملة وصحيحة. علينا أن نربى ونعلم انفسنا لنكون آباء وأمهات قبل أن نربى ونعلم اولادنا ليكونوا ابناء، يجب ألا نزرع الخوف في نفوسهم فنميت قلوبهم ويجب ألا نعاقبهم بصورة مهينة تفقدهم ثقتهم واحترامهم لأنفسهم.

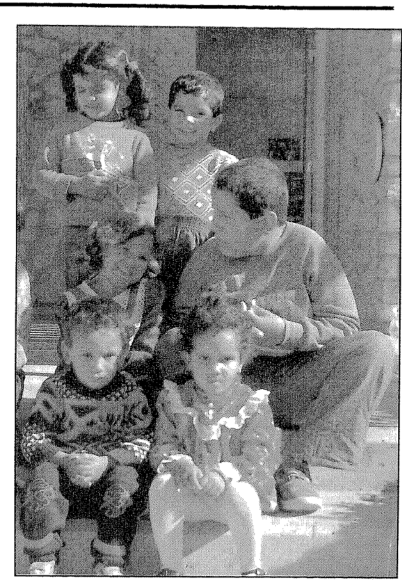
**** ترسيخ القيم في الطفل تكون بالأنموذج.**

**** لماذا نعلي من شأن بعض القيم ونهمل الأخرى؟!**

**** التوازن في (التوبيخ) و(التعزيز) قيمة تربوية هامة.**

اذا لم نفهم ابناءنا جيداً ستختلف رؤيتنا كثيراً عن رؤيتهم وسيصبحون غرباء بيننا، علينا ان نسلحهم بالقدرة على التفكير المنطقى السليم. علينا ان نصبر على تعليمهم قيمنا واتجاهاتنا وان نعودهم وندربهم من مرحلة مبكره على المشاركة في فحص البدائل والاختيار من بينها حتى يشبوا قادرين على حل مشكلاتهم واتخاذ القرارات الهامة في حياتهم وتحمل مسئوليتها.

وفي النهاية أردد قول الحق سبحانه: {فأما الزبد فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}.



الأسرة ودورها في التوجيه السلوكي للأحداث

بقلم: د. عبد العزيز بن حمود الشثري ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض

مشكلة البحث وأهميتها:

تتلخص مشكلة هذا البحث في محاولة الربط بين دور الأسرة في عملية التنشئة الإجتماعية، ودورها في عملية الضبط الإجتماعي حيث إن كل ميدان من هذين الميدانين قد حفل بكثير من الأبحاث والدراسات فجاءت الدراسات التي تناقش عملية التنشئة الإجتماعية أقرب ما تكون إلى الدراسات التربوية المثالية في حين التصقت الدراسات المتعلقة بدور الأسرة في عملية الضبط الإجتماعي بالدراسات الجنائية أو دراسات الجنوح والانحراف. مع أن الواقع يملي علينا النظر إلى الأسرة كوحدة اجتماعية متكاملة تؤثر وتتأثر بالمجتمع من خلال العديد من العمليات الاجتماعية والثقافية.



وعلى هذا تأتي معالجتنا المتواضعة هذه لما تتركه الأسرة في حياة الأبناء والبنات من آثار سلبية. أو إيجابية من خلال عمليات وأساليب سلبية أو إيجابية أيضا في إطار عمليتي التنشئة والضبط الاجتماعيتين.

**** التنشئة هي عملية اعداد الفرد منذ ولادته لان يكون كائنا اجتماعيا وعضواً في مجتمع معين.. والأسرة هي أول بيئة تتولى هذا الاعداد**

أولا: المفاهيم الأساسية في البحث:

يعتبر تحديد المفهوم أو التعريف الدقيق للمصطلحات مطلبا هاما وأساسا لأي دراسة عملية، وخاصة تلك المفاهيم التي تتعلق بعنوان البحث أو الدراسة ويزداد الأمر إلحاحا إذا كانت تلك المصطلحات مما يشيع استخدامه في علوم مختلفة تتناول تلك المصطلحات من زوايا مختلفة حسب طبيعة تعرضها لها وبما يخدم هذا التخصص أو ذاك.

وفي دراستنا هذه فإن هناك بعض المصطلحات التي لابد من الوقوف على بعض ما كتب فيها من تعريفات تعددت مصادرها واختلف تناولها بين علماء الفقه الاسلامي وعلماء النفس والتربية والإجتماع والقانون وذلك لعلاقتها الشديدة بتلك الميادين محاولين الإختصار والإيجاز فيما يلي:

١ - الأسرة :

قد يبدو تعريف الأسرة سهلا من النظرة الأولى لتلك العبارة المألوفة لدى كل أحد ولكن الجدل حول تعريف الأسرة لم يتوقف بين العلماء حتى يومنا هذا ويمكن باختصار أن نحصر سبب هذا الجدل والاختلاف في أمرين هما:

أ - الاختلاف حول نطاق الأسرة وحدودها.

ب - الاختلاف حول محور القرابة في الأسرة.

ومن التعريفات الحديثة للأسرة: الأسرة رابطة اجتماعية تتألف من الزوج والزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال كما قد تتكون الأسرة من زوج بمفرده مع أطفاله أو زوجة بمفردها مع أطفالها. وقد تتسع الأسرة بحيث تضم الأجداد والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مع الزوج والزوجة والأطفال[١].

ويرى آخرون بأن الأسرة تجمّع اجتماعي قانوني لأفراد اتحدوا بروابط الزواج والقرابة أو بروابط التبني وهم في الغالب يشاركون بعضهم بعضاً في منزل واحد ويتفاعلون تفاعلا متبادلا طبقاً لأدوار اجتماعية محددة تحديداً دقيقاً وتدعمها ثقافة عامة[٢].

ويرى آخرون بأن تعريف الأسرة من المنظور الإسلامي يختلف عن كثير من التعاريف التي وردت في الكتابات الغربية والأمريكية وخاصة التعريفات التي تعتبر التبني شكلا من أشكال الأسرة. فالإسلام لا يقر العلاقة القرابية بالتبني {ادعُوهُمْ لآبائهم هو أقسط عند الله.. الآية}[٣].

{إنْ أمهاتُهُم إلا اللائي ولدنهُم.. الآية}[٤]، كما أن المنظور الإسلامي لا يتفق مع التعاريف التي تأثرت بالفوضى الأخلاقية والإنحلال الجنسي في

الغرب فأصبحت تنظر لعلاقة الشذوذ الجنسي (معيشة الرجل مع الرجل أو المرأة مع المرأة في بيت واحد) أو علاقة التعايش بين الرجل والمرأة بدون زواج على أنها أنماط حديثة للأسرة مرفوضة في المنهج الاسلامي، بل قبيحة مستهجنة.

ويخلص هؤلاء الى تعريف الأسرة من المنظور الإسلامي بأنها عبارة عن جماعة اجتماعية من رجل وامرأة على الأقل ارتبطا برابطة زواجية شرعية ويعيشان في مكان إقامة مشترك ويقومان بوظيفة تكاثرية وبينهما تعاون اقتصادي[٥].

٢- التوجيه السلوكي (Behavioral Guidance):

كلمة توجيه Guidance بهذا اللفظ تعتبر من المصطلحات التربوية النفسية الجديدة وهي تتضمن المساعدة على خلق اتجاه جديد أو تبني اتجاه قائم كأحد الخيارات المتاحة حيال موضوع معين غالباً يتطلب اتخاذ قرار من قبل الفرد الذي يتم توجيهه أو محاولة التأثير في صنع قراره. وقد ورد في المعاجم والقواميس الاجتماعية والنفسية مصطلح التوجيه مقروناً بعبارات تحدد المجال الذي يتم فيه التوجيه مثل التوجيه المهني لطالبي العمل، التوجيه التربوي للتلاميذ، التوجيه النفسي للمرضى النفسانيين، والتوجيه الاجتماعي للأحداث الجانحين وغيرهم من الفئات الاجتماعية، ولكن التوجيه السلوكي الذي نتحدث عنه في هذه الدراسة هو أعم من ذلك حيث نقصد به كل أثر مباشر أو غير مباشر تتركه الاسرة في شخصية الحدث يساعد على خلق توجه سلوكي أو يحمل أو يشجع على اتخاذ قرار في حياته سواء أكان ذلك الأثر سلباً أم ايجاباً وسواء أكان ذلك التصرف أو السلوك سلبياً أم إيجابياً.

٣- التنشئة الاجتماعية (Socialization):

يولد الطفل كائناً عضوياً (بيولوجي) كما يقول البعض وعملية التنشئة الاجتماعية هي التي بمقتضاها يتم تحويل هذا الوليد أو الكائن العضوي إلى كائن اجتماعي. وقد وردت عدة تعاريف للتنشئة الاجتماعية، كلها تدور حول قضة التطبيع الاجتماعي ونقل الثقافة والتراث الاجتماعي من الآباء إلى الأبناء بواسطة أساليب عدة.

والتنشئة الاجتماعية - كما ورد في معجم العلوم الاجتماعية - هي: **عملية إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون كائناً اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين، والأسرة هي أول بيئة تتولى هذا الاعداد، فهي تستقبل المولود وتحيط به وتروضه على آداب السلوك الاجتماعي، وتعلمه لغة قومه وتراثهم الثقافي والحضاري من عادات وتقاليد وسنن اجتماعية وتاريخ قومي، وتأخذه بأسباب الحزم للقضاء علي ما يبدو من مقاومة لهذه المواصفات والقيم، فترسخ قدسيتها في نفسه وينشأ عضوا صالحا من أعضاء المجتمع، وللأسرة في هذا شأن لا تعادلها فيه بيئة أخرى.**

وبجانب الأسرة توجد هيئات اجتماعية أخرى تشترك في هذه التنشئة وتعميق مضامينها في نفس الفرد، مثل حلقات اللعب والمدرسة والنوادي والجمعيات الثقافية، والمجتمع العام بما يضيفه من تجارب وما يضعه أمام الفرد من مواقف. فالتنشئة

** العلاقة وثيقة بين الثقافة والتنشئة من جهة وبين الثقافة والجريمة



الاجتماعية عملية ديناميكية مستمرة، تبدأ منذ ولادة الفرد وتستمر حتى مماته. وفي كل مرحلة يتعلم ويكتسب ما لم يكن قد عرفه أو أدرك مراميه على نحو أفضل. ويضيف المجتمع باطراد الى رأس مال الفرد الثقافي مكاسب جديدة وتجارب مستمرة.

ولما كانت الأسرة هي أول هيئة تتولى التنشئة الاجتماعية، فان نجاحها يرجع اليها بقدر كبير. وتختلف الأسر في مبلغ أدائها لهذه المهمة، فمنها ما تنجح فيها نجاحا تاماً، ومنها ما يعز عليها أداؤها. ويرجع كثير من حالات الانحراف المبكرة الى فشل الأسرة، أو عدم توفيقها في أداء وظيفتها التربوية الأساسية[٦].

٤ ـ الأحداث (Juveniles):

الحدث في اللغة هو صغير السن ولذا يستخدم بعض الباحثين كلمة الصغار كمرادف لكلمة الأحداث ويكاد يكون هناك اتفاق بين العلماء على أن الحدث هو ذلك الصغير الذي تجاوز مرحلة الطفولة المبكرة وبدأ يعي ما يحيط به، أي هو حديث العهد في ادراك الواقع فهو ليس طفلا وليس شابا ناضجا[٧]، ولكن رغم هذا الاتفاق، الذي يحدد في الغالب بداية هذه المرحلة بالسابعة من العمر، هناك اختلاف واضح حول السّن التي تنتهي عندها هذه المرحلة حيث تتراوح في الغالب بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، وذلك أخذا بالتحديد القانوني لفترة الحداثة التي خلالها يعامل صغير السّن معاملة خاصة عند ارتكابه لما يستوجب مساءلته أو معاقبته، وقد شاع استخدام هذا المصطلح في كتب القانون قبل أن يبدأ استخدامه كمفهوم اجتماعي وذلك في أواخر القرن التاسع عشر حيث أنشئت أول محكمة للأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث تهدف التشريعات الى تحديد فترة زمنية معينة يطبق بشأنها نظام مخفف للمسئولية الجنائية على الأحداث.

ولكن علماء الاجتماع ينظرون الى الأمر من ناحية تتعلق بفترة من حياة الانسان لها طابعها وخواصها ونوازعها، وتمتدّ فترة الحداثة من وجهة نظرهم حتى النضوج العقلي والاجتماعي لدى الأحداث فلا يتقيد المفهوم عندهم بحدّ أدنى أو حدّ اقصى للسّن حيث مناط التحديد عندهم ليس ركن التمييز الذي تترتب عليه المسؤلية الجزائية بل تلك الفترة من حياة الانسان منذ ولادته وحتى يكتمل لديه النضج الاجتماعي الصحيح والرشد الكامل[٨].

**** ثقافة الأبوين تغرس في الطفل المضامين الأولية للتحسين والتقبيح**

وهذا هو المفهوم الذي تتبناه دراستنا هذه حيث إن التركيز هنا سوف لن يقتصر على النواحي السلبية في شخصية الحدث التي قد ينتج عن بعضها مساءلة قانونية أو تعرّض لجزاءات معينة من قبل الجهات الرسمية.

ثانيا: طبيعة مرحلة المراهقة وخصائصها:

المراهقة اصطلاح نفسي يشير الى تلك المرحلة من عمر الانسان التي تصادف تقريباً مرحلة الحداثة بالتعبير القانوني[٩] الذي أخذ ينتشر في الكتابات الإجتماعية وخاصة تلك التي تبحث في الظاهرة الإجرامية عند الصغار أو (انحراف الأحداث) ـ كما سبق ذكره ـ ونشير هنا إلى أهم ما يميز تلك المرحلة من عمر الإنسان مع التركيز على تلك الخصائص

المتعلقة بالتفاعل الأسري بين الآباء والأبناء وذلك في النقاط التالية:

١ - **تشهد هذه المرحلة نمواً سريعاً نحو النضج البدني والجنسي والتعليمي** ويعد النمو البدني من أهم مظاهرها حيث يزداد الطول والوزن زيادة سريعة وتنمو لدى المراهق بعض الصفات الجسمية والجنسية التي لم يألفها من قبل فيكون لديه الدافع لاكتشافها وتجربتها، ومن حيث اليقظة العقلية يرى بعض العلماء أن الذكاء يصل أقصاه في سن السادسة عشرة.

٢ - **تعتبر بحق مرحلة التطبيع الاجتماعي وتوسيع الأفق الاجتماعي** ويتضح لدى الشاب الاهتمام بالمظهر الشخصي والاستقلال الاجتماعي وتأكيد الذات والتطلع إلى تحمل المسؤولية الاجتماعية ويستطيع الشاب التفريق بين المرغوب وغير المرغوب وبين الواقعي والمثالي من معايير وأنماط السلوك الاجتماعي.

٣ - **من الناحية النفسية تعتبر فترة قلق واضطراب** حيث يشعر الشاب بنموه الجسمي والنفسي وبعده عن عالم الطفولة وفي الوقت نفسه يشعر بأن أفراد المجتمع لا ينظرون إليه على أنه ناضج وأن تعاملهم معه لا يتناسب مع ما وصل إليه من نضج فيحاول الابتعاد عن سلطاتهم وقد يثور عليها. وهنا نلاحظ أن نقص خبرته وحداثة نضجه قد تسبب له بعض المشكلات التي يعجز عن مواجهتها بمفرده فغالبا ما يلجأ إلى جماعة الرفاق وأصحاب الفراغ واللعب (Play group) التي يغلب على قراراتها الحماس والاندفاع والتهور وحب إثبات الذات ومقاومة السلطات العائلية أو المدرسية أو غيرها.

وهذه الجماعة أو الجماعات في الغالب تمارس ضغوطاً قوية على أعضائها وفي الوقت نفسه تجد استجابة من الأعضاء وتضحيات في سبيل بقائها وتماسكها.

٤ - **من أهم ما يشغل بال الشاب أو المراهق مجال العمل أو المهنة** الذي سيطرقه قريباً فيسيطر على ذهنه وهو يضع في باله الاختيارات العديدة وقد يلجأ البعض الى التجارب المختلفة في هذا المجال والتي قد يخفق في بعضها أو كلها فيؤدي به ذلك إلى اليأس والقنوط ويخلق له مشاكل عديدة نفسية واجتماعية مثل الفراغ غير المستغل أو الترويح غير الموجّه والتي بدورها تقود إلى مشاكل أكثر تعقيداً مثل الانحراف والجريمة والإدمان.

٥ - من أهم خصائص مرحلة الشباب أنها تعتبر مرحلة تكوين الاتجاهات واكتساب القيم فخلال تلك المرحلة يتحدد مستقبل الشاب وتوجهه. حيث يكون قادراً على التمييز واختيار الأسلوب الذي يرتضيه لحياته. فهو على مفترق طرق عدّة من الممكن أن يكون لاعباً أو شاعراً أو مغنياً أو داعية أو مجاهداً أو .. أو .. الخ. وقد يكون من محبي ومؤيدي هذا التوجّه من التفكير أو ذاك، وهنا تلعب وسائل الاعلام والأسرة والأصدقاء دوراً بارزاً في التأثير على اختيارات الشاب ويبرز دور القدوة في هذا الشأن.

ثالثا: دور الأسرة في حياة الأحداث:

من خلال العرض السابق لبعض خصائص هذه

**** الأسرة كوحدة اجتماعية متكاملة تؤثر وتتأثر بالمجتمع من خلال العمليات الاجتماعية والثقافية**



المرحلة الحرجة من حياة الشاب أو الحدث يتبين لنا مدى أهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه الأسرة في تكوين الاتجاه العام ورسم الطريق الذي يسير عليه الابن أو البنت في المستقبل وذلك من خلال محورين أساسيين أو عمليتين هامتين من العمليات الاجتماعية هما:

١ ـ التنشئة الاجتماعية (Socialization).

٢ ـ الضبط الاجتماعي (Social Control).

فمن خلال هاتين العمليتين وبواسطتهما يتم توجيه سلوك الأبناء والبنات في الأسرة والتأثير في قراراتهم وتحديد اختياراتهم من بين البدائل المتاحة من أنماط العمل والسلوك والتوجيهات المختلفة[١٠].

والواقع أن طبيعة بناء وظروف وثقافة الأسرة هي التي تحدد كيفية أدائها لتلك الوظيفة الهامة وتحدد أيضا حسن أو سوء استخدامها لعمليتي التنشئة والضبط الإجتماعيتين. في بناء شخصية الحدث أو المراهق.

ففيما يتعلق ببناء الأسرة:

فإن الدراسات الميدانية في هذا الشأن تشير الى أن فقدان الوالدين أو أحدهما له أثر كبير في حياة الحدث وخاصة فقدان الأم في السنوات الأولى من حياة الطفل كما أن التفكك الأسري الناجم عن الطلاق أو الانفصال أشد أثرا من اليتم حسبما يذهب إليه بعض الباحثين في المجتمع السعودي حيث ترتفع نسبة الطلاق بين آباء الجانحين مقارنة بغير الجانحين[١١].

كما تشير الدراسات المصرية إلى وجود نوع من العلاقة بين هجرة العمالة ـ وعلى الأخص غياب الأب فترات طويلة للعمل في الخارج ـ وبين جنوح الأبناء والبنات حيث تضعف الرقابة والسلطة الأسرية عليهم ويزداد الأمر سوءا إذا تغيب الأب والأم وتُركَ المراهقون بحجة الدراسة عند أحد الأقارب أو الأصدقاء لفترات طويلة[١٢].

وفيما يتعلق بظروف الأسرة:

فهناك مؤشرات إحصائية لا يمكن تجاهلها تدل على ارتفاع نسبة الجنوح والانحراف بين أبناء الطبقات الدنيا وفي الأحياء الأكثر فقرا ـ وإن كان هناك جدل حول مدى الاعتماد على الأحصاءات الرسمية فيما يتعلق بالجريمة والانحراف ـ إلا أن شيوع هذه الظاهرة وتكرار وجودها في المجتمعات المتقدمة اقتصاديا والمتخلفة على حد سواء وكذلك في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية[١٣] يدعو إلى أخذ هذه الظروف في الاعتبار عند محاولة التصدي لتفسير ظاهرة انحراف الأحداث في أي مجتمع. ويؤدي ذلك من الناحية النظرية أن الظروف السيئة من حيث **الدخل ومستوى السكن والمعيشة وغيرها قد تسهم في فشل الأسرة في أداء رسالتها التربوية على الوجه الأكمل** إضافة إلى إحساس الحدث بالحرمان من كثير من الأمور التي تتوق نفسه إليها ويتمتع بها غيره من أقرانه، مما قد يدفع به إلى محاولة الحصول على ما يريد بأقصر الطرق المتاحة ولو كانت غير مشروعة. إضافة إلى أن هذه الظروف قد تؤثر على أفراد الأسرة الأخرين. ممن كان يفترض أن يشكلوا القدوة الحسنة للحدث مثل الأب أو الأخ الأكبر وأحيانا الأم وهنا يكمن الخطر حيث تفقد القدوة الحسنة والمثل العليا بل قد يتعدى الأمر إلى أن ينشأ الحدث على اقتراف بعض المحرمات والممنوعات تلبية لبعض متطلبات الأسرة مثل التسول أو النشل أو ما شابههما.

وفيما يتعلق بثقافة الأسرة:

فإن العلاقة وثيقة بين الثقافة والتنشئة من جهة وبين الثقافة والجريمة والانحراف من جهة اخرى. ويؤيد ذلك العديد من الدراسات النظرية والميدانية حيث إن تركز الجريمة في أحياء معينة أو جماعات عرقية معينة قد فسر تفسيرا ثقافيا بمعنى أن الجريمة والإنحراف قد تغلغلت في النسق الثقافي للأسر أو جيل الآباء ومن ثم انعكس ذلك في علاقة

الآباء بالأبناء وتنشئتهم تنشئة مشوبة بالكثير من الانحرافات من المنظور الإجتماعي العام.

ويرى كوهين (Cohen. A. 1966) **أن نشأة الثقافة الفرعية الجانحة مرده في الغالب إلى الطرق المتبعة في تنشئة الأطفال في الطبقة الاجتماعية،** ويركز في تفسيره هذا على إبراز مجموعة من العناصر الأساسية لدى ثقافة الطبقة الدنيا - حسب تعبيره - والتي يرى أنها تشجع وتغذي السلوك المنحرف لدى أبناء هذه الطبقة في حين يختلف الأمر لدى الطبقة الوسطى التي تربي أبناءها بوحي من الثقافة السائدة لديها على احترام الأخرين وملكياتهم وبالتالي تقف حائلا ورادعا عن اقترافات الجرائم وارتكاب المخالفات[١٤].

وفي الغالب فإن إدراك أهمية بعض أنماط السلوك والاعتقاد بخطورة أنماط أخرى يرجع الى ما يتلقاه الفرد منذ نعومة أظفاره في المؤسسة التربوية الأولى وهي الأسرة. وأن الاعتقاد بأن هذا خطأ وهذا صواب وهذا مقبول وهذا مرفوض، مرد ذلك كله الى الثقافة الأسرية في الغالب وخاصة ثقافة الأبوين. وإن كان هذا يجرنا الى الحديث عن نسبية الجريمة والنظريات المتعلقة بها وهو ما لا يتسع له مجال هذا البحث المختصر. ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن الدراسات الميدانية في مجال انحراف الأحداث تؤكد على تدني مستوى التعليم لدى آباء وأمهات الجانحين مقارنة بغير الجانحين من الأحداث[١٥].

أما ما يتعلق بدور الأسرة في عملية الضبط الاجتماعي فإنه بلا شك مرتبط ارتباطا وثيقا بظروفها وسلامة بنيانها كما أنه مرتبط بثقافتها حيث إن الضبط الاجتماعي الذي تمارسه الأسرة أو أية جماعة على أعضائها يهدف في المقام الأول إلى حملهم على الامتثال لقواعد وأنماط السلوك المتفق عليها أو المقبولة لدى تلك الجماعة فالأسرة إما أن تكون جانحة - كما تشير الى ذلك نظريات الثقافة الفرعية - فتحمل الأبناء على تقبل أنماط من السلوك قد لا تكون مرضية بميزان الثقافة العامة للمجتمع، وإما أن تكون غير جانحة فهنا تكون مطالبة بأداء دورها في عملية الضبط الاجتماعي مساهمة مع غيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى. وفشلها في أداء هذا الدور لأي سبب أو ظرف سوف ينتج عنه خلل سلوكي في حياة الأبناء قد يؤدي بهم إلى الانخراط في جماعات أو عصابات جانحة تتولى تدريبهم وتعويدهم على الأفعال الانحرافية والجريمة.

رابعا: العلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة:

ونعني بها جميع أشكال التفاعل والاتصال بين الحدث وأفراد أسرته وكذلك علاقة أفراد الأسرة بعضهم ببعض مثل علاقة الأب بالأم، وهي من أهم أنواع العلاقات تأثيرا وانعكاسا على حياة الحدث داخل وخارج الأسرة، وكذا علاقة الاخوة والاخوات ومن يقيمون معهم في نفس المنزل من أقارب أو غيرهم.

وتزخر الأبحاث العلمية النظرية والميدانية بالكثير حول هذا الجانب الهام من حياة الأحداث وهو مدى تأثرهم في أفكارهم وسلوكهم بطبيعة التفاعل ودرجة الترابط الأسري وسلامة وسائله أو عدمها.

فمن الناحية النظرية يرى أنصار النظريات الاجتماعية المجهرية (Micro Socio Theory) - على سبيل المثال - أن التفاعل الدقيق داخل الأسرة يلعب دورا هاما في ظاهرة الجنوح لدى الأحداث. والمقصود بالتفاعل الدقيق هنا، هو التعامل اليومي البسيط بين أفراد الأسرة مثل المخاطبة والمداعبة والحوار والمشاركة. وما إلى ذلك، وتشير الأبحاث التي أجراها باترسون وزملاؤه (Patterson et al 1979) أن التفاعلات والأحداث اليومية البسيطة في الأسرة تحدد سلوك الأفراد. والجنوح في نظر أصحاب هذه النظرية يعد نتيجة لافتقار التفاعل



الأسري الي عناصر المفاهمة والمشاركة بين الكبار والصغار داخل الأسرة[١٦] ومن جهة أخرى تؤكد الدراسات الميدانية الحديثة، ومن بينها الدراسات السعودية أن الخلافات الأسرية وسوء العلاقات داخل الأسرة واضحة لدى أسر المجرمين والمنحرفين وعلى سبيل المثال أكدت دراسة (السيف ١٤١٤هـ) أن ٣ر٦٩٪ من المجرمين كانت لهم خلافات أسرية مع الأشقاء وأن ٣ر٦٧٪ كانوا يتمردون على سلطة والديهم ولا يراعون أوامرهم ونواهيهم، كما أوضحت الدراسة أيضا أن نسبة ٧ر٨١٪ من المجرمين كانوا يتصرفون بحرية تامة ولا يتقيدون بضوابط أسرية أو قرابية[١٧].

وفي الواقع فإن العلاقات الأسرية أمر يرتبط إلى حد كبير بالثقافة السائدة وظروف المجتمع. ولذلك تؤكد الدراسات الاجتماعية على حدوث تغير في نمط العلاقات السائدة في المجتمع العربي وعلى الأخص المجتمع الخليجي والمجتمع السعودي كواحد من المجتمعات التي خضعت لفترة تغير اقتصادي واجتماعي سريع خلال العقدين الماضيين وهو ما اصطلح على تسميته بفترة الطفرة الاقتصادية. وقد صاحب هذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية ونتج عنها تغيرات ثقافية شملت معظم نواحي الحياة ومنها نمط التفاعل الأسري وعلى الأخص ما يتعلق بسلطة الأب داخل الأسرة مما أدى إلى نوع من الخلاف لدى بعض الأسر فيما يتعلق باتخاذ القرار في كثير من الأمور الشخصية للأبناء وتمسك الآباء بالنمط السائد في الحقبة الماضية الذي يتطلب من الابن الطاعة والتسليم وعدم المناقشة حيث تعتبر مناقشة الأب من مظاهر سوء الأدب مع محاولة الأبناء الاستقلال في آرائهم وقراراتهم وخاصة ما يتعلق بحياتهم الشخصية مثل اختيار العمل أو نوع التعليم أو اختيار الزوج أو الزوجة. وسوف نرى في الفقرة التالية كيف عالج الإسلام مثل هذه الأمور ولم يدعها لأهواء الناس أو ظروف الزمان والمكان دون ضابط.

**** مرحلة الشباب مرحلة تكوين الاتجاهات واكتساب القيم**

خامسا: التفسير الإسلامي لدور الأسرة في توجيه الأبناء:

يقرر الإسلام باديء ذي بدء سلامة الفطرة وقابلية الطفل للتوجيه والتنشئة مبرزاً دور الوالدين في هذا الشأن حيث يقول النبي [صلى الله عليه وسلم]: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[١٨].

ومفهوم الحديث أن الأبوين إذا كانا سليمي الفطرة والعقيدة فإنهما ينميان فيه الفطرة السليمة والتوجه إلى الخير.

ويختلف المنظور الاسلامي لدور الأسرة في عملية التنشئة والضبط الاجتماعي عن النظريات القديمة والحديثة وسبب ذلك الاختلاف يرجع الى أن الاسلام ينظر للمجتمع بصورة مختلفة عن النظريات اليمينية أو اليسارية. فهو يدعو الى قيام مجتمع يحكم دين الله في جميع مناشطه وقطاعاته، مجتمع يقوم على مبادىء الحرية في العقيدة والرأي والتفكير والعدالة في الواجبات والحقوق والمساواة بين جميع الأفراد والتكافل في سبيل تحقيق المصلحة العامة وحيث إن نواة هذا المجتمع هي الأسرة، فقد جاءت الأحكام التشريعية الاسلامية لتحدد معالم البناء الأسري ودعائمه وترسم الاطار العام الذي ترتبط على ضوئه العلاقات

الأسرية وتوضح بجلاء مسئولية كل فرد في الأسرة تحقيقا لفعالية الأسرة في المجتمع[١٩].

ولذا فإن الأسرة من هذا المنظور تقوم بالدور الفاعل والكبير الذي يحقق أهداف التنشئة الاجتماعية السليمة والضبط الاجتماعي الأمثل لأفرادها.

هذا وقد لخص د. محمد الحامد مقومات الأسرة من المنظور الإسلامي في عدد من النقاط الهامة منها:

١ - إن **العلاقة الزوجية** التي هي أساس تكوين الأسرة قائمة على المودة والاحترام والحب والتماسك والتقيد برباط الزوجية والالتزام بواجباتها. قال تعالى: {ومن آياته أن خلق لكم من أنفُسكُم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة}[٢٠].

٢ - **تحديد مسئولية الوالدين في تربية الأبناء** على ضوابط اسلامية، والمحافظة على توجيههم التوجيه السليم وتهيئتهم للتكيف مع المجتمع الخارجي واعدادهم لتحمل مسئولية الحياة. قال {صلى الله عليه وسلم} «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[٢١] وقال أيضاً «إن الله سائلٌ كلّ راع عمّا استرعاه حَفظَ أم ضيَّعَ»[٢٢].

٣ - **اشباع الحاجات النفسية والعاطفية والحركية والجسمية والمعرفية** لأفراد الأسرة مع توجيه الغرائز البشرية الطبيعية لتحقيق أهداف ايجابية تحمي الفرد من الوقوع في الانحراف والرذيلة والفساد.

٤ - **تاكيد الإسلام على أهمية التنشئة الاجتماعية في الأسرة واثرها القوى في ضبط اعتقاد وسلوك الأفراد.** قال {صلى الله عليه وسلم} «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٢٣].

٥ - تهيئة أفراد الأسرة الصغار للضبط الاجتماعي خارج نطاق الأسرة بتعليمهم قيم المجتمع وعاداته ومعاييره وما يتضمنه ذلك من رعاية وحفظ حقوق الآخرين وتحمل المسؤلية الاجتماعية في وقت مبكر.

٦ - **التركيز على التربية الأخلاقية** ودعائمها الفاضلة المتمثلة في الصدق والوفاء والاحترام والتضحية والمشاركة والكرم والشجاعة مما من شأنه أن يقوى تفاعل الفرد مع مجتمعه على دعامة من السلوك السوي الذي يجنب صاحبه التأثر بدوافع الاحترام.

**** العلاقات الأسرية مرتبطة الى حدّ كبير بالثقافة السائدة وظروف المجتمع ومستجداته**

٧ - **التاكيد على أن يكون الوالدان قدوة** لأبنائهما في الالتزام بالأخلاق الحميدة والتعاليم الدينية مما يؤدي الى تشرب الأبناء وقناعتهم التامة بضرورة الالتزام والتقيد بها وهذا ما تهدف اليه عملية الضبط الاجتماعي في المجتمع الإسلامي.

٨ - **الدعوة الى حل الخلافات الأسرية** ومتابعة سلوك الأفراد بطريقة عادلة وحكيمة لا تتيح لأي فرد أن يعتدى على الأفراد الآخرين داخل الأسرة أو خارجها مما ينتج عنه ضبط السلوك الاجتماعي لدى الأفراد.

٩ - **اقرار تعدد الأدوار الأسرية** وتحديد دور كل من الأب، والأم، والزوج، والزوجة، والابن، والابنة، والأخ، والأخت وغيرهم على أساس يرتبط بالمسئولية



الفردية والأسرية والاجتماعية لكل منهم[٢٤].

سادسا: وسائل الأسرة في التأثير على الأبناء:

هناك الكثير من الوسائل المباشرة وغير المباشرة التي بواسطتها تستطيع الأسرة توجيه سلوك أعضائها وخاصة الأبناء والبنات. وينعكس ذلك التوجيه والتأثير في حياتهم سلبا أو إيجابا عن طريقها. ومنها على سبيل المثال لا الحصر وباختصار شديد ما يلي:

١ ـ التلقين والتعليم المباشر:

ويبدو أثره في مراحل الطفولة الأولى حيث يكثر استخدامه من قبل الوالدين وأفراد الأسرة الآخرين ثم يقل الاعتماد عليه مع تقدم العمر حيث تنشط وسائل أخرى تكون أكثر فاعلية من التلقين المباشر.

٢ ـ التشجيع:

وبه تستطيع الأسرة تنمية كثير من الاتجاهات التي ترضاها في سلوك الطفل أو الحدث ويتدرج التشجيع من الرضى والاستحسان إلى المدح الصريح وحتى إعطاء مكافاءات نقدية أو عينية للحدث. ويرى كثير من المربين وعلماء النفس أن التشجيع كثيرا ما ينجح مع الأحداث ويفوق وسائل أخرى مثل الأوامر الصريحة أو العقاب وخاصة مع بعض أنواع الشخصيات ذات السمة العنادية والميل الى الاستقلال.

٣ ـ الترغيب والترهيب:

وهو أسلوب يستخدمه الوالدان عادة لدفع الولد إلى عمل شيء أو زجره عن شيء آخر وذلك في محاولة منهما لتفادي أخطار العقاب البدني الذي قد يضطران إليه في حال فشل هذا الأسلوب. والترغيب عادة يتضمن الوعظ والمناصحة وبيان محاسن هذا السلوك ومضار غيره، وهو من الأساليب التي جاءت بها التربية الإسلامية استنادا إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله {صلى الله عليه وسلم} القولية والفعلية.

٤ ـ المحاسبة والمعاقبة:

وهو من الأساليب الشائعة لدى كثير من الأسر على اختلاف المجتمعات قديما وحديثا وإن كان المربون ينصحون بعدم اللجوء إليه في حالة فشل معظم الأساليب الأخرى حيث إن الإفراط في محاسبة الطفل ومعاقبته، كثيرا ما يدفعه إلى الكذب وينفره من المنزل ويغلق أبواب التفاهم والاتصال مع الأبوين مما قد يكون له مردود سيء جدا في حياة الشاب مستقبلا ونزوعه إلى التمرد على سلطان الأسرة ومحاولة الاستقلال عنها في قيمه واتجاهاته وسلوكه وتصرفاته فيفقد بذلك الكثير مما كان يمكن أن يستلهمه من خبرة الوالدين وتوجيههما نحو الاستقامة والخير.

٥ ـ المناقشة والإقناع:

وهو من أجدى الوسائل في تربية الشباب حيث لا يحسّ الشاب بشيء من القسوة والفرض عليه من قبل الآخرين فيسهل تقبّله لما يوجه إليه بهذه الطريقة ويلتزم به، حيث يشعر أن له دوراً في الاتفاق على هذا النمط من السلوك أو ذاك وقد كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يمارس هذا الأسلوب مع الشباب كما في قصة الذي طلب الإذن له بالزنا فقال: يارسول الله إئذن لي بالزنا وزجره الصحابة رضي الله عنهم فطلب منه النبي {صلى الله عليه وسلم} أن يدنو منه وقال له أتحبه لأمك قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.. الحديث[٢٥] وانصرف الشاب من عند النبي {صلى الله عليه وسلم} وهو مقتنع بخطورة الزنا وضرره على المجتمع المسلم.

٦ ـ التسامح والترك والإهمال:

وهنا يرى الابن أو البنت أن تسامح الأسرة والوالدين خصوصاً تجاه بعض الأفعال علامة على عدم خطورتها أو ضررها وحتى قبولها. والواقع أن هذا من الأساليب السلبية التي لا يبذل فيها الوالدان

أي جهد نحو توجيه الأبناء وكلما اتسعت دائرة التسامح كلما اقترب الخطر حيث يخشى أن يطول ذلك التسامح أموراً على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة. فبرغم ما للتسامح من ميزة كخلق نبيل إلا أنه إذا وصل إلى حدّ الإهمال والترك للطفل والشاب في كثير من المواقف التي لا غني فيها عن التوجيه والإرشاد فسوف ينقلب إلى أسلوب دفع إلى الانحراف بقصد أو بدون قصد من قبل الأبوين.

٧ ـ القدوة:

وهي من أبلغ وسائل التأثير في حياة الأبناء والبنات. ونعني بالقدوة تقليد الأبناء والبنات للآباء والأمهات وغيرهم داخل الأسرة فغريزة التقليد مما فطر عليه البشر ويميل الأطفال عادة إلى محاكاة الكبار في حديثهم وتصرفهم وطريقة حياتهم. ويتجلى ذلك من خلال ملاحظة ألعابهم حيث تميل البنت إلى تقليد أمها ويميل الابن الى تقليد أبيه والأطفال يلاحظون بكل دقة ما يفعله الأبوان فإذا خالف قول الوالد فعله فإن الولد لن يكون مقتنعا بما يوجهه إليه ذلك الوالد وأحيانا يقولها صراحة مثل «الدخان ليس حراما أنظر هذا والدي يدخن وهو مسلم» فبماذا ترد عليه؟ هل تقول إسمع نصيحة والدك أو تقول افعل مثل والدك؟ فسماع نصيحة ذلك الوالد يتطلب من الوالد نفسه تطبيقها.

وأخيرا: فإن الأخذ بأي من هذه الأساليب السابقة يتوقف على عدة عوامل منها ما يتعلق بالثقافة العامة وطبيعة المجتمع ودرجة تحضره. ومنها ما يتعلق بالأسرة وظروفها الاقتصادية والتعليمية والثقافية ومستوى التدين لدى أفرادها. ومنها ما يتعلق بشخصية كل من الأم والأب ودرجة التزامهما بالقيم السائدة في المجتمع وتمسكهما بالفضائل، إلى غير ذلك ومنها ما يتعلق بشخصية الطفل أو الشاب ودرجة ذكائه وقدراته العقلية والنفسية وغيرها.

ويصعب مناقشة كل ذلك في هذا البحث المختصر ولكن نضرب مثالا لأسلوب واحد وهو أسلوب التسامح. فنجد أنه يتأثر بكثير من هذه المتغيرات حيث يشيع في المجتمعات الغربية الحديثة التسامح مع الأولاد فيما يتعلق بالنواحي الأخلاقية والقيم الدينية ـ على سبيل المثال ـ في حين تشتد المحاسبة في النواحي الصحية والمادية وما إليها وذلك مرده إلى الثقافة السائدة في المجتمع بشكل عام حيث تتميز بأنها ثقافة مادية دنيوية. بينما في المجتمع الإسلامي فإن المحاسبة على النواحي الأخلاقية تكون أشد من قبل الوالدين لأبنائهما من المحاسبة على غيرها مثل السلوك غير الصحي أو التبذير والإسراف أو حتى إتلاف بعض الممتلكات وهذا قد ينسحب على الأسر المتدنية والأقل تدينا في المجتمع الواحد فيلاحظ أن الأسر المتدينة والتي تلتزم تعاليم الشرع في كل أمورها تقدم في أولوياتها التربوية، الواجبات الدينية على غيرها في حين نجد الأسر الأقل تديناً يكون التسامح لديها في المخالفات الشرعية للأبناء أكبر من التسامح في ما يتعلق بالتحصيل الدراسي على سبيل المثال. وهذا هو ارتباط الأسلوب التربوي بالقيم السائدة لدى الأسرة حيث إن القيم هي التي تحدد الأولويات في التعامل والسلوك لدى الأبوين ويشمل ذلك أسلوبهما في تربية أبنائهما وبناتهما.

المراجع والهوامش:

Ogburn, W. and Nimkoff, M. Technology and the changing Family. Cambridge, Mass, 1955.

(٢) زيدان عبد الباقي. الأسرة والطفولة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٠م ص ٩.

(٣) سورة الأحزاب آية ٥.

(٤) سورة المجادلة آية ٢.

(٥) محمد الحامد، دور المؤسسات التربوية غير الرسمية في عملية الضبط الاجتماعي. مركز أبحاث



مكافحة الجريمة، الرياض ١٤١٥هـ ص ٤١ ـ ٤٢.

(٦) ابراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٧٥م. ص ١٨٤.

(٧) وليد حيدر، جنوح الأحداث ـ بحث اجتماعي ميداني ـ وزارة الثقافة سوريا، دمشق ١٩٨٧، ص ٣٥.

(٨) علي محمد جعفر، الأحداث المنحرفون، المؤسسة الجامعية، بيروت ١٩٨٤م ص ٩.

(٩) هناك جدل كبير بين العلماء حول التحديد الدقيق والتسمية الواضحة لهذه المراحل (الطفولة ـ المراهقة ـ الحداثة ـ الشباب) فكل فريق له تقسيماته الخاصة به مع الاتفاق على أن مراحل الحياة لدى الإنسان متداخله بمعنى أنه ليس هناك حدود قطعية تفصل كل مرحلة عن الأخرى فيما يتعلق بالخصائص النفسية والاجتماعية للفرد.

(١٠) هذا مع الأخذ بالاعتبار أن هناك عوامل أخرى تشارك الأسرة في هذا وهي كثيرة من أهمها المدرسة وجماعة الرفاق وغيرها، ولكن نجاح الأسرة في هذا الشأن ينعكس إيجاباً على الأثر الذي تتركه العوامل الأخرى والعكس صحيح.

(١١) شرف الدين الملك، جنوح الأحداث ومحدداته في المملكة العربية السعودية مركز أبحاث مكافحة الجريمة ، الرياض ١٤١١هـ.

(١٢) أنظر في هذا على سبيل المثال: أحمد يوسف وهدان، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على انحراف الأحداث، مجلة شؤون اجتماعية، الشارقة، العدد السابع سبتمبر ١٩٨٥م.

(١٣) مع وجود فوارق في نسبة الانحراف بين كثير من المجتمعات الإسلامية وبين المجتمعات الغربية كماً ونوعاً إلا أن تركز هذه الظاهرة في الأحياء الفقيرة والأكثر ازدحاماً يعتبر أمراً مشتركاً بين هذه المجتمعات وتلك حسبما تفيد الدراسات الميدانية والاحصاءات الرسمية.

**** المنهج الاسلامي في السلوك والأخلاق هو الاسلوب التربوي الوحيد الذي يضمن لنا النجاح والسداد**

(١٤)Cohen. A. Delingquent Bays. The Free Press of Gleco. 1964.

(١٥) أنظر على سبيل المثال: مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض، بحث الجنوح والترويح في الأوقات الحرة لدى الشباب في المملكة العربية السعودية ١٤٠٥هـ ص ٦٤ وما بعدها.

(١٦)Patterson, G. "Aperforance theory for coercive family interaction in" R. Cairns (ed) The Analysis of Social Interactions: Methods, Issues and 11 I ustrations. Hillsdale, N. J.: Erlbaum, 1979. P82.

(١٧) محمد السيف، العوامل الاجتماعية المرتبطة بنمط الجريمة الجنسية رسالة دكتوراه، جامعة الإمام قسم الاجتماع، الرياض ١٤١٤هـ، ص ١٨٢.

(١٨) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ ص ٢٠٧.

(١٩) محمد الحامد، مرجع سابق ص ٨٢.

(٢٠) سورة الروم آية ٢١.

(٢١) رياض الصالحين، ص ١٢٤.

(٢٢) الحديث متفق عليه.

(٢٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه وقد سبق تخريجه بلفظ آخر.

(٢٤) محمد الحامد مرجع سابق ص ٨٣ ـ ٨٥.

(٢٥) مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

دور الأسرة والمدرسة كنظام اجتماعي على تحصيل الطالب

لقد شغل اهتمام الدارسين والباحثين والمربين وغيرهم من رجال الفكر أهمية دور الأسرة والمدرسة كنظام اجتماعي يؤثر في مستوى تحصيل الطالب في مختلف مراحل التعليم، وقد تعددت الانطباعات والتصورات المختلفة حسب الخبرات والملاحظات والتجارب الشخصية والمعتقدات الذاتية، وقد أطلقت الأحكام الانطباعية العامة فحُملت الأسرة مسؤولية التأثير على مستوى تحصيل الطالب تارة، والمدرسة تارة أخرى. وظلت هذه الانطباعات العامة غير العلمية تسيطر على فكر رجال التربية والتعليم لفترة زمنية ليست بالقصيرة، حتى اتجه المهتمون من رجال التربية وعلماء الاجتماع التربوي من بداية الخمسينيات لبحث دور الأسرة والمدرسة كنظام اجتماعي بأسلوب علمي منهجي استخدموا من خلاله تقنيات الدراسات المقارنة عبر الثقافات المختلفة، والدراسات الاستطلاعية والمسحية والحقلية داخل المجتمع الواحد لمعرفة أيهما أكثر أثراً، المدرسة أم الأسرة في بلورة الصورة النهائية لمستوى التحصيل الدراسي للطالب أو الطالبة في المجتمع.

ولهذا أخذ يتعامل الباحثون بقضايا جوهرية تمس المسيرة التنموية والتربوية في المجتمع باعتبارها نتيجة حتمية لما يعكسه النظام المدرسي والأسري من مقومات اجتماعية، حيث اهتموا بدراسة الأهداف والوظائف التربوية، وبحثوا في وسائل الضبط وتوجيه التربية وربطها بمسيرة التغير الاجتماعي، وتحديد علاقتها بالتدرج الاجتماعي في المجتمع، وعلاقتها بالمؤسسات الأخرى كالبيت والجوار، والحي، والسياسة العامة، والمؤسسات الاقتصادية وخلافه.

ولقد برز من خلال التعامل مع هذه القضايا اهتمام علماء الاجتماع التربوي بمناقشة دور التربية الأسرية والمدرسية وعلاقتها بالنظام الاجتماعي الكلي بأبعاده الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية، وقد أشارت معظم أدبيات البحث في هذا الحقل **إلى**

بقلم: أ.د. عبد الله عايض سالم الثبيتي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة





أن هناك دوراً تكاملياً بين النظام الأسـري والنظام المدرسي يؤدي في نهاية المطاف الى عملية التربية والتنشئة الاجتماعية وفقا القيم والمعتقدات والمعايير الدارجة في المجتمع، والعمل على إعداد الفرد للدور المهيأ له نفسيا واجتماعياً.

الدور التكاملي للنظام الأسري والنظام المدرسي:

من هذا المنطلق اهتم أنصار الاتجاه الوظيفي في الدول الغربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد منذ الخمسينيات بأهمية الدور التكاملي بين البيت والمدرسة في التأثير على مخرجات التعليم، **وراهنوا على دور التربية والتعليم المتمثلة في النظام المدرسي على وجه التحديد في تحقيق العدالة الاجتماعية وخلق التوازن الوظيفي والبنائي للمجتمع،** وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التربية والتعليم وفي جميع أشكال الحياة المستقبلية للأفراد والجماعات المختلفة. إلا أن الرهان لم يتحقق على مسرح الواقع، إذ تحدى بولز وجنتز وآخرون طرح أنصار النظرية الوظيفية، واظهروا أدلة واضحة لنتائج دراسات علمية تشير إلى أن النظام المدرسي في الولايات المتحدة الأمريكية لم يخدم بصورة عملية سوى مصالح النظام الرأسمالي في المجتمع الأمريكي أكثر مما ينحو بالتعليم نحو تحقيق هدف تكافؤ الفرص في التربية والتعليم والعمل على خلق التوازن المستقبلي بين شرائح المجتمع في مجال العمل والإنتاج (الثبيتي ١٩٩٥م). ليس هذا فحسب، بل أشارت نتائج دراسات أخرى إلى أن المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية لا تخرج في سياستها التربوية والتعليمية عن سلطة الصفوة وأصحاب النفوذ، الأمر الذي جعل من النظام التربوي آلة ووسيلة لحماية المصالح الأيديولوجية لأصحاب الهيمنة والنفوذ وصانعي القرار السياسي في المجتمع الأمريكي (Bowles and Gintis, 1976; Hurn, 1978).

وفي هذا المجال تناولت الدراسات والبحوث التطبيقية **الدور الوظيفي للنظام المدرسي والنظام الأسري** من منطلق النظرية الوظيفية من زاوية، ونظرية التغير والصراع من زاوية أخرى، علما أن مسار البحوث التي طبقت في هذا المجال منطلقة من هذه التصورات النظرية لم تنته بعد، ولم يصل من خلالها الباحثون إلى نتائج نهائية، بل نجد نتائجهم تتفق أحيانا وقد تختلف وتتعارض أحيانا أخرى (الثبيتي ١٩٩٥م).

وهناك كثير من نتائج الدراسات الوظيفية انتقدت بنتائج دراسات أخرى صممت من منطلق نظرية التغير والصراع لدراسة طبيعة دور المدرسة أو البيت في التأثير على مستوى تحصيل الطالب. ومن هذا المنطلق قام (هرن) (Hurn) بمراجعة مستفيضة لمعظم الدراسات والأبحاث الميدانية التي عملت من منطلق النظرية الوظيفية ونظرية التغير والصراع، وأظهر التناقضات النظرية والإجرائية لتلك الدراسات وعيوبها، وخلص إلى نتيجة مفادها أن هناك ضعفاً وقصوراً في درجة المصداقية لكل اتجاه منهما مما أثر على طبيعة نتائج تلك الدراسات وكان سببا في تعارض بعض نتائجها (Hurn, 1978).

وفي هذا السياق أشار هرن إلى أنه بالرغم من أوجه القصور في كلا النظريتين إلا أننا نعتبرهما مهمتين في تفسير علاقة النظام المدرسي بالمجتمع، وفي تحديد الإجابة الحقيقية على التساؤل الذي يفرض نفسه من وقت لآخر: وهو: من يهيمن على النظام المدرسي؟. ومن يشرف على بنائه وبرامجه وسياسته؟، الأمر الذي أصبح معه هذا التساؤل يشكل محور الاهتمام الرئيسي للبحوث والدراسات عند كثير من علماء التربية والاقتصاد وعلماء الإجتماع التربوي. وبناء على هذا ظهرت عدة دراسات في الخمسينات والستينات تصب في هذا المحور، ولعل أبرزها دراسة شارترز حول تأثير وزارة التربية والتعليم على سياسة المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية، ودراسة جروس بعنوان من يُسيّر أو يوجه مدارسنا؟ Who Runs Our Schools والتي قدم فيها تحليلا مستفيضاً للعلاقة



بين إدارات التعليم والسياسة العامة لبناء مناهج المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية (Chartes, 1953 And Gross, 1958).

ومن جهة أخرى أصبح تأثير النظام الأسري، والمجتمع المحلي، وبقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى في مستوى تحصيل الطالب من المواضيع التي تثير اهتمامات الباحثين بغية التعرف على مستوى وقوة تأثير هذه المؤسسات على مسار النظام التعليمي في المدرسة، وأهمية دورها في تغذية المردود التنموي والاقتصادي ومستوى التحصيل والمهارة المطلوبة اجتماعياً.

ولقد ظهرت سلسلة من الدراسات التي حللت الدور الفاعل الذي يلعبه النظام المدرسي في قضية محو الأمية والتنمية والتحديث والتقدم التكنولوجي والنمو الاقتصادي للمجتمع، إلا أن النظام المدرسي بشكله الراهن لم يستطع القضاء على مشاكل العوز والفقر والتخلف والتخفيف من حدة الحروب والصراع بين الفئات الاجتماعية في المجتمعات. وكان من أهم نتائج هذه الدراسات الإشارة إلى أن الاختلاف في مستوى التربية والتعليم تصاحبه تأثيرات ونتائج مختلفة ومتباينة وغير متوقعة أحياناً (Inkles, 1969; Armer and Youtz, 1971).

إن معظم الدراسات والبحوث التي طبقت في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من دول العالم الثالث ركزت على تشخيص العلاقة بين التربية الأسرية والنظام التعليمي في المدرسة وعملية التدرج الإجتماعي لمعرفة تأثير وضع الشرائح الاجتماعية المختلفة على نوع ومستوى التحصيل الدراسي في المدارس، ولعل أبرز الجهود في هذا المجال تمثلت في دراسة كولمان وكامبل بعنوان تكافؤ الفرص التعليمية Equality Of Educational Opportunity، ودراسة جينكز وآخرون بعنوان عدم المساواة والتي أظهرت نتائجها أن متغيرات المستوى الاقتصادي والخلفية الاجتماعية والثقافية والعرقية للأسرة تفسر معظم أشكال التباين في مستوى التحصيل التعليمي بين الطلاب داخل المدرسة وبين المدارس المختلفة، وأن هذه النتائج تعكس في جوهرها السياسة التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي أصبحت معه المدرسة لا تؤثر في مستوى التحصيل الطلابي إلا بمستوى بسيط جداً، إذا ما قورن ذلك بالأثر الأكبر الذي يحدثه المحيط الاجتماعي للطالب على مستوى أدائه في المدرسة (Coleman And Comphell, 1966; Jencks et al. 1972).

لقد فسرت هذه النتائج في حينها بأن كمية ونوع التربية التي تقدم في المدارس كانت مرتبطة بصورة واضحة بالتدرج والهياكل الطبقية والعرقية للمجتمع التي تعكس في جوهرها التباينات المختلفة التي تظهر بصورة متمايزة وواضحة في شكل المكتسبات التربوية لأبناء تلك الشرائح والطبقات الاجتماعية المختلفة. وكنتيجة لذلك اهتمت بعض الدراسات بربط الخلفية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لأسرة الطالب بنوع الاتجاهات ونمط السلوك ومستوى التوقعات التي يعامل على أساسها الطالب في المدرسة، الأمر الذي يجعل تقييم المعلم وتوقعاته واتجاهاته نحو الطالب تتحدد سلفا بالمستوى الاقتصادي والخلفية الثقافية والاجتماعية لأسرة الطالب (Brookover et al. 1979, 1981; Jencks et al. 1972).

التربية كنظام اجتماعي:

يحصر المهتمون في هذا المجال من علماء الاجتماع التربوي اهتمامهم في دراسة ومناقشة الهياكل التربوية كمؤسسات ونظم اجتماعية، ابتداء بتحليل بنى النظام التربوي العام بما فيه النظام

الأسري، واتجاها نحو تحليل المناطق التعليمية التي تعكس البنى النظامية للتربية، ثم تحليل النظام المدرسي، ونظام الفصول الدراسية المنفذة لسياسة المناطق التعليمية، مع تحليل البناءات الرسمية وغير الرسمية للوحدات التربوية والنظم الثقافية الداخلة في النسق التربوي.

وانطلاقا من هذا المجال حاول علماء الاجتماع التربوي من خلال الدراسات التطبيقية الجهود المتتالية تصنيف المدارس وفقا لخصائصها التنظيمية والإدارية، ولاحظوا أن **وضع الانفتاح أو الانغلاق للنظام المدرسي يرتبط بنوعية أعضاء التنظيم بالمدرسة، ونوعية المكان والتركيب السكاني للحي الذي تنشأ فيه المدرسة.** كما لوحظ أن أبعاد التنظيم الإداري الرسمي للمدرسة يتحدد من خلال علاقة النظام التربوي بالمظاهر الاجتماعية الأخرى من حيث الشكل والمحتوى والهدف.

ومن هذا المنطلق حُلل النظام المدرسي تحليلا بيروقراطياً وفقاً لخصائص الهيكل التنظيمي لتوزيع السلطة والمسئوليات وتحديد الأدوار والمراكز ووضع اللوائح والقواعد التنظيمية لسير العمل داخل المدرسة، والنظر في الاستقلالية النسبية لبعض العمليات والإجراءات التنظيمية داخل المدرسة وما يرتبط بهذه العمليات من مرونة في توزيع السلطة على الاداريين والمدرسين باعتبار أن المدرسة تنظيم إداري رسمي مستقل يعمل داخل النظام الاشمل (Corwin, 1981; Menhan, 1992).

وفي دراسات أخرى حُللت العلاقة بين السياسة العامة للدولة وشكل التنظيم المحلي للمدرسة، ونوقشت العلاقة بين المنطقة التعليمية والمستوى التعليمي للطلاب. كما حُلل النظام المدرسي في مراحله الابتدائية والمتوسطة والثانوية وربط ببعض المظاهر الخاصة لأشكال التدرج الطبقي والحرمان الثقافي والعزل الاجتماعي، ونظام المجموعات والأفواج التعليمية المعمول بها نظاماً، وعلاقة ذلك بتركيب نظام المدرسة كنسق اجتماعي يقوم بوظيفة فاعلة في تشكيل عملياته الداخلية والخارجية.

وقد أثبتت الدراسات في هذا المجال أن الجوانب العرقية والمستوى الإجتماعي والاقتصادي والخلفية الأسرية للطلاب تلعب دوراً واضحاً في غرس الاختلافات والتدرجات المتفاوتة بين الطلاب في مستوى التحصيل داخل المدرسة، الأمر الذي يجعل المدرسة تتشكل في تركيبها التنظيمي والإداري والتعليمي بما يتفق ويخدم المحافظة على استمرارية الوضع الاجتماعي القائم، حتى أصبحت المدرسة في كثير من المجتمعات أداة فاعلة للمحافظة على حالة الوضع القائم وتعزيزه وإعادة إنتاجه دون العمل على فاعلية تطويره وتغييره بصورة عملية (Hurn, 1978; Bowles and Gintis, 1976, 1988; Coleman et al. 1966).

وانطلاقا من هذا التصور اهتمت بعض الدراسات بمناقشة وتحليل الفصول الدراسية داخل المدرسة كوحدات اجتماعية صغرى داخل النظام الاجتماعي للمدرسة، حيث اهتم الباحثون بجوانب معينة كدراسة حجم الفصل وتحليل دور وشخصية المعلم في التأثير على مستوى تحصيل الطلاب في الفصل، مع التركيز على تشخيص وتحليل نماذج التفاعل بين الطلاب، وبين الطلاب والمدرسين داخل الفصول الدراسية. إلا أن نتائج هذه الدراسات لا تشير بوضوح إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين الشكل التنظيمي للفصول الدراسية ومستوى التحصيل للطلاب، بقدر ما تشير إلى أن وجود الاختلافات في شكل العلاقة بين الطلاب أنفسهم من ناحية والطلاب والمدرسين من ناحية أخرى ترتبط



بنمط الاختلافات في تنظيم الفصل الدراسي نفسه (Lareau, 1987).

تأثير النظام المدرسي والأسري في مخرجات التعليم:

استحوذ هذا الموضوع على اهتمامات الباحثين في التركيز على مناقشة وتحليل المخرجات التعليمية المتمثلة في عدة مؤشرات كمستوى التحصيل الأكاديمي، والفترة الزمنية اللازمة للتعليم، ومستوى الطموح، والإعداد للمستويات الأعلى في الدراسة، واكتساب التقنيات والمهارات الاجتماعية، ونوعية الاتجاهات المكتسبة نحو المدرسة والمجتمع، ومدى رضا الطلاب عن مستوى التعليم واكتسابهم لمظاهر السلوك المرغوب فيه اجتماعيا، بالإضافة إلى مدى تأثير التعليم في الوضع الاجتماعي وتحسين المستوى الاقتصادي وطبيعة العمل في المستقبل (Chesler and Cave, 1981) وقد اتخذت الجهود البحثية في هذا المحور مسارين متوازيين لتحديد نوع المتغيرات الخارجية والداخلية المحددة لشكل ومستوى المخرجات المدرسية (الثبيتي ١٩٩٥م).

لقد ذهب الباحثون في المسار الأول إلى معالجة المخرجات المدرسية كنتائج حتمية للعوامل الخارجية المرتبطة بالبيت والمجتمع، حيث أظهرت نتائج دراسات كولمان وجنكز وغيرهم **أن الفروق في الخلفية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأسرة تفسر أكثر نسب التباين في المخرجات المدرسية بين الطلاب داخل المدرسة الواحدة وبين المدارس المختلفة**، كما أظهرت نتائج هذه الدراسات وجود اختلافات جوهرية وكبيرة في مستوى التحصيل التربوي بين الطلاب والمدارس في مناطق مختلفة في مستواها الإجتماعي والاقتصادي وطبيعة التركيب الطائفي والعرقي (Coleman et al. 1966; Jencks, 1972)

وفي المسار الثاني، ومنذ الثلاثينيات غلب على معظم الجهود البحثية منظور علم النفس الإجتماعي وعلم الإجتماع التعليمي التي تهتم بدراسة تأثير المدرسة على عملية التعلم والتركيز على فهم السلوك الإنساني ومستوى التحصيل الدراسي للطلاب. ولقد تزعم هذه الجهود ويلر منذ عام ١٩٣٢م، وعززها بروكوفر واركسون عام ١٩٧٥م، وبلوم عام ١٩٧٦م وروتر ١٩٧٩م، وغيرهم مؤكدين على أهمية العوامل الداخلية للمدرسة وتأثيرها في عملية تشكيل وبلورة المخرجات المدرسية (Waller, 1932; Brookover and Erikson, 1975; Bloom, 1976; Rutter, 1979)

وعلى هذا الأساس درس أثر الخصائص المدرسية على شكل المخرجات التعليمية، كمستوى التحصيل والطموح والمستقبل الوظيفي، ومن أبرز هذه الأعمال دراسة ولبر بروكوفر لخصائص النظام المدرسي ومدى ارتباطها بمستوى التحصيل الدراسي ومفهوم الذات عن القدرة الأكاديمية ومستوى طموح الطلاب، وقد أظهرت نتائج دراسته أن خصائص النظام المدرسي المتمثلة في متغيرات المناخ الاجتماعي للمدرسة تفسر معظم نسب التباين في مستوى التحصيل الأكاديمي ومفهوم الذات بين المدارس المختلفة بدرجة تفوق الكمية المفسرة بمتغيرات الخلفية الأسرية للطالب، وقد دعمت نتائج هذه الدراسة نتائج دراسات أخرى مشابهة، كدراسة روتر والثبيتي وبوشارد، التي طبقت في لندن، والمملكة العربية السعودية، وكندا، والتي أظهرت نتائجها **قوة تأثير المتغيرات المدرسية على تفسير الاختلافات في مستوى التحصيل الطلابي بين**

المدارس المختلفة بدرجة تفوق ما تفسره الخلفية الأسرية للطالب (Rutter, 1979; Al-Thubaiti 1983; Bouxchard, 1987).

إن هذا النوع من الدراسات جاء كنتيجة لعدم الاقتناع بنتائج دراسة كولمان وجنكز التي أظهرت ضعف دور المدرسة في التأثير على مخرجاتها، إذ أثبتوا بدراسات مستفيضة قدرة المدرسة على التأثير في مخرجاتها وفي مستوى تحصيل الطلاب وتحديد مستقبلهم المهني بنفس الدرجة إن لم يكن ذلك أعلى من تأثير الخلفية الأسرية للطالب في ذلك. وقد أثبتت الدراسات الموجهة لدراسة فاعلية المدرسة قدرتها على التأثير في الفئات الطلابية التي تنحدر من فئات اجتماعية دونية في المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي حتى تساووا في مستوى تحصيلهم مع نظائرهم من الطلاب الذين ينحدرون من الأسر العليا ذات المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي المتقدم. كما أثبتت دراسة بروكوفر **أن الطلاب السود في الولايات المتحدة الأمريكية الذين ينحدرون من مستويات اقتصادية منخفضة ويغلب عليها طابع مدارس الطبقة المتوسطة حققوا مستويات من التحصيل أعلى ممن هم في مستواهم الاقتصادي من البيض** (Brookover et al. 1979)، ومن بين هذه النتائج، لاحظوا أيضا أن متغيرات المدخلات المدرسية المتمثلة في عدد الطلاب والمدرسين والغرف الدراسية والكتب المتوفرة في المكتبة والإمكانات المادية والمالية ومستوى التباين والاختلافات الملاحظة في مستوى التحصيل الدراسي بين المدارس المختلفة بدون المتغيرات المرتبطة بالتركيب الاجتماعي والاقتصادي لطلاب المدرسة (Coleman et al. 1966; Jencks, 1972; Brookover et al. 1979)

إن النتائج التي أظهرت ضعف دور المدرسة في تشكيل الفروق في مخرجاتها التعليمية قادت الكثير من الباحثين الى مزيد من الدراسة والاستقصاء لبحث أهمية دور المدرسة في تشكيل المخرجات التعليمية، وكان من أهم هذه الدراسات دراسة مكدال ورزبي وراتر وبروكوفر وغيرهم والتي أكدت نتائجها حقيقة أن ضبط المعايير المدرسية، والتوقعات المتبادلة، ونوع التنظيم، وبعض المظاهر الأخرى للنظام المدرسي، تفسر درجة التباين في طبيعة المخرجات المدرسية بدرجة تساوي أو تزيد عما تفسره متغيرات الخلفية الأسرية للطالب. كما أظهرت نتائج هذه الدراسات تأثير كثير من الجوانب المدرسية على مظاهر أخرى متعددة من السلوك خلافاً للتأثير في الجانب المعرفي، كدور المدرسة في زيادة أو نقصان عدم التجانس بين الطلاب في المجتمع، وفي هذا الجانب أشار بروكوفر الى أن التعامل مع الطلاب داخل المدرسة على اساس افتراض الاختلافات في القدرات والمواهب وتصنيفهم على برامج مختلفة يخلق تدريجياً الفروق بين الطلاب كما هو الحال متمثلا في الفصل العنصري بين المدارس في المجتمع الأمريكي (Brookover et al. 1979; Ruter et al. 1979)

وهذا بالطبع يعكس تأثير التركيب الاجتماعي الذي لا يسمح بإتاحة تكافؤ الفرص في التعليم والحصول على العمل حتى لو كان ذلك جزء من الأهداف المفروضة والمعلنة، ومن هنا يجب أن ننظر إلى أي مدى يستطيع النظام المدرسي في أي مجتمع من المجتمعات التعامل مع طلابه بعيداً عن أصولهم العرقية والاجتماعية والثقافية، لأن هناك من يرى أن النظام المدرسي في أي مجتمع يصمم عادة بطريقة تضمن استمرارية الأمر الواقع وإعادة إنتاجه مع تعزيز الفروق بين الطلاب والعمل على التصنيف



والتـوزيـع لفـئـات الطلاب المخـتلفـة على البـرامج التـعليـميـة اسـتـعداداً لتـوزيعـهم على الأعـمـال في المستقبل وفقا لمتطلبات الواقع الاجتماعي المعايش.

وفي هذا المجال، أظهرت الدراسات العالمية التي طبقت عبر الثقافات المختلفة لدراسة مستوى تحصيل الطلاب في مـادة الرياضـيات والمعروفة باسم The international Project for the Evaluation of Education Achievement أهمية المدرسة وقوة تأثيرها في غرس التباينات في مستوى تحصـيل مـادة الرياضـيـات، كـمـا أشـارت دراسـة الثبيتي التي طبقت في المملكة العربية السعودية، ودراسة بوشـارد التي طبقت في كندا وغيـرها من الدراسات الأخرى لنتائج مماثلة، أظهرت أهمية دور المدرسة مـقـارنة بدور الأسـرة في قـوة التـأثيـر على طبيعـة المخرجـات التعليـمية ومسـتوى التـحصـيل والطمـوح ومـفـهـوم الذات عن القـدرة الأكـاديمـيـة، وغـيـرها من المظاهر السلوكـيـة المطلوب تعلمـهـا اجـتـمـاعـيـاً (Inkles, 1977; Al-Thubaiti, 1983; Bouchard, 1987)

ولعل أبرز نتـائج الدراسـات التي طبـقـت عبـر الثقافات في دول العالم الثالث الإشارة إلى قوة تأثير مـتـغيـرات النظام المدرسي إذا مـا قـورنت بتـأثيـر مـتـغيرات نظـام الخلفـيـة الأسـرية على المخـرجات التعليمية، وهذه النتيجة تأتي معاكسة للنتائج التي توصل إليـهـا كـولمان وجنكز في الولايات المتـحـدة الأمريكية، ويمكن تفسير هذا التعارض كما فسره روتر.. بزيادة نسـبة التباين بين الأسر أو المدارس التي تصـاحب عـادة بتـبـاين مماثل في المخـرجـات التعليمية حيث يرى أن نسبة التمـاثل والتجانس بين الأسر في دول العالم الثـالث تفـوق نسـبـة التـمـاثل والتجـانس في الأسـر الأمـريكيـة، وبالمقـابل نجد أن نسـبـة التـبـاين والاخـتـلاف في المدارس بدول العـالم الثالث تفوق في درجتها وضع المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية الأكثر تماثلا وتجانساً، الأمر الذي يجعل شدة التبـاين في أشكال النظم المدرسـية في دول العـالم الثـالث تُفـسـر أكـثـر نسب التـبـاين في المخـرجـات المدرسـيـة مـقـارنة بما تفسـره الفـروق الأسرية، والعكس يتـمـثل في أن شـدة التـبـاين بين الأسر في الولايات المتحدة الأمريكية يفسر مـعظم نسب التباين في المخرجات التعليمية إذا ما قورن ذلك بما تفسـره العـوامل المدرسـيـة .Ruter et al. 1979, 9-10)

الخاتمة:

وفي الخـتـام أسـتطيع أن أقول أن هناك تكامـلا بين دور النظـام الأسري والنظام المدرسي في عملية التأثير على مسـتوى تحصيل الطالب، ومن الصـعب جدا الفصل بين التـأثيـرين بدرجـة كـبـيـرة في كل المجتمعات بالرغم مما تشير إليه نتائج الدراسات العلمية السـابقة من تفاوت نسـبي بين درجة التـأثيـر التي تختلف باختلاف المجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية حيث بلغت نسبة الارتباط بين النظام الأسرى ومستوى التحصيل الطلابي في المدارس الأمريكية ٤٣٪ وبلغت نسـبـة الارتبـاط بين الخلفـيـة الأسـرية والتـحصـيل الطلابي في المملكة العربية السـعودية ٥٠٪ (الثبيتي وآخرون ١٩٨٨م). بالإضافة إلى ذلك أظهرت نتائج مراجعة أكثر من إحدى عشرة دراسة علمية طبقت في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا وغيرها أن حوالي ٥٠٪ من الفروق في مستوى التحصيل الطلابي يعود إلى العـوامل المرتبطة بالخلفـيـة الأسـرية (الثـبـيـتي ١٩٩٢م).

لهـذا يتـضـح أهمـيـة دور النظام الأسـري في

تعزيز استمرارية التأثير على مستوى تحصيل الطالب بالرغم من اختلاف مستوى ذلك التأثير من مجتمع لآخر، بالإضافة إلى ضرورة إدراك أهمية الدور الفعال للمدرسة كنظام اجتماعي يؤثر في تشكيل وبلورة جميع مستويات المخرجات التعليمية بما فيها مستوى تحصيل الطالب. ولهذا ينبغي أن ندرك أن أهمية العوامل المدرسية لا تقل في مستوى تأثيرها عن العوامل الأسرية بل كان لها الدور الأكبر في درجة التأثير على مستوى تحصيل الطالب في بعض الدراسات التي طبقت في الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وكندا، والمملكة العربية السعودية، وغيرها من الدراسات التي طبقت عبر الثقافات في المجتمعات المتقدمة والنامية.

ووفقا لهذه النتائج أصبح ينظر اليوم للمدرسة كمؤسسة اجتماعية تستطيع أن تؤثر في تشكيل النماذج السلوكية والمعرفية المرغوب فيها اجتماعياً، بل تتجاوز كونها أداة لحفظ الواقع الاجتماعي وإعادة إنتاجه إلى قوة فاعلة تستطيع أن تطور الواقع الاجتماعي بما تنقله من خبرات ومهارات معرفية لطلابها. ومن هذا نرى أن جميع الدراسات التي طبقت عبر الثقافات المختلفة لتحديد أي العوامل المدرسية أو الأسرية أكثر فاعلية وتأثيراً على مخرجات التعليم بما فيها مستوى تحصيل الطالب، قد أظهرت نتائج متواترة تعزز قوة تأثير العوامل المدرسية الأمر الذي يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالمدرسة كنظام اجتماعي لما لها من قوة تأثير تفوق قوة تأثير العوامل الأسرية في بلورة وتشكيل المخرجات التعليمية والرفع من مستواها كهدف منشود في كل المجتمعات. كما لا ننسى أهمية ودور الأسرة كنظام اجتماعي يلعب دوراً فاعلا في عملية تفعيل العمل التربوي داخل المدرسة وخارجها عن طريق المتابعة المنزلية للطالب والزيارات المتكررة للمدرسة والمشاركة في مجالس الآباء والنشاطات اللامنهجية، والعمل على ربط أهداف المدرسة وبرامجها باحتياجات الأسر والمجتمع المحلي والمجتمع العام.

المراجع:

(١) الثبيتي، عبد الله عايض (١٩٩٥م) علم الاجتماع التربوي: نشأته وتطوره، سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٢) الثبيتي، عبد الله عايض؛ فهيم، محمد عيسى؛ حسن، محمد يوسف (١٩٩١م)، العوامل الاجتماعية والأكاديمية المؤثرة على أداء الطلاب بجامعة أم القرى، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، العدد ٨ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٣) الثبيتي عبد الله عايض (١٩٩٢م)، التربية الاجتماعية في محيط المدرسة: اتجاهات حديثة في علم الاجتماع التربوي، مجلة كلية التربية، جامعة الاسكندرية، المجلد ٥، العدد ١.

(٤)Al-thubaiti, Abdullah A. (1983) The Impact of the School as a social System and of Family Background on Student Achievement in Selected Schools in the Western part of Saudi Arabia. Ph. D. Dissertation. michigan State University, East Lansing.

(٥)Armer, Michael, @ Youtz, Robert. (1971) Formal Education and Individual Modernity in African Society. American Journal of Sociology, Vol. 76, No 4, 604-26.

(٦)Bloom, Bengamin S. (1976) Human Characteristics and School Learning, Newyork: Mcgraw-Hill, Book Campany.



(١٥)Inkles, Alex. (1977) "The International Evaluation of Educational Achievement: A Review". Proceeding of National Academy of Education, 4: 129-200.

(١٦)Inkles, Alex. (1969) "Maknig Men Moderen: On The Couses and Consequences of Individual Change in Sex Developing Countries." American Journal of Sociology, 75: 2 208-25.

(١٧)Hurn, Chritopher. (1978) The Limits and Possibilities of Schooling. Boston: Allyn and Bacon, Inc.

(١٨)Jencks, Christopher; Smith, Marshall; Acland, Henry; Bane, Mary; Chen David; Gintis, Herbert; Heyns, Barbara; and Michelson. (1972) Inequlity, New York: Basic Book.

(١٩)Lareau, Annette. (1987) Social Class Differences in Family-School Relationships. Sociology of Education, 60: 73-85.

(٢٠)Mannhiem, K. and Stewart, W.A.C. (1962) An Inroduction to The Sociology of Education, London Routledge and kegan Paul.

(٢١)Rutter, Michael; Maughan, Barbara; Mortimore, Peter; and Ouston Jane with Alan Smith. (1979) Fifteen Thousand Hours, Harvard University Press.

(٢٢)Waller, Willard. (1932) Sociology of Teaching. New York: John Wiley @ Sons.

(٧)Bowles, Samuel, @ Gintis, Herbert. (1976) Schooling in Capitalist America New York: Basic Books.

(٨)Brookover, W.B., Schweitzer, jon, Beady Charles, Flood, Patricia, @ Wisenbaker, joe, (1979) The School Social System and Student Achievement, New York: J.F. Bergin Co.

(٩)Bouchard, Yvon. (1987) School Social Systems and Student Outcomes in French Public Elementary Schools in Quebec. Ph. D. Dissertation. Michigan State University, East Lansing, Michigan.

(١٠)Greoss, Neal. (1958) Who Runs Our Shools. New York: John Wiley @ Sons.

(١١)Charters, W.W. (1953) "Social Class Analysis and the Cotrol of Education" Harvard Educational Review, Vol. 23: 268-83.

(١٢)Chesler, Mark A. @ Cave William, M. (1981) A Sociology of Education Access to Power and Privilege) New York: Macmillan Publishing Co.

(١٣)Coleman, James, Campbell, Earnest, et al. (1966) Equality of Educational Opportunity. Washington, D.C.: Government Printing Office.

(١٤)Corwin, Ronald. (1981) "patterns of Organizational Control and Teacher Militancy". In Kerckhoff and Corwin, Eds., Research in Sociology of Education and Socialization, Vol.2, Greenwich, Conn: Jai Press, 261-285

الأسرة العربية المعاصرة والعلاقات مع الأقارب

بقلم: أ٠د٠ مجد الدين خيري خمش - الجامعة الاردنية - عمان

لم تبدأ غالبية المجتمعات العربية حركة تصنيع واسعة بعد، ومع ذلك يلاحظ فيها تغيراً واضحاً في طبيعة الأسرة، والوظائف التي تقوم بها، وعلاقاتها مع الأقارب. فالأسرة العربية تتغير من النمط التقليدي الممتد، الى النمط النووي، أو النواتي الحديث، وكانت الأسرة الممتدة تجمع الأب وزوجته، وأبناءه المتزوجين وأطفالهم، وربما أبناءهم المتزوجين أيضاً، تحت سقف واحد، وعلى مائدة واحدة، حيث كانوا يعملون بوصفهم فريق عمل متماسك في فلاحة الأرض التي تملكها الأسرة، بينما تتميز الأسرة النواة، والتي تتكون من الزوج والزوجة وأطفالهما، بالسكن المستقل عن الأقارب، والدخل المستقل الخاص بها الذي تحصل عليه من عمل الزوج في الوظائف الحكومية والخاصة.

وتوثق الأبحاث والدراسات الاجتماعية العربية هذا التحول في الأسرة. ففي دراسة ميدانية اجراها فهد الثاقب في الكويت في بداية الثمانينيات يتضح أن غالبية الأسر الكويتية، أو ٥٩ بالمئة من الأسر المدروسة من النوع النووي، أو النواتي الحديث؛ بينما لم تزد الأسر الممتدة عن ٢٢٪ فقط. وفي دراسة أخرى أجراها عبد الهادي قريطم وآخرون في السعودية، يتضح أن الأسر النواة تشكل ٧٦٪ من الأسر المدروسة.. وفي الأردن توضح الأبحاث أيضا أن غالبية الأسر في الأردن من النوع النووي، حيث تصل نسبتها في المناطق الحضرية الى ٧٤ر٩٪، وفي المناطق شبه الحضرية الى ٧٢ر٢٪، وفي المناطق الريفيية الى ٦٩ر٣٪.

أسباب وعوامل التغير في الأسرة العربية:

توضح تحليلات موريس زيلدتش أن الأسرة الممتدة قد تضعف وتقل أهميتها حتى في المجتمعات النامية التي لم تشهد تصنيعاً واسعاً؛ إذ أن أي نوع من التوسع الاقتصادي إضافة إلى التغيرات



السياسية يمكن أن يضعف أو يقلل من أهمية الأسس التي يقوم عليها بناء الجماعة القرابية، أو الأسرة الممتدة، وقد حدد زيلدتش أربعة شروط رئيسية يمكن أن تحدث مثل هذا الضعف في الأسس المختلفة التي يقوم عليها بناء الأسرة الممتدة، وهذه الشروط هي:

١ ـ حين تصبح البناءات الثقافية والمهنية منفصلة بعضها عن بعض بحيث تصبح وظيفة الفرد مختلفة عن وظيفة أفراد الجماعة القرابية الآخرين.

٢ ـ حين يصبح كلّ من الدخل والمكانة الاجتماعية قائماً على أسس ليست تحت سيطرة الأسرة الممتدة، مثلا حين يمكن للفرد أن يحقق النجاح المادي في المجتمع دون حاجة لوراثة جزء من ثروة الأسرة.

٣ ـ حين يتمكن الأبناء بالتعليم مثلا، من رفع مكانة أسرهم ومن زيادة مداخيلهم الاقتصادية أكثر مما يفعل الوالدان.

٤ ـ حين تصبح المصالح الذاتية للأفراد منفصلة عن تلك الخاصة بالأسرة الممتدة.

ومن الواضح أن أياً من هذه الظروف أو الشروط لا يحتاج إلى التصنيع حتى يتحقق، كما يبدو واضحاً أن تركيز المجتمعات العربية المعاصرة

على التنميـة الاقتـصـادية والاجتماعية يعطي المجال واسعاً لكل من هذه الظروف للتحقق في مجال الواقع، فمشروعات التنمية تخلق فرص عمل كثيرة جداً للأفراد وتتيح لهم هذه الفرص مجال التقدم المهني والحراك الجغرافي بعيداً عن نطاق الأسرة الممتدة، كما أن مشروعات التنمية المختلفة توسع من ولاء الأفراد بربطهم بها وبمصالح الدولة كلها. أضف إلى ذلك، أن تركيز التنمية الاجتماعية على التعليم الإلزامي وعلى بناء المؤسسات التعليمية بمختلف المستويات يجعل من التعليم أحد الوسائل الرئيسية للحراك الاجتماعي في المجتمعات العربية. والتعليم عموماً غالباً ما يزيد من مستوى طموح وتوقعات الأفراد خاصة فيما يتعلق بأمور حياتهم الشخصية.

وهذا يعني بلا شك أن مشروعات التنمية في كل من المجال الاقتصادي والمجال الاجتماعي تقدم للأفراد في المجتمع العربي المعاصر بدائل عديدة لتحقيق طموحاتهم ورغباتهم بالاعتماد على كفاياتهم الذاتية وليس بالاعتماد على عضويتهم الأسرية. ومن هذه الطموحات أو الرغبات، خاصة بين شباب المدن، السكن المستقل عن كل من أهل الزوج وأهل الزوجة بعد الزواج، وإنشاء أسر مستقلة بهم. ومن جهة أخرى فان هذه المشروعات ـ وهي تعني النسق المهني وتزيد من تنوعه ـ تؤثر في الوقت نفسه على أحد

**** الاسلام سعى لتكوين أسرة متماسكة قوية تجمع بينها أواصر ووشائج القربى والمودة**

الأسس التقليدية المهمة التي يقوم عليها التماسك القرابي في المجتمع العربي، وهي أسس غالباً ما كانت تعتمد على مشاركة أفراد الأسرة الممتدة، أو الحمولة بأكملها في مهنة واحدة، وترجع أيضاً، كما يشير إحسان الحسن، إلى اعتماد الأسرة اقتصادياً على أقاربها، وكذلك سكنها في نفس المنطقة الجغرافية، وأحياناً المشاركة مع الأقارب في بيت واحد.

العلاقات الاجتماعية بين الأسرة العربية والأقارب:

سواء أكان هذا الانتقال البنائي من النمط الممتد إلى النمط النووي نتيجة التصنيع، أم الأيديولوجية، أم سيادة التنظيم البيروقراطي، أم سياسات الدولة الإسكانية، أم شروط التنوع الاقتصادي والمهني، فمما لا شك فيه أن هذا الانتقال يؤدي إلى تغير واضح في العلاقات مع الأقارب، خاصة الأقارب خارج نطاق أسرتي التوجيه. فالنتائج الميدانية التي بين أيدينا عن بعض المجتمعات العربية توضح أن هناك اتجاهاً للحد من الاتصال القرابي. فقد ذكر ٦٧٪ من أفراد العينة المبحوثين في السعودية أن الاتصال العائلي يقل تدريجياً نتيجة البعد المكاني والانشغال بالحياة المعيشية. ويؤكد كل من علياء شكري، وزهير حطب



أن الأسرة النووية في المجتمعات العربية المعاصرة تمارس قدراً من الاختيار الواعي لعلاقاتها الاجتماعية مع الأقارب. وهذا الاختيار غالباً ما يقوم على الانسجام في الميول والمصالح وعلى الاستلطاف والميل الشخصي وليس على علاقات المصاهرة أو العلاقة الدموية القرابية. والاقتباس التالي عن علياء شكري. يوضح هذه النقطة أفضل توضيح:

«إن هذه العلاقات.. تخضع لعملية انتقاء إرادية واعية من جانب الأطراف الداخلة فيها. وبمعنى آخر إن أقارب الانسان في ظل الأسرة النووية الحديثة ليسوا موجودين هكذا ببساطة، ولكن الفرد هو الذي يقرر وهو الذي يختار أقاربه، أي أننا نستطيع القول دون تجاوز إن العلاقات القرابية الحديثة تشبه الى حد كبير علاقات الصداقة والمودة، من حيث أنها تقوم على الاختيار الواعي وعلى قدر من الاستلطاف والميل، وليست مجرد انعكاس بديهي لعلاقات دموية أو علاقات مصاهرة معينة».

ويبدو أن مثل هذا التعميم يصدق على الأقارب من خارج أسرتي التوجيه كالأعمام، وأولاد العم، والأخوال، والخالات.. الخ، ولكنه لا يصدق على العلاقات مع أسرتي التوجيه كما توضح الأبحاث والدراسات، وأياً كان الأمر، فإن هذا الاتجاه نحو الاختيار بين الأقارب، وبالتالي نحو إقامة علاقات أقل معهم لا يؤدي إلى عزلة الأسرة النواة العربية بأي حال من الأحوال. فبالرغم من أن النسق القرابي العربي التقليدي الواسع قد أصابه الكثير من التغير نتيجة للعوامل المذكورة سابقاً، إلا أن الأسرة النواة استطاعت أن تحتفظ بالعديد من العلاقات مع الأقارب، خاصة مع كل من أسرتي التوجيه الخاصة بالزوج والزوجة. ويؤكد دارسو الأسرة أنه على الرغم من تحول الأسرة العربية المعاصرة الى أسرة نواة فإن ذلك لا يعني أبداً عزلتها أو انعزالها عن الأقارب. فسناء الخولي، مثلا تؤكد أن علاقات الأسرة النووية العربية مع الأقارب من الدرجة الأولى، أي أسر التوجيه، خاصة الوالدين والأخوة علاقات قوية، بينما العلاقات مع الأقارب الآخرين مثل الأعمام وأولاد العم، والخالات والعمات قد أصابها الضعف. ونتيجة لذلك تميل الخولي إلى الإشارة إلى الأسرة النووية العربية بمصطلح «الأسرة النواة غير المنعزلة».

ومن جهة أخرى نرى جوود يؤكد أيضاً على وجود علاقات قوية تربط بين الجد ـ الابن المتزوج ـ والحفيد، ويشير إلى وجود شعور بالانتماء إلى مجموعة من الأقارب عند الفرد العربي. ولكنه يؤكد في الوقت نفسه أن هؤلاء الأقارب لم يعودوا يشكلون بناءاً متماسكاً كما كان الحال في

**** البعد عن منهج الاسلام في أسلوب بناء الأسرة أدّى الى تقطيع الارحام وتجافي القلوب**

الماضي. وعلى أي حال، فإن جوود يؤكد على أن العلاقة بين الأم والإبن والعلاقة بين الاخوة، إضافة إلى العلاقة بين الأخ والأخت تبقى علاقات قوية في أغلب الأحيان. وهذا يعود بشكل كبير إلى المعايير الاجتماعية، والقيم الدينية التي تدعم مثل هذه العلاقات وتحببها إلى الأفراد.

ومثل هذه الأنماط من العلاقات، خصوصاً الرعاية والمساعدات المتبادلة بين الأقارب، تؤكدها أيضاً بيانات خوري الأمبيريقية. ففي ضواحي بيروت، وجد خوري أن ١٦٪ من المبحوثين يعيلون أقارب الى جانب الزوجة والأبناء. وتؤكد نتائجه العلاقة القوية التي تربط الأبناء بأمهاتهم، والعلاقات بين الأخوة وتلك بين الأجداد والأحفاد، والجدير بالذكر أنه من خلال هذه العلاقات الخاصة فان الكثير من المساعدات الاقتصادية غالباً ما تقدم من الأجداد إلى الأحفاد ومنهم إلى الوالدين أيضاً.

أما فيما يتعلق بالمدن العربية مثل بيروت وعمان ودمشق فان نتائج بروثرو ودياب توضح وجود علاقات قوية بين الأسر النواة والوالدين بشكل خاص. يدل على ذلك تكرار الزيارات بين الأسر النووية والوالدين. ولكن نتائجهما توضح أيضاً أن تكرار التزاور مع الأقارب الآخرين كالأعمام والعمات والخالات.. الخ يقل كثيراً عن تكرار التزاور مع الوالدين.

ولعل أكثر الأبحاث توضيحاً لمثل هذه الأنماط من العلاقات بحث أجراه حديثاً فهد الثاقب في الكويت على عينة من ٥٢٦ فرداً من أسر ممتدة وشبه ممتدة، ونواة موزعة على مختلف مناطق الكويت السكنية. ورغم أن العائلات المدروسة ليست جميعها من النوع النووي إلا أن نتائج الثاقب تقدم بعض البيانات المفيدة حول مؤشرات متعددة على استمرارية العلاقات بين الأسر المدروسة وبقية وحدات النسق القرابي. وتوضح نتائج هذا البحث أن التزاور بين الأقارب يتم بصورة يومية تقريباً. إذ توضح البيانات الإحصائية أن ١٨٢ فرداً، أو نحو ٣٥٪ من جملة أفراد العينة، يزورون الأقارب يومياً، كما كان ٢٣٣ فرداً، أو نحو ٤٥٪، يزورون أقاربهم أسبوعياً، بينما كان ٧٤ فرداً، أو نحو ١٤٪، يلتقون بأقاربهم شهرياً والطريف أن بيانات الثاقب توضح أن الفئات الأكثر تعليماً والفئات الاقتصادية العليا تتصل بالأقارب أكثر من الفئات الأخرى.

وبالنسبة للمساعدات العائلية القرابية توضح النتائج أن حوالي ٤٠٪ من أفراد العينة قاموا بمساعدة أقاربهم في الحصول على عمل، أما فيما يتعلق باللجوء إلى الأقارب عند الحاجة المادية، فقد أجاب ٤٢٪ بأنه من الممكن أن يلجأوا إلى أقاربهم عند الحاجة المادية. وعند تحليل الإجابات وفقاً لعوامل السن والجنس والفئة الاجتماعية الاقتصادية ومستوى التعليم تبين أنه لا توجد اختلافات أساسية فيما

**** العلاقات القرابية الحديثة تشبه إلى حد كبير علاقات الصداقة**



بينها. وقد أشارت الغالبية إلى أنهم لم يقعوا في حاجة مادية ولكنهم إذا تعرضوا لحاجة مادية فسوف يفضلون الالتجاء إلى أحد المصارف أو إلى صديق وليس إلى الأقارب، وأشاروا إلى أن الشعور بالحرج والتمسك بالكرامة يمنعانهم من الالتجاء إلى الأقارب.

ويُعد تقديم المساعدة في حالات المرض من أكثر أشكال المساعدة انتشاراً بين الأقارب. وتشير البيانات إلى أن ٩٦٪ من أفراد العينة قدموا مساعدات لأقربائهم في حالة المرض بغض النظر عن متغيرات السن، والجنس، أو الفئة الاقتصادية الاجتماعية، أضف إلى ذلك، أن نتائج الدراسة توضح أن ٨٣٪ من أفراد العينة يقومون بمساعدة الأقارب في مجال العناية بالأطفال.

وفيما يتعلق بقضاء وقت الفراغ تبين أن الغالبية العظمى، أو (٧٦٪)، تقضي وقت فراغها، خاصة عطلة نهاية الأسبوع، وأيام الراحة مع الأقارب، ومع الجيران والأصدقاء ولكن بنسبة أقل.

وفي دراسة ميدانية لكاتب هذه المقالة حول العلاقات بين الأسرة النواة والأقارب في الأردن، يتضح أن الأسرة تقيم شبكة علاقات واسعة مع الأقارب، وبخاصة والدي الزوج والزوجة، لكن علاقاتها مع الأقارب الآخرين مثل أبناء الخالات، والأخوال، والأعمام أقل وضوحاً.

**** مستجدات الحياة ومستحدثات العصر أدت إلى تفكيك الترابط بين الأقارب والأسرة الواحدة**

واستجابة للقيم الاسلامية الأصلية فان نسبة ملوحظة من الأسر الأردنية ترعى أم الزوج التي تعيش مع الأسرة معززة مكرمة، اضافة إلى أقارب آخرين مثل أخ الزوج، وأخت الزوجة.

ونمط إقامة الأقارب الموجود بين الأسر النواة المدروسة يتشابه مع هذا النمط في مجتمعات عربية أخرى، والميزة البارزة فيه هي وضوح العلاقة القوية بين الإبن المتزوج والأم. فقد ذكرت ٥٠٪ من الأسر التي يقيم معها أقارب أن أم الزوج تقيم معهم، وفي الواقع، فان العلاقة بين الإبن المتزوج والأم في المجتمع العربي تبقى قوية جداً بغض النظر عن المستوى الاقتصادي - الاجتماعي أو الفروق الريفية الحضرية، فالابن غالباً ما ينظر إليه من الأم على أنه دعامة اقتصادية واجتماعية خاصة عند وفاة الأب، كما أن الابن غالباً ما يستجيب لذلك بتقديم ما يستطيعه من الرعاية الاجتماعية لوالدته، بما في ذلك السكن معه ومع زوجته استجابة ليس فقط لمعيار «السترة» وإنما استجابة لقيم دينية عميقة الجذور في نفسه تتعلق باجلال الأم ورعايتها.

وهناك أيضاً أثر للعوامل الاقتصادية في جعل الأسرة تقوم بوظيفة الرعاية الاجتماعية هذه للأم. ففي عدد من الحالات المدروسة لم تكن الأم تملك

دخلا خاصاً بها كما أنها لم تكن تملك من التعليم والتدريب ما يؤهلها للحصول على دخل خاص بها، وعلى العكس من ذلك نجد الأب، بعد وفاة زوجته، غالباً ما يرفض الانتقال للسكن مع ولده المتزوج فهو من جهة غالباً ما يحصل على راتب تقاعدي أو على بعض مصادر الدخل الأخرى التي تكفيه العوز والحاجة. أضف إلى ذلك أن معيار «السترة» ينطبق على الذكور بشكل عام، أضعف كثيراً من انطباقه على الإناث، والواقع أن المعايير الاجتماعية غالباً ما تتوقع من الأب خاصة بعد أن يصبح جداً أن يقدم لحفيده الهدايا وبعض المساعدات المناسبة التي تحيط هذا الحفيد بالرعاية والاهتمام، كما يتوقع منه أن يساعد ابنه المتزوج عند الحاجة، لا أن يتلقى المساعدة من هذا الابن. وبالتالي لا نجد غرابة في أن نرى أن ٢ر٦٪ فقط من الأسر التي يقيم معها أقارب ذكرت أن المقيم معها هو أب الزوج.

**** الميل الشخصي والاستلطاف والمصالح أصبحت هي معايير العلاقات مع الاقارب بدلا عن العلاقة الدموية القرابية**

كما نجد أن عدد الأسر التي ذكرت إقامة الإخوة معها لم يزد عن ٦ر١٢٪ فقط، فالمعيار الاجتماعي بالنسبة للأخوة يتطلب منهم أن يستقلوا اقتصادياً بأنفسهم وأن يكفوا حاجاتهم بأنفسهم. وقد أشار عدد من الأسر التي يقيم معها إخوة للزوج أن مثل هذه الإقامة مؤقتة إلى حين يتم للأخ تأمين عمل مناسب أو مكان سكن مناسب. كما لم تذكر سوى ٥ر٨٪ من الأسر المدروسة التي يقيم معها أقارب، أن الأقارب المقيمين هن الأخوات. فأمر رعاية الأخت، التي غالباً ما تكون متزوجة، تقع على زوجها وليس على أخيها، وهذا التفسير يوضح لنا انخفاض نسبة هؤلاء الأقارب من بين الأقارب المقيمين مع الأسر المدروسة، كما يوضح لنا أسباب انخفاض نسبة الأقارب الآخرين كالأعمام أو الخالات سواء أكان ذلك من ناحية الزوج أم الزوجة المقيمين مع الأسر المدروسة.

استمرارية العلاقات القرابية في المجتمع العربي المعاصر:

هذه النتائج الامبيريقية التي تأتي من مجتمعات عربية متعددة تقدم أدلة قوية على وجود واستمرار أنماط مهمة من العلاقات القرابية، ويبدو أن مثل هذه العلاقات لم تفقد أهميتها بعد، وبالتالي يمكن الاستنتاج أن استمرارية العلاقات القرابية في المجتمع العربي المعاصر - حتى وإن كانت مختارة ومنتقاة أحياناً - تشير بوضوح الى استمرارية الوظيفة التي تؤديها هذه العلاقات بالنسبة للفرد، وللأسرة، وللمجتمع كله. وبشكل خاص فان مثل هذه



العلاقات غالباً ما تكون وظيفية بالنسبة لتقدم الأسرة النواة المهني في المجتمع العربي الحديث؛ فغالباً ما تلجأ الأسرة النواة العربية إلى علاقاتها الاجتماعية، خاصة القرابية، لتدعيم التقدم المهني والحراك الجغرافي لأفرادها. ومن جهة أخرى، فان هذه العلاقات القرابية غالباً ما تستثمر لتوفير رأس المال، والإداريين، والأيدي العاملة لتشغيل مشروعات انتاجية ناجحة، وغالباً ما يؤدي مثل هذا الترتيب القرابي في مجال الأعمال والاستثمار إلى تحقيق نجاح مالي واضح باستثمار المزاوجة بين الولاء القرابي والولاء للشركة، أو مكان العمل.

**** العلاقات بين الاقارب في كثير منها تحولت الى ما يعرف بالعلاقات الوظيفية**

المراجع:

- الثابت، فهد، «الروابط العائلية ـ القرابية في مجتمع الكويت المعاصر»، حوليات كلية الآداب، الحولية الثالثة، جامعة الكويت، الكويت ١٩٨٢م.

- «حول حجم وبنية العائلة العربية والكويتية»، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ١ ـ ٢، جامعة الكويت، الكويت ١٩٧٦م.

- الخولي، سناء، الأسرة في عالم متغير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

- خمش، مجد الدين خيري، الأسرة والأقارب، ط٢، الجامعة الأردنية ـ عمان ١٩٩٤م.

- شكري، علياء، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م.

- قريطم، عبد الهادي وآخرون، الأسرة السعودية: الدور والتغير وأثرهما في اتخاذ القرارات، مركز البحوث والتنمية، جامعة الملك عبد العزيز.

-Goode, William J., World Revolution and Family Patterns, New York, The Free Press, 1970.

- Zelditch, Morris "Cross-Cuttural Analysis of Family Structure", In H.T. Christensen ced), Handbook of Marriage and the Family, New York. Rand McNally and Co., 1964.

**** النسق القرابي يظل اكثر تماسكاً وتوحداً في القرى والأرياف**

الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي



دراسة ميدانية على مدينة جدة

الزواج من النظم الاجتماعية الهامة، فهو الوسيلة الشرعية لاقامة بناء الاسرة، وعن طريقه تتحقق سلامة الاوضاع الاجتماعية وبقاء النوع وحفظه والسمو بالعلاقات بين الرجل والمرأة الى مستوى المشروعية التي تتفق مع القيم الانسانية التي يقرها المجتمع، والزواج والاسرة من انماط السلوك الاجتماعي التي لا يعرف مجتمع انساني بدونها، على انها تختلف في تفاصيل ممارستها من مجتمع لآخر، وذلك بحسب الثقافة والعادات من مجتمع لآخر.

اعداد: أ.د. أبوبكر احمد باقادر وأ. فوزية سالم باشطح ـ جامعة الملك عبدالعزيز ـ جدة



لكن الزواج وتكوين الأسرة لا يبدأ من فراغ وانما يتم من خلال التقاء رجل بامرأة من خلال مراسيم معينة يقرها المجتمع ويرضاها، أي وجود عملية تتم من خلالها عملية الاختيار بين الرجل والمرأة لبعضهما لغرض الزواج، ويبدو أن هذه العملية عامة في جميع المجتمعات البشرية الا أنها عملية ليست متجانسة واحدة، انما تختلف من مجتمع لآخر بل وقد تختلف داخل المجتمع نفسه باختلاف الثقافة[١].

ولعملية الاختيار صفة اجتماعية وثقافية، فالاختيار هو الطريقة التى يغير بها الفرد وضعه من أعزب الى متزوج، وذلك من خلال انتقائه ما يلائمه من بين عدد من اللائقات للزواج في اطار معايير متفق عليها داخل المجتمع، تختلف باختلاف النظام الثقافي في المجتمع، فما يرتضيه مجتمع كبداية للزواج أو تمهيدا له قد يرفضه مجتمع آخر[٢]، لكن من المتفق عليه أن الاختيار للزواج هو بداية الطريق لتكوين الاسرة ضمن دائرة من الاجراءات يحددها المجتمع، يكون في الغالب البادىء فيها الرجل، وللمرأة حق الاختيار، بالقبول أو الرفض، بحيث تصبح عملية الاختيار كل أنواع السلوك التى يحاول بها الرجل التوصل الى موافقة الفتاة حسب موافقة المرافقة أو أهلها للقبول به كزوج[٣].

وتحدد المجتمعات جملة من الصفات والقيم التي غالبا ما يجعلها الرجل المعايير التي يحاول على أساسها اختيار شريكة الزواج ومن أهم هذه الصفات: الأصل الطيب والسن والجمال والتعليم والتدين والغنى.. وهذه الصفات من حيث الأهمية تختلف من مجتمع لآخر ومن فترة تاريخية لأخرى.

ونظرا لأن مجتمعنا السعودى مر بتغيرات اجتماعية وثقافية سريعة صاحبت صناعة النفط فان هذه الدراسة ستهتم بالتعرف على التغيرات التي طرأت على موضوع اختيار الزواج في مجتمع جدة[٤].

على الرغم من أهمية الاختيار للزواج، بل وربما للصعوبات التي تواجه عملية الاختيار في مجتمعات لا تسمح بالاختلاط أو الاختيار الحر المباشر، يجعلنا نتصور ان الموضوع قد استأثر باهتمام ودراسات الباحثين العرب. لكن في الواقع كما هو الحال لدراسة الأسرة العربية عموما[٥]، لا نجد كما كبيرا من الدراسات الاجتماعية تدرس هذا الموضوع، ربما كانت دراسة زهير حطب «تطور بنىٰ الأسر العربية» والتى تأخذ اتجاها تاريخيا لدراسة موضوع الاسرة العربية، من أولى الدراسات التى تربط بين التغيرات الاجتماعية الكبرى والتغيرات في الاسرة، اضافة الى ربط ذلك بالعديد من الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالأسرة، اذ لاحظ حطب «اعتبار الزواج امرا شخصيا، ولم يعد التعدد أمرامقبولا ان لم يكن له سبب اجتماعي مقبول، تأخر السن عند الزواج، ضبط النسل باستخدام وسائل مختلفة، ظهور الزيجات المبنية على الحب المتبادل، قبول ظاهرة الزوجة العاملة وتعديلات على اشكال انحلال العلاقة الزوجية من خلال بروز ثلاث ظواهر فرعية هي: ان نسبة كبيرة من حالات الطلاق تتم قبل الدخول الشرعي أو الزواج الفعلي، أن اكثرية الحالات تتم عن طريق المخالعات، وأصبح حل الزواج ظاهرة نسائية»[٦].

وتكمن اهمية نتائج دراسة حطب في ربطه بين التغيرات في وضع المرأة وفي مفهوم الزواج والاسرة الذى ترتب عليه تغيرات في طرق قيام الزواج واختيار شريك الحياة كما سنرى. ونتائج حطب تؤيدها دراسات عربية عديدة ففى دراسة عن

الاردن[٧] تثبت وجود ارتباط بين عملية التحضر وعومل التغير الاجتماعي، وبين نظام الزواج وبالتالي عملية الاختيار للزواج، وقد اسفرت الدراسة الى ايضاح أن عملية الاختيار للزواج أصبحت تحيل الى الفردية وتبتعد عن الاختيارات الاسرية، وتميل نحو الزواج الخارجي وذلك نتيجة تأثير عامل التحضر وعلى العلاقات الوالدية التي أصبحت تتسم بالديمقراطية في المعاملة بدلا من اسلوب الأمر المصاحب لنمط العلاقة البطريكية التقليدية٠

وفي دراسة عن العراق لاحسان الحسن[٨] عن العائلة والقرابة والزواج توصل الباحث الى نتائج عديدة ومن اهم ما له علاقة بموضوعنا: خروج المرأة العراقية للعمل خارج المنزل مما ادى الى تغيير مكانتها الاجتماعية، ظهور تحولات تدريجية على تقاليد اختيار الشريك، الا أن هذه التحولات لم تؤثر على جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية في المجتمع العراقي بصورة متساوية، فأعضاء الطبقة العمالية لا يزالون يوكلون مهمة زواجهم الى عوائلهم بالرغم من التحولات الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية التى شهدها المجتمع، والتي لعبت دورا كبيرا في تغير مواقف وقيم وتقاليد العوائل المتوسطة في العراق إزاء مسألة اختيار الشريك، فاغلب أعضاء الطبقة المتوسطة في الوقت الحاضر، لا يطلبون من اهاليهم اختيار زوجاتهم، لكن بعد الاختيار تنظم حفلة الزواج بمشاركة الاهل وموافقتهم، وذلك نتيجة لعامل انتشار الثقافة والتعليم بالاضافة الى عامل الاختلاط في المجالات العامة٠ مع ضعف نسق القرابة القبلي وظهور الاسرة الزواجية وزيادة الزواج الخارجي وتحول نظام السكن من نظام السكن في بيت أهل الزوج الى السكن في بيت منفصل٠

أما دراسة ابراهيم عثمان[٩] حول: التغيرات في الاسرة الحضرية في الاردن فمن اهم نتائجها التحول من الشكل التقليدى للعائلة الى شكل الاسرة الزواجية كنتيجة لزيادة الهجرات والضعف النسبي لنسق القرابة مع ظهور اهمية العامل المكاني وبالذات المجتمع المحلي، ارتفاع معدلات سن الزواج للجنسين، وبلغ المعدل حوالى ٢٢ عاما للاناث و٢٦ عاما للذكور على أن هذه المعدلات تختلف طرديا باختلاف الوضع الاجتماعي والاقتصادي للاسرة٠

هذا وظهرت بعض التحولات التدريجية في مجالات وأسس الاختيار للزواج كنتيجة لعدة عوامل منها: التوسع الحضرى والتعليم والهجرة، فقد تبين من الدراسة ان ٢٧٪ من افراد العينة متزوجون من أقارب، ٣٢٪ من بلده أو قرية الاصل، و٢٢٪ من منطقة الجيرة في المدينة و٢٨٪ فقط من خارج هذه التصنيفات بحيث يمكن القول ان الزواج الداخلي القائم على مفهوم الجماعة هو السائد٠ واتجاهات الآباء والامهات نحو زواج بناتهن لا تزال عالية بالنسبة للزواج من غير الاقارب، فلقد اوضحت الدراسة ان ٤٥٪ من الآباء يفضلون زواج الاقارب وكذلك ٥٨٪ من الامهات٠ ولقد أوضح ٢٠٪ من الآباء تفضيلهم تزويج غير الاقارب بينما ابدى ذلك ٦٪ من الامهات فقط، بينما ٣٥٪ من الآباء و٣٦٪ من الامهات الامر بالنسبة لهن سواء٠

هذا ولقد اوضحت الدراسة أن دور الاسرة الاردنية لا يزال كبيراً في عملية اختيار شريك الحياة، وجاءت النسب كالتالي: ٣ر٦٪ فقط قابلن ازواجهن في ظروف فردية سواء في العمل أو الجامعة، ٣ر٥٪ قابلنهم في اجتماعات ومناسبات عامة، بينما ٥٠٪ قابلنهم من خلال اقارب، غالبا الأخوات والامهات، و٢٢٪ تقابلوا من خلال الاصدقاء



بينما ٤ر١٦٪ لم يقابلهن ازواجهن قبل عقد مراسيم الزواج. هذا وأوضحت الدراسة أن الزواج شبه المرتب هو الاكثر حدوثا بالنسبة لأنماط الزواج القائمة على الاختيارات الفردية.

واثبتت الدراسة ان الشباب ـ الملتزمين دينيا منهم ـ لا يرغبون في وجود علاقات شخصية قبل الزواج، بينما كانت الفتيات اكثر تحفظا، عدا قلة من العاملات وخريجات الجامعات. هذا ولقد أوضحت الدراسة وجود تغيرات في فترة الخطوبة، فبعد أن كانت قصيرة في الماضي تنقضي في تحضير لوازم العروسين، وتحتجب فيها الخطيبة عن خطيبها، نجدها تميل الى أن تكون طويلة، ويتم فيها لقاء الخطيبين تحت اشراف اسرة الفتاة.

هذا ولقد اوضحت الدراسة وجود ازدواجية في اتجاهات ومواقف الشباب خاصة فيما يتعلق باللقاء الحر المنفرد بين الخطيبين، فهم يفضلونه لأنفسهم ويتراجعون عنه بالنسبة لقريباتهم، وهذا يعكس من وجهة نظر الدراسة طبيعة الموقف الثقافي العام والمتأرجح بين النموذج الديني الذي يحرم الخلوة بين الجنسين وبين النماذج الحديثة، على ان الدراسة اوضحت ان ابناء الطبقة العليا أكثر ميلا من حيث الاتجاهات الى الفردية وابعاد الرقابة الأسرية. وهذا توجه لا يقره الدين.

وهناك دراسة قام بها مجد الدين عمر خيرى[١٠] عن بناء السلطة في الاسرة العربية المعاصرة يؤيد فيها ما توصل اليه لطفى ذياب وزملاؤه[١١] من أن هناك اتجاها نحو المشاركة في عملية اتخاذ القرارات داخل الأسرة العربية، وتشمل هذه التغيرات الزوجات والابناء وتظهر الدراسة زيادة مشاركة الابناء في عملية اختيار المهنة واختيار شريك الحياة التى لها علاقة بدرجة التعليم ومدى الاستقلال الاقتصادى وارتفاع سن الزواج، ويؤكد خيرى في دراسته أن هذه المشاركة ترتبط بالتغيرات البنائية في الاسرة العربية، خاصة التحولات من النمط المتد الى النمط النووى. وتشير الدراسة الى أن التنظيمات البيروقراطية والدراسة في الجامعة أدت الى تحول في نمط الاختيار العائلي للزواج بسبب تنشئة هذه التنظيمات الشبابية على ممارسة حقهم في المشاركة ومنها اختيار شريك الحياة، كما توفر لهم فرصا للالتقاء وخاصة في المدن العربية. وقد استشهد خيرى في دراسته ببحث ميداني اجرى على طلبة جامعة الموصل[١٢]، جاءت فيه فروق لها دلالة احصائية في آراء طلبة السنوات الاولى والأخيرة بالنسبة لنمط اختيار شريك الحياة، وعكست الدراسة في رأيه مدى تأثير المحيط الجامعي على تغير طريقة تفكير الطلبة وقيمهم الاجتماعية، حيث وجد ان طلبة السنة الاولى يسايرون ويتقبلون نمط اختيار الاهل لشريك الحياة والذى يمثل النمط التقليدى، بينما طلبة الصفوف النهائية يرفضون هذا النمط لعدم مسايرته لمستواهم الفكرى وتطلعاتهم المستقبلية والتطور الاجتماعي والاقتصادي الذى طرأ على المجتمع العراقي.

أما دراسة سامية الساعاتي[١٣] «الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي» فإنها توصلت الى نتائج هامة منها: التحول من الاسلوب الوالدى في الاختيار من جيل الآباء الى الاسلوب الذاتي في جيل الأبناء في المدن، أما في الريف فلقد لاحظت عدم وجود تغير يذكر بين الاجيال، هذا ولقد اثبتت الدراسة ايضا وجود تغير ملحوظ في مجال الاختيار بين الجيلين، فبعد ان كان ضيقا نسبيا في جيل الآباء لا يتعدى حدود القرابة والجوار، أصبح اكثر رحابة

واتساعا في جيل الأبناء، بحيث ضم زميلات الدراسة والعمل الى جانب القريبات والجيران، وذلك نتيجة لتعليم الفتاة وخروجها للعمل اضافة للاختلاط في الاماكن العامة. على ان هذه التغيرات في مجال الاختيار كان في المدن فقط، أما في الريف فلا توجد تغيرات تذكر. على أن الدراسة وجدت انه لا يوجد تغير ملحوظ بين الجيلين سواء في الريف أو الحضر فيما يتعلق بالقيم والمحكات العميقة مثل الاصل والعذرية، التى يتم على أساسها الاختيار، بل إن التغير ظهر في المحكات المادية كالسن والتعليم.

ويقدم صفوح الأخرس في دراسته «تركيب العائلة ووظائفها: دراسة ميدانية لواقع العائلة في سورية» نتائج تتعلق بموضوع دراستنا تستحق الذكر من اهمها: اتجه مجال الاختيار في سورية الى خارج الاسرة، بعد أن كان محصورا بداخلها في المرحلة التقليدية، انحسار ظاهرة الزواج المرتب لتحل محله ظاهرة الاختيار المباشر، كنتيجة للاختلاط بين الجنسين في المجالات العامة، هذا ولقد اثبتت الدراسة ان هناك ميلا عند كثير من فئات المجتمع نحو تحديد المهر، ذلك لأن المرأة لم تعد ترى المهر المصدر الوحيد للاطمئنان النفسي والمادي والاجتماعي، بل أصبح عملها وعلمها من أهم اسس الحياة الزوجية، انخفاض نسبة الاسر الممتدة مقابل ارتفاع معدل الاسر النووية.

وتكاد دراسة هيفاء كبره[١٤] عن «المرأة والتحولات الاقتصادية والاجتماعية» التى درست فيها المرأة في دمشق سوريا تصل الى نفس نتائج دراسة الأخرس، حيث تؤكد على وجود استقرار نسبي في اسلوب اختيار الشريك من خلال ترك القرار النهائي للشاب والفتاة المقدمين على الزواج مع مساعدة الاسرة لهما فقط.

والدراسات السابقة جميعها عن مجتمعات عربية شرقية لكنها غير نفطية باستثناء العراق الذى تقرب فيه العادات الاجتماعية الى تلك الدول لكننا اذا استعرضنا بعض الدراسات التي قام بها باحثون في دول مجلس التعاون الخليجي فإننا نلاحظ فروقاً جوهرية تميزها عن تلك المجتمعات وذلك لخصوصية هذه المجتمعات عن بقية المجتمعات العربية الأخرى ولأنها مجتمعات تقليدية، كانت معزولة عن العالم الخارجي نسبيا.

هذا توضحه البحوث الحديثة عن المرأة في الخليج، ان تعليم المرأة في منطقة الخليج عموما بدأ متأخرا، وان اثره على خروجها للعمل ومن ثم احداث تغيرات على نمط الاسرة متفاوت من مجتمع لآخر، فالكويت والبحرين تعتبران رائدتين في مجال المرأة بالنسبة لغيرهما من دول الخليج، لذلك فالآثار الاجتماعية المترتبة على ذلك الخروج تبدو فيهما أشد وضوحا، كما أن اتباع المملكة العربية السعودية لسياسة الفصل بين الجنسين في مجالات التعليم والعمل تجعل النتائج فيها مختلفة بعض الشيء عن غيرها، سواء في مجال اثر خروج المرأة للعمل على نظام الزواج في الاسرة أو على عملية الاختيار للزواج فيها[١٥].

وركزت هذه الدراسات على التغيرات التى طرأت على نمط العائلة التقليدية وتحولها الى العائلة النواة الصغيرة الحجم وما صاحب هذه التغيرات من تفكك في الروابط بين العائلة وشبكة الاقارب وعلاقة ذلك باختفاء بعض العادات والقيم والتقاليد المرتبطة بالاسرة ونظام الزواج فيها مع اشارة الى عملية الاختيار للزواج، وما أصابها من تغيرات، الا أن ذلك لا يعنى ان هذه المجتمعات لم تحاول ان تجد وسائل



جديدة فعالة لمواجهة مشكلة الاختيار للزواج بعيدا عن الانماط القديمة كما سنرى.

النظريات الاجتماعية المفسرة للاختيار للزواج:

قال علماء الاجتماع بالعديد من النظريات الاجتماعية المفسرة لعملية الاختيار للزواج من أهمها نظرية التجانس ونظرية التجاور المكاني ونظرية القيمة وأخيرا نظرية الحاجة المكملة، ومعظم هذه النظريات تنطلق من داخل الاطار الوظيفي.

أ ـ نظرية التجانس:

تركز هذه النظرية على فكرة أن الشبيه يتزوج بشبيهه وأن التشابه أو ا لتجانس في الخصائص الاجتماعية العامة والخصائص الجسمية مثل التشابه في الدين والعنصر والمستوى الاجتماعي والاقتصادي وفي السن والتعليم وغير ذلك من خصائص اجتماعية، اضافة الى التجانس في الطول ولون البشرة... هو ما يجعل الشريكان اكثر ميلا للزواج من بعضهما البعض[١٦].

وهناك العديد من الدراسات الميدانية التى تؤكد على أن التجانس فعلا عامل أساسى في الاختيار للزواج، وتشمل عملية التجانس «التجانس في العرق ـ والتجانس في الدين ـ والتجانس في السن وفي الحالة الزواجية السابقة وفي الخصائص الاجتماعية أو في التعليم أو في الاتجاهات والميول أو في المهنة والمكانة الاجتماعية والتجانس في الخصائص الجسدية، أي أن الفرد محكوم في اختياره لشريكه في الزواج بعوامل تقيد من حرية اختياره، على الرغم من انه قد لا يحس بهذه العوامل أو الضغوط، فمثلا أوضحت دراسة أجريت في نيوهافن على (٥٢٣) حالة زواج أن الفروق العنصرية تضع قيودا شديدة على الفرد من ناحية بمن يستطيع الزواج وهناك العديد من الدراسات التى تؤكد نفس النتيجة، بحيث يغدو مثلا الزواج بين البيض والسود حالات نادرة واستثنائية في تلك الفترة، وهكذا بالنسبة للدين بحيث يكون الزواج المختلط هو الحالة الاستثنائية[١٧].

ب ـ نظرية التجاور المكاني:

تهتم هذه النظرية بالأفراد الذين يقطنون جيرة عامة واحدة، ثم تطورت بعد ذلك لتشمل من يذهبون الى نفس المدرسة أو الجامعة أو الذين يعملون معا، وهذه النظرية تفترض باختصار أن الناس يميلون الى الزواج بمن يعيشون بالقرب منهم، اذ أن فرصة مقابلتهم والتعرف عليهم عن كثب أكبر[١٨].

ولقد أجريت دراسات ميدانية عديدة تؤكد هذه النظرية، حيث وجد أن الناس غالبا ما يختارون للزواج أفراداً من الذين يعيشون قريبا منهم، وان هذا الميل يقوى ويزداد في المجتمعات المحلية التقليدية، حيث تزيد كثافة السكان، كذلك يزداد بين ذوى التعليم المنخفض والمهن الدنيا وأصحاب الدخول المتواضعة، كذلك يقوى بين كبار السن والشباب على أنه كلما سهلت وسائل المواصلات والاتصال كلما قلت اهمية مجرد التقارب المكاني[١٩].

جـ ـ نظرية القيمة:

تركز هذه النظرية على فكرة القيم الشخصية، لكن لما كانت القيم الشخصية تكتسب بواسطة الجيرة الاجتماعية، كان من الأرجح ان الأشخاص الذين يتشابهون في خلفياتهم وبيئاتهم الاجتماعية يتشابهون أيضا في حكمهم على ماله قيمة بل في نظام القيم نفسه. لذلك فان الارستقراطية مثلا غالبا ما تكون قيمهم متفقة مما يجعلهم اكثر ميلا للزواج

من بعضهم وهكذا. وفي الواقع هناك دراسات ميدانية أكدت ذلك[٢٠].

ويظهر أن النظريات الثلاث لا تتعارض، بل ربما كانت تكمل بعضها البعض اذ أن التجانس يقتضي الجوار المكاني غالبا، اضافة الى ان ذلك عادة يعنى أن الاشخاص لهم نفس القيم الشخصية ومن ثم فان النظريات والدراسات التي قامت لفحص مصداقيتها تكاد تعبر عن نفس الاتجاهات.

د ـ نظرية الحاجة المكملة أو الحاجات التكميلية والنظريات النفسية:

تأخذ هذه في اعتبارها البعد النفسي في عملية الاختيار للزواج، فهي تحاول أن تجيب عن السؤال: كيف يتم الاختيار للزواج، داخل مجال اللائقين الصالحين للزواج ممن يشتركون في الميول والاهتمامات؟ خاصة بين أفراد الطبقة الوسطى الامريكية، حيث اختيار الشريك فيها امر اختياري واساسه الانجذاب بين الشريكين. على أن الانسجام أو التناغم الضروري للانجذاب لا يتطلب بالضرورة، تطابقا توأميا أو تماثلا في الميول والأذواق[٢١].

وتقوم نظرية الحاجة المكملة على مجموعة من الفروض العامة منها ما يتعلق بالسلوك والحاجات وطرق تنظيمها واشباعها ومنها ما يتعلق بالثقافة. اما فيما يتعلق بالسلوك والحاجات فان النظرية تفترض أن السلوك الانساني عبارة عن نشاط موجه نحو اشباع الحاجات، وتهتم النظرية بالحاجات المكتسبة فهي التى تظهر في العلاقات بين الاشخاص والتي ينتظم تكوينها «الأنا المثالي» وعلى أساس أن تكون انتقائية. اما من الناحية الثقافية فتعتمد على تأكيد مبدأ الزواج التفضيلي في كل الثقافات، وهذا يعتمد على تعريف هذه الحاجات الاجتماعية في كل ثقافة، تقوم عملية الزواج باعتبارها مؤسسة اجتماعية ثقافية باشباع هذه الاحتياجات للأفراد من خلالها[٢٢].

لقد تعرضت هذه النظرية، بعد القيام بالعديد من الدراسات الميدانية، الى نقد شديد مما جعل العديد من القائلين بها يعيدون صياغتها، هذه النظرية تدعونا الى مراجعة اهم نظريات التحليل النفسى لمسألة الاختيار للزواج. فلقد لاحظ فرويد أن النرجسيين مثلا يميلون الى الزواج بأشخاص كفليين، أو ان الفرد كثيرا ما يقع في حب شخص معين لأنه يمثل له نوعا من الكمال، حاول المحب جاهدا الوصول اليه لكنه فشل في ذلك، ولذلك فان فرويد يرى ان الاختيار السوي للشريك يكون اما في شخص يشبهه أو شخص يحميه، أي آن فرويد تناول مسألة الاختيار للزواج من زاوية التكامل السيكلوجي[٢٣]، ولقد ولد من ملاحظات فرويد هذه بعض «النظريات» النفسية الشارحة لمسألة الاختيار للزواج، فلقد طور انسلم ستراوس[٢٤] نظرية الصورة الوالديه والتى تركز على ان اختيار الشريك قد يكون على اساس مشابهة لأحد الوالدين في الخصائص الجسمية والآراء والخلق والشخصية. ولقد وجد ستراوس من خلال دراساته الميدانية ان التشابه بين احد الوالدين والشريك في الصفات الجسمية هو أقل العوامل تأثيرا في اختيار الشريك، اذا ما قورن بالتشابه في الآراء وفي الشخصية والخلق.

اضافة الى انه وجد ان هناك تشابهات في سمات خلقية معينة بين أحد الوالدين والشريك، مثل التغلب على الصعاب بسهولة والشعور بالواجب والثقة بالنفس وهذه السمات كانت الاكثر دلالة من تشابهات فى سمات خلقية أخرى. وعلى ما يبدو أن



هذه النظرية تقرر أن صور (الوالدة ـ الوالد) تؤثر على اختيار الفرد لشريكته في الحياة، وبطبيعة الحال الاثر الفرويدى يصبح واضحا في ذلك، لكن النتائج الميدانية على أي حال لا تؤيد النظرة الخاصة القائلة بأن الفتى يختار شريكته متأثرا بصورة أمه، وأن الفتاة تفضل شريكا يشبه صورة والدها.

ولقد حلل ستراوس الصور المختلفة التي يمكن على أساس النظرية تفسير طريقة اختيار الشريك موضحا انه ليس بالضرورة ان تكون صورة الوالد من الجنس المختلف هي المؤثرة في اختيار الزواج، اضافة الى انه حاول في تفسيراته التصنيفية ان يتعرض للحالات العدائية أو التى لا تحمل مشاعر ودية تجاه احد الوالدين أو الاشباع وعدمه في العلاقة مع الوالدين في مسألة الاختيار[٢٥].

هذا ويقدم كرستنسن[٢٦] ما عرف بنظرية الشريك المثالي والتي تقوم في رأيه على ان معظم الناس ومنذ طفولتهم المبكرة حتى وقت زواجهم، يكونون صورة أو فكرة عما يودون ان يكون عليه شريكهم في الحياة. ويوضح كرستنسن: ان مفهوم الشريك المثالي ينبثق تدريجيا عند الفرد من خلال تعامله مع ابويه واخوته واخواته ومع اترابه وزملائه، وتتبلور من خلال انماط العادات وحاجات الشخصية والمواصفات الثقافية التى تفرضها المؤسسات الثقافية والاجتماعية العامة في المجتمع كالمدرسة أو الصحافة... الخ. وهذا المفهوم يلعب دورا ثقافيا مؤثرا لاحقا على الشريك المرغوب في الاختيار للزواج. على أن بيرجس ولوك يريان ان مصطلح «الشريك المثالي» انما يشير الى تلك الصورة التى يكونها المراهق عن مركب من الخصائص أو الصفات يراها مرغوبة فيمن يريد الزواج بهم، وهي ما تعرف بصورة عامة بفتاة الاحلام أو فارس الاحلام[٢٧].

ولقد وجد ستراوس من دراساته الميدانية أن حوالى ٨٠٪ من أفراد عينته كانت في مخيلتهم صورة لفتاة ـ فتى الاحلام، ولقد وجد ان هذه الصورة تقوم على نماذج مثالية تتضمن الشكل والاخلاق والسمات الثقافية. على أن الدراسة توضح ايضا أن بعض افراد العينة اشاروا الى انهم لم يقارنوا شعوريا، بين شريكهم الفعلى والنموذج الذى في مخيلتهم أو خيالهم حينما كانوا بصدد اتخاذ قرارهم الفعلى بشأن الاقتران بهم، على أن البعض أقر بأنهم قاموا فعلا بعملية المقارنة هذه. ولعل من ابرز النتائج التى توصل اليها ستراوس أن الطرق التى استخدمها بعض افراد العينة في عملية اختيار الشريك كانت عبارة عن محكات يستبعدون عن طريقها الشريك غير المناسب ومن هذه المحكات اختلاف العرق أو العقيدة أو المستوى التعليمي أو الخلفية الاجتماعية أو لوجود عيوب جسدية أو الاختلاف في الآراء السياسية أو الفروق الاقتصادية أو ما يتعلق بالوسامة.. هذا ولقد اتضح من دراساته الميدانية وجود تشابه ملحوظ بين الشركاء الفعليين والصور المثالية للشريك خاصة فيما يتعلق بموضوع الشخصية، على أن ما يختص بالصفات الجسدية لم يكن الدليل عليه قوى[٢٨].

ويذكر ستراوس أيضا ما عرف بنظرية «حاجات الشخصية» والتي تؤكد على ان هناك حاجات شخصية محددة تنمو لدى الناس نتيجة لخبرات ومواقف معينة يمرون بها وان هذه الحاجات تجسد الاشباع الملائم لها في العلاقة الحميمة التى تتبلور في الزواج وحياة الاسرة، وتتركز معظم هذه الحاجات في الرغبة في الشعور بالأمان العاطفي والتقدير وابداء الاهتمام بالشخص واظهار اهميته، بمعنى آخر ابراز جانب الحب وعلاقاته المختلفة.

ولقد وجد ستراوس أن هذه الحاجات موجودة لدى الذكور والاناث بصورة مماثلة وان كانت لدى النساء اقوى قليلا[٢٩].

هـ - ملاحظات عامة على النظريات الاجتماعية والنفسية:

يقدم برت ادامز في مقالة هامة له مراجعة عامة للنظريات الاجتماعية والنفس الاجتماعية الخاصة بموضوع اختيار الشريك ليخلص الى نتائج هامة منها: وجوب معالجة مسألة اختيار الشريك على اعتبارها عملية Process وليست مجرد متغير مستقل يمكن قياسه.

ان النتائج النظرية والميدانية التى يتم التوصل اليها في قطر لا يمكن ان تعمم على ثقافات واقطار اخرى لما تتميز به عملية الاختيار من خصوصيات ثقافية واجتماعية، نقده الشديد لنظرية وينسشن عن الحاجات التكميلية على الاقل في الولايات المتحدة، هذا ولقد حدد ادامز تسع عشرة قاعدة مفسرة لعملية اختيار الشريك لخصها في مخطط لما اسماه بعملية اختيار الشريك[٣٠]. وفي الواقع الدارس للنظريات المختلفة يجد أنها تعدد ابعاداً لعملية الاختيار اكثر منها تقديماً لنظريات مستقلة تفسر أو تشرح عملية الاختيار، بل ان بعضها يستدعي هذه النظريات الأخرى فمثلا نجد ان النظريات النفسية تكاد تقول شيئا واحداً لكن من زوايا مختلفة!.

الاسلام وعملية اختيار شريك الزواج:

اهتم الاسلام بمسألة الزواج والحث عليه «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج»[٣١] والزواج سنة من سنن النبي {صلى الله عليه وسلم} ولقد أفرد القرآن آيات عديدة للزواج {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة}[٣٢] وفصل في القرآن كل الموضوعات التي تترتب على الزواج.

ولقد اظهر الاسلام اهتماما بالغا بمسألة الاختيار، فلقد حث الرسول {صلى الله عليه وسلم} على اهمية حسن اختيار الشريك فقال «تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء وانكحوا الايامى» وكذلك قوله «تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم»[٣٣] وقوله «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[٣٤] وقوله: «اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر»[٣٥]، وقوله «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن ان يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى اموالهن ان تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة حرماء سوداء ذات دين أفضل»[٣٦] وتأكيده على اختيار ذات الدين، كما اخبر {صلى الله عليه وسلم} «الا اخبركم بخير ما يكنز المرء، المرأة الصالحة، اذا نظر اليها سرته واذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته»[٣٧]، «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٣٨].

هذا ولأهمية عملية الاختيار فان الاسلام لم يؤكد فقط على بعض الخصائص أو الصفات وانما أقر بأهمية العوامل الاخرى التي تؤكد على حسن الاختيار مثل الجمال والرضى لذلك فانه حث على رؤية المخطوبة لقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة «أنظرت اليها، قال: لا. قال: انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما»[٣٩]، وكذلك قوله: «اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل»[٤٠].

ولم يترك الاسلام عملية الاختيار مفتوحة دون



حدود، فلقد حدد مجموعة من القيود لا يسمح للشخص ان يتخطاها عند الاختيار للزواج ويمكن اجمالا تحديد هذه القيود بما يلي:[٤١]

١ ـ قيود ترجع الى اختلاف الأديان: اذ يحرم الزواج بمن لا تدين بدين سماوي وكذلك يحرم زواج المسلمة من غير المسلم[٤٢].

ب ـ قيود ترجع الى الفوارق الطبقية (أو ما يعرف بمسألة الكفاءة في الزواج) والمقصود بهذا ان التوافق الاجتماعي من المتطلبات المهمة في استمرار الزواج، على ان هذا القيد لم يقصد منه سوى ضمان استقرار واستمرار الحياة الزواجية وليس منع الزواج بين الفئات الاجتماعية المختلفة « اذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوّجوه»[٤٣].

جـ ـ قيود ترجع الى القرابة وتشكل المحارم التالية:

١ ـ الاصول وإن علون كالأم وأم الأم.

٢ ـ الفروع وان نزلن كالبنت وبنت البنت.

٣ ـ فروع الأبوين كالأخوات وبناتهن وان نزلن.

٤ ـ فروع الجدين كالعمات الخالات.

وذلك لقوله سبحانه وتعالى: {حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت»[٤٤].

د ـ قيود ترجع الى المصاهرة وتشكل المحارم التالية:

١ ـ زوجة الاصل أي زوجة الاب أو الجد.

٢ ـ زوجة الفرع اي زوجة الابن وابن الابن أو ابن البنت.

٣ ـ اصل الزوجة وتشمل امها وجدتها لأمها أو لأبيها.

٤ ـ فرع الزوجة ويشمل بناتها

وذلك لقوله سبحانه وتعالى {وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم»[٤٥].

هـ ـ قيود ترجع الى الرضاعة وتشمل كل ما ذكر بالقرابة أو المصاهرة من محارم.

و ـ قيود مؤقتة منها:

١ ـ المطلقة ثلاثا حتى تتزوج آخر زواجا شرعيا ثم تطلق.

٢ ـ المعتدة.

٣ ـ الجمع بين الأختين أو بين المرأة وعمتها أو خالتها.

٤ ـ الجمع بين أكثر من أربع زوجات[٤٦].

ولقد رغب الاسلام في توسيع دائرة الاختيار للزواج، بالزواج من الاباعد والغرائب وذلك تحقيقا لقوله تعالى {يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا} وقول عمر بن الخطاب لبنى السائب «يا بنى السائب قد ضويتم فانكحوا في الغرائب».

وهكذا نرى ان الدين الاسلامي اعطى المسلمين بعض الأسس العامة التي ترشدهم في عملية الاختيار اضافة الى ترغيبه وحثه على الزواج.

والمجتمع السعودي كمجتمع مسلم محافظ يلتزم بكل هذه التوجيهات الاسلامية ويسعى الى تطبيقها في حياته العملية. على ان عملية الاختيار للزواج أيضا تتأثر بالظروف الاجتماعية والثقافية التى يمر بها المجتمع، ومن خلال دراستنا التاريخية للموضوع تبين لنا أن المجتمع السعودى (على الأقل في منطقة الحجاز) مر بمراحل يمكننا أن نوجزها فيما يلي:

المراحل التاريخية التى مرت بها عملية الاختيار للزواج في المجتمع السعودي:

مرت عملية الاختيار للزواج في المجتمع

السعودي بثلاث مراحل متغيرة تبعا للتغيرات التى طرأت على النسق الاجتماعي:

المرحلة الأولى:

وهي اقدم وأطول مرحلة وكان الزواج فيها مرتباً، تقوم به الاسرة، التى لها سلطة مطلقة في اختيار وفرض شريك الحياة دون أن يكون لطرفي الزواج رأي في الموضوع أو خيار وليس لهم ان يذكروا صفات أو خصائص يودون توفرها في شريك الحياة، وتمتد هذه المرحلة من فترة ما قبل قيام الدولة السعودية حتى قيام الحرب العالمية الثانية[٤٧].

المرحلة الثانية:

وتبدأ مع بداية ذهاب الطلبة السعوديين للخارج وخاصة إلى مصر للدراسة، حيث تذكر لنا الروايات السعودية التي كتبت عن تلك الحقبة، مثلا رواية «ثمن التضحية» لحامد دمنهوري كيف ان الشاب السعودي فتن بالحياة المصرية الحديثة وكيف ان الشاب السعودي المثقف تفتحت عيناه على زميلاته المصريات المتعلمات مما جعل الكثير من هؤلاء الشبان يقبلون على الاقتران بهن دون بنات عمهم او قريباتهم غير المتعلمات، على ان الزواج من خارج الاطار الثقافي، مع توسع دائرة البعثات العلمية يشمل الزواج من غربيات.

ادى هذا الزواج المختلط الى ضعف دور الوسيط (الأهل والقريبات) في عملية الاختيار، ولأن الزوجة المختارة من خارج الوطن - حيث الاختلاط والاختيار الحر المباشر - نجم عنها تعالي الاصوات التي تتحدث عن عنوسة بنات الوطن وعزوف الشباب عنهم، مما حدا بالمخلصين الى التفكير جديا في مواجهة هذا الأمر الخطير، ورأوا ان أهم اسباب ظهور ظاهرة الزواج المختلط واحتمال توسعها وانتشارها، وجود الهوة السحيقة في المستوى التعليمي والثقافي بين الشبان، الذين فتحت لهم مجالات التعليم على مصراعيه وبين تدني المستوى التعليمي والعقلي للفتيات، لذلك كانت بداية تعليم الفتاة السعودية نظاميا عام ١٩٦٠م لتكون منافسة للفتاة الاجنبية والعربية، وهكذا انطلقت الفتاة السعودية للتزود بالعلم والمعرفة لتقوم بدورها الاجتماعي كما ينبغي. ولمزيد من الحماية لكيان الاسرة السعودية من التفكك من خلال الزواج من الاجنبيات أو من العربيات، اصدرت الدولة قراراً يقيد زواج السعودي من اجنبية الى أضيق الحدود[٤٨].

المرحلة الثالثة:

وهي المرحلة الراهنة، وتبدأ من السبعينيات وحتى اليوم. اخذ فيها نظام الزواج والاختيار له طابعاً مختلفاً، فعاد الوسيط متمثلا في شخصية اخرى، فبدلا من الام والقريبات من كبيرات السن اصبحت الاخت أو القريبة المتعلمة الشابه هي الوسيط الجديد، ولأنها اقتحمت ميادين التعليم العالى والعمل مما وسع من دائرة احتكاكها بقريناتها في العمل والجامعة فأتاح لها تكوين علاقات أوسع مع بنات جنسها، مما جعلها اقدر على القيام بدور افضل للتوسط لاختيار زوجة مناسبة لأحد افراد أسرتها. فالوسيط في هذه المرحلة من نفس الجيل لكل من الشاب والفتاة واكثر دراية برغبات كل من الطرفين. مما يجعلنا نعتقد أن الاختيار في هذه المرحلة يقوم على اخذ الاسس العاطفية والنفسية في الاعتبار وهي التي كانت شبه مهملة عند الوسيط في المرحلة السابقة، اضافة الى ان الوسيط في هذه المرحلة كسر قيود القرابة والجوار وتخطاها الى خارج حدود المدينة، وذلك لأن المدارس والجامعات سمحت بالتقاء ولفترات لا بأس بها بين فتيات من طبقات وبيئات ومناطق مختلفة، مما سمح بزيجات جديدة لم تكن معروفة من قبل.



وهناك محاولات غير تقليدية للاختيار، ربما لن تطول، منها طلب الزواج عن طريق الصحف أو عن طريق التعرف بالهاتف. لكن بطبيعة الحال على اساس ان تتولى الاسرة اتمام مراسيم الخطبة، على ان من مظاهر هذه المرحلة ايضا اصرار الفتيات، بصورة ملحوظة، ان يكون لهن رأي في موضوع الخطبة والاختيار، فلم يعد الآباء، في الغالب، يكرهون بناتهم على زواج من شخص لا يرغبن الاقتران به، حتى لو كان من الاقارب. كذلك زاد حجم الزواج من الاباعد ولم يعد الزواج من ابن العم أو القريب جدا هو الزواج المفضل، اضافة الى تأخر متوسط سن الزواج بصورة عامة[٤٩].

ويمكننا مما سبق ان نستخلص ما يلي:

كانت عملية الاختيار للزواج في القديم تؤكد على اعطاء سلطة للأسرة وبالذات للأم والقريبات من كبيرات السن، اللاتي يقمن بعملية الاختيار وفرضه على الزوج الذى غالبا لا يرى زوجته سوى ليلة الدخلة، ثم بعد تعلم الشباب وتلقيهم العلم خارج المملكة تزوجوا من خارج الوطن مما الغى دور الوسيط تماما. لكن تعليم المرأة السعودية وخروجها للعمل اضافة الى التغيرات الاجتماعية التي تعرض لها المجتمع اوجد قناعة لدى الوسطاء القدامى بوجوب قيام تعديلات جديدة في عملية الاختيار للزواج، فأوكلت المهمة لوسيط متعلم. هذا ولقد أصبح مجال الاختيار عند الجيل المعاصر أوسع وان كان اسلوب الاختيار من خلال الوسيط لا يزال قائما، على الرغم من محاولة ايجاد وسائل جديدة للاختيار.

واذا نحن امعنا النظر فيما سبق لوجدنا: ان التعليم بصفة عامة وتعليم الفتاة بصفة خاصة كان له دور بارز في ايجاد التغيرات على الاسرة السعودية، وخاصة في مجال الاختيار للزواج، اذ مع استمرار غياب الاختلاط المباشر بين الجنسين في المجتمع الى حد بعيد. نجد ميل الشباب المتعلم للزواج من خارج الاسرة آخذاً في الارتفاع، فلقد بلغت نسبته في بعض الدراسات الميدانية على مدينة جدة (٧٢٪)، بينما بلغت نسبة من يفضلون الزواج من داخل الاسرة (٢٦٪) مما يوضح توسع دائرة الاختيار ومجالها[٥٠].

كما أثر التعليم على سن الزواج المفضل، مما كان له بالغ الاثر على بناء الاسرة التقليدية، وذلك لأن السن يشير الى درجة الخبرة التي يتمتع بها كل من الفتى والفتاة عند الزواج، وبالتالي يؤثر على سلوكه بعد الزواج. فلقد أوضحت دراسات ميدانية ان السن المفضل للزواج عند الشباب يقع بين ٢٤ - ٣٠ سنة والفتيات بين ١٦ - ٢٥ سنة، وهذا يشير الى الاتجاه نحو تأخير سن الزواج في مجتمع كان يميل الى التبكير في الزواج، مما يجعلها اكثر ميلا للمشاركة في عملية الاختيار لنضجهما وخبرتهما بالحياة[٥١].

وكان للتعليم تأثير آخر تبدو آثاره واضحة على الاسرة ونظام الزواج بها وعملية الاختيار له، وذلك في خروج المرأة السعودية للعمل وظهورها كقوة اجتماعية تؤثر على اعادة تشكيل المجتمع السعودي الذي كان من السهل وصفه بأنه مجتمع يسوده الرجال، فهي تتحرك الآن بوضوح وتطلب دورا متزايدا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبلدها، اضافة الى التزايد المضطرد في نسبة النساء العاملات كنتيجة لاتساع محيط النساء المتعلمات، الأمر الذى جعل لهذه الظاهرة الجديدة اصداء كثيرة داخل المجتمع، مما جعل لها مؤيدين ومعارضين، فلقد اشارت بعض الدراسات الميدانية الى أن ٧٨٪ من الرجال يرون ان لعمل المرأة تأثيرا سلبيا على الأطفال من حيث علاقتهم وسلوكهم مع الأم والمدرسة

وأبناء الجيران، بل لقد رأى ٦٤٪ منهم أن عمل المرأة يؤدي الى انحراف الأطفال لنقص الرعاية المباشرة من الأم[٥٢].

كما أشارت الدراسة الميدانية التي أعدها الديوان العام للخدمة المدنية بالرياض الى أن ٥٢٪ من متوسط اجابات المرأة ليس له تأثير على اقدامها على الزواج بدرجة كبيرة. كما اثبتت الدراسة ان ٤٢٪ من الرجال يقبل بعمل المرأة حتى انجاب الاطفال، باعتبار ان مهمتها الاولى تربيتهم - كما افادت الدراسة ان ٨٨٪ من النساء يرين ان الوظيفة لا تؤثر على زواج المرأة[٥٣].

وعلى الرغم من الحماس الشديد للعمل لدى المرأة السعودية، فان هذا الاهتمام لا يأتي بين اولوياتها، حيث الاولوية الاولى هي للتعليم فالزواج فالعمل. أي أن الزواج لازال يشكل قيمة أساسية في حياة المرأة السعودية الجديدة، لكن التغيرات التي حدثت في الحقبة الأخيرة من حياة المجتمع اظهرت مشاكل جديدة، مثل امكانية وفرص زواج المرأة المتعلمة، حيث يقال: ان بعض الرجال يتجنبون الزواج من الجامعية خوفا من تكبرها وكثرة مطالبها وعدم انصياعها لأوامر زوجها، زيادة على اصرارها على العمل بعد الزواج، مما يضعف من سلطته كرجل متمسك بالتقاليد[٥٤].

ويعتقد لؤى بحرى[٥٥] في مقالته «المرأة السعودية الجديدة» ان ظاهرة العزوف عن المرأة المتعلمة تعليما عاليا يعتبر ظاهرة مؤقتة ومتعلقة بالمرحلة الحالية للتطور الاجتماعي في المملكة العربية السعودية ولكنها في الوقت نفسه تمثل هذه الظاهرة مشكلة هامة خاصة بالنسبة للجيل الأول من الخريجات الحاملات للشهادات العليا، على انه يرى «ان المرأة أصبحت تمثل قوة اجتماعية هامة في البلاد ويتم وضعها في الاعتبار عند صياغة خطط الحكومة وخطط التنمية» اضافة الى ما تلاقيه من تشجيع ملكي جعلها تتقدم بهذه السرعة الخيالية في كافة المجالات، فبعد ان كان عدد الطالبات في بداية الدراسة في جامعة الملك سعود عام ١٩٦٢ أربع طالبات، أصبح عدد الطالبات بجامعات المملكة ١٩٨٥م (٢٨٣٢٦ طالبة) والاعداد في ازدياد مطرد[٥٦].

وأخيرا لا يسعنا الا أن نقول ان تعليم المرأة وخروجها للعمل كان واحداً من أهم اسباب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تعرض لها المجتمع السعودي، والتى ساعد ظهور النفط على ابرازها بالصورة التي نشاهدها اليوم، مما كان له اثاره على نظام الزواج والاختيار فيه.

دراسة ميدانية على مدينة جدة بالنسبة للاختيار للزواج:

أجريت دراسة ميدانية[٥٧] على عينة من «٤٢٠ مفردة».. من جيل الآباء ١٠٢، ومن جيل الابناء ٣١٨ مفردة، من الذكور في مدينة جدة لدراسة مسألة الاختيار للزواج في ظل التغيرات الاجتماعية التي مر بها المجتمع السعودي. ولقد حددت أهداف الدراسة بجملة من الأهداف أهمها:

١ - التعرف على أهم اساليب الاختيار للزواج السائدة في المجتمع السعودى بجدة.

٢ - التعرف على القيم المادية والمعنوية المتعلقة بظاهرة الاختيار للزواج.

٣ - ربط ظاهرة الاختيار للزواج بالتغير الاجتماعي بين الاجيال في جدة.

٤ - التعرف على مدى تأثير تعليم الفتاة على



تفكيرها عند الاختيار للزواج.

٥ ـ التعرف على الأسس التي تقوم عليها طريقة الاختيار.

ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدت الدراسة على الافتراضات التالية:

١ ـ ليس هناك علاقة بين الاختيار للزواج من الاقارب وبين صعوبة التعرف على غير الأقارب.

٢ ـ ليس هناك علاقة بين اختلاف الجيلين وبين القيم التى يقوم عليها الاختيار.

٣ ـ هناك علاقة بين ارتفاع مستوى تعليم الفتاة وبين العزوف عن اختيارها للزواج.

٤ ـ ليس هناك علاقة بين الذى يمر به المجتمع من تغيرات تنموية واسلوب الاختيار للزواج.

٥ ـ ليس هناك علاقة بين التطور السريع الذى يمر به المجتمع وأهمية الأهل كوسيط للاختيار للزواج.

٦ ـ ليس هناك علاقة بين التطور السريع الذى يمر به المجتمع وبين اختيار الزوجة العاملة.

ولقد استخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي القائم على عينة مختارة من الاحياء المختلفة للمدينة ولقد توصلت الدراسة الى نتائج من أهمها ما يلي:

١ ـ معظم الزوجات في جيل الآباء تزوجن وهن في اعمار تقل عن عشرين عاما ويصدق الشيء نفسه على جيل الأبناء، على أن حوالى ٣٨٪ من جيل الأبناء في مقابل (٢٥٪) من جيل الآباء تزوجوا في عمر ٢١ ـ ٢٥ عاما. مما يؤكد على استمرارية مجتمع جدة في تفضيل الزواج المبكر للفتيات.

٢ ـ ان نسبة الزوجات المتعلمات في جيل الآباء والأبناء عالية (٦٨٪ و٩٠٪ بالترتيب) مما يدل ان العائلة السعودية في جدة تحرص على تعلم بناتها على انها أوضح في جيل الابناء، على اننا نقصد بالتعليم هنا كافة المستويات والتى تقل بالنسبة للمستويات العالية على جيل الآباء وبلغت (٢٤٪) بالنسبة للجامعيات في جيل الأبناء.

٣ ـ تفضيل الزواج من نفس الطبقة الاجتماعية عند جيل الآباء أكثر منه عن جيل الأبناء (٥٤٪ و٣٥٪ بالترتيب).

٤ ـ لا توجد فروق بين الجيلين في التأكيد على أهمية سمعة الزوجة عند الزواج وهي عند جيل الأبناء مرتفعة في سلم الأهمية (٥٢٪ و٥٦٪ بالترتيب).

٥ ـ لا توجد فروق بين الجيلين في التأكيد على أهمية أصل أهل الزوجة (ما يعرف بالحسب والنسب)، على أنها أعلى عند جيل الآباء (٦٩٪ و٦١٪ بالترتيب).

٦ ـ لا توجد فروق بين الجيلين في التأكيد على أهمية الشكل عند ا لاختيار للزواج اذ أكد (٦٥٪) من الجيلين على أهمية الشكل.

٧ ـ لا توجد فروق بين الجيلين في التأكيد على عدم أهمية الثروة عند الاختيار للزواج، ولقد بلغت عند الآباء والأبناء بالترتيب (٩٦٪ و٩٧٪) أي أن الجيلين يؤكدان على ضرورة عدم اعتماد الرجل على ثروة المرأة واعتبار ذلك ليس من العوامل الداعية للزواج مما يؤكد على عراقة وقوة القيم التقليدية في هذا المجال.

٨ ـ لا توجد فروق بين الجيلين في التأكيد على أهمية البكورة عند الاختيار للزواج فالجميع يفضلهن ابكاراً وهي في جيل الآباء والأبناء بالترتيب (٩٥٪ و٩٣٪).

٩ ـ لا توجد فروق بين الجيلين في الاتجاه نحو الزواج الخارجي في جدة، فلقد بلغت نسبة من

تزوجوا من غير الأقارب من جيل الآباء (٦٢٪) ومن جيل الأبناء (٥٩٪).

١٠ ـ معظم افراد العينة من الجيلين لم تكن زوجاتهم من العاملات، على أن جيل الأبناء بدء يسمح تدريجيا بالزواج من العاملات، ولقد أوضحت الغالبية من الجيلين انها لا تفضل الزواج من المرأة العاملة ولا تقبل أن تساهم المرأة في الصرف على البيت.

١١ ـ أوضح افراد العينة من الجيلين تفضيلهم الزواج بصغيرة السن، على أن جيل الآباء يفضلهن أصغر منه سنا بصورة أكبر من جيل الأبناء (٧٥٪ و٦٢٪) على أن الفرق في السن يفضل أن لا يتجاوز من (٥ ـ ١٠) سنوات.

١٢ ـ بلغت نسبة من تزوج عن طريق وسيط في جيل الآباء (٥١٪) بينما ارتفعت نسبة من اختار بنفسه في جيل الأبناء الى (٦٥٪) على انه ينبغي ان نوضح انه ربما كان المقصود بـ «اخترتها بنفسى» أي انها لم تفرض على من قبل احد في الاسرة. ولقد أوضح (٥٤٪) من جيل الآباء انهم تزوجوا عن طريق الأهل وكذلك أوضح (٣٥٪) من جيل الأبناء. واتضح أن الخاطبة لم يكن لها دور كوسيط للزواج عند افراد العينة.

١٣ ـ أوضح افراد العينة من الجيلين ان العاطفة ضرورية عند الاختيار للزواج ولقد بلغت عند الآباء والأبناء كالتالي (٥٧٪ و٧٠٪ بالترتيب)، على أن العاطفة عند جيل الآباء ان تكون الزوجة من محيط العائلة (٢٥٪)، أما بالنسبة لجيل الابناء فإنها تعنى وجود علاقة حب قبل الزواج (٣١٪)، على ان هذا يعنى أن لا يفهم أن الشباب السعودي لا يتزوج الا عن حب أو وجود علاقة حب. أما من لا يرون ان الناحية العاطفية غير ضرورية عند الاختيار للزواج فإنهم يعنون بذلك الاكتفاء بمعرفة عائلة الفتاة كوالدها أو أخوتها وقد بلغت نسبتهم في جيل الآباء (٢٦٪) وفي جيل الأبناء (١٧٪).

١٤ ـ كان التفكير في طريقة تفكير الزوجة في أمور الحياة من أهم الأمور التى شغلت بال معظم أفراد العينة عند اتخاذ قرار الزواج، وقد بلغت في جيل الآباء (٤٥٪) وجيل الأبناء (٦٠٪)، يلي ذلك التفكير في السن المناسب للزوجة (٣٧٪) و(٢٨٪) في جيل الآباء والأبناء بالترتيب.

نستخلص من النتائج السابقة أن التغيرات السريعة التى يمر بها المجتمع السعودي وإن كان لها ربما تأثير واضح على شكل الأسرة ووضعها الا أن هذه التغيرات لم تمس القيم الأساسية التى يقوم عليها الاختيار للزواج ولا في أساليب المتعة في عملية الاختيار، على أننا ينبغي أن نؤكد ان بامكاننا ملاحظة أن بعض الفروق الطفيفة بين الجيلين قد تتسع أو تأخذ مسارات مختلفة مع الزمن مستقبلا[٥٨].

الهوامش والتعليقات:

(١) انظر فوزية باشطح «الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي ـ دراسة تطبيقية على مدينة جدة» رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز ١٩٨٨، ص ص ٣٤ ـ ٥٤.

(٢) المرجع السابق ص ص ٨٠ ـ ٨٤. وكذلك سامية الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١، ص ص ٧٠ ـ ٨٠.

(٣) نادرا ان تقوم المرأة بعملية الخطبة لنفسها في معظم المجتمعات البشرية وهذا على أي حال ليس ما درج عليه المجتمع العربي.

(٤) لقد تم اختيار جدة على افتراض انها المدينة السعودية الاكثر انفتاحا على التغيرات الاجتماعية



والثقافية ومن ثم فانها رائدة ومؤشر لما سيطرأ من تغيرات مستقبلية في المجتمع السعودي.

(٥) انظر أسباب ذلك في مقالة: ابو بكر احمد باقادر «بنية الاسرة العربية» مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، المجلد(٥)، ١٩٨٥، ص ٢٦٧.

(٦) زهير حطب، تطور بنى الاسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، بيروت: معهد الانماء العربي ١٩٨٣، ص ص ٢٢٥ ـ ٢٣٤.

(٧) ادريس فالح نايف عزام، «التحضر وأثره في الاسرة الاردنية من وجهة نظر بنائية وظيفية» رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٧٥.

(٨) احسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج: دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، بيروت: دار الطليعة ١٩٨١، ص ٩٢.

(٩) ابراهيم عثمان «التغيرات في الاسرة الحضرية في الاردن»، مجلة العلوم الاجتماعية ص ١٢، ٣٤، المجلد ٧ / ١٩٨٦، ص ص ١٥٣ ـ ١٧٤.

(١٠) مجد الدين عمر خيرى، «بناء السلطة في الاسرة العربية المعاصرة» المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ١٩، عدد ١، ٢، ٣، ١٩٨٢.

(١١)Edwin Prothro and Lutfy Diab, Changing Family Patterns in the Arab East, Beirut: The Heide Bery Press, 1977.

(١٢) انظر مجد الدين عمر خيرى، مرجع سابق، العدد ٣، ص .

(١٣) سامية ساعاتي، مرجع سابق، ص ص ٣٨٢ ـ ٣٨٦.

(١٤) هيفاء كبرى، المرأة والتحولات الاقتصادية والاجتماعية، دمشق: طلاس ١٩٨٧، ص ٣٥٩.

(١٥) فريدة الانما وعائشة المانع، «دراسة استقصائية بشأن البحوث المعدة عن المرأة في منطقة الخليج» في: الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤، ص ٦١.

وكذلك ما كتب عن الاسرة في كل قطر من أقطار الخليج على حده مثل: احمد طاهر، المرأة في دول الخليج العربي: دراسة ميدانية، الكويت: ذات السلاسل ١٩٨٣، وسعد عبد الرحمن، دراسة اوضاع واتجاهات المرأة الكويتية، الكويت: جمعية النهضة الاسرية ١٩٧٤، وجهينة سلطان العيسى، آثار البترول على الاسرة العربية، مجلة البترول والتغير الاجتماعي في الوطن العربي ١٩٨١م.. الخ.

(١٦)B.Eckland, Theories of mate selection Eugenics Quartely, (15) 1968, PP. 74-88.

A. Greely, religious internarriage in a denominational society.

American Journal of Sociology (14), 1970, PP. 949-52

R.Griffiths and P.Kunz, "Assortative mating: A study of physiognomic homogamy Social Biology (02), 1973, PP. 448-53.

(١٧)Ruby Kennedy, "Single or triple metting pot? Intermarriage in New Haven, 1870 - 1950" American Journal of Sociology, (58), 1952, PP. 56-59.

(١٨)A.Kalz and R.Hill, Residential Propinquity and marital selection: A review of theory, method and fact. Marriage and Family Living, (20), 1958, pp. 27-35.

N.Ramsoy, "Assortative mating and the structure of cities" American Sociological Review, (31), 1966, pp. 773-86.

(١٩)James Bossard, "Residential proinauinty as a factor in marriage selection", American Journal of Sociology, (38), 1932, pp. 219-224.
Maurice Dqvie and Ruby Kennedy, "Propinquity of residence before marriage", American Journal of Sociology, (44), 1938, pp. 570-577.
Ruby Kennedy, "Premattial residential propinauity and ethnic endogamy", American Journal of Sociology, (48), 1943, pp. 580-584.
W. Catton, "A comparison of mathematical models for the effect of residential propinquity on mate selection", American Sociological Review, (29), 1964. pp. 522-29.
(٢٠)Anthony Smith, "Sinilarith of values and its relation to acceptance and the projection of similarity", Journal of Psychology (43), 1957, pp. 251-261.
Robert Coombs, "Reinforcement of values in the parental home as a factor in mate selection" Marriage and family Living, (24), 1962, pp/ 155-157.
Sheila Selfors et-al., "Values in mate-selection: Education versus religion," Marriage and Family Living, (24), 1962, pp. 399-401.
(٢١)R.Winch Mate-selection: Astudy of complementary needs, New York: Harper and Row, 1958.
R.Winch, "Another look at the theory of complementary needs in mate-selection" Journal of Marriage and the Family, (29), 1967, pp. 756-62.
R.Winch et-al. "The theory of complementary needs in mate selection: An analytic and descriptive study" American Sociological Review, (19)1954, pp. 241-49.
(٢٢)R.Winch et al. "Empirical elaboration of the theory of complementary needs in mate selection" Journal of Abnormal and Social Psychology, (52), 1955, pp. 508-14.
(٢٣) تناول فرويد هذا الموضوع بصورة جزئية ويمكن التعرف على بعض آرائه في الموضوع في:
Sigmund Freud, Group Psychology and the Analysis of the Ego, p.74.
(٢٤)Aselm Strauss, "The influence of parent image upon marital choice", American Sociological Review, (11) 1946, pp.
(٢٥) انظر سامية ساعاتي، مرجع سابق، ص ص ٢١٥ - ٢٢٠.
(٢٦)Harold Christensen, Marriage Analysis, New York: Ronald Press, 1958.
(٢٧)Anselm Strauss, "The ideal and the chosen mate" American Journal of Sociology, (42), 1946, pp. 204-10.
(٢٨)Op. Cit. p. 408.
(٢٩)Auselm Strauss "Personality needs and marital choice" Social Forces, (25) 1947.



(٣٠)Bert Adams, "Mate Selection in the United States: A theorical summarization", in W. Burretal (eds) porary theories About the Family, New York: Free Press, 1979, vol. (1), pp. 259-267.

والمقالة تقدم سردا ببليوجرافيا حديث ومهماً عن الموضوع.

(٣١) صحيح البخارى بحاشية السندى، بيروت: دار المعرفة، د.ت، مج (٣) ص ٢٣٨.

(٣٢) سورة الروم، آية/ ٢١.

(٣٣) نيل الاوطار، الجزء السادس ص ١٠٤.

(٣٤) تيسير الوصول، الجزء الرابع، ص ٢٥٧.

(٣٥) البيهقي.

(٣٦) متيسر الوصول، الجزء الرابع ص ٢٥٧.

(٣٧) نيل الاوطار، الجزء السادس، ص ١٠١.

(٣٨) نيل الاوطار، الجزء السادس ص ١٠٥.

(٣٩) صحيح البخاري، ص ٢٤٧.

(٤٠) سنن ابو داود، الجزء ٢، ص ٢٢٩.

(٤١) انظر محمد ابو زهرة، الأحوال الشخصية، بيروت: دار الفكر، د. ت ص ٦٣ ـ ١٠٦.

(٤٢) للتفاصيل انظر محمد ابو زهرة، المرجع السابق، ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٤٣) فيما يتعلق بموضوع الكفاءة في كتاب محمد ابو زهرة، المرجع السابق، ص ١٣٦ ـ ١٤٦.

وكذلك حسن خالد وعدنان نجا، احكام الأحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٢، ص ٧٧ ـ ٨٤.

(٤٤) سورة النساء الآية ٢٣.

(٤٥) سورة النساء الآية ٢٣.

(٤٦) انظر محمد ابو زهرة، مرجع سابق، ص ٨٤ ـ ١٠٧ وكذلك حسن خالد وعدنان نجا، مرجع سابق، ص ٤١ ـ ٤٥.

(٤٧) بالنسبة لهذه المرحلة غالبا ما يعتمد على المخبرين من كبار السن ومن ثم فان الحكم على ما كان يجرى في تلك الفترة يميل الى الحدس والتقرير اكثر من الدقة والتاكد القائم على دراسات ميدانية موثقة وربما كان كتاب احمد عبد الاله عبد الجبار، عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ، دراسة ميدانية انثربولوجية، جدة: ١٩٨٣ من أفضل ما كتب عن الموضوع.

(٤٨) انظر رواية، حامد دمنهوري، ثمن التضحية، الرياض: دار الفكر ١٩٥٩م وخاصة المقدمة التى كتبها عبد الله عبد الجبار ص ٩.

(٤٩) جرت في هذه المرحلة عدة محاولات لتغيير طريقة اختيار شريك الزواج، منها مساهمة جريدة عكاظ، س ٢٧، ع (١٥٦٦)، ١٤٠٧/٧/١٦ و س ٢٧، ع ٦٥٧٤، ١٤٠٧/٧/٢٣ وغيرها من وسائل.

(٥٠) ابو بكر باقادر، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

(٥١) ابو بكر باقادر، المرجع السابق ص ١٩٣.

(٥٢) ابو بكر باقادر، المرجع السابق ص ٢٦٨.

(٥٣) الديوان العام للخدمة المدنية «اثر توظيف المرأة على اقدامها على الزواج» الرياض ١٤٠٣هـ.

(٥٤) المرجع السابق.

(٥٥)Louay Bahry, "The New Saudi Woman: Modernization in an Islamic Framework", The Middle East Journal, vol (36), 1982. p. 510.

(٥٦) وزارة التخطيط، خطة التنمية الرابعة (١٩٨٥ ـ ١٩٩٠)، ص ٣٠٣.

(٥٧) فوزية باشطح، مرجع سابق ص ١٢٨ ـ ١٧٦.

(٥٨) بطبيعة الحال موضوع الاختيار للزواج لم يستوف حقه من الدراسة في المجتمع العربي عموما والمجتمع السعودى على وجه الخصوص نظرا لاهمية الموضوع وما يقابله قاصد الزواج من عوائق اجتماعية وثقافية فرضتها العادات والتقاليد والقيم مما يتطلب ايجاد وسائل اجتماعية مساعدة تضمن التمسك بهذه القيم وفي الوقت نفسه تؤمن المتطلبات الشرعية والثقافية لحسن الاختيار.



استقبال المولود في الإسلام

يتبين لنا في هذا البحث عظمة الاسلام وشموليته فهو يعالج ما يحتاجه الانسان منذ ولادته بل وقبل ولادته، سواء أكان من الناحية الروحية أم الصحية أم النفسية أم الاجتماعية.

ففي رفع نداء «الله اكبر» في أذن الوليد منذ أول اطلاله على الدنيا دلالة على غرس العزة والكرامة والتوحيد في نفسه. وفي تحنيكه لتقوية عضلات فمه دلالة على اهتمام الاسلام بالناحية الصحية، وفي حسن تسميته يتجلى سلامة الذوق واستقامته، وفي ذبح العقيقة عنه وتوزيعها دلالة على تعاون المجتمع وتكافله، وتعويد الناس على البذل والسخاء والكرم.

فما أحوجنا في هذا الزمان الى تلكم المثل والقيم والمفاهيم لضمان سعادة الفرد والمجتمع فتستقيم الدنيا والآخرة.

١ - البشارة والتهنئة عند الولادة:

لما للبشارة من اهمية في ادخال المسرة والسعادة على الانسان فقد استحب للمسلم أن يبادر الى مسرة اخيه واعلامه بما يسره ويسعده لأن في ذلك تقوية للاواصر وتمتينا للروابط، ونشر الالفة والمحبة بين المسلمين.

وقد ذكرت البشارة بالوليد في القرآن الكريم،

بقلم: مروان العطية - سوريا



وذلك في مناسبات عديدة ارشادا وتعليما للأمة الاسلامية، فيما فيه خيرها وصلاحها[١]٠

وعندما ولد سيد البشرية محمد {صلى الله عليه وسلم} بشرت به ثويبه عمَّه أبالهب وكان مولاها فسر بذلك أيما سرور، واعتقها ابو لهب فرحا وسرورا به[٢]٠

ولكنَّ أبا لهب، بعد ذلك كفر بما جاء به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الحق٠

٢ ـ ما يقال في تهنئة المولود، وما يرد عليه:

يندب ان يهنأ الوالد فيقال له: بارك الله في الموهوب لك، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره٠ وأن يرد على المهنيء فيقول: بارك الله لك، وبارك عليك أو أجزل الله ثوابك٠٠ أو ما شابه ذلك[٣]٠

وهذه البشارة ينبغي أن تشمل كل مولود، سواء أكان ذكرا أم انثى دون تفريق لأن التفريق بالتهنئة من صفات الجاهلية المذمومة، وكان كثير منهم يهنؤون بالابن ليس غير، وبوفاة البنت دون ولادتها[٤]٠

٣ ـ التأذين والاقامة في أذن المولود:

يستحب أن يُؤذّن في أذن المولود اليمنى وذلك عند ولادته مباشرة، وأن يقام في أذنه اليسرى٠٠ ذكرا كان المولود أم أنثى[٥]٠

وقد روى الحسن بن علي عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال:

«من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان»[٥]٠ أي التابعة في الجن، أو الريح التي تعرض للولد، والسر في ذلك أن يكون أول ما يقرع سمع الانسان كلمات الأذان المتضمنة لكبرياء الله تعالى وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الاسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند الخروج منها[٦]٠

٤ ـ تحنيك المولود:

ومن الاحكام التي شرعها الاسلام أن يحنك المولود بتمر عقب الولادة سواء أكان المولود ذكرا أم أنثى، وذلك بمضغ تمرة حتى تصير مائعة ووضع جزء منها على الاصبع وادخال الاصبع في فم المولود بلطف، ويفتح فمه حتى ينزل الى جوفه شيء منها ويجب أن يقوم بالتحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح تبركا بصلاح المولود وتقواه وإن لم يكن رجلا فإمرأة صالحة[٧]٠

ولعل الحكمة من التحنيك هي في تقوية عضلات الفم بحركة اللسان والحنك مع الفكين وذلك

بالتلمظ حتى يتهيأ المولود للقم الثدي وامتصاص اللبن بشكل قوي وحالة طبيعية[٨].

٥ ـ تسمية المولود وتكنيته:

ويسن أن يحسن الوالد اسم المولود[٩]، لخبر: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم» وأفضل الأسماء: عبد الله، عبد الرحمن، لخبر مسلم[١٠]، أحب الأسماء الى الله تعالى: عبد الله، وعبد الرحمن «زاد أبو داوود[١١]: «وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب، ومرة». ومثل ذلك كل ما أضيف الى أسماء الله الحسنى ومثله أسماء الأنبياء أو الملائكة، لحديث: «تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي»[١٢].

وتكره الأسماء القبيحة، كشيطان وظالم، وما يتشاءم بنفيه عادة، كنجيح، وبركة[١٣]، ويسن أن تغير الأسماء القبيحة، وما يتطير بنفيه لحديث مسلم[١٤]: «أنه {صلى الله عليه وسلم} غير اسم عاصية، وقال: انت جميلة» ويحرم تلقيب الشخص بما يكره وإن كان فيه، كالأعور، والأعمش.

ويسن أن يسمى المولود يوم السابع من ولادته، واستدلوا بأحاديث كثيرة[١٥]، وفي قول آخر في اليوم الثالث[١٦].. وقيل يستحب أن تكون التسمية يوم الولادة[١٧]، وحمل البخاري اختيار التسمية يوم الولادة لمن لم يعق، واختيار التسمية يوم السابع لمن أراد أن يعق[١٨].

والتكنية بأبي فلان، أو أم فلان، نوع من التفخيم للمكنى، واكرام له، لذا، كانت التكنية في الاسلام أمرا مستحبا سواء أكانت للكبار أم للصغار، ويجوز تكنية الرجل إن لم يكن له ولد، كما يجوز تكنية من له أولاد بغير أولاده[١٩].

٦ ـ حلق شعر المولود:

يستحب حلق رأس المولود في اليوم السابع من ولادته، ويتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة[٢٠]، لأنه {صلى الله عليه وسلم} أمر فاطمه، فقال: «زني شعر



الحسين، وتصدقي بوزنه فضة[٢١]»، كما قال لها لما ولدت الحسن: «إحلقي شعر رأسه، فتصدقي بوزنه من الورق[٢٢]» أي الفضة، وقيس بالفضة: الذهب[٢٣].

وفي حلق شعر البنت ذهب الشافعية والمالكية الى حلق شعرها مثلها مثل الذكر، أما الحنابلة فذهبوا الى أن الحلق يتعلق بالذكر فقط[٢٤].

٧ ـ الختان:

وهو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة بحيث تنكشف جميع الحشفة في الذكر[٢٥] وهو واجب، لأنه علم الحنيفية، وشعار الاسلام ورأس الفطرة، وعنوان الملة لحديث أبي هريرة قال: «سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: الفطرة خمس: الختان والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر ونتف الاباط[٢٦]».

ويكره الختان يوم الولادة ويوم السابع، لأنه من فعل اليهود. والخفاض في النساء مكرمة، ويندب ألا تنهك، أي لا تجوز في قطع الجلدة، لأجل تمام اللذة في الجماع وقال أحمد: «الختان واجب على الرجال، مكرمة في حق النساء[٢٧]، ويجري هذا عادة في البلاد الحارة».

٨ ـ العقيقة:

والعقيقة: هي الذبيحة التي تذبح عن المولود، يوم اسبوعه، والأصل في معناها اللغوي: انها الشعر الذي على المولود، ثم سمت العرب الذبيحة عند حلق شعر المولود عقيقة، على عادتهم في تسمية الشيء باسم سببه، أو ما يجاوره[٢٨].

وللعلماء في حكم العقيقة ثلاثة أقوال:

الأول: «إنها سنة، وبهذا القول قال الجمهور من الشافعية والمالكية والحنابلة[٢٩]».

الثاني: ليست فرضا، ولا سنة، وأنكروا مشروعيتها، وبهذا القول قال الحنفية[٣٠].

الثالث: إنها واجبة، وبهذا القول قال الحسن وداوود(٣١).

وخلاصة أقوال العلماء فيها: إن من استطاع أن يعق عن ولده فليفعل، لما ثبت من أدلة مشروعيتها، لأن فيها خيراً كثيراً، وقد ورد فيها من التأكيد في الأخبار والآثار المروية عن سيد البشرية في أمهات الكتب الحديثية والفقهية، ولأنها أيضا ذبيحة أمر النبي {صلى الله عليه وسلم} بها، فكانت أولى من الوليمة والأضحية.

فالعقيقة سنّة مستحبة عند جمهور العلماء والفقهاء، وهي سنّة عن الأنثى، كما هي عن الذكر.. إلا أن العلماء اختلفوا كم يذبح عن الأنثى؟ وكم يذبح عن الذكر الى قولين:

الأول: إن المشروع في العقيقة شاتان عن الذكر، وشاة عن الأنثى، وهو قول الشافعية والحنابلة[٣٢].

الثاني: إن المشروع في العقيقة شاة عن الذكر، والأنثى سواء، وبهذا قال المالكية[٣٣].

والراجح: لو نظرنا الى أدلة القولين نجد القول الأول هو الراجح[٣٤]، والله أعلم.

والعقيقة تذبح يوم سابع ولادة المولود، ويحسب يوم الولادة من السبعة[٣٥].. والمكلف بالعقيقة الأب ليس غير، ولا يعق المولود عن نفسه إذا كبر، لأنها مشروعه في حق الأب، فلا يفعلها غيره.

واختار جماعة من الحنابلة: أن للشخص أن يعق عن نفسه استحباباً. ولا تختص العقيقة بالصغر، فيعق الأب عن المولود، ولو بعد بلوغه، لأنه لا آخر لوقتها[٣٦]. ويقول الذابح بعد التسمية: اللهم منك واليك عقيقة فلان، لحديث ورد فيه رواه البيهقي بإسناد حسن[٣٧].

وحكم لحم العقيقة وجلدها كالضحايا، يؤكل من لحمها، ويتصدق منه، ولا يباع شيء منها ويسن طبخها، ويأكل منها أهل البيت وغيرهم في بيوتهم، ويستحب أن تفصل أعضاؤه، ولا تكسر عظامها، تفاؤلا بسلامة أعضاء المولود[٣٨].. وأجاز الامام احمد في رواية بيع الجلد والرأس، والتصدق به. ويستحب إعطاء القابلة من العقيقة[٣٩]. والله أعلم.

الحواشي والتعليقات:

(١) انظر الآية/٧ من سورة مريم، وآية/٣٩ من آل عمران، و٦٩ ـ ٧١ من سورة هود.

(٢) تحفة الودود في أحكام المولود لابن قيم الجوزية، طبع دمشق، ٢٠/١.

(٣) مغني المحتاج، لمحمد الخطيب الشربيني ٢٩٦/٤.

(٤) تحفة الودود في أحكام المولود ٢٠/١.

(٥) مغني المحتاج ٢٩٦/٤، والمهذب للشيرازي ٢٤٢/١، والمغني لابن قدامة ٦٤٩/٨ وكشاف القناع ٢٥/٣.

(٦) انظر المجموع لمحي الدين النووي ٤٤٣/٨.

(٧) الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي ٦٤٠/٣.

(٨) المجموع لمحي الدين النووي ٤٤٣/٨، وتحفة الودود ٢٤/١.

(٩) قيم ومفاهيم تربوية إسلامية، لمحمد صالح يساوي ٢٤.

(١٠) رواه أبو داود، حديث رقم ٤٩٤٨.

(١١) مسلم حديث رقم ٢١٣٢، والترمذي حديث رقم ٢٨٣٥، وأبو داود ٥٨٤/٢، وانظر جامع الأصول ٣٥٨/١.

(١٢) أبو داود حديث رقم ٤٩٥٠.

(١٣) صحيح مسلم حديث رقم ٢١٣٤، والبخاري ١٨٠/١، وأبو داود حديث رقم ٤٩٦٥ و٤٩٦٦، وانظر المجموع ٤٣٩/٨.

وقد ثبت النهي عن التكني بأبي القاسم، لكن كان ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، أو في حالة



الجمع بينه وبين اسم (محمد) كما قال النووي، وهو الأولى.

(١٤) الفقه الاسلامي وأدلته ٦٤٢/٣.

(١٥) صحيح مسلم حديث رقم ٢١٣٩ في الآداب، والترمذي حديث رقم ٢٨٤٠، وانظر جامع الاصول ٣٧٦/١.

(١٦) انظر (أبو داود) حديث رقم ١٥٢٢ و٢٨٣٤، وابن ماجه حديث رقم ٣١٦٥، وانظر جامع الاصول ٣٨٢/١.

(١٧) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية ٤/٢.

(١٨) البخاري حديث رقم ٥١٥٠، ومسلم حديث رقم ٢٥، وانظر جامع الاصول لابن الأثير الجزيري ٣٣٦/١.

(١٩) قال البخاري في صحيحه: باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه، وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٠٧/٩.

(٢٠) لسان العرب، وتاج العروس، مادة (كنى) وانظر ايضا تحفة الودود ص ٨٥.

(٢١) مغنى المحتاج ٢٩٥/٤، وتحفة الودود ص ٦٣، والمهذب ٢٤١/١.

(٢٢) أخرجه الترمذي حديث رقم ١٥١٥، وانظر أيضا شرح الزرقانى على موطأ الامام مالك ١٢٨/٣.

(٢٣) نيل الاوطار للشوكاني ١٣٦/٥.

(٢٤) الفقه الاسلامي وأدلته ٦٤١/٣.

(٢٥) شرح الزرقاني على الموطأ ١٢٨/٣، وكشاف القناع على متن الاقناع للبهوتي ٢٩/٣.

(٢٦) لسان العرب، وتاج العروس، مادة (ختن)، والمجموع ٣٠١/١.

(٢٧) أخرجه البخارى، حديث رقم ٥٥٥٢.

(٢٨) المغنى لابن قدامه المقدسي ٨٥/١، وفيض القدير للمناوى ٤١٢٩/٣.

(٢٩) لسان العرب وتاج العروس، مادة (عتق)، ومغنى المحتاج ٢٩٣/٤، وكشاف القناع ٢٤/٣، وتحفة الودود ص ٤٩.

(٣٠) المغنى لابن قدامة المقدسي ٦٤٣/٨، ومغني المحتاج ٢٩٣/٤.

(٣١) بدائع الصنائع للكاساني ٦٩/٥.

(٣٢) بداية المجتهد لابن رشد ٧٩٥/١.

(٣٣) نيل الاوطار ١٤٩/٥ - ١٥١.

(٣٤) الموطأ للامام مالك (باب العمل في العقيقه) ٥٠١/٢، وشرح الزرقاني ٩٨/٣ ونيل الاوطار ١٥٢/٥.

(٣٥) أنظر تحفة الودود ص ٢٩، وبداية المجتهد ٣٤٠/١، وكشاف القناع ٢٥/٣.

(٣٦) المجموع ٦٤٥/٨، ونيل الاوطار ١٥٤/٥، وكشاف القناع ٣٤/٣.

(٣٧) الفقه الاسلامي وأدلته ٦٣٨/٣.

(٣٨) المجموع ٤٢٨/٨، والفقه الاسلامي وأدلته ٦٣٨/٣ - ٦٣٧.

(٣٩) المجموع ٤٢٨/٨، والفقه الإسلامى وأدلته ٦٣٩/٣.

سلامة طفلك

هناك تطلعات دائمة تبحث عن استقبال أطفال بصحة بدنية وعقلية يسعدون بحياتهم ويُسْعِدُون وطنهم .. فحماية أطفالنا هي حماية الجيل القادم كله فهم يمثلون جزءاً كبيراً وغالياً من حاضرنا وكل مستقبلنا فعليهم تعقد الآمال وترفع الرايات.



ومنذ قديم الزمان قالوا «الوقاية خير من العلاج» وعلى هذا فعلينا دراسة كل الوسائل الطبية الممكنة التي تقي أطفالنا شر الإصابة بالأمراض وحمايتهم منها:

- والاهتمام بالطفل يبدأ منذ مراحل تكوينه الجنينية الأولى في رحم الأم، فقد ثبت أخيراً بالأبحاث العلمية أن هناك عقارات خاصة يتحتم على الأم الابتعاد عنها وعدم تناولها طوال فترة الحمل وذلك لأنها قد تؤدي إلى فقد الجنين أو إلحاق تشوهات خلقية به أو ربما تؤدي إلى نقص في وظائف بعض الأجهزة الحيوية في الجنين.

- ومن هذه الأدوية الضارة بالجنين في فترة الحمل: الكورتيزون - التتراسيكلين - الأدوية المنومة والمهدئة وعلى رأسها كل الأدوية التي يدخل في تركيبها مادة المورفين.

- وأيضا يجب على الأم تجنب إصابتها بالحصبة الألماني في فترة الحمل وذلك يتحقق لها بأن تعطى تطعيم الحصبة الألماني قبل فترة الحمل وحديثا قبل الزواج وذلك لأنها تعتبر العدو الأول بالنسبة للأم حيث أنها يمكن أن تستقبل طفلا غريباً متخلفاً مصاباً بعيوب خلقية.

وقد ثبت أيضا أن الأم المدخنة تساهم بغير وعي في إلحاق الضرر بجنينها وذلك لأن المواد السرطانية الموجودة بالدخان يمكنها اختراق المشيمة والتأثير على وظائف الرئتين ويصاب الطفل بأمراض

بقلم: د. آمال أنور فكري - مصر



تنفسية ويلاحقه خطر الإصابة بالأورام وسرطان الرئتين.

كما أن الحالة النفسية للأم تؤثر على شخصية الطفل المستقبلة فالأم المضطربة نفسيا والمكتئبة تنجب طفلا عصبيا كئيباً أما الأم السعيدة تنجب طفلا متزناً نفسياً وقوى الشخصية. وأيضا التغذية الشاملة للأم تؤثر على الصحة البدنية للجنين فيمكننا تجنب ولادة طفل ناقص الوزن أو ضعيف. وعلى هذا فإذا تمسكت كل أم بهذه النصائح الطبية أثناء فترة حملها لعاد عليها هذا بالبهجة والفرح بطفل سليم في البنيان والعقل تماماً. أما بعد ولادة الطفل يجب علينا متابعته لكى نتجنب كل الأمراض التى قد تلحق به.

التغذية:

فالطفل السليم عند ولادته يكون وزنه تقريبا ثلاثة كيلوجرامات، لقد قيل في الأمثال «العقل السليم في الجسم السليم» وعلى هذا فإن تغذية الطفل منذ ولادته تُعد من أهم المواضيع التى تشغل بال الأم والمفروض هو أن يعتمد الطفل على الرضاعة الطبيعية من أمه وأن تبدأ هذه الرضاعة على الأكثر بعد ستة إلى اثنى عشرة ساعة بعد الولادة.

فالرضاعة الطبيعية هى صمام الأمان للطفل وقد كثر بحث الدول المتقدمة في هذا المجال ومحاولة العودة باللبن الطبيعى إلى مكانته الحقيقية وذلك لتصحيح مسار صحة أطفالنا بالوسائل العلمية السليمة ونعود بذلك إلى أهم وظيفة للأم والتى أشادت بها جميع الكتب السماوية والديانات والتقاليد والعرف الانسانى.

وإليك يا سيدتى بعض مميزات اللبن الطبيعي:

أولا: وجوده دائما في درجة حرارة طبيعية دون حاجة الى تدفئة أو تبريد إذ يأخذ اللبن حرارة جسم الأم الداخلية وهى الحرارة المطلوبة في الرضاعة لتسهيل عملية الهضم والامتصاص.

ثانيا: وجود اللبن في ثدى الأم يجرى في الحويصلات والقنوات اللبنية وعدم تعرضه للجو في أى مرحلة من مراحل تكوينه يكون دائما خالياً من أى ميكروبات أو عدوى، أى يكون معقماً حيث أنه يخرج من المنتج (الأم) إلى المستهلك (الطفل) دون وسيط.

ثالثا: إعطاء الطفل اللبن الطبيعى يحمى الجهاز الهضمى من النزلات المعوية ويعطيه الحماية والوقاية وزيادة مناعة الأمعاء ضد الأمراض.

رابعا: يحتوى اللبن الطبيعى على أجسام مضادة لكثير من الميكروبات البكتيرية والفيروسية المختلفة مثل فيروس شلل الأطفال والحصبة والانفلونزا.

خامسا: يحتوى لبن الأم على نسب جيدة من الفيتامينات والمعادن تكفى لحاجة الطفل اليومية وتساعده على النمو. فمثلا يحتوى على الكالسيوم والفوسفور والصوديوم وغير ذلك مما يساعد على نمو الطفل ولا يؤثر على الكليتين أثناء إفراز الأملاح الزائدة.

سادسا: وأهم ميزة هى العلاقة والترابط العاطفى النفسي للطفل والأم مما يكون له أبلغ الأثر بعد ذلك في نشأة الطفل وسلوكه التى أثبت العلماء أنها تتكون منذ اليوم الأول من ولادة الطفل الذى ينمو بين أحضان أمه مستفيداً بلبنها وإحساسه بدفء الحياة بين أحضانها أثناء فترات الرضاعة التى تتكرر من ٥ - ٧ مرات يوميا فتكون بالنسبة للطفل جرعة من الحب والحنان.

وقد ثبت أيضا بالأبحاث أن الألبان الصناعية ما هى إلا تقليد للبن الأم وتنقصها جميع مميزات

اللبن الطبيعي.

وقد وجد أن نسبة الأطفال المعرضين إلى أمراض سوء التغذية تكون كبيرة جداً مع الإهمال في تغذية الطفل وبخاصة إذا كانت تغذية صناعية.

ويحتاج الطفل أيضا ابتداء من سن شهرين أو ثلاثة أشهر إلى تغذية إضافية إلى جانب لبن الأم مثل عصير الفواكه وبعض الحبوب فعند ستة أشهر يُعْطَى الطفل صفار البيض بين وجبات الرضاعة. وعند سبعة أو ثمانية أشهر يعطى البسكويت والتوست وقطع العيش وعند ثمانية إلى عشرة أشهر يُعطى الأرز المسلوق وعندما يبلغ الطفل السنة الأولى يعطى قطعاً من الدواجن أو السمك أو الأرانب، أما اللحوم فلا يستطيع الطفل أكلها قبل ما يبلغ خمسة عشرة شهراً من ولادته.

وإذا حدث أن الطفل لم يعط من هذه الإضافات فهو يصاب بمرض من أمراض سوء التغذية فيمكن أن تفاجأ الأم بتورم فى كل جسم الطفل مع تغيير في لون الشعر وسقوطه وتوقف في النمو وتسلخات بالجلد وبخاصة عند ثنيات الأرجل وهذا المرض يسمى الأوزيما الغذائية Kwashiorkor وهو ينتج عن نقص البروتينات اللازمة لنمو الطفل.



وإذا نقصت كمية السعرات الحرارية بجسم الطفل فهذا يؤدى الى مرض آخر يسمى الهزال Marasmus وفيه يصاب الطفل بنقص تدريجي في الوزن ويفقد كمية الدهون التى تحت الجلد ويصاب بكرمشة الجلد والضعف العام، وعلى هذا يجب علينا أن نهتم جيداً بتغذية أطفالنا حتى لا نعرضهم لأمراض سوء التغذية والتى تمثل علامة الخطر وبخاصة في البلاد الفقيرة.

كثير من الأمهات يتساءلن هل الأفضل تدفئة الطفل وحجبه عن الشمس والهواء حتى لا يصاب فى مراحله الأولى بالبرودة أو أي ميكروب؟.

والإجابة على هذا التساؤل هى بأن الطفل يحتاج دائماً إلى التعرض إلى الشمس والهواء بالقدر الكافى يوميا. فأشعة الشمس تمده بفيتامين «د» الذى يحميه من مرض الكساح ويساعده على النمو الطبيعى والمشى. كما أن تعرض الطفل للهواء الدافىء يحميه من الإصابة بعدوى الأمراض التنفسية ويساعده على استنشاق الهواء النقي.

ويجب أن نشير أيضاً إلى موضوع التطعيمات



التى يجب إعطاؤها لأطفالنا كل تطعيم فى ميعاده ومن أهم هذه التطعيمات:

أولا: التطعيم ضد مرض السل وذلك في نهاية الشهر الأول من ولادة الطفل.

ثانيا: التطعيم ضد الدفتريا ومرض شلل الأطفال وذلك يتم على ثلاث جرعات في الشهر الثانى والرابع والسادس، ويجب أن نتوقف هنا لنوضح لكل أم كيفية ضمان نجاح هذا التطعيم بالنسبة لمرض شلل الأطفال. فهذا اللقاح يجب أن يكون محفوظاً في الثلاجات فى درجة رطوبة معينة وهى - ٤ تحت الصفر وذلك لضمان سلامته - ويعطى للطفل بالتنقيط في الفم، نقطتان في كل جرعة، ويجب التأكد من سلامة الجهاز الهضمى للطفل فلا يكون مصاباً بقىء أو إسهال عند التطعيم، ونتأكد من أن النقط قد نزلت في حلق الطفل، فإذا كان اللقاح المستخدم سليماً والطفل أيضاً سليماً نكون قد تجنبنا مرضاً قد يؤدى إلى عاهة مستديمة للطفل ونكون قد تجنبنا قلقاً نفسياً لأسرة بأكملها مدى الحياة.

وهناك تساؤل من بعض الأمهات والآباء هل الطفل المصاب بمرض شلل الأطفال يعطى التطعيم ضد المرض ثانية أم لا يعطى؟.

والإجابة هنا نعم، يعطى ثانية لقاح شلل الأطفال وذلك لأنه يمكن أن يصاب بنفس المرض ثانية حيث أنه يوجد ثلاثة أنواع من الفيروسات المسببة للمرض وعلى ذلك يمكن أن يصاب بأى نوع آخر من الفيروسات وفي أى جزء آخر. فيجب تطعيمه أيضاً رغم إصابته الأولى بالمرض.

ومرض شلل الأطفال يبدأ دائماً بسخونة عادية في الطفل وعلى ذلك فنصيحتى للأمهات والآباء بتجنب أي حقن للطفل لخفض درجة الحرارة وذلك لتجنب ضعف العضلات التى يحقن فيها فتصاب بالشلل لضعفها. ويجب عرض الطفل فوراً على الطبيب المختص.

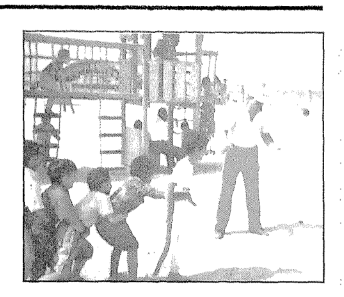
ثالثا: التطعيم ضد الحصبة تُعد له أهمية كبرى ويعطى التطعيم عن طريق الحقن تحت الجلد أو بالعضل في الشهر الخامس عشر من ولادة الطفل وهو يحمى الطفل من إصابته بالحصبة ومضاعفاتها حيث إنه يعطى للطفل وهو في حالة صحية سليمة بينما مرض الحصبة يصيب الطفل وهو ضعيف غير قادر على المقاومة ولذلك فالتطعيم أفضل من التعرض للمرض.

وأيضاً من أهم أمراض الصيف ما يسمى بالجفاف، والجفاف ما هو إلا فقدان كمية السوائل بداخل جسم الطفل وهو غالباً ما ينتج عن إصابة الطفل بالنزلات المعوية التى تتميز بالإسهال والقىء الشديد، فنجد الطفل متعطشاً للماء وجاف اللسان ويساعد عليه اشتداد حرارة الجو بخاصة في الصيف لأنها تساعد على عدم احتفاظ الجسم بكمية السوائل التى تخرج أيضا على صورة عرق.

ونصيحتى لك يا سيدتى هو عدم الإهمال في رضاعة الطفل المنتظمة وامداده بالسوائل مثل عصير الليمون الذى يساعد أيضاً على وقف الإسهال ومحلول الجفاف الذى يذاب في كوب من الماء سبق غليه جيداً فهو يعوض ما فقده الطفل من سوائل ويمنعه من الوصول الى حالة متأخرة أو مضاعفات للمرض.

ومن المجدى للطفل دائماً عرضه على الطبيب المختص بصفة دورية وذلك لتجنب إصابة أطفالنا بأي من الأمراض التى قد تلحق بهم وتسبب لهم الألم والعذاب.

تنمية الثقة في نفوس أطفالنا



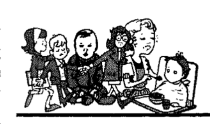
يعاني كثير من الافراد في عصرنا الراهن من فقدان الثقة بالنفس نظرا لما يمتاز به عصرنا من سرعة التغير المتلاحقة وعجز الانسان بامكاناته المتاحة عن بلوغ اهدافه وطموحاته، والشعور بفقدان الثقة بالذات يولد الشعور بالنقص والدونية.

ومن المظاهر السلوكية لفقدان الثقة بالذات التردد والتذبذب، حيث يجد الفرد صعوبة في الثبات على سلوك معين أو الاستمرار في اتجاه خاص فتراه يقدم خطوة ويؤخر أخرى، أو يقبل ويتراجع. ويجد صعوبة كبيرة في البت في الأمور وفي اتخاذ القرارات بنفسه دون مساعدة الآخرين كذلك فان من يفتقر الى الشعور بالثقة تجده يميل الى الحياء والخجل الزائد ولذلك يجد صعوبة في مواجهة الناس أو في التحدث امام مجموعة أو في مصاحبة الغرباء كما يميل الى العزله والانطواء.

ويؤدى فقدان الثقة بالنفس الى شعور الشاب بالشك في نفسه وفي نوايا الناس نحوه فهو يعتقد أن زملاءه أفضل منه في كل شيء وأن حظه قليل من المواهب والقدرات والمزايا الاقتصادية والاجتماعية الاخرى، ومثل هذا الشاب يفضل الاعتماد على غيره كالآباء والامهات والمعلمين والمعلمات والأخوة والاخوات، بل كثيرا ما يعتمد على اصدقائه، كذلك فانه يميل من الناحية النفسية الى بخس قدراته والتقليل من شأنها فهو يعتقد أنه أقل ذكاء من الآخرين، ولما كان مثل هذا الفرد يتوقع باستمرار الاخفاق والاحباط في كل مشاريعه فانه يتهرب من تحمل المسئولية مهما كانت بسيطة ويراها عبئا لا يحتمل ينوء به كاهله، ومن خصائص هذا الشاب أنه يصاب بالاحباط من أول موقف أو خطوه يجد فيها صدا. ولذلك فهو لا يستطيع الثبات أو المثابرة أو الاصرار والصلابة امام تحديات الحياة وانما يشعر بالاخفاق ويتراجع بسرعه.

وفاقد الثقة في نفسه يعجز عن التعبير عن ذاته أو الافصاح عن رأيه واتجاهه كما أنه يعجز عن التعبير عن قدراته ومواهبه وخبراته الحقيقية ولذلك يبدو في نظر الناس أقل كفاءة مما هو عليه في

بقلم: د. محمد عيسوى الفيومي - دكتوراه التربية - الصحة النفسية - مصر



الواقع وقد يؤثر عليه هذا الوضع حين يتقدم لشغل وظيفة ما أو عندما يرشح للترقية في وظيفة ما أو عندما يتقدم لخطبة فتاه.

كما يجد صعوبة في اقتحام المواقف الجديدة ويصعب عليه التكيف مع الخبرات الجديدة كما يحدث عندما يدخل مدرسة جديدة أو يلتحق بالجامعة لاول مرة أو ينقل الى وظيفة جديدة وكما يلاحظ عليه انه انسان هياب يخشى المواقف ويعمل للأمور البسيطة الف حساب.

ومن الناحية النفسية قد يلجأ فاقد الثقة في ذاته الى احد اساليب التعويض وقد يكون هذا التعويض ايجابيا وقد يكون سلبيا، فلكى يعوض عن شعوره بالنقص والضعف قد يمارس القوة والقسوة والعنف والشدة والحزم لكى يغطى ما يعتمل في نفسه من مشاعر النقص وقد يبالغ في أساليب جذب الانتباه اليه وذلك بأن يكثر من الانفاق على أصدقائه أو زملائه حتى يلتفوا حوله وقد يعجب بالشخصيات القوية ويسير في رحابها باستمرار وقد ينضم الى الجماعات المتطرفة تعويضا عما يشعر به من نقص وقد يحرص على معاشرة من هم أقل منه اجتماعيا واقتصاديا وعلميا أو من هم أصغر منه سنا حتى لا يشعر بالنقص والدونيه وقد يبالغ في ملبسه ومظهره وهندامه من قبيل التعويض والتغطية ومثل هذا الشخص تؤثر فيه خبرات الاخفاق والاحباط اكثر مما تؤثر في غيره من أصحاب الشخصية السوية ومن بين أساليب التعويض الايجابية افراغ الجهد للتفوق في العلم وفي التحصيل أو التفانى في العمل والترقى فيه أو النجاح في التجارة أو الصناعة أو الزراعة أو الاشتراك في المشاريع الخيرية والخدمات العامة والانشطة التطوعية.

ولعل القارىء الكريم يتساءل عن الأسباب والعوامل المؤدية الى فقدان الثقة بالذات؟

أسباب فقدان الثقة بالذات:

لا شك أننا اذا اردنا أن نفهم الشخصية وأن نحكم هذا الفهم فلابد أن نرجع الى الوراء، ونعنى بذلك العودة الى مرحلة الطفولة وما تعرض له الفرد من خبرات مواتية أو غير مواتية ذلك لأن الدراسات النفسية الحديثة قد اجمعت على أهمية مرحلة الطفولة وخبراتها في مرحلة الرشد والكبر واكدت أن هذه الخبرات تترك آثارا باقية طوال حياة الفرد وأن جذور الشخصية أو بذورها انما توضع في هذه المرحلة. ولا شك أن الطفل يتأثر بما يمر به من خبرات لأن عقله مازال غير ناضج ومازالت شخصيته مرنه سهله التطويع والصقل والتشكيل وهو شديد القابلية للايحاء ولذلك تترك خبرات الطفولة بصماتها وآثارها في أعماق الشخصية الانسانية.

ولقد دل البحث والتجريب أن خبرات الحرمان من الاشباع العاطفى والمادى ومن الدفء والحب والحنان وكذلك عدم اشباع حاجات الطفل المادية أو الجسمية قد يؤدى الى شعوره بفقدان الثقة في ذاته، كذلك فان ما يتعرض له الطفل أو المراهق من الصد والزجر والردع كلما اراد أن يعبر عن ذاته يولد فيه فقدان الشعور بالثقة بهذه الذات.

كذلك فإن التلميذ المنبوذ أي ذلك الطفل الذى لا ترغب فيه الاسرة وتشعره بالطرد والنبذ وعدم القبول أو أنه فوق حاجة الاسرة الاساسية من الاطفال يشعر بفقدان الثقة في ذاته وبالمثل فان الطفل الذى تحرمه الأسرة من التدرب على تحمل المسئوليات البسيطة يشب فاقدا للثقة في قدراته واستعداداته وذكائه العام. ومن الاساليب التربوية الخاطئة التى تؤدى الى فقدان الثقة بالذات الميل الى سب الطفل وتحقيره والتقليل من شأنه ومعايرته ومقارنته بالمتفوقين عليه من اخوته أو اخواته أو زملائه أو ابناء الجيرة يؤدى الى شعوره بفقدان الثقة في ذاته، كذلك فإن الاكثار من فرض العقوبات على الطفل وخاصة العقاب البدنى قد يؤدى الى أن يفقد الطفل الشعور بالثقة في نفسه والرضا عنها كذلك فان اهمال الاسرة للطفل وعدم الاهتمام به قد يولد فيه الشعور بالنقص.

ولا شك أن لخبرات الحياة دورا في الشعور

** فاقد الثقة في نفسه يعجز عن التعبير عن قدراته ومواهبه وخبراته .

** فقدُ الثقة يُلجيء صاحبه الى التعويض سلباً أو ايجاباً .

** الحرمان، تحقير الطفل وإذلاله أمام أقرانه، مصادرة حرية الطفل، التدليل الزائد، كل هذه تؤدى الى انتاج شخصية ضعيفة مهزوزة .

** إشعار الطفل بقيمته بين إخوانه، اعطاؤه شيئاً من حرية التصرف، تولد في الطفل الاحساس بوجوده وذاتيته .

** المجتمع له دوره في التربية سلباً أو ايجاباً .

بفقدان الثقة أو التمتع بها فاذا تكرر مرور الفرد بخبرات الاخفاق فانه قد تولد هذه المواقف شعورا عاما بفقدان الثقة في الذات، كذلك فإن ارتفاع مستوى طموح الفرد واتساع آفاقه بما يفوق مستوى قدراته وامكاناته الطبيعية يجعله عرضه لخبرات الاخفاق والاحباط حيث يضع لنفسه اهدافا كبيرة لا يستطيع الوفاء بها ولذلك يشعر بالاحباط.

وقد يوزع الفرد انتباهه وطاقته على عدد كبير من الأهداف في وقت واحد ومن ثم يكون مصيره الاخفاق فيها جميعا أو في معظمها ولذلك كان من الاهمية بمكان أن يضع الانسان لنفسه أهدافا وطموحات تتفق مع مستوى ما يتمتع به من القدرات والامكانات العقلية والنفسية والشخصية والجسمية والاجتماعية والاقتصادية. وقد يكون الضعف الجسمي أو الهزال أو الامراض المستمره وكذلك الضعف العقلي قد يكمن وراء شعور الفرد بفقدان الثقة وإن كان التوجيه السليم يؤدى الى اقناع الفرد بالرضا عن قدراته وامكاناته مهما كانت محدوده وبالرضا والقناعة بنصيبه من الرزق والكسب الحلال فالقناعة كنز لا يفنى وان الغنى الحقيقي هو غنى النفس ومن يعف فان الله يعفه وجدير بنا أن نستعرض للقارىء الكريم أساليب الوقاية والعلاج من هذه الحالة.

علاج الشعور بفقدان الثقة في النفس:

تؤثر خبرات الطفولة المبكرة في مدى شعور الفرد بالثقة في نفسه وعلى ذلك فان تربية الطفل تربية انسانية أو ديمقراطية تؤدى الى شعوره بالثقة في ذاته من ذلك احساسه بأنه يعامل على قدم المساواه مع اخوانه واخواته فيما له من حقوق وما عليه من واجبات ينمى فيه الشعور بالثقة في نفسه كذلك فان احساسه بالعدل وبتكافؤ الفرص وباحترام كيانه من شأن هذا أن ينمى فيه الشعور بالثقة في ذاته ومن الوسائل التربوية الهادفة اتاحة الحرية للطفل للتعبير عن رأيه وعن مشاعره دون صد أو زجر أو استهزاء.

كذلك فان احترام الطفل واشعاره بأنه مقبول ومرغوب فيه والاهتمام به دون مبالغة يؤدى الى تنمية شعوره بالثقة في ذاته والطفل لكي يشب واثقا من نفسه ينبغى أن تشبع حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية فيشعر بالحب والعطف والدفء والحنان كذلك لابد من تدريب الطفل منذ نعومة اظفاره على تحمل المسئوليات البسيطة التى تتفق مع قدراته واستعداداته فلا يكلف الله نفسا الا وسعها لأن تكليف الطفل بما لا طاقة له به يجعله يفشل، كذلك لابد من الاعتقاد بأن مواقف الحياة لا تخلو من التعرض للفشل والاحباط وعلى ذلك فلابد من أن يتعود الطفل ويتدرب على خبرة الفشل وقبولها حتى لا تؤدى الى اهتزاز شخصيته عندما يتعرض لها في حياته فيما بعد ويتعين أن نقف موقفا وسطا في التعامل مع الطفل فلا افراط في ممارسة القسوة والعنف عليه وفرض العقاب والصد والردع والزجر كذلك لا ينبغى أن تتسم معاملتنا للطفل باللين الزائد



والتدليل والحرية المطلقة وترك الحبل على الغارب والاذعان والخضوع لكافة مطالبه حتى لا يصبح «الدكتاتور أو الطاغية الصغير في المنزل» ويؤدى الوعظ الديني والارشاد واسداء النصح الى الثقة بالنفس فلقد كرّم الله بنى آدم وفي ضوء المدرسة الاسلامية فالناس كاسنان المشط لا فرق بين عربي أو عجمى الا بالتقوى. والناس سواسية في الحقوق والواجبات.

والرسول الكريم يعلمنا ان «المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو انى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قد قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم) فالمؤمن مطالب بأن يكون قويا في الحق شجاعا ايجابيا يتصدى للظلم بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان (رواه مسلم) ولابد أن يكون المؤمن ايجابيا فعالا يتحمل المسئولية ولا ينسحب من الحياة أو يتهرب من واجباته اهتداء بقول رسولنا الكريم «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والامير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (رواه الشيخان).

والرسول الكريم يدعونا للعدل بين الاولاد لقوله «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» متفق عليه كذلك فإن المسلم مدعو للجهاد لقول رسولنا الكريم «إن ابواب الجنة تحت ظلال السيوف» (رواه مسلم) والمسلم مدعو لكى يتحلى بالتواضع والحلم والثقة بنفسه وبأمته التى هى خير أمة أخرجت للناس جميعا تأمر بالمعروف وتنهى عن الفساد والمنكر والبغي.

وتستطيع أن تلعب المدرسة والجامعة والاندية والاذاعة والصحافة دورا هاما في تحرير الشباب من مشاعر النقص وفقدان الثقة بالذات وذلك عن طريق تحرير الفرد مما يكبل طاقاته ويغل يديه ويبدد جهده من المشكلات والأزمات والأمراض والالام النفسية ولا شك أن النجاح يقود الى نجاح أكبر ومن ثم الى تنمية الشعور بالثقة في الذات وعلينا ان نشجع الافراد على الاختلاط بالناس الصالحين وعدم الانزواء كما يتعين تشجيع الافراد على الانخراط في الاندية التي يخضع نشاطها للاشراف المنظم وكذلك جماعات الشبيبه والكشافة والرحالة كما يتعين علينا تشجيع الافراد على اكتساب العلم والمعرفة فقد دلت التجارب على أن نجاح الفرد ولو في تعلم بضع كلمات من لغة أجنبية تجعله يشعر بالثقة في قدراته كذلك يتعين أن تتنوع فرص العمل والنجاح امام الافراد.

فمن يتعثر في اكتساب العلم يجد ذاته في الأعمال الصناعية أو التجارية أو الزراعية أو السياحية في المشاريع الخاصة أو العامة وعلينا أن نشجع الفرد على أن يتعرف على امكاناته وقدراته معرفة عملية موضوعية وأن يقبل الحقيقة الهامة وهى أن هذه القدرات محدوده وليست مطلقة وانها بطبيعتها تختلف من فرد الى آخر وليس في ذلك ما يدعو الى الخجل أو الشعور بالعار لانها حقيقة طبيعية فلا عيب على الفرد ما دام يبذل قصارى جهده وما دام يحسن استغلال قدراته وامكاناته ويستثمر وقته بصورة حسنة فلا عيب على الفرد ما لم يركن الى اللهو والعبث والاستهتار ولذلك فلا ينبغى أن يقارن الآباء بين أبنائهم وأن يعايروا المتأخر منهم لان كلا منا عبارة عن وحدة مستقله في ذاتها ولا عيب عليه ما دام يبذل كل ما فى وسعه من طاقة وجهد وربما كان التكالب على الدنيا ومتاعها وشهواتها وطبيعة العصر الراهن من الاسباب التى تؤدى الى الفشل ومن ثم الى الشعور بفقدان الثقة في الذات.

فالدنيا زائلة وما متاعها الا متاع الغرور والزهد فيها يكسب صاحبه الشعور بالرضا والقناعة ومن ثم الثقة في نفسه والرضا عن رزقه.. فمن مهام التربية الحديثة نحو الفرد وتكوين الشخصية المتكاملة والمتوازنه. أن يتحلى المسلم بالايجابية وتحمل المسئولية وحب العمل والكفاح والنضال والجهاد في سبيل الله.

رعاية الطفولة وأثرها في الوقاية من الانحراف

التفسير الاجتماعي للانحراف:

تركز المحاولات الاجتماعية العلمية لتفسير الانحراف على البيئة الاجتماعية التي يولد فيها الفرد، وفي نطاقها يشب، وفي دائرة ظروفها وملابساتها ينمو وتتشكل انماط سلوكه، على اساس ما تلقنه البيئة، وما يلقاه فيها، وما يتعلمه منها. ونقصد بالبيئة الاجتماعية الاسرة والجيرة، والمدرسة، والرفاق، حيث تأخذ عملية التنشئة الاجتماعية مجراها بمراحلها الاولية والثانوية والموازية.

والتنشئة الاجتماعية الاولية تتم داخل نطاق الاسرة خلال سنوات العمر الستة الاولى، وهى مرحلة مغطاة، وهي اعمق اثرا في تكوين شخصية الانسان وسلوكه مما يعقبها من مراحل.

أما التنشئة الاجتماعية الثانوية فهي التي يتعرض لها الفرد خارج نطاق الاسرة: في المدرسة، ومع رفاق اللعب، وفي المسجد، والنادي، ومع رفاق العمل، والجيران، وهي مرحلة مكشوفة، وتستمر مع الانسان طوال حياته، وقد يتعرض خلالها لما نسميه «اعادة التنشئة» Resocialization بانتقاله الى مجتمع مغاير أو ثقافة مغايرة من اجل العلم أو العمل، راغبا أو مرغما.

والتنشئة الاجتماعية الموازية، نقصد بها جوانب التنشئة والتطبيع التى تسير موازية لأى من المرحلتين السابقتين، في الاسرة أو خارج الاسرة، وذلك عن طريق التعرض والمتابعة لبعض ما تعرضه اجهزة الاذاعات المرئية والمسموعة في البيوت أو دور العرض السينمائي والمسرحي خارج البيت، وهي قد تكون مؤكدة ومثبتة للتنشئة في الاسرة، وغالبا ما تكون معوقة أو متناقضة مع ما يقوم به البيت نحو النشء.

والتنشئة الاجتماعية في الاسرة، قد تكون ناقصة أو منحرفة عما ترتضيه ثقافة المجتمع الذي ينشأ فيه الطفل لكي يصبح مواطنا صالحا منتجا، وتعزى اسباب النقص أو الانحراف الى عوامل متعددة ومتباينة منها فقر الاسرة أو ثراؤها، ومنها ازدحام المسكن أو خواؤه، ومنها ترتيب الطفل بالنسبة لسائر اخوته واخواته، ومنها تعليم الام أو جهلها أو انشغالها بالعمل خارج البيت، أو استعانتها بالخدم أو دور الحضانة، ومنها كون الطفل وحيدا أو يعيش مع اخوة وأخوات، وتعرضه لنقص في الغذاء أو لسوء التغذية، وكونه يحمل عائقا جسميا أو حسيا، ظاهرا أو خفيا.

من هذا يتضح أن العمق الاجتماعي للانحراف يكمن فيما اسميناه بالتنشئة الاجتماعية بوصفها عملية اجتماعية اساسية مستمرة ومتواصلة، تبدأ مع المرء قبل مولده، وتظل معه، وتصاحبه خلال رحلة عمره، ومن خلالها تتشكل انماط سلوكه السوية وغير

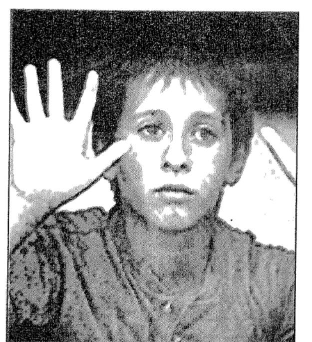
بقلم: د. ابراهيم خليفة ـ الرياض



السوية، واليها يرجع استقراره وأمنه وعبثه وتسيبه وانحرافه.

ومن القواعد المعروفة أن السلوك الانسانى كله مُتَعَلَّم، فالانسان يتعلم السلوك السوي ويتعلم السلوك غير السوي، وهو يتعلم كيف يعيش في جماعة ملتزما بعقيدة معينة وقيم معينة، وعادات وتقاليد معينة، كما يتعلم السلوك المنحرف من خلال انتمائه أو مخالطته أو عضويته لجماعة معينة، وقد يكون السلوك المنحرف حصيلة تنشئة اجتماعية ناقصة، وفي هذه الحالة يكون الخروج على المألوف والمتفق عليه وما ترتضيه الجماعة جهلا بكل ذلك أو بعضه.

وهكذا نجد أن عملية التنشئة الاجتماعية هي بمثابة حجر الزاوية في بناء الشخصية المنحرفة، وذلك عندما يتعلم الطفل مفاهيم خاطئة تتعلق بالعفة والامانة والنزاهة والشرف وما الى ذلك.



** الوالدان والأسرة الصغيرة يشكلون الصياغة الأولى للطفل.

مفهوم رعاية الطفولة:

يشير مفهوم الطفولة للمرحلة المبكرة من حياة الانسان، التي يكون خلالها في حالة اعتماد واضح على المحيطين به، كما يكون الطرف المستجيب لعمليات التفاعل من حوله، حيث يزود بالعادات والتقاليد والقيم والمعايير واساليب التفكير وانماط السلوك التي تسود المجتمع وتحددها ثقافته العامة وثقافاته الفرعية Subculture.

والطفل لديه قابلية سريعة للتأثر بما يدور حوله، ولذلك فإن حمايته من أي مؤثرات بيئية يعتبر أمرا ضروريا، وتمتد حاجة الطفل للرعاية لتشمل فترة الحمل باعتبارها فترة حاسمة، ومؤثرة على تكوين الجنين الحيوى عن طريق رعاية الأم صحيا وغذائيا.

والاطفال في فترة السنوات الستة الاولى من العمر، تنحصر صور الرعاية المباشرة لهم في نطاق الاسرة ودور الحضانة ورياض الاطفال. ونظرا لارتباط تغير الحاجات اللازمة لنمو شخصية الطفل بتغير النسق الاجتماعي والثقافي للمجتمع، في الوقت الذي تواجه فيه المجتمعات البشرية موجة جارفة نحو التغير الذى تعضده وتقويه خطط التنمية في المجتمعات النامية، فإن ظهور حاجات ومتطلبات جديدة للطفل وبصفة مستمرة في ظروف تلك التغيرات، أصبح من الامور المألوفة للباحثين المهتمين بشئون الطفل، وخاصة في نطاق المدن بوصفها أكثر الوحدات العمرانية تقبلا لمتطلبات التغير على المستوى الثقافي الاجتماعي، مما يؤدي الى ظهور بعض المشكلات التي تواجه الاطفال، وتستدعى وضع البرامج والسياسات الاجتماعية التي تكفل مواجهة ما يتعرض له الطفل من مشكلات أسريا وتعليميا وترويحيا وغذائيا وما الى ذلك من متطلبات حماية الامومة والطفولة ورعايتهما.

وتشكل الاسرة ـ عادة ـ اطار الرعاية لتنشئة الطفل اجتماعيا، ويصبح نمو الطفل المبكر بكل جوانبه استجابة مباشرة للخبرات التى يتعرض لها داخل الاسرة.

والطفل في المجتمعات الريفية، وخاصة في

الاماكن الاقل تقدما من النواحي التكنولوجية، ينشأ في أسرة واسعة النطاق تتضمن الآباء والاجداد والاقرباء وغالبا يعيش في الاسرة الواحدة ثلاثة اجيال متعاقبة، وفي هذا النمط من الاسرة تتقاسم الأم دورها في حضانة الطفل مع من يشاركها في المسكن من الاجداد والجدات والاقارب الكبار.

وبالتالي، وبعد أن تأثرت المناطق الريفية بعوامل التحديث والتحضر، وبعد أن اصبح الاتجاه نحو تكوين الاسر الاصغر نطاقا، فإن على المجتمع أن يرعى صحة الطفل وتعليمه والترويح عنه وتنمية قدراته وتلبية احتياجاته، آخذا على عاتقه تلك المهمات التى كانت تتولاها الاسرة الاوسع نطاقا، والتى لا تستطيع الاسر الاصغر القيام بها على الوجه الاكمل.

وكلما انتقلت مسئولية رعاية الطفل وتربيته من دائرة نفوذ داخلية الى دائرة اوسع، فإن مصلحة الطفل تستدعي المزيد من العمل على أن تقوم البيئة المحلية التي تعيش فيها الاسرة بالتوسط من خلال نشاطات محلية خاصة لاحداث تفاعل وتجاوب بين بيئة الطفل المباشرة أو الاسرة من ناحية، وبين المجتمع الذى يشكل المصدر البعيد للتنظيم والخدمات من ناحية أخرى.

وفي المجتمعات الصغيرة التى تتكون غالبا من مجموعات من الاسر الواسعة النطاق، يعرف كل فرد دور كل فرد آخر، مما يوفر للطفل الصغير بيئة اجتماعية غنية ذات شبكة متلاحمة من العلاقات، ويؤكد - في نفس الوقت - اهمية الدور الفعال الذى تلعبه البيئة المحلية في رعاية الطفل.

وللطفل حاجات جسمية ونفسية تتغير تدريجيا وبصورة مستمرة مع نمو وتطور الاساس التكويني الذى تُبْنَى عليه، وهو أساس فردي خاص لكل طفل، يتضح من خلال تنوع انماط النمو نتيجة التفاعل المعقد الذى يجرى بين النمط عند الولادة وكل ما يتعرض له الطفل من خبرات لاحقة، وعملية التفاعل بين الطفل الصغير وبين جميع المظاهر في بيئته القريبة، وهى عملية دينامية بالمعنى الزمني، فالبيئة اليوم تتفاعل مع الطفل الذى هو نتيجة تفاعلات الامس.

دور رعاية الطفولة في الوقاية من الانحراف:

كلما تقدمت بالانسان السنون، ازدادت الصعوبة في تقويم ما اعوج بسبب فعل الايام متمثلة في الوقائع والاحداث والظروف. كما انه يصعب التوصل الى تحديد واضح للفترات التي يمكن اعتبارها «مراحل حرجة» في النمو المبكر، وهي المراحل التي يحتاج الطفل خلالها الى أن يُستَجاب لبعض حاجاته بطرق معينة، أو أن يعرض لمؤثرات من نوع معين، أو الى أن يحصل على خبرات تعليمية يستخدم فيها مهارات سبق له أن تعلمها.

وقد يحدث أن تكون التنشئة الاجتماعية للطفل ناقصة أو منحرفة عما ترتضيه ثقافة المجتمع، وفي هذه الحالات تكون مهمة الرعاية محددة في عملية «اعادة تنشئة» هدفها مساعدة الطفل على استكمال ما فاته خلال مرحلة التنشئة الاولية أو في مستهل مرحلة التنشئة الثانوية، أو تصحيح مسار احدى هاتين المرحلتين بما يعيده الى حظيرة المجتمع، ويؤهله لكي يصبح مواطنا صالحا آمنا منتجا.

فالمرء - صغيرا أو كبيرا - قد يواجه موقفا اجتماعيا يفتقر الى القواعد الملائمة، أو أن تكون القواعد الخاصة ببعض المواقف الاجتماعية غامضة أو غير متفق عليها اتفاقا قاطعا واضحا، أو أن يناقض لديه الفعل القول فيما يقوله الآباء وما يفعلونه، أو فيما ينصح به المربون والمعلمون والاطباء والوعاظ وما يأتونه من افعال، وهنا يكون دور الرعاية هو اعطاء القدوة والمثل،

*** المجتمع المفتوح في المدينة يحمل كثيراً من التناقضات.**



وتحديد القواعد المتفق عيها وتوضيحها بمالا يدع مجالا للبس.

ولذلك فإن برامج رعاية الطفولة مدعوة لكى تتغلغل، وتصل الى حيث تؤدى عمليات التنشئة وظائفها، بحيث تكون رقيبا وموجها ومكملا ومصححا يقظا وواعيا بمكونات ومقومات وقواعد ومعايير الثقافة السائدة في المجتمع، وبوسائل ضبط عمليات التنشئة وفقا لها، وسرعة ادراك وتدارك أي خروج عليها بحيث تعاد الى مسارها كلما انحرفت، وتستكمل نقصانها لدى الذين يحرمون لسبب أو لآخر من التنشئة الاجتماعية المتكاملة.



** المجتمع الريفي أدواره متكاملة.

ويؤكد البحث الاجتماعي في مجال التنشئة الاجتماعية على ارتباطها بانحراف الصغار والكبار، فالأسرة مسئولة الى حد كبير عن تكوين نمط شخصية الفرد واستجاباته المستقبلية تجاه اهله ومجتمعه، بما قد تسببه الظروف العائلية من قلق أو حقد أو كراهية، وهنا تتضح اهمية الضبط القائم بين الطفل ووالديه، وموقف الطفل تجاه هذا الضبط، ومدى استجابته له، ونلاحظ أن الضبط القائم على القسوة والشدة قد يترك آثارا عكسية تشكل شخصية الطفل بصورة تنمي لديه الشعور بالذنب والخوف والنفور من السلطة وربما عدم احترامها أو الخروج عليها، ومن هنا تتضح اهمية التوعية والارشاد كعامل أساسي من العوامل التى تقوم عليها برامج رعاية الطفولة في مجال الاسرة كصمام أمن ووقاية من تخريج صغار حاقدين محرومين من العطف والحنان، جانحين متمردين على سلطة الآباء، وبعدها على أية سلطة أخرى من المجتمع والحياة.

والطفل الذي يشب وينمو في بيئة منحرفة يتعلم السلوك المنحرف وعدم احترام النظام والقانون من والديه، وهنا تتضح أهمية التربية الاسلامية الموازية في المسجد وفي المدرسة وعن طريق وسائل الاعلام: {وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا}.

ودور الرعاية الاجتماعية بالنسبة للصغار في مثل هذه الحالات، يكون عن طريق عدم تركهم لكى يعانوا من العزلة أو الشعور بالاغتراب، وذلك بتعويضهم عما يفتقدونه في البيت، وذلك بالحرص على دمجهم في جماعات رياضية وثقافية ودينية تنمي لديهم الثقة بالنفس والشعور بالقيمة الذاتية وتحقيق الذات والرضا عن النفس والتآلف مع الغير والقدرة على التعامل الايجابي البنّاء مع الآخرين.

أما في نطاق المجاورة أو الحي الذى يعيش فيه النشء فإن غياب وسائل الترويح السليمة والصحية والمشروعة، قد يترتب عليه اللجوء الى الاستنفاد غير اللائق أو غير المقبول أو غير المشروع لأوقات الفراغ، وليس معنى هذا بالضرورة أن توفر وسائل الترويح السليمة يمنع منعا باتا وقوع الانحراف، ولكنه - قطعا - يقلل الى حد كبير من احتمالات ودوافع وقوعه.

ولذلك، فإن دور الرعاية في هذا المجال يتلخص في العمل على توفير وسائل الترفيه والترويح البريء والصحي واللائق، وأمثلة - ذلك السباحة والرماية وركوب الخيل، ومساعدة الصغار لكي يتعلموها ويتباروا فيها، هذا بالاضافة الى النواحي الرياضية الاخرى التى يمكن أن يقبل عليها أبناء البوادي والارياف والمدن، وخاصة ما يتعلق منها بالتراث الشعبي التعبيري ذي الطابع المحلى المألوف

والمستحب والمقبول.

وهنا تبرز جماعة اللعب بصفتها الجماعة الاولية التي تنمو حولها أصول الدافع الاجتماعي في المراحل الاولى من تكوينه، وهو الدافع الذى يشكل الذات الاجتماعية للطفل، ويربطه بجماعة معينة بروابط الولاء، والانتماء، والتعاون والتسامح، وتبادل الادوار، والاسهام المستمر المشترك، والشعور بالالفة والتآلف.

ويلاحظ في هذا المجال أن فشل الاسرة بمهمة الضبط والانضباط، وفشل المجاورة أو البيئة المحلية في توفير وسائل الترويح الملائمة قد يترتب عليه تكون جماعات طائشة منحرفة تسلك سلوكا جانحا، وينخرط في انشطة تخريبية أو تتهافت على اشكال ترويحية مستوردة ظاهرها الترويح والترفيه غير أنها كثيرا ما تنطوى على عنصر المقامرة والمضاربة، وتنمى بطريق غير مباشر بعض مظاهر التسيب والانحراف.

وينحصر دور القائمين على شئون الرعاية فى ضرورة توفير الوسائل المانعة والواقية من ظهور مثل هذه الانشطة والتجمعات، وذلك عن طريق توفير الوسائل البديلة المشروعة والمستمدة من قيم الجماعة وتراثها وتقاليدها، وهنا تبرز اهمية التوصل عن طريق البحث الاجتماعي العلمي الى الانماط الترويحية العربية والاسلامية الاصلية، وعلى اقسام الدراسات الاجتماعية بالجامعات العربية والاسلامية يقع عبء القيام بهذا الدور الذى اصبح ملحا، وقد آن لجامعاتنا أن تكون بحق مراكز لخدمة المجتمع.

الاسلام ورعاية الطفولة:

طفل اليوم هو رجل الغد، وطفلة اليوم هى زوجة المستقبل وأم الاجيال القادمة، ولذلك عنى الاسلام بتكوين الاسرة الصالحة حفاظا على الطفل حتى قبل ميلاده، وذلك بتهيئة العوامل المسببة لصحة جسمه، وسلامة بنيته، ورجاحة عقله، فحث على اختيار الزوجة الصالحة: قال الرسول {صلى الله عليه وسلم} «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (البخاري ومسلم).

**** القدوة والمثل الأعلى ضرورة ملحة لاستقامة التربية.**

وبعد مولد الطفل يحرص الاسلام على أن تكون رضاعته حولين كاملين: قال تعالى: **{والوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة}** (سورة البقرة/ ٢٣٣).

وعندما يشب الطفل وينمو ويقوى عوده، يوصى الاسلام بأن تتاح له فرصة تعلم الرماية والسباحة وركوب الخيل، وسائر انواع الرياضات التى تفيده وتصلحه، وذلك استمرارا لضمان لياقاته البدنية، وتنمية قدراته، وغرس حب الشجاعة والاقدام لديه، وتدريبه على التحمل، وتعويده على أن يكون صاحب «النفس الطويل» لتحقيق غاياته واهدافه، واحراز قصب السبق بالوسائل المشروعة في ميادين الحياة.

اما من ناحية التفاعل الاجتماعي في محيطه، فإن الاسلام يحرص على أن يوجه الطفل توجيها سليما نحو ربه واهله وأترابه والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه داخل الاسرة، وخارج نطاق الاسرة، وفي المجتمع العام، حتى يطابق سلوكه أو يقارب السلوك الاجتماعي الذي ترتضيه الجماعة، ويتقبله المجتمع، ويرضاه الله. قال تعالى: **{وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنيَّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، ووصينا الانسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير، وإن جاهداك على أن تُشْرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا}** (لقمان/ ١٣، ١٤، ١٥)، ويقول الله تعالى في نفس السورة: **{يا بُنَيَّ أقم الصلاة وَأْمُرْ بالمعروف وَانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الامور، ولا تُصَعِّر خدك للناس، ولا تمش في الارض مرحا، إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد في**

مشيك، واغضض من صوتك، إن أنكر الاصوات لصوت الحمير} (لقمان/ ١٧، ١٨، ١٩).

كما يوصي الاسلام بضرورة معاملة الطفل معاملة حسنة، ويقول الرسول الكريم [صلى الله عليه وسلم] «من كان له صبي فليتصاب له» (الترمذي).

هذا وقد وضعت قواعد الشريعة الاسلامية معايير محددة لحماية حق الطفل تجاه والديه وتجاه الدولة بشكل محدد وشامل بالنسبة للطفل السوي، منذ كونه جنينا في بطن أمه الى أن يصبح قادرا على رعاية نفسه بنفسه، وبلوغه سن الرشد. كما اهتمت الشريعة الاسلامية بالاطفال غير الأسوياء، بمعنى الاطفال المعوقين جسديا وعقليا ونفسيا، حفاظا على ذواتهم واموالهم، وفي كل الحالات تثبت الشريعة الاسلامية للطفل قبل ولادته أهلية ناقصة، وتلزم بحفظ حقه في تركة مورثه، ويعتبر وارثا مؤقتا.

وإن كانت الأم ملتزمة بارضاع طفلها حرصا على عدم هلاكه، وتنفيذا لقوله تعالى: {والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة} (سورة البقرة)، فإن الاب - أيضا - ملتزم بالنفقة على الأم اثناء الزواج، وكذلك في حالة الطلاق، قال تعالى: **{وإن كُنَّ أولات حمل فأنفقوا عليهنَّ حتى يضعْنَ حملهن، فإن أرضعن لكم فآتوهنَّ أجورهنّ}** (سورة الطلاق/٦).

وتختص الأم بحضانة طفلها وفي حال وفاتها تنتقل الحضانة بعدها الى محارم الطفل، أو اقارب أمه ثم أقارب أبيه. واحتضان الطفل حق مطلق للطفل وليس للحاضنة، وشروط الحاضنة أن تكون بالغة، عاقلة، أمينة، وما الي ذلك.

ويستحق الطفل على أبيه نفقة المعيشة اللازمة لطعامه وكسوته ومسكنه وتعليمه وسائر مستلزمات الحياة، ويلتزم الأب بنفقة الطفل سواء أكان موسرا أو فقيرا، يقول الله تعالى: **{وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف}** (سورة البقرة/ ٢٣٣).

التوصيات:

١ - اعطاء المزيد من العناية بالطفولة في مرحلة التنشئة الاجتماعية الاولى أي سنوات ما قبل الالتحاق بالمدرسة.

٢ - تأكيد الحرص على اختيار الزوجة الصالحة المدركة والمدربة على واجبات الامومة كما يقرها الاسلام ويؤيده فيها العلم الحديث، وفي مقدمتها حق الرضاع الطبيعي للطفل حولين كاملين أو ما يقرب من ذلك، حرصا على لياقة الطفل البدنية ونموه السليم مستقبلا.

٣ - توفير الرعاية للامهات العاملات بما يكفل لهن التفرغ الكافي لمواليدهن خلال السنة الاولى على الأقل، على أن تشارك الدولة قدر المستطاع في العبء المادى وتكاليف تلك الرعاية، على اساس أن مشاركة الدولة هي في حد ذاتها استثمار بشري لطاقاتها المستقبلية.

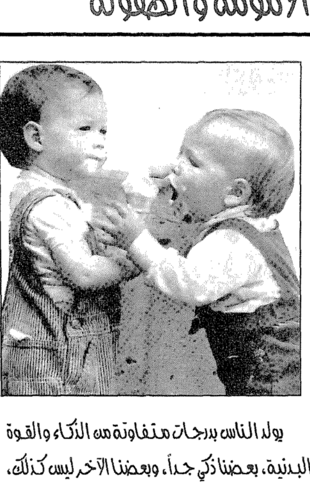
٤ - تأكيد أهمية التوصل عن طريق البحث الاجتماعي العلمي الى تحديد واضح للانماط الترويحية الاسلامية الاصيلة ومطالبة اقسام الدراسات الاجتماعية بالجامعات بالقيام بدورها كمراكز لخدمة المجتمع.

٥ - إبراز أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به مؤسسات الرعاية الاجتماعية في مراكز التأهيل المهنى للاحداث والمعرضين للانحراف، ومراكز مكافحة التسكع والتسول.

** التناقض الحاد بين القول وواقع الحياة أدى إلى كثير من الخلل في سلوك الأفراد.

** طفل اليوم هو صاحب القرار الخطير غداً، حسن رعايته هو حسن رعاية ذلك القرار.

الطفل العدواني في المدرسة والبيت



يولد الناس بدرجات متفاوتة من الذكاء والقوة البدنية، بعضنا ذكي جداً، وبعضنا الآخر ليس كذلك، ولكن معظمنا متوسط الذكاء. وعلى النحو نفسه بعضنا قوي الجسم، والبعض الآخر ضعيف. ولكن معظمنا متوسط القوة البدنية.

ومن الناحية النفسية أيضاً البعض قوي والبعض الآخر ضعيف. ويقع معظمنا بين هؤلاء وأولئك. وهذا العامل النفسي على درجة كبيرة من الأهمية لأنه الأساس الذي يقوم عليه أداؤنا الجسمي والعقلي. فإذا كنا فرحين وسعداء فإننا نقبل على الحياة بقلب مفتوح وعلى العمل بحماسة. وإذا كنا محزونين فإننا نشعر بالاكتئاب إلى درجة قد تشلنا عن الحركة.

ومن الأطفال من يماثل غيره في درجة الذكاء والقوة البدنية ولكننا نجده غير ناجح في المدرسة أو في علاقاته الاجتماعية. هنا لابد من الاعتراف بأن الظروف الحياتية لهذا الطفل تركت أثراً واضحاً في نفسه فجعلته يتخلف عن أقرانه في التعلم وفي الاستمتاع بالحياة. ولعلنا نجد إخوة هذا الطفل قادرين على مواجهة الحياة بقوة وعزم في حين نجده يواجه الحياة بصعوبة وعناء. ويصف علماء التربية هذا الطفل بأنه ذو شخصية هشة وأنه حساس إلى درجة تجعله عرضة للتأثر المفرط بكل ما يمر به من خبرات حياتية ومدرسية واجتماعية.

وتتحدد شخصية أي واحد منا في أي مرحلة من مراحل الحياة بدرجة الهشاشة التى ولد بها ونشأ عليها في السنوات الأولى من طفولته. ومن الواضح أن الأشخاص ذوي الشخصية الهشة يجدون صعوبة في التكيف ويتكشفون عن أنماط من السلوك غير السوي. وغالباً ما تكون العلاقة بين الأم والابن علاقة صعبة إذا كان أحدهما ذا شخصية هشة، وإذا كان لكليهما هذا النوع من الشخصية

بقلم: د. زياد الحكيم - لندن

فإن العلاقة بينهما تكون في أغلب الأحيان علاقة ضعيفة يعوزها الوضوح والحزم.

وإذا وجد هذا الطفل الهش نفسه في وضع صعب فقد تكون استجابته إما عنيفة وعدوانية وإما سلبية. وقد يجد الطفل العدواني نفسه يميل إلى الانسحاب. وقد يكون السبب في ذلك أنه هو أيضاً يجد صعوبة في إقامة علاقات مثمرة مع الآخرين نظرا إلى الهشاشة في تكوينه النفسي. ولكن إذا قبلنا بنتائج بعض الدراسات التى تقول إن الطفل العدوانى يميل إلى الشعور بالقلق ولا يعانى من هشاشة في شخصيته فإن سلوك الطفل العدواني يمكن أن يفسر بأنه سلوك أنانى. فهو لا يكترث لمشاعر الآخرين لأنه منشغل بنفسه وعالمه الداخلي.

من هو الطفل العدواني؟:

هو الطفل الذي تمتلكه رغبة قوية في السيطرة على الأطفال الآخرين واصدار الأوامر إليهم وإذلالهم إذا شعر بأنهم أقل منه قوة أو أصغر منه سناً. وهو يفعل ذلك لشعور ضمنى بأنه في عالم يعاديه وبأنه إذا لم يمارس عدوانيته فإنه قد يغدو ضحية لعالم قاس لا يرحم. ولذلك تجده لا يتعاطف مع الطفل الضحية الضعيف ويقنع نفسه بأن الطفل الضحية يستحق الوضع الذي هو فيه.

ويقع جانب من المسؤولية عن تنمية هذا الشعور عند الطفل على الأهل الذين لا يرسمون حدوداً لسلوكه وإنما يشجعونه على ممارسة العدوانية ظناً منهم أن العدوانية مظهر من مظاهر الشخصية القيادية القوية. وربما يكافئون هذه النزعة عند الطفل بشراء الهدايا له كدراجة أو كومبيوتر أو بإشعاره بأنه ذو هيبة وسطوة.

ويظهر الطفل العدواني افتقاراً واضحاً للاحساس بالخطأ والصواب. وترجع مسؤولية ذلك أيضاً إلى الأهل الذين لا يرسمون لأطفالهم الحدود الفاصلة بين السلوك المقبول والسلوك غير المقبول ظناً منهم أن رسم هذه الحدود يقيد الطفل ويحد من قدرته على الإبداع.

من هو الطفل الضحية؟:

يعاني الطفل الضحية من درجة لا يستهان بها من عدم الشعور بالأمان. وهو كثير الحذر والحساسية ويميل إلى الهدوء ولا يظهر قدراً كبيراً من الإحترام لذاته والثقة بنفسه. ولذلك نجد أن له عدداً صغيراً من الأصدقاء. وهنا أيضاً نجد أن الأهل والمعلمين يتحملون قدراً من المسؤولية في تغذية الشعور بعدم الأمان عند الطفل بتحديد أهداف غير واقعية وبدفع الطفل دفعاً إلى تحقيقها. وهم يدفعون الطفل الى الهدوء والحساسية المفرطة وانخفاض درجة احترام الذات بالمغالاة فى ردود أفعالهم لأخطائه وبرفضه وعزله والتشدد في معاملته. وقد يعود السبب في سلبية الطفل إلى ميل الأهل المفرط إلى حمايته لأنه الطفل الوحيد مثلا أو لأنه ضعيف البنية أو لأن الأهل يجدون لذة في الشعور بأنهم يقومون بما يجب أن يقوموا به من حماية للطفل.

طبيعة النزعة العدوانية:

يظهر جميع الأطفال قدراً من النزعة العدوانية، ولكن ليس جميع الأطفال عدوانيين، ويتفرد الطفل العدواني بما يلي:

- رغبة واضحة في إيذاء الآخرين: فالطفل العدواني يدرك أنه يلحق الأذى بالآخرين. وهو لا يمارس النزعة العدوانية كوسيلة للعب أو للاستيلاء على ما يمتلكه الأطفال الآخرون أو للدفاع عن نفسه، ولكنه يمارس العدوانية حباً في إيذاء الآخرين. وهذا يحدث في أي عمر.

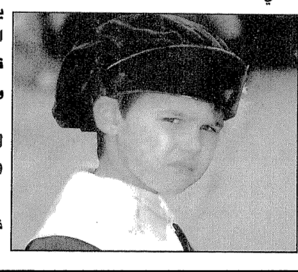
** الطفل العدواني والهش نتاج مباشرة لنظام التربية في الأسرة

- متعة في إيذاء الآخرين: بالرغم من أن جميع الأطفال يمارسون العدوانية من وقت إلى آخر إلا أن معظمهم يندمون على هذا السلوك ويعبرون عن الندم. أما العدوانيون فيهم لا يأسفون على ما يفعلون ويبدو أنهم يستمتعون بالازعاج الذي يسببونه للآخرين، وهم يجدون في ممارسة العدوانية تعزيزاً لاحساسهم بالثقة وتحقيق الذات.

- القوة مقابل الضعف: يمارس الطفل العدواني سلوكه غير السوي كلما سنحت له الفرصة فوجد طفلا لا يستطيع الدفاع عن نفسه فينزل به كل ما يستطيع من ضروب العدوان البدني واللفظي والطفل العدواني طفل كبير الحجم وقوي البنية يثير وجوده الرعب في قلوب الأطفال الآخرين. ولكن من الواضح أنه ليس كل طفل كبير الحجم وقوي البنية طفلا عدوانياً.

وفي بعض مراحل التطور البدني والنفسي يبدي جميع الأطفال ميلا إلى العدوانية وهذا جزء من عملية النمو الطبيعي. فالطفل يحاول أن يعرف بالتجربة إلى أي مدى يسمح له بممارسة العدوانية وعلى هذا الأساس يعدل من سلوكه. وهذا يعني أنه عند كل الأطفال استعداد لأن يكونوا عدوانيين. وقد يكون للعدواني خصال أخرى جديرة بالتشجيع والإعجاب. فقد يكون ذكياً وقد يتصرف تصرفاً حكيماً أثناء وجود المرشدين أو المشرفين. ولكنه إذا ترك وشأنه فإنه يمارس سيطرته على من يجدهم أضعف منه. وهو يثير الخوف في قلوب الأطفال الآخرين لميله الدائم الى التسبب في إزعاجهم وإشعارهم بالضعف. وحتى إن لم يكن موجوداً ترى زملاءه يخشون خطره.

ويلجأ العدوانيون إلى أساليب أخرى من السلوك غير المقبول اجتماعياً. فهم يسرقون ممتلكات المدرسة أو يتلفونها ويتشاجرون مع المعلمين والإداريين. وهم يشجعون الأطفال الآخرين على اكتساب موقف سلبي من المدرسة وهم السبب الرئيسي في دفع الأطفال إلى التغيب عن المدرسة، وقد يصاب العدوانيون والضحايا أيضاً بمشكلات نفسية خطيرة. فهم قد يصابون بالاكتئاب المرضي لشعورهم بالذنب. وعندما يبلغون سن المراهقة تجدهم قد انعزلوا عن المجتمع ولذلك فإنهم إذا لم يتلقوا ما يكفي من المساعدة الطبية والنفسية والاجتماعية قد ينقلبون إلى لصوص ومجرمين حقيقيين.



النزعة العدوانية في المدرسة:

تظهر النزعة العدوانية في جميع المدارس وفي

جميع الأعمار. ولا فائدة من أن تنفي مدرسة من المدارس وجود هذه المشكلة فيها.

- تمارس النزعة العدوانية في السر: وهذا لأن الطفل العدواني يدرك إدراكاً واضحاً أن المدرسة والمجتمع لا يقبلان بعدوانيته ولأن الطفل الضحية يشعر بالخجل من وضعيته الدونية وبالخوف من الابلاغ عما يحدث له لمعلم الصف أو لأبويه. ولذلك لابد من مواجهة هذه المشكلة في المدرسة بنشر الوعي بوجودها وبتكليف كل واحد في المدرسة، كبيراً كان أو صغيراً، بدور للكشف عن مظاهر المشكلة والابلاغ عنها. وبذلك تفقد العدوانية تلك الأماكن السرية التى تمارس فيها وتظهر للعيان بحيث يمكن معالجتها بالاسلوب الصحيح.

- تمارس النزعة العدوانية في كل المراحل المدرسية: فهي تمارس في المدارس التحضيرية والاعدادية والثانوية وإن كان ذلك بدرجات متفاوته وأشكال مختلفة. ففي المراحل المدرسية المتقدمة تأخذ العدوانية الطابع اللفظى أكثر مما تأخذ طابع العنف الجسدي. **ولذلك من المرغوب فيه الفصل بين التلاميذ حسب أعمارهم. فالمزج بين التلاميذ الكبير منهم والصغير في غرفة الصف الواحدة أو في الملعب قد يولد ظروفاً مؤاتية لممارسة التلاميذ الكبار عدوانيتهم على التلاميذ الأصغر سناً.**

- وقد تمارس النزعة العدوانية في الطريق ما بين البيت والمدرسة، فالطفل المعتدي قد يتربص بالطفل الضحية إذا كان هذا الطفل الأخير يسلك طريقاً معيناً من البيت الى المدرسة أو العكس.

- وحافلة المدرسة مكان مناسب للطفل المعتدي لممارسة عدوانيته لأن الحافلة تنقل مجموعات كبيرة من الأطفال من أعمار مختلفة وبدون إشراف كاف من الكبار. ولذلك كان لابد من تدريب المشرفين على نقل التلاميذ تدريباً كافياً. ويجب أن لا يظن أن سائق الحافلة يستطيع أن يشرف وحده على الأطفال أثناء قيادته السيارة.

- وتمارس النزعة العدوانية في معظم اشكالها أثناء فترات الاستراحة وفترة الغداء. فهنا يتجمع التلاميذ في مجموعات كبيرة وفي أعمار مختلفة وبإشراف قليل نسبياً. وغالباً ما تعتبر إدارة المدرسة أن هذه الفترات يمكن الإستفادة منها في إعطاء فرصة للمشرفين والمعلمين للاستراحة. وغالباً ما تغفل الإدارة عن المشكلات التى تنشأ أثناء هذه الفترات ويعانى منها عدد غير قليل من التلاميذ.

أشكال العدوانية:

- الضرب: غالباً ما يلجأ الطفل العدواني إلى

** الفوارق الاجتماعية والبيئة المتباينة مناخ مناسب لظهور العدواني والضحية.

** الطفل العدواني يفتقد الحس بالخطأ والصواب.

** الأسرة التى لا ترسم لأطفالها الحدود الفاصلة بين المقبول وغير المقبول تكون قد جنت على اطفالها.

** ممارسة العدوانية تحقيق لذواتهم في الغلبة والتسلط. ** كل الأطفال لديهم الاستعداد للعدوانية.

ضرب ضحيته ولكمه مما يترك آثاراً واضحة للعيان. فآثار الضرب والعض تقف دليلا واضحاً على أن الطفل الضحية تعرض للاعتداء عليه. ولكن يجب أن نذكر أيضاً أن الطفل قد يتعرض لكثير من الضرب دون أن يترك ذلك أثراً على جسمه. ويكتسب الطفل المعتدي شعوراً ممتعاً بالتفوق والقوة والسيطرة. وقد تدفع الحاجة إلى هذا الشعور بالطفل العدواني إلى ارتكاب حماقات تقترب أحياناً من حد الجريمة.

- الشتم: قد يسبب الشتم ضرراً كبيراً في عملية النمو النفسي عند الطفل الضحية لأن الأطفال الصغار في مرحلة من أعمارهم يشكلون فيها هويتهم الخاصة. ولذلك فهم أكثر تحسساً للكلمات الجارحة التى يمكن أن تنال من احترامهم لأنفسهم وثقتهم بامكاناتهم. وهم بحاجة ماسة إلي كل الدعم والتشجيع الذي يمكن أن يحصلوا عليه. والطفل بلا شك ليس بحاجة إلى الانتقاد اللاذع ولا إلى التعليقات الجارحة. وهو قد يشعر بالقلق على مظهره وملبسه وعلى وضعه الصحى وقوته البدنية وقدرته على اللعب وعلى الانجاز على الصعيد المدرسي. ولهذه الأسباب يترك الشتم والتعليقات الجارحة أثراً قد لا يمحي في النسيج النفسي للطفل.

- التعليقات التى تأخذ الطابع العنصري: وهذه التعليقات لا تنال من الخصائص الفردية للطفل الضحية فقط ولكنها تنال من كل الخصائص الأخرى التى تشكل شخصيته واحترامه لذاته: أسرته وثقافته وبيئته وأصله. ويسخر الطفل العدواني من هذه الخصائص جميعاً وهو يهدف إلى جعل الطفل الضحية يشعر بالخجل منها.

- الإيماءات والإشارات: وقد يلجأ الطفل العدواني إلى استعمال أصابعه أو رأسه أو عينيه في ايماءات وإشارات تلحق الأذى النفسي بطفل آخر فيشعره بالدونية أو بالعجز أو بالخطر. ولا جدال في أن هذا النمط من التهديد الذي يمارسه الأطفال العدوانيون في الصف عندما يكون المعلم ملتفتاً إلى السبورة يسبب الحرج والإحباط للأطفال الضحية.

- التهديد: قد يلجأ الطفل العدواني إلى الاستيلاء على الممتلكات الخاصة للطفل الضحية من أقلام وكتب وآلات حاسبة ثم يهدد الطفل الضحية بأنه إذا أبلغ المعلم أو أبويه فإنه سيكون عرضة للضرب أو الشتم.

- محاصرة الطفل الضحية أو عزله: وهذا يلحق أذى كبيراً بالطفل الضحية. فالأطفال لا يذهبون إلى المدرسة ليتعلموا القراءة والكتابة والحساب فحسب، ولكنهم يذهبون إلى المدرسة أيضاً لاكتساب الشعور بأنهم أفراد في جماعة. ولذلك فإن تشكيل صداقات والحصول على تشجيع من الأصدقاء عنصران أساسيان من عناصر النمو النفسي للطفل. ويترتب على ذلك أنه إذا شعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه بين زملائه في المدرسة وبأن زملاءه يتحاشون اللعب والحديث معه فإنه قد يصاب بصدمة نفسية تفقده



احساسه بأهميته وثقته بنفسه وتدفعه الى الانطواء على ذاته ليجتر ألم الشك في امكاناته. والطفل العدواني يدرك مدى الضرر الذي يمكنه أن يلحقه بالطفل الضحية عن طريق عزله عن الجماعة. ولذلك فهو لا يألو جهداً في نشر الشائعات الكاذبة عن الطفل الضحية وفي إطلاق التعليقات المهينة عليه فَيُنَفِّر التلاميذَ الآخرين منه.

كيف نساعد الطفل العدواني والطفل الضحية؟:

- تعزيز احترام الذات:

الفشل جزء لا يتجزأ من الخبرات التى يواجهها الطفل في البيت والمدرسة والشارع. ولذلك لابد من تعليم الطفل كيف يتعامل مع التجربة الفاشلة دون أن تترك تلك التجربة أثرا ضاراً في نفسه ودون أن تدمر احترامه لنفسه. ويقول علماء التربية إن الطفل الذي يعانى من انخفاض في درجة احترامه لنفسه لا يستطيع التعامل مع الفشل ولا يستطيع تشكيل صداقات مع غيره من الأطفال. ويترتب علي ذلك ظهور مظاهر العدوانية أو الانسحاب على سلوكه. فيتخلف في تحصيله المدرسي ويكتسب صورة سلبية عن نفسه.

ولذلك فالمرحلة التى تسبق المرحلة المدرسية الأولى هى على جانب كبير من الأهمية. والطفل ذو الشخصية الهشة بشكل خاص بحاجة إلى توجيه كاف في اكتساب مهارات الاتصال مع الآخرين والتفاوض معهم. وهو بحاجة إلى أن يبدأ بداية

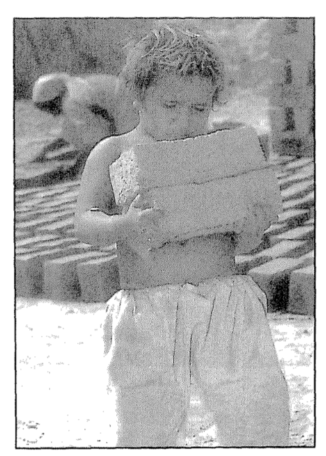
*** المدرسة نظام اجتماعي لتعديل السلوك المتطرف.**

يحقق فيها احساساً بأنه ناجح ومقبول ومحبوب وليس من الصعب التعرف إلى الطفل الذي يشعر بأنه قليل القيمة. فهو بحاجة دائمة الى طمأنته بأنه محبوب وبأنه يقوم بواجبه على الوجه الأكمل. فتراه يأخذ دفتره إلى المعلم عدة مرات في الحصة الدرسية لمحاولة التأكد من أن المعلم يستحسن ما يقوم به من عمل وتراه كثير التردد فلا يقدم على عمل إلا إذا شعر بأنه أخذ الضوء الأخضر من أهله ورفاقه.

- تحديد مثل أعلى للطفل يسعى إلى تحقيقه: ويشترط أن يكون هذا المثل الأعلى هدفاً ذا قيمة وممكن التحقيق. فالطفل إذا أخفق في التوصل الى الهدف فإنه يشعر بالإحباط والتعاسة. وهذا شيء طبيعى إذا بقي هذا الشعور في الحدود المعقولة. أما الطفل ذو الشخصية الهشة فإنه يغالي في هذا الشعور إلى درجة الغضب والاكتئاب أو الانسحاب والانعزال، وهو يشعر بأنه فقد قيمته كإنسان لعجزه عن تحقيق الهدف. ومن أجل تجنب هذا الاحساس الأليم بالفشل لابد أن نحدد الأهداف التي نضعها لأطفالنا تحديداً واعياً وذكيا.

هل نشجع الطفل على أن يطور مواهبه العلمية أو الفنية أو الرياضية؟ أم نريده أن يتوجه إلى الجانب العلمي في الحياة فيغدو عاملا في مصنع أو فلاحاً في حقل؟ ويجب أن نبحث لنعرف إن كانت هذه الأهداف قابلة للتحقيق. فالهدف المعقول لطفل من الأطفال قد لا يكون معقولا ولا قابلا للتحقيق لطفل آخر.

المدنية الغربية تنتهك الطفولة وتغتال البراءة



الإنسان أغلى ما في الوجود وفي طليعة الإنسان تقف الطفولة .. أمل اليوم وبرعم المستقبل وعناصر بنائه .

تنص المادة «٣٤» من الاعلان العالمي لحقوق الطفل الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٨٧ والذي وقعت عليه «١٨٧» دولة على مايلي:

«تتعهد الدول الأطراف لحماية الطفل من جميع أشكال الاستغلال الجنسي والانتهاك الجنسي، ولهذه الأغراض تتخذ الدول الأطراف بوجه خاص جميع التدابير الملائمة الوطنية، والثنائية، والمتعددة الأطراف لمنع:

١ ـ حمل أو إكراه الطفل على تعاطي أي نشاط جنسي غير مشروع.

٢ ـ الاستخدام الاستغلالي للأطفال في الدعارة، أو غيرها من الممارسات الجنسية غير المشروعة.

٣ ـ الاستخدام الاستغلالي للأطفال في العروض والمواد الداعرة».

فأين العالم المتمدن من هذا النص الصريح وغيره من النصوص التي تهدف الى صون أغلى ثروة في الوجود وهي الانسان ومن باب أولى حفظ الكائن الذي يأتي في طليعة الانسان، ويكون حجر الأساس في بناء المجتمعات وتقدم الإنسانية ذلك الكائن الرقيق البريء الذي لا حول له ولا قوة أمام

المحامي: عبدالعزيز اسماعيل احمد ـ سوريا



التيار الجارف الناجم عن تصرفات الراشدين الكبار ومهاتراتهم.. إنه «الطفل» .. أمل الأسرة الحبيب.. والغاية التى تسعى الأمم الى بنائها بناء فعالا لتزدهر بها وترسم الخطوط الأساسية لحضارتها، ورقيها، ومدنيتها.

لقد بقيت تلك النصوص حبراً على ورق، دون تنفيذ جاد لمضامينها، رغم أن الجميع وقع عليها بملء إرادته، وتعهد بحفظها وصونها والعمل بمضمونها.

وأين تلك العقوبات والاجراءات الرادعة التى نصت عليها تلك النصوص مما نقرأه ونسمعه ونشاهده في وسائل الإعلام المختلفة. حول الانتهاكات الفاضحة والاعتداءات السافرة على تلك الأجساد الغضة والأرواح البريئة الخالية من الشرور والآثام.. إنها أقسى وأحقر ألوان الانتهاك وخرق حرمة الطفولة:

«اختطاف .. تعذيب .. قتل .. إعتداءات جنسية .. إجبار على ممارسة الدعارة» بل استخدم الاطفال كقطع غيار بشرية تباع وتشترى.

فهل هذه الصور البشعة إلا من إفرازات ما توصل إليه العالم المتمدن من ترف وبذخ ورفاهية..؟!

إن الأطفال يشكلون نسبة كبيرة في تعداد السكان العام والمتزايد، ويشكلون قوة أساسية، وبنية تحتية، ولبنات متينة تمدُّ المجتمعات بقوة مستقبلية هائلة .. فإذا كانت تلك الطفولة محمية بصورة جيدة ومحكمة، ومحصنة من شتى أنواع الاغتيال الفكري والجسدي، والخلقي فإنها ستكون أساساً قوياً لبناء سليم يصل بأهله الى قمة المجد والسؤدد والعلي.

وعلى العكس من ذلك إذا ما انتهكت تلك الطفولة، وتعرضت للاغتيال والتعذيب والقهر، والاعتداء، فستتقوض بذلك أسس البناء المطلوب، ولن يصل المجتمع الى رقيه المنشود وحضارته ومدنيته، بل سيكون مصيره الدمار والهلاك وانهيار الأسس التحتية التي تشكل قوته وتماسكه.

انتهاك الطفولة واغتيال البراءة.. حقائق وأرقام مرعبة:

تقول المنظمة الآسيوية لمكافحة استغلال الأطفال في سياحة الدعارة أن حجم التجارة العالمية في هذا المجال لا يقل عن خمسة مليارات دولار سنوياً، ويقول صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة أنه يصعب تحديد عدد الأطفال الذين يجرى استغلالهم في هذا المجال القذر، ولكن المرجح أن مليون طفل وطفلة يدخلون هذا النشاط كل عام، وإن اغلبيتهم العظمى من شرق آسيا، ففي تايلند يوجد/٨٠٠/ ألف طفل وطفلة يمارسون البغاء، وهناك حوالى سبعة آلاف بغي ينتقلون سنوياً من نيبال الى الهند للغرض ذاته، وفي سريلانكا مالايقل عن ثلاثين ألفاً يمارسون البغاء نصفهم من الذكور فضلا عن عشرات الآلاف في الفيليبين. ويجري تحديد الطفل في هذه الأرقام بأنه (كل ذكر أو أنثى يقل عمره عن ١٨ عاماً).

وفي نيروبي عاصمة كينيا ينتشر في شوارعها عشرات الآلاف من الأطفال المنغمسين في الدعارة.. تقول إحدى المسؤولات عن برامج المكافحة في نيروبي إن: «الأطفال يبدأون الدعارة مع عصابات الشوارع حيث يجبرهم الأكبر منهم سناً على ممارسة الرذيلة معهم، ويكون ذلك هو تأشيرة

السماح لهم بالانضمام اليهم ليوفروا لهم الحماية اللازمة.. وبذلك يشرعون بالعمل مقابل نقود»، وفي بوغوتا عاصمة كولومبيا كشفت دراسة أجريت عام ١٩٩٤م في غرفة التجارة هناك أن دعارة البنات بين سن ٨ و ١٣ عاماً زادت بنسبة ٥٠٠٪ بين عامي ١٩٨٦ - ١٩٩٣م وتعتبر منطقة البحر الكاريبي وجمهورية الدومينيكان إحدى البؤر التي يزدهر فيها هذا العمل سواء عن طريق تصدير الفتيات الصغيرات الى أوروبا وغيرها، أم عن طريق استقبال السائحين الراغبين بذلك.

وفي البرازيل غدت دعارة الأطفال بصورها الفاضحة والعلنية أشهر من أن تخفى على أحد، وفي دول كثيرة من العالم بما فيها غرب أوروبا تمتلىء الصحف وأقسام البوليس ببلاغات عن أطفال مفقودين لا تعلم أسرهم عنهم شيئا.

وفي شرق أوروبا ازدهرت وراجت دعارة الأطفال بسبب تدهور احوالها الاقتصادية والاجتماعية إثر انهيار النظم الشيوعية، تقول إحدى الدراسات أن : «بولندا وأوكرانيا والمجر والتشيك ورومانيا، وربما روسيا» أصبحت مصدراً لهذا النشاط ووصل الحال الى أن أطفالا لا تتجاوز أعمارهم ١٣ عاماً يتدفقون على برلين من كل انحاء شرق أوروبا للغرض ذاته فبعضهم وصل هربا من العوز والفقر المدقع، وبعضهم وصل هرباً من الحرب في البوسنة فينتهي بهم المطاف في مواخير برلين الشرقية القديمة أما الأطفال فيبيعون أنفسهم جهاراً عند محطة قطار حديقة الحيوان.

يقول الاستاذ/ توماس كاتاو/ مسؤول المجلس الأوروبي عن مكافحة استغلال الاطفال في الدعارة من مكتبه في ستراسبورغ - في فرنسا أنه: سيوجد شريط من الأرض على امتداد الحدود التشيكية الألمانية بطول ٦٠ كيلومتراً يطلق عليه الأهالي اسم (زقاق دعارة الأطفال) إنَّ هناك بنتاً واحدة على الأقل كل مترين توجد على طول هذا الزقاق.

وفي إحصائية أجريت عام ١٩٩٥ ورد بها أن ٣٣٪ من الأطفال المتورطين في الدعارة ذكوراً وإناثاً في جنوب شرق آسيا أعطوا نتائج ايجابية لإصابتهم بفيروس الإيدز، وقالت تلك الإحصائية أن البنت التى يتراوح عمرها بين ١٥ و١٩ عاماً في دولة زامبيا بأفريقيا أكثر عرضة للإيدز ١٧ مرة على الصبي الذي في العمر ذاته.

اعتداءات صارخة نبهت العالم للخطر المحدق..

(١) قضية «دوترو» البلجيكي: حيث أقدم هذا المجرم مع عدد من شركائه ومن بينهم ضابط كبير في الشرطة البلجيكية، على اغتصاب وقتل طفلتين قاصرتين هما (ميليسيا روسو وجولي لوجين) لا يتجاوز عمرهما ثمان سنوات.

واختطافهم طفلتين أخريين هما (مارشال، وايضجي) وتهريبهما الى عاصمة إحدى الدول في أوروبا الشرقية، واجبارهما على العمل في (تجارة الجنس) لحساب إحدى العصابات الدولية.

(٢) قضية الزوجين البريطانيين «فريدريك وروزماري ويست» اللذين اغتصبا وعذّبا وقتلا من الفتيات والقصر اللواتي تتراوح أعمارهن بين ٨ ، ٢٠عاماً.

(٣) قضية الطفلة الأمريكية «ميغان كانكا» ذات السبع سنوات، التى اختطفت واغتصبت وقتلت في نيوجرسي عام ١٩٩٤، وأدت مأساتها الى استصدار قانون ميغان الاتحادى الأمريكي الذى يقضي من



ضمن ما يقضي به: « التشهير بمن يسميهم العلم «المهووسون بممارسة الجنس مع الأطفال» وكشفهم أمام مجتمعاتهم وأمام الرأي العام.

أسباب الظاهرة .. من المسؤول..؟!!؟:

يجمع المشرفون على الهيئات والمنظمات الرسمية والخاصة التي تهتم بالطفولة على أن اللوم يقع على جميع الدول، وليس على دولة دون أخرى، لكن هناك مدن دون أخرى تزدهر فيها ظواهر التجارة بالأطفال، واستغلالهم عن طريق عصابات منظمة فمن بانكوك الى بومباي.. الى قرطاجة ومانيلا وموسكو وبراغ، فضلا عن: بودابست وبوخارست، وحتى نيويورك ولندن وباريس تتوالى فيها حوادث خطف الأطفال وإكراههم على ممارسة الجنس أو بيعهم للعصابات المختصة.. ولكن رغم هذا فقد أثبتت الدراسات المختصة بهذا الشأن أنه ليست هناك طفلة أو طفل دخل هذا المجال بإرادته وإنما يعزى ذلك لمجموعة من الأسباب:

١ - مشكلة الفقر واضطراب الأحوال العائلية:

فالبعض من هؤلاء الأطفال المشردون هربوا من بيوتهم نتيجة لاضطراب أحوالهم العائلية الناجم عن العوز الشديد، فالأطفال الفقراء تسهل غوايتهم بأشياء تافهة جدا مثل «قرط أو سوار» مزيف أو حتى «قلم حبر أو ولاعة سجائر».. إن الدولار الواحد يعتبر ثروة ضخمة لطفل أو طفلة هندية فقيرة، هذا ما قالته سكرتيرة هندية لإحدى الجماعات المكافحة لهذا الوباء الوخيم.

ويتفرع عن حالة الفقر مشكلة «بيع الأطفال» حيث يقول مسؤول في إحدى منظمات مكافحة الدعارة في مانيلا أن الآباء الذين يبيعون أولادهم يقولون أنهم يفعلون ذلك لأنهم فقراء ولأن الكثيرين منهم تكون هذه أول مرَّة يمتلكون فيها مروحة كهربائية أو تلفزيوناً .

وفي أغلب عواصم دول جنوب شرق آسيا ركزت الأضواء على «مسألة الفقر» والأجور الرخيصة، فضلا عن غياب القوانين الرادعة، كل ذلك دفع لازدهار «دعارة الأطفال» وفي وارسو وبراغ وبوخاريست تنامت ظاهرة «بغاء الأطفال» بسبب تفاقم الفقر والعوز، ولأن القوانين في تلك الدول معظمها تسمح لكل من بلغ الرابعة عشرة من عمره بإقامة علاقات جنسية حُرَّة.

٢ - السياحة سبب من أسباب تفاقم المشكلة:

وهذا من الأسباب الرئيسية التي تعقد المشكلة حيث تقوم الدول الغربية بتوفير الزبائن لهذه المحلات المجرمة وذلك عبر سياحها الذين يتدفقون الى تلك الدول الفقيرة وتشير الاحصاءات غير الدقيقة الى أن هذه الدول تؤمن أكثر من نصف مليون سائح/ كل عام الى دول جنوب شرق آسيا وحدها، وتقول أرقام منظمة «أوقفوا دعارة الأطفال» أنه تم خلال عام ١٩٩٥ سجن (٢٤٠) سائحاً في هذه الدول بتهمة «الاعتداء على الأطفال» ٣٤٪ منهم أمريكيون و١٦٪ ألمان، و١٣٪ منهم لكل من بريطانيا والنمسا.

وهناك من يعزي انتشار هذه الظاهرة القميئة التي لا تمت الى الأخلاق بصلة الى «انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه وسقوط جدار برلين، وانفتاح

أوروبا الشرقية على أوروبة الغربية، وما أسفرت عنه هذه التغيرات «الدراماتيكية» من تدفق اللاجئين والساعين وراء حياة أفضل في الغرب الأوروبي فضلا عن عامل «الفقر» الغالب في تلك الدول.

وتشير بعض الإحصاءات غير الرسمية الى أن الشوارع الخلفية في موسكو وحدها تعجُّ بأكثر من ١٠٠٠ بائعة هوى من فئة الأطفال وتحت سن الرشد، تتحكم فيهنَّ مافيا منظمة، وتقدمهن لقمة سائغة «للسياح الجدد» الذين يأتي معظمهم من دول غربية حباً في المتعة.

٣ ـ شبكة «الإنترنت» الواسعة المعلومات، والأفلام الجنسية.. الخطر الأكبر:

تشكل هذه الشبكة إضافة خطيرة وسابقة مروعة تزيد من تفاقم مشكلة «انتهاك الطفولة» فقد كشف البوليس في (مكسيكو) مؤخراً عن شبكة تنتج وتتداول وتتاجر بأفلام جنسية ابطالها جميعاً من الأطفال، وتضم الشبكة حوالي ٤٥٠٠ عضو معظمهم من أمريكا.

وفي أوروبا أتلف البوليس الألماني مؤخراً ألوفاً من شرائط الفيديو التى تنتمي الى «أفلام جنس الأطفال» وقالت صحيفة (بيلد) الألمانية «أن واحداً من هذه الشرائط يصور عملية اغتصاب جماعية لعدد من القاصرات أثناء الحرب البوسنية».

كان من أغلى الشرائط في السوق الألمانية، حيث بيعت النسخة منه بسعر يجاوز ثمانية آلاف دولار أمريكي، وفي فرنسا أخضع البوليس الفرنسي آلاف الأشخاص للاستجواب قبل أن يوجه الاتهام لعدد منهم (بالاعتداء على الأطفال) وذلك عبر شبكة المعلومات الفرنسية (مينتيل) وهي نظام اتصالات فرنسي موصول بشبكة «إنترنت» الاميركية المتعددة الاستعمالات.

أما البريطانيون فكانت عملية «ستاربورست» التي نظمها البوليس مؤخراً أكبر هجوم على مستخدمي الكومبيوتر لتعميم أفلام «جنس الأطفال» عبر إنترنت.

يقول: «جان بيار روزنزفيغ» وهو رئيس محكمة أطفال فرنسية إن: «شبكة إنترنت سهلت كثيراً مهمة الذين يتاجرون بالأطفال وأفلام جنس الأطفال ومطبوعاته فضلا عن التجارة بدعارة الأطفال». ويضيف: «المهووسون بجنس الأطفال يغرقون شبكة انترنت من دون أي حذر بسيل من المعلومات، ويتبادلون الأسماء والعناوين على مرأى من كل واحد».

٤ ـ صرخات وقوانين صارمة للحد من الظاهرة:

بعد قضية «دوترو» البلجيكي التي دوى انفجارها كالقنبلة في أسماع العالم في كل انحاء المعمورة وتحت شعار «مكافحة استغلال الأطفال في الدعارة» انعقد مؤتمر «استوكهولم» عاصمة السويد من (٢٧ ـ ٣١) آب عام ١٩٩٦م، حضرته مائة وثلاثون دولة لمناقشة مسألة «إنقاذ الأطفال في العالم من العنف الذي يتعرضون له من قبل الكبار كالاغتصاب الجنسي، واستغلالهم في تجارة البغاء وترويج الدعارة... الخ» وكان هذا المؤتمر صرخة في وجه العالم للحد من هذه الظاهرة السرطانية التي تطال الأطفال الذين قالت عنهم الأديان بأنهم «زينة الحياة الدنيا»، ومن أبرز ما أظهره المؤتمر لدى ختامه: «أن هناك إجماعاً بين الوفود الرسمية وغير



الرسـمـيـة على ضـرورة مكافـحـة هذا النوع من الاستغلال وتناول المؤتمر موضوعات شتى تراوحت بين السـيـاحـة الجنسـيـة في جنوب شـرق آسـيـا، والرجال الذين يسعون لممارسة الجنس مع من يطلق عليـهم اسم أولاد الشـاطئ في سـريلانكا، وخطف واغتصاب الصغار في بلجيكا». وقد دعا المؤتمر الى وضع قواعد أساسية لحقوق الأطفال من ذلك مثلا (بلوغ السن الذي يحق لهم فـيـه القـبـول بممـارسـة الجنس، وإعداد سجل عام للأطفال المفقودين، وقاعدة مـعلومـات بأسـمـاء المعـروفين بممـارسـة هذه العادة...الخ).

وحـول مـشكلة «انتـرنت» طالب «جـان بيـار روزتزفيغ» رئيس محكمة الأطفال الفرنسية بضرورة وضع قواعد وحدود لمحتويات هذه الشبكة الخطيرة.

فـفي بريطانيـا هددت الشـرطة السـرية «اسكوتلنديارد» بقوة بأنها سوف تعتقل أي مدير أو مسـؤول عن أية شـركـة على شبكة «إنترنت» توفر خدمات غير مشروعة وصوراً إباحية، وإنها ستفرض رقابة قوية في هذا المجال، ويأتي هذا التهديد عملياً ضمن خطة وضعتها «اسكوتلنديارد» لتنظيف الشبكة الدولية الالكترونية، وفي أعقاب الاتهامات التي شملت العديد من الأشـخـاص في بلجيكا الذين اتهـمـوا بالاعتداء على الأطفال وسـوء التعامل مع الطفولة، يضاف الى ذلك انعقاد مجموعة من المؤتمرات الدولية في أكـثـر من بلد من بلدان العـالـم لمناقـشـة هذه الظاهرة، والتى بدأت تنتـشـر بشكل مـخـيف، ومن الأسـبـاب التي دفـعت لتكثيف هذه الحملة: القـاء القبض على دبلوماسي بريطاني حاول تهريب أشرطة فـيديو إباحية الى بريطانيا، تحـتـوي على مـشـاهد لأطفـال قـصـر، وهـذا الدبلومـاسي الذي فـصل عن الخـدمـة وعـوقب بالسـجن ثلاث سنوات أشـرف شخصياً على تصوير هذه الأفلام خارج بريطانيا.

الممثل الخاص لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «روجرمور» صرَّح قائلا: «بضرورة الوقوف الفـوري لكل الأعمـال التي تسـتـخـدم الأطفـال، أو المتـشـبـهين بهم في أي شيء له عـلاقـة بالإغـراء والجنس، وقـال: إن هذه الأعمال رافد رئيسي يغذي دعـارة الأطفـال في العـالم المعـاصـر»، وشن مـور هجـومـاً لاذعـاً على مـصـمم مـلابس الجينز «كـالفين كلاين» الذي يسـتـخـدم عارضـة الأزياء «كيت موس» الفتاة الشبيـهة بالطفلة في إعلاناته المثيرة، وهاجم أيضا برنامجاً في التلفزيون الفرنسي اسمه «هيلين والولد» يخاطب تلاميذ المدارس الصغار، يتبادل فيه الأطفال النكات حول حمل إحدى زميلاتهم.

- وفي كاليفورنيا الامريكية يسعى «بيت ويلسون» مـحـافظ الولاية الى اصـدار قـانون يـقـضـي «بنزع رجولة أي رجل يثبت اعتداؤه جنسـيـاً على الأطفال أكثر من مرَّة» وعلى الرغم من كثرة معارضيه فإنه يطرح طلبه بقوة، وهو مصمم على استصدار هذا القانون.

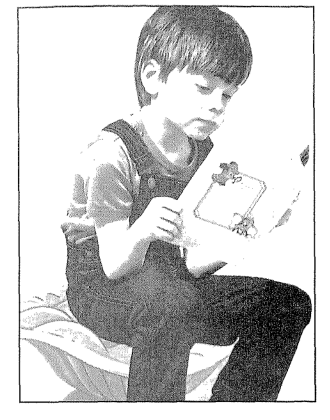
المصادر:

(٩١ مجلة «زهرة الخليج» الامارات العدد ٩١١/ السنة ١٨ السـبت ١٩٩٦/٩/٧م، ص ٣٢ - ٣٣ - ٣٤.

(٢) مجلة «المشاهد السياسي» العدد ٢٦، السنة ٢ ايلول ١٩٩٦م ص ٠٨

(٣) جـريدة «الاتحـاد» الامـاراتيـة العـدد ٧٨٧١ السنة ٢٧ الاثنين ١٩٩٦/٩/١٦م.

ارتقاء اللغة لدى الأطفال .. الفهم والانتاج



ان الاستخدام الناجح للغة يتطلب حدوث التآزر ما بين قدرات مختلفة، وهذا المطلب يجعل اللغة مختلفة الى حد ما عن أي مهارة أخرى.

من أجل استخدام اللغة يجب أن نكون قادرين على فهمها، والفهم يتطلب من المستمعين الانتباه لكلام معين وتحليله وتكوين تفسير له ثم استخدام هذا التفسير بالطريقة التى يقصدها المتكلم أي التي ينوى التعبير عنها أو من خلالها، أما القدرة الكبرى الاخرى للغة فهى الانتاج، فمن أجل انتاج قول أو كلام، يجب أن يخطط المتكلمون لما يريدون قوله ثم يكون عليهم اختيار الكلمات المناسبة ثم القيام بنقلها (تنفيذ عملية الكلام) بشكل صحيح.

يمكننا أن نوضح بسهولة أن الارتباط ما بين عمليتى الفهم والانتاج ليس تاما أو مكتملا أو صحيحا في كل الحالات، فمثلا يمكن أن يفهم العديد منا الحوارات رغم أنه لا يمكننا تكرارها (أي انتاجها) بطريقة كافية بالنسبة للافراد الحمقى الذين يتكلمون بهذه الطريقة.

وبالنسبة لمعظمنا فان مفردات معرفتنا (أي الكلمات التى نفهمها) أكبر الى حد كبير من مفرداتنا النشطة (أى الكلمات التي نستخدمها في الكلام)، في مثل هذه الحالات يتفوق فهمنا على انتاجنا للكلمات.

في حالات قليلة تسير هذه القاعدة في اتجاه

بقلم: د. شاكر عبدالحميد ـ مصر



مختلف أو مغاير، فنحن يمكننا أن نغنى الاغنيات صوتيا، وهذا يمكننا من الغناء باللغات التى لا نفهمها (كأن نغنى أغنية هندية أو انجليزية لا نفهمها)، في هذه الحالات يتجاوز (يتفوق) الانتاج على الفهم، لدى الاطفال، تبدو الفجوة أو التفاوت ما بين الفهم والانتاج اكبر بدرجة واضحة من حالتها لدى الكبار.

وقد وجد جولدن ميدو وسيلجمان وجيلمان عام ١٩٧٦ أن الاطفال ما بين السنة الاولى والثانية يكون لديهم الفهم لكلمة «كلب» كما يبدو من خلال قدرتهم على التقاط صورة الكلب من بين صور خاصة بحيوانات أخر، ومع ذلك فان أطفال هذه المرحلة لم يكونوا قادرين بالضرورة على استخدام أو نطق كلمة «كلب» في كلامهم ولكنهم كانوا يستخدمون بدلا من ذلك كلمات مثل (هو هو. هو)، وهنا نرى اختلالا واضحا في التوازن ما بين الفهم والانتاج، انهم لا يستطيعون انتاج كلمة كلب لكنهم يفهمون معنى هذه الكلمة أو ما تشير اليه.

وبشكل عام وصلت معظم الدراسات السيكولوجية الحديثة التى أجريت، الى نتيجة محددة هى أن **الفهم يسبق الانتاج**، ويبدو هذا الاستنتاج مقبولا، حيث إن الانتاج يبدو أنه يشتمل على الفهم، فالناس غالبا ما يفهمون الاشياء التى ينتجونها، لكنهم نادرا ما ينتجون الاشياء التى لا يفهمونها.

هذا التمييز بين الفهم والانتاج يعقد أيضا العلاقة بين التمكن والاداء، فأداء المتكلم (النطق الفعلي) يسمح لنا بشكل عام باستنتاج شيء ما حول معرفة المتكلم (أي تمكنه اللغوى). أما التمييز بين الفهم والانتاج فيظهر لنا أن التمكن اللغوى متعدد الاوجه (متعدد الجوانب) فعند اختبار الطفل عن طريق المهام الخاصة بالفهم قد يُظْهِرُ الطفلُ تمكناً (سيطرة) من المعرفة بقواعد الجمع مثلا، ومن خلال هذه المعرفة يمكن أن نستدل على حالة التمكن لديه. أما اذا قمنا بتقدير مهارات الانتاج لدى هذا الطفل من خلال المهام المناسبة فان نفس هذا الطفل قد لا يظهر هذا التمكن.. هذا لا يعنى أن التمييز بين التمكن والاداء هو تمييز غير صادق. ولكنه يعنى بدلا من ذلك أنه يمكنا أن نستنتج شيئين: فاحدى الامكانيتين هى أنه ليس كل نمط من الاداء يشير الى التمكن اللغوى بطريقة مماثلة للانماط الاخرى، فالبعض قد يكون اكثر كفاءة من البعض الآخر.

ومن ناحية أخرى، فان التمكن اللغوى قد لا يكشف عن وحدة متراصة أو تناغم لغوي كلي، كما أنه يكون قابلا للتقسيم والتحليل. فقد يوجد لدى الشخص بعض عناصر التمكن (تكون قابلة للأداء بدورها) بينما لا يكون لديه البعض الآخر.

لسوء الحظ فان المعلومات المتوفرة لا تساعد كثيرا في حل هذه القضية فرغم أنه وبشكل عام **يحدث الفهم قبل الانتاج** فانه في بعض المواقف لا يحدث ذلك، أي لا يكون الفهم سابقا على الانتاج. وقد أظهرت دراسات عديدة **أن الاطفال أحيانا ما ينتجون منطوقات بشكل تلقائى لكنهم لا يكونون بعد ذلك قادرين على محاكاتها.**

فاذا كان الاطفال يفهمون حقيقة هذه المنطوقات فانه يصعب تصور أو تخيل لماذا يعجزون عن محاكاة أو تكرار هذه المنطوقات بعد ذلك.

هنا يجب علينا أن نستنتج أن الاطفال قد أنتجوا شيئا لم يفهموه فعلا، وهذه النقطة حاسمة، فعمليات الانتاج لا تشير بالضرورة دائما إلى مقاصد المتكلم، فعندما ينتج الاطفال منطوقات مركبة

فليس معنى ذلك بالضرورة أنهم يظهرون أي تمكن لغوي حقيقي، انهم قد يكونون ببساطة يقومون بمحاكاة روتينية (تركيب لغوي معتاد/ مألوف) متعلم جيدا قاموا بالتقاطه من الراشدين.

فقد لاحظ (كلارك) طفلا في الثالثة من عمره كان قادرا على تكرار جمل طويلة التقطها من الراشدين واستمر يرددها لاسابيع عديدة ومثل جملة (ما هذا الكلب)، وقد ظهر أن أمثال هذه الجمل هي عمليات تركيبية مستمرة لكلمات عديدة مفردة.

مراحل ارتقاء اللغة:

يكشف لنا الجدول رقم (١) عن مراحل الارتقاء اللغوى، ويظهر لنا هذا الجدول السلوك اللغوي البارز أو السائد في كل مرحلة عمرية، مع ضرورة أن نعرف أن هناك عمليات تداخل تحدث كثيرا ما بين المراحل، فليست هناك مرحلة مكتملة بذاتها، كل مرحلة تعتمد على المراحل السابقة لها وتقوم بالتمهيد للمراحل التالية لها، كذلك يجب أن نعرف أن هذه الارقام المذكورة في هذا الجدول هي مجرد أرقام تقريبية، **فبعض الاطفال يبدأون في انتاج أول كلمة لهم قبل بلوغهم العام الاول.**

لا يحدث ذلك لدى أطفال آخرين إلا بعد ذلك بفترة قد تطول، فمدى الفروق الفردية هو في واقع الامر مدى كبير، كما أن الطفل الذى يكون متأخرا عن الاطفال المماثلين له في العمر، ليس شرطا أن يكون كذلك متأخرا في مراحل تالية من الارتقاء، وأحيانا ما يسرع بعض الاطفال في ارتقائهم عبر عدد من المراحل الارتقائية المختلفة لكنهم يظلون فترة أطول في مراحل ارتقائية أخرى تالية.

هذا بينما قد يمر بعض الأطفال الآخرين ببعض المراحل في البداية ببطء واضح ثم يقضون وقتا أقل في مراحل تالية.

ان نظام أو ترتيب الوقائع الموجودة في الجدول رقم (١) هو نظام أو ترتيب ثابت بشكل عام **والفروق بين الاطفال توجد في المدى الزمنى الذى يستغرقونه في كل مرحلة من مراحل هذا النظام أو الترتيب،** فمثلا عندما يبدأ الاطفال مرحلة نطق الكلمتين فانهم لن يعودوا في معظم الاحوال الى مرحلة اللعب الصوتي.

**** جدول رقم (١) ويبين المراحل الاساسية في ارتقاء اللغة لدى الاطفال**

مرحلة اللغة	عمر بداية المرحلة	مرحلة اللغة	عمر بداية المرحلة
١ ـ الصراخ	الميلاد	٦ ـ منطوقات (أو كلام) الكلمتان	١٨ شهرا
٢ ـ الهديل	٦ أسابيع	٧ ـ تصريف الكلمة	٢ سنة
٣ ـ اللعب الصوتي	٦ شهور	٨ ـ الاسئلة/ النفي	٢,٥ سنة
٤ ـ الانماط المنغمة أو المرنمة	٨ شهور	٩ ـ التكوينات المركبة أو النادرة	٥ سنوات
٥ ـ منطوقات (أو كلام) الكلمة الواحدة	سنة	١٠ ـ الكلام الناضج	١٠ سنوات



الصراخ والهديل:

في الاسابيع الاربعة الاولى من الحياة، يكون صراخ الطفل غير متمايز وهذا يعنى أن نفس الصرخة تستخدم بصرف النظر عن المنبه، أي تستخدم نفس الصرخة في حالات متباينة لدى الطفل كما يمكنه تقليد حركات الكبار التى يراها بعينيه كما يوضح ذلك الشكل رقم (٢).









الشكل لطفل عمره مابين أسبوعين وثلاثة أسابيع وهو يبين القدرة المبكرة لدى الأطفال على محاكاة بعض حركات الراشدين

في الشهر الثاني يحدث بعض التمايز الذى يمكن أن يكون عاما أو عالميا بالنسبة للاطفال، فمثلا وجد (ريكس) عام ١٩٧٥ أن الوالدين من الانجليز يمكنهما اكتشاف رسائل عديدة في صرخات الرضع الانجليز والاجانب أيضا.

ورغم هذا الاكتشاف فإن التفكير في اعتبار الصراخ مظهرا لغويا حقيقيا يمكن أن يكون تفكيرا خاطئا، فحتى الاطفال الرضع الذين ولدوا منذ عدة شهور لا يكونون قادرين لاستخدام صرخاتهم بشكل انتاجي (ايجابي) للوصول الى أهدافهم، ويبدو سلوكهم الى حد كبير سلوكا انعكاسيا.

علي كل حال فان الصراخ يساعد في وضع الاساس للغة من خلال تقويته للاحبال الصوتية واللسان والحنجرة، لذلك فإن صرخات الطفل عادة ما تستصدر استجابته.

وهذه النقطة هامة، ففي وقت مبكر تكون لدى الطفل الفرصة لاكتشاف أن الجانب الصوتي يمكن أن يكون وظيفيا، والكلام غالبا ما يكون له نفس الخاصية كما نعرف.

علي كل حال، ففيما بين الاسبوع السادس والشهر الثالث من العمر يبدأ الطفل في الهديل، ومن الصعب وصف هذه العملية، ومن الواضح أن هذه الاصوات تكون شبيهة بالاصوات المتحركة، ومع ذلك فان الخصائص الصوتية التى ترتبط بالحروف المتحركة لدى الراشد لا تكون موجودة في هديل الطفل.

ويبدو أن الهديل يحدث لدى كل أطفال العالم، ويبدو الطفل كما لو كان يلعب من خلال استخدامه لجهاز النطق الخاص به بشكل عام، هذا هو الوقت الذى يستكشف فيه الطفل العالم، وربما حسن فهم هديل الطفل من خلال هذا المعنى والهديل مثله مثل الصراخ ليس تعبيرا لغويا حقيقيا، لكنه أيضا يمهد الطريق لارتقاء اللغة. ان الراشدين نادرا ما يصرخون عندما يصرخ الاطفال، لكنهم يهدلون(أو

يحاولون أن يفعلوا ذلك) عندما يهدل الاطفال.

والجدير بالذكر أن الاطفال الرضع يمكنهم محاكاة بعض الايماءات التى يقوم بها الراشدون مثل حركات الوجه والشفاه واللسان.. الخ وذلك منذ فترة مبكرة جدا (الاسبوع الثانى أو الثالث من العمر).

والدمج بين إرادة أو قصدية الراشدين للمحاكاة وقدرة الرضع على اكتشاف ومحاكاة ايماءات عديدة توحى بأن الرضع يبدأون في التعلم الخاص بالتبادل في المجال الصوتي قبل أن يبدأون في الكلام.

في حوالى الشهر السادس يبدأ الطفل أيضا في استخدام الحروف الساكنة في منتجاته الصوتية، وعند هذه النقطة يقال إن الطفل قد بدأ مرحلة اللعب الصوتي.

٢ - اللعب الصوتى والكلمات المفردة:

يمكن وصف اللعب الصوتي بأنه مرحلة من اللعب الحركى والتجريبى الصوتى المتقدم والذى يحدث خلال المرحلة السابقة على اللغة لدى الطفل فيتم الربط بين الاصوات الساكنة والاصوات الشبيهة بالافعال في سلاسل صوتية طويلة تسمع وكأنها كلمات.

ويتم وصف النشاط هنا باعتباره نشاطا حركيا متقدما وكذلك تجريبيا صوتيا يقوم به الطفل في المرحلة السابقة على اللغة، هنا يتم الربط بين الاصوات الساكنة والاصوات الشبيهة بالافعال في سلاسل صوتية شبيهة بالكلمات. وربما يفترض الآباء والامهات بشكل غير صحيح أن أولادهم ينادونهم بكلمات مثل ماما - بابا - دادا ... الخ. وليست هناك شواهد مؤيدة للفكرة القائلة بأن هناك معاني معينة تكون موجودة في منطوقات الاطفال خلال عمليات اللعب الصوتي، وهناك اعتقاد كان شائعا بأن عمليات اللعب الصوتى تجعل كل أنواع الاصوات متاحة لدى الطفل، وقد تأكد العلماء بأن هذا الافتراض غير صحيح، متنوع الأصوات خلال عمليات اللعب الصوتي لدى الاطفال ليس تنوعا كبيرا.

هناك عقيدة أخرى كانت شائعة وهى أن اللعب الصوتى مظهر عالمى، أي يقوم به كل أطفال العالم في كل مكان بصرف النظر عن القوى الثقافية التى تقوم الطفل.

لكن هناك تقارير علمية اكدت وجود أطفال لا يقومون باللعب الصوتى ومع ذلك فهم ينجحون بعد ذلك في اكتساب اللغة، مع ذلك فان اللعب الصوتى هو نشاط شديد الانتشار والشيوع لدى الاطفال.

هناك تساؤل آخر طرحه العلماء فيما يتعلق بدور الثقافة اللغوى في تعديل منطوقات الطفل. فاذا افترضنا أن الأصوات الخاصة (اللعب الصوتى) لا تتأثر باللغة التى يسمعها الطفل، كان فى ذلك تأييدا لفكرة أن اللعب الصوتي هو مرحلة ارتقائية فطرية وثابتة بطريقة أو بأخرى، وقد تأكدت هذه الفكرة من خلال النتائج التى توصل إليها علماء أمثال لينبرج عام ١٩٦٧م وأظهر من خلالها أنه حتى الاطفال الذين ولدوا مصابين بالصمم يقومون أيضا باللعب الصوتي.

فاذا كان الاطفال ، من ناحية أخرى يتأثرون أكثر باللغة التى يتعرضون لها، فان هذا يوحى بأنه أيا كانت طبيعة المعرفة الفطرية للطفل فان هذه المعرفة يجب أن تتسم بالمرونة.

حاول العالم (واير) عام ١٩١٦م الاجابة على هذا التساؤل من خلال فحصه لتأثير خاصية النغمية على اللعب الصوتى للاطفال فاللغات النغمية هى اللغات التى يمكن أن ينتج عن التباين (التغيير) في المقام فيها تباين في المعنى، فمثلا في اللغة الصينية، يمكن أن يؤدى نطق الكلمة الواحدة بمقامات صوتية مختلفة الى ظهور معان مختلفة للكلمة. وقد وجد (واير) أنه كلما زاد استمرار عمليات اللعب الصوتى لدى الاطفال الصينيين كلما زاد احتمال قيام هؤلاء الاطفال بانتاج منطوقات ذات مقاطع احادية بقدر



كبير من التباين النغمي.

أما لدى أطفال اللغات غير النغمية (الامريكان ـ العرب ـ الروس) فقد زاد لديهم احتمال صدور اللعب الصوتي متعدد المقاطع.

وفي الغالب كانت الامهات الامريكيات قادرات على تمييز الاطفال الامريكان على أساس أصوات لعبهم الصوتى وكذلك فعلت الامهات الروسيات اللاتى التقطن وحددن وميزن الاطفال الروس وكذلك فعلت الامهات العربيات بالنسبة للاطفال العرب، لكن الشيء الجدير بالذكر أن هؤلاء الامهات فشلن جميعا في تمييز اللعب الصوتى لدى الاطفال في اللغات التى لم تكن هى اللغات الاصلية للأم.

هذه النتيجة استخدمت لتأييد فكرة أنه فيما بين عمرى الشهر التاسع والشهر الرابع عشر يمر الاطفال بمرحلة انتقالية يمكن تسميتها بمرحلة تدفق اللعب الصوتي، خلال هذه المرحلة يقوم الاطفال بتقييد انتاجهم اللغوى بتلك الاصوات التى تحدث (تنتج ـ تتكرر) في اللغة التى سيتمكنون منها ويسيطرون عليها في النهاية، عند هذه المرحلة تكون منطوقات الطفل شبيهة بشكل خاص بالكلام جيد التشكيل.

عندما يكمل الطفل السنة الاولى تقريبا يبدأ في انتاج الكلمات المفردة وخلال الفترة من الشهر الثانى عشر حتى الشهر الثامن عشر قد يكتسب الطفل حوالى خمسين كلمة (بمتوسط حوالى ١٥ كلمة بين الاطفال بشكل عام).

قد يستخدم بعض الاطفال كلمات قليلة، حوالى أربع أو خمس كلمات خلال هذه الفترة، وقد يستمر اللعب الصوتى لفترة قصيرة بعد انتاج الكلمات الحقيقية لكن هذه العملية تختفى بشكل سريع بعد ذلك.

تسمى هذه المرحلة من الارتقاء اللغوى لدى الطفل أيضا باسم مرحلة شبه الجملة التامة و مرحلة الكلمة ـ الجملة وذلك لان الطفل يستخدم كلمة واحدة لتقوم مقام الجملة الكاملة. هذه الكلمات غالبا ما تكون اسماء وصفات وعادة ما تشير الى موضوعات عيانية ملموسة محسوسة موجودة أمامه أو للاشارة الى حالات انفعالية ودافعية وقد وجد العالم (نيلسون) عام ١٩٧٣ أن الحيوانات واللعب والطعام كانت هى الفئات الثلاث الاساسية التى يكثر الاشارة اليها لدى الاطفال الذين تعلموا الكلمات العشرة الاولى من لغتهم. وهذه المنطوقات قد تكون لها مجموعة من المعانى. فمثلا قد يستخدم الطفل كلمة «حذاء» كي يشير الى أن «الحذاء» يخصه أو أنه يريد أن يرتدى الحذاء أو أنه لاحظ أن أحد الافراد لا يرتدى حذاء. وهكذا.

ويمكن فهم منطوقات الطفل هنا من خلال تحليل السياق أو الموقف الذى ينتج فيه الطفل هذه الكلمات وقد قرر العالمان جرينفلد وسمث أن محتوى رسالة الطفل قد لا يكون في مثل اهمية السياق الذى يصدر فيه الطفل وهذه الرسالة، وعندما يتم تحليل السياق، فانه يمكننا أن نرى أن منطوقات الطفل باعتبارها تعبر عن أنواع مختلفة من الادوار الوظيفية، وقد تتبع هذان العالمان طفلين وسجلا منطوقاتهما، وقد وجدا أن منطوقات الطفل الاول غالبا ما تقوم بتسمية الاشياء المتحركة أو البادئة المحرضة على القيام بنشاط ما للنشاطات، بعد ذلك فان هذه المنطوقات تتعلق بتسمية الاشياء القابلة للحركة أو الاشياء التى تأثرت بالنشاطات، بعد ذلك بدأ الاطفال في الاشارة الى الاماكن، وأخيرا الى الملكية والاشخاص الذين تقع عليهم النشاطات.

مرحلة الكلمتين:

حوالى الشهر الثامن عشر الى الشهر العشرين يبدأ الطفل في انتاج منطوقات تتكون من كلمتين، ويتفق كل الباحثين على أن الزيادة في الامكانيات اللغوية تكون هائلة خلال هذه الفترة.

أولا: تتزايد المفردات، فالطفل في سن الثانية

حتى الثانية والنصف يمتلك عدة مئات من الكلمات.

ثانيا: يتزايد طول منطوقات الطفل أيضا بشكل كبير. ويحسب طول أى منطوق عادة من خلال احصاء (عد) كل الوحدات الاساسية للمعنى (المورفيمات) التى تظهر في كلام الطفل.. وعادة ما تتفق المورفيمات مع الكلمات. لكن هذه العلاقة ليست تامة دائما، فمثلا في اللغة الانجليزية كلمة Sadهى كلمة واحدة ومورفيم واحد. لكن كلمة Sadly تظل كلمة واحدة لكنها تشمل على مورفيمين حيث إن المقطع (Ly) يشير الى معنى بذاته.

وهكذا فان متوسط طول المنطوقات يتم حسابه بتحديد عدد المورفيمات التى ينتجها الطفل ثم قسمة هذا العدد على العدد الكلى للمنطوقات عندما يحسب متوسط طول المنطوقات بالنسبة لاطفال في سن الثانية وما بعدها، فان زيادة مطردة يمكن ملاحظتها عبر الفترة الكلية.

ثالثا: هناك تغير هام آخر يحدث خلال هذه الفترة، فبينما يكون الشخص المهتم أو الملاحظ للطفل خلال مرحلة شبه الجملة التامة مهتما بتحليل السياق الذى تحدث (تظهر) فيه منطوقات الطفل كى يستدل (يستنتج) على مقاصد (نوايا) الطفل. فان هذا المهتم بكلام الطفل يكون أقل ميلا لتحليل السياق خلال مرحلة الكلمتين، فالطفل يعتمد على السياق كقاعدة للمعنى بطريقة أقل ويبدأ في ترك الامر لنظام ترتيب الكلمات كى يقوم ببعض العمل، ان استخدام منطوقات من كلمتين يفرض مطالب اضافية اكثر على الطفل.

على كل حال، فانه وكما رأينا، فان الطفل يكون عليه الان أن يكتسب قواعد البناء والتركيب.

رابعا: خلال هذه المرحلة يظهر أيضا ما يسمى بالكلام البرقى (أو التلغرافى) فمثلما يحدث في البرقية حين يتم حذف الكلمات غير الجوهرية، فان الطفل هنا يبدو أنه يستخدم فقط الكلمات الضرورية لتوصيل نية أو مقصد أو رغبة معينة ولا تكون أدوات التعريف والتنكير والضمائر والافعال المساعدة قد ظهرت، بعد تمكن الطفل من نطق ثلاث كلمات معا يبدو أنه يقوم بتمييز كل فئات الاسم التى تشتمل عليها منطوقاته الاساسية، ان عملية التمايز هذه تشير الى ما يشبه التطويل لكل كلمة مدغمة في الجملة الاصلية التى كان الطفل ينطقها في مرحلة الكلمتين، ان هذا التطويل يتم من خلال تفصيل الكلمات والامتداد بها وقد أوصت الباحثة (بلوم) أن هذا التفصيل للجمل أو الامتداد بها يتم من خلال طريقة تسير من اليمين الى اليسار، أى أن موضوع العبارة أو الجملة يتم تفصيله أولا ثم تنجز هذه العملية من خلال اضافة أدوات التعريف أو ما يماثلها من الادوات المناسبة الى موضوع المنطوقه ثم بعد ذلك تشتمل هذه العملية على ضمائر الملكية فبدلا من أن يقول طفل ما مثلا: (ماما تقرأ قصة) يقول (ماما تقرأ قصتى)، وبالطبع يكون ما يحدث في اللغة العربية مختلفا عن ذلك، ورغم أن تمايز الجملة يبدأ بتمييز المفعول به ومن ثم يسير التمايز من اليمين الى اليسار فانه داخل هذه الجملة يكون التمايز متحركا أساسا من اليسار إلى اليمين، فمثلا تبدأ أدوات التعريف في الظهور أمام الاسماء التى تشير الى الفاعل في الجملة، مثل هذه الوجهة من النظر تفترض مسبقا أن كل الاطفال في مرحلة الكلمتين يعبرون عن العلاقات الوظيفية داخل اللغة بطرائق متماثلة جوهريا.

وقد أشار العالم (برين) الى أن الاطفال في مرحلة الكلمتين يبدو أنهم يتبنون صيغة معينة للتعبير عن علاقات معينة. فمثلا كي يعبر الاطفال كلاميا عن مكان شيء معين قد يذكر بعض الاطفال أولا الشيء الذى يريدون الحديث عنه (لعبة معينة مثلا) ثم بعد ذلك يذكرون مكانها (الكرسى مثلا) هذا بينما قد يسلك أطفال آخرون بطريقة مغايرة فيبدأون بالموضع أولا ثم يذكرون بعد ذلك اللعبة، أي يبدأون بالمكان ثم الشيء الموجود في ذلك المكان ويحتاج

الطفل بعد ذلك أن يمتد بهذه العلاقات فيتحدث عن أشياء عديدة موجودة في مواضع أو أماكن عديدة من خلال عملية الامتداد التي سبق أن تحدثنا عنها.

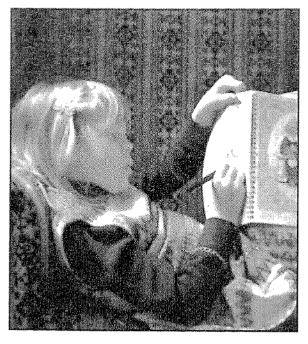
نظام الكلمات وتصريفها:

عندما يبدأ الاطفال في اصدار منطوقات تتكون من ثلاث أو أربع كلمات، يبدأون في الاتكاء اكثر على نظام أو ترتيب الكلمات وكذلك على تصريف هذه الكلمات للتعبير عن مقاصدهم. ويستخدم التصريف - كما نعرف - للتعبير عن حالات مختلفة للكلمات كاستخدامها في الماضي أو الحاضر أو المستقبل أو للاشارة الى الملكية أو غير ذلك من الاستخدامات.

هناك تجارب مبكرة مشهورة قام بها العالم بيركو عام ١٩٥٨ عرض خلالها على أطفال في مرحلة ما قبل المدرسة بطاقة ورقية رسمت عليها صورة طائر أطلق عليه بيركو اسم «واج» وقال بيركو للاطفال عندما كانوا ينظرون الى هذه البطاقة، لا هذا واج، ثم عرض عليهم صورة أخرى وقال لهم: هذا «واج» آخر ثم وضع «بيركو» بعد ذلك بطاقتين قد رسم على كل منها نفس صورة الطائر التى عرضها عليهم سابقا، وسألهم قائلا «هنا يوجد ....؟ » أجاب معظم الاطفال «واجات» رغم انهم كانوا فعلا لا يعرفون إطلاقا معنى هذه الكلمة وبطريقة واضحة.

وقد ظهرت نفس النتائج على دراسات أخرى قام بها بيركو للتأكد من قيام الاطفال بعمليات الجمع بناء على معرفتهم بالكلمات المفردة ثم قيامهم بعملية الجمع بطريقتهم الخاصة المتناسبة مع اعمارهم والتى تكون كثيرا غير متفقة مع طريقة الجمع في لغة الكبار الصحيحة.

هذا النوع من التنظيم الخاص للغة لدى الاطفال هام جدا لاسباب عديدة منها اننا نعرف من خلاله أن العديد من اشكال اللغة التى ينتجها الطفل



ليست مجرد نسخ لكلام الكبار ومن ثم لا يمكن تفسيرها من خلال عمليات المحاكاة فقط وكذلك المسار الارتقائي للاطفال يكون متشابها نتيجة لوجود أنماط معينة من الاخطاء الناتجة عن محاولات تنظيم اللغة لدى كل منهم وتستمر هذه الاخطاء حتى سن الخامسة أو السادسة ثم بعد ذلك يستطيع الطفل أن ينطق لغته بطريقة صحيحة.

فعند هذا العمر يبدو أن معظم الاطفال يسيطرون على قواعد البناء والتصريف ومن ثم تبدو معرفتهم اللغوية كاملة.

هذه السيطرة الواضحة على اللغة قد تكون خادعة وذلك لوجود مظاهر كثيرة تدل على صعوبات التفسير أو الشرح لمعاني الكلمات والجمل لدى كثير من الاطفال في هذه المرحلة، هذا الامر مرجعه في الغالب صعوبات في عمليات التفكير ومن ثم فان الرأى الاقرب الى الدقة والذى يتفق عليه معظم العلماء الآن هو أن ارتقاء اللغة قد يستمر لدى الاطفال حتى عمر العاشرة أو الحادية عشرة وعبر هذه العملية الارتقائية تحدث عمليات كثيرة خاصة بالتفاعل والتكامل ما بين اللغة والتفكير.

التفسير الإعلامي لأدب الأطفال

«أنزلني الدهر على حكمه
من شامخ عال الى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى
فليس لي مال سوى عرضي
أبكاني الدهر، ويا ربما
أضحكني الدهر بما يرضي
لولا بنيات، كزغب القطا
رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض»

هذه الأبيات من روائع الشعر العربي القديم، تعبير عن انسانية أب رحيم، تدفع بنا الى أن ندرك في هذا العصر الحديث أن وظيفة الآباء ليست مقصورة على إنجاب الأطفال، أكبادنا التى تمشى على الأرض، وانما تمتد هذه الوظيفة لتصبح مسئولية اساسية تجاه بناء وتشكيل جيل جديد من الأبناء يمثل «جهاز المستقبل» ان جاز التعبير، وتأسيسا على هذا الفهم، تصبح الثقافة الأدبية للطفل في وسائل الاعلام مسئولية اساسية تجعلنا نبحث ابتداء عن نظرية جمالية «استطيقية» للطفولة، ذلك ان الدراسة الأدبية للطفل تنبع من التصور الجمالى لعلم الجمال الخاص بالطفولة، الذى يُعنَى بدوره بدراسة المشكلات التى تنجم عن الانتاج الأدبى للطفل، والتأمل في هذا النتاج وما يثيره من آثار فنية ذوقية فى ضوء فلسفة الطفولة يؤكد أنه نشاط إنسانى عام يرتكز أولا وبالذات على «الخبرة الجمالية» التى تعنى بدورها الاحساس الخصب بالطبيعة، واكتشاف ما فيها من نظام وتوافق وانسجام.

هذه الخبرة الجمالية تلعب في تشكيلها البيئة وما بها من انماط حضارية من بينها الفن والأدب دورا اساسيا. واذا كان التعليم ضروريا لاستمرار وجود المجتمع فان المجتمع نفسه كما يقول «ديو» لا يكتب له الاستمرار عن طريق الانتقال أو التحويل أو الاتصال فحسب، بل يجوز ان نقول معه، انه يوجد في الانتقال أو التحويل. فالاتصال هو اساس كل تفاعل اجتماعي وهو كذلك المسئول عن تكوين «الخبرة الجمالية» في عالم الطفولة من خلال وسائل الاعلام المختلفة.

وتأسيسا على هذا الفهم، ذهبنا في دراساتنا عن «التفسير الاعلامى للأدب» الى أن الأدب يقوم في جوهره على اساس اتصالى، ذلك ان معظم خصائص العقل البشرى التى تميزه عن غيره ترجع كما يقول بعض النقاد الى كونه أداة اتصال. وأهمية الاتصال اكثر ما تكون في ميدان الفنون. ولا شك ان اكثر المسائل الفنية صعوبة واشدها تعقيدا - مثل مسألة الثقافة الأدبية للطفل، في سياقنا هذا

بقلم: د. عبد العزيز شرف - مصر



ستتضح أن نظرنا اليها من ناحية عامل التوصيل. فأن يتلقى الطفل اتصالا معناه أن تكون له خبرة موسعة ومتغيرة، والطفل بذلك يشارك فيما فكر فيه أو شعر به شخصاً آخر.

بذلك يتكون أو يتعدل اتجاهه كثيرا وقليلا ولا يخلو من يقوم بالاتصال من التأثر بذلك ايضا. ولذلك ينصح علماء التربية بتشجيع الاطفال على ان يكونوا «قائمين بالاتصال» من خلال انواع التعبير والتصوير والكتابة، وهذا الاتصال يغدو مجالا للتعليم والتثقيف ويزيد الاهتمام والمهارات في تبادل المعلومات وتكوين الخبرة الجمالية، من خلال كتابة الاشعار وطبع المجلات وتأليف القصص المصورة وغيرها من ألوان الابداع الفنى والأدبي.. وفي ضوء الفهم الاتصالى للأدب، نستطيع ان نضع أساس النظرية الجمالية للثقافة الأدبية للطفل، فالأدب مظهر من مظاهر الحياة الانسانية عن طريق الاتصال، الذى يحقق كما يقول «تولستوى» ضربا من الاتحاد العاطفى أو التناغم الوجدانى بين الناس. الذين يملكون هذه القدرة الفطرية على نقل عواطفهم الى الآخرين عن طريق الحركات والانغام والخطوط والالوان والاصوات وشتى الصور اللفظية.

ويقدم تولستوى لذلك مثلا يتلخص في قوله: انه لو قدر لطفل صغير استشعر انفعال الخوف الشديد عند لقاء الذئب ان يروى لجماعة من الناس ما اعتور نفسه من مخاوف حينما التقى بذلك الحيوان الكاسر، ولو نجح مثل هذا الطفل في أن يسترجع نفس المشاعر عند روايته لتلك القصة، وان يولد في نفس سامعيه مشاعر مماثلة لكان عمله هذا فنا ما في ذلك ريب. وحتى لو افترضنا أن هذا الطفل لم يلتق يوما بذئب، ولكنه نجح في أن ينقل الى الآخرين شعوره المتوهم بالخوف، فان مثل هذه الصورة المتخيلة تعد ضربا من الفن بشرط ان يتم عن طريق انتقال العواطف من الراوى الى المستمعين. وتبعا لذلك لا يقصر تولتسوى كلمة «الفن» على ما نراه في المسارح والمعارض او ما نسمعه في صالات الموسيقى والغناء، أو ما نقرؤه في كتب الأدب والشعر والقصص والرواية بل هو يدخل ايضا في دائرة الفن كل ما من شأنه ان يوصل الى الآخرين حياتنا الباطنية أو ان يوصل الينا حياتهم الباطنية، بما في ذلك اغانى الامهات لهدهدة اطفالهن، وشتى ضروب الرقص الشعبي، وسائر حركات التقليد والمحاكاة، وكافة أنواع الشعائر الدينية والاحتفالات الوطنية فالثقافة الأدبية للطفل في وسائل الاعلام اذن هى ذلك الانتاج الأدبي الصادق الذى يمحو كل فاصل بين كاتبه من جهة وبين جهود الاطفال من جهة اخرى، ثم هو ايضا ذلك الانتاج الادبى العامر بالعاطفة الذى يكون من شأنه ان يوحد بين قلوب جماهير الاطفال في الوطن العربي واذا كان الأدب العظيم يستمد مباشرة من الحياة فإن أدب الاطفال يجب ان يحقق لجمهوره هذا المعنى في تحقيق علاقات كثيرة وطيدة وجديدةمن اجل ذلك قامت الثقافة الأدبية للطفل منذ اقدم العصور على دراسة اللغة كأساس للتثقيف الأدبي.

وهذا الاهتمام باللغة هو التقدير الذى توليه العصور الاسلامية والعربية والمعاصرة لهذه الآداب بما

**** أدب الاطفال أحد أدوات الصيغ المكونة والمشكلة لعقلية الطفل.**

**** التجربة البشرية من خلال العمل الابداعي للطفل يمكن ان تتحول الى أنموذج ذاتي.**

تتضمنه من قيم جمالية وفنية ومعنوية٠٠ وهذه الفكرة الأساسية في التفسير الاتصالى لثقافة الطفل هي التى دفعت بالنقاد المعاصرين الى تأكيد ما للأدب من دور فاعل في حياة الطفل، وأدباؤنا العرب منذ العصر الجاهلى قد فطنوا الى هذا الجوهر التثقيفي، فما «الرواية» في أصلها الا تلمذة ترمي الى إتقان الفن الادبى وتربية الذوق الفنى فالشاعر الناشىء كان يختار من بين شعراء جيله أحبهم اليه، ويروى شعره الى أن يرزق الصنعة فكان زهير بن ابى سلمى راوية لأوس بن حجر والحطيئة راوية لزهير٠ وفي عصر التدوين نجد حرص التوجيه الأدبى على التثقيف الخاص بالناشئة، على نحو ما نجد في رسالة «بشر بن المعتمر» و«عبد الحميد الكاتب» وغيرهما من الأدباء والنقاد الذين أكدوا على الاكثار من حفظ شعر العرب، لاشتماله على ثقافتهم واذا كانت مهمة التثقيف الأدبي للطفل خارج المدرسة في وسائل الاعلام، تقوم على هذا الفهم فإنها من السعة والتعقيد كذلك، عند تقديم الفنون الأدبية ولكن مفهوم «وحده الأدب» يجعل الاطار العام للثقافة الادبية للطفل واضح المعالم، وهى الوحدة التى تقتضى تقديم نماذج من التراث الكلاسيكى الى جانب النتاج الأدبى المعاصر، مع الحرص على تأكيد الوحدة بين الفنون الأدبية المختلفة شعرا ونثرا٠ فيمكن تقديم كتب للأطفال مطبوعة طباعة حديثة مشكولة، في اطار قصصي يشرح التجربة الشعرية وراء أحد النماذج الشعرية القديمة والمعاصرة، ويفسرها للطفل في اخراج فنى ييسر له طواعية القراءة للشعر، مثلا، نقول هذا لنؤكد على أن مقاومة الغزو الفكرى لا تتم إلا ببناء اساس راسخ للمقاومة من التراث الأدبي القديم، والى الانتقاء والمعرفة التامة بمتطلبات الطفل العربي عندما نقدم تجارب المجتمعات الأجنبية، على نحو ما يحدث في وسائل الاعلام على اختلافها، وتظل المعادلة الصعبة قائمة امام الذين يكتبون للصغار بين الأصالة والمعاصرة، كما يقول النقاد وليس من شك في أن الكتابة للصغار من الصعوبة بمكان وحسبنا هنا قول «اناتول فرانس»:

«انك تستطيع ان تقنع الكبير بفائدة الكتاب وتحمله عليه فيقرؤه ويمدحه» اما الصغير فانه اذا ملّ الكتاب فليس لك به حيلة، فهو حينئذ قد يحرق الكتاب أو يمزقه أو يتخذ منه عروسا يلعب بها، فأين ترى الكتاب الذى لا يمله الطفل فلا يحرقه ولا يمزقه ولا يتخذ منه عروسا يلعب بها؟ ان هذا الكتاب الذى يستميل الطفل ويستهويه، هو طلبة الاصلاح المشتهاة للشعب الذى تريد اصلاحه، كما ان المؤلف الذى رزق موهبة أو ملكة استهواء الطفل واسترعاء انتباهه، هو المؤلف الذى يرجى للاصلاح٠ وانه لحرى بالأمة التى ينبغ فيها هذا المؤلف ان تقبل عليه بكل ما في كلمة الاقبال من معانى الود والعطف والاجلال٠

وهذا الأمر يجعلنا نوصي بأن يحتل كتابنا المعاصرون الذين يكتبون للطفل مكانة التكريم، وان ندعم اعمالهم

**** التاريخ الاسلامي يمثل الوثيقة الحضارية والثقافية للطفل العربي والمسلم٠**

**** الثقافة الأدبية الناضجة تنتج انساناً حراً٠**



** الاتصال مسئول عن بناء الخبرة الجمالية للطفل .

وكتاباتهم في وسائل الاعلام بالدعم المادى والمعنوى الذى لا يقل عن دعم الكتابات الموجهة للكبار كما هو حادث الآن، وانما يزيد عنه الى الضعف على الأقل.

وفي وسائل الاعلام ينبغى ان نحرص على تحقيق مفهوم الوحدة في التنوع بين الوسائل ذاتها كما نحرص على تحقيقه بين الفنون الأدبية، بحيث تعمل جميعا على توجيه ثقافة ادبية للطفل تتكامل في أساليبها الفنية والجمالية من اجل تحقيق الخبرة الجمالية المنشودة. ويعنى ذلك ألا تعمل برامج الاطفال في التليفزيون في واد وبرامج الاطفال في الاذاعة، أو الصحف، أو الكتب أو المسرح أو السينما في أودية اخرى. كما ينبغى ان يتم هذا التناغم بين الوسائل الاعلامية والفنون الأدبية في اطار من فهم الأسس النفسية لجمهور الاطفال، والتى انتهت اليها الدراسات العلمية. فاذا كان هناك من يتصور أن المرحلة الاولى من حياة الأطفال من ثلاث الى خمس سنوات تحتاج الى الادب الخيالى، فان هذا التصور لا يقوم على أساس صحيح، ذلك أن الاطفال في هذه المرحلة يجنحون الى الواقعية، فهم لم يعرفوا بعد الكثير عن العالم الذى يعيشون فيه، بل ليس لديهم اساس يعرفون به الاشياء الحقيقية من الخيالية، فهم لا يعرفون مثلا أن المردة والغيلان والسامرات والمخلوقات الغريبة التى تقذف باللهب من جوفها، ان هى إلا ضرب من الخيال، فهم يعتقدون في معظم الاحيان انها حقيقية كما انهم لا يعرفون ان ذلك الذئب الضخم المخيف المعروف في القصص الخرافية يختلف كل الاختلاف عن الذئب الذى يعيش في الغابات أو في حدائق الحيوان، وان هذه الحيوانات لا تقفز من فراشها وتكشر عن أنيابها الضخمة الحادة تريد البطش به والقضاء عليه. ان سماع الطفل لهذه القصص الخرافية عن تلك المخلوقات الغريبة الخارجة عن نطاق تفكيره قد يوقع في قلبه الرعب والارتباك، على حد تعبير «دوروتى وباروخ».

فقد يتصور الطفل ان احدها سوف ينقض عليه من أحد الاركان أو من وراء أحد الأبواب، مما قد يسبب له أحلاما مزعجة كما يسبب له احساسا عاما بالقلق نتيجة لفهمه الخاطىء «الأول» وهذا الفهم النفسى العلمى للطفل لا يقتصر على الكتاب ومقدمى برامج الأطفال في وسائل الاعلام فحسب، وانما يجب أن يشيع بين الكبار عموما، والآباء خاصة ولا سيما عندما يتجه الاب لاختيار كتاب لطفله أو اختيار ما يشاهد أو يسمع، فالطفل في المرحلة الاولى مثلا يحب ان يشاهد أو يسمع عن غيره من الأطفال ممن يشبهونه مستمتعا عما يأتيه أقرانه، بل أن اوصاف اكل بعض انواع الطعام أو ضوضاء عربات النقل وهي تصطك بأرض الشارع تجذبه وتستهويه، فهذه كلها اشياء جديدة علمية مشوقة له تثير فيه الاهتمام، ولقد اظهرت الدراسات ان اقصى درجات اهتمام الطفل بالقصص الخرافية بلغ مداه عندما يبلغ الثامنة أو التاسعة من عمره، ودلت ايضا على ادخال العناصر الخيالية في سن مبكرة جدا يحدث له ارتباكا، لذلك كان من الأفضل ان ننتظر بعض الوقت قبل ان نسمع الطفل تلك القصص الشعبية القديمة، ويرتبط بوحدة الفنون الأدبية من جهة، ووحدة وسائل الاعلام من جهة اخرى، بما يمكن ان نسميه «وحدة انواع التجربة البشرية» التى تسعى هذه الفنون من خلال الوسائل الى تقديمها للطفل، والانتقال به من المركزية الذاتية الى المركزية الاجتماعية والتجربة البشرية لا تقتصر في الادب على التعبير عن «التجارب الشخصية» ولكنها تشمل

كذلك التجارب الانسانية على اختلافها تاريخية واسطورية وفولكلورية ودينية واجتماعية، والأديب ذو الخيال الخصب المبدع يستطيع أن يقدم للاطفال نماذج بشرية قد تكون اكثر صدقا وغنى من واقع الحياة في ضوء فهمه لطبيعة مرحلتهم العمرية. هذه «التجارب البشرية» يجب أن تصاغ الصياغة الفنية والادبية وتقدم خلال وسائل الاعلام على تنوعها مع الافادة من خصائصها في الاتصال، وهي وسيلة الادب لتحقيق الاتصال الثقافى بجمهور الاطفال والفنون الادبية بالقياس الى جمهور الاطفال، وهذه التجارب لا تختلف في تصنيفها بالقياس الى جمهور الكبار، وهو التصنيف الذى يرتبط بموضوعها كأدب التجربة الشخصية، وأدب الحياة العامة للانسان وادب المجتمع وادب الطبيعة، ولذلك فان الوحدة المنهجية في الثقافة الادبية للطفل من خلال وسائل الاعلام وحدة اساسية في النظر الى الانواع الادبية شعرا ونثرا، ويقتضى هذا الفهم من وسائل الاعلام مقروءة ومسموعة ومرئية، الافادة من الفنون الأدبية ليس في نقل التجربة البشرية فحسب ولكن في تكوين الخبرة الجمالية للطفل، وهو الامر الذى يقتضى بدوره عدم الاقتصار على فن ادبي «كالقصة» مثلا واهمال الفنون الأدبية الأخرى أو عدم العناية بها كالشعر الذى نعلم ارتباطه الغنائى بالطفولة الانسانية، واثره في تكوين الخبرة الجمالية للطفل.

الشعر والتنشئة الأدبية:

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: «علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا» والتأديب هنا يعنى التعليم والتثقيف والتنشئة الاجتماعية، ولذلك عنى التراث العربى بأدب الناشئة، وتوسيع معارفهم، على النحو الذى يشير الى المعنى التهذيبى لمادة الأدب منذ اواسط القرن الأول للهجرة، حتى اثر قول العرب: «الأدب أدبان: أدب النفس وأدب الدرس».

واذا كانت نشأة الأدب ثمرة لحاجة الانسان الى التعبير عن عقله، وشعوره، فان من أهم وظائف الأدب في الحياة الانسانية تصوير ما في نفس الانسان من فكر وعاطفة أو حادثة ذات مغزى، ثم انتقاله الى نفوس القراء فيعينهم على فهم الحياة وايقاظ مشاعرهم السامية، وهو كذلك بالقياس الى جمهور الاطفال، يوجه نفوسهم الى الغايات الانسانية النبيلة، في اطار من الفهم الاتصالى الذى يقوم على توصيل التجربة الى الآخرين.

> ** الاتصال الحر، يحقق الاتحاد العاطفي والتناغم الوجداني بين الناس.

ولسنا في حاجة الى أن نشير الى أهمية الشعر والادب بفروعه واجناسه المختلفة في رقى الانسان، ولا سيما انه عمل اجتماعي له أهميته في صميم حياة المجتمع، ومن أجل ذلك نقول ان الثقافة الأدبية للطفل لا تعنى صنع انسان جديد مقطوع الصلة بأصوله الأدبية، ولكن المراد من حديثنا هو بناء الانسان العربي المسلم الجديد بالرجوع الى واقعه وماضيه وتاريخه.

واذا كانت مكتبة الطفل العربي قد حفلت بالقصص الممتاز منذ كامل كيلاني، فانها ايضا قد حفلت بشعر شوقى وحكاياته على لسان الحيوان، كما حفلت بقصائد الهراوى، وقصائد سعيد جودة السحار، وهذه الاخيرة تعد مرحلة جديدة لمن يدرس أدب الاطفال، أفادت مما سبقها من مراحل، ومن ريادة أمير الشعراء، فقدم صاحبها الاستاذ السحار نماذج تتناسب مع مراحل عمر الطفل، وتلائم نموه



الذهنى والوجدانى منطلقا من المقولة التى تذهب الى أن الشعر من أهم وسائل التربية، لما يتضمنه من موسيقى تؤدى به الى أن يسبر أغوار الطفل، ويكسبه خبرة جمالية واخلاقية، على النحو الذى يؤدى بنا الى أن نقول ان الشعر يساهم في تنشئة جيل من الاحرار يردد مع الاستاذ السحار:

لولاك يا مصر
لم يعرف المجد
آثار اجدادي
فخر لنا يبدو
يا جنة الله
في الأرض يا مصر

وتذكرنا قصائد السحار التى كتبها للأطفال، بذلك التعريف الذى قدمه الشاعر الامريكى المتخصص في شعر الطفل الينورفارجيون: «الشعر ليس الوردة ، ولكنه رائحة الوردة، الشعر ليس هو البحر، ولكنه صوت البحر».

وما تذهب اليه الباحثة الامريكية «شارلوت س.هوك» المتخصصة في أدب الاطفال: يؤكد هذا المعنى حينما تقول: «ان الشعر هو «ترشيح» للتجربة التى تمسك بجوهر الهدف، وبالمشاعر والفكر، ومثل هذا التشديد يتطلب استعمالا، بنائيا لغويا، مثاليا، راقيا، اكثر مما يتطلبه النثر، كل كلمة ينبغى ان تنتخب بعناية في وقعها «الصوتى» وفي معناها، لأن الشعر لغة في أشد اشكال ترابطها وتركيزها.. وربما يوسع الشعر، ويشد التجربة، وربما يمثل سلسلة من التجارب، وراء مدى الانسان على الفهم، أو الاستماع الفردى، وربما تضيء القصيدة، وتوضح، وتعمق احداثا يومية، مما يجعل القارىء - الطفل - يرى ويحس اكثر مما رأى أو احس من قبل، لأن الشعر هنا يعنى اكثر مما يسمى «مرآة الحياة».. انه يكشف الحياة بأبعاد مختلفة.. وقد قال «فروست» مرة أن القصيدة تنطلق من السعادة الى الحكمة.. والشعر يصنع اطفالا سعداء لكنه يعينهم على تطوير بصائر جديدة، وطرق جديدة للاحساس بعالمهم.

والشعر يتحقق عندما يتحقق اتصال القصيدة والقارىء، كما تقول شاعرة غربية:

أنا - قالت القصيدة - حقيقة،
أنا غيمة
أنا شجرة
أنا مدينة
أنا البحر ..
أنا السر الذهبي
لكن - اضافت القصيدة - بصمت
انا لا استطيع التعبير حتى تأتي
تعالى الي
تعالى .. ايها القارىء.

ان اهم ما يوصله شعر الاطفال، يستند الى التصور واللامباشرة، كما تقول شارلوت س. هوك في الفصل الذى ترجمه الاستاذ فاروق سلوم، فالشعر للاطفال يختلف قليلا عن الشعر للكبار، خاصيته تكمن في لغته الشعرية ومحتواه الذى ينبغى ان يمس الاطفال مباشرة، وفي قصائد السحار التى كتبها للاطفال نري هذا المعنى اكثر تجسدا ووضوحا:

أيها المركب ، اسرع
إن قلبى ضاق صبرا
آه لو أغمض عينى
فأرى نفسى بمصرا

** الانتاج الادبي الصادق يوحد بين قلوب جماهير الاطفال في عالمنا العربي .

انني اشتاق احيا
في بلاد النيل حرا

واستخدام ضمير المتكلم في هذه القصيدة وغيرها من شعر السحار يوحد بين الشاعر والقارىء الطفل في وصف تجربة الطفولة.

ان القاعدة في كتابة شعر الطفل - كما يقول جيمس ريفز «هى ان على الشاعر الا يقدم للطفل تجارب فوق قدرته على الاستيعاب، ولقد حرص الاستاذ السحار على تقديم هذه التجارب المرتبطة بوجدان الطفل ارتباطا وثيقا مثل «دق الجرس»:

تن تن ترن، دق الجرس
تن تن ترن، دق الجرس
اسرع الى الصف، وقِفْ
وارع النظام المؤتلف

وقصائد اخرى مثل «المستقبل» و «وطنى مصر» و «شم النسيم» وغيرها من القصائد التى نقدمها للطفل العربي هدية له في عيده الذى نحتفل به في كل عام.. واذا كنا نلاحظ اولا عدم وجود الكم الكافى من صحف الاطفال في بلادنا فان ذلك يقتضى اصدار كَمٍّ اكبر قائم على اساس علمى من دراسة الطفولة وثقافتها، وربما كان من الافضل أن نوصى هنا بأن تصدر هذه الصحف الخاصة بالاطفال عن المؤسسات الصحفية الكبرى مثل: الاهرام والاخبار والمعارف وروز اليوسف على نحو ما تصنع مؤسسة دار الهلال، وان يشرف على هذه الصحف ا لخاصة بالأطفال متخصصون في ثقافة الطفل الى جانب العناصر الصحفية الفنية المدربة. وذلك يتيح لصحف الاطفال قسطا أوفر من الحرية المالية. لأن جانبا من تكاليف انتاجها ونفقاتها العامة تؤديه صحف الكبار.

وإذا كان المجتمع الحديث يوصف بأنه مجتمع اعلامي فان ذلك يقتضي دراسة آثار وسائل الاتصال على الأطفال. فالتليفزيون له أثره الكبير على الطفل ويقتضى ذلك ان توظف برامج الاطفال لتقديم ثقافة أدبية قائمة على الفهم الاتصالى للادب حتى يواجه التليفزيون ما تنبه اليه الدراسات الحديثة من زوال الحدود بين ثقافة الكبار وثقافة الاطفال مما ينبغى معه ان يقتحم الاطفال عالم الكبار قبل الاوان ودون أن تتوافر لديهم اسباب الحماية والحصانة، وما لم يقم الكبار ووسائل الاتصال المختلفة والمقروءة خاصة بدور المفسر ودور الوسيط فان الاطفال سوف يستوعبون منظر المجتمع ودور الكبار فيه كما تصوره لهم شاشة التليفزيون بدلا من الاطلاع على حقيقة العالم بطريقة طبيعية وتلقائية من خلال تجارب الحياة اليومية. ومن خصائص التليفزيون التى يغفلها الناس غالبا هى ان الصور والاصوات التى يقدمها الكبار وان كانت مشابهة للحقيقة تفتقر الى عنصر التفاعل والاستجابة الذى نحس به في الاتصال المباشر بالعالم الحقيقي، ذلك ان التليفزيون يقدم اتصالا في اتجاه واحد، اي من الجهاز الى المشاهد ومن هنا انعدم التفاعل في الاتصال. وبالنسبة للطفل كما يذهب الى ذلك «كازهيكوجوتو» فان استجابة الوالدين وتفاعلهما مع غيرهما من الكبار والاطفال من حولهما أمر على جانب كبير من الاهمية لكى يفهم الطفل العالم ويندمج في المجتمع ولا شك أن ما دأبت عليه المرأة العاملة من استخدام التليفزيون كمربية تحل محلها، ليشغل الاطفال ويحملهم على الهدوء من شأنه أن يحرمهم من عامل

**** فهم الأسس النفسية للطفل يساعد كثيراً على ايجاد انتاج متميز للأطفال.**



هام من عوامل التربية الصحيحة.

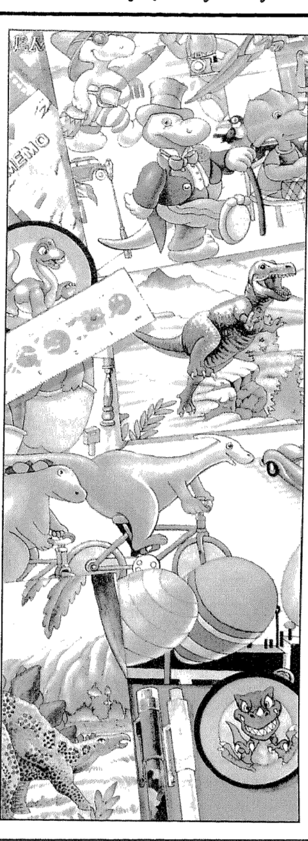
وهذا الدور السلبي الذى يقوم به الطفل المشاهد يكتسب اهمية خاصة في مشاهدة الاعلانات التجارية التى تستهوى افئدة الأطفال فالاعلان عندهم هو دائما خبر سار. ومن آفة الاعلانات المتكررة التى تتسم ببراعة الاخراج عن السلع المعروضة على الشاشة بطريقة جذابة انها تؤكد مزايا المنتجات المعروضة دون أن تشير الى عيوبها مما يوهم الاطفال ان ثمة عددا لا يحصى من السلع والخدمات المتاحة لكل من هب ودب، فيسيل لعابهم ويغريهم الاعلان بشرائها ولكن خطر الاعلان ينجم كذلك من ناحية التذوق الأدبي والجمالى حينما لا يقدم لغة سليمة، أو لفظا حضاريا أو حينما يقدم في اسلوب فنى فى مستوى هابط.

وخلاصة القول أن وسائل الاعلام حينما تقدم الثقافة الأدبية للطفل فانها تستطيع أن تحقق اغراضها الجمالية والاجتماعية كما تستطيع ان تقدم الخبرة السلوكية المنشودة وتستطيع ان تقدم «التجدد الروحى» للطفل حيث يتعرف فيها الاطفال على انفسهم من خلال المواقف السلوكية المختلفة. وهنا يصبح الادب من خلال وسائل الاعلام محققا لمفهوم «التنشئة الأدبية» الذى عرفه التراث الاسلامى والعربى ونذكر هنا ما روى من حديث النبى عليه الصلاة والسلام «أدبنى ربِّي فأحسن تأديبي» ويتمثل علماء النقد الأدبي بهذا الحديث، للتأكيد على ان مادة كلمة «أدب» فعل متعد معناه التعليم والتنشئة الاجتماعية والثقافية، فالادب في التكوين الثقافي للطفل من خلال وسائل الاعلام، عامل حيوى فعال يقوم بدور اساسى في حياة العقل بوصفه الاداة الناجحة التى تعدل من البنية القائمة على أحسن وجه وحتى تتمكن من تحقيق اغراضها وتنفيذ مقاصدها.

**** القصيدة تنطلق من السعادة الى الحكمة، والشعر يصنع اطفالا سعداء.**

ذلك أن الأدب اسلوب فنى في نقل التجربة الفردية والاجتماعية للأطفال، وكل ما يندرج تحت مفهوم التراث الحضارى. وفي هذا الاتجاه تستطيع الثقافة الأدبية في وسائل الاعلام من خلال تصوير التجربة البشرية تصويرا فنيا ان تعمل على وحدة الفكر بالنسبة للطفل العربى كما تستطيع العمل على تحقيق الانتماء والمسئولية من خلال البشرية، وفي هذا المجال فاننا لابد أن نوصى بالعناية بالتراث العريق واستلهامه في الاعمال الأدبية الموجهة للطفل في وسائل الاعلام باعتباره الوثيقة الحضارية والتاريخية للأمة العربية، وكذلك تدعيم القيم الروحية وتأصيلها في نفوس الأطفال من خلال الفنون الأدبية المختلفة في وسائل الاعلام. وليس من شك في أن التركيز على الوعى القرائى في الصحف والمجلات والكتب من أهم وسائل تحقيق ثقافة ادبية للطفل على مستوى رفيع، ولا سيما أن نسبة كتب الأطفال منخفضة في مصر والعالم العربي بالقياس الى بقية دول ا لعالم ويقتضى هذا الأمر وضع خطة شاملة لكتاب الاطفال، تحدد فيها مجالات المعرفة اللازمة لتكوين الطفل العربي بما فيها الثقافة الأدبية.

ان الثقافة الأدبية في نهاية الأمر - هى الاساس الذي يبنى عليه الانسان الحر، الذى يكتشف انسانيته أو «الوجود المبدع» فيه، على حد تعبير الفلاسفة، ولا غرو ان نقول ان هناك صلة وثيقة بين الادب ومستقبل الانسان ما دام الأدب هو اساس البناء للطفل العربى الذى يعادل بدوره «جهاز المستقبل».





قصص الأطفال من الوجهة التربوية

يخلط كثير من الناس في فهم الدور الذي تقوم به القصص في حياة الطفل، بل ويعتقد البعض بأن أية قصة تصلح أن تُقدَّم للطفل ما دامت أحداثها شائقة، غير أن من الواجب مراعاة أن تكون القصة في مستوى المرحلة التى وضعت لها من حيث مستوى الاستيعاب، ويرى الخبراء التربويون أن مستوى الاستيعاب هذا يحتاج وسائل معينة هي :

ـ الفهم ـ الربط ـ الاستنتاج ـ التذكر.

١ ـ مستوى الفهم:

وهو المستوى الذى يمكن معه فهم الطفل للقصة بسهولة وإدراك ما وراء الصياغة الفنية للقصة، وهذا بالضرورة يتطلب أمرين هما:

ـ صياغة القصة صياغة جيدة.

ـ قدرة الطفل على الالتقاط السريع للألفاظ والجمل والعبارات وفهم الأفكار التى تكمن خلفها.

بقلم: أ . د. مصطفى رجب ـ مصر



إذ ليس من المعقول أن نقدم للأطفال قصصا تعتمد على الرمزية أو الألغاز أو لا تتناسب مع مستوى فهم هؤلاء الأطفال.

٢ ـ الربط:

ويقصد به الربط بين المستويات الفنية للقصة والمستويات النفسية وخصائصها في مراحل النمو المختلفة عند الأطفال، وقدرة الأطفال ـ من ناحية أخرى ـ على الربط بين ما يقرأون وما يفهمون وبين واقعهم الاجتماعى التربوي.

٣ ـ الاستنتاج:

وهي العمليات التى يقوم بها الطفل من أجل الوصول إلى الأهداف التربوية التى تحتوى عليها القصة، وهذه العملية في مجملها عملية ذهنية وشعورية، إذ أن كل قصة تحتوى على مجموعة من الأهداف التربوية والقيم المختلفة، والطفل في سبيل الوصول الى هذه الأهداف يقوم بعمليات ذهنية كالتفكير والتركيز في القراءة والفهم وربط الجمل والعبارات بأفكارها، وكذلك العوامل التى تثير مشاعر الأطفال نحو هذه القصة والارتباط بها.

٤ ـ التذكر:

ولا يقصد به تذكر تفاصيل القصة أو قدرة الطفل على إعادة سرد هذه القصة أو بنائها، وإنما يقصد بالتذكر هنا قدرة الطفل على الاحتفاظ بما جاء في هذه القصة من خبرات تربوية وثقافية يمكن الاستعانة بها في المواقف المماثلة لأحداث القصة أو يتخذها كوسيلة إجرائية تساعده على فهم الظواهر المختلفة.

ومن هنا تصبح معرفة مراحل النمو الأدبي عند الأطفال مهمة لأنها تعين المتخصص في أدب الأطفال والدارس على تحديد ما يمكن أن يقبله الطفل أو يرفضه في القصة وهذه المراحل هي:

١ ـ مرحلة الحكاية:

والحكاية هنا هي تلك الأقصوصة «الحدوتة» التي تحكى للطفل من خلال أحد والديه أو الحكايات المصورة في المجلات المتخصصة أو عبر وسائل الإعلام ويجب أن تكون هذه الحكايات سهلة في لغتها وفي سرد أحداثها تحتوى على عناصر تشويق وجذب للطفل وتدور حول موضوعات تتعلق بالخبرات البسيطة للطفل وتحتوى على قيم يستفيد منها الطفل في اكتساب سلوكيات جديدة أو تصوير سلوكيات قديمة أو تفسير ظواهر معينة.

وهذه الحكايات تناسب الأطفال ما بين ٣ ـ ٨ سنوات وتنقسم الى قسمين هما:

قسم اللغة المسموعة:

وهو القسم الذي يختص بالحكايات التي تلقى شفاهة وفي هذه الحكايات يجب أن يكون حديث الملقى واضحاً ومخارج ألفاظه صحيحة ويجب ـ قدر الإمكان ـ ألا يكون لديه عيوب خلقية في النطق حتى لا يتأثر به الطفل وأن تكون طريقة إلقاء هذه الحكايات تمتاز بالرقة والتركيز على إظهار المشاعر والانفعالات وتعبيرات الوجه التى تناسب المواقف

الدرامية المختلفة للقصة، وحكايات اللغة المسموعة هذه تناسب الاطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٣ ـ ٦ سنوات.

قسم اللغة المقروءة:

وهذا القسم يعتمد على الحكايات المكتوبة في الكتب المتخصصة للأطفال أو المجلات المتخصصة حيث تكون هذه القصص مسرودة حتى يمكن قراءتها، ويجب أن تكون هذه الحكايات مكتوبة بلغة بسيطة وسهلة تخلو من الألفاظ المعقدة والتراكيب اللغوية صعبة الفهم والجمل الطويلة، بل يجب أن تكون الجمل فيها قصيرة ذات رنين موسيقي، وهذا القسم يناسب الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ ـ ٨ سنوات.

٢ ـ مرحلة الحبكة البسيطة:

والحبكة الفنية هنا يقصد بها التعقيد في الأحداث ومراحل تطور هذه الأحداث داخل القصة وهذه المرحلة تناسب الأطفال من ٩ ـ ١٢ سنة (الفترة التى تعادل النصف الثانى من المرحلة الإبتدائية).

والقصة في هذه المرحلة تنتقل من مرحلة الحكاية ذات المشاهد المنفصلة الى مرحلة القصة ذات الأحداث المترابطة التى تنمو فيها الأحداث بشكل متدرج وطبيعى وتتناسب مع قدرة الأطفال النفسية على الربط بين هذه الأحداث وإدراك العلاقات بينها حتى يمكنهم الوصول إلى الفكرة العامة للقصة، ولذلك يجب أن تكون عمليات تطور الأحداث أو الحبكة الفنية بسيطة بالشكل الذى يساعد الطفل على فهم هذه الأحداث والربط بينها واستنتاج الأهداف التي تحتوى عليها القصة.

٣ ـ مرحلة الحبكة المتقدمة:

وهذه تناسب الأطفال من ١٣ ـ ١٥ سنة (وهي الفترة التى تعادل مرحلة التعليم الإعدادى) وفي هذه المرحلة يمكن للطفل أن يدرك الأبعاد والعلاقات بين أحداث القصة، وكذلك يمكنه أن يجارى الحبكة الفنية للقصة تلك الحبكة التى تصور الصراع وتطوره ويستطيع أن يدرك معنى الحوار ـ الصراع ـ الفكرة ـ التشويق وهكذا.

ويجب الإهتمام في هذه المرحلة بالقصص الفني من حيث جودة البناء وقوة الفكرة حتى يمكن أن نؤهل الطفل في هذه المرحلة لمرحلة ما يسمى بالتذوق والقدرة على إبداء الرأى العلمى في القصة.

٤ ـ مرحلة الحبكة الناضجة:

وهذه المرحلة تناسب المراحل العمرية من ١٦ ـ

** سهولة اللغة، وسلامة السرد وعوامل التشويق والجذب، من مقومات الحكاية للأطفال.

١٨ سنة وما بعدها وهذه المرحلة تسمى مرحلة النضج الفكري، ولذلك فإن القصة في هذه المرحلة يجب أن تتميز بالعمق الفنى والصدق الفنى وذلك لأن هذه المرحلة تتميز بخصائص رئيسية هى:[١]

أ - أنها متدرجة ومتداخلة وتحديد بدايتها ونهايتها عملية تقريبية تغليبية وليست تحديدية بأية حال.

ب - أنها تختلف باختلاف الأفراد وما بينهم من فروق فردية عديدة.

جـ - أنها تختلف باختلاف البيئات وما بينها من فروق ثقافية وحضارية مختلفة ومع هذا فإنها تلقى من الضوء وتقدم من المؤشرات ما يجعلها على قدر من الأهمية في هذا المجال.

ولذلك فإن هذه المرحلة تحتاج الى مهارة فنية عالية في الكتابة حيث انها تعتبر بداية الانطلاقة للقراءة الحرة وكذلك ظهور بذور التأليف الفنى عند الأطفال بشكل عام، ولذلك لابد أن يكون للقصة في هذه المرحلة هدف واضح وأن تراعى الفروق الفردية بين الأطفال والفروق البيئية من حيث المناخ الاجتماعي والوضع الثقافي.

**** معرفة مراحل النمو الأدبي عند الأطفال مهمة للمتخصص الدارس لمعرفة ما يقبله الطفل أو يرفضه.**

العناصر الأساسية للقصة التربوية:

تختلف القصة التربوية عن القصص الأدبي من حيث المضمون التربوي وإن كانت عناصر القصة التربوية تتشابه مع القصة الأدبية، ويرى بعض المتخصصين أن هذا التقسيم غير صحيح، وأن القصة هي القصة وهى ذلك النوع الأدبي الجميل الذى يحمل عناصر التشويق ويخاطب العقل والروح، ومهما كان فإن القصة - أية قصة - تحمل في داخلها أهدافاً ومضامين وقيماً تربوية كانت أو غير تربوية ولكنها تحمل أفكاراً وتجارب فنية مختلفة.

ولذلك فإنه لا يمكن تقسيم هذا النوع الأدبي إلى قصة تربوية وغير تربوية، وإن كانت هذه الرؤية تبدو في شكلها أنها رؤية جديدة ولكنها تفتقر الى الرؤية الشمولية فالمقصود بالقصة التربوية هى القصة التى تحمل مضامين تربوية وتهدف الى خدمة العملية التعليمية وبمعنى آخر فهى احدى وسائل التعليم المستمر - إن جاز التعبير - ولذلك فهى تنشأ منذ فكرتها الأولى تهدف إلى تقديم قيمة تربوية متخذة في ذلك وسائل تختلف بالضرورة عن وسائل استخدام القصة الأدبية مثل: الأسلوب - الفكرة وغير ذلك.

** القصة التربوية هي التي تحمل مضامين تربوية وتهدف الى خدمة العملية التعليمية.

** القصة التربوية تقوم على البساطة في التناول، وتكثيف عناصر التشويق.

وكما تتكون القصة الأدبية من مقدمة وعقدة وحل فإن القصة التربوية أيضاً تتكون من مقدمة وعقدة وحل ولكنها تختلف عن القصة الأدبية في بساطة التناول وتكثيف عناصر التشويق، ولكن لكل جزء من هذه الأجزاء وظيفة مستقلة في الإطار التربوى العام للقصة.

أولا: المقدمة:

تحمل المقدمة التمهيد الأولى لبناء فكرة القصة ومن المقدمة تنسج خيوط القصة وتبدأ الخطوات التالية في عملية بناء الفكرة وتجسيم المواقف المختلفة وفي المقدمة تبدأ عناصر التشويق في العمل على جذب القارىء وتعتبر المقدمة نقطة انطلاق نحو الأحداث وتعقدها حتى تصل إلى الذروة أو ما يسمى بالعقدة.

ثانيا: العقدة:

هى النقطة النهائية لتعقيد الأحداث وقمة تطور الصراع وهذه الأحداث تبدأ بالواقعة الأولى في عملية بناء القصة وتتوالى الوقائع بعد ذلك داخل نسيج القصة حتى تصل إلى العقدة، فلو تخيلنا مثلا أن طفلا خرج دون أن يَشْعُرَ والداه، على غير هدى، حتى وصل إلى محطة السكة الحديد وهناك وجد قطاراً واقفاً فاستهواه هذا القطار فركب فيه، مجرد ركوب الطفل القطار يغير الواقعة الأولى أو الحادثة الأولى ثم تتوالى الأحداث بعد ذلك حسب رؤية الكاتب وقدرته على ربط هذه الأحداث من اصطدام الطفل بالمسافرين ومحاولته القفز من الشباك مثلا، ثم ينزل في إحدى المحطات التى لا يعرف عنها شيئاً ويضل الطريق ثم يصطدم بعصابة وهكذا حتى تصل الأحداث في النهاية بالطفل إلى أن تأخذه هذه العصابة وتقرر ذبحه وبيعه كقطع غيار بشرية، وهنا تصل الأحداث إلى الذروة أو العقدة ومن ثم يبدأ الكاتب في ايجاد مخرج لهذه العقدة يسمى الحل.

ثالثا: الحل:

هناك من الكتاب من لا يضع حلا معيناً لتعقيد الأحداث ووصولها الى العقدة الرئيسية وذلك حتى يجعل القارىء أقرب الى الارتباط بالقصة من خلال التفكير في وضع الحلول المناسبة لهذه القصة، وهذا النوع هو الذى يناسب الأطفال على اختلاف مراحلهم العمرية مع مراعاة مستوى الفهم لكل مرحلة في عملية بناء القصة.

ومن الكتاب أيضاً من يجتهد في وضع الحل المناسب للعقدة، فلو أردنا أن نضع حلا مناسباً



للقصة السابقة نجعل الطفل يهرب من العصابة على غفلة منهم ويلتقى مصادفة بأحد رجال الشرطة أو من يساعده على العودة الى أهله، وهكذا.

وليس معنى هذا أن القصة تتكون من المقدمة والعقدة والحل وإنما هناك عناصر أخرى مكونة للقصة هي:

**** على القاص ضرورة مراعاة الفوارق العمرية للأطفال عند اختيار الفكرة، وفي أسلوب تناولها وعرضها.**

١ - الفكرة:

وهي اللبنة الأولى والأساسية التى يقوم عليها بناء القصة، لذلك يجب على الكاتب أن يمتلك القدرة على التصوير الشامل من أجل خلق هذه الفكرة ويجسدها في عمل فنى وأن تكون لديه رؤية شمولية لعملية البناء من حيث الأحداث وتتابعها وعناصر التشويق وتوزيعها على القصة وتطور الأحداث والوصول الى النهاية المرسومة لهذه القصة بأسلوب مبسط لا يستعصى على الأطفال.

كما على الكاتب أيضاً أن يراعى في اختيار أفكاره المراحل العمرية المختلفة فالفكرة التى تصلح لأطفال ما قبل المدرسة لا تناسب أطفال المدرسة أو المراحل الأخيرة من الدراسة، كما يجب أن يراعى أيضاً الفروق الفردية بين الأطفال لكل مرحلة من مراحل النمو المختلفة والظروف البيئية المحيطة بالأطفال والعوامل الثقافية التى ينشأ الأطفال في ظلها فإن القصة التى تُقَدَّم لطفل يسكن في حي من أحياء العاصمة تختلف بالضرورة عن القصة التى تقدم لطفل يسكن في قرية نائية أو منطقة ريفية ولذلك يجب أن تراعى كل قصة الخصائص النفسية للأطفال على اختلاف مراحلهم وفروقهم الفردية.

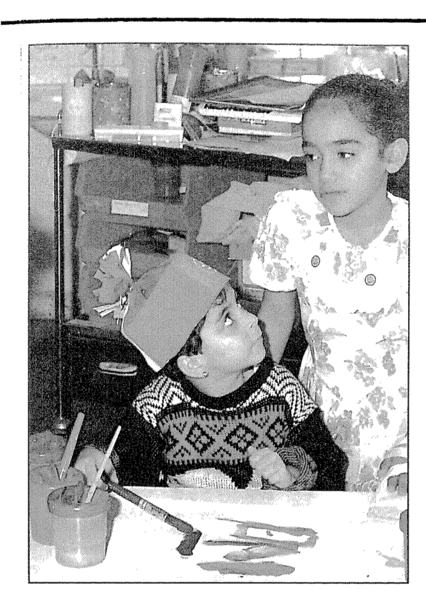
٢ - البناء والحبكة:

وهي الخطوة التالية بعد الفكرة، فبعد أن تختمر الفكرة في ذهن المؤلف يبحث عن الوسائل التي تساعده في صياغة هذه الفكرة صياغة فنية ومن أهم هذه الوسائل ما يسمى بالبناء بالحبكة.

والبناء هو بناء أحداث القصة بشكل متماسك بحيث إن كل حدث يكمل الآخر، وتماسك أحداث القصة يشبه تماسك البنيان وإلا فإن القصة تكون مفككة ولا تؤدى الأهداف التربوية المطلوبة، أما الحبكة فهي إحكام بناء القصة بطريقة منطقية مقنعة لأن القصة في مجملها يجب أن تكون متماسكة من حيث ترابط الأحداث وتطورها وأن تكون أحداثها وشخصياتها مترابطة ارتباطاً يجعل من مجموعها وحدة متماسكة الأجزاء.

والقصة التربوية تحتاج الى نوع من الغموض الذى تتضح أسراره في الوقت المناسب حتى تجذب الطفل وتثير فيه المشاعر المختلفة والتفكير الذى يساعده على الفهم وإدراك ما وراء الألفاظ والعبارات ولابد أن تحتوى على عناصر التشويق حتى مع أعقد الأحداث وتطورها حتى يرتبط الطفل بالقصة ويقبل عليها.

تربية الحس الجمالي عند الطفل العربي



يظن بعض الناس أن المدرسة والمجتمع هما وحدهما المسؤولان عن التربية الثقافية وعن التنشئة الجمالية وعن تنمية القيم الانسانية السامية ٠٠ وأن العائلة لا تستطيع القيام بشيء في هذا الميدان، لأن واجبها الأول هو أن تهتم بغذاء هذا الطفل وبلباس هذا الطفل وبلعبه وتسلياته ٠٠ وواجبها ينحصر كذلك في توفير الصحة المتينة له قبل الذهاب إلى المدرسة، والمدرسة ـ بعرف هؤلاء البعض ـ ستتكفل بأمور الثقافة والجمال والتحضر والتمدن الانساني ٠

بقلم: د. راتب الغوثانى ـ عضو الهيئة العامة لجمعية التراث العلمى العربي



لكن الواقع يقول: أن العائلة هي التي يجب أن تبدأ بالتربية الثقافية وبتنمية الحس الجمالي السامي وهي - أي العائلة - هي التي يمكنها أن تزرع هذه البذرة العصرية وتنميتها بأسرع وقت ممكن.. وعلى العائلة أن تستخدم مختلف الوسائل وأحسنها.. وليست القضية هنا قضية واجب تربوي فقط، بل واجب وطني، وليس الولد هنا هو الوحيد الذي يستفيد من الثقافة ومن إدراك الأشياء والمحيط البيئي جمالياً.

فالعائلة التي لا يقرأ الآباء فيها الكتب والصحف ولا يتمتعون بالحس الجمالي وبالذوق الرفيع في التعامل مع الأشياء، والناس الذين لا يشاهدون البرامج التلفزيونية المعنية بالثقافة والآداب.. ولا يهتمون بالمعارض الفنية وبمعارض المصنوعات الفنية والتطبيقية.. والذين لا يزورون المتاحف، بالتأكيد سيصعب على هؤلاء الآباء أن يوفروا للطفل ثقافة راقية وحساً جمالياً عصرياً وستبقى مساعيهم بسبب عزوفهم عن الفعل الثقافي الحضاري - مساعي زائفة لا تؤتى أكلها - .

وسيكتشف طفل هذه العائلة ذلك فيما بعد..

عند عقده للمقارنات مع عائلات لها توجه ثقافي وفني وجمالي وحضاري، حيث ستترسخ في ذهنه فكرة مضمونها: أن ما تحاول عائلته تحقيقه وتقديمه إليه من سلوك اجتماعي ليس بذي فائدة أو أهمية على الاطلاق.. وسيبدأ عندها الشرخ الاجتماعي بالاتساع بين الأجيال ويمكن لنا ساعتها أن نخسر جيلا بكامله إذا نحن لم نسع إلى استيعابه عصرياً وإلى التعامل معه حضارياً وبما يقتضيه العصر.

إلا أن هذا يجب أن لا يجعلنا نعتقد أن العادات الثقافية والفنية والحس الجمالي يمكن أن تتكون مصادفة ومن تلقاء نفسها ويحق لنا أن نؤكد: أن التربية الثقافية والفنية لن تكون مجدية إلا إذا نظمت تنظيماً واعياً ووفق منهاج محدد أو طرائق تربوية معينة وأن تربية الطفل الثقافية والجمالية يجب أن تبدأ في وقت مبكر جداً حتى حين يكون بعيداً عن معرفة القراءة. إذ يمكن أن يتم ذلك عن طريق حاسة البصر لأنه وحسب ما يقرره علماء النفس، فإن حاسة البصر عند الطفل تأخذ تدريجياً في النمو تبعاً لتطور الطفل ونموه.. حتى تصبح الحاسة الأولى التي يعتمد عليها في اكتسابه للمعرفة وللخبرة الجمالية والثقافية، فالعين هي نافذته على الحياة الخارجية.. وهي نافذة هذا الخارج - بكل جمالياته - إلى بصيرة الطفل وعالمه الداخلي، وبالتالي نافذته إلى عواطفه وأحاسيسه.

هذا وان للصورة أهمية كبيرة في تنمية خيال الطفل وتوسيع فكره ونمو حواسه الجمالية.. وليس من الضروري استخدام صحف الأطفال لهذا الغرض، بل يمكن استخدام أي نوع من اللوحات والرسوم لان الطفل حين يتفحص الصور فإنه محكوم بطرح الاسئلة وهو لذلك يهتم بالتفصيلات والعلاقات والعلل - الثقافية والعلمية والجمالية ومن الضروري أن نجيب دائماً عن أسئلته بشكل يساعده على الفهم وعلى نمو مداركه الفنية والجمالية بما يتعلق بعالم الألوان والأشكال وبالتناسق والترتيب والرقة والجمال.

وعندما يتعلم الطفل القراءة فإنه ينتقل إلى مرحلة تالية هي مرحلة اكتساب المعارف الجمالية بمفرده أو بالاستعانة بغيره من أترابه أو من الراشدين، حيث تحتل المدرسة ساعتها المقام اللائق في حياة الصبي الصغير ولا يعني هذا - مرة أخرى

نكرر - أن يغفل الآباء مسؤولياتهم ويتركوها للمدرسة فقط.

لم يعد البيت والمدرسة وحدهما ينبوع معرفة الطفل والتلميذ والطالب. ولم يعد البيت والمدرسة مركز تربيتهم الوحيد وتعليمهم في عصرنا الحاضر، الذى أخذت فيه مختلف المؤسسات الثقافية والتربوية والفنية تسهم في حسن تكوينهم وتعليمهم وتزويدهم بما تصبو إليه نفوسهم من متعة وترفيه وتسلية ومعرفة واطلاع ورغبة في الابداع. في عصر تميز بطابع العلم التقني والابداع الفني والجمالي وبتعدد الاكتشافات في مختلف ميادين الحياة. وفيه تحقق حلم الانسانية في غزو مجاهيل هذا الكون في كل المناحي.

الصحيفة:

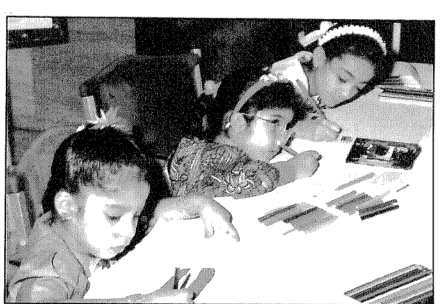
وحسب (مكارينكو) يجب أن تحتل الصحيفة مكاناً بارزاً في انطباعات الطفل، حتى الذي لا يعرف القراءة. ويجب أن يتم فعل قراءة الصحف أمام الأطفال وعلى ملأ منهم بما تحمله من أخبار جميلة ومعارف خاصة وعامة، غريبة وطريفة. ويتم ذلك بشكل لا يحس الطفل فيه بأنه معني بالقراءة، بل يجب أن تكون قراءة الآباء جهرية يسمع الطفل تفاصيلها دون التوجه المباشر إليه.

وفي مراحل أخرى متقدمة يمكن أن تكون للمطبوعات المصورة دور هام في حياة الطفل وعلينا أن ندفعه إلى الاهتمام بها والاشتراك بالمطبوعات الخاصة بالطفولة واقتناء ما يناسبه منها وتصنيفها.. فمحتوياتها من الصور والرسوم تسهم في رفع درجة الحساسية الجمالية والمعرفية لديه بشكل تدريجي غير مباشر لكنه فعال.

وقراءة المطبوعة الخاصة بالأطفال يجب أن تكون بعيداً عن مساعدة الآخرين لهم ليستطيع الطفل الاعتماد على نفسه ولكي تصبح هذه المطبوعة على علاقة حميمة معه يؤنس بها ويتحاور معها، لكن فتح باب المناقشة حول ما يقرأه الطفل أمر ضروري شريطة أن تكون مناقشة عفوية تجري في ساعة محددة من اليوم وأن لا يطول وقتها، بل يجب أن تجري الحوارات كما يجري الحديث الحر العادي حول أي أمر حياتي آخر مرتبط بالمنزل أو بالمناسبات والناس الآخرين.

الكتاب:

يؤدي دورا آخر إذ يتعرف الطفل الى الكتاب عن طريق القراءة المشتركة التي يجب أن تظل أحد أهم اهتمامات الأسرة.. في البدء القراء هم الآباء، ثم تنتقل هذه المهمة الى الأبناء.. والقراءة تساعد على توحيد الأذواق وتهذيبها وعلى السمو بها جماليا وفنيا وخياليا وتعطي لهم من ثم حساً نقدياً ومعرفياً





عميقاً.. لا مفر إذاً من تنمية مهارة القراءة المستقلة بصوت صامت لدى الطفل عندما يكبر. **ولكي يكون دور الكتاب كبيراً في تنمية الحس الجمالي، يجب أن تكون مهمة الآباء معتمدة علي:**

١ ـ مراقبة الانتقاء الجمالي والأدبي لشكل الكتاب ومضمونه.

٢ ـ تدريب الأطفال على القراءة والاستمتاع الجمالي بها وبتخيل ما يقرأونه وتصوره جمالياً.

٣ ـ دفع الطفل الى العناية بالكتاب والحفاظ عليه نظيفاً ومنسقاً مع غيره من الكتب. وفي هذا نوع من أنواع التربية الجمالية ونوع من أنواع الارتقاء بالحس الفني والجمالي الذي يأتي عن طريق الاهتمام بالكتاب وبتصنيفه ونظافته وحفظه والمحافظة عليه وعلى محتواه وصوره.

السينما:

وللسينما دور آخر في مجال التربية المعرفية والفنية والجمالية وهي تؤدي دوراً هاماً في تنمية الحس الجمالي لدى الطفل. والسينما تعد في عصرنا الراهن من العوامل التربوية والثقافية إذا أحسن توظيفها للتربية، بكل جوانبها، ويدخل هنا التلفزيون والفيديو ـ ليس فقط للأطفال، بل للشباب والبالغين، وذلك لاعتمادها على الصورة بكل مفرداتها الجمالية والفنية، لذلك يجب أن تكون الرقابة على كل ما تعرضه هذه الوسائل من صور ـ رقابة حقيقية، تربوية وفعّالة ـ فالآثار السلبية لها كبيرة وفادحة إن لم تعالج في وقتها.

وعلى الآباء أن يدفعوا الابناء لابداء آرائهم في المادة السينمائية تعويدا لهم علي ممارسة حرية التعبير والمناقشة مع التوقف عند أهم النقاط التى أعجبت الطفل والتى لم تعجبه ومن ثم تقويم تذوقه والسمو به من خلال ما أثر فيه الفلم على الطفل من مادة ثقافية أو ما استوعبه من ملامح جمالية. فإذا رأى الآباء أن الطفل لا يهتم إلا بالحوادث السطحية وبالمعارف العابرة وبالمغامرات العادية فعليهم أن يقودوه إلى نوع من الفهم أكثر عمقاً وإلى نوع من الحس الجمالي أكثر شفافية عن طريق الأسئلة والحوارات المباشرة وغير المباشرة وكذلك قيادته إلى نوع من الرؤية أكثر رقياً وجمالا وعمقاً..

والمسرح يلعب دوراً هاماً في تنمية الحس الجمالي عند الطفل، إذ أن كل ما ذكر عن السينما يمكن أن يذكر عن المسرح إلا أن هذا الأخير يتعرض لمشاهد صعبة الفهم على الطفل، لكن تبقى لجماليات المسرح المرافقة وإضاءته وديكوراته وصفوفه المنتظمة كبير الآثر في الرقي بحسه الجمالي وتغذيته، إذ يجب لفت اهتمام الطفل الى قضايا المسرح الجمالية (الديكور ـ الانارة ـ تبدل الاضاءة ـ الستارة ـ لباس الممثلين ـ لباس الناس المشاهدين ـ طريقة جلوسهم وطريقة مشاهدتهم للعرض وانعكاسات الانارة على الناس والأشياء والممثلين). فالمادة المسرحية هنا ليست أساسية في الاستفادة من المسرح في مجال تنمية الحس الجمالي عند الطفل. هذا فضلا عن أن الذهاب الى المسرح يتطلب إعداداً وتفرغاً كاملا خلال أمسية اليوم.

ـ اما المتاحف ومعارض الفن فلها شأنها هي الأخرى في الارتقاء بالحس الجمالي لدى الطفل وغيره من أفراد العائلة والمجتمع. ففي كل مدينة متحف على الأقل إلا أن الآباء لا يعيرون هذا الموقع أهمية مع أن للمتحف وللمعارض الفنية ولأماكن العرض الفنية الأخرى أهميتها التربوية الهامة، الجمالية والفنية أيضاً بما في ذلك معارض الكتب والألبسة والمنتجات الأخرى (الزراعية والصناعية)

وزيارة هذه الأماكن تتطلب من الطفل اهتماماً كاملا بالمعطيات الشكلية والمضمونية.. وهذا يقع على عاتق الآباء وهذه الأماكن توقظ عند الطفل مشاعر كثيرة وعميقة.

إن زيارة الطفل للمتاحف واطلاعه على مجموعاتها وروائع فن الرسم والنحت والتصوير والحفر والنقش والتنزيل والفسيفساء والمنسوجات والمخطوطات والمسكوكات والحلي والفخار والخزف والزجاج والمعادن، مما يثير اعجاب الطفل بما أبدعته الأجيال المتعاقبة ويشعر بالارتياح للجهود المبذولة في سبيل المحافظة على هذه الآثار المنقولة والممتلكات الثقافية التي تشكل جزءاً هاماً من التراث الانساني.

- ويبقى هناك أشكال عديدة للنمو المعرفي ولتطوير القابلية الجمالية عند الأطفال.. وهذه الأشكال تلعب كذلك دوراً هاماً في تنمية الحس الجمالي والثقافي عند الطفل منها (النزهات - والزيارات الخاصة - زيارة المواقع الأثرية والسياحية - المهرجانات الأدبية والفنية والأسواق).

وإذا ابتغينا الايجاز قلنا: إن لزيارة الآثار فوائد عديدة على صعيد الثقافة والحس الجمالي هي:

١ - أنها تسهم في تنمية قيمة الحرص على الأشياء عند الطفل.. فرؤيته للمجموعات الآثارية الصغيرة المحفوظة في المتحف تثير لديه الرغبة في الحرص على أشيائه وممتلكاته الخاصة والعامة، وهذه بحد ذاتها قيمة جمالية هامة يجب غرسها في ذوات أطفالنا.

٢ - الآثار تسهم في تنمية الذوق الفنى عند الطفل.. إذ أن طرق العرض والتصنيف وجماليات المعروضات تشكل لديه حافزاً جمالياً.

٣ - الآثار تسهم في نشر الثقافة وتعميم المعرفة ودقة الملاحظة وإنماء التجربة المعرفية لدى الطفل، الحياتية والجمالية.

٤ - تسهم الآثار في نشر فضيلة حب العمل والاعتزاز بالمنتجات اليدوية. وهذه قيمة جمالية اجتماعية علينا بالسعي لتعزيزها في أجيالنا.

٥ - تسهم الآثار في قتل الفراغ عند الطفل واستخدامه لصالح المعرفة والذوق والجمال.

٦ - تسهم الآثار في تعزيز الانتماء الوطني والرغبة في متابعة مسيرة هؤلاء الأجداد المبدعين والفخر بهم وبابداعاتهم.

٧ - تسهم الآثار في تنمية الحس بالملكة العامة والمحافظة على الأشياء والممتلكات الجماعية.

والآباء يستطيعون بدورهم أن يوجدوا في كل يوم أنماطاً جديدة في التربية الجمالية الهادفة إلى السمو بذوق الطفل والى تفعيل حاسته الجمالية داخل الأسرة وخارجها. فمثلا (محاولة زرع عادات حب الكتاب والاهتمام به وتنسيق المكتبة والطاولة وترتيب غرفة الجلوس والطلب إليه إبداء رأيه في وضع الآثاث والبسط والسجاد وتعليق اللوحات.. والطلب إلى الطفل إعطاء رأيه في ألوان الستائر والاهتمام بها ومحاولة تنسيقها وأشكالها وألوانها ومشاركته في الانتقاء الخاص بأشياء المنزل وحاجياته وأخذ رأيه في لباس والدته ووالده ورأيه في تناسق اللباس مع الأحذية أو مع المتممات الأخرى.. وكذلك الطلب إليه انتقاء بطاقات المعايدة للمناسبات وزرع حب التواصل مع الأخرين من خلال الهدية الجميلة المتواضعة والمعبرة.. وفي النهاية يجب ادخال الطفل في كل مناسبة تتطلب اهتماماً جمالياً) ففي هذا تنمية لأحاسيسه الجمالية من جهة وتنمية لقابلياته الاجتماعية كالمشاركة والاحساس بمشاعر الآخرين واحترامها.

إن النزهة مثلا في ضواحي المدينة والتعرف إلى الطبيعة والقرية بعمائرها وحيواناتها وأشجارها تقدم



كلها أفكاراً ممتازة حول عادة بناء البيوت الريفية وزراعة الأشجار والاعتناء بالحيوانات وغير ذلك مما يكفي لملء يوم بهيج من أيام الراحة، لكن من غير المفيد تحويل النزهة إلى محاضرة مباشرة، ذلك أن النزهة يجب أن تظل نزهة قبل كل شيء ولا ينبغي قسر الولد على الانتباه إلى شروحاتنا، إلا أن انتباهه سيتركز من تلقاء ذاته على ما يرى وعلى بعض الكلمات والفكاهات أو القصص أو المشاهد دون أن نلحظ نحن ذلك. ونتيجة ذلك عظيمة على الصعيدين المعرفي والجمالي.

- وكذلك الحال عند زيارتنا للشاطىء في أيام الاستجمام، يمكن لنا أن نثير اهتمامه الى المتع من مشاهد البحر في أوقات النهار والمساءات وكذلك التمتع بمشاهدة الغروب والشروق وكذلك لفت نظره إلى انعكاسات الأبنية على المياه وانعكاسات الناس والزوارق وكذلك الأمر بالنسبة لجمال الجبال البعيدة بألوانها الشفافة وظلالها الرقيقة.. وحركات الناس وتكويناتهم وسباحتهم ولهوهم ورقصهم.. والاهتمام حتى بجماليات الحصى الصغيرة والصخور أثناء اللهو والراحة. والعبث بالقواقع ومحاولة تفحصها جمالياً والتمتع بتكويناتها وجماليات أشكالها.

هذا فضلا عن أن العائلة يجب أن تشجع الاهتمامات الرياضية بشتى الوسائل ولكن دون أن تصبح هذه الاهتمامات اندفاعاً أعمى لا فائدة منه.. لتحاول كل عائلة أن تجعل من أبنائها رياضيين جيدين وبطبيعة الحال نرى من الخير أن يكون الآباء أنفسهم رياضيين بالمعنى العملي لهذا المجال.

وأشدد في نهاية هذه الفقرة على أن ما يحصل عليه الطفل في محيط الأسرة من نمو في الناحية العقلية والثقافية يرجع الى تعلمه اللغة بصورة تدريجية عن طريق استخدام حواسه فيما يحيط به ولا سيما السمع والبصر وتقليد الكبار في لفظ الكلمات واستعمالها وامتلاك المعانى واستخدامها في التعبير عن الذات والأشياء والأفكار والأحلام والقيم والجمال فاستخدام المفردات الجميلة والجمل الايقاعية الرقيقة تنمي عنده حس انتقاء اللفظ الجميل والتعبير الجميل.. وهذا بدوره يدخل في مصفوفاته السلوكيه.. فلنعود الأطفال على القول الجميل في كل مناسبة وعلى الرد الجميل وعلى كتابة الكلمات الجميلة وعلى الحديث الجميل (شكراً - عفواً - أنا آسف - لك تحياتي .. مع الاحترام... الخ).

هذه التعابير الجمالية يجب أن تكون أساسية في كل حوار يقوم به الطفل مع الآخرين - وتأكدوا عندما تصبح هذه المفردات من أساس خطاب الطفل اللغوي والشفهي، فإنه سيعمل ليرقى إلى مستواها من الشفافية والرقة.. وهذا بحد ذاته انجاز حضاري وجمالي عصري نحققه من خلال تبني اللفظ الجميل في تربية إبننا الجمالية.

إن قصة أو حكاية تسرد سرداً جميلا وجيداً على الطفل هي بداية جيدة ورائعة لتربية ثقافية وجمالية.. وهنا لا بأس من وجود كتاب للقصص في خزانة الكتب في البيت ويجب أن تكون القصة قصيرة كي يفهمها الأطفال الصغار وسهلة الاسلوب حتى يدركوا جماليات القيم فيها.. وجماليات المشاهد الخيالية والتخيلية (الاستمتاع بالتخيل عند الطفل لا تحده حدود(فخيال الطفل غير مقيد بواقع محدد.. واختيار القصص أمر بالغ الأهمية **ويجب نبذ القصص التي تتنافى مع القيم الجمالية الراقية** والتي لا تتوفر على الصور الجميلة واللفظ الجميل والتراكيب الجميلة.. وهذا ينطبق كذلك على الصور المبثوثة والمطبوعة والمتحركة.

نؤكد: أن للطفل عالمه الخاص ورغباته الكثيرة

المميزة والتي يطالب المجتمع بمعرفتها والافادة منها في حسن تكوينه واعداده للحياة. ومن هذه المميزات التي لابد من ادراكها أثناء التربية الجمالية هي:

١ - ميله الى اللعب والتسلية والترفيه واعتماده على حركة يديه.. وهما أدواته للمعرفة والاكتشاف.. لهذا فإن كل ما يراه الطفل يجذبه إليه ويثير لديه الرغبة في لمسه لمعرفته واختباره والسؤال عنه والاقتباس منه، وتقليده واعادة تكوينه وتشكيله.. وهذا ما يفسر لمس الطفل لكل ما يراه ويسمعه محاولا معرفته واكتشاف سره، مما يجسد بداية طموحاته وتطلعاته.. ويحرص المربون على الافادة من هذه الميول والرغبات ويعملون على حسن توجيهها والافادة منها وتنميتها.

٢ - رغبته في كل ما ينمي خياله ويغذي أحلامه.

٣ - حاجته إلى التعاطف مع الاطفال ومشاركتهم إياهم عالمهم وأحلامهم وألعابهم.

٤ - تعطشه إلى معرفة الأسرار الغامضة.

٥ - حرصه على السؤال باستمرار.

٦ - رغبته في الابتكار والتقليد والاقتباس وتقمص الشخصيات المحببة صاحبة القيم الجمالية (الشجاعة - الجرأة - المغامرة - الدهاء - المعرفة - الاكتشاف - حسن التصرف).

٧ - شعوره بلذة عمل أي شيء بنفسه ومن خياله.

الطفولة وعالم اللوحة الجمالي:

من أين يبدأ الطفل في التعرف الجمالي على محيطه وبيئته؟ إنه يبدأ من اللحظة التي يشده فيها أي مؤثر جميل وفعال وجذاب، سواء كان سمعياً أم بصرياً وتبدأ حواسه بالتنبه - والتأمل ثم محاولة التعرف على الكليات والعموميات فالأجزاء أو العكس.

المهم أن يبدأ المؤثر الجمالي فعله في حواس الطفل العليا وبقدر ما يكون هذا المؤثر فعالا ومؤثراً وجميلا وممتعاً، بقدر ما يلاقي في النفس الصدى الكبير والاستجابة المثلى.. مهما كان هذا الطفل صغيراً.. ومهما كانت مدركاته العقلية محدودة وبسيطة.

نعود فنقول إن المهم هو نوع هذا المؤثر وقدرته على الوصول إلى الطفل إلى عواطفه، الى مشاعره وأحاسيسه وإلى عقله، (إلى وجدانه الانفعالي وإلى إدراكه السامي) وبقدر ما تكون الاستجابة طيبة وفعالة، بقدر ما يكون هذا المؤثر ناجحاً، هاماً ويمكن أن يحقق الدور المنوط به.

كيف يقرأ الطفل الأثر الجمالي باللوحة وإلى أي مدى تثير انتباهه واهتمامه؟..

للإجابة على هذا لابد من تمييز الخصائص التالية في الطفل:

أولا: الحركة.. إن الطفل تثيره الحركه، لذلك يتابع بشغف أفلام الكرتون المتحركة. والأثر الجمالي الحركي هو الذي سيكون فعالا في استخدامه لتنمية الذوق الجمالي.

ثانيا: العناصر الأساسية في اللوحة أو الرسم، سواء كانت بشرية أم حيوانية، فإنها تثير انتباهه واهتمامه.. وفي الغالب يستمتع بها أكثر بالأشكال الحيوانية لأنها ليست تحت بصره ولا يراها إلا في الصور، لذلك يستمتع بها أكثر لأنها بالنسبة له عملية اكتشاف لأشياء جديدة سمع بها ولم يشاهدها في الواقع.

وهذا بحد ذاته مفتاح جديد يمكن استخدامه في تنمية الحواس الجمالية عند الطفل من خلال عرض النماذج الحيوانية الجيدة الرسم أو التصوير لشد الانتباه عنده والاهتمام فيما بعد بالجماليات الأخرى المرافقة وغابات وأشجار وعمائر وتشكيلات

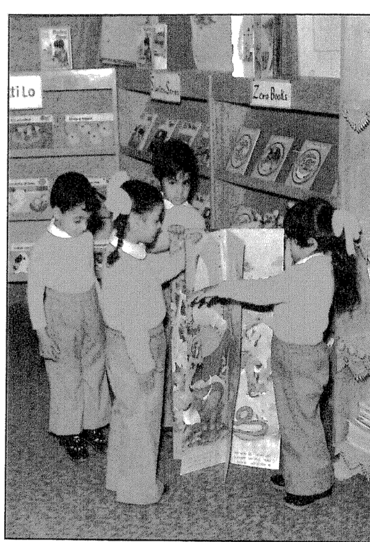
طبيعية، جبال وتلال وجداول وظلال٠٠) وهذا مجال واسع من المجالات التي تسهم في تطوير خياله وتجعله في حالة استمتاع بصرية وتخيلية دائمة.

ثالثا: اللون ٠٠

إن عنصر اللون له أهمية كبيرة في اللوحة التى يراها الطفل، فكلما كانت أكثر إثارة وأكثر حرارة وأكثر تضاداً، كلما اهتم بها ولفتت نظره، لذلك نجد اقبالا من الأطفال على الأفلام ورسوم الكرتون الملونة بألوان صريحة وصارخة أكثر من الصور والرسوم الملونة بانسجام وهارمونية هادئة وشاعرية٠٠ **أي المعتمدة على التكامل وليس على التضاد الحاد.**

رابعاً: غرابة الموضوع وطرافة الفكرة ـ تشد الطفل كثيراً، فإذا جاء الموضوع عادياً لم يلفت نظره، لذلك نجد أن أكثر الرسامين الكبار الذين يرسمون لوحات تعرض على الأطفال، يجنحون إلى الخيال وإلى الغرابة وإلى الاسطورة وإلى ما لا يصدق، سواء من حياة الانسان أو الحيوان أو من جمع النوعين معاً.

خامسا: أهمية الخامة المستخدمة في اللوحة،



فاللوحة المرسومة بالألوان الزيتية غير اللوحة التى نفذت بطريقة (الكولاج) أي بلصق صور متجانسة حول موضوع واحد على مساحة واحدة٠٠ وهي كذلك غير اللوحة المنفذة ببقايا الأقمشة وقصاصات الورق الملونة أو المنفذة بالضغط على صفائح المعادن الرقيقة أو المنفذة بالنباتات الجافة٠٠ لكل خامة من هذه الخامات استجابة تذوقية مختلفة عن غيرها، ليس بالنسبة للطفل فقط، بل بالنسبة لنا نحن الكبار أيضا.

سادسا: مدى وضوح الفكرة في اللوحة. لأن الطفل لا صبر له على البحث عن المعاني وهو لا يستطيع أن يشغل باله في التحليل والتفكير فهذا مدعاة لتنفيره٠٠ لأنه لا يقدر على ذلك أصلا فهو يحب وينجذب إلى الموضوعات البسيطة والجاهزة والواضحة والتي تخاطب عاطفته وأحاسيسه وعقله٠٠ وهذا هو الباب الأهم الذي يمكن أن ندخل من خلاله إلى عالم الأطفال السامي ومن خلاله نعطيهم ما ينفعهم ويسمو بهم من حيث لا يدرون.

لذلك وباختصار، ما هي المراحل التي يجب اتباعها لتعويد الطفل على تذوق أثر جمالي (لوحة) أو رسم أو قطعة فنية:

١ ـ معرفة الأثر الجمالي والالمام بتفاصيله وعناصره.

٢ ـ تنبيهه إلى أهم ما في هذا الأثر من جهة المضمون الجمالي.

٣ ـ تنبيهه إلى أهم ما في هذا الأثر من جهة الشكل الجمالي.

٤ ـ الحوار معه عن السبب الذي أعجبه فيه هذا الأثر أو العكس.

٥ ـ إفهام الطفل ماذا يجب أن نفعل أمام أي أثر جمالي في المستقبل.

٦ ـ الإشارة والتوقف عند الشيء الذي لم يفهمه الطفل في الأثر الجمالي.

٧ ـ في حالة إغماض العينين ـ نسأله عن أهم شيء يمكن تذكره في هذا الأثر الجمالي.. هل هو موضوعه أم لونه أم عناصره الأخرى أو خاماته المستخدمة أم الطرافة فيه أو الجدة أم الغرابة.

إن التعامل مع الطفل أمام الأثر الجمالي أو الفني يختلف كلياً عن تعامل الكبار أمام نفس الأثر.. فالطفل تشده الاثارة المباشرة وتؤثر عليه وتجعله لا يتذكر إلا هذا الانطباع الأول. وخاصة في لحظاته الأولى.

ومن الملاحظ أن حكم الكبار على الأثر الجمالي يكون سريعاً ومرتجلا وتلقائياً نتيجة عدة عوامل منها، التظاهر بالمعرفة والخوف من اكتشاف المجهول في هذا المجال، بينما الطفل لا يهمه رأي الناس بذوقه الفني وبمعارفه الفنية ولا بموقفه من الأثر الجمالي، لذلك نجد أن الطفل يتردد أمام الأثر الجمالي ويتريث ويتأمل ويفكر ويحاول أن يصل إلى اكتشاف هذه اللوحة، موضوعها، ألوانها، عناصرها، خامتها.. كل هذه الأمور تمر بسرعة أمام عينى الطفل دون أن يدرك أبعادها.. وباحساسه الفطري الصادق والعفوي نجده يقول أحببتها.. أو لم أحبها.. وتكون هذه الكلمة محصلة لا شعورية لموقف لا شعوري يتبناه عقله الباطني نتيجة إحساسه بالجمال أو إثارته لعاطفته نحو الشيء الذي لفت نظره فيه.

وفي الغالب نجد مشاعر الطفولة أكثر حساسية وأكثر صدقاً من مشاعر الكبار رغم فارق الخبرة والتجربة والثقافة.

ومن هنا نستطيع أن نبني نظريتنا في أهمية تثقيف الأطفال ودعوتهم للتأمل في العمل الفني، خاصة ما يتعلق بالتراث باعتباره يشكل اللبنة الأولى الحقيقية لمفهوم الوطن وتاريخ الوطن.. وحتى نجعل أطفالنا يحبون وطنهم لابد أن نعرفهم على هذا الوطن وذلك من خلال التعرف على حضارة هذا الوطن وتاريخ هذا الوطن وتراث هذا الوطن والاستمتاع بتأمله وتذوقه بالاطلاع على:

١ ـ تاريخ الوطن وذلك من خلال اطلاع الطفل على متاحفه وآثاره وأوابده وكل ما له علاقة بالماضي العريق والأصيل والمتميز بخصوصية ليس لها مثيل.. ويتم ذلك من خلال زيارة الأطفال إلى المواقع التاريخية، حيث يتوقد خيال الطفل ويعيش أحلى أحلامه وتصوراته عن وطنه العظيم الذي أنجب هذا الشعب.

٢ ـ واقع الوطن الحالي.. في ظل جوانبه الحضارية وازدهاره ونهضته العمرانية والتطورية ونهضته الفنية.. وهذا يتطلب وضع برامج خاصة للانخراط في الأنشطة الثقافية والفنية المتنوعة التي توصل للأطفال معاني النهضة الوطنية الحضارية



والمعاصرة ومن ثم الاعتزاز بها والمفاخرة بما وصلت إليه.

٣ ـ وضع برامج إعلامية تثقيفية خاصة بالطفولة وبذلك توصل له مجمل تراثه وحضارته وجماليات هذا التراث وتلك الحضارة.. والطموحات الوطنية المصاحبة لها.

٤ ـ توجيه الألعاب المصنعة محلياً وجميع الأدوات التي يتعامل معها الطفل لتكون جميلة وجذابة وراقيه شكلا ومضموناً لتعلب دورها التعليمي والتثقيفي والجمالي.

٥ ـ وضع البرامج والخطط العملية للطفولة في مجال التعاون مع المؤسسات والمتاحف وصالات العرض والمراكز المعنية بالشؤون الحضارية كنقابات الفنون والمسارح ودور النشر والصحف.

٦ ـ ايجاد صيغ للتعاون بين الأسرة والمؤسسات التربوية والثقافية والفنية والاعلامية لايجاد الحلول المناسبة لتوعية الأطفال فنياً وجمالياً وحضارياً (من خلال التوعية القيمية العامة والمحافظة على الآثار العريقة وعلى الممتلكات العامة الجميلة والاهتمام بالحدائق ـ وتنمية الاحساس الجمالي لدى الطفل بكل ما يحيط به من أمكنة في المدرسة والمنزل والحديقة والشارع وفي كل مكان يجب أن يبقى الجمال والنظافة هما هم الطفل الأول وعلى الطفل أن يشعر بمسؤوليته تجاه المحافظة على هذه الأماكن نظيفة وبذلك نغرس لديه الاهتمام بالمحيط والبيئة والوطن من حوله من خلال المحافظة عليها جميعها جميلة ورائعة.

خصوصية قراءة الطفل للوحة:

عندما يرى طفل في السادسة من عمره لوحة زميله فهو لا يأخذ وقتاً طويلا في التأمل بها حتى لو عرضت عليه لأول مرة، فهو يدرك باحساسه العفوي أن ما يراه هو من رسم طفل في مثل سنه.. ويقول: إنها رسم طفل وهذا يعنى أن الطفل قادر بتلقائية أن يكشف رسم الطفل مثله لأنه يشبه اسلوبه في التفكير وفي التناول التشكيلي والجمالي.. فهو يشعر أنه ليس غريباً عن هذا العالم الابداعي.

وعلى هذا النمط من التفكير البصري. نجد أن حكمه وتقييمه للّوحة أكثر صدقاً وأكثر التصاقاً من حكم الكبار عليها (لذلك يجب أن نرسم في كتب الأطفال ما يتناسب مع سنهم العمرية ونمط تفكيرهم.

وقد يعجب الطفل باللوحة أو قد يوجه لها نقداً جارحاً، لكن وبالمحصل يشعر بسعادة لاهتمام الكبار بها لأنها رسم طفل مثله، لذلك يحاول الطفل في بعض اللحظات أن يوحي لنا أنه يرسم أفضل منها وكأنه يريد أن يقول أنه أصبح في مستوى أعلى من مستوى منفذ هذه اللوحة.. وهذا يعلل بالغيرة من رفيقه، وهذه ظاهرة طبيعية جدا وصحية جداً (ويمكن تنميتها واستثمارها في التربية الابداعية وفي تنمية الحس الجمالي لديه).. لأن الغيرة تدفع إلى التنافس الشريف والبنّاء.. وقد يستفيد نفس الطفل من الأفكار التى وردت في لوحة رفيقه فيحاول لا شعورياً أن يأخذ بعض العناصر أو الوحدات أو الألوان أو الأشكال الرئيسية ويستخدمها في لوحته دون أن يعترف أنه نقلها عن لوحة رفيقه **(في هذا تلاقح للأفكار وتزويد للأطفال بعناصر بصرية جديدة من خلال اطلاعهم على معارض ورسوم الأطفال في مثل سنهم).**

ـ أما عندما نعرض على الطفل لوحة من إنتاج

الكبار لفنان محلي مثلا فإنه يقف أمامها متفرجاً منتظراً ملاحظاتنا أو أي إشارة منا لتسهيل قراءة اللوحة لأنه يعرف بفطرته أن اللوحة ليست من رسم الاطفال وهي بالتالي لا تنتمي إلى منطقه الفكري.. وهذا ما يجعل مهمتنا هنا أدق، إذ نلجأ الي الطريقة الأكثر قرباً للمعرفة وهي طريقة طرح الاسئلة على الطفل وهو يتأمل اللوحة .. ونفس المسألة بالنسبة لعرض لوحة مشهورة على طفل يشاهدها لأول مرة.

وهناك طريقة أخرى.. وهي اتاحة الفرصة للأطفال للالتقاء مباشرة مع الفنانين الكبار أنفسهم أصحاب نفس الأعمال الفنية التي يشاهدها الأطفال في المتحف أو المعرض.. وهذا يغرس عند الطفل احساساً عميقاً بالسعادة والثقة بالنفس والشعور بالأهمية الكبيرة وسيقول لأهله متفاخراً: لقد تعرفت على الفنان الكبير فلان والتقيت بفلان.. ومن خلال اعجابه باللقاء أو بشخص الفنان أو باللوحات الفنية تتعمق ثقافته وتنمو شخصيته وتتنامى مدركاته الجمالية وتشف أحاسيسه الجمالية، تلك التي سيرافقها بالتأكيد إحساس أخلاقي بالمحافظة عليها والدفاع عنها - عن الجمال والحق - وفي مجال استكمال التطبيقات التربوية يمكن جمع الأطفال في مكان بعيد عن المعرض أو المتحف أو العمل ا لفني الذي شاهدوه وإجراء عملية تحريض للذاكرة عن طريق التداعي الحر وطرح الاسئلة على الأطفال حول أهم وأجمل وأروع الأشياء وأكثرها دهشة مما شاهدوه في المعرض أو المتحف، وبهذه الطريقة تثبت المعلومات ويتم تصحيح المغلوط منها وتثبيت الأهم في الذاكرة الطفلية، وسنصل بعد ذلك إلى نتائج إيجابية تشكل في الغالب طرقاً عملية تحدد من خلالها مجالات تنمية الوعي الفني والتذوق الجمالي عند الأطفال وتوجههم المهنى المستقبلي.

أخيرا.. إن قراءة اللوحة من قبل ا لطفل هي خطوة نحو تكامل شخصيته وتنمية ذوقه وتربية سلوكه نحو القيم الأخلاقية المرتبطة أصلا بالفن، فالفن كما نعرف هو نوع من أنواع الأخلاق.. والحق هو الجمال.

أهمية الرسم والصورة في تربية الطفل العربي جمالياً :

- النص والرسم في كتاب الطفل:

في كتب الأطفال ترافق الصورة دائماً النص، والعلاقة بينهما وثيقة.. فالتصوير والرسم يجسد ما يقوله النص. والنص بدوره يشرح الصورة ويكملها.. وبدون ذلك فإنها تصبح صورة ملتبسة المعاني متعددة الطروح، أي يجب أن تتولى الصورة نقل معاني النص وحكائيته.. وبهذا تكون الصورة تجسيداً للنص.. ولقد لوحظ أن الصورة تسهل اتصال الطفل فيما بين الثالثة والسادسة بالكتابة وتحفزه إذا كانت معبرة ناطقة على القيام ببعض الملاحظات حول الحكاية، بل ان الصورة تستطيع أن تعوض بشكل من الأشكال النص وهي تكتفي بذاتها بالنسبة للأطفال الذين لا يعرفون القراءة والذين يستطيعون تمييز كتاب عن الآخر من خلال صورة الغلاف التي تحل محل عنوانه.

سيكولوجية الرسم الموجه إلى الطفل:

إن فهم الرسوم يرتبط بسن وخبرة الطفل نفسه، وذلك شأن اللغة اللفظية، بل يسمي البعض الرسوم (لغة غير لفظية). والرسوم باعتبارها عناصر بصرية تعتمد على نمو حاسة البصر - كما



رأينا ـ كما تعتمد على نمو قدرات الطفل اللغوية. لذلك فإنه كلما صغر سن الطفل، كلما وجب الاقلال وإلى أقصى حد ممكن من تفاصيل الرسوم المقدمة إليه، مع الاهتمام بوضوحها وجاذبيتها، ذلك أن كثرة التفاصيل أو التعتيم أو الغموض في بعض جوانب الصورة يربك الطفل ويشتت اهتمامه، ويؤدي به بالتالي إلى صعوبة الفهم ثم ينتهي به إلى الانصراف عن الكتاب. كما وأنه يجب أن نقدم لصغار السن الرسوم في وحدات مكبرة شبه منفصلة عن غيرها. مع ابرازها بأقل تفاصيل ممكنة أو زخارف زائدة، وهو ما يمكن أن نسميه باللقطة المقربة. فالبساطة والوضوح المفهوم في الخط واللون والشكل هي أشياء ضرورية للسن الصغيرة ولا يجب أن تكون هناك مبالغات أو صراع عاطفي، مع تجنب أي تعقيد، ذلك حتى يمكن فهم مضمون الصورة بلمحة واحدة من قبل الطفل الصغير.

ـ فمن بداية الشهر الخامس عشر من العمر يحب الأطفال تأمل الصور الزاهية الألوان والأشياء المحيطة البسيطة المألوفة في محيطهم (المقعد، الملعقة، القطة، الكلب).

ـ وفي بداية الشهر الثامن عشر يحب الطفل مشاهدة صور الأشياء المألوفة له وصور الأشياء غير المألوفة والحيوانات التي لا يراها في محيطه، بل التي توجد في حديقة الحيوان (زرافة، حمار، وحش، فيل).

ويفضل الطفل في هذه المرحلة أن تكون الصورة للأشياء وهي في حالة ساكنة وأبعد ما تكون عن الحركة، مثل كرة ساكنة، بطة واقفة.. ويجب أن لا تتضمن الكتب صوراً متحركة (قطة تلعب بالكرة، بطة تلتقط الحبوب)، ذلك أن القدرة على فهم الصور لا تزال في أولى مراحلها في هذه السن.. وفي تجربة الفنان الهولندي (ديابرونا) مثال على ذلك، فهو بالاضافة إلى حرصه على أن تظل شخوصه ساكنة، فإنه يجعلها تنظر إلى المشاهد دائماً متجنباً رسم أي وجه في وضع جانبي (باعة الصحف يدركون أن غلاف المجلة الذى يحتوي وجهاً كبيراً ينظر مباشرة الى المشتري، يباع أكثر).

ـ في تمام العامين من عمر الطفل وحتى الثالثة ـ تظهر لديه رغبة في أن يرى شيئاً يحدث في كل صورة، مثلا: ولد يلعب بالكرة أو بنت تعطي لبطة حبوباً.

ـ الطفل بعد الثالثة من عمره يبدأ في اكتساب القدرة على تفسير الصور.. كما يمكن له أن يعيد سرد القصص البسيطة من واقع رسومها. لذلك فالحركة والحيوية في هذه السن تحببان الرسم الى الطفل. ويمكن للرسوم الواضحة وبمفردها أن تسرد قصة مبسطة من خلال الحركة فيفهمها الطفل دون عناء.

ـ بعد الرابعة وحتى الخامسة من العمر يحب الطفل الصور الهزلية والخيالية كما يفضل الصور المتقنة الرسم مع بساطة الخطوط والألوان الزاهية النظيفة. وفي هذه السن تكون للرسم عند الطفل مكان الصدارة مع احتياجه نسبياً فيها إلى بعض التفاصيل التوضيحية ويمكن استخدام اللقطة المتوسطة في الرسوم الموجهة لسن الخامسة، حيث يمكن إظهار عدد قليل من الأشياء وأجزاء الأشياء في الرسم، على أن تكون واضحة وتفاصيلها معقولة. فأطفال هذه المرحلة يفضلون الصور الكبيرة التى تشغل الصفحة كلها والتي يجب مساعدة الطفل من خلالها على التركيز بحيث لا تشغله بالتفاصيل

الزائدة عن اللزوم ولكي نجنبه الاثارة وتشتيت الانتباه. كما ويجب الانتباه إلى أن طفل هذه المرحلة يحب التكرار في كل صورة. أي يحب أن يجد شيئاً يعرفه يتكرر في كل صورة، أكثر في حبه للصور التي يربطها موضوع واحد. وفي هذه السن حتى الخامسة يفضل الأطفال صور الناس والحيوان أكثر مما يحبون الموضوعات الجامدة، كما ويحب أطفال هذه المرحلة رؤية الرسوم التي فيها أطفال مثلهم.

- وبالنسبة لأطفال ما بعد الخامسة وحتى الثامنة، فإنهم ينفرون من الصور الفوتوغرافية وهي لا تجذبهم على الاطلاق لأنها حافلة بالتفاصيل من جهة ومن جهة أخرى فهي تحوي على كل الألوان وعلى كل درجاتها. وهذا ما يسبب له - للطفل - ارباكاً ويجعله غير قادر على التركيز أو فهم الصورة والمراد منها.

ويجب إذاً أن يعتمد الرسم بدلا من الصورة الفوتوغرافية ويجب أن تكون الرسوم مرتبطة بموضوع الكتاب ومعبرة عنه وذلك طبقاً لاحتياجات أطفال هذه السن، الحركية، اللغوية، الخيالية والعاطفية. ويفضل أن تكون الرسوم على كل صفحة من صفحات الكتاب الموجه إلى الطفل في هذه المرحلة - بعد الخامسة وحتى الثامنة - لأنه إجراء ضروري للمحافظة على حماسته لمواصلة القراءة ولكنها يمكن أن تكون رسوما بالأبيض والأسود فقط أو بلون بني.

- أما بالنسبة لأطفال ما بعد السادسة وحتى التاسعة فيمكن لنا استخدام اللقطات العامة التى تشمل العديد من الأشياء والعديد من التفاصيل ولكن حتى في هذه السن لا يجب الاسراف فى استخدام هذه اللقطات العامة، بل يجب أن يتضمن الكتاب تحديداً معقولا منها مع الاهتمام باللقطات المتوسطة والمقربة.

- وفي مرحلة التسع سنوات فما فوق فيمكننا الاقتصار على رسوم تخطيطية بسيطة. فأطفال هذه المرحلة لا يحتاجون للصور الملونة وهي لم تعد أساسية في تحفيزهم على القراءة.

سيكولوجية اللون في الرسم الموجه إلى الطفل:

إن أكثر الألوان استحواذاً على اهتمام الأطفال صغار السن وجذباً لأبصارهم هي الألوان الأساسية الثلاثة - الأصفر، الأزرق، الأحمر.. بشرط أن تكون زاهية ونظيفة ومفرحة، لذلك يجب أن يكون لهذه الألوان الأساسية الثلاثة النصيب الأكبر في الرسوم المقدمة للأطفال صغار السن، دون أن نمزج بينها ودون أن نستخدم أية ظلال أو تدرجات في اللون الواحد، وذلك حتى لا يرتبك الطفل الصغير وينفر من الصورة ويحسن أن تكون مساحات الألوان مفصولة بعضها عن البعض الآخر، كأن تحيط بكل مساحة لونية مستقلة خطوط سوداء بينه تحدد حوافَّ كل مساحة على حدة وتعطيها استقلالا بحيث يستخدم في تلوين كل مساحة مستقلة لون واحد صاف غير مختلط بأية ألوان أخرى.

وانطلاقا من أن العديد من الأطفال الذين هم في الرابعة من عمرهم، بل وحتى الخامسة لا يستطيعون الربط ما بين اللون واسمه الصحيح، لذلك فإن الكتب التي ترسم بهذه الألوان الواضحة بالاضافة إلى أنها تلبي حاجات الأطفال، فهي تلبي



أيضاً حاجات الآباء والمدرسين والمشرفين وذلك لتعليم أطفالهم كيف يستخدمون أسماء الألوان استخداماً صحيحاً.

- بعد سن الرابعة أو الخامسة يمكن أن نضيف إلى الألوان الأساسية الثلاثة ألواناً أخرى مثل الأخضر والبرتقالي.

- بعد سن السابعة يمكن أن تستخدم أيضا عدة درجات من اللون الواحد لكن بحذر.

- بعد سن التاسعة يمكن استخدام كافة الألوان ودرجاتها المختلفة، لذلك فإنه في هذه المرحلة يمكن أيضا استخدام الصور الفوتوغرافية الملونة.

**** بعد ما تقدم لا مناص من مداخلة نشير فيها إلى ضرورة تحسين مستوى الانتاج الفني للكتاب المدرسي ومن كافة النواحي ولكافة المراحل فيما يخص الاخراج والرسوم والصور والتصميم والألوان. إذ لا فائدة ترجى من الحث على تحسين الكتاب الطفولي بعمومية بينما وضع الكتاب المدرسي عندنا يعاني من واقع مزر. إذ لا يبدو عليه أية علامة من علامات الاهتمام الجمالية.. وتصفح أي كتاب مدرسي عربي سيعطي صورة قاتمة عن وضع الكتاب العربي بعمومية. وبرأينا يمكن إدخال إنتاج الكتاب وإخراجه الجمالي كمادة في البرامج الدراسية الحالية في معاهدنا وكلياتنا المختصة لرفدنا بالكوادر المتخصصة باخراج الكتاب المدرسي على أسس علمية وجمالية وتذوقية معاصرة.. طبعا مع الاهتمام الشديد بايجاد هيئة خاصة بمتابعة مستوى الكتاب الموجه للطفل العربي جمالياً وتقنياً وعلى صعيد المضمون والشكل.**

المراجع والهوامش:

(١) غازي الخالدي - موقف الطفل من اللوحة - حلقة بحث - دمشق ١٩٩٠م.

(٢) د. عبد الرزاق جعفر - جمهور الأطفال وموقفهم من الآثار - حلقة بحث - دمشق ١٩٩٠م.

(٣) د. فاخر عاقل - علم النفس التربوي - دمشق وزارة التعليم العالي ١٩٧٢م.

(٤) د. زيدان عبد الباقي - أسس مخاطبة الأطفال - إذاعياً - مجلة الفيصل عدد ١٩٨٤/٨٩م.

(٥) د. أرليت قاضي - التلفاز وجمهور الأطفال - حلقة بحث - دمشق ١٩٨٤م.

(٦) سمير سلمون - الخيال والواقع في برامج الأطفال - حلقة بحث دولية ميونخ ١٩٨٣م.

(٧) د. راتب الغوثاني: الابعاد النفسية لرسوم الأطفال - الجيل - عدد ١٩٨٣/٣١٢م.

(٨) د. راتب الغوثاني - مساهمة الرسوم في تنمية خيال الطفل - الاسبوع الادبي عدد ٩٣/٣٢٢، اتحاد الكتاب العربي.

(٩) د. راتب الغوثاني - جماليات العلاقة بين النص والرسم في كتاب الطفل العربي - الاسبوع الادبي عدد ٣٩٠ - ١٩٩٣م اتحاد الكتاب العرب.

(١٠) د. راتب الغوثاني: نحو تذوق جمالي عصري لرسوم كتب الأطفال - مجلة التربية الكويتية عدد ١٩٩٥/١٤م - الكويت وزارة المعارف.

(١١) د. راتب الغوثاني: التوازن بين النص والرسم - مجلة التربية القطرية عدد ١١٢.

(١٢) د. راتب الغوثاني: الابعاد التربوية للمعارض المدرسية - مجلة المعرفة السعودية عدد المملكة العربية السعودية - وزارة المعارف.

صحة الطفل النفسية وتعبيراته الفنية

إيقاعات العصر:

أصبحت متغيرات العصر، وإيقاعاته السريعة، غير المتجانسة أكثر دافعية للإنسان للتوتر، والقلق، والأمراض النفسية، وبخاصة الاكتئاب، الذي يعد ناتجاً للسباق المحموم بين البشر، ساعد في ذلك الدائرة المحيطة بالإنسان التي تشكلها، الحروب، والصراعات السياسية، والضغوط الاقتصادية وسيادة السيطرة المادية، والبعد عن القيم الإنسانية وعدم الاهتمام بالمشاعر والأحاسيس والقيم الوجدانية، وتدني العلاقات الشخصية وسيادة الفردية[١] والاضطرابات العصابية وبخاصة الاكتئاب العصابي Neurotie - De-pression وهو ما يعرف بالاستجابة العصابية Oe-pressive - Reaction ومن بديهيات هذا الزمان، حياة الإنسان في صراع مع الحياة بين ما يملك من قيم خيرة وبين ما يصطدم به، صراع بين الخير والشر، وبين الحب والكراهية، صراع قد تتحمله أنا Ego الإنسان، أو لا تتحمله.

وقد يكون نتيجة ذلك الدخول في دائرة الأمراض النفسية، وبخاصة الاكتئاب، ويكون دائما نتيجة الصراع ضعف الأنا، وفقد الثقة في النفس، ولعل مدى تأهل الطفل واستعداده النفسي يشكل عاملا إيجابياً في تحديد مكانة صحته النفسية.

وإذا كان ما تقدم يعد أحد الدوائر التي يدخل فيها الإنسان المعاصر، وبخاصة الأسرة، بشكل أو بآخر، فيحدث اختلالا في الصحة النفسية لها، مما ينعكس أثره على صحة الطفل فيصاب بالتوتر أو العصبية، أو العدوانية، أو حب الذات وسيادة الأنا Ego، أو فقد الذات، أو الإحساس بالذنب عند مواجهة أمور ما، فيسعى الطفل إلى إشباع ذلك بشكل أو بآخر من الدائرة الخارجية، لعالمه المحيط به، وقد يقوده ذلك - إن لم يوجه - إلى الانحراف، إذا لم يتم إشباع حاجاته النرجسية[٢].

شخصية الطفل
بين مفهوم الذات والصحة النفسية:

يسهم مفهوم الذات في الوقوف على أبعاد شخصية الطفل وسلوكياته في موقف معين، ومن خلال ذلك، يمكن التخطيط له لعلاجه وإعادة تحقيق اتزانه النفسي، ويعد مفهوم الذات تكويناً معرفياً

بقلم: د. يوسف خليفة غراب - مصر





معلم رياض الاطفال يمكنه تفجير الطاقات البداعية عند الطفل

منظماً للمدركات الشعورية والتصورات والتقسيمات الخاصة بالذات، يبلوره الطفل نفسياً وفقاً لصالحه الذاتي، وأن وظيفة مفهوم الذات وظيفة توافقية تسهم في تكامل وتنظيم وبلورة عالم الخبرة المتغير الذى يوجد الطفل في وسطه، ولذا فإنه ينظم ويحدد السلوك.

ومن خلال الوقوف على مفهوم الذات عند الطفل يمكن تحديد حالته العقلية وشخصيته، وسيادة الذاتية تبعد الطفل عن الواقعية وتدفعه للانحراف السلبى الضار بالصحة النفسية التى تنعكس آثارها على إبداعاته وتعبيراته الفنية[٣].

إن معرفة مفهوم الذات عند الطفل يمثل نظاماً من المكونات الوجدانية العقلية عن طبيعة الذات وعلاقتها بالتعبير الفنى وإن دراسة شخصية الطفل الفاقد لذاته الحقيقية بشكل مرضي قد تكوّن فعلا إيجابياً لتحقيق اتزانه النفسي.

وتُوجدُ علاقة وثيقة بين الذات عند الطفل في تعبيره الفنى ومظاهر الصحة النفسية، وإن فهم أحدهما قد يسهل بإيجابية في فهم الشخصية وسهولة تعديل الانحراف الذى يعترض مسارها، ويبدو ذلك من خلال إدراك العلاقة بين الذات والصحة النفسية للطفل والتعبير الفنى له.

إن الطفل الذى يشعر باضطراب في الذات ويبدو ذلك من خلال تعبيراته طفل مكتئب، والاكتئاب النفسى له أبعاد ثلاثة تعرف بمثلث الاكتئاب، وهذه الأبعاد هى المزاج المنقبض والبطئ في الحركة وتأخر الاستجابة والصعوبة في التفكير[٤].

ويبدو الطفل المختل في صحته النفسية بوضوح من خلال رسومه وفي تذكر صفات سلبية للذات[٥] والشعور بالفشل[٦] ويرى في نفسه عيوباً ونقائص



الطفل يحتاج لمن ينشط قدراته

نفسية وجسمية أو أخلاقية وفقداً للقيمة الذاتية[٧] وفقد الطفل لمعرفة نفسه جيداً. حيث يكون التعبير الفني عنده بمثابة رسالة يكشف فيها عن ذاته.

والطفل الفاقد للذات يظهر من خلال القيام بسلوك أقل من الأسوياء في المواقف الطبيعية ومن خلال فقده للمشاعر والقصور في ممارسة المهارات والنشاط الفني البسيط، غير الفعال. واضطراب الاتصال بكافة أشكاله[٨] والتشوه المعرفي، واضطراب الوجدان والدافعية، وفقد الاستجابة المعرفية، وجمود الاحتجاجات وفقد القدرة على الاسترجاع للخبرات الفنية والوعي المباشر للمدركات وشعور الطفل بالعدوانية عند ممارسة الأعمال الفنية الجماعية واستخدام ميكانيزم الاستدخال وكراهية الذات والتضارب بين الانطواء والانبساط، حيث يظهر ذلك بوضوح في رسومات الطفل وتعبيراته.

وتبدو مظاهر الاكتئاب على وجه الطفل بوضوح وفي سلوكياته الحركية، وفقدان التوافق الاجتماعي والبعد عن التعبير عن الذات والحد من قدر الذات والهياج والقابلية للإثارة العصبية والأفعال المدمرة.

وهو ما ينبغي إعادة النظر فيه عند التخطيط لتحقيق الاتزان الانفعالى للطفل من خلال تعبيراته.

دور التعبير الفني في إعادة الإتزان النفسي للطفل:

لكى يحدث الاتزان النفسي للطفل الذى يعانى من اكتئاب، والذى يتم اكتشافه من خلال الملاحظة لتحليل سلوكه الفنى، ينبغى مراعاة تحقيق التالى:

* أن يتم إحداث التفاعل من خلال الممارسات الفنية مع الأطفال الآخرين، وأن يصبح لكل طفل دور ووظيفة في ممارسة الأعمال الفنية وبخاصة التى تتصف بالجماعية.

* إتاحة أكبر قدر ممكن من الخامات والأدوات والمثيرات التى يجد فيها كل طفل ذاته، فيحدث التفاعل، ومن ثم يبتعد الطفل عن الاكتئاب والأمراض النفسية التي قد تحدث له توتراً في صحته النفسية.

* أن يخطط المربى للعلاج عن طريق الفن وذلك من خلال تقديم مهارات أو ممارسات أو معلومات يكون الهدف منها معالجة لمشكلات الصحة النفسية التالية:

- تقديم المجالات الفنية المختلفة للطفل، والتى تتصل برغباته وتشبعها ليجد من خلالها الطفل ذاته فيحدث الاتزان النفسي.

- تقديم المثيرات التى قد تدفع الطفل للتعبير الفنى الجيد والتى تكون بعيدة عن إحداث القلق والتوتر الذى يدفع للاكتئاب والعدوانية.

- تأكيد دور القيم الإنسانية في التعبير الفني



للطفل، وربط ذلك بالبيئة والواقع المعاش والمشاركة الإيجابية مع الغير.

ـ البعد عن المغالاة في الخيال المقدم للطفل بما يحقق العزلة والاغتراب الذاتي له.

ـ دمج الأطفال غير الأسوياء في الأنشطة الفنية المختلفة، والعمل على اثابتهم وتشجيعهم وبخاصة معنوياً.

ـ أن يكون للطفل عالمه الخاص في الفن دون تدخل أو فرض وصاية على تفاعلاته أو مشاركاته الفنية.

ـ تأكيد أهمية ودور القيم الوجدانية للطفل في تعبيره الفني.

ـ تنمية أبعاد الشخصية الخاصة بالطفل من خلال التعرف على ميوله وقدراته واستعداداته وتفضيلاته واستثمار ذلك في المجال الفني أو التعبيري.

ـ إشباع ذات الطفل فنياً بتقديم المعارف والخبرات والمهارات، بشكل يتفق وطبيعة الطفل ونموه العقلى والبيولوجي والفسيولوجي.

ـ ابعاد الطفل عن كل ما يفصله عن الواقع ويحقق أبعاداً لها طابع نرجسى في ممارسة الفن وأنشطته التلقائية.

ـ اخراج الطفل بعيداً عن مثلث الاكتئاب، بتنمية الحركة في التفاعل وتنمية التفكير الابتكاري.

ـ تأكيد دور وأهمية تلقائية الطفل في التعبير الفنى والتزويد بقيم الحب، والتسامح والاجتماعية من خلال الممارسات في الأنشطة الفنية المختلفة.

ـ أن يكون المربى واعياً بفهم أبعاد شخصية الطفل وسماته الفعلية والمزاجية واستثمار ذلك بشكل أمثل من خلال الأنشطة والمجالات الفنية.

ـ البعد عن تقديم الموضوعات للطفل ذات الصفة العدوانية المدمرة وذلك من خلال ممارسته الأنشطة الفنية.

المراجع:

(١) أحمد عبد الخالق (١٩٩١): قياس الاكتئاب مقارنة بين أربعة مقاييس، رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية (رانم) الأنجلو المصرية، القاهرة ص ٧٩.

(٢) سلوى جلال (١٩٨٠) في الصحة العقلية الأمراض النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية، دار الفكر العربي: القاهرة ص ٢٢٩.

(٣) صفوت فرج (١٩٨٥): الاحصاء في علم النفس، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة.

ـ صفوت فرج وسهير كامل (١٩٨٥): مقياس تنسى لمفهوم الذات، إعداد وليم فتيسى، الأنجلو المصرية، القاهرة.

(٤) بوجين ليفيت، بونارد لوبين (١٩٨٥): سيكولوجية الاكتئاب القريب وفقد الذات، تعريب عزت الطويل، دار المريخ، الرياض.

(٥) ممدوح سلامة (١٩٩١): الاعتماد والتقييم السلبى للذات والحياة لدى المكتئبين وغير المكتئبين، مجلة دراسات نفسية، رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية (رانم)، الأنجلو المصرية، القاهرة، ابريل، ص ص ١٩٩ ـ ٢١٨.

(٦)Beek A.T. (1976): Depression clinical experimental and theor etical aspects, N.Y. Harper @ Row

(٧)Kashani J. et al., (1981): curent presepective of childhood depression: An Over View American.

(٨)Kovacs M. @ Beck A.T., (1978): Maladaptive cognitinve structures in depression. American journal of psychiatry, 135. 515 - 533.

جمعيات خدمة المجتمع في الجامعات ما مدى دورها وعطاؤها؟

تمثل الجامعات جهازاً تعليمياً ضخماً يقوم بدور تنموي في المجتمع، إذا أحسن استغلال القدرات المنتمية إليه. وإن تشكيل لجان لخدمة المجتمع منبثقة عن الجامعة يحقق هدفاً من أهم أهداف الجامعات كما تنص على ذلك لوائح التعليم:

(الاسهام في خدمة المجتمع بالتفاعل المستمر بين الكليات والمعاهد من جهة، والبيئة والمجتمع من جهة أخرى لنشر الوعي الثقافي والاجتماعي والتربوي والعملي بالوسائل المختلفة كالندوات والمعارض والمحاضرات ومشروعات التعليم المفتوح والتعلم مدى الحياة ونحو ذلك).

ولكن الملاحظ أن هناك بوناً شاسعاً بين ما ينبغي أن يكون وما هو واقع بالفعل إذ الحاصل ضآلة العطاء أمام شدة الاحتياج من أفراد المجتمع للتوعية والتوجيه والارشاد في المجالات المختلفة:

١ ـ ما يظهر على ساحة المجتمع ـ من وقت لآخر ـ من سلوكيات وثقافات واردة من بيئات مختلفة، أو قضايا أو ظواهر تحتاج للوقوف أمامها بالتحليل والتفسير وعرض البديل. حفاظاً على هويتنا الإسلامية والعربية ومعاييرنا الاجتماعية وديننا ولغتنا وقيمنا.

٢ ـ تقديم دورات متجددة في المجالات المعرفية مثل الانترنيت والحاسوب وغيره وفي المجالات التربوية كرعاية الموهوبين أو المسنين ومساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، والفئات الخاصة.

٣ ـ أوفي المجالات التدريبية لاستغلال وتوظيف كافة الموارد والطاقات.

٤ ـ حل للمشكلات القائمة.

وهذا غيض من فيض فعلى الرغم من هذا الاحتياج الفعلي لخدمات هذه الجمعيات، إلا إنه لا

مستحدثات ومستجدات الحياة ضيقت نظام الأسرة المفتوحة، وحولتها الى الأسرة المغلقة (الزوجان والأطفال)

لنظام الأسرة المفتوحة أو الممتدة الكثير من الجوانب الإيجابية منها:

١ ـ حرص الأسرة على تكاتف أبنائها وأحفادها وحمل اسم العائلة وسماتها.

٢ ـ حماية مصالحها عامة.

٣ ـ استفادة صغار الأسرة ـ خاصة المتزوجين حديثاً ـ من خبرات وحنكة كبار الأسرة.

٤ ـ سهولة حل المشكلات التي قد تتعرض أحد أفرادها خاصة إذا تميز كبار أفراد الأسرة بالتكاتف والحرص على دوام المودة واستمرار التآلف بين أفراد أسرتهم.

٥ ـ سهولة حصول التزاوج بين أفراد الأسرة ومعرفة كل من الزوجين لخصال وأخلاقيات بعضها.

٦ ـ عدم الحاجة الى الاستعانة بالخدم في غالبية البيوت التي تضم أسراً مفتوحة، حيث يتقاسم أفرادها العمل فيما بينهم، ويراعي كبارهم متطلبات

تزال بعض الجامعات لا تقوم بهذا الدور وهذا العطاء وتجعل همها الوحيد هو استيعاب وتخريج دفعات متكررة في تخصصات تعليمية مختلفة. وهناك بعض الجامعات تقوم جهدها بتقديم خدمات للمجتمع لكنه جهد المقل. إلا أنه من الملاحظ باستمرار أن نوعية الخدمات المقدمة واستمرارية هذه البرامج تختلف من عهد لآخر حسب التوجه لها.

كما أن بعض الجامعات تنتظر من المجتمع أن يطلب منها خدمة من نوع معين دون أن تبادر هي باعطاء ما تراه مناسباً للمجتمع.

ولو أن كل جامعة سعت لتنفيذ مثل هذه اللجان وتقديم الخدمات حسب الامكانيات المتاحة لها أو ما تسمح به ميزانيتها خاصة وأن معظم الجامعات يتوفر فيها أعضاء هيئة تدريس في التخصصات العلمية المختلفة. أو أمكانية الاستفادة من هذه الطاقات بالتبادل بين الجامعات.

ولو نظرنا لهذا الأمر بشيء من الموضوعية لوجدنا أن هناك فئات كثيرة في المجتمع لا يحق لها أن تنضم للجامعة حسب الأنظمة وأن توفير مثل هذه الخدمات فيه تحقيق للتنمية البشرية ورفع مستوى تقدم المجتمع، بل وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي.

بقي أن أشيد بأن هناك جامعات تسعى بجد لتوفير خدمات متنوعة لمنسوبيها من أعضاء هيئة التدريس أو الطالبات أو الطلبة أو اقرانهم في المجتمع وقد تدع الباب مفتوحاً لفئات معينة في المجتمع.

وأن هناك جامعات تبذل جهدها من وقت لآخر، ولكننا مازلنا بحاجة إلى الدعم والتشجيع لهذه الجمعيات بأن تأخذ مكانها في توعية أفراد المجتمع.

د. سميرة حسن عبدالله أبكر - استاذ مساعد الصحة النفسية - كلية التربية للبنات بجدة

صغار أبنائهم.

٧ - تلبية حاجات الأبناء والأحفاد النفسية، وأهمها الإحساس بالأمان والحنان.

٨ - مع خروج المرأة للعمل تعطي الأسرة المفتوحة أو الممتدة إحساساً بالأمان للمرأة العاملة خاصة إذا كان لديها أطفال صغار، حيث تجد، على الأقل عينا رقيباً عليهم وعلى خادمتهم في حالة الاستعانة بها.

ومعظم هذه المزايا حرمت منها الأسرة المغلقة، اذ يبدأ الزوجان حياتهما في محاولة وخطأ.. ويصرفان من عمرهما الكثير ليتعلما ويكسبا القليل من التجارب والخبرات التي تعينهما على مواجهة متطلبات الحياة - ناهيك عن القلق الذي تتحمله المرأة العاملة في حالة وجود أطفال تحت رعاية الخادمة مباشرة أثناء غيابها.

وأهم مزية اكتسبتها الأسرة المغلقة الاستقلالية وتحمل كامل المسئولية.. وامكانية ابراز كثير من السمات والقدرات المرغوب فيها في صغار الأفراد (الأولاد).. حيث تتحرر عن سيطرة وحماية كبار الأسرة (في الأسرة الممتدة) الزائدة والتي قد تسبب إعاقتهم، وعدم انضباطهم.

وهذا بعض ما أراه من وجهة نظري في هذا الموضوع.. وإن كنت قد كتبت ما عايشته وأعايشه فعلا في حياتي الحاضرة.

مسك الختام

الإعلام المرئي والمسموع والمقروء الذي جعل العالم كله قرية صغيرة.. ما دوره في منظومة التغيير هذه؟

للإعلام بكافة وسائله دور في ربط العالم كله، وتغيير كثير من الثوابت في المجتمعات المختلفة، مما يؤثر بالتالي في خصائص الأفراد في هذا المجتمع.

وقد تكون المؤثرات إيجابية - إن أحسن استخدام كافة وسائل الإعلام - ضمن معايير شرعية وخلقية مرغوب فيها (مطلوبة). وقد تؤثر سلباً على الأفراد.

إن ترك الحبل على الغارب.. وأرجو ألا يفهم من كلامي أن يُقيَّد الإعلام قسرا أو يشل دوره داخل نطاق كل دولة - ولكني قصدت أن يتفق على معايير تتناسب في صياغتها مع متطلبات العصر الحالي.. وتبنى على أساس ثابت من نهج وسياسة الدول.. بحيث تكون على قائمة هذه المعايير أسس الأخلاق ومصلحة أفراد المجتمعات المختلفة ومتطلبات حياتهم.. وبحيث يمكن تلبية حاجاتهم في أقل وقت وجهد دون المساس بأخلاقياتهم وحياتهم.. وفي كل الأحوال لا يمكن أن يكون للإعلام دوره في منظومة التغيير للأحسن إلا إذا كان مخططاً بصورة جيدة - من قبل رجال واعية لمتطلبات الحياة الحاضرة ضمن ثقافات مناسبة لدولهم.. ولكن ما دور الأفراد داخل هذه المجتمعات - خاصة الإسلامية والعربية منها؟.. إن دورهم يرتكز في تربية الأبناء على أسس ثابتة من حسن التربية والرعاية، والحصانة بسياج متين من تعاليم الدين، والثقافة يتشربها أفراد هذه المجتمعات داخل الأسر، وفي المدارس مناهج ومقررات مدروسة - حتى يتشبعوا بها - ومتى ما تم هذا التشبع ضمنت هذه الشعوب قدرة أفرادها على فرز الغث من السمين مما تستقبله من الإعلام.. دون أن يترتب على ذلك أي سلبيات مدمرة.. وفقنا الله لنعي دورنا داخل هذه المنظومة، ونتمثل التغيير المرغوب فيه والمتناسب مع خلافتنا في الأرض.

د. نجاة عبد الله بوقس - استاذ مساعد المناهج وطرق تدريس العلوم - كلية التربية للبنات - جدة

دور التعليم وتأثيره في خلق ابناء جيل قادر على العطاء

التعليم حق تفرضه الشريعة الاسلامية وواجب تتكفل به الدولة لكل مواطن في هذا البلد الأمين، ولقد أصدرت المملكة العرية السعودية في عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م وثيقة «سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية كإعلان رسمي من الدولة يفصل الأسس والمباديء التي يرتكز عليها مسار البناء التعليمي والدور المنوط بالتعليم في رعاية النشء وإعدادهم للحياة من خلال تعليمهم في مراحل التعليم المختلفة من المدرسة الابتدائية وحتى الجامعة. والتعليم هو النواة الأولى لبناء الإنسان

السوى حيث إن العملية التعليمية تتناول شخصية الإنسان من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والروحية والاجتماعية والخلقية والانفعالية والثقافية.

ومن المعروف أن المدرسة هي المؤسسة المتخصصة في تربية الاجيال الجديدة في أي مجتمع. ولها عدة أدوار تقوم بها تتلخص فيما يلي:

١ - المدرسة وسيلة فعالة للخدمة والتعليم والتوجيه والتثقيف والارشاد.

٢ - تعمل المدرسة على نقل التراث المعرفي من جيل الى جيل وذلك بما يتناسب مع مراحل نموهم واستعداداتهم وقدراتهم، والفروق الفردية فيما بينهم.

٣ - تعمل المدرسة على تكوين الاتجاهات عند التلاميذ، وتكوين الاتجاهات يُعَدّ عاملا من عوامل التماسك الاجتماعي.

٤ - تقوم المدرسة بعملية التعليم، والتعليم مهنة ذات قداسة خاصة توجب على القائمين بها أداء حق الانتماء إليها إخلاصا في العمل، وصدقاً مع النفس والناس، وعطاء مستمراً لنشر العلم والخير، والقضاء على الجهل والشر.

* أما دور التعليم الجامعى في بناء الانسان السوى فيتلخص فيما يلي:

١ - ان تعنى الجامعة بتنمية شخصية الطالب وغرس القيم والمباديء الاسلامية فيه بما يحقق تكاملها جسمياً وروحياً وفكرياً واجتماعياً، وأن توفر له سبل هذا النمو، حيث يكون قادراً على ممارسة مسؤولياته الفردية والاجتماعية باعتباره مواطناً مسلماً.

٢ - أن تعنى الجامعة بتكوين الشخصية الاسلامية القيادية المزودة بوضوح الرؤية والعقيدة السليمة وبالعلوم والمعارف العصرية بما يجعل الشاب الجامعي السعودى قادراً على التفاعل الايجابى مع مجتمعه وعلى النهوض بأساليب العمل والانتاج والحياة في هذا المجتمع، إعلاء لكلمة الله وعزة الأمة ورفاهيتها.

٣ - أن تعنى الجامعة بالبحث العلمى، وتطوير المعرفة الإنسانية وتطويعها لخدمة المجتمع، كما تعنى بالجوانب التطبيقية للعلم، بما يخدم حاجات الأمة والإنسانية.

٤ - أن تعنى الجامعة باعداد القوى البشرية اللازمة لخدمة المجتمع.

٥ - أن تعنى الجامعة بنشر المعرفة والثقافة بين أفراد المجتمع، وتوفير كافة السبل المحققة لذلك، من نشرات ومحاضرات وندوات ومؤتمرات وغير ذلك من وسائل نشر المعرفة والتنور.

ولكي يقوم التعليم بدوره المنوط به فعليه الالتزام بعملية التخطيط، حيث إن وظيفة التخطيط للتعليم هى إعداد القوى البشرية المدربة والكافية كماً وكيفاً لخطط التنمية ولهذا تلتزم خطط التعليم برفع الكفاءة الداخلية للتعليم عن طريق القضاء على عوامل الهدر والضياع. وكذلك رفع الكفاءة الخارجية للتعليم عن طريق تطوير مناهجه وطرائقه وربطها بأهداف التنمية وأهداف المجتمع.

د. سوزان المهدى- استاذ مشارك اصول تربية - كلية التربية للبنات - بجدة -

(الإنترنيت) أسطورة القرن . . بأي صيغة نتعامل معه؟

ظهرت الشبكات الكمبيوترية في الولايات المتحدة الأمريكية لخدمة الابحاث العلمية وقد بدأت تابعة لوزارة الدفاع الأمريكي، ولكنها تطورت مع الوقت حتى أصبحت مؤسسة تجارية تخدم كل الأغراض، ومن وجهة نظر الاتصالات فإن الانترنت يمثل الطريق السريع للمعلومات.

تعتبر الشبكات الكمبيوترية (الأنتريت) شبكة تضم بداخلها مجموعة كبيرة من الشبكات الكمبيوترية، ومع ذلك فإن ما يميز الأنترنت هو ما يحققه من اتصالات بين الناس، فعندما تجلس أمام جهاز الكمبيوتر في منزلك، وتبدأ في التجول في ارجاء الانترنت سوف تحقق من انك تطل من نافذة على العالم وليس كما في التليفزيون، ولكن نافذة الانترنت نافذة حية تستطيع من خلالها الاشتراك في صناعة الاحداث وتبادل الآراء مع الآخرين.

عند بعض الناس يعنى الإنترنت مجرد صندوق بريد لتلقى الرسائل أو إرسالها إلى الآخرين بسرعة، كما يستخدمها البعض الآخر للبحث عن معلومة معينة، كما يمكن استخدامها كدوائر المعارف، كما يستخدمها الكثير من المشتركين تماماً كأنها مقهى الانترنت، حيث تقدم الشبكة بعض الانشطة التي قد يدمنها البعض ويقضى فيها الكثير من وقته، بالرغم من أن الجلوس أمام الشبكة يكلفه الكثير من المال.

من هذه الانشطة الأساسية التى تجدها على شبكة الانترنت والتي يمكن ان تفيد المشتركين بالشبكة هي:

- خدمة البريد الاليكتروني (E-mail) وهي خدمة تبادل الرسائل بالكمبيوتر بين المشتركين.
- قوائم البريد الاليكتروني (Mailinghists) وهي عبارة عن موضوعات للمناقشة المفتوحة باستخدام البريد الاليكتروني كوسيلة لإدارة المناقشات بين عدد كبير من المشتركين.
- مجموعات الاخبار (Newsgroups) وهي صورة من صور المناقشات المفتوحة وتبادل الأفكار عن طريق ارسال واستقبال الرسائل الكومبيوترية.
- البحث عن المعلومات في الانترنت: تستطيع أن تبحث عن أية معلومة قد تخطر ببالك في قواعد المعلومات الهائلة والممتدة عبر القارات، والمزودة بأجهزة قوية للبحث

المسجد وعلماء الدين مرتكز بناء الأمة.. ما دورهم؟

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

إن من نعم الله على هذه الأمة أن هيأ لأبنائها بيوته المباركة في الأرض مصداقا لقوله تعالى: **{في بيوت أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار}** (النور/ ٣٦ - ٣٧).

وقد قام بنيان المسجد الأول في الإسلام على قاعدة التقوى، قال تعالى: **{والمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه}** (التوبة/ ١٠٨).

وفي هذا تصريح وتأكيد لأهمية مراعاة هذه القاعدة في كل مساجد الله، في أي عصر ومصر، وأن الغاية من عمارتها تخريج القلوب التقية النقية، والارواح المؤمنة، المتعلقة بوحي السماء الخالد.

ومعلوم لدى الجميع أن النبي {صلى الله عليه

تحقق لك السرعة، والكفاءة وهذه هي بعض البرامج التى تستخدم في عملية البحث على شبكة الانترنت:

- ويز (WAIS) ويعنى خادم المعلومات بالشبكة الواسعة، ويعتبر (ويز) من ضمن وسائل الانترنت التي تسهل عمليات البحث عن معلومة معينة.

- جوفر (Gopher) وتستخدم في البحث عن المعلومات، وهى خدمة تتميز بالفطنة علاوة على الوصلة البيئية السهلة المكونة من القوائم المتتابعة، ومن الممكن اثناء التجول مع هذا البرنامج أن تنقل احد الملفات أو تقوم بطباعته أو ارساله الى صديق عبر خدمة البريد.

- النسيج العالمى للمعلومات (W W W)وهو نظام لتخزين واستدعاء المعلومات، وهذا النظام يتميز بسهولة استخدامه وبسهولة البرمجه، فهو يمنح المستخدم شاشة حية مدعمة بالرسم، والصور علاوة على نوعية جديدة من النصوص، تتميز بالألوان واحتوائها في خلفيتها على مؤشرات تشير الى ملفات أخرى، بل وشبكات أخرى تستطيع التوصل اليها بضغطه على الكلمة بالماوس وبدون الحاجة الى استخدام القوائم.

* لقد بدأت الإنترنت كوسيلة لخدمة العلماء تسهل لهم تبادل الرأى والمعلومات، ولكنها اصبحت الآن هي المقهى، والنادى، والمكتبة العامة، والبورصة، وواجهات المحلات التجارية. وأيا كانت مهنتك أو تخصصك أو هوايتك فسوف تجد قناة المعلومات التى تناسبك. فإذا كنت تلميذاً أو باحثاً أو استاذاً في الجامعة فإن الأبحاث العلمية منشورة على الهواء، تستطيع الاطلاع عليها والاتصال باصحابها، واذا كنت تعشق الفنون فهناك صفحات حية تحتوى على الموسيقى والرسم والأفلام السينمائية وعلى كل ما يتعلق بالفن.

وإذا كنت ترغب في التسوق بحثاً عن السلعة الجيدة ذات السعر المنخفض فإن شبكة الانترنت تمنحك هذا. بل تستطيع ان تشترى على الهواء بدون ان تغادر منزلك.

إن الصفة المميزة للإنترنت انها قاعدة بيانات يملكها الناس، ويقوم كل مشترك بادخال معلوماته بنفسه سواء كان تاجراً، أو عالماً. وبفضل الإنترنت فإن اجزاء المعلومات المتناثرة في جميع انحاء العالم تصب في نهر واحد نهر الانترنت.

د. سوسن محمد عز الدين محمد موافي - استاذ مساعد مناهج وطرق تدريس الرياضيات والحاسب الآلي - كلية التربية للبنات - بجدة

وسلم} عندما وصل الى طيبة الطيبة كان أول مشروع قام بتنفيذه وضع حجر الأساس لبناء ذاك المسجد، ليكون مهداً لتكوين الأمة الربانية، ومناراً تنطلق منه الدعوة الإسلامية. ومن خلال المسجد إضافة الى دوره في إقامة الفروض الخمس فانه عمل على تربية وبناء الرعيل الأول الذين صلح حالهم، وقوي كيانهم، وعزَّ سلطانهم، وخلد التاريخ آثارهم، وشاع في الكون كله ضياؤهم.

ومن هنا يبرز دور العلماء العاملين في استخدام المسجد كأعظم وسيلة دعوية للأفراد صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً. والمسجد يتم من خلاله، ومن خلالهم تعلم فقه الدين بجميع مناحيه، وضرورة الاستمساك به، مهما تغيرت الأحوال، وبرزت مستجدات العصر، وتنوعت فنون الحضارة فيظل المسجد صمام أمان - بإذن البارىء يحفظ للأمة هويتها المتميزة، ويجمع شتات أعضائها، ويردهم الى جادة الصواب - بالخطابة والوعظ - كلما مالت بهم فتن الدنيا - وملهيات العصر.

كيف لا ؟ والمسجد فيه ميراث المصطفي {صلى الله عليه وسلم} يقسم صلاة، وعلماً، وخطباً.

والأمة اليوم تجتهد في السير على سنن الهدي المحمدي حيث كثرت المحاضرات والندوات للعلماء والدعاة على مدار العام، وفي أوقات المناسبات الإسلامية، إدراكاً من الجميع لما للمسجد من دور رائد في كيان الأمة المسلمة.

د. وفاء بنت علي بن سليمان الحمدان - أ. مساعد، تخصص: الفقه المقارن - كلية التربية للبنات - بجدة

معلومات عن المدينة:

مساحة المدينة: ١٠ آلاف متر مربع، عدد المباني: ١٢ مبني.

التجهيزات: جهزت المدينة بالكامل بأفضل التجهيزات والمكتبات العلمية والمتاحف المتخصصة والمجهزة بأحدث تقنيات العصر.

الطاقات البشرية: كل دورة دراسية يقوم بالاشراف عليها متخصصون في علومها، كما توجد كوادر للتشغيل والصيانة العامة.

أهم العلوم بالمدينة: (علوم القرآن - علوم مهنية - علوم تاريخية وتراثية - علوم حديثة - علوم اجتماعية - أنشطة رياضية - وكل ما يهم الرجل والمرأة والطفل.. الخ).

وقد تجسدت عناصر العمارة القديمة في هذا الصرح على الكثير من مفردات وظيفة البيئة مثل الأعمال الخشبية والجبسية والحجرية بمختلف أشكالها وانماطها وكان التخطيط لهذا الصرح يعكس حركة الانسان في داخل مدينة جدة القديمة متمتعا بمناخها المعتدل. رغم حرارة الجو من الخارج وذلك نتيجة لتخلل الهواء عبر أزقتها وحواريها ومبانيها المتباينة الارتفاع.

على أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم. ويخدم العلم والعلماء والمتعلمين ويستفيد من صافي ايجاراته (الانسان: اليتيم، والفقير، والمسكين).

وهذا الصرح يتكون من العناصر الرئيسية التالية:

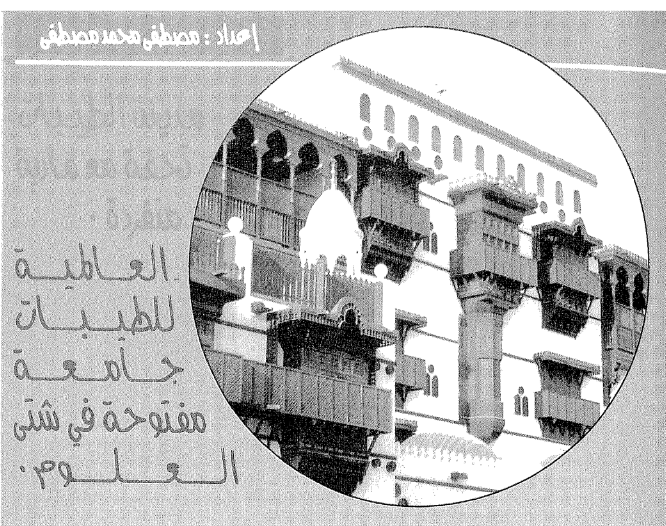
(المسجد - مبرة الطيبات الخيرية - مركز عباد الرحمن لبيان علوم القرآن - مركز علوم التراث - مركز تقريب العلم وترجمته - المكتبات ومراكز المعلومات - جامعة الطيبات المفتوحة (اقرأ ثم علم نفسك بنفسك) - مراكز الطيبين والطيبات التعليمية - مركز تدريب الموهوبين - متحف الطيبات للعلوم والثقافة والفنون - متحف عبد الرؤوف حسن خليل (خارج نطاق المدينة وعنوانه: شارع المتحف - حي الأندلس) متحف الفنون المنزلية (خارج نطاق المدينة وعنوانه: شارع القاهرة - حي الحمراء) متحف درة الثقافة الوطنية (خارج نطاق المدينة وعنوانه: ذهبان - درة العروس - المرسى) - بيت عبد الرؤوف خليل التراثي (مؤسس على نمط البيوت في حواري جدة القديمة) - الصحية (المستوصف) - خان آل خليل - شبكة الاذاعة الداخلية بالمدينة - شبكة التلفزيون الداخلية بالمدينة - شبكة الاتصالات بالمدينة - أمن المدينة - الصيانة العامة بالمدينة.

من تخصصات المراكز بالمدينة:

١ - الحرف اليدوية التراثية: (صناعة الفخار - الحفر على الجص - صناعة السلال - صناعة المنسوجات التراثية - تشكيل الصلصال - الزخرفة

مدينة الطيبات العا

إعداد: مصطفى محمد مصطفى



على القصدير - الورود المجففة - صناعة الألعاب الورقية) ... الخ.

٢ - الفنون التشكيلية: (رسم زيتي - فحم - باستيل - رسم على الزجاج - الحرير - رسم مائي - شمعي).

٣ - جواهر الخط العربي: (الكوفي - الثلث - النسخ - الرقعة - الديواني - الفارسي - الاجازة).

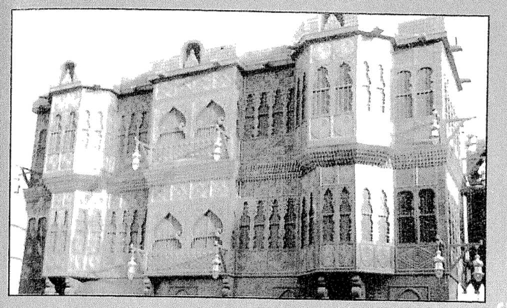
٤ - معامل الموهوبين (في العلوم التالية): الارض - البحار - النبات - الحيوان - الانسان - الطب - الصيدلة - الالكترونيات - الكهرباء - السباكة - التجارة - الفنون الجميلة - التصوير والتحميض - تنسيق المنزل - الحاسب الآلي - ثقافة عامة - الفلك - الآداب - الرياضة - اللغات الحية - نشاطات اجتماعية - اقتصاد - زراعة - الخطابة).

٥ - هناك الكثير من العلوم الاكاديمية المتواجدة في المكتبات بالمدينة:

٦ - الصحية: (عيادة عامة للرجال - عيادة عامة للنساء والاطفال - عيادة أذن وأنف وحنجرة - عيادة أسنان - عيادة عيون - طوارىء - مختبر تحليل - صيدلية).

...ية للعلوم والمعرفة

الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة..
عراقة الماضي وأصالة الحاضر.
جناح خاص عن الملك عبد العزيز.
- مركز حضاري في الاعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- اهتمام بالغ الدقة بالصناعات الوطنية في المملكة العربية السعودية.
- ٣٠٠,٠٠٠ مرجع تحتويها مكتبات المدينة.
- مواضيع لمختلف العلوم مطبوعة على الجدار بطول (٢١٠٠٠)م وارتفاع ٢٥٠سم.

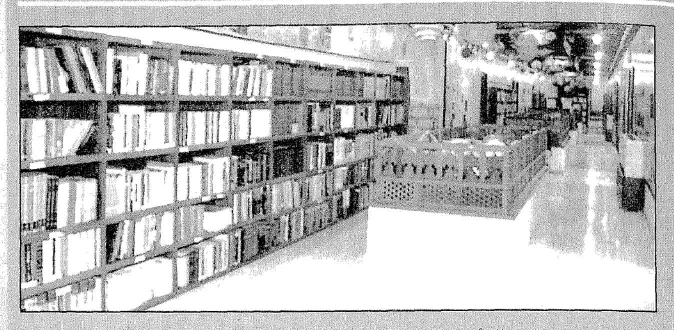


٧ ـ خان آل خليل: (أشرطة وكتب في علوم القرآن الكريم ـ سيوف وبنادق تراثية ـ فخاريات ـ سبح وخواتم ـ سجاد يدوي ـ أعمال فنية ـ فضيات ومجوهرات بدوية ـ ملابس بدوية ـ عملات وطوابع وميداليات ـ مخطوطات وصور قديمة ـ تراثيات أخرى)

نوع المعروضات:

(ما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ كتاب ومرجع في مختلف العلوم والمعرفة ـ ما يزيد على ٢٠٠٠م٢ معلومات على الجدار مع الصور الايضاحية والمجسمات ـ ما يزيد على ٥٠٠ برنامج للحاسب الآلي في مختلف العلوم والمعرفة ـ حوالي ١٨ جناحاً متحفياً في مختلف الحضارة الإنسانية (جناح من تاريخ كفاح وعبر المغفور له ـ بإذن الله ـ جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، طيب الله ثراه).

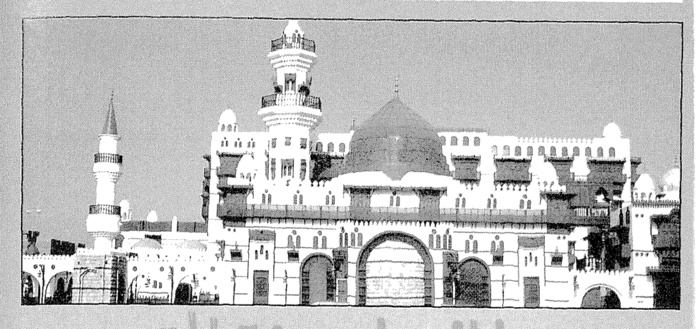
هناك جناح للثقافة الوطنية السعودية ـ (هناك مركز معلومات للثقافة الوطنية السعودية ـ هناك جناح للمعادن والأحجار والمجوهرات ـ هناك أجنحة لمدارس الفنون التشكيلية العالمية ـ هناك أجنحة لوحدة الفنون العالمية ـ هناك أجنحة للتراث



والفنون الإسلامية ـ هناك أجنحة لتراث وفنون المملكة العربية السعودية ـ هناك أجنحة للعلوم الكونية «المجموعة الشمسية» وخاصة كوكب الأرض وما عليه من نبات وحيوان وإنسان ـ هناك أجنحة لتاريخ الحضارات القديمة في العالم ـ هناك أكبر جناح في العالم للإعجاز العلمى في القرآن والسنة بمفهوم الآية القرآنية {ما فرطنا في الكتاب من شيء} صدق الله العظيم (الانعام/٣٨) ـ هناك أربعة متاحف في جميع العلوم والمعرفة، والثقافة التراثية، والحضارة الانسانية وعدد غرفها ٣٠٠ غرفة، وعدد القطع المعروضة بها حوالى ٦٠ ألف قطعة.

إن أساس الفكرة في تشييد مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة هي إنشاء مركز حضاري للثقافة الدينية، والاجتماعية، والتراثية، والعلمية والمعلوماتية، والخدمة الخيرية، على أن يكون هذا الصرح الحضاري نموذجاً مصغراً لإحياء نمط المباني التراثية بالمنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية، التى تمتاز بكثير من العناصر التراثية في البيئة، والعمارة، والتخطيط، وبالتالي شيد هذا الصرح ليكون تجسيداً لهذه الحياة، وبما يتلاءم مع مقتضيات العصر. وقد طبق مفهوم البيئة في أنشطة هذا الصرح كالتالي: المسجد ـ المدرسة ـ المسكن ـ الصحية ـ الديوان ـ المقعد ـ الحارة ـ الزقاق ـ القبو ـ الخلوة... الخ.

وجميع هذه الأنشطة تعمل على إحياء وظيفة البيئة القديمة في حياتنا المعاصرة، ممثلة لأهم العلوم التالية: علوم القرآن ـ علوم مهنية ـ علوم تاريخية وتراثية ـ علوم حديثة ـ علوم اجتماعية ـ أنشطة رياضية ـ وكل ما يهم



حقا انها مدينة القرن

الرجل والمرأة والطفل .. الخ. وقد تجسدت عناصر العمارة القديمة في هذا الصرح على الكثير من مفردات وظيفة البيئة من الأعمال الخشبية، والجبسية، والحجرية بمختلف اشكالها وأنماطها.

من العلوم بالمدينة:

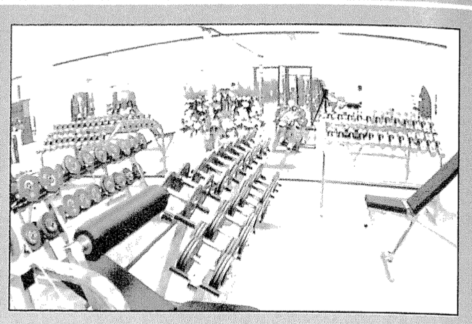
أ ـ انواع العلوم:
علوم الحاسوب ـ جواهر الادب، والاعلان والتسويق ـ الصحافة والاعلام. والمعلومات ـ فن القراءة ، والكتابة ـ الإدارة ، والمحاسبة، والسكرتارية ـ الاقتصاد الإسلامي ـ المصارف الإسلامية ـ أساسيات علوم الإسلام ـ تحفيظ القرآن الكريم وتجويده ـ تفسير القرآن الكريم ـ الألسن ـ الثقافة العامة ـ تنظيم التحف، وتجميل المنزل ـ تصميم الحلي والمجوهرات ـ إصلاح ذات البين ـ التصميم، والتفصيل، والخياطة، والتطريز ـ تربية الأولاد في الإسلام ـ شخصية الإنسان المسلم ـ دراسة قصص القرآن الكريم ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مبادىء الصيانة المنزلية ـ القيافة والنظافة ـ الإسعافات الأولية، والعناية بالطفل ـ تنمية المهارات للدراسات العليا.

ب ـ الحرف اليدوية التراثية:
(صناعة الفخار ـ الحفر على الجص ـ

- متاحف بالمدينة تحاكي العالم من العصر الحجري حتى عصرنا الحاضر.

- الحضارات السابقة للإسلام.. والحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية والحضارة السعودية كل هذه الحضارات بين احضان المدينة.

- متحف مدينة الطيبات.
- متحف عبد الرؤوف حسن خليل.
- متحف دار الثقافة الوطنية.
- متحف الفنون المنزلية.
- بيت عبد الرؤوف حسن خليل التراثي.



صناعة السلال - صناعة المنسوجات التراثية - تشكيل الصلصال - الزخرفة على القصدير - الورود المجففة - صناعة الألعاب الورقية)... الخ.

ج - الفنون التشكيلية: (رسم زيتي - فحم - باستيل - رسم على الزجاج - الحرير - رسم مائي - شمعي).

د - جواهر الخط العربي: (الكوفي - الثلث - النسخ - الرقعة - الديواني - الفارسي - الإجازة).

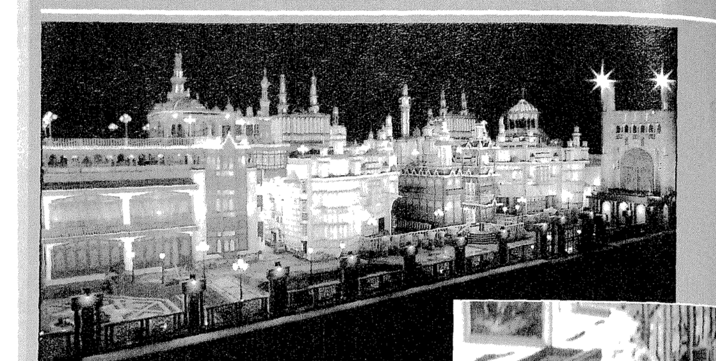
هـ - معامل الموهوبين (في العلوم التالية): (الأرض - البحار - النبات - الحيوان - الإنسان - الطب - الصيدلة - الإلكترونيات - الكهرباء - السباكة - النجارة - الفنون الجميلة - التصوير، والتحميض - تنسيق المنزل - الحاسب الالى - ثقافة عامة - الفلك - الآداب - الرياضة - اللغات الحية - نشاطات اجتماعية - اقتصاد - زراعة - الخطابة إدارة أعمال - إدارة عامة - اقتصاد - محاسبة - العلوم السياسية - القانون - اللغة الإنجليزية - اللغة الفرنسية - الجغرافيا - التاريخ - المكتبات والمعلومات - علم الاجتماع - علم النفس - اللغة العربية - الدراسات الإسلامية - الإعلام في الراديو

ـ الإعلام في التلفزيون ـ صحافة ـ علاقات عامة ـ الرياضيات ـ الفيزياء ـ النبات ـ الحيوان ـ الأحياء الدقيقة ـ الكيمياء الحيوية ـ الإحصاء ـ علوم الحاسبات ـ العلوم الفلكية ـ الهندسة المدنية ـ الإنشاءات ـ التربية البيئية ـ الهندسة الميكانيكية ـ هندسة الطيران ـ هندسة الكهرباء ـ الطب البشري بمختلف تخصصاته الأكاديمية ـ علوم الصيدلة ـ علم التمريض ـ الثروة المعدنية والصخور ـ جيولوجيا البترول والترسبات ـ الجيولوجيا البنائية والاستشعار عن بعد ـ الجيوفيزياء ـ جيولوجيا المياه ـ الجيولوجيا الهندسية ـ مصائد الأسماك ـ علوم البحار الفيزيائية ـ الإرصاد، وزراعة المناطق الجافة ـ إدارة موارد المياه ـ علوم البيئة ـ طب الأسنان ـ تربية فنية ـ تعليم مهني ـ التربية الإسلامية، والمناهج ـ علم النفس التربوي ـ طرق التدريس، وتكنولوجيا التعليم ـ التخطيط والإدارة التعليمية ـ التربية (البدنية) ـ التربية الأسرية ـ غذاء وتغذية ـ ملابس، ونسيج ـ السكان، وإدارة المنزل ـ الأسرة، ونمو الطفل ـ اقتصاد منزلي وتربوي ـ فنون إسلامية ـ إسعافات أولية ـ شخصية الإنسان المسلم.

من المراجع العلمية بالمدينة:

مراجع في علوم القرآن الكريم ـ مراجع في الثقافة العامة ـ مراجع في علوم التراث ـ مراجع



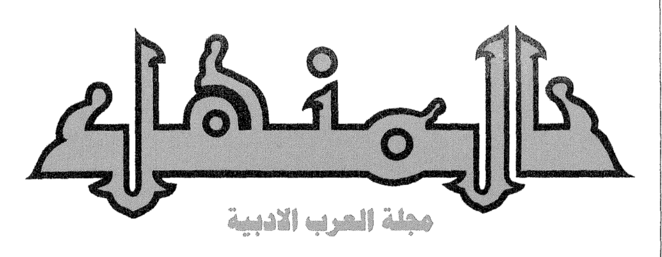


في عالم المشاهير، والسير، والأعلام - مراجع في التكنولوجيا - مراجع في القانون - مراجع في الفلسفة - مراجع في المنطق - مراجع في الفتاوى - مراجع في المتاحف والتاريخ - مراجع في الآداب - مراجع في اللغة العربية - مراجع في الخط العربي - قصص إسلامية، وعالمية - معاجم، وموسوعات، ودوريات مختلفة، وبحوث في مختلف العلوم - مراجع في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة - وهناك مراجع أخرى فيما يهم الإنسان المسلم في دنياه وآخرته. كما أن هناك مئات من برامج الحاسوب في مختلف العلوم والمعرفة.

أربع متاحف مجهزة بأحدث التقنيات العصرية تحاكي التاريخ وتحكي للأجيال الماضي والحاضر.

وهناك العديد من الأنشطة والفروع بالمدينة:

- الخدمات الطبية
- السوق الذاتي بالمدينة.
- مسابقات سنوية في حفظ وتجويد القرآن الكريم.
- مسابقات في مختلف العلوم العصرية.
- مسابقات خاصة في الاعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- الاهتمام بالطفل.
- توزيع الكتب العلمية على المحتاجين.

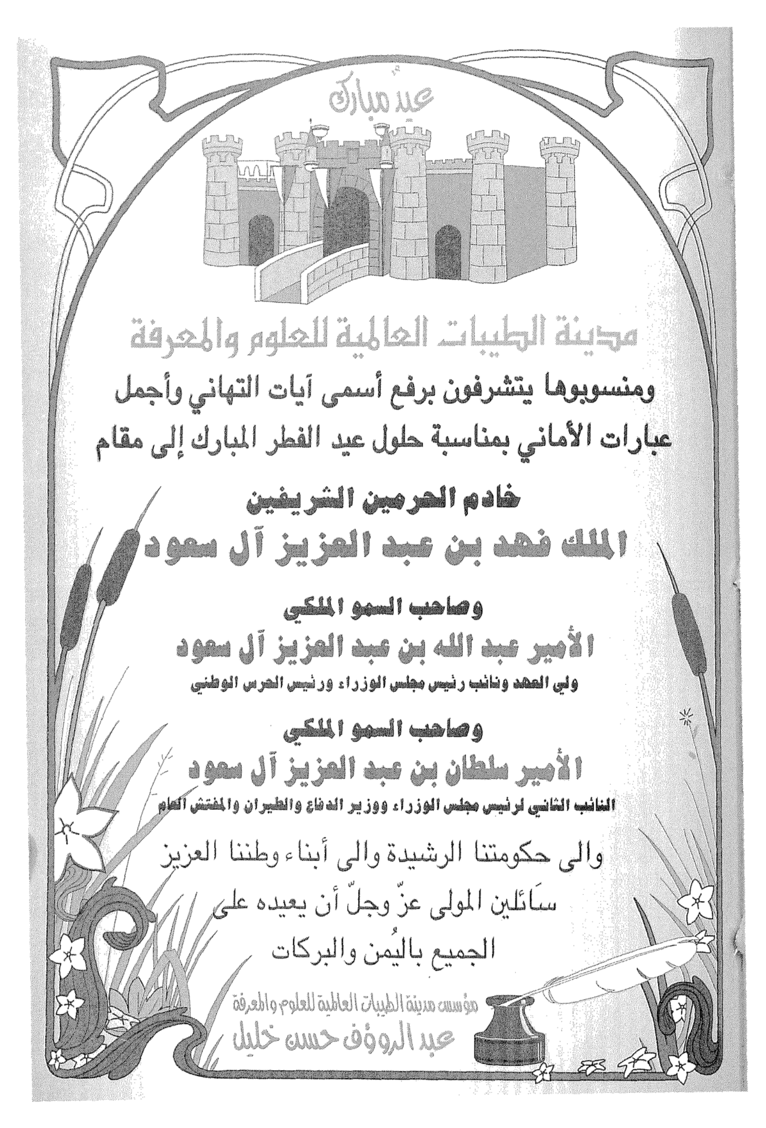


مجلة العرب الادبية

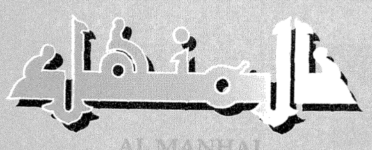


تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



عيد مبارك
مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة
ومنسوبوها يتشرفون برفع أسمى آيات التهاني وأجمل
عبارات الأماني بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك إلى مقام
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وصاحب السمو الملكي
الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
والى حكومتنا الرشيدة والى أبناء وطننا العزيز
سائلين المولى عزّ وجلّ أن يعيده على
الجميع باليُمن والبركات
مؤسس مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة
عبد الرؤوف حسن خليل



AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٦٤) المجلد (٦١) العام [٦٥] ذو الحجة ١٤٢٠ هـ - مارس ٢٠٠٠ م

التحليل المعلوماتي لخطبة حجة الوداع

لا.. لدمج الصحف

من أسرار رواد النهضة

الكتابة ونشأة الأبجدية



المحميات وحماية البيئة

الرياض عاصمة الثقافة ٢٠٠٠



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر جنيهان - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



بمناسبة موسم الحج الحاضر

تنظيمات مشهودة وتنظيمات منشودة لحجاج بيت الله الحرام

خاطب الله تبارك وتعالي نبيه ابراهيم أبا الأنبياء عليه السلام قائلا :(وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم) الآية . وقد جاءت صيغة (منافع) فى الآية الكريمة (منكرة) (بضم الميم وفتح النون وتشديد الكاف وفتحها) لتكون شاملة للمنافع الطيبة.

وهذه المنافع اما شخصية أو عامة .. والعامة في طلائعها رفع مستوى الأمة الاسلامية من طريق استفادته من هذا التجمع الفريد الذى يتكرر وجوده في أواخر كل عام هجري منذ صدر الاسلام إلي الآن ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

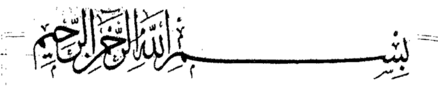
ومن أهم ألوان هذه المنافع المتعددة الوجوه بالنسبة للعالم الاسلامي تفتيح الوعي للمسلمين وإضاءة طريق المستقبل لهم ودفع الغوائل الموجهة من أعداء الاسلام وخصومه عنهم.

وهذا مجال واسع وبالغ الأهمية بالنسبة لتطور حياة الأمة الاسلامية جمعاء وحياة هذه البلاد خاصة ، فأصحاب هذه المواهب الحيوية من المسلمين ومن المواطنين مدعوون ومطالبون بسد هذا الفراغ الكبير في حياة أمتنا الاسلامية العريقة .. على أن يتم ذلك فى هذه البلاد وفى مواسم الحج بها .. لأنها أجمع لشمل المسلمين وأبعد عن المشكلات.

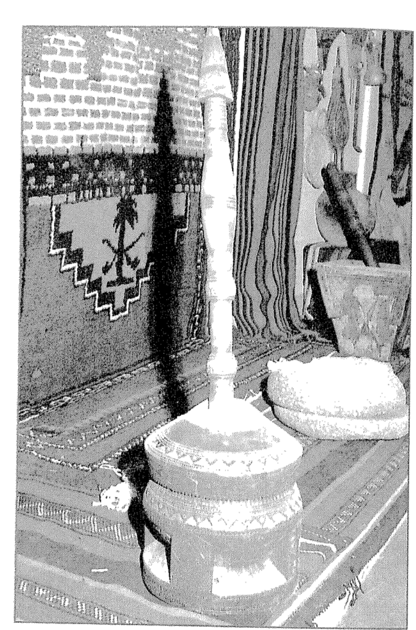
ومن الحق الثابت ان الدولة العربية السعودية الحاضرة كان لها قصب السبق فى هذا الميدان الكبير ، بالنسبة للقرون الأخيرة التى سبقت كيانها . وبالنسبة لعصرنا الحاضر ايضا .. فمنذ طلائع تأسيس هذه المملكة على يد المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود انبثق فجر هذه التنظيمات للعالم الاسلامي على يده .. وكان من أوائل وجوهها النيرة عقد «المؤتمر الاسلامي الأول» فى مكة المكرمة .. ذلك المؤتمر الذى اجتمع فيه رجال من هذه البلاد ورجال من العالم الاسلامي .. تبادلوا الآراء اذ ذاك فى شؤون حيوية للجميع .. على نحو من الطراز الذى تخيله الكواكبي فى كتابه الذائع الصيت : (أم القرى) ..

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو الحجة ١٣٩٤ هـ / ديسمبر ١٩٧٧م



لقطة



إحدى الجوانب التراثية بالجنادرية

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

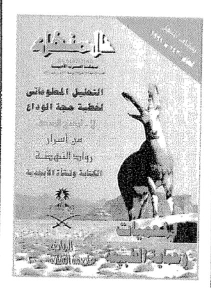
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

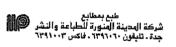
نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.





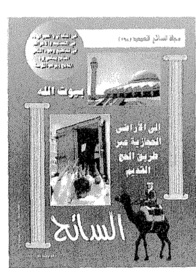
غلاف العدد

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس ٦٣٩١٠٠٣



العدد: (٥٦٤)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)





الفهرس

وكلاء التوزيع
الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ –
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ –
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

منهليات

الحج بين الدين والدنيا

– مؤتمر الحج السنوي له أيديولوجيته ، فبجانب اجتماع الحجيج وتوحدهم فى زي واحد وعلى قلب رجل واحد لأداء النسك نرى انتزاع الطبقية وتعميم المساواه .

طواف ، سعي ، حلق ، وقوف بصعيد عرفات ، مبيت بمزدلفه ، رجم الجمرات ، كلها موقتة وموحدة .

إذن الحج دعوة الى التوحد ونبذ الخلافات والصراعات.

– ليس الحج تأدية للمناسك فحسب وإنما هو لَمٌّ للشمل ووضع الضماد على جراح الأمة ، ومعالجة المتغيرات ، ومواكبة التطورات ، والنهوض بالأمة الإسلامية الى الرقي والازدهار .

– خطبة الحجّ **«مدرسة جامعة شاملة»** تطرح على بساطها هموم الأمة وقضاياها ومستجدات العام الهجري المنصرم ، واضعة الحلول المناسبة وداعية الى مواجهة التحديات ومساندة الضعفاء والمنكوبين .

– الحجّ بمعناه الحقيقي **«اجتماع قمّة موسع»** يضم المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها كل حاجّ مسلم ملبّ عضو منتدب فيه يتعارف ويتنافس ويتحاور من غير خروج عن قدسية المناسبة ، ويرجع كل واحد مشتغلاً بهموم أمته ، سفير خير الى أهله ، يطبق تلك التوصيات والنتائج التى تمخض عنها المؤتمر السنوي الاسلامي العام وهو الحج .

– الحجّ **(دين ودنيا)** نؤدي فيه المناسك على الوجه الذى أمرنا الله به وتناقش فيه قضايا الأمة الإسلامية على بساط إسلامي طاهر تملؤه الخشية وتحفه الملائكة ويتوسطه ذكر الله .

(ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله)

المحرر

فقرات مستلة

**** السوق الاسلامية المشتركة خطوة فى الطريق الصحيح .**

د. احمد شلبي ص ٤٨

**** هكذا حمل السنهوري هموم أمته ثم تحولت من نطاق الحلم والخيال الى ميادين العمل والابداع والانجاز .**

د. محمد عماره ص ٥٤

**** ومما يؤخذ على الباحث أنه لم يشر الى تبعية الشعر السعودي للابداع العربي فى مصر والشام منذ نشأته وازدهاره حيث كانا يشكلان مصدرين مهمين من مصادر الابداع الأدبي فى سائر البلاد العربية منذ مطالع هذا القرن .**

د. خليل أبو ذياب ص ٦٤

**** اللغة السنكريتية توافرت على تصور متقدم جداً للغة وجوانب مهمة من علم الأصوات كما هو لدى (بانيني) .**

د. احمد يوسف ص ٧٦

**** البدن والجسد والجسم تدل على الأشياء المحسوسة فلا يقال للمشكلة والمعضلة : أمر جسيم ، ولايقال مشكلة بدنية أو جسدية الا مجازاً .**

د. ياسين بن ناصر الخطيب ص ٨٢

**** لم تكن رحلتي الى الحجاز وليدة اللحظة التى عزمت فيها على السفر ، فهي فى قلبي موصولة منذ باكورة صباي تعتمل فى صدري .**

فتحي المراغي ص ٨٨

**** عرف العرب والبشر منذ القدم استعمال كحل الزينة للعين ليعطيها جمالاً وسحرا وليخفف عنها أشعة الشمس فتزيد الرؤيا وضوحا وجلاء .**

د. ساميه مصطفى عامر ص ١٣٨

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

في غرة الألفية الجديدة ..

(الجنادرية ١٥) .. بين ذاكرة التراث واستشراف الغد

برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني، يوم الاربعاء ١٤٢٠/١٠/٢٦هـ - ٢٠٠٠/٢/٢م اعمال وفعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته الخامسة عشرة، الذى ينظمه الحرس الوطني . وتوالت اعمال المهرجان بمتابعة صاحب السمو الملكي الفريق ركن الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز نائب رئيس الجهاز العسكرى، نائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان .

هذا المهرجان غدا اليوم رقماً ملحوظاً من أرقام العطاء الثقافي والفكري والتراثي فى عالمنا العربي والاسلامي، وذلك بفضل الاعداد الجيد له، القائم على صيغة التجديد الدائم فى محاور تناوله وعطاءاته .. لاسيما وقد اختط المهرجان سبيل المحاور الثقافية والفكرية، التى تعتمد التناول البحثي والدراسي .. وهذه المحاور تتلمس فى كلياتها قضايا الأمة الاسلامية والعربية المعاصرة ، وقضاياها الملحة بخاصة، تتناولها بالبحث والتحليل والعرض، اضافة الى قضايا الفكر والادب والتاريخ ..

وكل هذا يشكل استحضاراً للأمس واستشرافاً للغد المنظور، يغلف هذا العطاء المنهجي والفكري تجديد ذاكرة التراث، تراث الآباء والاجداد، ولاشك يمثل هذا التراث رافداً من روافد الاستقراء الواعي للأجيال الحاضرة والمستقبلية ..



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز

بالقراءة المتأنية لعناوين ومحاور ندوات ومحاضرات ولقاءات الجنادرية لهذا العام، نجدها تدور فى أربعة محاور اساسية تمثل :

- الاسلام والشرق
- العالم الاسلامي والعالم المسيحي
- العولمة
- التقريب بين المذاهب ..

ويمكن ان نذكر هنا بعض عناوين هذه المحاور :

- الخلفيات التاريخية للعلاقة بين الاسلام والشرق
- الأسس المعرفية والفلسفية للاسلام والفكر الديني فى الشرق
- الجهود السعودية فى خدمة الاسلام فى الشرق
- الاستراتيجيات الاقتصادية والوطنية والدولية فى



صاحب السمو الملكي الأمير
متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز

الشرق ودور الاسلام فيها

- علاقة الشرق مع الوطن العربي

- آفاق العلاقة بين العالم العربي والعالم الاسلامي من جهة والعالم المسيحي من جهة أخرى

- التقريب بين المذاهب الاسلامية واحتواء الصراعات المذهبية

- العولمة والوطن العربي ..

ويشارك في هذه الندوات والمحاضرات عدد من كبار العلماء والباحثين والدارسين من المملكة العربية السعودية ومن العالم العربي والاسلامي، ومن علماء ومفكري الهند ، باكستان ، ماليزيا ، كوريا ، اندونيسيا ، النمسا ، روسيا ، الصين .

هذا ويضم برنامج هذا العام، (تكريم الشخصية الثقافية السعودية) والشخصية المختارة لهذا العام هو : (الفريق متقاعد يحيي عبدالله المعلمي) .. وهو واحد من الشخصيات الثقافية والفكرية فى المملكة، وله العديد من المؤلفات، وله العديد من المشاركات الفكرية واللغوية فى الصحف والمجلات السعودية، والعربية الأخرى ..

والمرأة لها نصيبها الأوفى فى هذا المهرجان، إذ نجد فى محورها تدور ندوتان أساسيتان :

- المرأة المسلمة فى ادبيات النهضة والتنوير

- المرأة المسلمة فى خضم العولمة ..

ويضم المعرض مجموعة أجنحة ثقافية وفكرية وتراثية، ومنها: الأمسيات الشعرية، قرية التراث، معرض الكتاب، المسرح، الفنون التشكيلية، ثم المسابقات الثقافية .

مركز الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية فى ايطاليا

فى العاشر من شهر شوال ١٤٢٠هـ / ١٧ يناير ٢٠٠٠م افتتح صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - مركز الملك عبدالعزيز للدراسات الاسلامية بجامعة بولونيا بجمهورية ايطاليا، والمركز تبرع كريم من سموه .

وتأتي تسمية المركز باسم الملك عبدالعزيز (رحمه الله) عرفانا بما قام به المؤسس (طيب الله ثراه) من اعمال جليلة في رفع لواء الشريعة الإسلامية والاعتماد على مبادئها السمحة فى نهج المملكة العربية السعودية وتعاملاتها مع كافة دول وشعوب العالم المحبة للسلام والتي سار عليها أبناؤه الملوك البررة (رحمهم الله) حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود (حفظه الله).

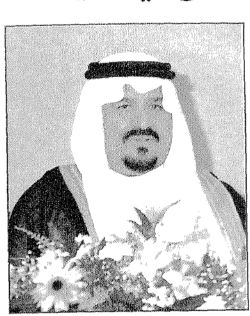
ويتميز مركز الملك عبدالعزيز لدراسات العلوم الاسلامية بجامعة بولونيا بتدريس ماهو مطبق فعلياً بالشريعة الإسلامية فى المملكة وتقديم نماذج من هذا التطبيق لطلاب المركز.

ويهدف المركز إلى تطوير البحوث في العلوم الاسلامية في جامعة بولونيا ويحث وينسق من خلالها على النشاطات التعليمية لطلبة كليات الجامعة بما في ذلك طلاب الدراسات العاليا لتطوير تدريس العلوم الاسلامية إضافة إلى مشروعات ونشاطات علمية اخرى.

كما سيتولي المركز تنظيم الدورات والدروس والندوات واللقاءات والمؤتمرات المتعلقة بالموضوعات الإسلامية وتشجيع ونشر المؤلفات العلمية فى اطار التعاون بين الباحثين فى الجامعة.

وتتعدد مجالات مركز الملك عبدالعزيز لدراسات العلوم الإسلامية فبالإضافة إلى العلوم الإسلامية نجده يهتم باللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية والفلسفة والتاريخ والعلوم السياسية واللغويات والرياضيات ويهتم كذلك فى أبحاثه بجميع نواحي الإسلام منذ نشأته وحتى الوقت الحاضر وفى كل أنحاء العالم.

ويضم المركز مكتبة تحتضن أكثر من عشرين الف كتاب.



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز

وقد شرعت بعض الكليات بجامعة بولونيا (كلية الآداب والفلسفة وكلية العلوم السياسية وكلية القانون)بتدريس دروس جديدة فى مجال العلوم الإسلامية ضمن مشروع تطوير اللغة العربية والفقه والفلسفة والعلوم الاجتماعية الإسلامية وعلوم الدين من أجل تدريب الباحثين فى العلوم الإسلامية.

ويوجه المركز من حين إلى آخر دعوة إلى أساتذة وباحثين من البلدان الإسلامية للتعاون على تطوير نشاطات المركز كأساتذة زائرين.

ويجسد هذا العمل الإسلامي الخيّر المكانة التي تتميز بها المملكة العربية السعودية فى خدمة الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم فهي منذ تأسيسها على يدي الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله) تعمل على نشر الإسلام والتعريف به وخدمته وخدمة القضايا الإسلامية في كل زمان ومكان.

ويأتي إقامة المراكز الإسلامية ومعاهد البحوث الإسلامية في جميع أنحاء العالم أحد الأعمال التي تقوم بها المملكة في هذا الاتجاه.



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز يعلن انطلاقة مهرجان الرياض عاصمة الثقافة العربية

الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠ م

في مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، وفي مقر الرئاسة العامة لرعاية الشباب انطلقت أعمال وفعاليات مهرجان (الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م) .. ورعى هذا الحفل الكبير صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة الرياض، وهذه المناسبة الثقافية الفريدة بإشراف ورئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب / رئيس اللجنة العليا المنظمة لبرامج (الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م) .

وحضر حفل الافتتاح الأستاذ (كوتشيرو ماتسورا) مدير عام المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) والاستاذ محمد الميلي مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وحضر الحفل عدد من الوزراء المختصين، وعدد من المثقفين والمفكرين.

في كلمة الافتتاح لهذا الحفل التى القاها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أكد على الدور الفاعل لمدينة الرياض فى مجالات الفكر والثقافة والمعرفة، وفى مجالات السياسة والاقتصاد والتنمية **«وبينما لاتزال الرياض فى نشوة احتفالاتها بمئويتها الأولي، اذا بها تنتخب عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م لتتواصل أفراحها وتتوالي مسيرتها المعطاء. وكلها استبشار بمستقبل زاهر على طريق الرخاء والاستقرار تحت ظلال راية التوحيد، التي نستمد منها طاقتنا على العمل والبذل والابداع ونحدد بها وجهة حركتنا فى هذه الحياة» ...**

ويؤكد سموه ضرورة العناية القصوى والفاعلة بهذا

الحدث **«ليكون بحقّ موسماً ثقافياً عربياً اسلامياً يجلو لشعوب العالم مقومات ثقافتنا ومنطلقاتها وتوجهاتها».**

ويؤكد سمو الامير سلمان، على فاعلية كل قطاعات الدولة طوال العام لانجاح هذا الحدث، واظهاره بما يليق ويتسامي به إلى غاياته النبيلة **«لانه حدث فريد لن يتكرر، وهو فرصة لابراز الثقافة العربية السعودية المسلمة بكل معانيها السامية ووجوهها المشرقة» ...**

وبكل الحب والتقدير أشار سمو الأمير سلمان بالدور الفاعل الذى قام به صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد – عليه رحمة الله تعالي – فى حركة الثقافة فى المملكة .. وذلك بقوله : **«على ان دوراً بعينه ينبغي علينا أن ننكره فى غياب صاحبه وهو الدور الذى قام به فقيدنا الغالي صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز –يرحمه الله – حيث تبني هذا المشروع أمام وزراء الثقافة العرب فى الشارقة، وهنا نحن أولاء اليوم نجني ثمرة جهوده، جعلها الله فى ميزان حسناته» ...**

وكلمة صاحب السمو الملكي الامير **سلطان بن فهد بن عبدالعزيز** جاءت لتؤكد دور الأنشطة الثقافية والفكرية وفعاليتها فى المملكة العربية السعودية .. **«ولقد تعددت وتنوعت وانتشرت النشاطات الثقافية فى طول البلاد وعرضها، وتجاوزت الحدود المحلية الى القارية والعالمية، وكانت ثقافتنا بحق خير سفير لنا فى الخارج بفضل الله تعالي ثم برعاية وتوجيه مولاي خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني حفظهم الله، وبجهود الأمير فيصل رحمه الله» .**

ويقول سموه : **«ان الواقع يدعونا نحن المسئولين عن الشئون الثقافية والمشتغلين بها فى الوطن العربي فى هذه المرحلة التاريخية لتفعيل طاقتنا الثقافية وتنمية مضامينها الانسانية واثرائها بالتفاعل مع متطلبات العصر، والتعامل مع غيرها من الثقافات على محوري الأخذ والعطاء، مع الحفاظ على هويتنا الثقافية العربية الاسلامية، وان نطرح ثقافتها كحل لمشاكل**



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد

السلام ونهاية لمآسي الشعوب بعد افلاس الحضارات المادية فى تحقيق ذلك ..».

وبذات الوفاء نوه بجهود الامير الراحل فيصل بن فهد، وذلك بقوله **«لقد أراد الله سبحانه للرئاسة العامة لرعاية الشباب ان تحمل هموم الشأن الثقافي فى بلادنا منذ قيامها، وعلى رأسها الأمير فيصل – رحمه الله – الذي كانت الثقافة هاجسه الأول وكان شغوفاً بها حفياً بمفكريها ومبدعيها مشجعاً لروادها ، مرتاداً لأعراسها ومغانيها ..».**

أما المدير العام لمنظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) الاستاذ كوتشيرو ماتسورا فقد جاء فى كلمته فى هذا الحفل الافتتاحي : «إن المملكة العربية السعودية هى من أعرق حلفاء اليونسكو، ومن أشدهم التزاماً بها فى قضايا التربية والعلوم والثقافة ..» .. «والمملكة العربية السعودية هي بلد ذات ثقافة حية تنبض بحياة فنية معاصرة» .

أما الأستاذ **محمد الميلي** مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فقد جاء فى كلمته أن الرياض **«قد بلغت درجة عالية من النمو وازدانت بأهم مظاهر الحضارة ، واكتست أبهى حلل العمران، واستقرت بها جامعات ومعاهد» لقد اصبحت «عاصمة سياسية واقتصادية تعتز أهم عواصم العالم بأن ترتبط بها» .**

حول مؤتمر «تنمية الوعي الصحي والبيئي المدرسي في البلاد العربية»

القاهرة ٢٣-٢٥ نوفمبر ١٩٩٩م



استشرافاً لمستقبل أفضل للطفل العربي ونحن على مشارف الألفية الثالثة من خلال تبني مفهوم التنمية الشاملة، ومن أجل تعزيز تنمية صحة الفرد والمجتمع والبيئة، برزت أهمية توطيد العلاقة بين المدرسة ومؤسسات المجتمع لتطوير البيئة المحلية للطفل واستثمار مواردها استثماراً رشيداً صحياً وبيئياً، وبهدف تطوير مفهوم التربية الصحية والبيئية المدرسية وتحسين أوضاع هذه الخدمات في المدارس من خلال تبني مشروع عربي جاء انعقاد مؤتمر تنمية الوعي الصحي والبيئي المدرسي في البلاد العربية، الذى نظمه المجلس العربي للطفولة والتنمية كخطوة أولي في هذا المشروع المستقبلي ..



جانب من المشاركين والباحثين فى المؤتمر

ونظم المؤتمر تحت رعاية سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز واشراف الأمين العام للمجلس العربي للطفولة والتنمية الدكتور حسن أبشر الطيب وشارك فى المؤتمر ٨٧ مشاركاً من ١٨ دولة عربية يمثلون وزارات الصحة والتربية والتعليم والبيئة الى جانب ممثلي الجمعيات الأهلية المعنية، والمنظمات ذات الصلة على المستوى الاقليمي والدولي والخبراء وممثلي وسائل الاعلام العربية .

وذخرت موضوعات المؤتمر بعدد من أوراق العمل تناولت الصحة والبيئة المدرسية بجوانبها المختلفة، واستعرضت التجارب العربية والدولية فى هذا المجال، إضافة الى بحث سبل تأسيس آلية عربية لتنسيق الجهود فى مجال الوعي الصحي والبيئي المدرسي ودور أجهزة الإعلام .

وقد بادر المشاركون بتوجيه الشكر لصاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز مقدرين لجهود سموه ومبادراته الإنسانية. وبعد مناقشات استمرت ثلاثة أيام خرج المشاركون بالتوصيات التالية من منطلق ضرورة التأكيد على تنسيق الأدوار والجهود بين الوزارات والمؤسسات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية العاملة فى المجال وهي :

١- تكوين منظمة عربية للصحة والبيئة المدرسية على المستوى العربي وأن يكون مقرها المؤقت «جمعية أجيالنا» ويرأس المرحلة التأسيسية د. زهير أحمد السباعي وأن يعتبر هذا المؤتمر نواة لانطلاقها.

٢- انشاء مركز معلومات عربي موحد فى مجال الصحة المدرسية.

٣- إيجاد آلية لاعداد وتدريب المعلمين والمعلمات والكوادر الفنية المختلفة العاملة فى هذا المجال .

٤- تشجيع ودعم البحوث والدراسات الميدانية المتعلقة بالصحة المدرسية ، وربطها بالواقع العملي .

٥- تبني الأسس والمعايير العلمية فى تصميم البرامج الصحية والبيئية المدرسية .

٦- تعزيز مشاركة الطفل وأفراد المجتمع المحلي مشاركة ايجابية وفاعلة فى البرامج الصحية والبيئية المدرسية .

٧- تحقيق التواصل بين وسائل الاعلام المختلفة وكافة المسئولين عن التربية والتعليم والصحة والبيئة والتدريب، مع اعداد وعرض برامج اعلامية تخاطب الطفل كمشارك وليس كمتلق .

٨- تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني فى دعم وتمويل الأنشطة والبرامج المعنية بالصحة المدرسية .

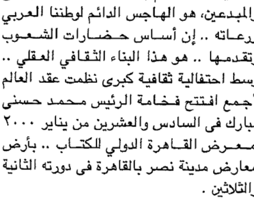
ومجموعة أخرى من التوصيات الهامة .

د. أميمة منير جادو

مدير تحرير كتاب الإسراء

معرض القاهرة الدولي للكتاب وبوابة الألفية الثالثة

ويظل الاهتمام بالثقافة والمثقفين والإبداع والمبدعين، هو الهاجس الدائم لوطننا العربي ورعاته .. إن أساس حضارات الشعوب وتقدمها .. هو هذا البناء الثقافي العقلي .. وسط احتفالية ثقافية كبرى نظمت عقد العالم أجمع افتتح فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك فى السادس والعشرين من يناير ٢٠٠٠ معرض القاهرة الدولي للكتاب .. بأرض معارض مدينة نصر بالقاهرة فى دورته الثانية والثلاثين .



فخامة الرئيس حسنى مبارك داخل اروقة المعرض

أجنحة المعرض .. إطلالة

ساهمت ٨٥ دولة فى فعاليات المعرض وأنشطته الثقافية المختلفة مؤكدة بذلك وممثلة لنسيج ثقافي واحد، ذاب فيه ابناء العالم قاطبة .

وقد حرص كل جناح فيما يخصه على تلبية كافة الاحتياجات الثقافية والعلمية .

في جناح وزارة الثقافة عرضت موسوعة الطفل التي اعدت تحت رعاية السيدة الفاضلة «سوزان مبارك» .

وفى جناح المجلس الأعلى للثقافة كان التركيز على موضوع العولمة سلبياته وإيجابياته.

أما جناح دار المعارف فقد اشتمل على مجموعة الكتب والموسوعات حول المشروعات القومية الكبرى.

وقدم جناح مؤسسة «أخبار اليوم» إصداراته التي وصلت الى ١٢٠ عنواناً تقريباً .

وجاء جناح نهضة مصر للطباعة والنشر خاصا بالبرامج التعليمية للمرحلة الابتدائية عبر أحدث أجهزة الكمبيوتر.

وحرصت دار الشروق للطباعة والنشر على ان تقدم أعدادها الصادرة من مجلة «وجهات نظر» .

وكان هناك جناح خاص بالموسوعات اشتمل على موسوعة مصر الحديثة وموسوعة الطفل .

هذا إضافة الى ماقدمته الاجنحة الاخرى من اصدارات .. منها جناح اكاديمية الفنون وصندوق التنمية، وجناح دار الهلال الذي استعرض تطورات التقنية، وجناح القوات المسلحة، وجناح اكاديمية الشرطة.

وانفرد جناح الاهرام بـ ٢٥٠٠٠ عنوان ، استأثرت الكتب العربية منها بـ ٥٠٠٠ عنوان في شتى مجالات المعرفة والكتب الاجنبية بـ ٢٠٠٠٠ من أحدث المراجع والكتب العلمية الاجنبية .. كما قدَّم الجناح المطبوعات الالكترونية في صورة «سي دي» .

وجاء في مقدمة الدول المشاركة :

- جناح المملكة العربية السعودية .. وسط حفاوة بالغة تفقد فخامة الرئيس «حسني مبارك» جناح المملكة العربية السعودية وناقش المسؤولين بالجناح عن بعض محتوياته من الكتب، وقد قام المسؤولون بإهداء فخامته درعاً تذكاريا وكذا بعض الاصدارات كما أجرى فخامة الرئيس حوارا مع المسؤولين في ركن مكتبة الملك فهد .
- جناح الكويت .
- جناح الامارات العربية المتحدة .
- جناح سلطنة عمان .
- جناح لبنان .

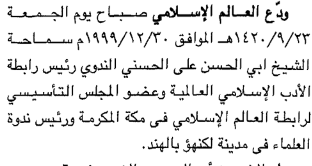
ومن الدول الاجنبية المشاركة :

جاء جناح المانيا للتعريف بالخدمة التي تقدمها الاذاعة الالمانية الموجهة للدول العربية .. وكذا جناح الولايات المتحدة ، واليابان ، واسبانيا ، وفرنسا ، والصين .

ومما يجدر ذكره ان الأمر لايقف عند عرض الاصدارات العربية والعالمية بل يتعداه الى تلك الملتقيات والندوات العلمية والثقافية التي يساهم فيها نخبة من المثقفين والمبدعين والعلماء ليتحول المعرض إلى احتفالية علمية وثقافية عالمية كبرى تقف شاهدا على علم الانسان.

عشية القرن الجديد

الشيخ الندوي .. فى ذمة الله



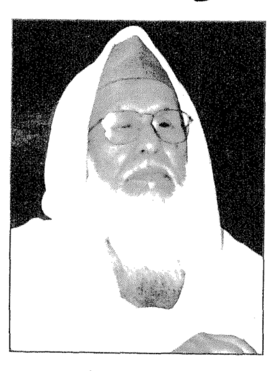
ودّع العالم الإسلامي صباح يوم الجمعة ١٤٢٠/٩/٢٣هـ الموافق ١٩٩٩/١٢/٣٠م سماحة الشيخ ابي الحسن على الحسني الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي فى مكة المكرمة ورئيس ندوة العلماء فى مدينة لكنهؤ بالهند.

ولد الشيخ أبو الحسن الندوي فى ٦ محرم ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) ونشأ فى بيت علم ودين، بدأ تلقي العلم على يد والده العلامة الشيخ عبدالحي الندوي، توفي والده وهو في العاشرة من عمره فواصل تعليمه بإشراف والدته وأخيه الأكبر الدكتور/ عبد العلي الحسني على يد عدد من علماء الهند. ثم واصل دراسته العليا فى جامعة لكنهؤ وجامعة دار العلوم التابعة لندوة العلماء فدرس العربية وآدابها والعلوم الشرعية واهتم بدراسة اللغات فأتقن العربية والانكليزية والفارسية فضلا عن الأردية كتابة وتحدثا.

زار الشيخ الندوي العديد من دول العالم حيث ألقى محاضرات وشارك فى مؤتمرات وندوات عن الإسلام. وتولي منصب رئيس ندوة العلماء منذ عام ١٩٦١م وحتى وفاته.

كُرِّم فى العديد من جامعات العالم والدول الإسلامية لجهوده ومجهوداته فى خدمة الإسلام ومُنِح العديد من الجوائز والشهادات تقديرا لاسهامه المتميز في الفكر الإسلامي. كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية.

ترك الشيخ الراحل مؤلفات كثيرة باللغات الأردية والعربية والانجليزية بلغ مجموع عناوين مؤلفاته وترجماته ٧٠٠ عنوان منها ١٧٧ عنوانا بالعربية وقد تُرجم عدد من مؤلفاته الى الانجليزية والفرنسية



والتركية والبنغالية والاندونوسيّة وغيرها من لغات الشعوب الاسلامية الأخري.

ومن أهم مؤلفاته «ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين» و «الأركان الأربعة» و «تاريخ الحركات الاصلاحية» و «موقف الاسلام من الحضارة الغربية» و «من رجالات الدعوة» و «قصص النبيين للأطفال» وغيرها الكثير.

ولقد حُرم العالم الإسلامي بوفاة الشيخ الندوي عَلَماً من اعلام الهدى لمع نجمه فى الهند وأشرق بضوئه حيثما حل المسلمون فى هذه المعمورة وإنه آخر من توفي من الشخصيات الإسلامية البارزة فى عام ١٩٩٩م.

والله نسأل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه مع الصديقين والصالحين والعلماء نظير ماقدّمه للإسلام والمسلمين.

(إنا لله وإنا اليه راجعون)

المحميات

تحافظ على الحياة البيئية وتحمي الطبيعة

تكونت فكرة حماية الطبيعة بوساطة إقامة المحميات واصبحت تتجسد في الحياة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. في هذه الفترة سيطرت فكرة مفادها، أن حماية الطبيعة حتماً تناقض استغلالها، إن اهتمامات حماية واستخدام الموارد الطبيعية متناقضة، لذلك فإن الطريقة الرئيسية لحماية الطبيعة اعتبرت لزمن طويل هي إقامة المحميات، أي سحب الأراضي المنفصلة، التضاريس، النباتات والحيوانات من الدورة الاقتصادية.

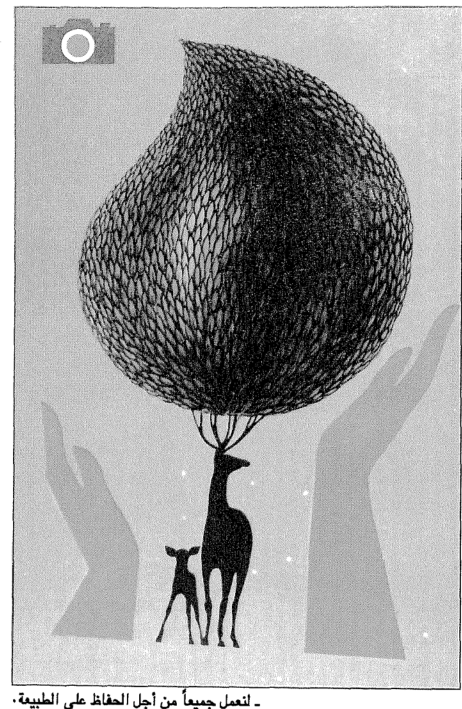
بدأت تنشأ في القرن التاسع عشر تحت تأثير العلماء الطليعيين ورأي المجتمع الأراضي المحمية من قبل الدولة - المحميات. أول محمية كهذه في أوروبا أصبحت غابة فونتينبلو قرب باريس، التى تمت حمايتها من قبل الدولة في عام ١٨٥٨ بمبادرة من قبل مجموعة من الفنانين الفرنسيين. وفي نهاية القرن الماضي تم تنظيم مجموعة من الأراضي المحمية في أمريكا الشمالية. فمنذ عام ١٨٧٢ تحمى في الولايات المتحدة الأمريكية طبيعة منتزه أيللوستون العام الوطني. هنا، وعلى مساحة (٩٠٠) ألف هكتار توجد أكثر من (٣٠٠٠) فوارة ماء حار (غيسر) وينبوع حار، شلالات نهر ايللوستون، غابات عذارى بهية يعيش فيها عدد كبير من الحيوانات والطيور. في عام ١٨٩٠ تم تنظيم حماية التجمعات الطبيعية لحديقة أويسيميت العامة الوطنية التى شغلت أكثر من (٣٠٠) ألف هكتار على السفح الغربي لجبل سيرا - نيفادا في ولاية كاليفورنيا. في عام ١٨٨٥ تأسس منتزه بانف العام الوطني في جبال كندا الصخرية. في بداية القرن العشرين ظهرت الأراضي المحمية في كل القارات (عدا القطب الجنوبي)، في غالبية بلدان العالم. ازداد عددها بشدة في السنوات التالية، في عام (١٩٧٥) وحسب معلومات منظمة الأمم المتحدة بلغ عددها (١٣٥٢) أرضاً محمية (محمية). الى الدول التي تملك

اعداد: د. كمال الحنون
جامعة تشرين - سوريا

أكبر كمية من الأراضي المحمية والتى تتفق مع المعايير التى أقرتها منظمة الأمم المتحدة بالنسبة للمساحات المحمية تنتسب الولايات المتحدة الأمريكية (٢٦٩ محمية)، أوستراليا (٢٣٩)، الاتحاد السوفييتي سابقا (٩٥)، كندا (٧٠) واليابان (٧٧).

يضم نظام المحميات العالمي ليس فقط التجمعات الأرضية الطبيعية، بل وحسب التجمعات المائية. هكذا في عام (١٩٣٥) كانت قد نظمت في الولايات المتحدة محمية تحت الماء «فورت جيفرسون» بمساحة (٢٥٠) هكتاراً. في السنوات التالية كانت قد أنشأت أيضا عدة محميات تحت الماء في ولايات: فلوريدا، كاليفورنيا وفي البحر الكاريبي.. تحمى في أوستراليا الشعاب المرجانية في حديقة غرين - أيلند العامة تحت الماء. الآن يوجد في العالم أكثر من (١٥٠) حوضاً مائيا يقع تحت الحماية (محمي). وهي تقع في: المحيط المتجمد الشمالي، أوستراليا، الدانمارك، اليابان، الفيليبين، أفريقيا الجنوبية والبحر المتوسط.

في ظروف الثورة العلمية - التقنية ازدادت الحاجات الى الموارد الطبيعية بكثير من المرات،



ـ لنعمل جميعاً من أجل الحفاظ على الطبيعة.

اتسعت أراضي الاستيعاب الشديد. كل هذا يخلق صعوبات كبيرة في مجال تنظيم حماية الطبيعة، يعيق سحب ا لتجمعات الأرضية والمائية الطبيعية من الدورة الاقتصادية، ويعيق إقامة المحميات فيها.

الوظائف الأساسية للمحميات:

إقامة المحميات، أي سحب الموارد الطبيعية من



ـ محمية غابة الشوح والأرز في سوريا.



ـ محمية الليطاني النهرية في لبنان.

الأرضية ذات التغير القليل نسبياً من قبل الإنسان، يمكن دراسة السير الطبيعي للعمليات الجغرافية، الفيزيائية الأرضية، البيولوجية وغيرها من العمليات. إن معرفة العمليات الخاصة بأنماط التجمعات الأرضية والمائية الطبيعية المختلفة ذات أهمية كبيرة جداً من أجل تخطيط تحويل الطبيعة والتنبؤ بنتائج تأثير الإنسان على البيئة الجغرافية، تعتبر المحميات المعايير الطبيعية التى تقاس بها كل التغيرات الإنسانية (ذات المنشأ الإنساني) للتضاريس.

مدى تغيير غطاء التربة، انقراض أو اغناء الفلورا والفاونا (النباتات والحيوانات في منطقة ما)، الانتهاكات المناخية الصغيرة والهيدرولوجية

الاستيعاب الاقتصادي المباشر، قد أصبحت الآن ليست الطريقة الرئيسية والأكثر فعالية لحماية الطبيعة فحسب. ولكن الأحواض المائية والأراضي المحمية تلعب دوراً هاماً في التنظيم الحديث لحماية الطبيعة، ووظائفها المتنوعة جداً. إلى جانب المهمات الخاصة الإقليمية، فإن كل أرض محمية مدعوة لحل المشاكل العامة لحماية الطبيعة أيضاً.

تعتبر الأراضي والأحواض المائية المحمية (المحميات البرية والمائية) معايير داعمة للحالة الطبيعية في التجمعات الطبيعية. في حدود هذه التجمعات

ونتائجها، ازدياد أو نقص المقدرة البيولوجية للأراضي المستوعبة.. الخ. هذا كله يمكن تقييمه فقط عند المقارنة مع الدلائل المماثلة للتجمعات المحمية. دراسة العمليات الجارية في المحميات تسهل تنظيم الاستغلال العقلاني للموارد والظروف الطبيعية على الأراضي المماثلة من الناحية التضاريسية ـ الجغرافية. لذلك فإن المحميات يجب أن تضم قدر الإمكان بشكل أكمل كل الأنماط الرئيسية للتجمعات الأرضية الطبيعية. في الوقت الحاضر تقع مثل هذه الأنماط في كل المناطق الطبيعية للكرة الأرضية تقريباً. هذا يفتح امكانيات

كبيرة أمام المراقبات المنسقة لتطور الظواهر الطبيعية العالمية، الإقليمية والمحلية ولتغيراتها الإنسانية.

على هذا النحو، من أجل التنبؤ بالتغيرات الإنسانية للظروف الطبيعية، ومن أجل التنظيم الناجح لأعمال تحويل الطبيعة من الضروري وجود عدد كبير من المحميات الموزعة مع الأخذ بالحسبان تباين تضاريس الغلاف الجغرافي.

تستطيع المحميات أن تبدي مساعدة محددة في دعم الظروف المثلى: البيولوجية، الهيدرولوجية والجوية على أراضي الاستيعاب الاقتصادي الشديد ـ هناك، حيث تجري تغيرات كبيرة في التضاريس الطبيعية.

توجد في المحميات الأرضية والمائية ظروف مثالية ضرورية من أجل حياة كثير من أنواع الحيوانات والنباتات، لذلك فهي عادة ما تستخدم من أجل حماية وتكاثر الأنواع النادرة. فقط، بفضل المحميات ينجح في الحفاظ على مثل هذه الحيوانات التي لا تستطيع أن تتكيف مع التضاريس التي غيَّرها الإنسان. هذه هي حيوانات الغوريلا، الأسود، الكركدن (وحيد القرن)، الزوبر (الثور البري)، البيزون (الثور الأمريكي)، فرس النهر وكثير غيرها.

مجموعة من أنواع النباتات سلمت فقط في المحميات، مثلا سيكفويا العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتضم نباتات هذا الجنس نوعاً واحداً هو سيكفويا العملاقة أو سيكفويا دائمة الخضرة ـ أشجار الصنوبر دائمة الخضرة، ارتفاعها أكثر من (١١٠ ـ ١١٢) متراً، وقطرها (٦ ـ ١٠) أمتار وتعيش أكثر من (٣٠٠٠) سنة. أما نباتات الجنس (Taxus): أشجار



ـ محمية وادي قاديشا في لبنان.

وشجيرات عالية (٦ ـ ٣٢) متراً، قطرها (١ ـ ٢ر٥) متراً، ونباتات الجنس (Buxus): أشجار ذات علو حتى (٢٠) متراً، وتعيش حتى (٥٠٠) سنة، ونباتات اللوتوس من الجنس (Nelumbo): اعشاب معمرة كبيرة مائية (مائية ـ أرضية)، أزهارها كبيرة يصل قطرها حتى (٣٠) سنتيمتر منفردة على سويقات طويلة، فهي كلها توجد في أراضي بعض جمهوريات رابطة الدول المستقلة وبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقا الأخرى.

على هذا النحو، تعتبر المحميات قاعدة هامة جداً لحماية التنوع الكبير للحيوانات والنباتات المختلفة،



ـ محمية جزيرة صير بني ياس في الامارات.

قاعدة داعمة للحفاظ على كمية (عدد) الحيوانات الاقتصادية في مستودع الذخيرة الوراثية.

تستغل الأراضي المحمية بشكل أوسع من أجل أهداف السياحة والاستجمام، التضاريس الطبيعية قليلة التغيير من قبل الإنسان، آثار الطبيعة، الحيوانات البرية الحرة تجذب إليها كل عام عدداً أكبر من الناس. هكذا، مثلا، إذا كان في عام (١٩٦٧) زار الأراضي المحمية ـ الحدائق العامة الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية (١٤٧) مليون إنسان، فإنه في عام (١٩٧٣) ـ أكثر من (٢٠٠) مليون.

تلعب المحميات دوراً عظيماً في رعاية المعلومات الطبيعية ـ العلمية، فكر حماية الطبيعة. يجب أن تصبح النزهات في المحميات جزء لا يتجزأ من تعليم وتربية حماية الطبيعة. تتزايد أهمية المحميات كمراكز دراسية هامة، حيث يكتسب الطلاب والتلاميذ خبرات معاملة الطبيعة بمهارة، واستغلال خيراتها، وأيضاً من أجل أغراض البحث العلمي.

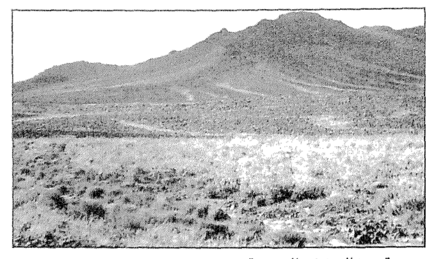
أنماط المحميات:

حسب خواص النظام المحمي، حسب الأغراض والأهداف والقياسات تفرز عدة أنماط من الأراضي المحمية. توجد في كل بلدان العالم تقريباً أراض محمية من نمط المحميات، المحميات ـ هي قطع الأرض التي تم سحبها الى الأبد من الاستغلال الاقتصادي، عادة في حدود المحميات يحفظ في حالة طبيعية كل التجمع الطبيعي (المحمية موقع يمنع فيه الصيد واستغلال الثروات الطبيعية). غالباً ما توضع تحت حماية المحميات الأراضي (المناطق) الأكثر تمييزاً للتجمعات الأرضية الطبيعية المحددة ـ للمناطق الجغرافية، البلدان والأقاليم الجغرافية، أنماط التضاريس. غالباً ما يستقر (يتشكل) نظام المحمية في التجمعات الطبيعية النادرة والفريدة من نوعها ذات الأهمية: العلمية، الجمالية، الصحية، الاستجمامية والتربوية. وفي مجموعة من الحالات تقام محميات على الأراضي التي توجد عليها مكونات طبيعية منفصلة (نباتات، حيوانات، أشكال من التكوينات الأرضية، فلزات ... وهكذا دواليك) تمثل قيمة علمية كبيرة.

حسب المكونات الرئيسية للحماية تكون المحميات متكاملة أو لغاية خاصة، في المحميات المتكاملة يحفظ

بحالة طبيعية كل التجمع الأرضي الطبيعي.

أما محميات الغاية الخاصة فتنشأ بشكل أساسي من أجل حماية المكونات المنفصلة الأكثر أهمية من الناحية العلمية، هكذا يحفظ في المحميات الفرنسية نوع أو عدة أنواع من الحيوانات. مثلا، محمية بارساكيلم (جزيرة في بحر الأورال)، أنشئت قبل أي شيء من أجل حماية غزلان السايغا، غزلان الجيران واليحمور. في المحميات النباتية تحفظ النباتات النادرة والمنقرضة أو تجمعات نباتية متجانسة في تركيبها النوعي ومنفصلة. مثلا، محمية بيسوند أنشئت على الأغلب من أجل حماية حرج بيسوند. هذه الغابة الكبيرة المتكاملة الوحيدة في العالم والمحفوظة بشكل جيد في السهل، حيث أشجار الصنوبر بيسوند الباقية (التي كانت قديما ذات انتشار واسع وقد أصبحت نادرة). تمازج حرش الصنوبر مع البيلاج الرملي الأفضل في شواطىء القوقاز على البحر الأسود يشكل منظراً طبيعياً فريداً من نوعه ذا قيمة عظيمة ليس فقط من الناحية العلمية وحسب، بل من ناحية الاستجمام، لكن المكون الرئيسى في المحمية في بيسوند هو واحد - حرج الصنوبر الباقي.



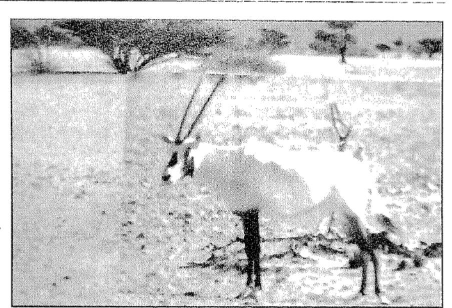
. محمية حرة الحرة في السعودية.



- **محمية راس عشيرج في قطر.**

في المحميات الجيولوجية - الشكل أرضية تحفظ مكونات جيولوجية نادرة، وأشكال من التكوينات الأرضية. هكذا في محمية «العواميد»، قرب كرسنايارسك (ذات اللون الأحمر الزاهي) تحفظ الصخور الغرانيتية - السينيت شديدة الحمرة «الأعمدة» التي ارتفعت فوق التايغا بجروف ارتفاعها (١٠٠) متر. محمية أيلميني كانت قد أنشئت في البداية من أجل الحفاظ على النماذج الفريدة بنوعها من الصخور الجبلية والفلزات (اكثر من ٢٠٠ نوع من الأحجار الكريمة) المتركزة على أرض غير كبيرة. ثم تحولت إلى محمية متكاملة.

تعود الى الخزانات (المستودعات) الطبيعية



- محمية المها العربي في عمان.

الأراضي ذات النظام الشديد للحماية. عادة تشكل الخزانات الطبيعية الجزء الأكبر قيمة من الأراضي المحمية الواسعة - المحميات، المنتزهات العامة الوطنية، الأجزاء المنشأة حسب الطلب. الخزانات الطبيعية ذات نظام حماية من نمط المحميات المطلقة. على اراضيها منع ليس فقط أي نشاط اقتصادي، بل أيضاً منعت زيادة عدد السياح والمتنزهين.

تحفظ في الأجزاء المنشأة حسب الطلب جزءاً من مكونات التجمعات الطبيعية. عندئذ يسمح بالاستغلال الاقتصادي لمجموعة من الموارد الطبيعية. من بينها المناطق المخصصة للصيد الأوسع انتشاراً. في المناطق المخصصة للصيد تحمى الفاونا (حيوانات منطقة ما) لفترة محددة، لكن يسمح بتخزين الأخشاب، جمع الفطور، الكيوش ... والخ. الأجزاء المنشأة حسب الطلب تكون دائمة ومؤقتة. المؤقتة - تنشأ قبل أي شيء في أراضي الصيد في فترة السماح بصيد هذا النوع أو غيره من الحيوانات الاقتصادية. بعد استقرار العدد الأمثل من الأنواع المحمية يتغير نظام الحماية ويتحول المكان من جديد إلى أراض للصيد.

في الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، اليابان وفي مجموعة من بلدان أوروبا انتشر نمط خاص من المحميات - الحدائق العامة (المنتزهات العامة). تحفظ في المنتزهات العامة التضاريس الرائعة قليلة التغير بسبب نشاط الإنسان، الغنية بالنباتات والحيوانات. تجتمع في المنتزهات العامة حماية الطبيعة مع تنظيم استجمام الناس والسياحة العامة. كقاعدة، هذه أراض واسعة، حيث الموارد الطبيعية مستثناة من الاستغلال الصناعي والزراعي. يتلقى الزوار في المنتزهات العامة أنواعاً مختلفة جدا من الخدمة، وهذا ما يضمن اقتصادية مالية (مردوداً اقتصادياً) عالية لهذه الأراضي المحمية. الإيرادات من السياحة عادة تتجاوز ذلك الربح الذي قد يمكن الحصول عليه من الاستغلال المباشر للموارد الطبيعية للمحميات في الصناعة أو الزراعة. مثلا، الربح من السياح الذين يزورون غابات سيكفويا المحمية دائمة الخضرة (الولايات المتحدة الأمريكية)، أكبر بعشر مرات من ثمن كل أخشاب هذه الغابات. على هذا النحو، تضمن المنتزهات العامة الوطنية حماية التضاريس الفريدة من نوعها، الأنواع النادرة والقيمة من النباتات والحيوانات وفي الوقت نفسه تعتبر مكاناً رائعاً للاستجمام والسياحة، وتعوض المصاريف اللازمة لاحتوائها بشكل كامل وتجلب دخلا كبيراً.

تعتبر المنتزهات العامة الطبيعية في الدول

الاسكندنافية مناظرة للمنتزهات العامة الوطنية. في أوروبا الشرقية تسمى الأراضي المحمية من النمط المماثل بالمنتزهات العامة الشعبية.

تعود إلى آثار الطبيعة مكونات الطبيعة المنفصلة الموضوعة تحت الحماية - الجلاميد (الصخور الملساء) النادرة، المكونات الجيولوجية المكشوفة، الأشكال الخاصة للصخور الجبلية الخاضعة للتعرية (الحت) الجوية، الأشكال الفريدة من التكوينات الأرضية، الأشجار والنباتات النادرة، الينابيع، الشلالات... والخ. مثلا، ينتسب إلى آثار الطبيعة كهف مامونتوف في ولاية كينتوكا (الولايات المتحدة الأمريكية)، كهف كونغور الجليدي في الأورال، الجلاميد الجليدية العملاقة في المنتزه العام كاريورغ في جمهورية تالين.. وما شابه ذلك.

في مجموعة من الحالات يضعون تحت الحراسة الخاصة مكونات الطبيعة المتعلقة بأحداث تاريخية ما، أو بحياة الناس البارزين.

ومن الجدير بالذكر، وكما ذكرنا سابقاً انتشرت المحميات في كل بلدان العالم تقريباً، ففي جمهوريات آسيا الوسطى مثلا، التي يشبه مناخها وظروفها البيئية في عدد من النواحي لحد ما المناخ والظروف البيئية في منطقتنا العربية عامة، وفي منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي خاصة وجدت ومنذ حوالي عشرين سنة ٢٥ محمية (تركمانيا - ٤ ، كازاخستان - ٦ ، ازبكستان - ١١ ، تاجكستان - ٢ ، كرغيزيا - ٢).

أما فيما يتعلق بمنطقتنا العربية، فإن تاريخ حماية الأحياء عند العرب يعود إلى الجاهلية، حيث كانت كل قبيلة تملك حمى خاصاً بها، أي منطقة يمنع فيها الرعي والتحطيب والصيد، وتقع تحت حماية شيخ القبيلة، وكانت هذه المحميات تستخدم لتأمين حاجة خيول وجمال الضيوف وصيدهم، وكذلك من أجل الاستثمار عندما يتطلب الأمر ذلك، أي في سنين الجفاف والقحط فقط، ولكن يتم هذا بقدر يسمح باستمرار تجددها وازدهارها كثروة للقبيلة.

واستمر هذا النظام بعد ذلك في العصر الإسلامي، ولا تزال بقاياه موجودة في بعض أجزاء الجزيرة العربية مثل المملكة العربية السعودية وعمان، حيث تم تحديث هذا النظام وتحولت هذه الحمى إلى محميات طبيعية تقوم بإدارتها مراكز وطنية تضم اختصاصيين في مجال حماية الكائنات الحية النباتية والحيوانية وإكثارها، والسهر على تأدية المحمية لوظائفها الحيوية والاقتصادية.

وهناك شكل آخر قديم من المحميات ينتشر في المناطق الجبلية ويرتبط بالمحميات الدينية وهو «قبو الأولياء» أو المزارات، مثل النبي متة والنبي هابيل والنبي سباط، وغيرها من المزارات الكثيرة جداً والمنتشرة في بلادنا العربية. والمزار هو قبر لأحد التقاة الأولياء توجد حوله منطقة يختلف حجمها من مزار إلى آخر وتعتبر مقدسة لا يجوز فيها القطع أو الرعي أو العبث بالطبيعة. وقد حافظت المزارات على أشجار وشجيرات المنطقة الطبيعية بصورة رائعة، حيث أنه يوجد عند الناس اعتقاد أن التعدي على منطقة المزار يلحق المصائب بالجاني.

وهذه الأسباب قد كانت كافية لحماية تلك المناطق من الأذى، وأصبحت مكاناً للاستجمام والاستمتاع بالطبيعة.

أما المحميات بمعناها الشمولي الحقيقي والحديث، فهي مازالت حديثة نسبياً، وغالباً في مراحلها الأولى في منطقتنا العربية. وقد بدأت في العقود القليلة الماضية وخاصة في الربع الأخير من قرننا الحالي. لكن رغم ذلك، فإنه قد بذلت جهود كبيرة وخطوات حثيثة خاصة في السنوات الأخيرة الماضية توجت بإنشاء العديد من المحميات وخاصة في دول الخليج العربي وفي سوريا ولبنان أيضاً. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض أهم هذه المحميات ومكان وجودها.

- **المملكة العربية السعودية:** يوجد فيها عدد من المحميات الطبيعية وهي محميات: حرة الحرّة، الخنفة، الطبيق، الوعول في حوطة بني تميم، عروق بني معارض، محازة الصيد، جرف ريدة، جزر فرسان (تضم ٨٤ جزيرة في البحر الأحمر)، أم القماري، مجامع الهضب، الجبيل للأحياء البحرية (تضم خمس جزر مرجانية في الخليج العربي).

- **دولة قطر:** يوجد فيها عدد من المحميات البرية والبحرية وهي محميات: الشحانية، رأس عشيرج، الوضيحي، المسحبية، مزرعة الوبرة (ترقى لأن تكون محمية طبيعية)، الاستزراع البري، غابات القرم (المنغروف أو الشورى)، جزيرة حلول.

- **سلطنة عمان:** يوجد فيها عدد من المحميات الطبيعية وهي محميات: الطهر (تيس الجبل) والمها العربي (الوضيحي)، الغزلان والسلاحف، الحيتان والدلافين والطيور (أسس «ملاذ الحيتان» في المحيط الهندي عام ١٩٨٠).

- **دولة الإمارات العربية المتحدة:** إطلاق الغزلان في الغابات المفتوحة في صير بني ياس، وهي غابات مستحدثة يتم فيها تربية وإعادة توطين أنواع من الحيوانات العربية والصحراوية النادرة، وتعد مرتعاً لمئات الأنواع من هذه الحيوانات، وهي جزيرة صحراوية قبالة ساحل أبو ظبي.

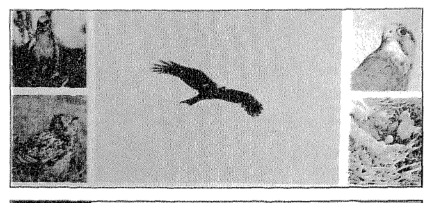
ومن الجدير بالذكر أنه عقد مؤتمر دولي للمها العربي (الوضيحي) في أبو ظبي من ٢/٢٧ حتى ١٩٩٩/٣/١م، ركز على سبل حماية المها العربي في منطقة الخليج العربي، وشارك فيه خبراء وباحثون عرب وأجانب.

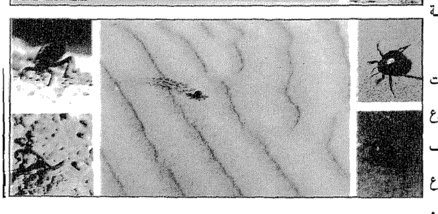
أما في مجال الاستثمار في البيئة، فقد أقيم مشروع رائد للسياحة البيئية في دولة الإمارات العربية المتحدة وهو منتجع المها الصحراوي.

- **الجمهورية العربية السورية:** يوجد فيها عدد من المحميات نذكر أهمها، وهي: محمية التليلة، محمية جزيرة الثورة (محمية بيئية)، محمية غابتا الشوح والأرز (محمية بيئية طبيعية حرجية) منعت فيها كل النشاطات البشرية، واقتصر السماح فيها على أغراض البحث العلمي، محمية أم الطيور ومحمية رأس ابن هاني البحريتين.

- **الجمهورية اللبنانية:** يوجد فيها عدد من المحميات

نذكر أهمها وهي: محمية وادي قديشا في شمال لبنان (محمية ثقافية وطبيعية للتراث العالمي)، وهي مرشحة للموقع العاشر في لائحة المواقع الطبيعية الثقافية التراثية العالمية، محمية الليطاني النهرية (منطقة عسكرية تصبح محمية طبيعية).





- محمية بادخنر في جنوب تركمانيا.

ومن هنا تبدو أهمية المحميات ودورها الكبير في الحفاظ على التنوع الحيوي عن طريق توفير الظروف البيئية الملائمة لحياة وتكاثر الأنواع الحيوانية والنباتية النادرة والتي تقع على حافة الانقراض، ورعايتها ومن ثم إعادة نشرها وتوطينها في مناطق أخرى جديدة. وهذا ما يدخل في مجال الحفاظ على الحياة البرية والمائية وتنميتها. وذلك من أجل إعادة التوازن البيئي الى المناطق التى فقدت توازنها البيئي تحت تأثير الإنسان ونشاطاته المختلفة والمتعددة الوجوه، وخاصة المناطق التي تعاني حالياً من مشكلة التصحر في منطقتنا العربية ككل، وفي منطقة الخليج العربي خاصة. وأيضاً تحويل الطبيعة بما يتلاءم مع حاجات الانسان ومصالحه، وخاصة في مجال السياحة والاستجمام، ولكن دون إلحاق أي ضرر بمكونات الطبيعة الهامة من وجهات نظر مختلفة مع الحفاظ على التوازن البيئي فيها. وغير ذلك مثل تلبية بعض الأغراض والأهداف من خلال إقامة محميات الغابة الخاصة. وأيضاً تحقيق الفائدة الاقتصادية من خلال إنشاء المحميات من نمط الحدائق (المنتزهات) العامة الوطنية. وكذلك استخدام المحميات لأهداف تعليمية وتربوية، وخاصة لأغراض البحث العلمي أيضاً.

ومن الممكن أن تتوافق برامج تنمية المحميات والحياة البرية مع برامج التنمية المستدامة التي من شأنها استخدام الحياة البرية بالأسلوب الاقتصادي بما يحقق الكسب المادي إلى جانب التوازن البيئي. ويمكن تفعيل الدور الاقتصادي لبعض الأنواع البرية في بيئتها لتحقيق الميزة النسبية الخاصة بالتأقلم البيئي. وكذلك تطبيق برامج إطلاق الحياة البرية بعد تربية الأنواع في الأسر كما هو الحال في كل من: السعودية، قطر، الأردن، تونس، المغرب، سلطنة عمان وسورية.

القصص النبوي

قصة آدم عليه السلام

آدم: أبو البشر - عليه الصلاة والسلام - خلقه الله من أديم الأرض، من غير أب ولا أم؛ ليكون خليفته في الأرض، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر، وعصى آدم ربه، لحكمة أرادها الله، فأخرجه من الجنة، وأهبط إلى الأرض، ثم تاب عليه واجتباه وهداه، فكان أول الأنبياء.

خلق آدم - عليه السلام -:

في القصص النبوي - الذي هو شارح ومبين للقرآن الكريم - أن الله بإرادته خلق الخلق، وأوجدهم بقدرته، حسب ما جرى به علمه، بترتيب دقيق ونظام بديع، فأوجد كثيرا من مخلوقات الكون قبل خلق آدم، ثم خلق آدم ليستخلفه في الأرض، ويسخر له ما في هذا الكون. جاء في القصص الصحيح[١] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: {خلق الله - تبارك وتعالى - التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل}.

وفي قصة أخرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (خلق الله - عز وجل - أول الأيام يوم الأحد، وخلقت الأرض في يوم الأحد ويوم الإثنين، وخلقت الجبال وشقت الأنهار، وغرس في الأرض الثمار، وقدر في كل أرض قوتها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، ثم استوى إلى السماء - وهي دخان - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين، فَقَضَاهُنَّ سبع سماوات في يومين، وأوحي في كل سماء أمرها يوم الخميس ويوم الجمعة، وكان آخر الخلق في آخر الساعات يوم الجمعة، فلما كان يوم السبت لم يكن فيه خلق) ولكن الرواية السابقة تقول: (خلق الله - تبارك وتعالى - التربة يوم السبت).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما: عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (خلق الله - عز وجل - الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال، حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الله الألفة (الآفة)[٢] على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة).

قال ابن جرير:[٣] حدثنا هناد بن السرى، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبى سعيد البقال،



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصـــر -

عن عكرمة عن ابن عباس، قال هناد: قرأت سائر الحديث، أن اليهود أتت النبي {صلى الله عليه وسلم} فسألته عن خلق السموات والأرض، فقال {صلى الله عليه وسلم}: (خلق الله - تعالى - الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران، فهذه أربعة: (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين، وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين)[٤] لمن سأله قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة) ثم قالت اليهود: ثم ماذا يامحمد؟ قال: (ثم استوى على العرش) قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي {صلى الله عليه وسلم} غضبا شديدا، فنزل: {ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب. فاصبر على ما يقولون}[٥].

وهذا القصص النبوي يوضح ما جاء في قول الله تعالى: {هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، وهو بكل شيء عليم. وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال: إني أعلم مالا تعلمون}[٦].

ويتحدث القصص النبوى أن آدم - عليه السلام - خلق من الأرض من قبضة قبضها الله من جميع الأرض وإن هذه الطينة عجنت بماء الجنة، ثم صور آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا، وفي بعض القصص، لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله، وإن الله - تعالى - خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، وحين خلق آدم قبض من صلبه قبضة، فوقع كل طيب في يمينه، وكل خبيث في يده الآخرى، فقال: هؤلاء أصحاب اليمين ولا أبالى، وهؤلاء أصحاب الشمال ولا أبالى، هؤلاء أصحاب النار، ثم أعادهم في صلب آدم يتناسلون على ذلك.

جاء في قصة في البخارى[٧] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن).

وأورد ابن حجر العسقلانى في شرح هذه القصة ما رواه الترمذي والنسائى والبزار، وصححه ابن حبان من طريق سعيد المقبرى وغيره عن أبى هريرة مرفوعا: (إن الله خلق آدم من تراب، فجعله طينا ثم تركه، حتى كان حمأ مسنونا، خلقه وصوره ثم تركه، حتى إذا كان صلصالا كالفخار، كان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ فيه من روحه، وكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس، فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك ربك).

ولذا جاء في البخارى[٨] عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب)، وفي مسند أحمد

عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إذ عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال، وليقل له من عنده يرحمك الله، ويرد عليهم يهديكم الله ويصلح بالكم).

عناصر في تكوين آدم:

خلق الله آدم - عليه السلام - من تربة الأرض، واختار الله هذه التربة لتكون مشتملة على كل معادن الأرض وعناصرها. عن أبي موسى، عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[٩] قال: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض، والأحمر والأسود، وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك).

وذكر السدى عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قالوا: فبعث الله - عز وجل - جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشيننى، فرجع ولم يأخذ، وقال: رب، إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل، فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء، وحمراء، وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به، فبل التراب حتى عاد طينا لازبا. واللازب: هو الذى يلزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة[١٠]: (إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين).

فخلقه الله بيده، لئلا يتكبر إبليس عنه، فخلقه بشرا، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة. فمرت الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار، يكون له صلصلة، فذلك حين يقول: {من صلصال كالفخار}[١١]، ويقول: لأمر ما خلقت، ودخل من فيه، وخرج من دبره، وقال للملائكة: لا ترهبوا هذا، فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنَّه.

وعن أبي قلابه[١٢] قال: خلق آدم من أديم الأرض كلها، أسودها وأحمرها وأبيضها، وحزنها وسهلها، قال: وقال الحسن مثله، وخلق جؤجؤه[١٣] من ضريّة.

وعن سعيد بن جبير عن ابن مسعود قال: إن الله بعث إبليس فأخذ من أديم الأرض، من عذبها وملحها، فخلق منها آدم، فكل شيء خلقه من عذبها، فهو صائر إلى الجنة، وإن كان ابن كافر، وكل شيء خلقه من ملحها، فهو صائر إلى النار، وإن كان ابن تقى، قال: فمن ثم قال إبليس: أأسجد لمن خلقت طينا، لأنه جاء بالطينة، قال: فسمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

وعن سعيد بن جبير قال: إنما سُمّي آدم، لأنه خلق من أدم الأرض، وإنما سُمّي إنسانا، لأنه نسي.

وعن سلمان الفارسي أن ابن مسعود قال: خمر الله طينة آدم أربعين ليلة، أو قال: أربعين يوما، ثم ضرب بيده فيه، فخرج كل طيب في يمينه، وخرج كل خبيث في يده الأخرى، ثم خلط بينهما، قال: فمن ثم يخرج الحي من الميت والميت من الحي.

وعن عبد الله بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الله خلق آدم بيده) وعن عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهب بن

منبه يقول: خلق الله آدم كما شاء ومما شاء، فكان كذلك، تبارك الله أحسن الخالقين، خلق من التراب والماء، فمنه لحمه ودمه، وشعره وعظامه وجسده كله، فهذا بدء الخلق الذى خلق الله منه ابن آدم، ثم جعلت فيه النفس، فيها يقوم ويقعد، ويسمع ويبصر، ويعلم ما تعلم الدواب، ويتقى ما تتقى، ثم جعل فيه الروح، فيه عرف الحق من الباطل، والرشد من الغي، وبه حذر ما تقدم، واستتر وتعلم ، ودبر الأمور.

وعن ابن مردويه[١٤] عن أبي هريرة: إن الله - تبارك وتعالى - خلق آدم من طينة الجابية، وعجنه بماء من ماء الجنة.

وعن ابن سعد عن أبي ذر: إن آدم خلق من ثلاث ترب: سوداء، وبيضاء، وحمراء.

وفي البخاري[١٥] عن أبي هريرة - (سئل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم لله، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس، يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا).

والكتب السابقة تذكر أن آدم - عليه السلام - خلق من تراب، وأن الله نفخ فيه الروح كما جاء في الاصحاحين الثاني والثالث في سفر التكوين، وهي لا تخالف ما جاء في القرآن الكريم إلا مخالفة يسيرة[١٦].

ونحن لا نحتاج أدلة بعد القرآن الكريم وقصص سيد المرسلين، ولكن أشرنا إلى ذلك؛ لأنه على الرغم من اجماع الأديان على ذلك، فإننا نجد بعض النظريات، التي تعرض في سياق العلم أو الكشف (الجيولوجي) في الخلق الذين كانوا قبل آدم، أو أصل آدم. ويسارع الناس، بل وللأسف في بلاد المسلمين بالترويج لهذه النظريات وتدريسها في دور التعليم، وهي نظرية في طور التخمين ولم تصبح أمرا قطعيا، يريدون بذلك نشر الإلحاد والتشكيك في المقدسات.

تقول نظرية دارون التي قبلها كثير من الأوربيين: إن الإنسان أصله قرد، ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار هذا الإنسان.

وإلى جانب أن النظرية تتعارض مع العقل السليم، ولم تثبت على وجه العلم القطعي، وتتعارض مع نصوص الكتب الصحيحة المنزلة، فإن كثيرا من علماء أوربا وأمريكا عارضوها[١٧] (وهذه أمريكا عاقبت أحد المدرسين في إحدى الجامعات لأنه أظهر لطلبته صحة قول (دارون) ووأتباعه وأبطل ما تضمنته التوراة في شأن آدم).

أما في العالم الإسلامي، فإن خطط التعليم التي وضعها الاستعمار، أخذا من مؤتمرات الاستشراق والتبشير، تقتضي تجهيل أبناء العالم الإسلامي بتراثهم، والاستهانة بمواد الدين، والعناية باللغات الأجنبية والألعاب الرياضية، وتشويه الإسلام وتاريخه وحقائقه وتدريس العلوم الطبيعية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية الممزوجة بنظريات زائفة تتعارض بطبيعتها مع الدين[١٨] (وهي مجرد خرافات إلحادية، تهدم الأديان من أساسها، مثل خرافة التطور التي أثبتت عشرات الأبحاث بطلانها، إلا أنهم مازالوا يدرسونها للطلاب في مختلف مراحل التعليم، بهدف الإسقاط على الدين، وتشكيك النشء في عقيدته).

هيئة آدم:

تحدث علماء التفسير في قوله تعالى[١٩]: {وإذ قال ربك للملائكة إنِّي خالق بشرا من صلصال من حمإ

مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين}.

يذكر الله - تعالى - آدم في ملائكته قبل خلقه من الطين المخلوط بالرمل، الذي يتصلصل إذا حرك، فإذا طبخ في النار فهو كالفخار، والحمأ المسنون، المتغير أو المصبوب، مأخوذ من سنة الوجه، وهي صورته من قولهم وجه مسنون، إذا كان فيه طول. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[٢٠] قال: (كان طول آدم ستين ذراعا في سبع أذرع).

وعن أبي بن كعب[٢١]: (إن أباكم آدم كان طوالا كالنخلة السحوق، ستين ذراعا، كثير الشعر، مواري العورة، فلما أصاب الخطيئة في الجنة خرج هاربا).

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (لما صور الله آدم تركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر إليه فلما رآه أجوف قال: ظفرت به خلق لا يتمالك).

ونقل الثعلبي في كتابه (قصص الأنبياء) أنه: (في صحيح الترمذي بالإسناد عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في تفسير أول البقرة، أن الله خلق آدم بيده، من قبضة قبضها من جميع الأرض، من السهل والجبل، والأسود والأبيض والأحمر، فجاءت الأولاد على ألوان الأرض. وسأل عبد الله بن سلام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كيف خلق الله آدم - عليه السلام - ؟ فقال: خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس، وفخذه من أرض اليمن، وساقيه من أرض مصر، وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق، ويده اليسرى من أرض المغرب، ثم ألقاه على باب الجنة، فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته، وطول قامته، ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيئا يشبهه من الصورة، فمر به إبليس فرآه، فقال: لأمر ما خلقت، ثم ضربه بيده، فإذا هو أجوف، فدخل في فيه، وخرج من دبره، وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة: هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك، ثم قال لهم: أرأيتم إن فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون؟ قالوا: نطيع ربنا، فقال إبليس - في نفسه - والله لئن فضل هذا عليّ لأعصينه، ولئن فضلت عليه لأهلكنه، فذلك قوله تعالى: {وأعلم ما تُبْدون وما كنتم تكتمون}.

وقد جاءت قصص وروايات صحيحة تؤيد بعض ما جاء في القصة السابقة.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس[٢٢] قال: خلق الله آدم بدحناء فمسح ظهره.

وعن الحكم عن ابراهيم قال سلمان: إن أول ما خلق من آدم رأسه، فجعل يخلق جسده وهو ينظر، قال: فبقيت رجلاه عند العصر، قال: يارب الليل أعجل قد جاء الليل، قال: وخلق الإنسان من عَجَل.

قال ابن كثير في قصص الأنبياء: فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه، عجلان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول تعالى[٢٣]: {خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَل}.

وجاء في شرح الأبي والسنوسي لصحيح مسلم[٢٤] في قوله {صلى الله عليه وسلم}: (لما صوَّر الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل ابليس يطيف به وينظر ما هو، فلما رآه أجوف، عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك) لما شكل الله طينته على شكلها الخاص على ما سبق في علمه تعالى، دار

الشيطان حوله ليتأمله ويفحصه، فتبين له أنه ذاجوف، وأن داخله خال كالشيء المقعر، وأنه لا يتمالك، يعني لا يحبس نفسه عن الشهوات؛ واستنتج من بحثه أنه يفتقر إلى ما يسدها ويملأ الفراغ، وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل لا يملك نفسه عند الغضب.

وروى عبد الرزاق من وجه آخر مرفوعا: (إن آدم لما أهبط كانت رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء فحطه الله إلى ستين ذراعا)[٢٥].

أتى عليه حين من الدهر:

خلق الله - تعالى - آدم على الصورة المتقدمة وتركه حينا من الدهر، دون أن ينفخ فيه الروح، وكما جاء في القصة التي نقلها ابن كثير عن الإمام أحمد عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه، فجعل إبليس يطيف به، فلما رآه أجوف، عرف أنه خلق لا يتمالك).

وجاء في منتخب كنز العمال[٢٦] عن أنس، رضي الله عنه، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (لما صور الله آدم تركه فجعل إبليس يطيف به وينظر إليه، فلما رآه أجوف، قال: ظفرت به، خلق لا يتمالك).

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى[٢٧]: {حين من الدهر} قيل: أربعون سنة، قبل أن ينفخ فيه الروح، وقيل إنه خلق من الطين أربعين سنة، ثم من حمإ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، وقيل الحين المذكور لا يعرف مقداره، وقيل المراد بالإنسان بنو آدم، والحين مدة الحمل. وفي قوله تعالى: {لم يكن شيئا مذكورا} جملة في محل نصب على الحال من الإنسان، أو في محل رفع صفة لحين. والمعنى أنه كان جسدا مصورا، ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه، ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح، فصار مذكورا، وقال *يحيى بن سلام*: لم يكن شيئا مذكورا في *الخلق*، وإن كان عند الله شيئا مذكورا، وقيل المعنى: قد مضت أزمنة، وما كان آدم شيئا ولا مخلوقا، ولا مذكورا لأحد من الخليقة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيوان.

وفيما تقدم من أطوار خلق آدم قائم في ذريته، كما في *القصص النبوي* عن زيد بن وهب قال عبد الله حدثنا رسول *الله* {*صلى الله* عليه وسلم} وهو *الصادق* المصدوق قال: [٢٨] (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب، عمله، ورزقه، وشقي، *أو* سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه يعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة).

وروي عن *ابن عباس*:[٢٩] (*حين من الدهر*) قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أربعون سنة مرت به قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف.

وعن *ابن عباس أيضا*، في *رواية الضحاك*: أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمإ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، وزاد ابن مسعود فقال: أقام وهو تراب أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وستين سنة، ثم نفخ فيه الروح.

وقيل في (شيئا مذكورا) ليس هذا الذكر بمعنى الإخبار، فإن إخبار الله عن الكائنات قديم، بل الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر، أي أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة، ثم لما عرف الله الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمله الأمانة التى عجزت السموات والأرض والجبال، ظهر فضله على الكل، فصار مذكورا.

وقال آخرون:[٣٠] لا حد للحين في هذا الموضع، وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئا، وإذا أريد ذلك، قيل: أتى حين قبل أن يخلق، ولم يقل أتى عليه، وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حد له يوقف عليه.

نفخ الروح:

الرُّوح: ما يكون به حياة النفوس وحياة الأجسام، واللفظ يطلق على غير ذلك، والروح جسم لطيف، كالهواء وقيل: إنه جوهر مجرد غير متحيز، ولا حال في متحيز. قال القرطبي[٣١]: الروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم.

قال ابن كثير في تفسيره[٣٢]: ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء، في أن الروح هى النفس أو غيرها، وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء، سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر، وقرر أن الروح التى ينفخها الملك في الجنين هي النفس، بشرط اتصالها بالبدن، واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم، فهى إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء، كما أن الماء هو حياة الشجر، ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا، فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار إما مصطارا أو خمرا، ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز وكذلك لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو، وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه فحاصل ما نقول: إن الروح هى أصل النفس ومادتها، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن، فهى هى من وجه، لا من كل وجه. والله أعلم.

ونفخ الله في آدم جاء في القرآن الكريم: {فإذا سوَّيْتُهُ ونفختُ فيه من رُوحي فقَعُوا له ساجدين}[٣٣] وفي قوله: {فإذا سوَّيْتُهُ ونفختُ فيه من رُوحي فقعُوا له ساجدين}[٣٤].

وفي صحيح البخاري[٣٥] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (فيقول بعض الناس أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة).

قال ابن كثير: فلما بلغ الحين الذى يريد الله - عز وجل - أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربك، فلما دخلت الروح في عينيه، نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح في جوفه، اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه، عجلان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول تعالى: {خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ}[٣٦]، {فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين}[٣٧].

وفي ابن حبان[٣٨] عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (لما

نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: (يرحمك الله).

ونقل الحافظ أبو بكر البزار عن أبي هريرة - رضي الله عنه - رفعه - قال: (لما خلق الله آدم عطس، فقال: الحمد لله، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم).

وعن أبي هريرة[٣٩]: رضي الله عنه - عن النبي [صلى الله عليه وسلم]: (لما خلق الله - تبارك وتعالى - آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة، إلى ملأ منهم جلوس، فقل السلام عليكم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم).

= للحديث صلة =

الهوامش:

(١) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص ٣٢٧ ومنتخب كنز العمال جـ٢ ص ٤٤٧ وتفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ١١٨ وفتح القدير جـ١ ص ٨٠.

(٢) بلفظ الآفة عند ابن كثير، والألفة في منتخب كنز العمال.

(٣) ابن كثير جـ ٤ ص ١١٨.

(٤) سورة فصلت آية ٩- ١٠.

(٥) سورة ق آية ٣٨ - ٣٩.

(٦) سورة البقرة آية ٢٩ - ٣٠.

(٧) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٦٢.

(٨) فتح الباري جـ ١٠ ص ٦٠٧.

(٩) قصص الأنبياء ص ٣٥.

(١٠) سورة ص آية ٧١ - ٧٢.

(١١) سورة الرحمن آية ١٤.

(١٢) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٦.

(١٣) الجؤجؤ: مجتمع رءوس عظام الصدور.

(١٤) منتخب كنز العمال جـ ٢ ص ٤٥١.

(١٥) فتح الباري ج ٦ ص ٤١٧.

(١٦) النجار: قصص الأنبياء ص٣٠.

(١٧) المرجع السابق ص ٢٩.

(١٨) د. سعد الدين صالح: احذرو الأساليب الحديثة ص ١٨٧.

(١٩) سورة الحجر آية ٢٨ - ٢٩.

(٢٠) قصص الأنبياء ابن كثير ص ٤٠.

(٢١) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣٢١ وجـ ٤ ص ٤٥٢ وفتح القدير جـ١ ص٩١.

(٢٢) طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٣٠.

(٢٣) سورة الأنبياء: ٣٧.

(٢٤) جـ ٧ ص ٥١ بتصرف

(٢٥) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٦٧.

(٢٦) جـ ٢ ص ٤٥٢.

(٢٧) سورة الإنسان آية ١.

(٢٨) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٠٣.

(٢٩) الجامع لأحكام القرطبي مجلد ١٩ - ٢٠.

(٣٠) تفسير الطبري جـ ١٢ ص ٣٥٤.

(٣١) الشوكاني فتح القدير جـ ٣ ص ١٦٢.

(٣٢) جـ ٣ ص ٨٦.

(٣٣) الحجر آية ٢٩.

(٣٤) ص آية ٧٢.

(٣٥) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٧١ وجـ ٨ ص ٣٩٥.

(٣٦) الأنبياء آية ٣٧.

(٣٧) الحجر آية ٣٠ - ٣١.

(٣٨) قصص الأنبياء ابن كثير ص ٣٦.

(٣٩) منتخب كنز العمال جـ ٢ ص ٤٥٠.

منهج الحج في التربية

في مثل هذه الأيام من كل عام ينبعث أريج متعطر من مشكاة الحج المضاءة بنور الله الأبدي فيستروح به كل مسلم في أرجاء المعمورة مستشعرا قربه من خالقه ومتذكرا جملة الاداب التي جمعت كل ميادين التربية فيستخلص منها منهجا تربويا تصفو به روحه، وتزكو منه نفسه، ويقوى به بدنه، ويستنير به عقله وتتكشف عنه بصيرته، وتطهر فيه سريرته وتستقيم عليه شخصيته ومن ثم يتكشف للقارىء الكريم ان المقصود بالمنهج .. الطريقة العلمية والوسيلة التربوية التي تعهدها الحج لصياغة شخصية إسلامية متحققة بما لها من حقوق، ومدركة ما عليها من واجبات.

اما المعني الذي تجنح إليه هذه الدراسة في التربية (فهو التربية) العملية التى تنفذ وجهة تظهر الإسلام وفلسفته تجاه الفرد والأسرة والمجتمع، لتنشئتهم وتشكيلهم وتطبيعهم بطابع الإسلام نفسه. فيتمثل كلٌّ منهم الإسلام في ذاته وفي سلوكه.. وفي مظهره ومخبره.. في سره وعلانيته.. في كل ظروفه وأحواله[١].

وذلك لأن التربية الإسلامية منهج متكامل ينطوي على الأسس والمبادىء القادرة على صياغة كل من الفرد والأسرة والمجتمع صياغة علمية تربوية صحيحة. وتمتع الحج بهذه الألوان من التربية واحتضانه لها يجعلنا نلتقط بعضا منها لنبسط فيه القول ونستخرج منه ما قد يخفى على الكثير منا مستعينين في ذلك بالموفق إلى كل خير والهادي من كل ضلال.

فيتوقف البحث على دراسة منهج الحج في كل من الميادين التربوية الأتية:

أولا: منهج الحج في التربية النفسية.

ثانيا: منهج الحج في التربية الاخلاقية.

ثالثا: منهج الحج في التربية الروحية.

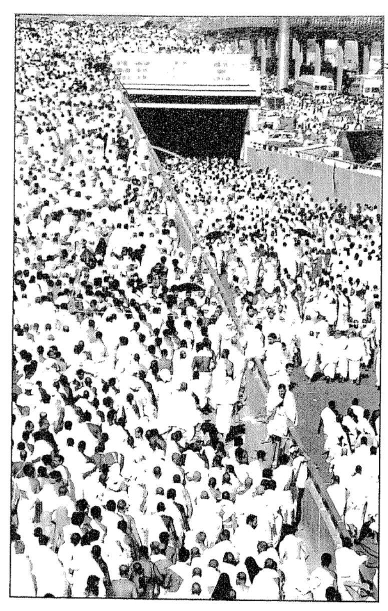
ولعل اختيارنا لهذه الالوان من التربية يؤكد وجود غيرها من أنواع التربية الأخرى التى تتسع لها التربية الإسلامية مثل التربية الدينية والاجتماعية... الخ.

أولا: منهج الحج في التربية النفسية:

يقصد بالتربية النفسية في هذا المقام ما خاطبت به شعائر الحج النفوس البشرية من آداب وسجايا بعضها للتخلي والبعض الآخر للتحلي لتذكو وترشد ويستقيم أمرها ومن هذه الآيات التى تزكو بها النفوس وترشد قوله تعالى.. **{وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله. فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب}**. البقرة/ ١٩٦).

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على آداب تبين منهج الحج في تربية النفس وتزكيتها ومن هذه الآداب الجمع بين الحج والعمرة. وعدم حلق الرأس إلا بعد الهدى، والصيام لمن كان مريضاً أو به أذى في رأسه،

بقلم: د. محمد السيد المليجى
- مصــر -



وكذلك الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة ورمى الجمرات٠٠ فأمثال هذه الأعمال لا حظٌ للنفوس فيها ولا أنس للطبع بها ولا اهتداء للعقل إلى معاتبها٠ فلا يكون للإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط، وفيه عزل للعقل عن تصرفه، وصرف النفس والطبع عن محل أنسه، فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثا معه على الفعل، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد٠

وإذا اقتضت حكمه الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وعلى مقتضى الاستعباد، كان مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق إلى مقتضى الاسترقاق[٢] أى العبودية لله تعالى والاستجابة لما كلف به النفوس في أداء شعائر الحج والقيام بأركانه وسننه٠

ومثال ذلك ما جاء في تفسير ابن كثير عن قوله تعالى: {وأتموا الحج والعمرة لله} حيث روي عن على رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية ان تحرم من دويرة النساء أي من الاقتراب وما يقدمه٠

وكذلك قال ابن عباس وسعد بن جبير عن سفيان الثوري رضي الله عنهم جميعا[٣]، وقد أكد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «مبدأ جهاد النفس في الحج حينما سئل عن أي الأعمال أفضل قال: ايمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا: قال جهاد في سبيل الله٠ قيل ثم ماذا: قال حج مبرور»[٤]٠

فقد اقترن الحج المبرور بالايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، وفي هذا الاقتران مسحة للجهاد مضفاة على الحج المبرور٠

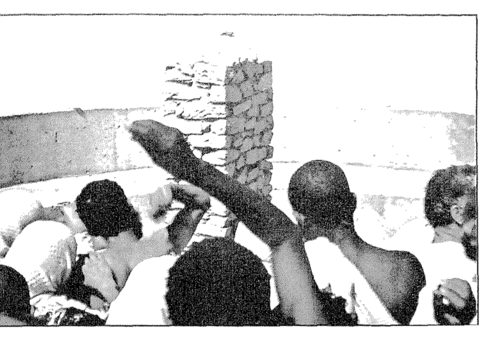
ومما يؤكد صحة ما نذهب إليه ما روي عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد، قال لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[٥]٠

فيعتبر الجهاد الذى ألزم به الحج النفس المسلمة منهجاً متفردا في سماته وخصائصه عن سائر العبادات الأخرى٠

«فالزكاة انفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل، والصوم كسر الشهوة التى هى آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل٠٠ والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل[٦]٠

اما الحج فأركان وسنن ليس للنفوس حظ فيها، ولا للعقل آية فيها سوى الانقياد لأمر الله لإظهار الرق والعبودية له امتثالا لطاعة الله لما أمر به٠

ويلفت الغزالي نظر المسلم إلى منهج الحج في التربية النفسية في رمى الجمار قائلا له « أقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية، وانتهاضا لمجرد الامتثال



من غير حظ للعقل والنفس فيه، ثم اقصد التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله».

فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه، وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان، وأنه الذى ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الحصى ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلا تشتغل به. فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمى فيه برغم أنف الشيطان واعلم أنك في الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة. وفي الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره. إذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه»[٧].

وإذا كان هذا هو منهج الحج في التربية النفسية فهل لهذه الاستجابة ثمرة عند الله؟ إن يقين المسلم في ربه وحسن ظنه بخالقه يحتم عليه انتظار الثمرة من ذلك.

ولعل الثمرة المرجوة من ذلك هي الفهم عن الله تعالى الذى يوصل إليه سبحانه فلا وصول إليه سبحانه إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصاد على الضرورات فيها، والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات،

«وهذا ما يقدمه الحج لزائر بيت الله الحرام، فمثلا في تكليفه بالقيام بأركان وسنن الحج والاستجابة المطلقة من النفس في أدائها دون استفسار لفحوى أمر أو استكشاف لمعنى شعيرة أو استوضاح للغرض من ركن أو سنة. مثل الصدق والاخلاص وكمال الاخلاق».

ثانيا: منهج الحج في التربية الاخلاقية:

يقصد بالتربية الأخلاقية ـ في هذا البحث ـ تلك الاداب الحسنة والسجايا الطيبة التى نادت بها عبادة الحج ودعت إلى تحقيقها عند كل مسلم ومسلمة يؤدون شعائر هذه الفريضة.

كما يقصد بالتربية الأخلاقية التخلى عن العادات القبيحة والصفات السيئة التى تهوى بالمسلم الى مرتبة الحيوان بل أقل من ذلك.

إذن تجمع التربية الاخلاقية في الحج بين ترك المنكرات وفعل الطاعات.. بين التخلى عن العادات المتدنية والتحلى بالسجايا الحسنة.

وتبرز معالم منهج الحج في هذا الجانب في قوله تعالى {**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير**

يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأولى الالباب} (البقرة/ ١٩٧)٠

يقول صاحب تفسير الكشاف في هذه الآية (فمن فرض فيهن الحج) أي فمن الزم نفسه بالتلبية أو تقليد الهدى وسوقه عند ابى حنيفة وعند الشافعى بالنية وقوله (فلا رفث) أى فلا جماع لأنه يفسده أو فلا فحش من الكلام٠

وقوله (ولا فسوق) يقصد به لا خروج عن حدود الشريعة٠ وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب٠٠ وقوله (ولا جدال) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكاري وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج، كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن٠

اما قوله تعالى {وما تفعلوا من خير يعلمه الله} حث على الخير عقب النهى عن الشر، وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة٠

واما قوله سبحانه {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} أي اجعلوا زادكم إلى الاخرة اتقاء القبائح، فإن خير الزاد اتقاؤها[٩]٠

فقد كشفت هذه الآية عن معالم منهج الحج في ميدان التربية الاخلاقية عندما جمعت جملة من الاداب الاخلاقية التى تنهى الحاج عن الرفث إلى زوجته أو التحدث معها في أمور تقترب منه، كما تنهاه عن فعل الذنوب وارتكاب المعاصى، وتنهاه أيضا عن الجدال أو المراء الذى قد يحدث منه اثناء أداء شعائر الحج٠

تشمل هذه الآية جملة اخرى من الاداب الاخلاقية التى تسمو بأخلاق المسلم وتحثه على فعل الخيرات التى تنفعه وتنفع الناس جميعا كما تدعوه الى التزود بالتقوى ذلك الزاد الذى يحصن المسلم من ألم الجوع والعطش وتحميه من بطش الاعداء أو سوء العاقبة اثناء سفره إلى الله تعالى٠

كما دعت السنة المطهرة إلى التحلى بالأخلاق الكريمة والتمسك بآداب التربية الأخلاقية في الحج، عندما قال صاحبها {صلى الله عليه وسلم} من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه[١٠]٠

ويرى الغزالى أن الرفث اسم جامع لكل لغو وفحش من الكلام، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته، فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور، والداعى إلى المحظور محظور٠

كما وضح ان الفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعه الله عز وجل[١١]، فإذا استمسك المسلم المؤدى لفريضة الحج بهذه الآداب الأخلاقية، سلم حجه من البطلان، واكسب نفسه عادات وسجايا اخلاقية زادت من منزلته عند الله وعند الناس٠

اما اذا كانت الاخرى التى لم يحرص فيها المسلم على التجمل بهذه الآداب، بل اقترف فسقا أو جادل أحداً بغير حق أو مالت نفسه إلى النساء فلم يزجرها على هذا الميل باء سعيه بالفشل ولم يحصد من حجه إلا العناء والتعب، وأنفق ماله دون جدوى أو فائدة٠

ومن ثم نستخلص أن منهج الحج في التربية الأخلاقية وسيلة لتنقية الروح وتزكية النفس واستعلاء بها إلى درجة الملائكة المقربين لتحظى بشرف القرب من خالقها وبارئها، فتستكمل نقصها وتستبرىء من عاداتها وشهواتها وتكتسى حلل الجمال والكمال الأخلاقى التى تؤهل المسلم إلى عمارة الأرض وإقامة الحضارات التى تعين الانسان على رغد العيش وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى ان قيام الحضارات مرهون بحسن الخلق وأن انهيارها وفساد عمرانها يكون بفساد الاخلاق٠

ولذلك فإننا نرى أن عبادة الحج وما تحظى به من منهج تربوى اخلاقى دعامة اساسية فى بناء الفرد المسلم والاسرة المسلمة وكذلك المجتمع المسلم والدولة المسلمة التى تعيد صرح الحضارة الاسلامية التى ظلت ردحاً من الزمن تضىء جنبات الكرة الارضية، ويستضىء بها القاصى والداني وينهل من علومها

علماء أوربا وفلاسفة الغرب والشرق حتى قامت حضارتهم على نظير الحضارة الاسلامية التى تضاءلت مع تضاؤل الجانب الأخلاقى عند المسلمين.

ثالثا: منهج الحج في التربية الروحية:

نقصد بالتربية الروحية في هذا المقام الشعائر التى دعا الحج إلى أدائها وما ينتج عن ذلك من صفاء للروح وترقّ لمكانتها عند الله تعالى .. وكذلك ما تتعرض له من فيوضات وأنوار كثمرة لاداء هذه الشعائر.

فالحج موسم عبادة «تصفو فيه الأرواح وهى تستشعر قربها من الله في بيته الحرام.. ففي هذه البقاع المقدسة يستروح المسلم طيف ابراهيم الخليل أبينا الأكبر الذى سمانا المسلمين من قبل. وله عليه السلام سلوكه الواضح الذى يتجه به الى الله تعالى اتجاها كاملا اذ قال له ربه أسلم فقال على الفور {**أسلمت لرب العالمين**} (البقرة/ ١٣١).

ولم يكتف بهذا بل وصى بها بنيه اسماعيل واسحاق ويعقوب وقال لهم {**يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون**} (البقرة/ ١٣٢).

وفي البقاع المقدسة يستروح المسلم طيفي اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر امتثالا لأمر الله تعالى ويتوجه ابراهيم بقلب الخائف إلى ربه هاتفا: {**ربنا إنى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**} (ابراهيم/ ٣٧).

كما يستروح المسلم في حجه طيف السيدة هاجر وهى تتعجب من أن يتركها زوجها ابراهيم مع ابنها اسماعيل في هذا المكان القاحل وتسأل زوجها ابراهيم عن السبب وحين يسكت تسأله: آلله أمرك بهذا؟ وحين يقول: نعم: تطمئن إلى الله وتقول في لهجة الواثق المطمئن: اذن لن يضيعنا.

فهذه الذكريات التى يعيشها الحاج أثناء أدائه للشعائر جزء من منهج الحج في التربية الروحية، لأنها تسمو بروحه وتعرج بها إلى مكانة أبينا ابراهيم عند الله تعالى كما أنها تغرس فيه ما تحلت به السيدة هاجر رضى الله عنها من حسن ظن بالله وثقة فيه، ومن ركائز التربية الروحية في الحج أن الله جعل الكعبة البيت الحرام مثابة وأمنا للمسلمين يأتون إليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ثم يرجعون إلى اهليهم ثم يعودون إليه مرة اخرى.

ويشير إلى ذلك ابن كثير في تفسيره عندما قال: «إن الله يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه مثابة للناس أى جعله محلا تشتاق إليه الارواح وتحن إليه ولا تقضي منه وطرا لو تردد إليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله ابراهيم عليه السلام في قوله «فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم» إلى أن قال: «ربنا وتقبل دعاء» ويصفه تعالى بأنه جعله آمنا[١٣] اى يأمن فيه المسلم على نفسه وعلى حاله وعلى عرضه وهذه الطمأنينة التى يستشعرها المسلم عند دخوله البيت الحرام تعد زادا للروح التى لا تنمو ولا تترعرع إلا في مثل هذا المناخ، كما تجلو آيات منهج التربية الروحية للحج في قوله تعالى {**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**} (البقرة/ ١٩٧).

فيذكر ابن كثير حول هذا المعنى أن الله تعالى لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الاخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما قال {وريشا ولباس التقوى ذلك خير} لما ذكر اللباس الحسي، مرشدا بذلك

الى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر أنه خير من هذا وأنفع[١٤].

فإذا خرج المسلم من حجه متحليا بسجية التقوى. كفاه ذلك زادا للآخرة وراحة بال وطمأنينة نفس في الدنيا.

كذلك من آيات منهج التربية الروحية في الحج قوله تعالى: **{ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالّين}** (البقرة/ ١٩٨).

فذكر الله تعالى رأس كل عبادة في الإسلام، كما أنه الزاد الأوفى للروح الذى تنمو به وتتقوى عليه وتركن إليه ولا تجد ضالتها إلا فيه.

وتشير هذه الآية إلى أن ذكر الله تعالى لا يكون إلا حين يتم الله على حجاج بيته نعمة التوفيق لاداء ركن الحج فيفضون فيه من عرفات يذكرون الله عند المشعر الحرام حامدين له على ما هداهم اليه، وحينئذ يتذوقون حلاوة الطاعة ولذة القرب وأمل القبول[١٥] فيكون ذكرهم لله تعالى نسيما حانيا يمر على قلوبهم وأفئدتهم فتستروح به الروح وتصفو به النفس ويطرب له القلب والجوارح. وأخيراً يجسد الغزالى المعانى الروحية التى يغذى بها منهج التربية الروحية للحج حجاج بيته الحرام عندما يخاطب كل واحد منهم بقوله «اعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله، ولا تظن أن المقصود جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت.

واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التى تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت، وكما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب، وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب. وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة الى أن البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة، فإن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت[١٦].

الهوامش:

(١) مقداد يالجن: فلسفة التربية الاخلاقية الاسلاميه، ص ٣٦ رسالة دكتوراه ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

(٢) أبو حامد الغزالى: احياء علوم الدين، ٤٨٣/٣ طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٠/١ مكتبة الدعوة الاسلامية ـ القاهرة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠.

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه، ١٦٤/٢ باب فضل الحج ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٥) البخاري: ١٦٤/٢ باب فضل الحج.

(٦) احياء علوم الدين: ٤٨٣/٣.

(٧) السابق: ٤٨٩/٣.

(٨) السابق: ٤٨٣/٣.

(٩) الزمخشرى: تفسير الكشاف: ٣٤٦/١، ٣٤٧ ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت.

(١٠) أخرجه البخارى في صحيحه: ١٦٤/٢ باب فضل الحج المبرور ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(١١) احياء علوم الدين: ٤٧٧/٣.

(١٢) على القاضى: اضواء على التربية في الاسلام، ص ١٩٠ دار الانصار ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.

(١٣) تفسير ابن كثير: ١٦٨/١.

(١٤) السابق: ٣٣٩/١.

(١٥) اضواء على التربية في الاسلام: ص ١٩٣.

(١٦) احياء علوم الدين: ٤٨٧/٣.

يا عاذلي في الحج

«رغم مرضه العضال .. فقد استجاب لنداء ربه وأدى مناسك الحج»

حكم الهوى؛ ما تفعل الأهواء؟
وهواكَ، ربَّ العالمين، ثراء

حين استجبتُ ملكتُ أجنحة السُرى
وألحّ شوقٌ للسُرى ونداء

وأنا المشوقُ، وللهوى تبعاتُه
لا عذر بعد اليوم .. لا إنساء

غيظ العذولُ.. صممتُ عن وسواسه
وعذولي الشيطانُ والإغواء

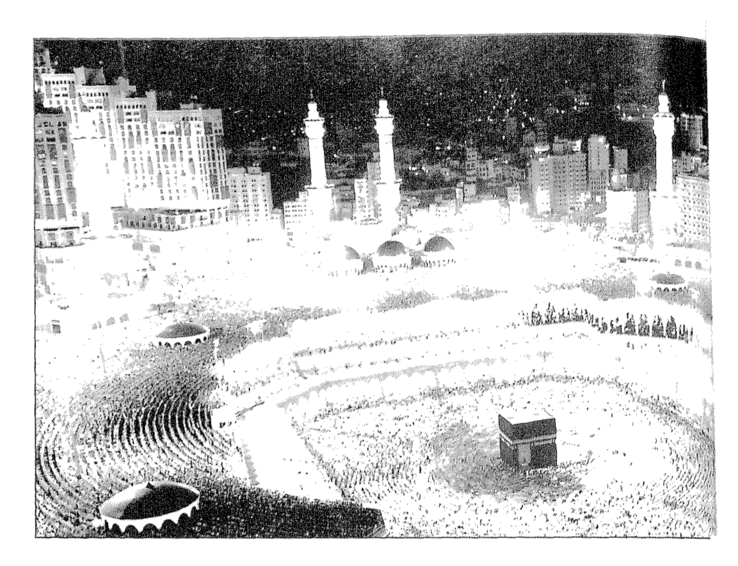
وأدرتُ سمعي للأذان أقامه
صوتُ (الخليل)، من (الكريم) دعاء

يا عاذلي في الحج! خُذْ إيماننا
يدْنُ السحاب به، ويدْنُ فضاء

لبيك: سرّ التوق والسعي الذي
نسعاه ـ حباً ـ ليس فيه عناء

والله في أولى السموات استوى
يرعى الحجيج .. وعينه سمحاء

شعر: أحمد صدوق صافي
- الكويت -



باهي بنا كل الملائكة الألى ... أنظر لأيّ معارج تسمو بها

أثنوا عليه، وليس بعدُ ثناء ... ما المال .. ما السلطان .. ما الأبناء؟!

ما هذه الدنيا التي تختال في ... فلأنت غير الخلق في تكوينه

أبراجها إلا دمي حمقاء ... ولأنت روح خالصٌ وضياء

ماذا أراد الله من عباده ... ولأنت لا جسدٌ تقلُّك أرضُنا

فدعاهم، وطريقهم وعثاء ... لكن جناحٌ خافقٌ وسماء

غير التطهر والتجرد والتقى ... ولأنت أولى بالنعيم وخُلده

ونفوسهم من بعد ذاك مضاء ... أفبعد تلك الطاعة استثناء؟

التحليل المعلومياتي لخطبة حجة الوداع

إذا كان الحدث يتوارى مع هبوب رياح الماضي، فإن هناك وقائع تاريخية، نقشت بصماتها في نفس الإنسان وفي سطور تاريخ البشرية، ويتعلق الأمر بحدث خطبة حجة وداع لنبي الهدى محمد {صلى الله عليه وسلم} لأمته الإسلامية، التي أصبحت حدثا ودرسا في نفس الإنسان نابضا بالحياة والحيوية، رغم مرور ما يقارب خمسة عشر قرنا على وفاة النبي الأمي محمد {صلى الله عليه وسلم}.

في تلك السنة ـ العاشرة للهجرة ـ حج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالناس للمرة الأخيرة في حياته، في يوم التاسع من ذي الحجة ـ من صعيد جبل عرفة ـ حيث خطب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خطبته المشهورة الكاملة والمؤثرة، وكان ربيعة بن أمية بن خلف يعيد أقواله {صلى الله عليه وسلم} ليسمع الناس.

ويقال، إنه حج وعلى جمله رحل رث، وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، وهو يقول: «اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة».

لقد جمع ـ في خطبته ـ الوعظ والمعيشة والحياة في كلمات متناسقة روحية، وتعابير ميسرة ونماذج علاجية لتكون في متناول الناس البسيط، وبين للناس واجباتهم وحقوقهم، من أجل بناء مجتمع متراص يشد فيه المؤمنون بعضهم بعضا.

ومعنى ذلك، أن النبي {صلى الله عليه وسلم} وضع اللمسات الأخيرة على مشروع البناء الحضاري للمسلمين، حتى لا يخرجوا عن جادة الطريق. فالمسلمون إذن، معنيون بالدرجة الأولى بهذا الحدث الذي يقدمه القرآن الكريم كأمانة يتحملها المؤمن من أجل المضي في الطريق.

فحينما يقرأ {صلى الله عليه وسلم} الآية الكريمة: {اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا}.

يكون بذلك قد حمل المسؤولية إلى الأفراد والجماعة، لأن ما ذكر في كلامه ـ وهو الذي لا ينطق عن الهوى ـ يعتبر بمثابة مجموعة سلسلة (Chai-nons) من المعاملات يجب أن تظل منقوشة في أذهاننا، لأنها تمثل علاقة المرء بربه ومجتمعه، ستبقى مستمرة التطبيق في الزمان والمكان الإنساني إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فإذا كان الأمر كذلك، فإن إعادة قراءة خطبة الوداع في كل حين، ومحاولة تحليل توجهات ووصايا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام بشتى الوسائل المادية الممكنة، في جامعاتنا ومساجدنا وفي وسائل إعلامنا المرئي منها والمسموع، أمر تفرضه الشروط

بقلم: د. إدريس الخرشاف
– المغرب –

الحضارية من أجل السير نحو حياة أفضل ومعيشة مثلى.

التحليل العلمي المعلوماتي (بدون معادلات) لخطبة الرسول {صلى الله عليه وسلم}:

اعتمدنا في تحليل نص خطبة الرسول {صلى الله عليه وسلم} على ١٩٠ لفظة أساسية استعملت في كلام النبي {صلى الله عليه وسلم}، مثل: الحمد - الله - الثلث - الرسول - الحث - كما قمنا بتقسيم الخطبة إلى تسع وحدات هي:

الوحدة الأولى: تبتدئ بـ «الحمد لله» وتنتهي بالفقرة «الذي هو خير» (أنظر النص الكامل أسفله).

الوحدة الثانية: تبتدئ بـ «فمن كانت عنده أمانة» وتنتهي بـ «اللهم فاشهد».

الوحدة الثالثة: تبتدئ بـ «فمن كانت عنده أمانة» وتنتهي بـ: «اللهم فاشهد».

الوحدة الرابعة: تبتدئ بـ «أيها الناس إن الشيطان قد يئس» وتنتهي بـ: «اللهم فاشهد».

الوحدة الخامسة: تبتدئ بـ «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً» وتنتهي بـ : «اللهم فاشهد».

الوحدة السادسة: تبتدئ بـ «أيها الناس إنما المؤمنون إخوة» وتنتهي بـ : «اللهم فاشهد».

الوحدة السابعة: تبتدئ بـ «فلا ترجعن بعدي كفارا» وتنتهي بـ : «اللهم فاشهد».

الوحدة الثامنة: تبتدئ بـ «أيها الناس إن ربكم واحد» وتنتهي بـ : «اللهم فاشهد».

الوحدة التاسعة: تبتدئ بـ «أيها الناس إن الله قد قسّم لكل وارث نصيبه» وتنتهي بـ : «ورحمة الله وبركاته».

وحدات خطبة الوداع هي:

الوحدة ١ :

«الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير».

الوحدة ٢ :

«أما بعد أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

«أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا وفي بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

الوحدة ٣ :

«فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، إن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمّي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد.. وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير. فمن زاد فهو من أهل الجاهلية، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد».

الوحدة ٤ :

«أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع في ما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم».

«أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى الثانية وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد».

الوحدة ٥ :

«أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

الوحدة ٦ :

«أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

الوحدة ٧ :

«فلا ترجعُن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

الوحدة ٨ :

«أيها الناس إن ربّكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب».

الوحدة ٩ :

«أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز لوارث وصيته ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

إنها وحدات مستقلة فيما بينها، عدا الوحدة الثانية والوحدة السادسة فهما مرتبطتان نوعا ما بواسطة: «لا يحل لامريء مال أخيه».

أما بقية الوحدات فإنها مستقلة عن بعضها البعض، رغم ما يبدو في بعض المقاطع من تشابه الوصايا (وهذا ما أظهره الكمبيوتر والحسابات الرياضية).

النتائج المحصل عليها باستخدام الكمبيوتر:

يتضح من خلال النتائج المحصل عليها، أن الخطاب النبوي يمكن تقسيمه الى العوامل (أو القضايا) الآتية:

العامل الأول: وهو العامل الممثل بلفظة الجلالة ووحدانية الله، أي بفكرتين هامتين هما: وجود الله - وحدانية الله.

هاتان الفكرتان لهما ٣٦٫٧٪ من المساهمة الكلية للوحدات.

تفسير العامل الأول:

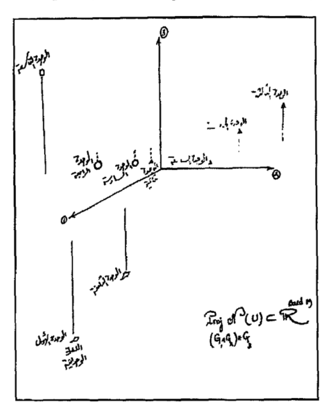
هنا يوجهنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نحو مبدأ تحكيم العقل، وما يجب التفكير فيه ومعنى ذلك، أنه يحثنا على ربط العالم المادي بخالق هذا الكون.

فمن خلال آيات كتاب الله عز وجل التي تعتبر الموجه لكل باحث، ومن خلال قراءتنا لميكانيزمات الكائنات الحية، نستنتج أن الخلية هي الوحدة المشتركة في كل الكائنات الحية، وهذا معناه أن المخلوقات تخضع لمعادلة بيولوجية مشتركة، وتتطور وفق نظام محكم ووحيد.

فتكون نتيجة مناقشة العاقل، المتدبر في ملكوت السماوات والأرض - لكل إشكالياته الحياتية - أن الظواهر الفيزيائية والبيولوجية ليست في الواقع سوى أدوات يتحكم فيها نظام رياضي واحد يتسم بالدقة، لا

يعتريه الخلل الديناميكي، ويخضع لقوة لا يمكن تمثيل إسقاطاتها في الفضاء الرياضي. وتكون الحقيقة في آخر المطاف، هي فكرة الوجود والوحدانية التي تبقى راسخة في ذهن الإنسان العاقل.

وهكذا نجد من خلال تحليلنا العقلاني الرياضي لخطبة رسول الإنسانية عليه الصلاة وأزكى التسليم، أنه طرح على ضمائر الناس كافة، قضية جوهرية يجب الأخذ بها كي يسلكوا الطريق بأمان واطمئنان، ألا وهي الإيمان بـ (وجود الله) والوحدانية (أنه لا شريك له)، والتي كثيرا ما نستعملها في عملياتنا الرياضية لإقامة البرهان على صلاح نظرية أو حقيقة علمية.



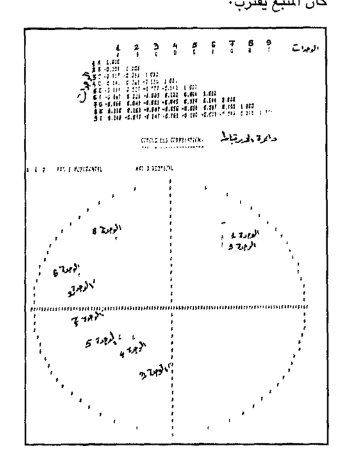
العامل الثاني:

وهو العامل الذي يوضح لنا أهمية يوم خلق السماوات والأرض.

فالعامل الثاني في خطبة نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} يوضح لنا الألفاظ المرتبطة ببداية الكون، حيث ذكر صلوات الله عليه وسلامه، أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله، يوم خلق السماوات والأرض، وهذا معناه حسب كلام الرسول {صلى الله عليه وسلم} أن الكون كان على هيئة تختلف عن هيئته الحالية.

وبالفعل، إن المتتبع لحركة النجوم، تظهر له وكأنها ثابتة لا تتحرك، والسبب في ذلك يرجع للمسافة التى تفصلنا عن هاته النجوم، والواقع أنها تتحرك بسرعة كبيرة، كما يقول رب العالمين: {والشمس تجري لمستقر لها} (يس/ ٣٨).

ومن أجل توضيح الفكرة على المستوى التجريبي، يكفي قراءة تجربة مفعول (DUPPLER) الذي لعب دورا كبيرا في تحديد سرعة النجوم والمجرات، والذي ينبني على الفكرة الآتية: «إذا كان لدينا منبع ضوئي يتحرك، فإن طول الموجة في المنبع يختلف عن طولها عند تلقي الضوء من مكان ثابت أو متحرك، بسرعة تختلف عن سرعة المنبع. وهذا الانزياح يكون نحو الأحمر إذا كان المنبع يبتعد، ويكون نحو الأزرق إذا كان المنبع يقترب.



كما أن الباحث HUBBLE (1929)، توصل بعده إلى فكرة الإنزياح نحو الأحمر مع المسافة التي تفصل المجرة عن الأرض.

فالاستنتاجات التي يمكننا الخروج بها، هو أنه إذا كانت المجرات تبتعد عن بعضها البعض، فهذا يدل على أنها كانت في يوم من الأيام ملتصقة ومتراصة ببعضها البعض، مصداقا لقول رب العالمين: {أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما} (الأنبياء/ ٣٠).

وهكذا نجد كلام معلمنا الأكبر محمد {صلى الله عليه وسلم}، يترجم ما يذكره القرآن الكريم من حقائق مشرقة، يدل على علومه المفتوحة التي لا تنقضي في الزمان والمكان، بين للناس مجالات البحث العلمي وأصول الإيمان والعقيدة.

العامل الثالث: الميراث:

هو عامل الوصية، حيث نجده {صلى الله عليه وسلم} يوصي الناس بتأدية واجب الإرث على أحسن ما يرام، حيث يقول {صلى الله عليه وسلم}: «أيها الناس، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث».

فإن نظرنا بعقولنا لقضية الإرث، وجدنا أن الدين الإسلامي يقوم بتحصين كل مسلم ينتمي لعائلة المتوفى، وذلك بتأمين طريقه الاجتماعي حتى يبلغ أشده من جهة، وحتى يكون لزوجه موردا لتأمين حياتها.

والفكر الإسلامي السليم، فصل في هذه المسألة بما أرضى المجتمع حتى لا تحدث مطبات أسرية غير محمودة.

فتحكيم العقل إذن، الذي يستمد طاقته من الدين الإسلامي الحنيف، والذي يحسن تطبيق تعاليم القرآن ووصايا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المادية، كفيل ببناء مجتمع التكافل لأن الإسلام أتى بخير منهج لتثبيت دعائم التوازن الأسري والاقتصادي بين أفراد المجتمع، بكيفية تفسح المجال لتغطية الأسرة إذا ما اقتحم الأجل المحتوم أحد أفراد عائلتها.

العامل الرابع: المرأة:

يأتي العامل الرابع، ليوضح لنا أن معلمنا الأكبر محمداً {صلى الله عليه وسلم} لم يغفل عن قضية المرأة وحقوقها، إذ تعتبر المرأة في الدين الإسلامي العمود الفقري لتقدم المجتمع. فهو {صلى الله عليه وسلم} يترك بصماته في وصاياه على المرأة حيث يقول: «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا، أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، اللهم فاشهد» (أنظر الوحدة الخامسة).

فالألفاظ ذات المعاني الكبرى حسب الحساب الرياضي هي: (عليكم، حقا، عليهن)، إذ نجد لها مساهمات كبيرة في هذه الوحدة، مما يدل على أن الدين الإسلامي أولى للمرأة اهتماما لم يشهده التاريخ من قبل، إذ كانت في المجتمعات الأخرى:

- المجتمع الإغريقي: المرأة كانت عبارة عن وسيلة تدنيس وإفساد.
- المجتمع الهندوسي: المرأة تعتبر قاصرة، وبالتالي فليس لها الحق حتى في الحياة بعد زوجها (تحرق بعده مباشرة).
- المجتمع الهندي: البنت تجهض وهي مازالت في بطن أمها.
- المجتمع الفارسي (قديما): يبيحون الزواج بالمحارم.
- المجتمع الروماني: يعتبر المرأة حلقة من الهوان والخجل.
- في التوراة: المرأة أمرّ من الموت.
- المجتمع الإنجليزي: (١٨٠٥): كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته بثمن حدد في ٦Pences.
- القانون الفرنسي (بعد الثورة الفرنسية): يعتبر

المرأة ليست أهلا للتعاقد إلا برضى وليها، إن كانت غير متزوجة.

- في المجتمع العربي (قبل الإسلام): كانت تورث كما يورث المتاع، وكان وأد البنات السمة السائدة حتى لا تسبب الفضائح.

- في العالم المعاصر: وضعية المرأة ازدادت سوءا، فقد استعملت (في القرن العشرين) شبه عارية كزينة لبيع السيارات والثلاجات وآلات الطبخ و«موضة» الخياطة.

وبشكل عام، استعملت شبه عارية من أجل إشهار ما تفرزه المختبرات العلمية، ولا أدل على ذلك، الاحتجاج الذي قامت به وزيرة التعليم الفرنسية -99 04-23) Sigoline Royale) على استخدام عارضات شبه عاريات، يجلسن عدة ساعات في النهار في الواجهات الزجاجية لمتجر (Galeries La-fayettes) في باريس، لتقديم مجموعة جديدة من الثياب الداخلية بدل الدمى التي تستعمل عادة لهذا الغرض. وتقدم بالاحتجاج في نفس الموضوع Ni-cole Perry (أمينة الدولة لشؤون حقوق المرأة).

- أما في الدين الإسلامي، فقد كرمها الإسلام ووضع الجنة تحت قدميها إن كانت في مستوى المسؤولية، مصداقا لقول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وكرمها مع الرجل في كبرها ومماتها، وحتى وهي في قبرها، مصداقا لقول رب العالمين: {ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما . وقل لهما قولا كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا} (الاسراء/ ٢٤).

بالإضافة لذلك جعل لها نفس حقوق الرجل، حيث قال سبحانه: {فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض} (آل عمران/ ١٩٥).

فهل نستطيع استيعاب الخطاب الإسلامي الموجه في حق المرأة؟.

العامل الخامس: عامل الوداع:

فهذا العامل يعتبر عامل توديع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأمته، والانتقال إلي الدار الآخرة، حيث نجد أن الفقرة الثانية (الوحدة ٢) «أما بعد أيها الناس اسمعوا فيما أبين لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا» لها مساهمة قوية على العامل الخامس.

الشرح:

لقد ألقى الله سبحانه قيادة المسلمين على عاتق معلم البشرية محمد {صلى الله عليه وسلم} بعد أن رباه واصطفاه، وارتفع به عن ملذات الدنيا، وغرس فيه الكمالات، لتوجيههم والتخطيط لمصلحتهم، وبين لهم أن لا يجوز لهم أن يكونوا تبعا للأمم الأخرى، لأن المنطق يقضي أن يكون أصحاب الأخلاق الفاضلة والمثل العليا وأصحاب الإيمان هم قادة لا مقودين، وسادة في الأرض لا ينظرون بنظارات غيرهم.

علَم المسلم كيف يعيش في فضائه، وفي قضاء حوائج الناس أمانا من عقاب الله، حيث يقول {صلى الله عليه وسلم}: «إن لله تعالى عبادا اختصهم بحوائج الناس، يفزع إليهم الناس في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله».

أدى الأمانة كاملة، ووضع للناس ميزان العدل في الأحكام والوصايا، ونبههم إلى تحريم الدماء والأموال، وكأنه يقول لهم، إنني أودعكم على أمل اللقاء معكم إن شاء الله في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

** عليكم بالعمل والمثابرة والاجتهاد حتى تلقوا ربكم بأعمالكم الحسنة.

إنه الخطاب الذي كان بمثابة رسالة حضارية، مفتوحة وموجهة للعالم أجمع، كيفما كانت ألوان الناس وألسنتهم وأجناسهم. فصلى الله عليك يا نبي الهدي، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا بك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. آمين.

رحلة الحج المباركة

الحمد لله العلي الأكرم
ثم الصلاة على النبي الخاتم
وشهادة التوحيد خيرُ مقولتي
أرجو بها وجه الكريم الأرحم
كم قد تجلى للعباد، ورحمته
وسعت خلائقه بحكمة مقسم

* * *

ما إن أهلَّت أشهر الحج الغُرر
حتى تهللت السما بالأنجم
والخلقُ أترعهم سعادة عمرهم
فتهيئوا للقا الإله الأكرم
قد وفروا زاداً لرحلة حجهم
من قوت يومهمُ بعزم مفعم
ودعوا سجوداً ربهم، يقضي لهم
بالحج ، إن الحجَّ نفحة منعم
وقد استجاب الله دعوة خشع
وقد اصطفاهم للقاء الأعظم
فالقلبُ يطمعُ في نجاة من لظى
والنفسُ تصبو للنعيم الدائم

* * *

لما فرغنا من صلاة الغدوة
في يوم تروية، أتى كالبلسم
قمت اغتسلت، ومسَّ روحي نفحة
متيمناً، ولبستُ ثوب المحرم
ثم انطلقت ملبيا بالحج، قد
ودعتُ دنيا؛ قد غدت كالعلقم

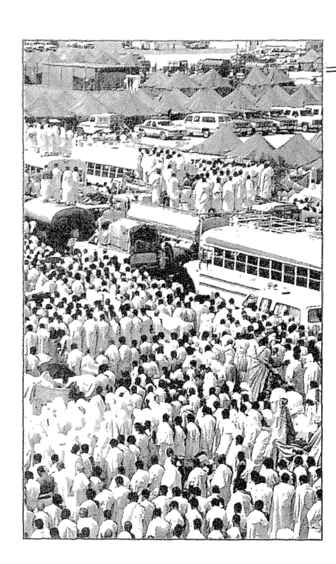
* * *

وأتى لبيت الله خلقٌ كالحصى
جمٌّ غفيرٌ من صنوف الأمم
كانوا بدوراً في منازلهم بدتْ
حيثُ الصغارُ مع الكبار الهُرَّم
ومع الطواف رأيتنا في محشر
كلٌّ يلوذُ بنفسه للمغنم
بمقام إبراهيم قمتُ مصلياً
متيمناً خير الدعاء الناغم

* * *

ثم انصرفتُ إلى الصفا بين الزحام
ورأيت هاجر في ضراعة مسلم
صارت بلا زاد، ولا ماء، وذا
طفلٌ يشارفه الرحيل المحتم
قد جفَّ ثدياها وصاح وليدُها اسـ
ـماعيل ملتوياً بجوع مؤلم
لكنها لم تفتقر ليقينها
أن الإله مع الضعيف الهائم
بين الصفا أسعى وبين المروة
وأخال هاجر في خطا متلاحم
فكأنها دوماً يسابقها الحجيج
لكنها سبقت بقلب عازم
وسعيتُ سبعا داعياً متبتلا
ومهرولا حينا إزاء العلم
ثم اتجهت إلى منى متوسما
سمت النبيِّ إلى الصراط الأقوم

شعر: مادح رمضان عبدالحميد
الزقازيق - مصر



في يوم تاسوعاء هبت كوكبة
كانوا ملائكة بطود زاحم
كانوا كأنهم بمنظر جمعهم
موتى، وقد بعثوا لحكم الحاكم
كل يناجى ربه في ذلة
والدمعُ يهمى في أسى وتندم
ظلوا نهارهم دعاة خشعاً
وصلوا رجاهم برب راحم

* * *

ومع الغروب أفاض حشد زاخر
قد غادروا عرفات في حشر هَمي
كل سيقضى الليل في مزدلفة
وبدا غنيهم قرين المعدم
ثم استقاموا لصلاة المغرب
ثم العشا جمعوه جمع مقدم
وقضوا مساهم بلا حول، ولا
طول، وسبحان الغنى الأكرم
حتى أفاقوا كي يصلوا فجرهم
ثم استفاضوا، مثل سيل العرم
كل يسيرُ إلى منى متهللا
وملبيا، ومكبرا في معلم

* * *

وبسبع حصوات رجمتُ العقبة
ورجمتُ شيطانا بريد العدم
وحلقت شعرى واغتسلت مبدلا
ثوب الحرام بثوبى المتهندم

* * *

وهرعت في شوق، وحول الكعبة
طفنا طواف إفاضة متزاحم
وإلى منى عدنا كبدو رحل
سكنوا الخيام، رضوا يسير المطعم

في بدء تشريق، ومن بعد الزوال
سرنا جميعاً في خطاً متزاحم
فرميت صغرى ثم وسطى داعيا
ورميت كبراها وعدتُ لمخيمى
وبثان يوم قد هرعنا للجمار
فرميتها كلا بحصو نمنم
وغدت جموع تبتغى التعجيل قد
غصت بها سبل تجاه الحرم
أما الألى قد أخروا تطوافهم
فلقد أقاموا للجمار القادم
ولآخر التشريق كان حجيجهم
قد غادروا الجمرات قبل الظلم
بدموعهم طافوا طواف وداعهم
وقلوبهم جاشت لدى الملتزم
ودعوا خضوعاً ربهم يمحو لهم
ما قد مضوا، ورجوا قبول المقدم

صوت السماء بلال بن رباح (عليه رضوان الله)

إنه النداء الخالد الداعي إلى التوحيد، والمنادي الى خير العمل، الى ربط الرابطة بين العبد وخالقه إلى الطهارة والطمأنينة.

إنه الارتباط الروحي الذي اندمج مع دم الإحسان والعمل للواحد الديان.. هذا النداء الذي يجد فيه الإنسان الراحة التامة التي قال عنها سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أرحنا بها يا بلال) هذا العمل الذي تمازج بالروح في مناها وغايتها فلا يرى غيرها مبتغى.

إنه مناد يدعو الآذان والقلوب إلى بارئها.

إنه العامل الوحيد في النداءات الذي يقوم بإثراء الإثارة الروحية.

إنه الصوت الحق القاصل بين ضجيج الأصوات الباطلة.

إنه ذلك السفير الذي انطلق من المنائر، واخترق الآذان ، وطوى فجاج الأرض حتى صعد عنان السماء ووصل إلى حيث إثبات الشهادة، وإثبات طول الأعناق التي تشهد للمؤذنين يوم القيامة.

إنه الأذان:

الله أكبر .. الله أكبر
الله أكبر .. الله أكبر
أشهد ألا إله إلا الله
أشهد ألا إله إلا الله
أشهد أن محمداً رسول الله
أشهد أن محمدا رسول الله
حيٌّ على الصلاة .. حيٌّ على الصلاة
حيٌّ على الفلاح .. حيٌّ على الفلاح
الله أكبر .. الله أكبر
لا إله الا الله

نعم هذا الصوت الداحر لجميع النداءات الباطلة التي تمد أعناق المفاخرة الزائلة.

هذا الصوت الذي يبدد ظنون الشيطان إلى منأى الخيبة والبوار.

هذا الصدى الجامع للرؤوس الحائرة، التي ضلت الهدى، والجزاء الأحسن من الله الكريم.

نعم هذه الحقيقة الإيمانية الداعية الى التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

هذا الهدف الذي يرمي إليه الضمير الحي الذي يسير بنور الله وعلى هدى منه وبصيرة.

يقول عامر العقاد في كتابه صوت السماء. بلال بن رباح: لقد كان بلال عندما سمع بدعوة الإسلام أشبه بتلك القطعة من الحديد الحائرة التي يبحث لها عن قطب مغناطيسي بالغ القوة فتنجذب إليه وتركن في حماه، لقد وجد بلال فيما سمعه عن محمد {صلى الله عليه وسلم} من حديث القوم مثل ما يجده الظامىء في الماء، ومثل ما يجده المدلج الساري وسط الظلمة الظلماء في الكوكب الدري، بل مثل ما يجده اليائس من حياته في مناط الأمل ومعقد الرجاء، إن تلك الدعوة كانت بالنسبة لبلال أشبه بورد الماء الذي وجده الظامىء في هجير الصحراء على مقربة منه، وكان تلهفه في الدخول فيها تلهفا لا يمكن أن تصفه الكلمات، أو تسعه الصفحات.

ويقول عامر العقاد حول هذه الكلمة: الله أكبر .. الأذان.



عبدالله محمد أبكر
- جدة -

دعوة تحمل أغنى الحقائق عن التكرار في ذلك الأبد وهي في الوقت ذاته من أحوج الحقائق الى التكرار بين شواغل هذه الدنيا وعوارض الفناء فيها.
دعوة يسمعها المسلم في هدوء الليل فينفرج عنها ذلك الليل وكأنها ظاهرة من ظواهر الطبيعة الحية تلبيها الأسماع والأرواح والأفئدة والنفوس، كما ينصت لها كل من على هذه الأرض من كائنات لا استثناء في ذلك من الطير والشجر يكون لها من المنصتين، فعن طريقها يبرز الملكوت الدنيوي كله بروز تأمين واستجابة لتلتقط آذان المخلوق المؤمن هتفه المؤذن الذي يهتف في صلاة الفجر.

دعوة تلتقي فيها الأرض بالسماء ويمتزج فيها خشوع المخلوق بعظمة الخالق سبحانه وتعالى.. وتعيد حقيقة الأبد إلى خاطر البشرية في كل موعد من مواعيد الصلاة.

ومن عظمتها أيضا أن الهاتف بها يودع ضياء النهار، ويستقبل خفايا الليل المليء بالخفايا والأسرار، فهو وداع متجاوب الأصداء كأنه ترجمان تهتف به الأحياء أو تهمس في جنح المساء، وهو بذلك كمن ينشر على تلك الآفاق والآماد عظمة الله فتستكين إلى سلام ذلك الليل وظلال تلك الأسرار والأحلام وتركن في حماه.

دعوة يسمعها المسلم ففي الليل فيها إيقاظ للأجسام، وفي النهار فيها إيقاظ للأرواح.. هو السكينة وراحة النفس وهو الذي يخرج ذلك الإنسان من كل شواغله وشهواته.

فيها دعوة الى الفلاح.. ويا حبذا ذلك من فلاح لأنه الفلاح الذي يعمره الإيمان ويبعد به عن كل خسارة وخسران.

ويقول عباس محمود العقاد: كل كلمة من كلمات تلك الدعوة، يتبين مقاطعها وأجزاءها في نغمات المؤذن الرنانة حيثما أرسل الفجر ضياءه المورد في (السماء) وفاض بها على النجوم، وإنه ليسمع هذه الأصوات أربع مرات أخرى قبل أن يعود إلى المشرق ضياء الصباح، يسمعه تحت وهج الظهيرة اللامعة، ويسمعه قبيل غياب الشمس والمغرب يتألق بألوان القرمز والنضار، ويسمعه عقب ذلك حين تتسرب هذه الألوان الزاهية في صبغة مزدوجة من البرتقال والزمرد، ثم يسمعه آخر الأمر حين تومض من فوقه ملايين المصابيح التي ترصع بها تلك القبة البنفسجية فوق مسجد الله الذي لا يزول، ولعله يسمع في المرة الأخيرة عند نهاية التنغيم كلمات جديدة على أذنيه فإذا سأل عنها ترجمانه.. أجابه بتفسير (يا من تنام توكل على الحي الذي لا ينام) عظات جليلة تعيد إلى الذاكرة تلك الآيات (لا تأخذه سنة ولا نوم).

نعم وعلى دوي (صوت السماء) سيدنا بلال رضي الله عنه سار المؤذنون في ضوء النهار وفي الأسحار يبحثون عن ذلك الدفء الروحي الذي وجده بلال والذي سار ضوؤه فيه من نور سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ يقول له: أرحنا بها يا بلال. فهنيئا لك يا بلال إذ كنت المنادى إلى ما يجد فيه سيد الأنبياء {صلى الله عليه وسلم} راحته، وهنيئاً لك لقب (مؤذن الرسول) وهنيئا لصاحبك ابن أم مكتوم إذ كان معك على أثر الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فأين مقتفو هذا الأثر في رفعة هذه المعاني الإيمانية والروحية التي ارتبطت بالقلوب وبالجوارح ارتباط الندى بالثرى، والسماء بالأصوات، بل في رفعه كلمة التوحيد التي جاء بها سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وكلمة الشهادة التي تدعو إلى الإيمان بالله ورسوله وتبين لنا عظمة الارتباط الذي قال عنه سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه، في بيتين من شعره:

وضم الإله اسم النبي إلي اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشقّ له من اسمه ليُجلّه
فذو العرش محمود وهذا محمد

ويقول الشاعر أحمد محمد محرم، من ديوانه: مجد الإسلام إذ يقول:

أذن بلال لك الولاية لم تتح
لسواك إذ تدعو الجموع فتقبل
الله ألبسك الكرامة واصطفى
لك ما يحب المؤمن المتوكل
خف الرجال الى الصلاة وإنها
لأجلّ ما تصف الصفوف المثّل

* * *

الحق باب الله هل من داخل
طوبى لمن يبغى الفلاح فيدخل

العولمة وموقف الإسلام منها

العولمة ـ عند الفكر العميق ـ طريق يهودي أو أمريكي جديد للمواجهة مع الإسلام ومحاربة مبادئه وأسسه، فهو بذلك بديل عن «صراع الحضارات» الذى استقر الأمر على سقوطه في ميدان المواجهة مع المسلمين.

والعولمة تعبير غربي يفيد أن الغرب قد تطور تطورا هائلا في السنوات الأخيرة في مجال الاتصالات والإنجازات والمعلومات، فانتشر الكومبيوتر والفاكس والتلفاكس والانترنت وذلك بسبب تطور التكنولوجيا، وهذا التطور يقتضى أن يتحرك العالم كله ليجارى هذا التطور وأن الذى لا يلحق بهذا الركب سيكون متخلفا عن ركب الحضارة.

فالعولمة تقوم على تخطى المسافات في الزمان والمكان وتجاهل الحواجز، وهي بذلك تضع العالم كله في ظل الغرب والولايات المتحدة بوجه خاص.

ويمكن القول إننا مع العولمة في مجال العلم والتكنولوجيا، بمعنى أننا يتحتم علينا أن نتعلم من تفوق الغرب في هذا المجال، وأن نحاول تقليده واللحاق به، فكم أخذ الغرب منا؟. فلا مانع أن نحاول الاقتباس منه كما فعلت ماليزيا.. وتروج الدعاية للعولمة على أنها تعمل للوحدة بين الشعوب ليتكوّن عالم واحد لا يقف فيه فريق ضد فريق. والذى ينظر بعمق في العولمة يحس أنها كالفرا الذى قال عنه العرب (كل الصيد في جوف الفرا) فهو إرادة أمريكية لابتلاع الشعوب وبخاصه الصغيرة منها.

فالعولمة في المجال السياسى ستضع مقدرات العالم في يد القوة الكبرى التى أصبحت تتصرف بإراداتها المنفردة في شئون العالم وتخطت الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

والعولمة في المجال الاقتصادى ستضع القوة والزمام في يد دول الشمال الغنية التى تعجز دول الجنوب عن منافستها في قوانين العرض والطلب والإنتاج، وبذلك يزيد ثراء الأغنياء على حساب الفقراء الذين يزدادون فقرا.

وقد بذلت مصر جهدا في إنتاج القمصان حتى نجح القميص المصرى في كسب السوق العالمية ولكن أعداء نجاحنا خرجوا علينا بالاتهام بما يسمى «الإغراق» أى أننا نصدر في هذا المجال أكثر من حقنا مع أننا نستورد منهم مقدارا واسعا من السلع التافهة ـ كالبطاطس «تشبسي» وأنواعا من مساحيق الصابون. وكنتاكي.

ولم تقتنع الولايات المتحدة بالعولمة في المجال السياسى والاقتصادي بل امتدت أطماعها في ظل العولمة إلى الحياة الاجتماعية والثقافية



بقلم: أ.د. احمد شلبى
- مصر -

والسلوك، فكما يلتزم الناس بالديمقراطية واقتصاد السوق يلتزمون في عرف أمريكا بالثقافة الأمريكية والسلوك الأمريكي، ولهذا نقلت العولمة الى «الأمركة» وأصبح من العولمة أو الأمركة ما شاهدناه على شاشات التليفزيون في مباريات المونديال من قبلات طويلة بين فتيان وفتيات، وكان ذلك مظهرا من مظاهر الأمركة وسلوكها، ومن مظاهر العولمة كذلك السعي للحرية المطلقة في مجال الجنس والعلاقات الأسرية على نحو ما اقترحته في مؤتمر القاهرة وبكين.

والعولمة بهذا المعنى الامريكي خطر على الأديان والقوميات والسلوك والثقافات، ويمكن القول إنها متجهة ضد الإسلام والدول الاسلامية التى ظهرت صخرة شامخة تحول دون الانطلاق الكامل للفكر الأمريكي، ويمكن كما ذكرنا من قبل أن تكون بديلا أو امتدادا لفكرة صراع الحضارات التى قال بها هانتنجتون.

وهكذا تكون هذه الأمركة خطرا على القيم والسلوك الشرقى والأخلاق والشرائع السماوية.

ولا شك أن دخول الشرق أو ما يسمى العالم الثالث فى صراع سياسى أو اقتصادى أو ثقافى مع دول الشمال ستكون الخسارة فيه لدول الجنوب التي ليس عندها من أجهزة الاتصالات ووسائل الدعاية ما لدى دول الشمال، فلا تقوى دول الجنوب على المواجهة والصمود.

القيم الاسلامية والتطور:

وليس ولاؤنا للقيم الإسلامية وتمسكنا بها، موقفا يتنافى مع التطور، وإنما هو تذكير بالثوابت التي ندين بها وننطلق على أساسها، وهى لا تمنع الانطلاق والتطور ولكنها تحرس من الانفلات الذى يقضى على ماضينا وقيمنا ويفتح الباب للظلام والضياع، فتطورنا ينبغى أن يكون مع المحافظة على هذه الثوابت.

والخطر الاجتماعي الأعظم يكون بالتضحية بثقافتنا، وتمسك كل شعب بثقافته ضرورة لأن ثقافة كل شعب هى خبراته التى استخلصها من تاريخه الطويل، وما ورثه عن آبائه وأجداده فنقلته من البدائية والهمجية الى المدنية، فبعدُ شعب عن ثقافته عودة للحيوانية وتضحية بالتاريخ، وبما حصل عليه الإنسان من كسب عن طريقه، وبإيجاز: موت الثقافة موت للإنسان، وضياع ثقافة قوم على يد آخرين هو استسلام للآخرين وخضوع لهم، ويأتى هذا الانتقال أو تبنى ثقافة الآخرين عن طريق عوامل تندفع ضمن المسلسلات والمسرحيات والاطعمة والملابس والعادات التى تندفع مع الاخبار عن طريق وسائل الإعلام.

وعلى هذا يجب ألا نستسلم لهذا الزحف الذى يريد ابتلاع ثقافتنا القومية وإحلال ثقافة غربية غريبة محلها، ويجب أن نقاوم هذا الزحف المشئوم الذى يريد أن يطغى على تاريخنا وقيمنا فإما أن نهزمه وإما أن نجرى معه مصالحة لا تمس الثوابت التى نتمسك بها من العادات الصالحة والقيم والهويات.

ومن الأمور التى تجرى فيها المصالحة، التوافق في مبدأ حق تقرير المصير ومحاربة العنصرية والاعتراف بحقوق الإنسان التى أقرتها الأمم المتحدة وأمثال ذلك كثير، فنحن بذلك لا ندعو للعزلة عن المجتمع البشرى، ولكنا لا نريد أن يدفعنا الاختلاط إلى التبعية فيما لا يناسب ثقافتنا وتقاليدنا الصالحة، فنحن نرحب بالتحديث والتنوير ونقاوم إلغاء شخصيتنا وأعرافنا الحصينة.

ومـوقفنا من الزحف الغربي يتلخص في أننا نقتبس العلوم والتكنولوجيا فهى بطبيعتها تخضع لنمط واحد، ولكننا نحرص على التعددية الثقافية تبعا لاختلاف الشعوب واتجاهاتهم ومعتقداتهم ونحن في هذا نسير على نمط ماليزيا، فهى بلاد اسلامية شرقية حافظت على ثقافتها وتقاليدها، وحققت مع ذلك تطورا علميا مذهلا، فقد أصبحت ضمن الدول العشر الأوائل في الاليكترونيات في العالم وتمكنت خلال خمسة عشر عاما من تحقيق قاعدة صناعية بلغت صادراتها في العام خمسين مليارا من الدولارات الأمريكية، وتشمل صناعاتها السيارات وصنوفا من الأدوية لأمراض خطيرة، كما تشمل مواد جيدة للتشييد والبناء أخف من المواد المستعملة وأقوى من الحديد، وتضم كذلك أنواعا من المنسوجات.

ثم نقول بصراحة إننا لا يزال أمامنا شوط طويل مهم قبل العولة، وفي قمة هذا الشوط الديمقراطية الحقة، فالأحرار هم الذين يبدعون ويبتكرون، ثم العدالة الاجتماعية التى تحيى عقولا دمرها الفقر والحاجة والتى تقضى على الاستغلال وانتهاز الفرص.

ونحن محتاجون الى سوق عربية، بل اسلامية مشتركة نحمى عن طريقها اقتصادنا ونطوره.

ونريد أن نقول للغرب بصراحة إن عندنا قيما شرقية، وتشريعات إسلامية لا نستطيع أن نتخلى عنها، ونحن نحتقر كثيرا ما لدى الغرب وبخاصة في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة وأمور الجنس والعلاقات العائلية بوجه عام.

ونذكر الغرب الذى حقق كثيرا من التطور العلمى أن عندنا ثوابت نتمسك بها ونفتديها بكل غال وعزيز، ومن هذه الثوابت الإيمان بالله واحد أحد والإيمان برسالة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} وأنها خاتم الرسالات وتقديس التشريعات الإسلامية في مختلف الشئون، وهذه الثوابت تسبق عندنا التكنولوجيا ولا تتعارض معها.

> ** الانغماس في ثقافة الآخر ضياع ودمار.
>
> ** التنوع الثقافي والحضاري من طبيعة الوجود.

ونحن محتاجون إلى إعادة سريعة للنظر في النظم التعليمية، فالتعليم الحالى لا يخرج نوابغ ولا يخلق المواهب، فالمدارس الابتدائية أقل جدا من المطلوب والجامعات أكثر جدا مما تحتاجه البلاد وكثرة الأعداد بها لا تتيح للأساتذة فرصة أداء واجبهم على نحو أفضل وتخرج آلاف العاطلين كل عام.

ومحو الامية يجب أن يتجه أساسا للمنبع، فعملية تفريخ الأمية أكثر نشاطا من وسائل القضاء عليها.

والازهر الشريف يحتاج إلى نقلة كبيرة ودراسات تصحيحية واسعة، ليس الأزهر للأسف مستعدا لسماعها أو الاهتمام بها.

الخلاصة:

والخلاصة يجب أن نكون حريصين كل الحرص على أن ننال من التطور العلمى والتكنولوجى أكبر قدر ممكن، ولكننا في نفس الوقت نحرص كل الحرص على الحفاظ على ثقافتنا وقيمنا وسلوكنا، فذلك هو النبت

الذى ورثناه وطورناه على مر التاريخ، وهو صورتنا أمام المجتمع الانساني.

وحتى نحافظ على هويتنا وتاريخنا وننال في الوقت نفسه من العولمة قسطا، ينبغي ان يكون لنا ما يسمى «عولمة اسلامية» بان تلتقى الدول الاسلامية في وحدة سياسية واقتصادية وصناعية واجتماعية، وان يكون لنا صوت مسموع في مختلف القضايا، ولا شك أن صوت خمس العالم سيكون مدويا، وينال كل الاحترام بين الأصوات الأخرى.

ثقافة العالم تجد من يدافع عنها:

عقد في أوتاوا عاصمة كندا مؤتمر في أوائل يوليو سنة ١٩٩٨ ورفع صيحة تحذير من مخاطر الغزو الامريكى لعقول شباب العالم ومحاولة «أمركة» الشعوب ووضّح المؤتمر أن ثقافة الكاوبوى والجينز والهامبورجر هي الأساس لثقافات العنف والجنس والمخدرات والتحرر من جميع القيود بلا ضوابط، وهذه قد اقتحمت عقول الشباب في دول كثيرة وهاجمت قيم هذه الدول ووضعت بدلها قيما أمريكية بديلة مع تناقض القيم الامريكية مع تقاليد هذه المجتمعات وأخلاقها وسلوكها.

وقد حضر مؤتمر أوتاوا اثنان وعشرون وزير ثقافة من بلاد الشرق والغرب، والشمال والجنوب والأغنياء والفقراء، وكلهم يصرخون بضرورة إقامة تحالف يحمى الثقافات المحلية من الزحف الأمريكى وضرورة احترام السيادة الثقافية والتعددية الثقافية في مواجهة الفكر الامريكى في هذا المجال، وإن من الخطر أن تتراجع الثقافات المحلية أمام أمريكا، فالثقافة المحلية جزء من سيادة الدول واستقلالها الوطنى وإذا كانت العولمة تسعى لكسر الحواجز التجارية والسياسية وإلى التحرر الاقتصادى والسياسى، فإن مؤتمر أوتاوا يسعى إلى فرض الحماية وإلى بناء حائط جديد للحفاظ على ثقافة الشعوب وتراثها من الضياع والذوبان في متاهات الثقافة الأمريكية التى لا جذور لها والتى تسعى للهيمنة على ثقافة العالم.

وأوضح المؤتمر أن الدول يهمها أن تحقق النفع في التطور التكنولوجي وتستفيد من وسائل الاتصالات الجديدة، ولكن مع الحفاظ على ثقافتها وتقاليدها، وأبرز المؤتمر أن الفيلم وبرامج التليفزيون والكتاب تحمل في طياتها ثقافة مختلفة عن ثقافة العالم وتريد أن تسيطر عليها، وألزم المؤتمر بضرورة الحفاظ على الهوية المحلية والثقافة الوطنية.

وكان يمثل اليونسكو في هذا المؤتمر مستر هيرتان تورال المدير التنفيذي لمنظمة اليونسكوو وكان مما قاله للصحفيين: تبين من الدراسات التى أجراها خبراء اليونسكو أن على الدول التى تخشى على ثقافتها من الضياع نتيجة لصناعة الترفيه والتسلية الامريكية أن تعود إلى أصولها ومعتقداتها، فأول دراسة علمية قام بها اليونسكو حول الثقافات الوطنية كشفت عن أن دولا كثيرة قد تراجعت ثقافتها وتراثها نتيجة لحساب ثقافة دخيلة

** السوق الاسلامية المشتركة خطوة في الطريق الصحيح.

** الشعب المقهور من حكامه لا يرجى منه خير.

بسبب الخلط بين الثقافات واقتصاد السوق، وهذه الدول تناست ثقافتها لأنها تتصور أن الاقتصاد وتحقيق الربح أهم شيء في الوجود، لكن الثقافة تحقق التنمية الاقتصادية والرخاء، وأية دولة تملك ثقافة وطنية قوية تستطيع مقاومة جميع الجحافل الثقافية الواردة من الخارج، وضرب مدير اليونسكو المثل بما يحدث لدول الاتحاد الأوربى التى تتجه للوحدة وفي نفس الوقت للحفاظ على ثقافتها بمختلف الوسائل، وتأكيد هذه الثقافة التى هى جزء مهم من مبادئها واستقلالها الوطنى.

الحفاظ على ثقافتنا يقتضي تخليصها من الشوائب:

وإذا كنا في العالم العربى والإسلامى نتمسك بثقافتنا وقيمنا فلابد من تطهير هذه الثقافة من ركام علق بها من الزمن، فالتليفزيونات العربية لابد أن تراجع برامجها، وتختفى المذيعة التى تدور بمكروفونها وتسأل الناس في الشارع أسئلة تافهة مثل مخرج فيلم كذا أو ملحن أغنية كذا، ولابد من إيقاف سيل الإعلانات المملة الهابطة ووسائل تقديمها المنحرفة، ولابد لهذه التليفزيونات ان تنظم الأحاديث التى تقدمها، وأن تعنى بالأحاديث التى تقدم لآلاف الطلاب والتلاميذ خلال العطلة الصيفية، فتقدم لهم القصة والرواية والأدب والتاريخ والأديان والحضارات المختلفة، فالدراسات التى عنينا بها خارج قاعة المحاضرات بقيت في أذهاننا وازدهرت وإن تلاشت المحاضرات في الموضوعات المقررة.

ولابد من شرح موقف الإسلام من الفنون حتى تكف الأصوات التى نادت بإعدام التليفزيون والفيديو.

وما يقال عن التليفزيون يقال مثله أو أكثر منه عن الإذاعة.

والمآتم يجب أن تعود لمظهرها الإسلامى، وأن نتخلص من التباهى بالنعى في صفحة كاملة ومن سرادقات تسد الطرق.

والأفراح والمهور والجهاز لابد أن تتناسب والعصر الذى نعيش فيه، ولعب الكرة في الشوارع يجب أن يوضع له حل.

وفي الجملة لابد من مراجعة اتجاهاتنا الثقافية ومراجعة القيم والعادات لنسمو بها بما يناسب التطور العلمى، وبذلك تكون هذه الثقافة جديرة بالحفاظ عليها والدفاع عنها.

أما اذا بقيت ثقافتنا بدون تهذيب، أو اذا تناسينا ثقافتنا واندمجنا في ثقافة الولايات المتحدة فإن عالمنا في الحالتين سيعيش في عالم غريب عن العالم الذى ينبغى أن ننتمى اليه.

اضافة مهمة:

ان النظام الرأسمالى الذى تتبناه

> ** الحرية العاقلة اساس التقدم والابتكار.
>
> ** الهيمنة على مقدرات الأمم ومكتسباتها هي السطر الأول في العولمة.
>
> ** المسلمون مستهدفون في ثوابتهم وركائز وجودهم.

العولمة ليس نظاما بعيدا عن النقد، فالحياة في الاتحاد السوفيتى أو الاتحاد الروسى توضح فشل هذا النظام، مما خلق صرخات عالية تدعو للعودة للشيوعية، وهذا النظام الرأسمالى فشل أيضا في الصين حيث ظهرت معه الرشوة وأصبح كل شيء معروضا للبيع حتى الذمم والتاريخ والبطولات.

والإسلام لا يتنافى مع العلم بل يدعمه ويتسع لكل جوانب التكنولوجيا، ولا يقف الاسلام ضد التطور الصناعى والتطور الاقتصادي بل يدعو بقوة اليه ما دام ذلك لا يتعارض مع الفكر الاسلامى في مبادئه الاقتصادية.

تلك هي العولمة، بديل جديد لصراع الحضارات، وكما فشل صراع الحضارات فلابد من القضاء على هذا البديل المشبوه، ولحسن الحظ تشترك معنا دول كثيرة في التصدى لهذا الباطل.

هذا وعجلة الصراع تدور ضد الاسلام، ولكن عجلة المقاومة حاسمة للرد على كل هذه المحاولات.

العالمية والعولمة:

من الناس من يظن أن العولمة هى إحياء لفكر العالمية في الإسلام والحق أن هناك فرقا كبيرا بين العالمية والعولمة، فالعالمية دعوة خير من الله سبحانه وتعالى للمجتمع البشرى ليلتقى على أسس إلهية في العقيدة والتشريعات والاخلاق، وهى أسس تضمن للإنسان خير الدنيا والآخرة، وفيها مساواة بين البشر دون تعال أو تسلط من جماعة على جماعة، ودون فرض عادات قوم وتقاليدهم على آخرين.

ومع العالمية التى تجمع الناس على أسس قوية إلهية تسمح العالمية بوجود فوارق واختلافات في العادات وتقاليد اللباس والطعام والشراب والمهور، تلك التى تتدخل فيها البيئة والعادات، وكذلك في العلاقات العامة بين الأفراد والجماعات ما دامت هذه لا تتنافى مع الفكر الاسلامى الذى فرضه الله تعالى وارتضاه الجميع، وهذه الاختلافات يراها الباحث بين أقطار العالم الاسلامى، فمع الاتفاق في المبادىء الرئيسية من عقيدة وصلاة وصوم.. نجد لباسهم مختلفا وأطعمتهم تتناسب مع البيئة في نوعها وطريقة تناولها.

لقد غطت المرأة المسلمة جسمها حسب تعاليم الإسلام، ولكن بقيت الجلابية في العالم العربى والسارونج في إندونيسيا والسارى في الباكستان وكل منها تغطى الجسم مع الاحتفاظ بالتقاليد والعادات.

وقد شملت عالمية الاسلام عدة أقطار في مختلف القارات فجمعت الناس على مبادىء الإسلام وتركت لهم الحرية في شئون الحياة التى لا تتعارض مع هذه المبادىء.

والعالمية ليس فيها من يشرع من البشر ومن يتلقى هذا التشريع فالمشرع الأعظم هو الله سبحانه وتعالى، أما العولمة التى تسمى أحيانا كما قلنا من قبل (أمركة) فهى عادات وتقاليد نشأت في الولايات المتحدة وعبرت عن هواها، وهى تفرضها على المجتمع البشرى فرضا، فالعولمة نوع من تسلط الغرب على المجتمع ليندمج المجتمع في سلوك وعادات ارتضاها الغرب لنفسه، وهو سلوك فيه كثير من الانحرافات التى يرفضها العقل السليم، كالفوضى الجنسية واضطراب نظام الاسرة وشرب الخمور والتدخين والاختلاط وغيره.

الدكتور عبدالرزاق السنهوري

❖ عاد الدكتور عبد الرزاق السنهوري (١٣١٣ - ١٣٩١هـ/١٨٩٥ - ١٩٧١م) من فرنسا إلى وطنه مصر في منتصف عام ١٩٢٦م.. وعُيِّن مدرسا للقانون في كلية الحقوق بالجامعة المصرية - جامعة فؤاد الأول - القاهرة الآن.. وكان المفترض أن يكون مدرسا لمادة القانون الدولي.. ولكن القدر غير مادة تخصصه، فذهب به إلى الميدان الذى أبدع فيه ما لم يبدعه أحد سواه.. فمكان القانون الدولي بالكلية كان - يومئذ - مشغولا بالاستاذ الدكتور سامي جنينة.. فعهد إلى السنهوري بالتدريس لمادة القانون المدني.. فكان النبوغ في الميدان الذى وضعه القدر فيه.

وفي التدريس تميز السنهوري في إيصال المعلومات الى الطلاب.. فكان لا يترك الفكرة الواحدة - وهو يدرسها لطلابه - حتى يعرضها بالصور المختلفة التى تجذب وتقنع مختلف المستويات والأفهام - حتى قال عنه بعض الظرفاء: «إنه يحاضر بالقراءات السبع»!.

وبعد عام من عودته إلى مصر عقد قرانه في ٥ مايو سنة ١٩٢٧م.. وبنى بزوجته بعد شهرين في ٢ يوليو سنة ١٩٢٧م وسافرا في رحلة إلى أوربا دامت ثمانين يوما.

وبدأ السنهوري - منذ ذلك التاريخ - مرحلة التأليف للكتب.. والتربية للشباب والرجال.. لا بالتدريس والفكر وحدهما وإنما أيضا بالمواقف ونماذج القدوة والسلوك.. بدأ التأليف في: المدخل لدراسة القانون.. وعقد الإيجار.. ونظرية العقد.. كما بدأ التربية لطلابه على خلق الرجولة، فقال: «نصيحتى إلى الطلبة هى: أن يتمسكوا بالرجولة، والمعنى الذى أقصده من الرجولة هنا هو أن تكون شجاعتهم مستمدة من نفوسهم، لا من الملابسات الخارجية، وإذا كنت أنصحهم بعدم الخنوع عند وقوع الظلم، فإنى لا أكون أقل نصحا لهم بعدم التمرد عند إطلاق الحرية. فالخنوع للظلم والتمرد على الحرية هما على قدر واحد من الدلالة على الضعف النفسي، فليطهروا أنفسهم من ضعف الخنوع ومن ضعف التمرد، حتى يكونوا رجالا يدخرون في أنفسهم قوة ذاتية تكون عدتهم في التغلب على الصعاب».

ولم تكن الوطنية عند السنهوري، كلمات تقال.. وإنما كانت انتماء للوطن، وغيرة عليه، ورسالة للنهوض به ليتحرر من هيمنة الغرب الاستعماري، ومن الاستلاب الحضاري الذى أشاعه فيه المتغربون، الذين انهزموا نفسيا أمام الهيمنة الغربية فأصبح انتماؤهم للغرب وحضارته لا إلى الشرق ومدنية الإسلام.

في ذكرى سقوط



بقلم المفكر الإسلامي :
أ.د. محمد عمارة - مصر

الباستيل ١٩٢٨/٧/١٤م رأى السنهورى الاحتفال بهذه الذكرى في شوارع القاهرة.. فبكى، لأنه يريد أن تحتفل القاهرة بحريتها هى.. وكتب في مذكراته يقول: «لقد كان الدمع يطفر من عينيّ وقد مررت على زينة - في القاهرة - مكتوب في أعلاها «لتحيا فرنسا» أقيمت احتفالا بعيد دك الباستيل - فأنا المصرى أشعر بأنى غريب وسط هذه الزينات، وإن كانت مقامة في بلادى.. لقد حاولت أن أهمس في مصر: «لتحيا مصر»، ولكنى لم أستطع، فقد كنت أفكر في هذه اللحظة في أن مصر ليست تحيا الآن، بل هى تحتضر بعد أن طعنها في الصميم من فؤادها أبناؤها المتفرقون المتنابذون».

ورغم ان السياسة - بالمعنى الحزبي - لم تكن هواية السنهوري، إلا أن هموم الوطن السياسية وقضايا الحريات والدستور كانت صلب اختصاصه ورسالته الإصلاحية.. فالعدوان على الدستور، وعلى حرية الصحافة، كانا من همومه.. يدعو أمته إلى اقتحام ميادينها عنوة واقتدارا.. فيكتب في مذكراته ١٩٢٨/١/٢٠م «أذيع بالأمس الأمر الملكى بوقف الدستور وإلغاء حرية الصحافة. الواقع أن الحرية لا تعطى، ولكنها تؤخذ. فإذا كانت هذه الأمة جديرة بالحياة فإن أمامها متسعا لأخذ حريتها من الغاصبين».

وعندما تتوالى على مصر الحكومات الانقلابية المعادية للدستور والحريات، ولا تكتفى حكومة اسماعيل صدقى باشا (١٢٩٢ - ١٣٦٩هـ/ ١٨٧٥ - ١٩٥٠م) بوقف دستور سنة ١٩٢٣م، وإنما تلغيه، وتستبدل به دستور سنة ١٩٣٠م - المفرغ من كل مميزات الدستور - وتكوّن حزبا ورقيا - وتسميه «حزب الشعب» .. وتزور إرادة الأمة في اختيار نوابها.. عندما تصنع ذلك وزارة صدقي - التى تألفت في ١٩٣٠/٦/١٥م يقول السنهوري في هذه المحنة شعرا في ١٩٣١/٦/٢٢م:



د. عبدالرزاق السنهوري

نواب هذا الشعب صفوا جندهم
وتحصنوا بسيوفه وحرابه
ما بالهم متوجسين كأنهم
لا يدخلون البيت من أبوابه؟!
وتحصنوا بالجند حتى يأمنوا
من كيد شعب أمعنوا في حربه
والشعب ينكرهم فهل من منصف
يأتى ليحمى الشعب من نوابه؟!

ونراه يدون - في مذكراته - ١٩٣٣/١/٦م بعد يومين من تأليف إسماعيل صدقي لوزارته الثانية: «يجب أن تكون السلطة الشرعية هى السلطة الفعلية، لا أن تكون السلطة الفعلية هى السلطة الشرعية».

وهي كلمات خالدات.. ونفائس من عصارات الحكمة، حبذا لو تدبرها المتدبرون، وعمل بها العاملون.

ومع أن السنهوري - كما قدمنا - لم يكن حزبيا، ينتمى الى حزب من الأحزاب.. إلا أن علاقاته بتيارات

التغيير والإصلاح - حتى في الدوائر الحزبية - كانت قائمة، وحميمة أحيانا.. فلقد كان معجبا بتيار الشباب الذين يقودهم «فتحى رضوان»، والذين نظموا سنة ١٩٣٢م احتفالا بالرابطة الشرقية - التى أنجز فيها السنهوري رسالة دكتوراه.. ولقد لبى السنهورى دعوتهم، وكتب لهم دراسة عن «الشرق والاسلام» لخص فيها نظريته عن أن الاسلام هو الشرق والشرق هو الإسلام.. وهى الدراسة التى نشرتها صحيفة «السياسة» الأسبوعية في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٢م.

وكان بين السنهوري وبين محمود فهمى النقراشي (١٣٠٥ - ١٣٦٨هـ/ ١٨٨٨ - ١٩٥٠م) ود قديم وحميم.. فالنقراشي كان أستاذا للسنهورى في المدرسة العباسية الثانوية - بالأسكندرية - ثم هو من أعلام شباب ثورة سنة ١٩١٩م، الذين لم يكتفوا بالمظاهرات والإضرابات والمقاطعات، وإنما اشتركوا في الجهاز السرى للثورة، والأعمال الفدائية ضد رموز الاحتلال.. ولقد نجا من الإعدام بأعجوبة ومعجزة.

لذلك، رأينا علاقة الود الحميم بين السنهورى والنقراشي تجلب للسنهوري المتاعب الحزبية، بل وتلقى بالسنهوري - إبان مرحلة قادمة - في ميدان الانتماء الحزبي - على نحو ما.. ولبعض الأعوام.

ففي سنة ١٩٣٤م على عهد حكومة عبد الفتاح يحى باشا كوَّن السنهورى «جمعية الشبان المصريين» فحسبتها الحكومة - بسبب علاقة السنهورى بالنقراشي - وكان من زعماء الوفد يومئذ - حسبتها الحكومة تنظيما شبابيا وفديا يقوده السنهوري.. ففصلت السنهوري من الجامعة.. فكان الامتحان السياسي الأول للسنهورى مع حكومات الاستبداد.. وعن هذه المحنة كتب السنهوري في مذكراته:

- «عفا الله عنهم .. جبناء، ثم لا يحترمون الشجاعة» ١٩٣٤/٧/٢٥م.

- «أحس بعد ما وقع لي، قدرتى على أن آتى العظيم من الأمور إذا تجردت عن حب الذات» ١٩٣٤/٨/١٦م.

- وعلمت أن بعض الطلبة قد بكى.. دموع إخلاص طاهرة كان لها أبلغ وقع في نفسى» ١٩٣٤/٩/١م.

فلما تغيرت الوزارة، وجاءت حكومة محمد توفيق نسيم باشا (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) التى أهملت دستور سنة ١٩٣٠م، وألغت البرلمان المزيف - والتى أيدها لذلك حزب الوفد - عاد السنهورى الى أحضان الجامعة من جديد.. وكتب عن هذه المحنة فى ١٩٣٥/٨/١١م يقول: «في مثل هذه الأيام من العام الماضى كنت في شاغل من أمر جمعية الشبان المصريين، تتوعدنى الحكومة التى كانت قائمة وقت ذاك بالفصل، وأنا أدبر أمر المعاش، فأنظر في خروجى من المنزل الذى أقيم فيه. ثم فصلت ورجعت ثانية. وها قد مضت سنة على هذه الحوادث، وأنا الآن أفكر فيها وأقارن أمسى بيومي لا يحق لي أن أقول: ما أشبه الليلة بالبارحة. فالليلة لا أحس قلق البارحة، ولا أفكر في خروجي من المنزل الذى أقيم فيه، بل فكرت في أن أوسع من سكنى. ما أشد تقلبات الأيام، وما أجدر المرء بالثبات عليها، لا تفزعه البأساء ولا تستهويه النعماء».

* أما في حقل الفكر والتأليف.. فإن السنهورى لم يقف عند حدود التأليف للطلاب في الجامعة.. وإنما أبدع في مختلف ميادين الرسالة الإصلاحية التى حدد معالمها، والتى نذر لها حياته الفكرية والعملية.. فإلى

جانب التأليف في المدخل إلي القانون.. وعقد الإيجار.. ونظرية العقد.. واصل الدعوة الى تجديد الفقه الإسلامي، بتقنينه، وفتح باب الاجتهاد فيه، ومقارنته بالمنظومات الفقهية العالمية، ليستفيد من فنون صياغتها، وليفيدها بمبادئه ونظرياته وقواعده الراقية المتقدمة.. والدعوة الى تكامل وشمول الإسلام للدين والدولة، مع تمييز الجانب العقدى والعبادي في الاسلام - الذى هو خاص بالمسلمين - عن الجانب المدني - إسلام الحضارة والمدنية والثقافة والشريعة وفقه المعاملات - والذي هو الميراث الحلال للأمة والشرق بملله المتنوعة وأممه وشعوبه وقومياته المختلفة.. فالشرق هو الإسلام، والاسلام هو أساس الرابطة الشرقية.. وكان العيد الخمسيني للمحاكم الأهلية سنة ١٩٣٢م وكذلك مؤتمر القانون المقارن «بلاهاي» سنة ١٩٣٢م - المناسبة لجهود فكرية كبيرة ومتميزة قدمها السنهورى في الدعوة الى العمل على إعادة الشريعة الإسلامية الى عرش القانون والتشريع والقضاء من جديد.

وفي هذه المرحلة من حياة السنهوري دخلت أحلامه، في تجديد الفقه الإسلامي، واستدعاء حاكميه الشريعة الإسلامية، مرحلة النضج، عندما وضعت هذه الأحلام في الممارسة الفكرية والعملية، فلم تعد مجرد أمنيات طيبة يتمناها السنهورى الشاب.. وعن ذلك النضج لأحلامه، وهذه الواقعية التى صبغت أفكار شبابه كتب في ذكرى عيد ميلاده الأربعين - بمذكراته ١٩٣٥/٨/١١م يقول: «أمضيت العشرين عاما الأولى من حياتى تلميذا في المدرسة، وأمضيت العشرين عاما الثانية تلميذا في مدرسة الحياة فهل كسبت من التجارب ما يكفى لخلع رداء التلمذة وخوض غمار الحياة؟

كنت من عشرة أعوام أجيش بالعواطف المتدفقة، وأحب المجد والعظمة. كنت ممعنا في أحلام الشباب، كنت أستمد المجد من الخيال. أما اليوم، فعواطفى قاربت النضوب والجفاف، وقد هجرت الخيال إلى الحقيقة، وأصبحت لا أرى المجد إلا في أن أكون نافعا، نافعا لنفسي، ونافعا لأهلى، ونافعا لبلدي، ونافعا للناس».

هكذا حمل السنهورى - منذ فجر حياته - هموم أمته.. وهكذا تحولت هذه الهموم - في مرحلة الممارسة العملية - من نطاق الحلم والخيال والتخطيط على الأوراق - في مذكراته الشخصية - إلى ميادين العمل والإبداع والإنجاز.. في التدريس.. والتربية.. والتأليف والإبداع.. وفي المواقف الكبيرة التى تجسد القيم والأحلام نماذج حية للأسوة والاقتداء في واقع الحياة.

* ولقد كانت الحصيلة الفكرية لإبداعات السنهورى في هذه المرحلة غنية وهامة ومبشرة.. فمن بين دراساته ومؤلفاته عقب العودة من فرنسا:

١ - (الدين والدولة في الاسلام) وهي دراسة هامة، لخص فيها نظريته حول جمع الاسلام - وأيضا تمييزه بين الدين والدولة.. نشرها في مجلة المحاماة الشرعية - السنة الأولى - العدد الأول - القاهرة ١٩٢٩م.

٢ - (تطور لائحة المحاكم الشرعية) وهو بحث نشره في مجلة المحاماة الشرعية - السنة الأولى - العدد الثاني ١٩٢٩م.

٣ - (عقد الإيجار) وهو كتاب ألفه لطلاب الليسانس بكلية الحقوق سنة ١٩٢٩م.

٤ ـ (الامتيازات الأجنبية) وهو بحث نشره في مجلة القانون والاقتصاد ـ القاهرة سنة ١٩٣٠م.

٥ ـ (الشريعة الإسلامية) وهو بحث ـ بالفرنسية ـ قدمه إلى المؤتمر الدولى للقانون المقارن ـ بلاهاي ـ سنة ١٩٣٢م ـ وهو المؤتمر الذى رأس السنهوري وفد مصر إليه.

٦ ـ (تقرير عن المؤتمر الدولي للقانون المقارن) كتبه السنهوري ـ بالفرنسية سنة ١٩٣٢م ـ ونشرت ترجمته ملخصه ـ مجلة القضاء العراقية ـ ببغداد.

٧ ـ (المسئولية التقصيرية) وهو بحث ـ بالفرنسية ـ كتبه السنهوري بالاشتراك مع الاستاذ حلمى بهجت بدوي ـ ونشرته مجلة القانون والاقتصاد ـ القاهرة سنة ١٩٣٢م.

٨ ـ (الشرق والإسلام) وهو بحث كتبه السنهوري استجابة للشباب ـ الذين كان يقودهم فتحى رضوان ـ عن الرابطة الشرقية ـ ونشرته صحيفة «السياسة الاسبوعية» في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٢م.

٩ ـ (وجوب تنقيح القانون المدني وعلى أي أساس يكون هذا التنقيح) وهو بحث كتبه السنهوري بمناسبة مرور خمسين عاما على نشأة المحاكم الأهلية.. ونشرته مجلة القانون والاقتصاد ـ السنة السادسة العدد الأول ـ القاهرة سنة ١٩٣٣م.

١٠ ـ (نظرية العقد) وهو كتاب ـ في ألف صفحة ـ ألفه لطلبة الليسانس بكلية الحقوق ـ القاهرة سنة ١٩٣٤م.

* أما في المحيط الأسرى.. فلقد أنجب السنهوري ابنته الوحيدة «نادية» ـ الدكتورة نادية ـ في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٥م.. وهي التى ادخرها الله سبحانه وتعالى، لترعى تراثه، وتحيى ذكراه.. والتي كانت عواطفه إزاءها تثير ملكاته الشعرية، فيداعبها ـ وهى في السادسة من عمرها ـ فيقول لها وعنها:

بنيتى نادية ... بنية غالية
رأيتها مرة ... لاعبة لاهية
ولها رفيقة ... عمرها ثمانية
سألتها: ما الفر ... ق في السن يا نادية؟
فأجابت: أنا أصـ ... ـغر عامين عما هيه
قلت: إذن بعد عا ... مين أنتما سواسية
فأجابت: وهل ترا ... ها على سنها باقية؟!

* ولقد كان الشهر الذي ولدت للسنهوري فيه ابنته «نادية» شهر ديسمبر سنة ١٩٣٥م هو الشهر الذي سافر فيه إلى بغداد ـ بالعراق ـ بدعوة من الحكومة العراقية ـ بعد المعاهدة التى خطت بالعراق نحو الاستقلال السياسي ـ معاهدة سنة ١٩٣٠م والتى فتحت الباب أمام العراقيين لتجديد وتحديث حياتهم القانونية والتشريعية والقضائية.. فدعوا الدكتور السنهوري ليقود ـ في بغداد ـ هذا التجديد والتأسيس.

وفي بغداد أمضى السنهوري عاما دراسيا (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦) اضطر بعده الى العودة للقاهرة بسبب مرض والدته ووفاتها ـ لكنه انجز ببغداد ـ في هذا العام ـ إنجازات عظيمة، مازالت راسخة حتى اليوم في المجتمع العراقي.. فلقد:

ـ أنشأ كلية الحقوق ـ ببغداد ـ وتولى عمادتها.

ـ وأصدر مجلة القضاء ـ العراقية ـ على أسس جديدة. وأسهم في تحريرها.

- وبدأ - بدعوة من حكومة العراق.. وطلب من وزير العدل فيها رشيد عالى الكيلانى - وضع مشروع القانون المدني.. لكن عودته إلى مصر حالت دون إكماله.. فتوقف عند وضع مشروع لعقد البيع.. لكنه رسم خطة وضع هذا القانون المدنى على النحو الذى يجعل منه خطوة أكثر تقدما نحو «أسلمة القانون المدنى العربي» .. فبدأ إنجاز هذا العمل الكبير بدراسة مقارنة لكل من:

١ - مجلة الأحكام العدلية - العثمانية - التي كانت مطبقة في العراق منذ العهد العثماني - والتى هى تقنين لفقه المذهب الحنفى في المعاملات.

٢ - وكتاب (مرشد الحيران في المعاملات الشرعية على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، ملائما لعرف الديار المصرية وسائر الأمم الاسلامية) للفقيه والقانوني الفذ محمد قدرى باشا (١٢٣٧ - ١٣٠٦هـ/ ١٨٢١ - ١٨٨٨م) وهو الذى يمثل خطوة أكثر تقدما من مجلة الأحكام العدلية في تقنين الفقه الإسلامي تقنينا عصريا مضبوطا.

٣ - والفقه الاسلامي، في مصادره العديدة، بمختلف المذاهب الإسلامية - والذي رجع السنهوري الى أمهات مصادره، ليستمد منها القواعد والمباديء والنظريات والأحكام وفلسفة التشريع، وأيضا الصياغات.

٤ - والقانون المدنى المصرى، الذى استلهم السنهورى منه الثراء والغنى في فن الصياغة والتقنين.. كما جعل منه سبيلا لمقارنة عطاء الفقه الإسلامي بالمنظومات القانونية الغربية، التى مثلت منبعا رئيسيا من منابع هذا القانون المصري.

وضع السنهورى هذا المنهاج لصياغة القانون المدنى العراقي .. وأنجز - على هدى منه - مشروع عقد البيع.

- كذلك، درس السنهوري - خلال ذلك العام الدراسي - بكلية الحقوق العراقية أصول القانون، ومقارنة مجلة الأحكام العدلية مع القوانين المدنية الحديثة - فلقد كانت مقارنة الفقه الاسلامي بالمنظومات القانونية الأخرى - عنده - من أهم السبل لتجديد هذا الفقه الاسلامي.

- وألف كتابين لطلاب كلية الحقوق.. فكانت إنجازاته الفكرية - ببغداد - خلال ذلك العام الدراسي:

١ - (نبى المسلمين والعرب) مجلة الهداية - العراقية سنة ١٩٣٦م.

٢ - من مجلة الاحكام العدلية الى القانون المدني العراقي .. بغداد سنة ١٩٣٦م.

٣ - مقارنة المجلة بالقانون المدني العراقي .. بغداد سنة ١٩٣٦م.

٤ - علم أصول القانون.. دروس لطلاب الحقوق - بغداد سنة ١٩٣٦م.

٥ - عقد البيع - في مشروع القانون المدنى العراقي.. بغداد سنة ١٩٣٦م..

* وعندما عاد السنهور من بغداد الى القاهرة - أواخر سنة ١٩٣٦م اصطحب معه العشرة الأوائل من أبناء كلية الحقوق ببغداد ، وألحقهم بكلية الحقوق بالقاهرة، فكانوا نواة الأساتذة العراقيين الذين اضطلعوا بتدريس القانون هناك فيما بعد.

- للدراسة صلة -

التعقيد والغموض فى الأدب

يخفي الرواد العرب أسرارهم وما يعتور قلوبهم من عاطفة عميقة وأحاسيس صادقة ومشاعر رقيقة عن المجتمع الذي يعيشون فيه، حذراً وحرصاً على الهالة الجميلة التي تلف حياتهم من المعجبين بهم، ويحذف بعضهم الشعر الذي نظموه في شبابهم والإبداع المبكر الذي نشروه في مقتبل حياتهم وقد قيض لي أن احصل على عدد من هذا الإبداع كالرسائل والمذكرات والقصائد وقد حققت بعضها ونشرته.

ومن هذه رسالة بعث بها رائد من الرواد الى كاتبة معروفة الصيت مشهورة الأسلوب، نجد فيها صدق العاطفة وعمق الود ورزانة القول. ومتى أحب الإنسان بصدق وأخفاه فإن التدفق الجميل والأسلوب الحلو الراقي والعاطفة العميقة تلوح بسماتها وتبدو في قسمات العبارة وخطوات القلم وحنايا السطور مهما غلفت العبارة وران عليها ستار الجد وسطوة العقل.

والرسالة تاريخ للعصر الذي عاش فيه الكاتب وسجل واضح للحياة العقلية لها يستغلها الدارس العميق الفكر والمجنح الخيال، ففي الرسالة نقد علمي موضوعي حيث يقول: نحن قوم لا نريد أن نفهم الواقع برغم حاجتنا إليه، ولا نريد الصدق، وهو قوام الحياة، ونبعد عن الموضوع وهو جدير بالمفكرين، وأنا اكتب إليك وأغلف حديثي وأدور في قصدي خوف رواسب الفكر وبقايا التقاليد التي تلف المرء، وهو يريد الفكاك منها ولكن خوف المجتمع وعاداته ترده إلى جادة رسمها له وطريق لابد أن نسير فيه.. وكتب مشيداً بالكاتبة وبأدبها وإنتاجها فهو يقدرها انسانة ويحترمها كاتبة ويعجب بها مبدعة، وتمنى أن يقتدي الجيل بها ويعود إلى صدق العبارة والوضوح في القصد والاعتماد على التجربة الفردية والأحاسيس الذاتية ولا يعول على ما يأتي من الخارج.

ولا أدري ما سيقول الآن بعد مرور ربع قرن على أدب الحداثة والاتجاهات الشعرية التي أصبحت تدور في حلقة التعمية والاضطراب الروحي والقلق الفكري!!

الجيل الجديد والاضطراب الفكري:

وقد عاش الجيل الماضي حياته المريرة نتيجة الاصطراع الحضاري والتنازع الفكري بين التقاليد القديمة والمثل الجديدة وانعكس ذلك في إبداعه لأن العاطفة المتدفقة اصطدمت بالواقع المادي المرير وحالت مفرداته اللغوية وحرية الرأي المحدودة دون أن يفصح عن اضطرابه ويصف معاناته. لأن تدفق العاطفة الجياشة اكبر من قدرته على التعبير فكان القلق والاضطراب والاحتجاج لأن الشباب المبدع خانته مفرداته ولم تسعفه الكلمات حتى يكون فصيح العبارة واضح القصد سهل الأسلوب بالرغم من القابلية الشعرية الأصيلة لديه وتدفق العاطفة الجياشة في قلبه فلم يحسن أكثرهم في وصف خوالجه وإفراز عواطفه فتاه في بيداء



بقلم : د. يوسف عز الدين
جامعة ام القرى - كلية التربية - الطائف

الإشارة البعيدة والرمز المعمي والأسلوب الركيك ولو كانت قاعدته الأدبية ومحفوظه اللغوي وحرية المجتمع تساعفه لأتى بالمبدع الجيد شأن القليل من هؤلاء. ودراسة الرسالة بعمق تنساب فيها آراء القديم والجديد أو المحافظة والتطور وهي وثيقة على ما كان يفكر به ذلك الجيل اذا قورنت بالفكر الأدبي المعاصر.

الرسالة:

أيتها السيدة الفضلى.. تحية الود الدائم والتقدير العميق لك يا سيدتي..

يمر الإنسان بصنوف شتى من البشر، ومتنوع الأشكال والصور، فالحياة تطفح بالجديد، وتفيض بالمستحدث ولا سيما وأنا دائم الترحال، كثير الانتقال، من عالم إلى عالم، ومن دنيا إلى مثلها حلاوة أو مرارة.

ولكن قلما بقي في الذاكرة إلا الوجه المختار والاسم المنتقى والرائع من الناس، وقد طوفت بالعالم شرقه وغربه راقيه ومتأخره، وتعرفت على أناس لا أكاد أحصيهم ولا يمكن ذكرهم ولم يتبق غير صور محددة العدد وذكرى أناس يعدهم الحصر.

وقيل إن للزمن أثرا في تعميق الصور وتأكيد الحب والود وأن المكان يؤكد التقدير والإعجاب بما يعبق من شذى الذكر وعبق طيب الذكريات وهذا هو واقع الحياة ومرساها الطبيعي، وينفرد الأقل الأحبة بعبور حقب الزمن، ويدخل القلب وكأنه خلق معه ونما في شغافه وحناياه، فأين عنصر الزمن الفلسفي وأين دافع الذكريات الهنية العذبة، فهل مر بحياتك مثل هذا؟ وهل كتبت عن هذه الظاهرة المفردة؟.

جاءت رسالتك الغالية ضمن بريدي وسرعان ما تركت مجلسي لأنفرد بالرسالة ولأتملى من حروفها وأدبها ولأصل إلى جوامع ألفاظها ونميق عباراتها.

وقرأت، وما قرأت؟

فيها النظر الصائب وصدق الحدس وعمق النظر، والغريب الغريب انك من قلائل الأحبة الذين عرفوني بمثل هذه السرعة وبمثل هذا الصدق.

ولا أكتمك: فقد ترك اللقاء في النفس حلاوة، ومرارة، حلاوة المعرفة ومرارة البعاد، وقد صدقت ظنوني فوصلت رسالتك التي ملأت نفسي شكرا وحمدت الظروف وشكرت الأيام على أنني وجدت السيدة التي كنت أقرأ لها بالصورة التي رسمتها في خيالي.

أيتها الزميلة الفاضلة:

معذرة فلم أكتب مثل هذه الرسالة منذ زمن طويل، إذ لم أجد من أتحدث إليه بوضوح ومتعة بعد تركي أوربا، فنحن قوم لا نريد أن نفهم الواقع رغم حاجتنا إليه، ولا نريد الصدق وهو قوام الحياة، ونبعد عن الوضوح وهو جدير بالمفكرين وأنا اكتب إليك وأغلف حديثي وأدور في قصدي خوف رواسب الفكر وبقايا التقاليد التي تلف المرء، وهو يريد الفكاك منها ولكن خوف المجتمع وعاداته ترده إلى جادة رسمها له، وطريق لابد أن يسير عليه.

أنت شاعرة فيما تكتبين وكاتبة من خير الكتاب عذوبة لفظ، وحلو جرس، وصدق حس، فما أزال أترنم بالطائر المراح الذي يهدهد الأذن، فيه رفة جناح، هل هناك فرق بين الإنسان والحيوان فيما نسميه تجاوب الروح الذي يظهر في الطائر مع أنثاه وهي ترقد معه باطمئنان وقد أغرقت رأسها في عنق أليفها بحنان ورضا. والطائر الغرد يملك من الحنان والحب اكثر من بني البشر وليس في الدنيا أعذب من الحب الصادق البريء لأن صفاء الحنين اجمل في النفس لحناً واكثر عمقاً من حنين التراب الظامىء الى المطر، فمن الحب والحنين نبع لشباب القلب ونضارة الوجه وسعادة الروح التي تحرك الحياة نحو الخير والأمل المشرق واجمل منها ان نعاشر في حياتنا اناساً وهبتهم

الطبيعة لين الجانب والذكاء والذوق الرفيع.

عزيزتي الزميلة الفاضلة:

قرأت كتابك الرائع ومع جماله إلا أن العنوان لا يتفق مع المحتوى الجميل والآراء الناقدة التي سيطرت عليها الروح الشاعرية العذبة التي تنساب في حناياه وكم أتمنى أن يتأثر الجيل المعاصر به الذي تسود عقله الحيرة وتهيمن على روحه علامات الضياع فجاء الغموض في أدبه والتعمية في أفكاره وأهدافه ونحن في عصر تحتاج القضايا العربية فيه إلى الوضوح في الفكر والأدب وقضايا الوطن المصيرية.

وقفت عند السؤال الحائر.. هل نحن نملك حياتنا؟ واقول ليست الحياة ملك الإنسان ولا يمكن ان يسيطر على عواطفه الجامحة وأحاسيسه الثائرة عندما تعبث فيه رياح المجتمع ويصاب بالإخفاق في أمانيه وأحلامه العراض.

متى اقدر أن ابوح بما اكره بيسر وسهولة ووضوح عندما ارى شيئاً مزرياً قبيحاً في محتوى حياتنا المعاصرة التي يسودها النفاق والمظهر الكاذب في علاقات الناس وصلاتهم العامة؟

فأنت وأنا نجامل من لا يحترم نفسه لأني أريد أن يحترمني هؤلاء وان أفرض ذاتي وابرز شخصيتي، وإلا خفت جرح الإحساس وإيذاء الشعور.

ولعل مرد حكمك حياتك في الطفولة فقد ملكت فيها أمرها وأعطتك ما تعطي الآخرين، بل وقفت أمام السير الطبيعي وحولت مجراه نحو ما فرضته وأرادته الطفولة على آخرين أمثالي.

أما الحزن والألم، والطرب لهما وبهما، كالفرح واللذة يطرب لهما الإنسان ويمتع نفسه بهما، فقد راعيتها طويلا وعشت في ظلال أم حانية وجدة رؤوم وأب رقيق عطوف أحالوا حياتك زهرة نضرة، تفوح بطيب الأريج وعذب الشذى وقد تجلى هذا العطف والرعاية منذ ولدت، وجمعوا لك التميمة في استجداء الأقمشة لخياطة ثوبك الأول من بيوت سبع عوانس.

وعشت في خيال وجداني بين أشجار الصنوبر والطبيعة السمحة بخرير مياهها، وهدير شلالها، ورقيق نسيمها، وانسياب أريجها، في الغوطة وبلودان والزبداني واللاذقية وكسب وغابة بلونيا وترنمت معك بالموسيقى الخالبة، والغناء الشجي، والألحان الساحرة والأنغام المطربة.

وقد تمتعت بالحصانة الاجتماعية وبمركز الأسرة الكبير عندما وقفت بجرأة وإيمان وإخلاص وقلت كلمة القومية الرائعة فبدلت تياراً كان يسرى في أذهان الفتيات النضرات.

الواقع عشت معك في حلك وترحالك وسعدت معك في حفيف الزهر ونضرة الزنبق في البساتين والمروج وتذوقت أفاويق الخوخ والدراق والمشمش ولكني أحببت البابونج وشممت رائحته لأني آخذه دواء لمعدة مقروحة.

وكنت أفزع معك عندما تفزعين واقلق عندما تغضبين وتتألمين وأنسى عالمي المزدحم بالأعمال والمشاغل وأتفرغ بخيالي إلى مسارح أيامك، وميادين حياتك، عشت مع ابن عمك وأخيك وأكبرت نضال والدك وكرمت أمك وجدتك وإخوانك أجمعين.

إن صداقتك مع الطبيعة والموسيقى هي التي نبهت حسك إلى الجمال وفتحت أمامك الآفاق على المفاتن في السماء والأرض فقد تمتعت بالألوان وقت الغروب والشروق حيث الينابيع الرقراقة والضباب الشفيف والثلوج التي تكلل رؤوس الجبال فتبعث في نفسك سحراً وروعة وجمالا.

وكم كان في العالم العربي من أترابك يتجرعون الفاقة والعلقم من الكتاب والشعراء ولم تصدمهم حياتهم عن الإبداع والانتاج.. فإن كانت رفاهية حياتك ألهمتك الفن الجميل فإن متربة غيرك فجرت الزلال العذب وتلك سنة الحياة.

(التوقيع) ١٩٧٢/١/١ م

تهنئة

تتشرف دارة مجلة المنهل للصحافة والنشر المحدودة
ومنسوبوها برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأماني بمناسبة
عيد الأضحى المبارك إلى مقام

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل إلى الله أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها
وأمنها فى ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعاية حكومته الرشيدة
وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاما بعد عام وبلادنا فى تقدم وازدهار

وكل عام وأنتم بخير

«الرمز في الشعر السعودي»

للدكتور مسعد العطوي

قد يخيل للقارىء لأول وهلة أن هذا الكتاب الذى بين يديه غير جدير بالدراسة والمراجعة والتأمل لا لشىء الا لأن المكتبة العربية عنيت بهذا المذهب الأدبى عناية ظاهرة تنظيرا وتطبيقا، وربما استحضر عددا من تلك الدراسات لعل على رأسها دراسة الدكتور درويش الجندى «الرمزية في الأدب العربي» ودراسة «أنطوان غطاس» الرمزية والأدب العربي الحديث التى طبعت سنة ١٩٤٩م والتى ربما كانت الرائدة في المحيط العربي، ثم تتالت من بعدها دراسات أخرى لعدد من الباحثين والدارسين منهم الدكتور محمد فتوح أحمد في كتابه «الرمز والرمزية في الشعر المعاصر» فضلا عن دراسة هذا المذهب في كثير من الدراسات النقدية التى تناولت المذاهب الأدبية في الشعر العربي الحديث مما رجع اليه الباحث في دراسته وأفاد منه، اضافة الى المترجمات في هذا المجال.. وهو أمر قد يجعل لهذه النظرة العجلي أو الحكم الفطير قدرا من الوجاهة والصحة لولا يقظة الباحث وتنبهه لمثل هذا الأمر وهو يقدم على تصنيف كتابه، اذ ان من بدهيات البحث العلمي أن يستحضر الباحث كل، أو جل الدراسات التى تناولت موضوعه من قريب ومن بعيد لا يغادر منها الا ما حالت دونه حوائل لا قبل له بها، وصرفت عنه صوارف لا طاقة له بها.. ومن هنا ألفينا الباحث وهو يكشف عن أهمية الكتاب يشير الى «غزارة الانتاج في هذا الميدان» ومع ذلك فان «الكتب المنتشرة في بلادنا لا تتجاوز الخمسة»؛ ومع كل ذلك - حيث يمكن للمجادل الاصرار على كفاية هذا العدد - مع أن أوليات البحث العلمي تسمح بأكثر من هذا العدد، وعلى سبيل المثال: الرمزية في الشعر المصرى، والرمزية في الشعر السوري، والرمزية في الشعر العراقي... الى آخر الأقطار العربية.. ونظائرها في النثر في تلك الأقطار.. فضلا عن أنواع النثر والشعر أيضا.. فضلا عن أنه يمكن أن تقوم دراسات لبحث الرمزية في شعر كل شاعر من الشعراء، ونثر كل ناثر من الأدباء الكتّاب الذين عنوا بهذا المذهب الأدبي في ابداعهم في وطننا العربي الكبير، مما يؤكد حاجة المكتبة العربية لمثل هذه الدراسة ولغيرها، وأنها لن تتوقف أو تنتهي بدراسة معينة أو بأكثر من دراسة..

فاذا وضعنا في اعتبارنا حرص الباحث على رصد هذا المذهب الأدبي من الزاوية الاسلامية أدركنا الأهمية البالغة التي تتحقق لدراسته والمشروعية التامة لمشروعه العلمي البحثي المناسب؛ ومن هنا يجد قارىء الكتاب مواقف الباحث الناقدة والناقضة والرافضة لكثير من الآراء المنحرفة والنظرات الضالة التى تمخضت عنها الرمزية في بلادنا وعند الغرب بطبيعة الحال.

هذا وتكمن أهمية هذه الدراسة التي بين أيدينا في أنها حرصت على توصيف «الرمزية» كمذهب أدبي عند الغرب وعند العرب ودوافعها التى هيأت لظهورها وما خالطها من آراء ونظرات فلسفية مغرقة في القدم ترجع الى نظرية «المثل» لأفلاطون التي تنكر حقائق الأشياء المحسوسة ولا ترى فيها غير صور ورموز لعالم المثل، عالم الحق والخير والجمال التى هي مقاييس لما يجري في منطقة الحس[١]، وهو ما عبر عنه «كارليل» بقوله: «ان كل ما يحيط بنا رمز»[٢]، واذن «فكل مظهر حسي هو رمز وكناية عن حقيقة أخرى غير الحقيقة الحسية المبذولة والمتفق عليها»[٣].

وكذلك نظرية «المحاكاة» عند أرسطو وكذلك الفلسفة

بقلم: أ.د. خليل أبو ذياب
استاذ الادب العربي
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض

الرواقية، كما ساهمت الفلسفة الغربية الحديثة في تحديد مفاهيمها على يد «كانت» و«هيجل» وأضرابهما إلى أن غدت منهجا أو مذهبا أدبياً متميزا على يد طائفة من الأدباء أمثال «رامبو» و«ادجار آلان بو» و«بودلير» و«فيرلين» و«مالارميه» وغيرهم وأخذ كثير من الأدباء بتقنيات هذا المذهب الذى كان ردة فعل عنيفة للواقعية الغربية على الأقل من زاوية الدلالات والمعاني المعجمية المباشرة التي تؤديها الالفاظ المستخدمة عند الأدباء بحثا عن جوهر المحسوسات والأفكار المطلقة.

كما حرص على توصيفها/ الرمزية عند العرب كاشفا عن دوافعها المتمثلة في الرغبة في الجديد والحرص على التجديد في محاولة للقضاء على النزعة التقليدية الاتباعية التي أتخم بها الأدب العربي على يد مدرسة الإحياء أو ما يمكن أن يطلق عليها «الكلاسيكية الجديدة» اذا جاز التعبير، وكذلك التأثر الواسع بالفكر الغربي ابان الاتصال العميق الذى أوجدته النهضة الحديثة وما تمخض عنه من مظاهر التجديد التي ساهمت فيها مدرسة الديوان والمهجر وجماعة أبولّو، وأخيراً، وربما ليس آخرا، حركة الشعر الحر/ شعر التفعيلة التي اجتاحت الشعر العربي منذ زهاء نصف قرن، وانتهاء بما يسمى ظلما وافتئاتا بـ «قصيدة النثر/ الشعر المنثور/ النثيرة التي نراها أنسب المصطلحات والأسماء لهذا الإفراز الأدبي.. حتى اذا فرغ الباحث من توصيف المفاهيم الغربية للرمز انصرف يحدد المفاهيم العربية له مبتدئا بالمعنى اللغوى للرمز عبر المعجمات ودراسات النقاد القدماء حيث لم تخرج عن مفهوم الإشارة/ نوع من أنواع الإشارة وما أصابه من تطور في الدراسات النقدية المعاصرة بسبب تأثرها الواسع بالمفاهيم الغربية فأصبحت لصيقة بالمذهب منفصمة عن اللغة «لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجها لوجه»[٤].

ويحرص الباحث على أن يقدم لنا طائفة واسعة، أو قل كل تعريفات الرمزية عند الدارسين والنقاد المعاصرين خاتما لها أو معقبا عليها بتعريفه الذى أنتجته تلك التعريفات المتعددة[٥].. ثم مضى يؤرخ للرمزية الغربية راصدا أصداءها في نتاج بعض الأدباء الذين أشرنا اليهم آنفا، ثم انتقل ليبحث أسس الرمزية أو الجذور الفلسفية للرمزية بدءا من الفلسفة المثالية الأفلاطونية التي تركت آثارا واسعة في تعريفات نفر من النقاد الغربيين أمثال «جان جوبيه» و«لا كروا» وغيرهما.. ويحرص الباحث هنا على مناقشة مختلف الآراء التي رسختها الرمزية في محاولة للفصل بينها وبين القيم والعقل والأخلاق والسلوك «والهروب من قضايا الأخلاق والسياسة والمجتمع الى نزعة صوفية تحاول الاتصال بالمجهول عن طريق الحواس لائذين بالفن عن الماديات «مع أن الأخلاق سلوك انساني يتعلق بالعقل وبالضمير والغرائز والمجتمع والمادة كذلك[٦]. ثم اندفع يعدد العوامل المباشرة في ظهور الرمزية من مثل «الاتجاه العصرى والإفرازات الفاسدة والاضطرابات التي شاعت في المجتمع الغربي الحديث: البرجوازية، النهضة الفكرية، الصناعة.. وإذا كان المجتمع الغربي عبر تلك السلبيات يجيز ظهور الرمزية فيه فإن الوضع الاجتماعي العربي الذي كان يخلو تماما منها لا يجيز ظهورها فيه.

ويدنو الباحث من حقيقة الإبداع الرمزي الفني في دراسته وبحثه لأنواع الرمز معددا منها «الرمز الإشارى» متوقفا بأناة عند آثاره في المحيط العربي اللغوى والإسلامي وعند الجاحظ خاصة بصفته مصنف أنواع الدلالات في قضية «البيان» في «البيان والتبيين»[٧]، ثم الرمز الأسطوري القائم على التكثيف والإدماج وتوظيف الأحداث وأسماء الشخوص المرتبطة بها دينيا عقائديا وتاريخيا/ الرمز الذى يوظف التراث للتعبير عن القضايا الفكرية والاجتماعية التي يصورها المبدعون، ثم الرمز الاستنتاجي الذى لا يتحدد بعلاقة المشابهة أو التماثل في جلّ الصفات المحسوسة، بل في النتائج الفكرية العامة، ثم الرمز الذاتي الذى تختلج به نفسية المبدع متأثرا بالعوامل الخارجية سواء أكان مصدرها الشعور أم اللاشعور.. ثم أخذ الباحث يستعرض مظاهر الرمز التي تتمثل في «الألفاظ الموحية المشحونة بالإشعاعات النفسية من خلال نحل الأشياء صفات مساعدة تضرب على وتر النفس فتثيرها عن طريق تمازج الشعور بالكلمة والإيقاع والنبرة في عالم شبيه باختلاط الكون وامتزاجه[٨]، لما تحويه من «اشعاع ايحائي» وكذلك في الاعتماد على

الموسيقى.. وكما تمرد الرمز على اللغة وتمردوا على الموسيقا فدعوا الى تحرر الشعر من الأوزان التقليدية ليتم التلاحم والانسجام بين الخلجات النفسية والاضرابات الشعورية والنزعات النفسية والغرائز الفردية وبين الشعر[٩]، فدعوا الى الشعر المطلق والشعر الحرّ المتحرر من الوزن والقافية، كما تتمثل في كثافة الصور التي تثرى الشعر وتحقق له قدرته الإيحائية المتفوقة وتكشف غموض الفكرة فيه.. ومما تجدر الإشارة إليه أن الرمزيين لا يعترفون بالصورة الوصفية المباشرة أو التي تعتمد على الاستعارة والتشبيه والمجاز لما يشيع فيها من وضوح مفسد لجمالية الإبداع.. وانما يعترفون بالصور المخترعة المركبة من عناصر متباعدة بل لا تقوم بينها رابطة ما في الواقع: (عربات متحركة المقاعد تسير في السماء، جوقة أفرادها من الملائكة، حجرة استقبال في قاع بحيرة..) وغير ذلك من تهويشات وتهويمات المبدعين كما يصفها أحدهم (ريبو)، وكما وصفها «فان تيجم» بأنها تهويش طويل غير متناه ولا معقول في جميع المعاني، وكان على الواقع الحميم أن يمده بينبوع جديد للالهام[١٠].

ويعرض الباحث الاشكاليات المختلفة للصورة الرمزية من خلال الشواهد التحليلية الوفيرة، كما يعرض لقضية «تعدد القراءات» للنص الأدبي الرمزى لاعتماده على الدلالات التوليدية المخترعة بعيدا عن الدلالات المعجمية المحددة حيث تعمد الرمزية الى تحرير اللغة من مضامينها وتفريغها من دلائلها التي التصقت بها لتأتي بمدلولات وايحاءات تفيض من داخل الشاعر، بحجة أن ليس للقارىء أن يقاد بيده الى موطن فكرة الشاعر الدقيقة، بل عليه أن يجد الفكرة التي يتضمنها حقل القصيدة الضبابي، وأن تقوده علامة لا تدرك الى أحد الأمكنة حيث تختبىء، أو تتفتح فكرة هي غامضة لأنها حركية؛ ان كل قارىء يجد ما يناسبه من هذه الفكرة المركبة وفقا لخياله ونفسه وزمنه أو بيئته، ويكون القارىء أمام القصيدة كالمستمع أمام الموسيقى[١١].

كذلك يتناول الباحث قضية «تراسل الحواس» التي تعد من أعظم أدوات الرمزيين ووسائلهم الفنية عندما تعطي المسموعات ألوانا، وتصير المشمومات أنغاما، وتصبح المرئيات عاطرة، لتوليد احساسات تغني بها اللغة الشعرية[١٢].

وحقا تحقق هذه الفكرة ثراء واضحا وجمالا باهرا في الصورة والفكرة قد يفرض على القارىء المنصف قبولها واحترامها مهما كانت درجة غرابتها وألا يكون ازاءها على نحو ما كان «الآمدي» وأضرابه ازاء كثير من الصور التي أبدعتها عبقرية أبي تمام التى حجبهم عن فهمها واستيعابها وقبولها مذهبهم النقدي التقليدي الذي يتشبث بعمود الشعر أو عمود الاستعارة أو الصورة الشعرية الموروثة الأصول والتي حاول ابو تمام أن يزلزلها باختراعاته العجيبة.. ومن هنا ينبغي - في نظرنا - أن تتاح الفرصة للمبدع لاختراع ما شاء من الصور، وعلى القارىء والناقد من ثم محاولة تحليلها واكتشاف العلاقات فيما بينها، واستكناه الدلالات التي تنطوى عليها وتقويمها مستيقنين أن البقاء دائما للأصلح والأصوب منها وليس للفاسد الرديء المرذول منها غير الاهمال والتحقير .. كذلك نراه يقف عند «الحروف الرمزية» و«تجاوز الحس والواقع» الفكرى حتى كان التمرد على الواقع والعقل والمادة والعلم معا خاصية لازمت الرمزية ونشأتها»[١٣].

ثم عرض الباحث لقضية الشكل حيث قدم لنا خلاصة وافية للآراء المطروحة في اللغة الرمزية وتجريدها من علاقتها التركيبية ودور الأصوات اللغوية في تشكيل الفكرة والصورة وطبيعة الوحدة في النصّ والفكرة المستقلة فيها والموسيقا والصدق الفني وغير ذلك من قضايا[١٤]؛ وهنا يصل الى تشخيص الأسباب والدوافع التى أدّت الى انهيار الرمزية كمذهب أدبي لم يحقق غاياته وأهدافه ولم يثبت وجوده وكفايته في هيكل الفن والإبداع وأنّى لمذهب أدبي البقاء والوجود والاستمرار وهو يوصف بالانحطاطية والتدميرية».. وكانت أبرز الأسباب لانهيارها:

١ - رفضها لمنطق الواقع الذى يرتبط بالوجدان الانساني ووظيفته في هذا الكون واستعداده ومواهبه وقدراته.

٢ - انسحاب رواده من على مسرح الأدب والحياة.

٣ - ايمانهم المطلق بأن غاية الشعر أن يحقق صفاء الموسيقا.

٤ ـ فشلهم في تحقيق رغبات الجمهور لما يشوب ابداعهم من غموض وابهام مما يجعلها منافية لرسالة الشاعر ووظيفة الأدب عموما٠٠ وغير خاف أن أهمية الأدب والفن وشهرتهما مرهونان بتفاعل المتلقي معهما وانفعاله بهما٠٠ وهذا أمر لا تحققه للرمزية سدودها المنيعة التي تقيمها في وجه القارىء٠

٥ ـ تجاوزها حدود العقل الإنساني وواقعيته٠

٦ ـ ضعف المستوى الفكرى لمبدعيها وما يسودهم من تشاؤم حاد٠

٧ ـ عدم قناعة الجمهور بجدوى «الشعر الحر» ورغبتهم في الإبداع التقليدى٠

٨ ـ العزلة الحادثة بين النقاد ومبدعي الرمزية٠

أما الفصل الثاني فقد أفرده لرصد أبعاد الرمزية في الأدب العربي، أو قل لمحات عن الرمزية كما قرر وبالفعل جاءت لمحات عابرة شديدة الايجاز لا تكاد تسمن أو تغني من جوع لا لشيء إلا لاتساع المساحة المكانية والزمانية/ الزمكانية للرمزية العربية٠٠ وهو أمر لا يمكن أن يحاط به في مثل هذا الحيز المحدود جدا٠٠ وقد عرض فيه لأسباب ظهور الرمزية في المحيط العربي عبر الاتصال السياسي والعلمي والاقتصادي ـ والأدبي ـ بفرنسا منذ الحملة الفرنسية على مصر والبعوث العلمية الموفدة اليها، ساردا طائفة من الشواهد التى تحدد المنهج الرمزي في تشكيل الصورة الشعرية، كما ألم بدور المؤسسات الصحفية في تكريس ظاهرة الرمزية في أدبنا العربي عبر «المقتطف» و«الرسالة» و«الأديب» وغيرها، وكذلك الأدباء الذين عنوا بهذا الاتجاه أمثال خليل الهنداوي وبشر فارس وعلى محمود طه وسعيد عقل وغيرهم٠٠ ثم يصل الى الفصل الثالث والأخير من دراسته الذى أفرده لبحث الرمزية في الأدب السعودي وهو يشعر بالتباين مع عنوان الكتاب «الشعر» ونراه يرصد الرمزية هنا من ثلاث مراحل:

أما المرحلة الأولى فأهم ما يلفت النظر تنبه الباحث لمواكبة الرمزية في أدبها وتزامنها مع الرمزية العربية وان لم يكشف عن أسباب هذا التزامن كما رصد موقف النقاد من الرمزية السعودية وأنهم لم يستقصوا معالمها وأبعادها في نتاج المرحلة المبكرة، ثم أخذ يسرد أبرز أعلامها وأصدائها في ابداعاتهم متمثلا بكثير من الشواهد الكاشفة، وكان «العواد» من أبرزهم بمحاولاته الافادة من الرموز التراثية والأسطورية التي استخدمها استخداما عشوائيا غير دقيق٠٠ وهو يشخص منهج العواد الرمزي المتأثر بمحورين: المترجمات التي أنتجتها مدرسة الديوان وجماعة أبولّو، والتأثر بمدرسة المهجر مستشهدا بكثير من الشواهد من ابداعاته الشعرية٠٠ ثم يقف عند طائفة من شعراء هذه المرحلة أمثال ابراهيم هاشم فلالي وأحمد قنديل ومحمد سعيد العامودي ومحمد جدع ومحمد حسن فقي الذى يتميز بابداع رمزي واسع في مجال الصورة الشعرية خاصة والفكرة الضبابية عامة والذى امتد ابداعه الى اليوم مما يجعله مؤهلا للوجود في مراحل الرمزية الثلاث حتى عدّ رائد الرمزية الشعورية الايحائية في الشعر السعودى، وحسين سرحان وعزيز ضياء وطاهر زمخشرى وعبد الكريم الجهيمان وحسين عرب والأمير عبد الله الفيصل الذى يشارك الفقي في الابداع الفني والرمزي للصورة الشعرية والتواجد في مختلف المراحل من خلال دواوينه الثلاثة (وحي الحرمان، حديث قلب) وقصيدة الرمز عند أولئك الأوائل كما يقول المؤلف اتخذت سبيل الوحدة العضوية فضلا عن الوحدة الموضوعية، كما اقتصرت على الايحاء الشمولي للقصيدة، كما يغلب عليها الوضوح بعيدا عن التفجير اللغوى والاثارة والغموض والافراط في استخدام الرموز الأسطورية والتراثية، كما أنها لم تنجح في استلهام الشعور أو اللا شعور لعنايتها بالتأمل الفلسفي والرمز الأسلوبي والمنهج الصوفي وتكثيف الصور الحسية والذهنية وإن جاءت في تركيبة واضحة الدلالة٠

أما المرحلة الثانية فهي التى تمثل الدلالة الازدواجية حيث العلائق المتشابكة بين المرموز له والرمز وتقاربهما في مضامين محددة، وان كان الرمز يجنح كثيرا الى تجريد المعنى المحسوس والدلالة القريبة ليتحول الى معنى غير محدد الدلالة٠٠ بمعنى آخر، يقترب الرمز في هذه المرحلة من رمز الشعر الحداثي العربي بما يقوم عليه من ايحاء وتجريد وتكثيف للصورة وتحطيم لدلالاتها اللغوية المحدودة ولكن ليس بالصورة التى ستلقانا عند شعراء/ أدباء المرحلة الثالثة الأخيرة بطبيعة الحال حيث تظل الصور

عندهم أكثر التصاقا بمدلولها الحسي/ المضموني، كما اعتمدت على الرمز التراثي حيث أخذوا يقتبسون من رموز الديانات الاسلامية والنصرانية واليهودية، ومن تراث الجزيرة نفسها، مستعرضا طائفة واسعة من النماذج التي شاعت فيها الرموز من أشعار غازي القصيبي وحسن القرشي وأحمد الصالح، كما وقف عند عدد من الشعراء محاولا استنباط معالم الرمزية في دواوينهم وهم محمد الفهد العيسى والقرشي وعبد الرحمن المنصور ومحمد الرميح والشبل وناصر أبو أحيمد والعواجي وغيرهم.. ونظرا للأهمية التي يحظى بها غازى القصيبي أفرد جانبا واسعا من الفصل لتوصيف الاستخدام الرمزى في شعره محاولا تحديد أبعاده من خلال فكرة «عشق الحرية» دون أن يعني ذلك نفي حقيقة العشق أو الحب العاطفي للجمال والمرأة.. بمعنى أنه كان يهيم في سماء الفكرة التي تتراءى خلف العشق الجمالي».. ثم مضى يعرض مظاهر الرمزية في ديوانه الأول «أشعار من جزائر اللؤلؤ» في قصيدة «أضواء المنار»، ومن ديوانه الثاني «قطرات من ظمأ» في قصائد: «عيناك» و«في شرفتنا» و«من وحي الصحراء» و«اعترافات» وغير ذلك من القصائد التي ضمنها دواوينه الأخرى «الحمى» و«العودة الى الأماكن القديمة» من مثل «رويدك»، و«الافلاس» و«كلمات من ملحمة الوجد» و«ياوطني» وغير ذلك من القصائد التى تكتظ بالرموز التى يستمدها من الطبيعة ليرمز بها الى أفكاره وقضاياه الاجتماعية والوطنية التي شغلته على طول رحلته الشعرية.. بل أن عناوين قصائده وعناوين دواوينه تتشح بوشاح رمزي قشيب لا تخطئه العين بمجرد قراءتها.

والرمز عند القصيبي يقوم على تكثيف الصورة واستحداث الدلالات الجديدة واستخدام الألفاظ الموحية ومع اغراقه في الرمزية فانه لم يتورط في استخدام الرمز الأسطورى اليوناني أو الروماني أو الهندي أو الآشورى البابلي، وانما اقتبس رمزيته من الأحداث العربية في الجاهلية والأحداث الإسلامية وأبطالها.. ومن هنا فهو «يمثل الرمزية الفنية التي لا تتجاوز المقدرة البشرية ويوظفها توظيفا منفعيا مفيدا وجماليا فنيا ممتعا»[١٥] ويختم هذه المرحلة بشاعرين آخرين هما «محمد العيد الخطراوى» و«أحمد الصالح»، «مسافر» محاولا التقاط بعض المظاهر الرمزية في بعض قصائدهما.

واذا كان قد حرص على سرد خلاصة للمنهج الرمزي عند شعراء المرحلة الأولى فإنه لم يحاول سرد مثل هذه الخلاصة في شعر المرحلة الثانية لسبب لا نعلمه.

ثم انتقل الباحث الى المرحلة الثالثة/ الأخيرة ذات «الرمزية الشكلية الخالصة التي تتحول فيها الألفاظ والتراكيب والأبيات الى مجموعة إيحائية متلونة من الأصوات والإيقاع والإضاءات بألفاظ إيحائية منفردة، أو دلالة تركيبية متلألئة، وتتبختر الدلالة في شمولية البيت، وتكون غايتها توليد المشاركة الوجدانية عن طريق الإيحاء للمتلقي[١٦].. بعبارة أخرى تدنو رمزية هذه المرحلة من الرمزية الغربية التي تتعدد معها قراءات النص، وتغرق في التصوير والإيحاء والتكثيف وتحطيم البنية اللغوية ذات الدلالة المعجمية المحددة.. ومضى الباحث يعرض أهم مظاهرها عند أبرز شعرائها من أمثال «محمد الثبيتي» في ديوانيه «عاشقة في الزمن الردئ» و«تهجيت حلما.. تهجيت وهما»، و«عبد الله الخشرمي» في ديوان «ذاكرة لأسئلة النوارس» حيث يعمد إلى الإيقاع وتفريغ الالفاظ والتراكيب من مدلولاتها وتراسل الحواس وتشخيص الجمادات.. وحق ما ذهب اليه الباحث من أن مثل هذا الإفراط في الرمز يخرج من إطار الوعي والإدراك، وينقل الفن الشعرى الى فياف من التيه والضياع، ويؤدى به الى الاحتراق العاجل، والنسيان الدائم، والإهمال المتعمد».

وإذا كانت هذه الدراسة التي قدمها الدكتور/ سعد العطوى تمتاز بجودة العرض والشمول والإحاطة ودقة التحليل وتجسد الحس الإسلامي الأصيل في تقويم الرمزية وتحديد مسارها القويم، وكذلك وفرة المصادر والمراجع التي أفاد منها واستعان بها على طول دراسته.. ومع إعجابنا البالغ بكل ذلك فلنا من بعد بعض الملاحظات التي لا تعدو أن تكون وجهات نظر قابلة للنقد أو النقض.. فمن حيث المنهج كنا نودّ

لو أن افتتح دراسته ببحث مفهوم الرمزية والرمز في الأدب أولا، ثم في الفلسفة، ثم يعرضه كمذهب أدبي خاص، حتى إذا فرغ من ذلك عرض للمفاهيم فالأسس ومن ثم التاريخ/ تاريخ الرمزية لما يحقق ذلك من استقامة منهجية معقولة لما يقوم بينها من روابط وعلائق.

ومما قد يؤخذ على الباحث أنه لم يشر إلى تبعية الشعر السعودى/ الإبداع السعودى للإبداع العربي في مصر والشام منذ نشأته وازدهاره حيث كانا يشكلان مصدرين مهمين من مصادر الإبداع الأدبي في سائر البلاد العربية منذ مطالع هذا القرن.. وتلمذة الرعيل الأول من أدباء المملكة على أدباء مصر والشام وفي المهاجر الأمريكية ذائعة مشهورة ولا تنقص من قيمة الإبداع المحلي، ولا تحط من أقدار المبدعين المحليين البتة

ولعل من أهم المآخذ التي أحسب الباحث وقع فيها - وقد تكون له وجهة نظر خاصة فيها - الإفراط في عرض الجانب النظرى للرمزية ونماذجها التطبيقية في الأدب الغربي خاصة، في حين أوجز غاية الإيجاز في عرض هذا الجانب في الأدب العربي حيث لم يستغرق أكثر من سبع عشرة صفحة (١١٥ - ١٣١) على غزارة الإنتاج الرمزي عند مبدعي هذه المرحلة العرب.. وقد كان حريا به أن يوسع دائرة البحث في هذا الجانب ليضع أمام القارىء تصورا مناسبا لأبعاد المذهب الرمزى في أدبنا العربي الحديث.. ولا حجة له بشيوع هذا الجانب في أغلب، أو كل الدراسات التى أفردت له وهي كثيرة، وإلا لكانت حجة عليه في تفصيل عرضه لأبعاد الرمزية ومظاهرها وآثارها ونماذجها عند الغرب والتي استهلكت من كتابه زهاء مائة صحيفة، أى أكثر من ثلث الدراسة، على شيوعها في كثير من الدراسات التى عرضت للرمزية في الثقافة العربية.. وكنّا نود أما أن يفصل في الجانب العربي، وهو الأهم، واما أن يوجز في الجانب الغربي ليفصل بشكل لافت ومهم وأساسي في الجانب السعودى المتهم في العنوان ليتجاوز نصف الكتاب الذى احتله فقط.

كما أن دراسته للمرحلة الثالثة للرمزية في الشعر السعودى جاءت موجزة شديدة الإيجاز برغم وفرة الإنتاج وغزارة التوظيف الاسطورى والرمزى فيه، وهي لذا بحاجة لمزيد من البحث والتفصيل والنقد والتحليل للكشف عن مظاهرها وأبعادها التي تفشت بكثافة ظاهرة في دواوينهم والتي حاول بعض الباحثين تحليل مظاهرها الرمزية والأسطورية (د/ نذير العظمة) حتى إن باحثنا الفاضل لم يذكر منهم غير «الثبيتى» و«الخشرمي» متناسيا طائفة واسعة منهم أمثال الدميني وأسامة عبد الرحمن ومحمد هاشم رشيد وعلى بافقيه وسعد الحميد وباعطب وغيرهم كثير.. ولعلنا نجد دراسة أوسع لهذه المرحلة الأخيرة في طبعة جديدة للكتاب تستدرك ما فات.. ومع كل ذلك فلا نظننا بحاجة إلى التنويه بهذه الدراسة والإشادة بها منهجا وتحليلا وتوصيفا اذ انها تطالعك بكل هذه الجوانب في كل فصل من فصولها، كما لا يغيب عنا التنويه بموقف الباحث وهو يرى الرمزية من المنظور الإسلامي كاشفا عن انحرافاتها وفسادها وآثارها السلبية القاسدة.

الهوامش:

(١) د. مسعد الغطوي: الرمز في الشعر السعودي ص ٣٦ مكتبة التوبة ط/١/ ١٤١٤ - ١٩٩٣.
(٢) السابق ٦٢.
(٣) السابق ٢٠.
(٤) السابق ٢٩.
(٥) السابق ٣٢.
(٩٦) السابق ٤٣.
(٧) الجاحظ: البيان والتبيين ١/٦ تحقيق عبد السلام هارون الخانجي.
(٨) الرمز ٧٠.
(٩) السابق ٧٧.
(١٠) السابق ٩٠.
(١١) نفسه .
(١٢) السابق ٩٢.
(١٣) السابق ٩٦.
(١٤) السابق ١٠٢.
(١٥) السابق ٢٥٦.
(١٦) السابق ٦٥.

النمر بن تولب العكلي

ت نحو ١٤هـ

معروف أنه شاعر مقل أدرك الجاهلية والإسلام، وأنه كان بالغ الجود، فصيحا جريئاً على المنطق، وقد كان «عمرو بن العلاء» يسمِّيه «الكيِّس» لحسن شعره[١] ولعل أول ما يقابلنا منه هو ظاهرة الكرم، وكيف أن زوجه كانت تضيق بهذا فحين تعرض له سائل نراه يخصه بفَحْل أبله، فلما رجعت الإبل تفقدته زوجه «ضباع» وكان أن عذلته قائلة: «فهلا غير فحل إبلك» فقال لها:

دعيني وأمرى سأكفيكه
وكوني قعيدة بيت «ضباعاً»
فإنك لن ترشُدى غاوياً
ولن تدركي لك حظاً مضاعا

* فلما استرسلت في اللوم عاد يقول:

بكرت باللوم تلحانا
في بعير ضل أوحانا
علَّقت «لواً» تُكررها
إن «لواً» ذاك أعيانا

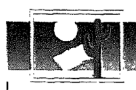
وقد عاش في أول الأمر في ظلال أخيه الحارث، وفي مرة أغار الحارث على بنى أسد وسبى امرأة منهم اسمها «جمرة بنت نوفل»، وقد رأى أن يخص أخاه بهذه الزوج، وكان أن وهبها له فتزوجها، وقد ضاقت جمرة بهذا الأمر، فما كان منه إلا أن اشتد عليها، وحبسها، وبعد فترة استقرت، وولدت له أولادا، وفي يوم قالت له: أزرنى أهلى فإنى قد اشتقت إليهم، فقال لها: أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغلبينى على نفسك، فواثقته لترجعن إليه بعد الزيارة، فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بنى أسد، فلما أطل على الحى تركته واقفا، وكان أن انصرفت معجلة إلى منزل بعلها الأول، وحين غابت عرف أنها خدعته، فانصرف وهو يقول:

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل
جزاء مُغل بالأمانة كاذب
لهان عليها أمس موقف راكب
إلى جانب السرحات أخيب خائب
وقد سألت عنى الوشاة ليكذبوا
عليَّ، وقد أبليتها في النوائب
وصدت كأن الشمس تحت قناعها
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وكان من الطبيعى أن يقول فيها أشعاراً كثيرة، وقد ظلت هى الأخرى لا تنساه، فحين حج، ونزلت «جمرة» مع زوجها قريبا منه، عرفته، وبعثت إليه بالسلام، وسألته عن خبره ووصته خيراً بولده منها، ومع أنه جزع عليها في أول الأمر حتى خيف على عقله، ومكث أياماً لا يطعم ولا ينام، إلا أن أهله لاموه في هذا وقالوا: إن في نساء العرب مندوحة ومتسعاً، وكان أن أكثروا له في الحديث عن



بقلم: أ. د. عبده بدوي
- مصر -



فتاة اسمها «دعد» فتزوجها، ووقعت من قلبه وشغلته، إلى حد أنه استحق لقب أفتى الشعراء بقوله:

أهيم بدعد ما حييت، وإن أمت
فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي[١]

ولكن بقي في نفسه شيء لا يُنسى من (جمرة)، فقد رثاها رثاء حاراً حين علم بموتها وقد أدرك «النمر بن تولب» الإسلام، فيقال أنه قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام وكان أن قال بين يديه:

يا قوم إني رجل عندي خبر
لله من آياته هذا القمر[٢]
والشمس والشعرى وآيات أخر
من يتسام بالهدى فالخبث شر
إنا أتيناك وقد طال السفر
نقود خيلا رُجّعاً فيها ضرر
نطعمها اللحم إذا عزّ الشجر

ويبدو أن الرسول قرّبه من نفسه، وجعله رسولا إلى قومه، فقد كتب له رسالة تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير، (إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم الخُمْس من الغنائم، وسهم النبي والصّفيّ، فأنتم آمنون بأمان الله، وأمان رسوله)، وقيل إنه روى حديثا عن الرسول يقول «صوم شهر الصبر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيراً من وقر الصدر»، كما روى حديثا آخر[٣]: ولقد ظل على كرمه المعروف عنه بل لقد بالغ في هذا حين رأيناه يتحمل بعض الديات بأجمعها، وقد بارك الله في عمره فما مات حتى خرف، وقد عبر فيما عبر عن امتداد عمره، فقد قيل له: كيف أصبحت يا أباربيعة، فأنشأ يقول:

أصبحتُ لا يحمل بعضي بعضا
أشكو العروق الآبضات أبضا
كما تشكى الأرحبي الغرضا
كأنما كان شبابي قرضا

وكان مما قاله:

أعنني رب من حصر وعي
ومن نفس أعالجها علاجا
ومن حاجات نفسي فاعصمنّي
فإن لمضمرات النفس حاجا
فأنت وليها وبرئت منها
إليك، فما قضيت فلا خلاجا

وقد التفت حمّاد الراوية إلى أنه كثير البيت السائر، والبيت المتمثل به، فمن ذلك قوله:

لا تغضبنَّ على امرىء في ماله
وعلى كرائم صلب مالك فاغضب
وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى
وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

وقوله:

فإنَّ المنية من يخشها
فسوف تصادفه أينما
تلبَّس لدهرك أثوابه
فلن يبتني الناس ما هدَّما
وأحبب حبيبك حباً رويداً
فليس يعولك أن تصرما
وأبغض بغيضك بغضاً رويدا
إذا أنت حاولت أن تحكما[٥]
.. وإن أنت حاولت أسبابها
فلا تتهيبك أن تُقدما... [٦]

وقوله:

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة
بعيد نآني ناصري وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم أك ربّه
وأن الذي أفنيت كان نصيبي

فكل هذه المختارات تقدم لمحات عن حياة هذا الشاعر، وقد كان سيفه يضرب به الأمثال كهذا الذى ضُرب بسيفه المثل، فلما غرز في أرض وحفر عليه ليستخرجه، تذكر قول النمر بن تولب:

أبقى الحوادث والأيام من نمر
أسياد سيف كريم إثره بادى
تظل تحفر عنه الأرض مندفعاً
بعد الذراعين، والقيدين، والهادي[٧]
ولم نر شيئا يكون في الخصب الا ذكره[٨]

وقد عاش وفياً لأخيه الحارث، فحين مات جاء في رثائه:

فوا الله ما أسقى البلاد لحبها
ولكنما أسقيك جار بن تولب
تضمنت أدواء العشيرة بينها
وأنت على أعواد نعش مقلّب

وهكذا عاش حياة كريمة، تركت لها أثراً في الجاهلية، وفي الإسلام، واستحق لقب «الكيّس»، ولُقب بـ الكريم، فقد عاش دأبه وديدنه أن يقوم: أصبحوا الرّاكب، وأغبقوا الراكب، لعادته التى كان عليها.

وقد التفت إليه الأصمعى فروى عن حماد بن ربيعة بن النمر أنه قال: أظرف الناس النمر في قوله:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت
أوص بدعد من يهيم بها بعدى

وجاء في الشعر والشعراء لابن قتيبة أن من جيد شعره قوله في إعراض المرأة.

فصدت كأن الشمس تحت قناعها
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ومما يعاب عليه قوله في وصف سيف، وهو ما يسميه قدامة بن جعفر «الغلو» فقد ذكر أنه قطع ذلك كله ثم رسب في الأرض، حتى احتاج إلى أن يحفر عنه[٩]

تظل تحفر عنه إن ضربت به
بعد الذراعين والساقين والهادى

وقد جعله محمد بن سلام الجمحى من الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية[١٠]، والمهم أنه كانت له وجهة نظر في الحياة عبر عنها بقوله:

أعاذلُ إن يصبح صداى بقفرة
بعيداً نآنى صاحبى وقريبي
ترى أن ما أبقيتُ لم أك ربه
وأن الذى أنفقت كان نصيبى
وذى أبل يسعى، ويحسبها له
أخى نصب في رعيها ودؤوب
غدت، وغدا ربٌ سواها يسوقها
وبُدل أحجاراً، وجال قليب[١١]

وأنه تنبيه إلى قيمة الترصيع[١٢] في شعره كقوله:

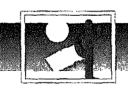
من صوب سارية علّت بغادية
تنهل حتى يكاد الصبح ينجابُ

وإلي قيمة التتميم كقوله:

وكنت إذا لاقيتهن ببلدة
يقلن على النكراء أهلا ومرحبا

فقوله على النكراء، أتم جودة المعنى، وإلا فلو كانت بينهم معرفة لم ينكر أن يقلن له: أهلا ومرحبا[١٣] وأبو هلال العسكرى يرى أنه أول من اهتدى إلى هذا المعنى الذى يقول فيه

فإن تك أثوابى تمزق عن بلى
فإنّى كمثل السيف في خلق الغمد



وفضل عليه قول أبى هفان في المعنى نفسه:

فـمـا أنا إلا السـيفُ يأكل جـفنه
له حليـة من نفسـه وهو عـاطل[١٤]

وقد جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة[١٥]، وجعله ابن رشـيق من أصـحـاب التنقـيح، والتـثـقـيف، والتحكيك[١٦]، واستشهد له الثعالبي في الأمثال السائرة بقوله:

يودُّ الفـتى طول السـلامـة جـاهداً
فكيف ترى طول السلامة تَفْعَلُ[١٧]

وأخيراً فقد جرى في مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل في أصحاب النبيذ، فقال أبو محلم: أحسنه قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تولب العكلي:

وفـتـيـة كـالسـيـوف أوجـهـهـم
لا حـصـر فـيـهـا ولا بخل
بيض مـسـاميـح في الشـتـاء، وإن
أخـلـف نجـم عـن وبلـه وبلـوا[١٨]
لا يتـأرّون في المضـيـق، وإن
نـادى مـنـاد أن انـزلـوا نـزلـوا[١٩]
لا يفـتـذى شـربنا اللحـاء وقـد
توهب فـينا القـيـان والحلل

فاستحسن الواثق الأبيات، ووهب أبا محلم[٢٠]

الهوامش:

(١) الشعر والشعراء ١/٢٢٧ ط بيروت، مختارات شعراء العرب لابن الشجرى. تحقيق: على محمد البجاوى ٦٥، دار الجيل.

(٢) يروى هذا البيت للشاعر الأموى نصيب الأكبر، وفي رواية:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فيا ويح دعد من يهيم بها بعدى

(٣) شعراء الدعوة الاسلامية ١٤٢، ١٤٣.

(٤) نقد الشعر لقدامة ٥٩.

(٥) مختارات شعراء العرب لابن الشجرى، تحقيق على محمد البجاوى ص ٦٧، دار الجيل بيروت ط ١٩٩٢.

(٦) أراد فلا تتهيّبها، لأن المنية لا تهاب أحدا، ضرورة الشعر للسيرافى ١٧٤.

(٧) وفي رواية:

تظل تحفر عنه إن ضربت به ... بعد الذراعين، الساقين، والهادي

الأعشيات، دار المعرف ط ٣، ص ١٣.

(٨) ديوان المعاني ٢/١٣.

(٩) أخذ هذا على الشاعر، وهذا من الافراط في الكذب، الشعر والشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر ص ٢٢٨، الحماسة البصرية ٢/٣٤٧ ط ٣، نقد الشعر ٥٩.

(١٠) طبقات فحول الجاهلية ص ١٣٣ ط. دار المعارف ١٩٥٢م.

(١١) الحماسة البصرية ٢/٦٥، ٦٦ ط٣.

(١٢) هو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف: نقد الشعر لأبى الفرج، قدامه بن جعفر تحقيق كمال مصطفى ص ٤٠ الخارجى ط ٣.

(١٣) نفسه ١٤٠.

(١٤) ديوان المعانى ١/٨٠.

(١٥) طبقات فحول الشعراء ١/١٥٩ ط دار المدنى بجدة.

(١٦) العمدة ١/١٣٣ ط ٥ بيروت.

(١٧) الإعجاز والإيجاز ص ١٥٣ ط المكتب العالمي، بيروت ١٩٩٢، وفي رواية يسرٍ.

(١٨) الوبل: المطر الشديد.

(١٩) تأرّى بالمكان: احتبس.

(٢٠) ديوان المعانى: أبو هلال العسكرى، عني به محمد عبده، محمد الشنقيطى ١/١٢ دار الجيل، بيروت.

عُرى النسـ

أغراه بعضي واستهان بسائري
ومضى يشوهُ في الزمان مآثري

جاراه قاضي البغض في أهوائه
فقضى عليَّ بحكم طيش جائر

ماذا عليه وقد أراد حقيقتي
لو شاهد الماضي بعين الحاضر؟

ما زال يقسمُ أن دمعي حيلة
ومدادي السيال سلعة تاجر

ويظنُّ أني لو مددتُ له يدي
بازاهري أني أمدُّ خناجري

ولو استقامتْ لي حظوظي ساعة
لأشاع أني أستعينُ بساحر

سيظلُّ يسبحُ في بحار ظنونه
مستمسكا بعرى النسيم العابر

ولسوف يستلقي على أوهامه
حتى يفاجأ بالعُباب الهادر

فهناك يعلم أن أنفاس الأسى
عقدت مع الأمواج حلف تآمر

يا أيها الرامي أفق فلربما
مالت سهام الغدر نحو الغادر

ولربما ابتسمت لك الدنيا ومن
خلف ابتسامتها جناح الطائر



شعر: فواز بن عبدالعزيز اللعبون
- الرياض -

ولربما اتضحت على الدرب الخطى
فمشيت فيه فكان درب العاثر

* * *

يا من يطول على الحرير سباتُهُ
ماذا تركت لمستضام ساهر؟

كم كنتُ أبحث في زماني عن أخ
وأري الفراسة مستنير الخاطر

يستلُّ من عينيّ كلَّ حقائقي
ويرى الذي تخفيه عنه ضمائري

أنا في زماني نظرة مسروقة
لا يعرف الأصحاب إلا ظاهري

أنا قصة محبوكة لكنها
بترت وماتت في سطور دفاتري

أنا كالقصيدة حين تلتبس الرؤى
فيها، وسرٌّ غموضها في الشاعر

ليت الذي أهدَى الملامة راعَهُ
ما راعني ليكون أول عاذر

قد أنتهي من حيث يبتدىءُ الورى
ومآلنا أن نلتقي في الآخر

لي أن أكون سنا الضياء وليس لي
أن أجلو المرأى لأعشى الناظر

الكتابة ونشأة الأبجدية

الكتابة المقطعية والأبجدية:
نشأة الكتابة:

يدل مصطلح الأبجدية (Alphabet) على مجموعة من الحروف أو العلامات التي تستعمل لتمثيل الوحدات الصوتية للغة تمثيلا خطيا، وهذه الحروف أو العلامات الخطية ذات نظام اصطلاحي يتواضع عليه متكلمو اللغة، وليس شرطا أن تكون لكل لغة أبجدية خاصة بها. فهناك العديد من اللغات تكتب بأبجدية واحدة، مثل بعض اللغات الأوروبية الحية فهي تكتب بالأبجدية اللاتينية، والفارسية والتركية (سابقا) ترسم بحروف عربية، كما أن اللغات تتفاوت في عدد الحروف التي تشكل أبجديتها، ولكن هذا المصطلح له دلالة أخرى في النحو التوليدي، إذ يعني مجموعة محددة من الرموز التي تعين عناصر اللغة[١].

لقد تدرجت الكتابة من طور الدلالة بالرسم والتصوير الذي لا يفوق التعبير عن المعاني الذاتية المحدودة، ولا يتسع ليشمل مختلف جوانب الحياة وما يصطرع فيها من حوادث، إلى طور الكتابة التصويرية ذات الطبيعة الرمزية. وهي مرحلة متطورة من الطور الأول، ذلك لأن الرمز يتسع للمعاني المجردة والصور النفسية التي لا تجد بالضرورة ما يطابقها في العالم العياني. غير أن هذه الكتابة لا تستطيع أن تحقق مبتغاها لكونها بحاجة إلى عدد غير متناه من الصور والرسوم للتعبير عن حادثة نفسية واحدة. والأمر يتعذر بالنسبة للتعبير الشامل عن مختلف الحوادث الأخرى. ينضاف الى ذلك تلك المعضلة التي ما فتئت اللسانيات تطرحها: هل الكتابة التصويرية قادرة على تمثيل اللغة المنطوقة تمثيلا يتطابق فيه الصوت مع الرسم؟ وهل يستطيع أن يتعلم الإنسان لغة جديدة عن طريق الكتابة فقط دون أن يحتاج إلى لغة المحادثة التي تمكنه من معرفة أنظمة النطق في اللغة المتكلمة. وهذا ما دفع اللسانيين الى التشكيك في إيجاد لغة كونية واحدة يتكلمها جميع البشر، وذلك من منطلق البحث عن رسم صوتي عالمي تقريبي لجميع اللغات ناهيك عن خصائص النبر واللهجات داخل اللغة الواحدة.

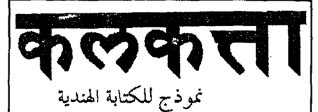
إن الكتابة التصويرية من الأنظمة السيميائية الأولى التي استعملها اللغويون للدلالة على الأفكار قبل الكلمات. فاستعمال الرسم كان يهدف لأن يكون سيماء للأشياء التي يريد الكاتب تقييدها أو تجسيدها. ولا عجب أن ترتبط الكتابة بالسيمياء التي هي أسرار الحروف. ومن غير المنطق ألا يعتقد المرء ما ذهب إليه (أنطوان ماييه) من أن الذين اخترعوا الكتابة كانوا من كبار اللغويين لأن ذلك يتطلب جهدا عقليا كبيرا ونموا في الذكاء يؤذن بنهاية طور الشفوية والدخول إلى طور المدنية. إن الكتابة الهيروغليفية والكتابة المسمارية والكتابة الصينية من أقدم الكتابات التصويرية التي وصلتنا من الحضارات الإنسانية القديمة، بيد أنها لم تكن كتابة تصويرية خالصة وإنما تضمنت إشارات رمزية. فهي تأتي في الطور الثاني من تاريخ الكتابة.

إن الرمز دليل على عدم قدرة الرسم على الإحاطة بجميع المعاني الكلية بله الأنظمة الصوتية والصرفية والتركيبية. لهذا بدت الكتابة التصويرية عاجزة عن أن تكون لغة عالمية، فكان لا مندوحة من التفكير في

بقلم : د. احمد يوسف
جامعة وهران - الجزائر

الكتابة بالأبجدية ثم الكتابة الصوتية، لكون العلامة الواحدة قد تحمل دلالات متعددة سواء أكانت رسما مثل العين في الكتابة الهيروغليفية تدل على معنى النظر والعقل والسهر أم صوتا. ففي الفرنسية يشير Ver الى معان مختلفة: Vert: أخضر، Vers: نحو، Verre: كأس.

الكتابة الهندية



نموذج للكتابة الهندية

إن أقدم كتابة عرفها الهنود (الموهانجو - دارو) فهي هيروغليفية. أما الكتابة البراهمية فهي معروفة وأكثر انتشارا (٣٠٠ ق.م) لأن وظيفتها كانت تتمثل في تدوين اللغات الأدبية. كما أنها ذات خصيصة مقطعية، تشير إلى الصوامت والصوائت عن طريق علامات إضافية «والملاحظة اللغوية الأساسية في هذا الصدد، هي أن الكتابة، وإن كانت ذات صيغة مقطعية إلا أنها تحلل المقطع إلى مركبات تحليلا منسجما. ولم يحدث هذا الأمر لا في مصر التي لم تدون حروف المد ولا في صومر التي دونتها دائما في صلب المقاطع المشتتة فلم تستطع أن تنفصل عنها»[٢]. بيد أن الكتابة لدى الهنود لم تكتس تلك الأهمية الكبيرة التي كانت لدى الأمم الأخرى.

فاللغة السنسكريتية توافرت على تصور متقدم جدا للغة وجوانب مهمة من علم الأصوات كما هو لدى بانيني، حيث عرفت التقطيع اللساني الثاني وهذا مالا نلفيه في بعض أنماط التفكير اللغوي القديم، وعليه لم يكن التحليل اللغوي لدى الهنود مرتبطا بالضرورة بالكتابة. وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن الهنود كانوا من الأمم التي أضفت على التفكير اللساني طابعا مجردا، فلم تحتاج إلى كتابة تصويرية أو كتابة رمزية. ونقصد هنا الكتابة البراهمية على وجه الخصوص.

ولعل ذلك ما جعل اللسانيات الحديثة تثني على ما توصل إليه الهنود من تصورات متقدمة في مجال دراسة اللغة. فقد كان بانيني واحدا من أكبر اللغويين الذين وضعوا الأسس النحوية للغة السنسكريتية بدافع ديني، حيث أضحت الدراسات اللغوية فرعا من التراث الديني المتمثل في الفيدا فاشتمل مؤلفه على حوالي ٤٠٠٠ سطر في القواعد النحوية واتصف بالشمول والإيجاز.

الكتابة الفينيقية

𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊	𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓
A	B	C	D	E	F	Z	H	Th	I	K	L	M	N	S	o	P	Ts	Q	R
ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر

الأبجدية الفينيقية

يعد الفينيقيون أول من أبدع الأبجدية. فإليهم يرجع منشؤها، ولهذا استحقوا بجدارة أن يخلدهم تاريخ الكتابة تخليدا يليق بمقامهم. ولا يهم في شيء البحث في الأصول التي انبثقت منها ولعل الأدوات التي اهتدى إليها الفينيقيون وهي الألواح الخشبية التي كانت تجود بها الغابات الطبيعية من أشجار الأرز بجبل لبنان واستخدامها في صناعة السفن قد ساعدتهم على ابتكار الأبجدية، بخلاف ألواح الطين التي كان يستعملها السومريون والآكاديون لوفرة الطين لديهم. غير أن هذه الألواح سرعان ما يصيبها التلف، أما أوراق البردي المصرية فكانت باهظة التكاليف، لهذا كان من الضروري أن يخترع الفينيقيون «لونا جديدا من الكتابة يناسب هذه المادة أي سطح الشمع الذي يغطي لوح الخشب، ولم تكن

الكتابة المسمارية لتلائم هذا السطح، وكذلك لم تكن تلائم الكتابة التي يصلح لها استخدام القلم والحبر كالهيروغليفية. فسطح الشمع يتطلب كتابة ذات خطوط بسيطة تخلو من التنميق والزخرف. وباختصار فقد كان المطلوب هو مجموعة محددة بسيطة من الرموز الكتابية، أي الأبجدية»[٣]. وهذا مما ساعدهم كثيرا على التعامل التجاري مع الأمم الأخرى، ولا عجب أن تؤثر هذه الأبجدية في الأبجديات العبرية واليونانية والعربية والروسية.

لقد تعرف الباحثون إلى هذه الكتابة عن طريق تلك الوثائق والنقوش التي تم العثور عليها في جبيل وأوغاريت ورأس شمرا. ينضاف إليها تلك الآثار التي وجدت في جنوب الجزيرة العربية وسيناء وإن كانت متقاربة مع الكتابة الفينيقية وليست مماثلة لها. بيد أن هذه الكتابة لم تتضمن سوى الحروف الصحيحة، وكانت خالية من حروف العلة، لهذا تحفظ بعضهم من وصفها بالكتابة الأبجدية.

ولا غرو أن يقتبس الإغريق الأبجدية من الفينيقيين الذين كانوا يخطون حروفهم من اليمين الى اليسار، ثم حورها الإغريق والرومان حيث كتبوا أبجديتهم من اليسار إلى اليمين.

«فالفينيقيون نقلوا هذه الأبجدية الى بلاد اليونان نحو القرن الخامس قبل الميلاد، وهو القلم اليوناني القديم ونقلوه إلى ما بين النهرين، فعلموه للأشوريين، وهو القلم الكلداني القديم أو الآرامي. وكان الأشوريون يكتبون بالقلم الأسفيني فأهملوه واستخدموا الحرف الفينيقي لسهولة استعماله. ومن القلم اليوناني تفرعت الأقلام الرومانية والغوطية واليوناني الحديث والسلافي، ومنها تولدت الأقلام التي تكتب بها لغات أوربا وأمريكا وغيرها»[٤].

إن نشأة الأبجدية لدى الفينيقيين كانت تقف وراءه شروط موضوعية منها العامل الاقتصادي والتجاري ومنها تطورت أدوات الكتابة مثل الأوراق البردية، الأمر الذي جعل بعضهم يعتقد بأن الكتابة الفينيقية شكل من أشكال الكتابة الهيروغليفية التي لحقها التحريف والتغيير، وقد ساعد الآرامية على انتشار أبجديتها. إنها تمثل مرحلة من المراحل المتطورة في تاريخ اللغة الذي لا يتطابق بالضرورة مع تاريخ الكتابة كما تشير إلى ذلك الدراسات اللسانية الحديثة. فقد استطاعت أن تجسد طور الكتابة الصوتية فتجاوزت الكتابة التصويرية والكتابة الرمزية ولم تعد بحاجة إلى علامة تمثل بها الشيء المراد تثبيته أو صورة للكلمة، واستغنت كذلك عن الأدوات الدالة على النوع الذي ألفيناه في الكتابات الهيروغليفية والسومرية والصينية.

والذي لا يماري فيه المؤرخون اللغويون أن الكتابة الفينيقية تمثل أبجدية الحروف الصحيحة لخلوها ـ كما ألمحنا سالفا ـ من حروف العلة، وعليه يقول (أنطوان مييه): «لقد توصل الناس حول بحر إيجه إلى تدوين اللغات تدوينا صوتيا صرفيا بواسطة بضع عشرات فقط من الإشارات واستغنوا عن ذلك التدوين المعقد ذي الإشارات العديدة المستخدمة في مصر وبابل. لكنهم اقتصروا على تسجيل المقطع أي تسجيل واقع لفظي يسهل عزله عن غيره. ولما كانت حروف المد في اللغات السامية عناصر متحولة تصلح لإنشاء الكلمات وتحديد الصيغ النحوية، فإن اللغة الفينيقية لم تدون من المقطع سوى حروفه الصحيحة وهي من العناصر الأساسية الدالة على معنى، وتركت للقارئ مهمة إضافة حروف العلة إليها»[٥]. أوضح أنطوان مييه الأسباب التي دفعت اللغات التي يطلق عليها المؤرخون السامية إلى الاكتفاء بتدوين الحروف الصحيحة، لأن الصوائت لها مهمة لغوية وصرفية ونحوية يحددها القارئ بالاستعانة بالسياق، ولهذا يتطلب من القارئ للعربية أن يفهم أولا ثم يقرأ ثانيا. ورآها بعض الذين في قلوبهم مرض من عيوب هذه اللغة وصعوبة تعلمها

والتعامل معها، غير أن لكل لغة نسقها الخاص.

ومن الأمثلة التي ساقها بدرسن حول خلو الأبجدية السامية من حروف العلة لفظة «ملك» ففي العبرية نلفي كسر الميم واللام (ملِك)، وفي العربية بفتح الميم وكسر اللام (مَلِك)، وفي الأشورية بفتح الميم وتسكين اللام (مَلْك). وهذه من الخصائص التي تتميز بها اللغات السامية عن بقية اللغات الأخرى. إن الكتابة الفينيقية تقوم على أساس المقطع الذي لم تتحدد حركة مده حسب مارسيل كوهن. والسؤال المحير كيف استطاعت الأبجدية الفينيقية أن تكتفي بالحروف، وتهمل حروف العلة محطمة وحدة المقطع.

أشار فيفريه إلى أن الكتابة السامية كتابة مجردة، ولكنها بسيطة وإن كانت لا تستعمل سوى لدى الساميين بخلاف الكتابة المجسدة التي تتألف من مقاطع يمكن تجزئتها الى عناصر منطوقة ومسموعة. ومهما يكن فقد أثنى مؤرخو اللغة ودارسوها على اختراع الفينيقيين للأبجدية التي كان لها تأثير كبير في كتابة الإغريق وغيرها؛ حيث قال رينان إن «الأبجدية الحرفية هي من إبداع الساميين»[٦]. فهي تدل على وعي لغوي متقدم دفع وايل الى القول: «ينبغي لنا أن ندرك أن اختراع الأبجدية كان في الواقع مسألة عميقة وصعبة، وجديدة كل الجدة بالنسبة للفكر الإنساني. حشدت فيها جميع طاقات الملاحظة والمحاكمة في سبيل تحليل اللغة حتى انتهى به الأمر إلى أن يدرك (ويصيغ صياغة واضحة) أن اللغة الإنسانية قابلة للتجزئة الى عدد صغير من التقطيعات تكفي إشارة واحدة لتمثيل كل منها.

ويبدو لنا هذا الموقف في غاية البداهة والبساطة، لكنه لم يكن كذلك لدى حضارات اعتادت على تسجيل اللغة عن طريق إشارات معقدة. وهي من ناحية ثانية - ونحن هنا بلا شك في مركز الصعوبة - لم تملك بعد في أدوات معارفها آلية المحاكمة المنطقية ولا تعرف كيفية طرح مشكلة ما طرحا دقيقا وإيجاد حل لها .. فلم يكن بالتالي اختراع الأبجدية وإبداعها مسألة اقتباس أو إيجاد أشكال للإشارات، كما ناقشوا ذلك طويلا. إنها مسألة أصعب وأعمق بكثير تتلخص في إيجاد حل لمشكلة من مشاكل التحليل الصوتي العلمي وقبل ذلك في طرح هذه المشكلة التي كانت في غاية الابتكار، وبلا ريب في غاية الصعوبة في نظر الأقدمين الذين نجحوا في حلها»[٧]. وهذا ما حدا بمؤرخي اللغة والكتابة لإدراك الدور الخطير الذي أداه الفينيقيون.

إن هذا الثناء الذي حظيت به الكتابة الفينيقية من قبل المؤرخين للغة والدارسين لها لم يمنع بعض المستشرقين من وصف اللغات السامية التي اخترعت الأبجدية الفينيقية بأنها تتصف بالقصور الفكري والجمود العقلي والعجز عن إدراك العمليات العقلية المجردة. وهذا ما نلمسه حتى لدى جورج مونان في قوله: «لم يوجد عند الفينيقيين (رقي فكري) صرف يتجاوز هذا الحد»[٨].

ولسنا في مقام الحجاج، لأننا بصدد توخي الموضوعية قدر الإمكان في دراستنا لفلسفة اللغة من جهة، وتاريخ الكتابة من جهة أخرى.

الكتابة الإغريقية

ΑΒΓΔΕϜΙΗΘΙΚΓΜΓ ΞΟΓΦΡΣΤΥΦΧΨ

ΑΒΓΔΕ ΖΗΘΙΚΛΜΝΞΟΠ ΡΣΤϒΦΧΥ

ΑΒΓΔΕ ΖΗΘΙΚΛΜΝΞΟΠ ΡΣΤΥΦΧΨ

إن أولئك التجار الفينيقيين الذين وصفهم هوميروس بالخبث هم من حملوا الى الإغريق الأبجدية، وهذا بشهادة أبي التاريخ هيرودت الذي قال: «لقد أدخل الفينيقيون إلى بلاد اليونان مجموعة كبيرة من الفنون، وكان من بينها الكتابة، وهو - على حد علمي - ما لم يكن يعرفه الإغريق من قبل. وفي البداية جعل

الإغريق حروفهم كالحروف الفينيقية تماما. ولكن لغتهم بمرور الوقت أخذت تتغير شيئا فشيئا، وتغيرت تبعا لها أشكال الحروف. إن ذلك معناه في عبارة أخرى أن اللهجات التي كان يتحدث بها الناس في مناطق اليونان المختلفة قد نمت وتطورت، وأخذ أبناء كل منطقة يكتبون لغتهم بحروف تأثرت بالطابع المحلي»[٩]. وقد مرت الكتابة الإغريقية بأطوار حتى بلغت مستوى من الرقي الذي هي عليه الأبجدية الإغريقية الحديثة.

ألمحنا فيما تقدم إلى أن الإغريق اقتبسوا الأبجدية عن الفينيقيين، وطوروها بحيث انتشرت في أوروبا على الصورة التي تبدو الآن كاملة، لأنهم لم يكتفوا بالأبجدية القائمة على الحروف الصحيحة، بل أضافوا إليها علامات دالة على حروف العلة. إن الإغريق كان لهم اهتمام كبير بلغتهم والولوع بدراستها أولا ومعرفة اللغات الأخرى ثانيا، وذلك ما نلمسه في إشارة هيرودت وكتاب آخرين تنبهوا إلى وجود كلمات غريبة في اللغة اليونانية[١٠]. وكنا قد تحدثنا في غير هذا المقام عن محاورة كراتيل لأفلاطون الذي قبل بوجود قسم لا يستهان به من الكلمات الدخيلة على اللغة اليونانية.

ومن الغريب ألا نصادف اهتماما لدى الفلاسفة واللغويين الإغريق بالدراسات المقارنة للغات، وهم الذين كان لهم اطلاع واسع عليها، مما جعلهم يصفون كلام سكان شمال إفريقيا بالبربرية على خلاف هذه التسمية إذ ينسبها بعض المؤرخين لغير الإغريق، هذا من جهة، واقتباسهم للأبجدية الفينيقية من جهة أخرى.

لقد اعتنى اللغويون الغربيون بالتفكير اللساني الإغريقي أكثر من عنايتهم بلغات بشرية أخرى، لكون ذلك يعود إلى مركزية الفكر الغربي الذي ترجع أصوله إلى اليونان. ثم تعللوا بأنهم عثروا على وثائق مكتوبة أمدتهم بالمادة اللغوية التي لم يظفروا بها لدى حضارات أخرى كان البحث اللغوي يقوم في الغالب على الإفتراضات والتخمينات بخلاف الإغريق الذين انكبوا على دراسة اللغة دراسة فلسفية في النشأة والأصول، فكانت تنظر إلى اللغة أيضا على أنها نسق صوري[١١] سيكون له من الأثر الكبير في علم المنطق فيما بعد. واعتبروا النحو فنا للكتابة الجيدة.

ومن الطبيعي أن يتعاملوا معها على أن لها وظيفة جدلية، وأداة للمعرفة. ومن هنا وجدنا أرسطو يخص اللغة بحديث مفصل في كتابه «فن الشعر» بعدما أولى أفلاطون جانبها الصوتي عناية خاصة. وهذا ما يؤكد أن الإغريق لما اقتبسوا الأبجدية الفينيقية كانوا على وعي متبصر بالتحليل المتميز للجهاز الصوتي للغة، فأصبح «ألف Alephå يمثل» أ. Aå في الفينيقية، وهكذا تحول حرف (alpha) A ليمثل الوحدة الصوتية لـ (A)[١٢].

وبذلك اشتملت الكتابة الإغريقية على التقطيع الثاني للغة وتجلى الجانب الصوتي في الدراسات الإغريقية للغتهم، نظرا لاهتماماتهم بالبلاغة وفن الإلقاء الشعري وفن الخطابة، والاعتماد على أشعار هوميروس بوصفها اللغة النموذجية للتعليم. لقد استكمل اليونانيون الكتابة الأبجدية ونشروها في أنحاء اليونان ثم انتقلت إلى جهة الغرب، ومنها الى أوروبا عن طريق إيطاليا وفرنسا عندما تأسست لأول مرة مدينة مرسيليا ومنها اشتقت الأبجدية القوطية والسلافية فكانت بحق مثالا لهما.

لقد تعلم الرومان الكتابة على أيدي الغزاة الذين أطلقوا عليهم اسم «الإتروسكيين»، حيث لا يعرف الدارسون أصلهم ومكانهم بالتحديد، سوى أنهم عبروا نهر التيبر من الشمال. كما أن كتابتهم مازالت مجهولة المعنى وإن كانت معلومة تاريخيا، بيد أنها تشبه الأبجدية الفينيقية وكان هيرودت قد أشار إليها، ولما استقر الاتروسكيين شيدوا المدن وبنوا المعابد وطفقوا يعلمون أهلهم الكتابة والقراءة، وبعدما تمكن الرومان من طرد الغزاة من بلادهم احتفظوا بأبجديتهم

وأدخلوا عليها تعديلات. «ويمكن أن نقارن في الشكل التالي بين الحروف الاتروسكية التي تعود إلى حوالي عام ٧٠٠ ق.م، وما تحتها من حروف لاتينية هي أقدم ما عرف من نوعها. وقد حفرت هذه الحروف اللاتينية على حلية ذهبية، وجدت في روما، في عام ٦٠٠ ق.م.

ABCDEFIBΘIKLMNΘOΓMQPΣTKXΦ

الحروف الأبجدية الاتروسكية

الحروف الأبجدية الاتروسكية

MANIOSMEDFHEFHAKEDNVMASI

أقدم كتابة لاتينية معروفة

أقدم كتابة لاتينية معروفة[١٣]

وسرعان ما تخلى الرومان عن هذه الأبجدية ونقلوا الأبجدية الإغريقية لأن اليونان كانوا قد أنشأوا مستعمرات ومدنا في جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، ولكنهم اكتفوا باثني عشر حرفا دون تغيير A.B.E.H.I.K.M.N.O.T.X.Y، أما بقية الحروف اليونانية فعدلوها أو استغنوا عنها مثل حرف Z. ومن الحروف التي أضافوها L.S.P.R.D.V، وأحيوا حرفي F و Q المهجورين.

يعود الفضل في ذلك إلى فولفيلا (٣١١م - ٣٨٤م) بالنسبة للقوطية حيث اقتبس من الأبجدية اليونانية كل الحروف التي تماثل ما هو موجود في اللغة القوطية، أما ما هو غير موجود في الأبجدية اليونانية فقد استقاه من أبجديات لغات أخرى. أما الأبجدية السلافية فقد اضطلع بها كل من سيريل (٨٢٧ - ٨٦٩م) وميتود . ولهذا كانت هاتان الأبجديتان سهلتين بالمقارنة إلى الكتابات الأخرى التي أخذت أبجديتها من غير الأبجديات الإغريقية التي يعود تاريخها الى حوالي سبعة وعشرين قرنا. لقد فرضت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الحروف اللاتينية على كثير من بلاد الغرب بواسطة التبشير المسيحي، بينما كان الأمر مختلفا بالنسبة إلى بعض شعوب أوروبا الشرقية - ما عدا بولونيا - حيث مارست شعائرها الدينية بلغاتها المحلية.

الهوامش:

(١)J. Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973, pp22

(٢) تاريخ اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص ٦٣.

(٣) قصة الكتابة والطباعة ص ٧٥ - ٧٦.

(٤) جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق مراد كامل، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط٢ ، ١٩٨٢، ص ١٦٧.

(٥) ينظر تاريخ اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص ٧٣.

(٦)E.Renan, Grammaire Generale et Compare'e des langues se'miques, pp 114.

(٧) ينظر تاريخ اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص ٧٨ - ٧٩.

(٨) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٩) قصة الكتابة والطباعة، ص ١٠١.

(١٠)R.H.Robins, Bre've Histoire de la Liguistique de platon a Chomsky, Trad: Maurice Borel, ed Seuil, Paris, 1976, PP 14.

(١١)Le Iangage cet inconnu, PP 79.

(١٢)R.H.Robins, Bre've Histiore de la liguistique de Platon a Chomsky, PP 16.

(١٣) قصة الكتابة والطباعة، ص ١١٥.

الفرق بين البدن والجسد والجسم

إن الانسان ليعجب عندما يجد بعض الناس يربط بين شيئين، لا يتصور - من أول وهلة - أن بينهما صلة، فإذا فكر في الأمر وتدبره، ثم تدبر ما آل إليه الأمر وجد الصلة قائمة والرابطة ماثلة.

فلو قال لنا إنسان إن نهضة الأمة وحضارتها، وتقدمها ورقيها، له صلة ما بلغتها، وأساليب حديثها لعجبنا من ذلك، وضربنا الأمثال في أمم قد تبدلت لغاتها، وتغيرت لهجاتها، ومع ذلك لم يؤثر ذلك على تقدمها وحضارتها ولو ظاهراً ولكن الحقيقة هي أن الأمم لا يقاس تقدمها وتأخرها بالصناعة والزراعة - ولا بالاكتشافات والاختراعات - عند الأمم التى عرفت أن حسن العاقبة عند الله وسوءها هو الذى يبين مدى تقدمها ونهضتها، فجيل الصحابة الكرام لم يكن فيه صناعات ولا مخترعات مع أنه خير القرون وأفضل الأجيال، وفي تلك الحقبة من الزمن نهضت الأمة من كبوتها وارتفعت إلى أعلى مراكز التقدم، وهي التى مكن الله لها في الأرض، وفتح لها العباد والبلاد.

وفي المقابل لا يقال بأن الفراعنة الذين بنوا الأهرامات ، ولا يقال عن قوم صالح الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارهين، ثم أهلكهم الله تعالى لما ظلموا - لا يقال عن هؤلاء إنهم متقدمون - ولو كانوا أصحاب حضارة مادية بحتة.

فالتقدم الحقيقي في نظر العقلاء هو كيف تسير أمور الدنيا جنباً إلى جنب مع أمور الآخرة في كل مجال من مجالات الحياة ، فلا نترك هذه لهذه ولا هذه لهذه، أقول ذلك لأننا لا ندري، أن تقدمنا نحن العرب والمسلمين مرهون - بعد إسلامنا - بلغتنا التي هي من الإسلام حتى قال الشيخان عبد الفتاح الصعيدي عضو مجمع اللغة العربية وحسين يوسف في مقدمة كتابهما الإفصاح في فقه اللغة[١]، فان بين لغة الأمة وأحوالها صلة وثيقة، وقرابة وشيجة، فهي لسان نهضتها، ومذود زعامتها وقيادتها، بها تستثار الهمم، وتستحث العزائم، وببيانها تكشف الجهالات، وتقال العثرات، وتتقى الملكات، ويستذكر المجد التالد، وتتوثق الروابط... الخ.

ولذلك كانت معرفة اللغة، والاهتمام بها رمز التقدم والرقي، وفي هذا اليوم أحاول بيان الفرق بين ثلاثة ألفاظ نستعملها في شيء واحد، ولكنّ بينها فرقاً لطيفا. لذا يمكن استعمال كل واحد منها مكان الآخر - تلكم هي: (البدن، والجسد، والجسم) فما هو الفرق بينها؟.

لم أجد أي صعوبة في بيان معنى الجسم، إلا أن اللغويين اختلفوا في بيان معنى البدن، ومعنى الجسد، ومعرفة المعنى اللغوي الأساسي هو الذي يبين الفرق بين معاني الكلمات.

أما الجسم. فقد قال أبو هلال العسكري في الفروق هو الطويل العريض العميق[٢].

يعني ماله طول وعرض وعمق.

وقال ابن فارس: الجيم والسين والميم: يدل على تجمع الشيء[٣].

وأما البدن فهو شخص الانسان دون أطرافه، ولذا تسمى الدرع التي تلبس على الصدر (بَدَنًا) لأنه ليس لها أطراف.

ويقال لمن قطع بعض أطرافه قُطِعَ شئ من جسده، ولا يقال قُطع شئ من بدنه وبعض اللغويين يرى أن البدن ما سوى الرأس والأطراف.

واتفقوا على أن البدانة تدل علي الفخامة كالبادن، وسميت البَدَنَة بَدَنَة لأنها كانت تسمّن وتُنحر بمكة عند الانتهاء من الحج[٤].

وأما الجسد ، فهو يفيد الكثافة .. والجسد أيضا الدم بعينه قال النابغة:



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب
جامعة ام القرى - مكة المكرمة

فلا لعمر الذي مسَّحْتُ كعبته
وما هريق على الأنصاب من جسد

فيجوز أن يقال لجسم الانسان: جسد، لما فيه من الدم، فلهذا خصّ به الحيوان فيقال جسد الإنسان، وجسد الحيوان ولا يقال جسد الخشبة، ويقال ثوب مجسَّد إذا كان يقوم من كثافة صبغه، وقيل للزعفران جساد تشبيها بحمرة الدم[٥].

والمفسرون ذكروا معاني غير هذه[٦]، وذلك في قوله تعالى: {واتخذ قوم موسى من بعده من حُلِيِّهم عجْلا جَسَداً له خُوَار}[٧]، وقوله تعالى {فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار}[٨]، وقوله سبحانه {وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين}[٩].

واختلفوا هل يطلق لفظ الجسد على ماله روح أو على ما لا روح له[١٠] وذكر البيضاوي أن الجسد جسم ذو لون ولذلك لا يقال للماء والهواء.. وقيل الجسد جسم ذو تركيب، لأن أصله جمع الشيء واشتداده[١١] وعلى هذا يكون الفرق بين هذه الكلمات الثلاث ما يلي:

إن البدن شخص الانسان دون رأسه وأطرافه.

والجسم ما كان له طول وعرض وعمق كثيفاً أو بسيطا أي لطيفاً كالهواء، والجسد جسم كثيف شديد ذو لون، جثة بلا روح[١٢].

وكل هذه الالفاظ الثلاثة: البدن والجسد والجسم تدل على الأشياء المحسوسة. فلا يقال للمشكلة والمعضلة: أمر جسيم، ولا يقال مشكلة بدنية. أو جسدية إلا مجازاً[١٣].

(قلت) ويستطيع الباحث أن يستخرج من قوله تعالى. {وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام} أن الجسد ليس ذا حياة؛ لأن الله تعالى نفى عن الجسد أنه يأكل الطعام.

فائدة. هذه الكلمات مع هذه الفروق يقوم بعضها مقام بعض فيقال جسد فلان طيب، كما يقال بدنه طيب، وجسمه طيب، لكن موضوعنا هو الفرق بين هذه الكلمات في أصل الوضع.

الهوامش:

(١) ص (ق) من المقدمة.

(٢) الفروق لابي هلال العسكري ص ١٣٠ وانظر كشاف اصطلاحات الفنون. للعلامة محمد على بن على بن محمد النهانوي المنفي ت ١١٥٨هـ مكتبة الباز مكة المكرمة ٣٤٩.

(٣) مقاييس اللغة ص ٢١٥ وانظر التعريفات للجرجاني دار الباز ط ١، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ص ٧٦.

(٤) الفروق لأبي هلال العسكري ص ١٣٢ المغرّب في ترتيب المعرب للمطرزي دار الكتاب العربي ص ٣٧ والمصباح المنير للفيومي ٣٥٨ والوسيط ص ٤٤ مادة (بدن) وانظر مقاييس اللغة لابن فارس ص ١١٩.

(٥) الفروق لابي هلال ص ١٣١، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي دار الباز مكة المكرمة من ٣٠.

(٦) قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/٢ عند قوله تعالى (فأخْرج لهم عجْلا جَسَدًا) وقد اختلف المفسرون في هذا العمل هل صار لحماً ودما له خوار، أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر؟ على قولين.

(٧) الأعراف الآية ١٤٨.

(٨) طه الآية ٨٨.

(٩) الأنبياء الآية ٩

(١٠) ذكر القرطبي في تفسيره ٢٧٣/١١ عن الكلبي أنه قال: الجسد هو المتجسد الذي فيه روح، يأكل ويشرب، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسما، وقال مجاهد الجسد مالا يأكل ولا يشرب. فعلى مقتضى هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفسا.

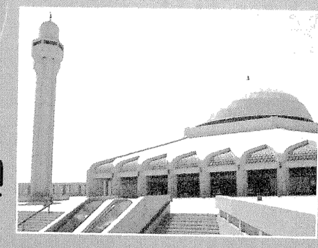
وفي تفسير البغوي معالم التنزيل ٢٨٣/٣ قال: جسدا حياً لحماً ودماً، وكذا في تفسير الجلالين ص ١٧٧. وذكر في الدر المنثور للسيوطي ج ١٣٧/٤ أن الله نفخ في العجل الروح. وانظر تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم ٢٧٣/٣ و٣٦/٥ وانظر جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي الشافعي ٢٣٥/١ ذكر أن الجسد بلا روح، وكذلك كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ٨٣/٢.

(١١) انظر لكلام البيضاوى. كشاف اصطلاحات الفنون التهانوي ٢٦٥/١.

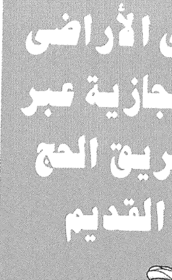
(١٢) نقل الإيجي في جامع البيان ٢٣٥/٥ عن ابن عباس رحمه الله. أنه كان يقول: لا والله ما كان له صوت، وليس له روح، إنما كان الريح تدخل من دبره، وتخرج من فيه، والصوت من ذلك، وانظر بهجة الاديب في بيان ما في الكتاب العزيز من الغريب للتركماني ص ٨٧.

(١٣) الفروق لأبي هلال ص ١٣٠.

في البلدان والصحراء ..
في التقاليد والأعراف
في ثقافات وجوه الناس
التي يستشرفها
الملاح ويرسم الطرف



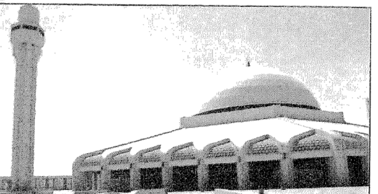
بيوت الله



إلى الأراضى الحجازية عبر طريق الحج القديم



السائح



بيوت الله



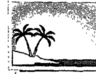
المساجد (بيوت الله) ملتقى أفئدة المؤمنين الموحدين، ومجمع نفوسهم الطاهرة الزكية، في المساجد يلتقون يصلون ويعبدون الله سبحانه، يذكرونه ويسألونه الخير كله.

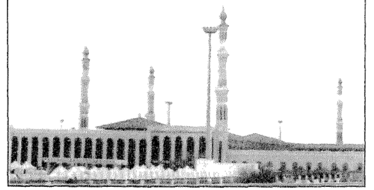
يتدارسون كتاب الله، ويتذاكرون سنة رسوله {صلى الله عليه وسلم}. ويستعيدون السيرة العطرة للصحابة والتابعين الأخيار.

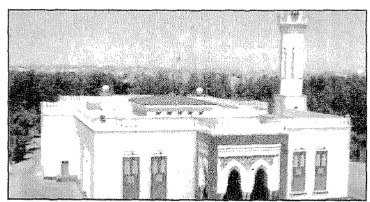
يتذاكرون أمجاداً خلت، يرون فيها نماذج البطولة والرفعة.

هذه المساجد، دعا الدين الحنيف الى بنائها وحسّ على ذلك، وضمن الأجر





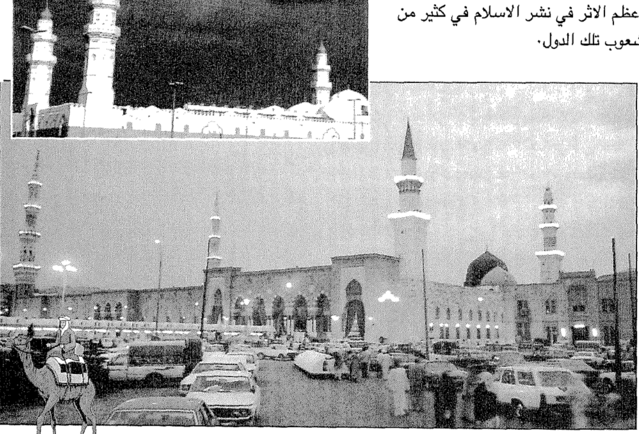




والمثوبة العظمى للقائمين عليها انشاءاً وعمارة، وعناية بها .

ودعا المسلمين كافة لاعمارها بالصلاة والذكر ومدارسة علوم الدين فيها .

بهذه المضامين العالية للمساجد، فقد اهتمت المملكة العربية السعودية حكومة وشعباً بتأسيس المساجد واعمارها . حتى بلغ عدد المساجد في المملكة اكثر من خمسين ألف مسجد تغطى كل انحاء المملكة . ليس هذا فحسب، بل عملت المملكة على تأسيس واقامة المراكز الاسلامية والمساجد الضخمة في كل انحاء العالم الاسلامي، وفي دول الأقليات المسلمة في اوروبا شرقيها وغربيها وفي أمريكا، مما كان له اعظم الاثر في نشر الاسلام في كثير من شعوب تلك الدول.



إلى الأراضى الحجازية عبر طريق الحج القديم

لم تكن رحلتي إلى أرض الحجاز بغرض المشاهدة والمتعة والتعرف على أهلها، عاداتهم، تقاليدهم، ثقافتهم، أو التطلع إلى ما وقفوا عنده من رقي وتقدم، لكنها سمت فوق ذلك في معناها ومغزاها، فقد ملأت العقل راحة والنفس رضا وتشبعت بها روحي التواقة المشتاقة لزيارة الأماكن المقدسة بيت الله الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة ومشاهدة مشروع التوسعة الحديثة للحرمين الشريفين وما جرى في المدينتين المقدستين من تطوير وتحديث إبان العهد السعودي الرشيد لخدمة حجاج بيت الله الحرام وزواره ومعتمريه.

اخترت أن تكون سفرتي لقضاء العمرة بالطريق البرى حتى يكون اشتياقى أكثر ومتعتي أشمل، وحتى أعود نفسي على الصبر والامتثال للأعمال والأسفار في هذه الرحلة المباركة. ورغم طول الطريق ومتاعبه ومشاقه كنت أشعر بالراحة والطمأنينة التى يسرتها لنا السبل الحديثة للطرق الجيدة ووسائل المواصلات المريحة بعد أن تلاشت الدروب الضيقة ومدقاتها واختفى بمرور الزمن ركوب الجمل واحتياجاته من مراع ومعالف واستحدث بدلا منها السيارة والوقود واستعيضت المراكب الشراعية بالعبَّارات والبواخر والسفن العملاقة وجاءت الطائرات النفاثة التى تسبق سرعتها الصوت.

خرجت من بيتي مودعا أسرتي الصغيرة زوجتي وطفلي «محمد» وهبه» أدعو الله أن أعود إليهم كاسباً غانماً ولسان حالى يقول: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إنى أعوذ بك أن أزل أو أُزَل، أو أضل أو أُضل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ووحشة الطريق وكآبة المنقلب، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل أصحبني في سفرى وأخلفني فى أهلي يارب العالمين.

قطعت الطائرة الايرباص مسافة ألف كيلومتر من أسوان الى القاهرة في ساعة وربع الساعة حيث تبدأ الرحلة من ميدان العباسية بالحافلة المجهزة في الساعة العاشرة من مساء يوم الجمعة الموافق التاسع عشر

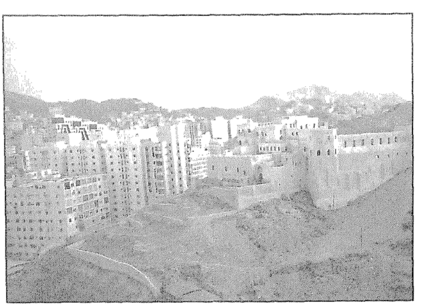
فتحى عبدالحميد المراغى
- مصر -



صورة لمكة المكرمة أخذت عام ١٨٨٥ م

من شعبان ١٤١٨هـ التاسع عشر من ديسمبر ١٩٩٧م٠٠ وصلت الحافلة إلى السويس بعد أن قطعت مسافة ١٤٠ كيلومتر في أقل من ساعتين وعبرت قناة السويس خلال نفق الشهيد أحمد حمدى ذلك العمل الهندسي الرائع الذى تجلت قيمته في هذه الرحلة المباركة بربط مصر بشرق العالم العربي وغربه باعتبار سيناء بوابة مصر الشرقية لاتصالها ببرزخ السويس ووادى النيل، ولهذا فسكانها هم من القبائل العربية الذين قدموا من فلسطين وشبه الجزيرة العربية منذ الهجرات الأولى وكانوا يعملوا في حرفة التجارة والنقل وخدمة الحج، وتذكرت انتصارات أكتوبر ١٩٧٣م والتى كان للمملكة العربية السعودية دور بارز في تحقيقها بقرار الملك فيصل بن عبد العزيز «يرحمه الله » بوقف ضخ البترول وكان ذلك امتداداً لسياسة أبيه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود «طيب الله ثراه» الذى عمل على جمع شتات العرب وتوحيد كلمتهم والرقى بمصالحهم ومن ثم كانت السعودية إحدى الدول العربية السبع المؤسسة لجامعة الدول العربية في ٢٢ مارس عام ١٩٤٥م وفي نفس العام يوم ٢٤ أكتوبر انضمت السعودية كعضو في الأمم المتحدة وقد اتبع هذه السياسة الحكيمة أيضا خادم الحرمين الشريفين الملك «فهد بن عبد العزيز» أطال الله عمره، وكذلك ولى عهده سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز «حفظه الله»٠

لم تكن رحلتى إلى الحجاز وليدة اللحظة التى عزمت فيها على السفر، فهى في قلبى موصولة منذ باكورة صباى تعتمل في صدرى، تترقرق في نفسى، كان عمرى لا يتجاوز السادسة عندما صحوت على صوت أمي يجلجل أركان الغرفة المضاءة بقمر نصف شعبان، ارتميت في حضن جدتى فضمتنى وربّتتْ على

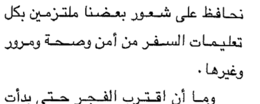

مكة المكرمة حيث يتنشر العمران فوق جبالها

ظهرى والدموع تزرف من عينى تجول في عينيها، وجدى يتلو آيات من القرآن الكريم ليهدىء من روع أمي ويمسح العرق المتصبب من جبينها وهى طريحة فراشها، عيناها مفتوحتان تنظر إلى سقف الغرفة تبدو كما لو كانت في سفر طويل تروى ما تشاهده في التو واللحظة تصف بيت الله الحرام والكعبة المشرفة والصفا والمروة وتشرب من زمزم، وتطير إلى المدينة المنورة تصلى في المسجد النبوى الشريف وتسلم على الرسول الكريم صلوات الله عليه وآله: وعلى صاحبيه أبى بكر وعمر - رضوان الله عليهما - .

أخرجنى من التفكير في الماضى وذكرياته وبطولاته العظيمة شاشة التلفاز التى أنارت داخل الحافلة تعرض فيلما مسجلا عن الحج ومناسكه فاهتز جسدى وارتجف فؤادى مع نداء تلبية الحجاج، والحافلة مازالت تشق طريقها بين تضاريس سيناء الصعبة في هضبة التيه ذات الأرض المقفرة الوعرة والتربة الجامدة حتى توقف محركها ووقفت أمام كافتريا كشفت أضواؤها عن صحراء جرداء قليلة العمران في مدينة «نخل» عادت الحافلة تشق الظلام

وذاكرتى تستجلى ما انطبع في عقلى وما وقر في قلبى عن فريضة الحج للقادر المستطيع «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا..» وتذكرت الطرق القديمة ومرور قوافل الحجاج عليها ووقوفها عند مدينة نخل عاصمة سيناء في القديم ومحطتها الرئيسية الى ساحل خليج العقبة ذلك الطريق الذى سلكته الملكة شجرة الدرمع قافلة الحج بعد عام ٦٤٥هـ إلى أيلة «العقبة حاليا» ومنها اتجهت إلى مكة المكرمة واستغرقت رحلتها خمسين يوما ليصبح هذا الطريق مسلكاً ومقصداً لحجاج بيت الله الحرام بديلا عن الطريق الجنوبي الذى كان يبدأ من مدينة قفط على النيل ومنها إلى صحراء مصر الشرقية إلى ميناء «عيذاب» (القُصير حاليا) يعبر منه الحجاج بالمراكب الشراعية إلى الموانىء الحجازية كانت مصر منذ القرن الأول للهجرة محطة رئيسية للحجاج القادمين من افريقيا والأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط والبلدان الاسلامية في اوربا، وقد وصف الرحالة العظماء أمثال ابن جبير الأندلسي وابن بطوطة وناصر خسرو الفارسى وابن خلدون ذلك الطريق ومتاعبه وهول البحر ومشاقه ومع مرور الزمن عرف طريق البحر من السويس بالمراكب الشراعية حتى الحجاز في رحلة طويلة تستغرق ثلاثة أسابيع.

مازال الطريق طويلا والحافلة تشق طريقها بين جبال سيناء الجنوبية تتسربل بالظلام تتلوى مع انحناءات ذلك الطريق، تتفادى جنباته المرتفعة حتى بلغنا نهايته بسلام، فاستردنا أنفاسنا ووقفت الحافلة عند نقطة التفتيش الحدودية حيث تقع طابا المصرية وميناء إيلات الإسرائيلي، كنا ثلاثة وثلاثين معتمرا بين شباب وشيوخ، رجالا ونساء، أنست معهم برفقة طيبة



المدينة المنورة العام ١٨٥٢ م

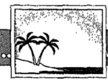
نحافظ على شعور بعضنا ملتزمين بكل تعليمات السفر من أمن وصحة ومرور وغيرها .

وما أن اقترب الفجر حتى بدأت خيوطه تتسلل بين قمم الجبال تجلو الظلام، يكشف عن الطريق الساحلى المؤدى إلى ميناء نويبع الذى بلغناه في الساعة السادسة من صباح اليوم التالى، تركنا حافلتنا واتجهنا إلى المسجد الصغير تحت سفح الجبل نصلى الصبح ونجلس على الكافتريا القريبة نتناول طعام الإفطار وكانت لنا جولة سريعة في المدينة قبل دخولنا أرض الميناء في الساعة الثانية عشر ظهرا، لفت انتباهى خروج ودخول سيارات كثيرة ولوريات كبيرة محملة بالبضائع تحمل لوحاتها المعدنية أسماء دول عربية كالأردن وسوريا ولبنان والسعودية ومصر في حركة تجارية نشيطة تمتد إلى النشاط التجارى القديم الذى حرص على نهضته عمرو بن العاص بعد فتحه المبارك لمصر عام ٦٤١م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذى أمر بحفر قناة أمير المؤمنين لربط النيل بالبحر الأحمر كما ترجع إليه أيضا فكرة ربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط وذلك لتسهيل حركة التجارة ونقل الغلال من مصر إلى الحرمين الشريفين وتأمين عملية نقل الحجاج من مدينة السويس البوابة الشرقية التى تربط مصر بالحجاز والشرق الأقصى وكان ركب الحجاج يخرج من القاهرة الى السويس ومنها الي العقبة حتى الأراضى الحجازية، وتوقف هذا الطريق قليلا أثناء فترة الحروب الصليبية في القرن الحادى عشر الميلادى وتحول في عهد الملك العادل الأيوبي إلى قوص وعيذاب جنوب مصر، وباستيلاء الملك الظاهر بيبرس البند قداري على أيلة عام ١٢٦٧م عاد طريق السويس إلى نشاطه وأمن الطريق البحرى والبرى الذى كان يبدأ من القاهرة من عند بركة الحج إلى السويس فالبويب والحمرة والشيخ التكرورى وبئر مبعوق وعين سدر وقلعة النواطير الثلاث ودية الحاج وقلعة نخل ودية البغلة حتى أيلة ومنها إلى الأراضى المقدسة في الحجاز ولهذا أنْشئت على طول الطريق الخانات وحفرت الآبار وملئت الفساق بالماء حتى يتزود منها الحجاج، ولوضع الحجاز المقدس وموقعها التجارى والاستراتيجى الهام على البحر الأحمر ولقربه من طريق رأس الرجاء الصالح اتجهت أنظار العالم قديمه وحديثه إليه فكان الاعتداء البرتغالي الذى كان يمثل خطراً على الأمة الاسلامية ولهذا اتجه المماليك إلى الحجاز في محاولة للقضاء على البرتغاليين الذين هددوا الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبدخول السلطان سليم الأول مصر عام ٩٢٣هـ - ١٥١٧م كانت قد بدأت على أرض الجزيرة العربية بوادر بزوغ حركة إصلاحية دينية كبرى يقودها المصلح الدينى الإمام محمد بن عبد الوهاب يسانده أمير الدرعية السياسى البارع محمد بن سعود فاجتمع

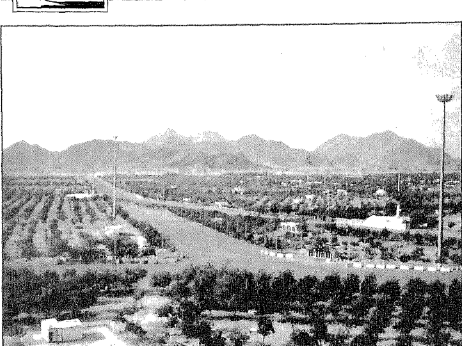
رجل الدين مع رجل السياسة لمقاومة كل معتد أثيم فخضع الحجاز لهم فترة قصيرة، وقاوموا آل عثمان الذين اتخذوا من جده قاعدة لحكمهم حتى أنهم أطلقوا عليها اسم ولاية الحبشى وعينوا عليها واليا عثمانيا يخضع لسلطة شريف مكة وفي أوائل القرن التاسع عشر الميلادى فتح سعود الثانى مكة عام ١٢١٨هـ - ١٨٠٣م ودخل المدينة المنورة بعدها بعامين وكانت الدولة العثمانية بصفتها المدافعة عن الخلافة الإسلامية تحاول السيطرة على الحجاز فأوعزت إلى والى مصر محمد على باشا عام ١٨١١م لاسترداد الحجاز ولكنه خاض حربا ضروساً طويلة لا يعلم مداها إلا الله كانت من أشق الحروب وأصعبها فقد أزهقت فيها الأرواح ونزفت فيها الأموال في مناطق صعبة مترامية الأطراف بين الفيافي والقفار قطعوا خلالها مراحل بعيدة بين طرق وعرة شديدة القيظ قليلة المؤن نادرة المياه، واجهوا خلالها مقاومة ضارية من آل سعود أصحاب الحق والبلد واستمرت هذه الحرب من عام ١٨١٢م - ١٨١٩م عادت بعدها جيوش محمد على إلى مصر بطريق الحج القديم وتركت قبائلها تتنازع تساندها أطماع خارجية حتى بعد الحرب العالمية الأولى. وتشاء الأقدار أن يتولى أمر البلاد حاكم صالح عادل، شاب مخلص مجاهد وسياسى بارع هو الملك عبد العزيز آل سعود بعد كفاح مرير وجهاد نفسى عظيم فأصلح شئون البلاد وأحوال العباد وجمع شتات القبائل المتفرقة بالود والوفاق وضم الحجاز وأصبح الحارس الأمين لحماية الحرمين الشريفين وحجاجه ومعتمريه وزواره فأقام مملكته على التوحيد فأنشأ المؤسسات الخيرية الدينية وشكل هيئة من كبار العلماء لخدمة بيت الله الحرام والحرم النبوى الشريف وبنى أول مصنع في المملكة العربية السعودية لكسوة الكعبة المشرفة وشق الطرق وانتشرت على طولها المرافق والخدمات تيسيراً على ضيوف الرحمن فكانت هذه الأسس هي القاعدة التى انطلق منها أبناؤه من بعده الملك سعود والملك فيصل والملك خالد يرحمهم الله فحملوا على عاتقهم هذه المسئولية الكبرى وسار على هديهم القويم الملك فهد بن عبد العزيز - أطال الله عمره - الذى آثر أن يطلق على نفسه لقب خادم الحرمين الشريفين فعمل على استمرار المسيرة بتطوير البلاد وتوسيع الحرمين الشريفين يساعده أخوته وعلى رأسهم ولى عهده سمو الأمير عبد الله «حفظه الله» فاتسعت الأعمال المعمارية وازدادت أطوال شبكة الطرق الحديثة السريعة بمواصفاتها العالمية لربط أطراف المملكة بالمدينتين المقدستين لخدمة المواطنين والحجاج والمعتمرين القادمين من كل فج كل وقت وحين.

العبارة العملاقة تتسع لاستيعاب جموع المسافرين بسياراتهم والمركبات الكبيرة المحملة بالبضائع والتى أراها الآن تتحرك في اتجاه الرصيف، ألقينا أنفسنا فى بطن العبارة وفي أعماقها البعيدة، الماء يندفع عالياً من مؤخرة العبارة كرغاوى الصابون، يتطاير رزازه يدغدغ وجوهنا ونحن جلوس على سطح العبارة نملأ بطاقات الصعود ومقدمتها تداعب صدر الخليج فوقفت مشدوهاً وعيناى تجولان هنا وهناك تتأمل الطبيعة الخلابة ومناظرها الجميلة في لوحاتها الابداعية التى من صنع الله سبحانه، المياه فيها صافية زرقاء كلون السماء تمتد فيها الجبال بألوانها المختلفة من بنى وقرمزي وأسود وأبيض واللون الأصفر للرمال التى على الشطوط تترقرق حبيباتها بأشعة شمس الأصيل.

العبارة تشق الماء تتجه إلى الشمال تبتعد عن الميناء الذى بدأت معالمه تتصاغر ويبدو بوضوح الشاطىء الغربي للخليج بجباله المرتفعة وتباين أشكالها وألوانها، ومالت الشمس إلى الغروب وراحت



تختفي رويدا رويدا بين جبال شرم الشيخ وصخرته الكبيرة عند مدخل خليج العقبة وهمزة الوصل بين مصر والمملكة العربية السعودية التى أرى شواطئها الغربية على مرمى البصر ممتدة حتى حدود ميناء طابا تقريبا والتى اقتربنا منها وتبعد عن نويبع بنحو ٧٥كم، فتذكرت طابا نقطة الحدود المصرية منذ القديم، فقد كانت الخط الفاصل بين ولاية الحجاز «عندما كانت تابعة للدولة العثمانية» ومتصرفية القدس.. والمقصود بها فلسطين، وطابا بقعة صغيرة من الأرض مثلثة الشكل رأسه يقع على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتد تقريبا حتى المفرق «طريق غزة العقبة» أحد المفارق الرئيسية لطريق الحج القديم، وعلى جزيرة صغيرة لا تبعد عن ساحل طابا سوى ٢٥٠ متراً بني عليها صلاح الدين الأيوبي قلعة حصينة مازالت آثارها باقية شاهدة على قصص البطولة والنضال ومدى اهتمام حكام المسلمين على مر العصور لتأمين طرق الحج القديم كطريق الحج الصاعد على النيل إلى قوص ثم عيذاب «القُصير حاليا» على البحر الأحمر، والطريق الأدنى أو درب الشعورى في منتصف القرن السابع الهجرى والقرن الثالث عشر الميلادى واستخدم هذا الطريق للجيوش أثناء الصراع مع الصليبيين في رأس خليج العقبة، أما طريق درب الحج القديم والمعروف باسم طريق الحج الأوسط فهو الطريق القادم من عجرود ماراً ببئر المر فممر متلا «الثغار» ووادى متلا



وادي عرفه وقد زرع بالاشجار

«صدر الحيطان - روس النواطير» فهضبة التيه حتى نخل وثمد فرأس النقب حيث قلعة الجبل هذا الطريق سلكته جيوش محمد على إلى الحجاز بقيادة ابنه «طوسون» في عام ١٨٤٠م، مرت عليه هذه الجيوش أثناء عودتها من الشام بقيادة ابراهيم بن محمد علي وهذه الطرق والمسارات مرت عليها الهجرات القديمة وكذلك الرسل والأنبياء عليهم السلام.. رغم العتمة التى اختلطت بزرقة الماء وظلام الليل ووشوشة الموج الذى أحاط بالعبارة لم يصبنى خوف من تلك الأمواج المتلاطمة التى كانت تداعبني بابتسامة عريضة.

بعد أقل من أربع ساعات كانت العبارة قد أخذت مكانها على رصيف ميناء العقبة بمساعدة رفاصين صغيرين ولم أبرح مكانى وأنا واقف على السور الحديدي فأمامى صورة حية عند الحدود، طابا وفندقها يقف شامخاً بين ثنايا الجبال سمعت الواقف بجوارى من المسافرين وهو عربي أصيل كانت خواطره تشاركني دون سابق معرفة فقد شدنا منظر الطائرات

التى تحلق فوق مسافة محدودة لا تجرؤ أن تقترب من طابا أثناء هبوطها مطار إيلات الإسرائيلي فابتسمت لهذا الخاطر الجميل وتركت الشرفة مع جموع المسافرين لإنهاء إجراءات دخولنا أرض المملكة الأردنية الهاشمية وخرجنا من بوابة الميناء على الطريق الساحلى تحفنا جبال عالية تنحدر منها منازل بيضاء اللون أنيقة تحوطها أشجار نخيل فنحن على أرض العقبة التى تبعد عن السويس ١٩٠ ميلا بالطريق البرى و١٥٠ ميلا بالطريق البحري فهى ذاتها أيلة القديمة التى دخل أهلها من النصارى الإسلام بدعوة السلام للرسول عليه الصلاة والسلام في السنة السابعة من الهجرة ومن هذا المكان تهفو قلوب المسلمين وتتطلع أبصارهم الى القدس الشريف قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين ومن أجله كانت غزوة مؤتة ضد الروم في السنة الثامنة من الهجرة عام ٦٣١م وكذلك غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة ٦٣٢م والأولى تقع في الأردن والثانية تقع شمال المملكة العربية السعودية في مواجهة ميناء نويبع المصري.

بلغنا منفذ المدورة الأردنى بعد منتصف الليل بعد أن قطعنا طريقاً طويلا ممهداً مرصوفاً يرتفع كثيرا وينخفض أكثر لمروره في منطقة صعبة صخورها جامدة تتخللها أشجار نخيل ونباتات صحراوية كشفت عنها ومضات السيارات المارة على قارعته فالطريق يحتاج الى إضاءة أوسع وعلامات مرورية وإرشادية أشمل، وعلى بعد أقل من كيلومترين من المدورة تراءى لنا منفذ حلة عمار فأصبحنا قاب قوسين أو أدنى من الأراضى السعودية ويعجز القلم عن البيان في هذه اللحظة في وصف منفذ حلة عمار في تألقه وأضواء كشافاته التى وضحت معها الصحراء تجرى فيها خطوط من الطرق المرصوفة قادمة من بلدان عربية أما المنفذ فهو متعدد المبانى كثير الساحات والممرات والصالات يغلب عليه طابع النظافة والنظام هذا بالإضافة الى حسن معاملة القائمين فيه على العمل إذ يسروا لنا كل السبل من اجراءات دخولنا أرض المملكة في وقت قياسى وودعنا كما استقبلنا بحفاوة وترحاب منقطع النظير.

الساعة في معصمى تشير إلى الرابعة صباحا والحافلة تسلك الطريق الصحراوى في تبوك ومع أول ضوء للصباح الذى أعشقه في بواكيره اتسع الفضاء أمامى وتناسقت فيه الألوان من زرقة السماء وسواد الطريق المزفت بالأسفلت

مستشفى أجياد والنفق الذى يمر تحت الحرم الشريف



الناعم واصفرار رمال الصحراء وتلالها وكثبانها والتى تبدو كجبال من ذهب خالص بفعل أشعة الشمس التى بدأت تنتشر وتملأ الدنيا نوراً ودفئا فشعرت بالأمن والأمــــان، رغم السكون الرهيب الذى ســيطر على الصحراء الشمالية للمملكة وهى واحدة من صحراوات ثلاث والثانية صحراء النفود والثالثة صحراء الربع الخالى في الجنوب وكلما توغلت الحافلة في الطريق كان اللون الأخضر ينتشر ويبدأ اللون الأصفر في الأفول لكيلومترات طويلة تنتشر فيها المزارع بعد أن استصلحت الصحراء وتوفرت المياه بحفر الآبار فاتسعت واحة تبوك والمنطقة الشمالية التى تعتبر همزة الوصل بين الشـمـال والجنوب والطريق القـديم الذى يربط اليمن ببلاد الشام، ومن تبوك اتجهت الحافلة شرقاً ثم جنوبا حتى مدينة القليبية فتوقفنا في ساحة متسعة عند مدخلها نصلى في مسجدها ونقضى بعض الراحة ونتناول طعام الإفطار في مقهى انتشرت مقاعده بين أشجار ظليلة وخضرة يانعة، أما الصلاة فكنا قد عزمنا على الاستفادة من إجازة رب العالمين لخلقه أثناء السفر بتقصير الصلاة الرباعية إلى ركعتين وأن نجمع بين الظهر والعصر تقديماً في وقت الظهر وتأخيرا إلى وقت العصر ونجمع بين المغرب والعشاء تقديما أو تأخيرا، وبينما كنت أحتسى الشاى المخلوط بالحليب السعودى الدسم لفت انتباهي مبنى لمدرسة يدخل من بوابتها تلاميذ في عمر الزهور يحملون حقائبهم خلف ظهورهم يرتدون الجلباب السعودى الأبيض يغطى رءوسهم الوشاح السعودى ذو البقع الحمراء.. طلائع من أبناء المسلمين تنمو وتترعرع وتتعلم في ذلك المناخ الطيب في ظل اهتمام حكومات المملكة بالتعليم فاستدعت ذاكرتى تلك الإصلاحات الكبرى التى وضع أسسها الملك عبد العزيز طيب الله ثراه فتحول مجتمع البادية إلى مجتمع متمدين مسلح بالعلم والإيمان ففتحت المدارس بكافة مستوياتها وكذلك الجامعات التى بلغت منها سبع حتى الآن تضم المئات من المعاهد والكليات المتنوعة، فأرسلت البعثات العلمية للاستفادة من العلوم والمعارف وسمح للفتاة السعودية أن تنال حظها من التعليم لأول مرة في تاريخ المملكة منذ صدور المرسوم الملكى عام ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٥٩م فافتتحت أول مدرسة للبنات عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م وفتحت الجامعة أبوابها كى تتعلم المرأة السعودية وتمارس حياتها العملية وتمارس حقوقها الحياتية طبقا للشريعة الإسلامية.

قطعت الرحلة من تبوك إلى المدينة المنورة في عشر ساعات قضينا أربع ساعات منها بين الاستراحة والصلاة في المساجد المنتشرة على طول الطريق وسرح ذهنى مع الخضرة التى تشربت بها عيناى والصحراء التى لبست حلة جديدة خضراء أشبه بالعلم القومى للمملكة الذى يتوسطه سيف بتار ناصع البياض كقناة الماء التى تسقى الزرع ويشرب منها الضرع تزينه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مطبوعة عليه بالخط العربي الجميل كما أجدها منقوشة على لوحات معدنية تقابلنا على طول الطريق كما هي محفوظة في صدور المؤمنين.

وبهذه الصورة الجميلة حدث الاندماج الكامل لتعاليم الإسلام وعمارة الأرض فقد تحققت أهداف الملك عبد العزيز في تحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء لبلاده فمن لا يملك قوته لا يملك حريته فاستعان جلالته منذ توليه الحكم بالخبراء للبحث عن الماء بحفر الآبار فمهد الطريق للتوسع الزراعى في قلب الصحراء التى استصلحت فأصبحت جنان خضراء وتنوعت زراعة المحاصيل من خضر وفواكه وأشجار نخيل ومن الشعير والقمح الذى ازداد انتاجه في الآونة الأخيرة حتى احتلت السعودية المركز السادس فى العالم

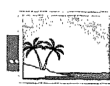
وتصدر الفائض منه إلى دول العالم للتجارة وفي شكل مساعدات إنسانية لضحايا المجاعات والكوارث في مختلف أنحاء العالم حتى زهور الزينة فقد ملئت الأرض بأنواعها وأشكالها البديعة وتصدر منذ عام ١٩٨٨م أيضا إلى دول العالم.

جهود عظيمة تنفذ من أولى الأمر في العهد السعودى الزاهر فأدخلت التكنولوجيا والميكنة الزراعية والرى الحديث المحورى وبالتنقيط والأبحاث العلمية المتتابعة من الكليات المتخصصة والتى تشرف عليها وزارة الزراعة والمياه منذ إنشائها عام ١٣٧٣هـ التى تولاها في مهدها سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز الذى يرجع إليه الفضل في إنشاء الوحدات الزراعية ومعاهد البحوث ومعهد الجراد والبحوث البيولوجية ومصلحة الأراضى العامة والتوطين المسئولة عن بحوث الغابات والمراعى الأمر الذى أدى إلى زيادة المساحات الرعوية لتربية الحيوان ومزارع الدواجن فتقدمت الصناعة التى قامت على المنتجات الزراعية والحيوانية منذ إنشاء وزارة الصناعة والكهرباء عام ١٣٩٥هـ ..

عجبت لأمر الصحراء وتلالها التى زحفت عليها الخضرة التى انتصرت على اللون الأصفر في مراحل كثيرة تتربى فيها الإبل والماعز والأغنام التى تتغذى على النباتات الصحراوية ذات القدرة العالية على تحمل الجفاف وملوحة التربة الغنية بالأملاح المعدنية والبروتينات كنبات الرثه والرغل والأثالى والشعران والغطا والأرطا والأخيرة تستخدم في عملية دبغ الجلود وفي قلبى حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً».

كان شاغلى أثناء هذه الرحلة المباركة هو الوصول إلى بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف، والطرق المؤدية إلى المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وارتباط هذه الطرق بطريق مباشر أو غير مباشر بالنهضة الزراعية والطرق الممهدة والمسفلته والمزودة بوسائل تصريف المياه والأمطار والسيول والتى ارتبطت بالطرق السريعة المفردة والمزدوجة والدائرية ومحاورها والمزودة بمحطات الوقود والإرشادات المرورية والمزروعة على جانبيها بأشجار الكازيرونا لصد الرياح لتسهيل نقل الحجاج والمنتجات الزراعية والصناعية إلى المدينتين المقدستين والمزدحمتين بالزوار دوماً أثناء مواسم الحج والعمرة ولسرعة الوصول إلى الوحدات الصحية المنتشرة في جميع أنحاء المملكة.

وعلى طول الطريق إلى المدينة المنورة الذى يبلغ نحو ٦٨٦كم مررنا بقرى ومدن عامرة بسكانها ومبانيها القديمة والحديثة كتيماء وخيبر وأعجبنى مدخل الأخيره فقد استقبلتنا واحتها الواسعة من أشجار النخيل ومبانيها الحديثة بيضاء اللون والتى تقع على حاراتها البازلتية،، وخرجت الحافلة لتسلك الطريق السريع تطوى عجلاتها طوله حتى اقتربت من الجبال البعيدة وسارت بين القمم والمرتفعات العالية والصخور الجرانيتية الوردية ذات الأشكال المختلفة من الهلالى والمدبب الحواف والذى فوقه الأعراف وتنحدر فجائيا الى بطون الأودية التى اتسعت لمراعى الإبل والأغنام تحوطها شعاب وأكمة صخرية كثيفة، وقبل دخولنا المدينة المنورة بنحو خمسة وعشرين كيلومتر توقفت الحافلة عند أحد المخافر للتفتيش وعندها ظهرت واحات النخيل يتمايل جريدها ويهتز سعفها مع نسمة الهواء العليل كأنها ترحب بقدومنا، وما أن دخلنا المدينة المنورة بعد غروب الشمس حتى لاح لناظرى عمرانها الشامخ وتعلقت أفئدتنا بذلك النور الساطع



الذى يشع من المسجد النبوى الشريف فارتفعت عيناى مع انسياب منارته السامقة في عنان السماء بقبابها الجميلة تزينها القبة الخضراء الشريفة يشق منها النور طبقات الهواء إلى السماء ترتفع أصواتنا بذكر الله ونصلى على صاحب المقام الرفيع سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} حتى وصلنا إلى الفندق أو القصر كما يطلق عليه في المملكة إذ يطلقون على الفنادق اسم قصور، وضعت حقائبي وخرجت مع جموع الزوار نشق شارع السوق الذى أغلقت دكاكينه وحوانيته مستجيبة لنداء المؤذن لصلاة العشاء.

أقمت بالمدينة المنورة أربع ليال قضيت معظمها داخل الحرم النبوى الشريف بين الصلاة وتلاوة القرآن الكريم والاستماع إلى الدروس الدينية بين أروقة المسجد المتعددة باتساع المسجد، كنت أصلى تحية المسجد والنوافل إذا ما سنحت لى الفرصة في الروضة الشريفة بين منبر المصطفى صلوات الله عليه وبيته الشريف الذى كنت أستقبله في خشوع مستأذنا من صاحبه بالدخول محاولا عدم مزاحمة الخلائق الكثيرة القادمة من مختلف البلدان الاسلامية ادعو ما شئت لله تعالى من الدعاء وأصلى وأسلم على نبينا المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وعلى صاحبيه الأغرين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، بعد ذلك كنت أخرج من الباب الذى تعلوه القبة الخضراء سيرا على قدمى فوق الساحة الرخامية البيضاء في اتجاه الشمال إلى سور البقيع الغرقد لأسلم على ساكنيه الغر الميامين من آل بيت رسول الله وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

تجولت كثيرا في مدينة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وشاهدت عمرانها واتساع أحيائها وشوارعها الطولية والعرضية وميادينها وحدائقها الجميلة وبنيانها الفخم الحديث وأسواقها القديمة والجديدة، وتمليت كثيرا في الحرم النبوى الشريف فقد اطلعت على عمارته الحديثة التى اتسعت في العهد السعودى الزاهر والتى اكتملت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وتمت بحمد الله في الخامس من ذى القعدة عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م وهى تعد من أكبر التوسعات التى حدثت على مر العصور.

أما عن المدينة وتخطيطها فقد أعجبنى كل شيء فيها من هدوء ونظافة وحسن تنظيم مرورى وخضرة حدائقها ومعمارها حتى سهولها الزراعية ووديانها حتى بلغ جبالها وحاراتها البازلتية الأربعة وقد ارتبطت أحياء المدينة واتصل بعضها ببعض بطرق ممهدة جيدة



جانب من شارع أجياد فى مكة المكرمة حيث يبدو العمران الجديد والانفاق

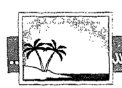


الطرق الجديدة تزينها الخضرة والأشجار

الرصف تتصل بالطرق الدائرية والسريعة التى أنْشئت حديثا تجنبا للازدحام المرورى خاصة في مواسم العمرة والحج، كما اتصلت المدينة المنورة بجميع أنحاء الملكة وخارجها بالبر والبحر والجو.

ويرجع تاريخ إنشاء المدينة المنورة إلى الألف الأول قبل الميلاد عندما كانت تعرف باسم يثرب العماليق وكانت تقع على بعد ثلاثة كيلومترات شمال المدينة الحديثة وعندما دخلها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مهاجراً سميت بطابة أو طيبة أو المدينة المنورة التى أصبحت نواة الأمة الإسلامية ومركز ثقافتها وحضارتها، وفي عام ١٩٠٨م كان يمر بها خط سكك حديد الحجاز الذى كان يربطها بدمشق للتجارة وكوسيلة سريعة لنقل الحجاج القادمين من الهند وأفغانستان وإيران ومسلمى روسيا والبلغار والمغرب العربى حتى توقف الخط بسبب الأحداث السياسية عام ١٩١٤م.

استدعت ذاكرتى ما قرأته عن طريق الحرير أهم الطرق التجارية القديمة والذى كان يبلغ طوله ما يزيد عن ٥٠٠٠ ميل وكان يسلكه الحجاج يقطعون مراحله الصعبة يحطمون عقباته الوعرة بالصبر والإيمان للوصول الى هدفهم السامى في الأماكن المقدسة في الحجاز، فقد كانوا يتجمعون في مدن تقع على الطرق الرئيسية المتجهة غربا ويسيرون في قوافل في هضبة إيران ذات الطبيعة الصعبة حتى بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية لينضموا إلى المسلمين القادمين من آسيا الصغرى وارمينيا والكرخ والأناضول، ساعدهم على استكمال رحلتهم الاهتمام بهذا الطريق وتحسينه وتزويده بالخدمات بحفر الآبار العذبة وإنشاء المحطات وإدخال البريد الذى جعل الطريق أكثر أمنا وشقت الطرق الجديدة عبر الصحراء السورية وزود بالزاد والماء خاصة في موسم الحج واستمر هذا الطريق يعمل حتى القرن السابع عشر الميلادى وتوقف عندما بدأت فارس تغلق حدودها في وجه الأجانب وبعد أن أصبح السفر سهلا وميسورا بحراً من الخليج أو بحر العرب إلى جدة ميناء مكة الشهير، كما لعب طريق البخور دوراً كبيرا في نقل الحجاج من سوريا إلى الحجاز وهذا الطريق التجارى القديم سلكه الرسول {صلى الله عليه وسلم} تاجراً قبل البعثة، وبدأ طريق البخور واللبان منذ ألفى عام وكانت به خمسة وستون محطة تقف عندها قوافل تجارة البخور وكانت تبدأ من ظفار بعمان إلى وادى حضرموت ماراً من مأرب إلى



نجران شمالا ومنها إلى يثرب عبر درب يطلق عليه اسم درب الفيل ويصل إلى شمال الحجاز متجها إلى حاضرة الأنباط المعروفة اليوم باسم البتراء والتي كانت مركزا هاماً لتجارة أنواع الطيب المجلوبة من اليمن وكان يتفرع من البتراء طرق كثيرة منها فرع كان يسير موازيا للبحر الميت ونهر الأردن تجاه دمشق ومنها إلى مدن الساحل الفينيقي، وفرع آخر يتجه إلى شمال بلاد ما وراء النهرين، أما الفرع الرئيسى فيتجه نحو ميناء غزة على ساحل البحر المتوسط حتى ميناء الاسكندرية في مصر.

كان لإعادة تخطيط المدينة المنورة وتطويرها شأن كبير فأصبحت الآن من كبريات المدن السعودية تستقبل جموع الزوار والحجاج. ولموقع المدينة بالقرب من البحر الأحمر الطريق التجارى القديم أعطى المدينة طابعا خاصا، والذى جعلها في هذه الأهمية الكبرى وجود قبر الرسول عليه الصلاة والسلام بها ومناخ المدينة قاري شتاؤها بارد تصل درجة الحرارة فيه ما بين ١٧ : ٢٠ْ درجة ، أما الصيف فهو شديد الحرارة ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر الأحمر ما بين ٥٩٠ متراً في الشمال و٦٢٠ متراً في الجنوب.

يبدو أننى قد حفظت صورة المدينة المنورة في ذاكرتي، فهناك حركة إصلاح كبرى في كل شوارعها وحواريها حتى أطرافها ففى صباح يوم مشرق جميل بدأت جولتى من الميدان الذى يطل عليه الفندق والذى تتفرع منه شوارع طويلة كشارع الستين المتجه إلى الحرم النبوى الشريف يمتد بطوله سور البقيع ومتاجره الفخمة الكثيرة وطريق آخر متجه إلى مطار المدينة الذى يعد من المطارات القديمة على أرض المملكة، كانت النية عازمة على زيارة الجبال البعيدة والمساجد الأثرية القديمة فوصلت الحافلة إلى جبل أحد حيث الغزوة الشهيرة والعبرة والامتحان الأول للمسلمين والذى استشهد عنده خيرة الصحابة منهم: حمزة بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام ومصعب بن عمير رضوان الله عليهما وعلى سائر الصحابة أجمعين، بعد ذلك سلكت الحافلة وادى العقيق أطول أودية المدينة المنورة والذى على حافته يقع مسجد القبلتين ومنه اتجهنا إلى قرية قباء التى تقع على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب المدينة لزيارة مسجدها الذى بناه الرسول [صلى الله عليه وسلم] وأول مسجد بُني على التقوى، شاهدت كل هذه المواقع وقد حدث بها توسعات وتجديدات كبيرة في الأونة الأخيرة وفي صباح اليوم الخامس ودعنا المدينة يحدونا الأمل بأن نعود اليها مرات ومرات لنسلك الطريق السريع إلى مكة المكرمة الذى يبلغ طوله نحو ٤٤٢كم.

وعلى بعد تسعة كيلومترات جنوب المدينة توقفت الحافلة عند آبار علي «ذو الحليفة» لنحرم من الميقات الذى أحرم منه رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فخرجنا من المسجد متوشحين بملابس الإحرام وتركنا الدنيا وهمومها نتمتع بالعمرة نلبى الله تعالى لبيك اللهم لبيك.. راحت الحافلة تطوى الطريق وسط الصحراء بين الجبال أشم رائحة جميلة من عبق التاريخ للسيرة النبوية العظيمة وأشواقنا تسبق سرعة عجلات الحافلة للوصول إلى البيت العتيق مهوى الأفئدة ومطاف العباد، الطريق أمامى مستقيم دون اعوجاج يشق الجبال ويستمر جريانه في استقامته حتى توقفت الحافلة في ساحة متسعة على بعد ٢٥كم من مكة المكرمة أعدت لاستقبال الحافلات الوافدة لاستبدالها بأخريات سعودية طبقا لقواعد المرور السعودي تجنبا للأزدحام المروري.

انطلقت الحافلة السعودية ذات الطابقين بعد

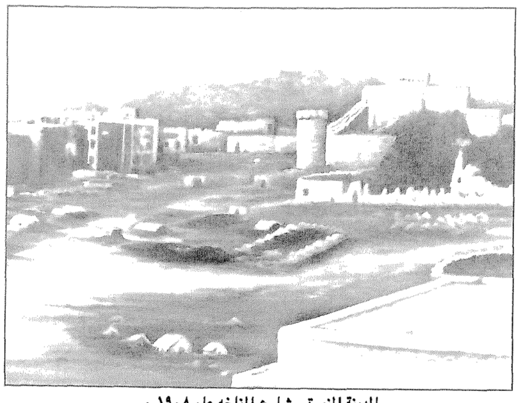
صلاة المغرب تحملنا ومتاعنا وأخذت مسارها على الطريق الدائرى بين عقبات وجسور وأنفاق شقت بين الجبال ومنها إلى الوديان حتى مررنا بمسجد التنعيم على بعد ثمانى كيلومترات من مكة المكرمة ومسجد السيدة عائشة فاستقام الطريق وصعدت الحافلة كوبرى خرسانى يحيط بالحرم المكى الشريف الذى رأيته متوهجا بأنواره الساطعة تتلألأ جنباته، ترتفع مناراته عالية في عنان السماء تنطلق معها قلوبنا الخاشعة بذكر الله.

في الساعة التاسعة مساء خرجت من الفندق منضما إلى زملائى وجميعنا في ملابس الإحرام ومشينا الهوينى في شارع أجياد حتى بلغنا الساحة الخارجية للحرم المكى الشريف فوقفنا على أرضيتها الرخامية نحاول أن لا ندوس بأقدامنا العارية حشرات الجراد التى فوجئنا بوجودها على الرخام الأبيض ودخلنا من باب السلام نقدم أرجلنا اليمنى ولا أستطيع وصف أحاسيسي ومشاعرى وأنا أستقبل وجه القبلة ولكن شعرت باكتحال مرآة عينى بالستائر السوداء التى تلف الكعبة الشريفة فلا مجال للسيطرة على الخيال، فهذا المقام العظيم رمز وعدة وتاريخ تتوالد منه الصور الحية لمولد نور الإسلام وعظمته إلى يوم الدين.. أتممت بحمد الله مناسك العمرة وقصرت الشعر بعد الطواف سبع مرات حول الكعبة والسعي سبعا بين الصفا والمروة، وكنت قد صليت ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم وفي حجر سيدنا إسماعيل عليهما السلام ودعوت الله عند باب الملتزم وشربت من سلسبيل ماء زمزم وأنا لا أكف عن الدعاء، وعدت إلى الفندق ليس للراحة أو النوم فكيف يهدأ الجسد أو ينام، ورحت في تلاوة القرآن الكريم معجزة كل عصر وأوان حتى حان موعد آذان الفجر، وعَرفت طريقي إلى الحرم المكى الشريف أقضى معظم الوقت فيه أصلى وأقرأ القرآن وأستمع إلى الدروس الدينية متوجها نحو الكعبة المشرفة أتطلع على عمارة الحرم الشامخة بعد التوسعة الكبرى التى تمت في عهد خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ والتى فاقت كل التوسعات على مر العصور فقد شملته من الداخل والخارج وفوقه ومن تحته ومن حوله حيث يتسع الآن لأكثر من مليون مصل في وقت واحد فكانت إضافة مطلوبة بعد التوسعتين السابقتين اللتين حدثتا إبان العهد السعودي الرشيد والتى وضع أسسها الملك عبد العزيز ونفذها الملك سعود عام ١٩٥٨م وأخوه الملك فيصل يرحمهما الله لاستيعاب الزيادة السنوية لحجاج بيت الله الحرام من مسلمى العالم البالغ تعدادهم أكثر من مليار نسمة، ولهذا اتسعت مكة المكرمة شمالها وجنوبها، شرقها وغربها حول الحرم المكى الشريف الذى اتسع أخيرا من ناحية المسعى وأجياد وطريق القشاشية وامتدت الأحياء الحديثة في الوديان والأبطح وفوق أعالى الجبال واتصلت بالأحياء القديمة بطرق عالية المستوى طولية وعرضية مزدوجة ومفردة وبالكبارى والأنفاق التى شقت في بطون الجبال شاهدت كل ذلك وصعدت الكبارى وعبرت الأنفاق أثناء جولتى التى رفقنى فيها صديق مصرى مقيم في مكة المكرمة يعمل في مؤسسة بن لادن للمقاولات، ذهبنا بسيارته الى عرفة وشاهدت اتساع واديه وقد زرعت فيه أشجار كثيفة ظليلة والمرافق العامة لخدمة الحجيج على طول الطريق إلى المزدلفة حتى منى، شاهدت مسجد نمرة والكبارى الخرسانية التى أنْشئتْ لتسهيل إقامة الشعائر، وفي طريق العودة إلى الحرم المكى الشريف شاهدت جبل النور يعلوه غار حراء حيث منزل الوحى ومبعث النور، وتجولنا في الأسواق



القديمة والحديثة قبل صلاة الظهر وكانت درجة الحرارة عالية في منتصف النهار فموقع مكة المكرمة مدارى مرتفع عن سطح البحر بنحو ٣٠٠ متر فقط٠

وقفت على الساحة الخارجية للحرم المكى فوق رخامها الأبيض بلغنى شعور بالزهو والفخار ومن حولى بنيان شامخ وعمران حديث أحمد الله على أن حبانا هذا الفضل العظيم وحكام أتقياء زعماء وأبطال فيهم أخلاق القيادة والقدرة على توحيد الكلمة وتحكيم الشريعة والشورى والتنمية الشاملة، ينفقون بسخاء منقطع النظير في أعمال البر والخير وتحديث البلاد وتطوير وتحديث الحرمين الشريفين٠٠ في هذا المكان الطيب الطاهر أخذنى الماضى إلى عهد صباى عندما كنت أسبح مع أقرانى من الصبية بين أمواج الخلائق الكثيرة نغنى ونرقص على دق الطبول وزغاريد النسوة نشق طرق البلدة الى محطة القطار القديمة نودع الحجاج يزدحم بنا الرصيف وتهتز القضبان بوصول قطار الحج بمقدمته السوداء يتصاعد منها دخان احتراق الفحم مزدانة بورود وسعف النخيل وينطلق القطار يشق طريقه وتصطك عجلاته بالقضبان، اسمع النداء الجميل لبيك اللهم لبيك مختلطا بالدعوات الصادقة والمشاعر الروحية الفياضة نلوح بأيدينا



المدينة المنورة . شارع المناخه عام ١٩٠٨ م

والقطار ينطلق الى القاهرة لتبدأ رحلتهم من السويس إلى الأراضى الحجازية، والماضى البعيد مدون ومكتوب نعرفه رغم مرور السنين فقد كانت قوافل الحج تسير من قلب القاهرة الى ميدان العباسية يتقدمهم المحمل وأمير الحج وأمين الصرة من عسكر وجند يقفون في استراحات يتزودون بالزاد والماء ترشدهم نواطير منصوبة كل ثلاث ساعات يقطعون فيها الطريق إلى سيناء حتى خليج العقبة تحميهم قواعد عسكرية من جند المسلمين حتى يصلوا إلى بلدة رابغ القريبة من البحر الأحمر يستقبلهم شريف مكة، تستغرق رحلة حجهم مائة وعشرين يوما في الذهاب والعودة يتحملون خلالها متاعب الطريق يكسرون عقباته بإيمانهم وقلوبهم الخاشعة وروحهم الفياضة، نفس الرحلة التى استغرقت منى عشرة أيام فنحن في عصر يتسم بالسرعة والسهولة واليسر بفضل وسائل المواصلات

الحديثة والطرق الجيدة .. كانت الشمس قد ملأت الدنيا ضياء وبهجة ومازلت واقفا أمام باب الملك عبد العزيز بعد صلاة الفجر يتسع بصرى ويمتد طولا وعرضا إلى الطرق الصاعدة والهابطة والمتصلة بالأحياء والميادين والنفق العظيم أسفل الحرم والممتد أمام مستشفى أجياد أقدم المستشفيات السعودية على الإطلاق أراها الآن في ثوبها الجديد متسعة المعمار وأنظمتها الصحية التى تطورت لتقدم العلاج بالمجان لجموع الزوار وأهل البلاد لتقف إلى جانب المستشفيات والمراكز الصحية التى لم تترك قرية أو مدينة إلا وشملتها.

كانت نيتى عازمة على زيارة مدينة جدة فأخذت طريقي بين ممرات أبراج مكة على حافة الحرم المكى الشريف قاصداً محطة الأوتوبيس تناولت هناك طعام الإفطار من سندويتشات الفول والطعمية والسلاطة الخضراء وهى من الوجبات المحببة إلى قلب كل مصرى وفى تمام الساعة الثامنة صباحا تحرك الاوتوبيس المكيف المريح بعد أن أخذت مقعدى إلى جانب النافذة لأتشبع بمنظر الحرم المكى الذى أراه بوضوح من فوق الكوبرى الخرسانى الذى صعده الاوتوبيس ليأخذ طريقه السريع الذى يبلغ طوله ٧٣كم تمليت كثيرا على طول الطريق فوجدته يختلف تماما عما كان مسجلا وموصوفا في كتب الرحالة القدماء فقد كان - كما وصفوه - غير ممهد يمتد في قلب الصحراء كانت تقع فيه محلتان قديمتان الأولى عرفت باسم المقتلة والثانية باسم أم الدود وقد جاء الاسمان من القتلى ومن الدود الذى يتغذى على جثث الموتى وضحايا المعارك التى كانت تنشب بين القبائل في القديم.

رأيت الطريق يختلف تماما كما في وصف الدكتور محمد حسين هيكل أثناء رحلته الى الحجاز بالباخرة من السويس الى جدة عام ١٩٣٦م وأخرج كتابه القيم «في منزل الوحي» شاهدت الطريق ولمست اتساعه وازدياد عمرانه عما قرأته في الوصف الأدبى الشيق لأستاذنا الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصارى أثناء رحلته الثانية الى الباحة عام ١٣٩٩هـ فالطريق أمامى متسع مستقيم جيد الرصف مزود بالخدمات ومحطات الوقود التى تساعد الحافلات التى تنقل الحجاج والزوار وكذلك القافلات التجارية العملاقة القادمة والذاهبة إلى ميناء جدة أكبر الموانىء السعودية على الإطلاق، والطريق إلى جدة موقع استراتيجى هام لامتداده في منطقة تعتبر من أكبر التجمعات السكانية على أرض المملكة والتى تصل إلى أكثر من ١٣٪ من عدد سكان المملكة البالغ عددهم نحو ١٨ مليون نسمة يعيشون في مساحة ٤٢٠٠٠ر٢كم٢ المساحة الكلية للمملكة العربية السعودية، رأيت على طول الطريق من مكة إلى جدة كل شيء حديث وعلى جانبيه قرى عامرة بمبانيها وسكانها تنتشر في السهول التى تتسع كلما اقتربنا من مدينة جدة التى قضيت بها أربع ساعات حاولت فيها بقدر الإمكان التعرف على أهم معالمها ومشاهدة عمرانها وشوارعها الراقية وحدائقها وميادينها المتسعة ومتاجرها الكبيرة والصغيرة في أحيائها القديمة والحديثة ومنشآتها الصناعية ومراكزها التعليمية من مدارس ومعاهد وكليات التى تتبع جامعة الملك عبد العزيز وكذلك موانيها الجوية والبرية والبحرية.

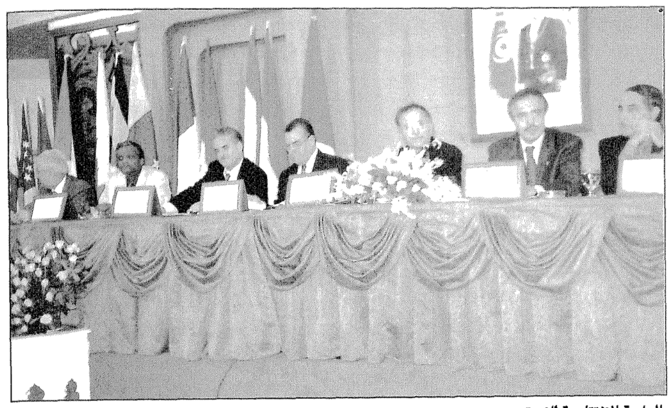
زرت دارة المنهل للصحافة والنشر في منطقة الشرفية والتى أنشأها الشيخ عبد القدوس الأنصاري عام ١٩٣٧م والتى تعد واحدة من المؤسسات الصحفية ودور النشر التى انتشرت على أرض المملكة والتى لعبت دورا كبيرا في عملية التنوير والتثقيف ليس فقط على أرض المملكة ولكن في العالم العربي كله تؤدى هذا الدور العظيم إلى جانب الإذاعة المسموعة التى

أنشئت عام ١٩٤٩م وكذلك الإذاعة المرئية التى بدأت عام ١٣٨٥هـ والصحف اليومية والدورية ونوادى الأدب والثقافة التى تشجعها الحكومة لخدمة المد الإسلامي الكبير. لم تكن هناك فسحة من الوقت لزيارة متحف عبد الرؤوف حسن خليل أحد المتاحف الهامة الذى افتتح عام ١٤٠٤هـ ويضم الكثير من المقتنيات العظيمة التى تبرز فنون الحضارة العربية والإسلامية.

بعد هذه الجولة السريعة لأرض الحجاز التى استغرقت عشرة أيام وتمتعت خلالها بالعمرة متمنيا من الله تعالي أن أكون متمتعاً بالحج والعمرة قريبا، آثرنا أن تكون عودتنا بالطريق الساحلى وقد وافق يوم العودة أول أيام شهر رمضان المبارك لعام ١٤١٨هـ.. اتجهت الحافلة من مكة شمالا مروراً ببدر لنسلك الطريق الدائرى إلى ميناء ينبع البحر الذى يقع غرب المدينة المنورة بنحو ٢٢٠كم ومنه إلى ميناء الوجه الذى بلغناه وقت الغروب، تناولنا عنده طعام الإفطار وصلينا المغرب في أحد المساجد على الطريق واتجهنا إلى ضبا وبتنا ليلتنا في مينائها على أمل أن نغادر منه إلى الغردقة لولا ظروف حجز العبارة التى حالت دون تحقيق رغبتنا فاتجهنا إلى تبوك ومنها إلى حلة عمار فالمدورة الى العقبة ولم تفارقنى صورة الملك عبد العزيز وكل ما أراده لبلاده من خير يلج به مختلف الميادين ويتحقق كل ما أراده على يد أبنائه من بعده الملوك والأمراء، وجاء الخير على يد أبنائه الابرار الذين اكملوا المسيرة وبذلوا كل غال ونفيس في نهضة هذه الديار المباركة فكانت الثمرة التى نجنيها الآن من سهولة ويسر بفضل الإنجازات العظيمة والمشروعات الضخمة العملاقة التى تحققت على أرض المملكة العربية السعودية من طرق وأنفاق وجسور وموانئ واتصالات لتأمين سلامة الحجاج والمعتمرين والزوار والمواطنين والمقيمين على أرض بلاده المباركة التى خصها الله بفضله حتى غدت فيافيها منارة ساطعة وقبلة لكل من يريد العمل لخدمة الإسلام والمسلمين.

على سطح العبارة رحت مع نفسى أسبح في ماء زمزم أرتوى من معينها الذى لا ينضب، تصل أعماقى إلى البيت العتيق والحرم النبوى الشريف وأمامى صور عظيمة حية نابضة من التاريخ وهجرة المصطفى صلوات الله عليه من مكة إلى المدينة وأنا غارق في سبات عميق متعلقا بالبيت العتيق أسمع كلمات المصطفى.. والله إنك لأحب أرض الله إليّ وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» فكان خروجه {صلى الله عليه وسلم} من مكة المكرمة مفارقا لها على مضض فعاد إليها بالفتح المبين بعدما تمزقت من حوله السحب وتبددت من فوقه ضباب الأوهام والأصنام ليصبح البيت المحجوج مثابة للناس وأمنا في كل وقت وحين، لا يتسع بصرى أمام هذه المشاهد العظيمة وأذنى تسمع ذلك النداء الجميل لتلبية الحجيج تردده الجبال والأطيار وكل المخلوقات وأسمع صهيل الخيول وصليل السيوف وقعقعة الدروع في بدر وأحد، أسمع خواء الإبل وهديل الحمام الحجازى حول الحرم المكى الشريف والمسجد النبوى الشريف وفوق أرض البقيع رأيتها تطير خفاقة تحلق بأجنحتها في وداعة رافعة راية الاسلام تحمل غصن السلام، أسمع صياح الأطفال وهم يلعبون داخل أروقة الحرم الشريف لا يفزعهم خوف في حرمهم الآمن الذى لا يفزع فيه أحد ولا يروع في حماه طير ولا تهتك فيه حرمات فهو مبارك ومصدر هداية للناس أجمعين وغاص بصرى في الأعماق وأنا ساجد أصلى الجمعة حول الكعبة الشريفة فوق الأرض الرخامية البيضاء فرأيت في الأعماق كلمة التوحيد رأيتها وأنا قائم منقوشة في السماء كما هى محفوظة في الصدور (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

الندوة الدولية الأولى حول السجاد التقليدي



- الجلسة الافتتاحية للندوة.

لا شك أن المنتجات الفنية الإسلامية تعد من أهم منجزات الحضارة الإسلامية وإذا كانت هذه المنتجات قد جاءت معبرة عن الشخصية الاسلامية، ومتوافقة مع ذوق الشعوب التي أنتجتها، إلا أن دقة الصنع، وجمال الزخرف الذى كانت تنفرد به، جعل الأوروبيين يقبلون على إقتنائها، بل أنها أعتبرت مظهراً من مظاهر الأبهة، ورمزا للثراء. وعلى الرغم من الإعتقاد بأن التحف الإسلامية وصلت إلى أوروبا في فترة عصر النهضة، إلا أن الواقع يشير الى أن هذه التحف وصلت منذ فترات مبكرة، فقد عثر في أيرلندا على صليب يرجع الى القرن ٣هـ/ ٩م وقد نقشت في وسطه البسملة على قطعة من الزجاج.

ولعل السجاد من أهم المنتجات الفنية التي حاز المسلمون فيها قصب السبق، ووصلوا في دقة صنعها وزخرفتها درجة لم يبلغها سواهم، فقد ذكر الرحالة الإيطالي «ماركو بوللو» أن أحسن وأجود السجاد في العالم ينسج في مدينة قونية بأسيا الصغرى. أما الرحالة الإنجليزى «هاكلوت» الذى زار بلاد فارس سنة ١٥٧٩م، فقد ذكر ان السجاد الفارسي أجود أنواع السجاد في العالم وألوانه أجود الألوان بحيث لا يؤثر فيها مطر أو خمر أو خل. لذلك فإنه عند عقد قران الأميرة «ليونور» على إدوارد الأول ملك انجلترا سنة ١٢٥٥م كان السجاد الإسلامى يزين قاعة الاحتفال،

متابعة وتصوير : د. صلاح احمد البهنسي
- خاص بالمنهل -

ـدي (الزربية) والكليم في العالم الإسلامي



ـ جانب من اعمال الندوة.

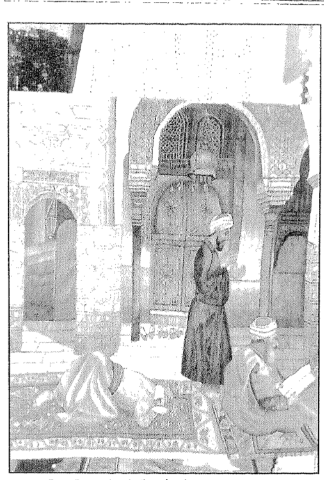
كما كان هذا السجاد جزءا من صداق الأميرة البولندية «آنا كاترينا كوستانزا» عندما تزوجت من فيليب فيلهلم سنة ١٦٤٢م، كما ظهر السجاد الإسلامي في اللوحات الفنية الأوروبية في عصر النهضة وما تلاه ومما يدل على مكانتها أنها كانت تظهر في اللوحات التى تمثل مناظر دينية أو مناظر الملوك والأمراء.

منظمو الندوة وراعيها:

إنطلاقا من الإحساس بقيمة السجاد الإسلامي، والرغبة في الحفاظ على المكانة التى ينفرد بها السجاد الإسلامى التقليدى/ فقد نظم الديوان القومي للصناعات التقليدية التابع لوزارة السياحة والترفيه والصناعات التقليدية بالجمهورية التونسية، ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (أرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى، بالاشتراك مع المركز الدولي لتطوير الحرف اليدوية (سيبا) بفاس، وبالتعاون مع شركة مشارق الدولية بجدة الندوة الدولية الأولى حول «السجاد التقليدى (الزربية) والكليم في العالم الإسلامي الماضى والحاضر والأفاق المستقبلية لهذا التراث مع المتغيرات المتواصلة للسوق والتصميم والجودة والتقنيات المطبقة وذلك في مدينة تونس خلال الفترة من ١٩ حتى ٢٥ نوفمبر ١٩٩٩م. وقد تفضل سيادة الرئيس زين العابدين بن على رئيس الجمهورية التونسية برعاية أعمال الندوة، ومدها بعنايته الخاصة، واهتمامه بتقديم الوسائل الكفيلة بتأمين نجاحها.

اختيار تونس مقرا للندوة:

تعد تونس على قمة البلاد الإسلامية التي تحافظ



ـ كليم الجوبلان من انتاج (فوه) يمثل لوحات فنية قيمة.

على الصناعات التقليدية، وفي هذا الإطار فقد منحت الدولة الحرفيين التقليديين قروضاً سنة ١٩٨٨م، كما خفضت الضرائب على المنتج بنسبة ١٠٪ سنة ١٩٩٣م، ونفس النسبة على المواد المستوردة التى تستخدم في الحرف التقليدية. وينظم سنويا صالون للإبتكار في الصناعات التقليدية. كذلك فقد تأسس الديوان القومى للصناعات التقليدية تحت إشراف وزارة السياحة منذ سنة ١٩٥٩م، ومهمته دعم هذه الصناعات والحفاظ على استمراريتها وتطويرها.

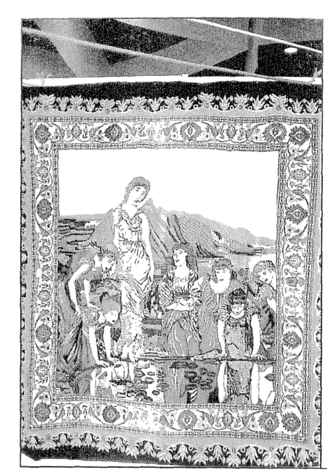
ومن الجدير بالذكر أن تونس التي تأخذ بكل مظاهر الحداثة، تتمسك في نفس الوقت بتقاليدها، وتحافظ على موروثاتها، وتخصص يوم ١٦ مارس من كل عام يوماً وطنياً للباس، حيث يرتدى كل التونسيين اللباس الوطني، وتنظم مسابقة للمصممين تسمى «مسابقة الخمسة الذهبية» وهى تتركز حول تبسيط اللباس التقليدى، وجعله متوائماً مع العصر، ومناسباً لكل الأعمار سواء الرجال أو النساء وكذلك الشباب والأطفال.

فعاليات الندوة:

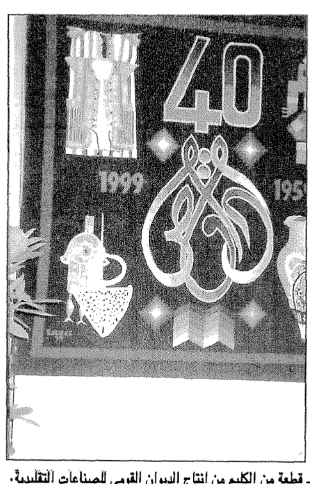
جرت فعاليات الندوة بقاعة حنيعل بفندق (أبو نواس تونس)، وقد تمت الجلسة الإفتتاحية صباح يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ١٩٩٩م بتلاوة مباركة من القرآن الكريم، أعقب ذلك كلمة معالى وزير السياحة والترفيه والصناعات التقليدية الأستاذ صلاح الدين معاوي، والذى أشار إلى مكانة تونس في صناعة السجاد منذ العصر الإغريقي حيث كانت سجاد قرطاج يصدر الى أوروبا، واستمرار ذلك في العصر الإسلامي إذ كان سجاد القيروان يمثل جزءا هاماً من الخراج المرسل الى الخلافة العباسية. أما سعادة الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى مدير مركز أرسيكا فقد قدم شكراً للجهات المساهمة في الندوة والتى تقف وراء إنجاحها، كما عرف بالجهود التى يبذلها المركز في سبيل تطوير الحرف التقليدية في الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى، وتعريف هذه الشعوب بتراثها القيم، وتعريف الشعوب الأخرى به، وأن هذه الندوات تساهم في هذا الأمر، حيث يتمخض عن كل ندوة إنشاء مركز متخصص في الحرفة موضوع الندوة، كما يصدر كتالوج ملون يحوى روائع التراث الإسلامي في هذا المجال.

وقد تناول سعادة الأستاذ زياد العابد العضو المنتدب لشركة مشارق الدولية وممثل الشركة بالندوة الجهود التي تبذلها الشركة لدعم الندوة، ليس مادياً فحسب، وإنما يشمل ذلك أيضاً دعم الباحثين وتشجيعهم على إعداد أبحاث في مختلف مجالات الحرف التقليدية وإبراز جوانب التفرد في التراث الإسلامى القيم.

وقد أكد «اندراش فينكاتا شيلوم» ممثل منظمة اليونسكو على تميز الشعوب العربية في مجال الحرف التقليدية حتى أن منظمة اليونسكو منحت جائزتها إلى الحرفيين العرب سنة ١٩٩٢م، بعد أن كانت قد وضعت ميثاقا للنهوض بالحرف التقليدية وذلك سنة ١٩٨٩م، كما تناول في كلمته العلاقة بين الإلمام بجوانب التراث وتحقيق التنمية. وقد أشارت السيدة «ماريا مرسيدس



- سجادة عليها منظر تصويرى.



- قطعة من الكليم من انتاج الديوان القومي للصناعات التقليدية.

سالا» ممثلة مركز التجارة الدولية بجنيف الى جهود المركز في تنمية صادرات الصناعات التقليدية وفي مقدمتها السجاد، فقد أصدر المركز ثلاثة مجلدات عن السجاد التقليدي، وقد بلغت نسبة صادرات بعض البلاد العربية من السجاد سنة ١٩٨٦م، ٨١٪ من مجموع صادراتها. وقد آثار سعادة الأستاذ عمر الأمين بنعبد الله رئيس المجلس العالمي لتطوير الحرف اليدوية بفاس، تساؤلا هاماً: لماذا ظل إنتاج السجاد التقليدي قاصراً على البلاد الإسلامية فقط؟ كما طلب الحفاظ على السمات المميزة لكل طراز من السجاد، وعدم نقل التصميمات الزخرفية من طراز إلى آخر حتى يبقى لدينا أنواع متعددة من السجاد.

الأبحاث المقدمة للندوة:

شارك في الندوة عدد كبير من العلماء والخبراء والمتخصصين في مجال السجاد والكليم من دول مختلفة، فمن الدول العربية حضر من كل من مصر وتونس والجزائر والمغرب وسوريا والأردن ولبنان والسعودية واليمن وفلسطين والبحرين والكويت وقطر والأمارات العربية المتحدة، ومن الدول الإسلامية المشاركة أزربيجان وأوزبكستان وقزاخستان وتركيا وإيران وباكستان وماليزيا وتتارستان. ومن الدول الأفريقية أوغندا، بوركينا فاسو وجنوب أفريقيا. ومن الدول الأوروبية أسبانيا وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا وألمانيا وهولندا. بالإضافة الى الولايات المتحدة الأمريكية وفنزويلا.

وقد قدم الباحثون سبعين ورقة بحث غطت كل الجوانب الخاصة بموضوع الندوة في عدة محاور، أهمها:

١ ـ تطور السجاد عبر التاريخ.

- د. فاليري جونز الين: السجاد التقليدي وتطوره عبر مسار التاريخ.
- م. المسعودي محمد: السجاد عبر التاريخ.
- د. كوثر أبو الفتوح: روائع السجاد التركى في

ضوء مجموعات متاحف القاهرة.

- د. راسم أوغلى: السجاد الأذربيجاني في الماضي والحاضر.

- د. سيتارا بكر: تشكيلات الإطارات التقليدية على السجاد خلال القرن السادس عشر.

- أ. كريموفابيبي: سجاد أويغور التقليدي.

٢ - رواج السجاد ودوره في التعريف بصور من التراث الحضارى الإسلامي:

- د. صلاح أحمد البهنسى: السجاد الإسلامي في الأعمال الفنية الأوروبية.

- د. أسعد عرابى: رواج السجاد التقليدى في العالم ودوره في التعريف بصور من التراث الحضارى الإسلامى - جماليات صناعة السجاد الإسلامى وتأثيره على الفن المعاصر.

- أ. أنطونيو ليناريس: تأثير السجاد الاسلامى على سجاد أمريكا اللاتنية.

- أ. خديجة أسادوفا: رواج السجاد التقليدى الأذربيجاني في العالم.

٣ - توظيف التكنولوجيا الحديثة في التصميم والألوان:

- أ. سامية زرو: حرفة تراثية في رؤية حديثة (الأردن).

- د. محمد زينهم: التصميم وتأثيره على السجاد والكليم، إحياء وإعادة استغلال التصميم التقليدى وتطويره ليتناسب والعصر الحديث.

- أ. عمرو حمدى: مدى توظيف التكنولوجيا الحديثة في توفير تنوع واسع من التصاميم والألوان.

- أ. محمد شكيب، أ. أحمد حسام الدين: تقديم قرص إليكترونى: السجاد التقليدي والكليم في مصر.

- أ. خالدة عبد الرحمن: التأثير السلبي للتكنولوجيا الحديثة نتيجة الإنتاج الصناعى المكثف.

٤ - السجاد التقليدي والكليم في بعض بلدان العالم الإسلامي:

- م. نجاة عروة: فن الزربية في الجزائر.

- أ. نور الدين تاجييف: سجاد الصلاة الأذربيجاني.

- أ. عز الدين نجيب: السجاد والكليم في مصر.

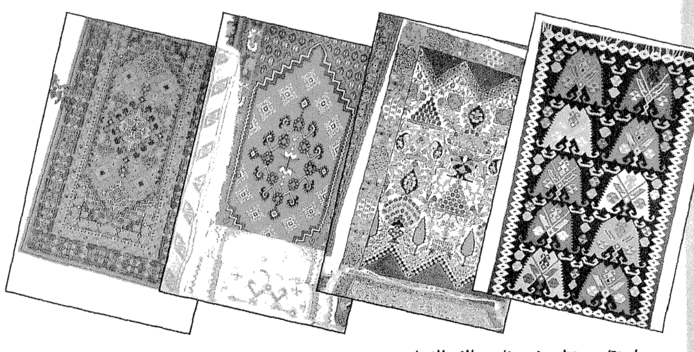
- د. طاهر صباحى: الكليم القوقازى.

- د. نازان أولشر: الحياكة الحالية للسجاد والكليم التركي.

- د. حمدان طه: كليم السموعة.

- د. صلاح البهنسى: صناعة الكليم بمدينة فوه.

- م. مهدى كاتب: السجاد التقليدى والكليم في ايران.



- سجاد تقليدي تظهر فيه عناصر الفن الاسلامي.



ـ عرض فلكلوري للباس الوطني التونسي.

ـ الشيخة ألطاف الصباح: السدو ـ الحياكة البدوية للكويت ـ تراث حي.

ـ د. سونيا النمر: السجاد والكليم في فلسطين.

ـ د. عبيد الله أوفاتوف: حياكة السجاد في أوزبكستان.

ـ أ. صوفيا خبيب الرخمانوف: السجاد والكليم في تتارستان.

ـ أ. عزيزة بن تنفوس: القطيف أو السجاد اليدوى بالبلاد التونسية.

ـ د. رؤيا تاجييفا: السجاد الأذربيجاني.

ـ أ. فائقة عويضة: واقع حياكة السجاد والكليم في لبنان.

ـ أ. نواف حامد: تطوير السجاد الفلسطيني.

ـ أ. على القيم: السجاد والكليم في سوريا.

ـ أ. جمال كشيح: المسار التاريخى للمنسوجات اليمنية.

ـ أ. أشمات سونى: حياكة السجاد في جنوب أفريقيا.

٥ ـ دراسة للعناصر الزخرفية للسجاد والكليم:

ـ أ. عبد الله أبو راشد: الزخرفة في السجاد.

ـ د. عبد الرحمن أيوب: الرموز وأبعادها الحضارية في السجاد التونسي.

ـ د. على حصورى: تصميم الفردوس في السجاد الإيراني.

ـ د. سلجوك مولايم: التصاميم الهندسية على السجاد التركي.

ـ أ. إيما كلارك: رمز سجادة الصلاة الإسلامية.

٦ ـ المراكز الحرفية وتنمية المنتوج والنهوض به:

ـ أ. صفية حسين: التعليم والتدريب ودور التعاون الفنى وتبادل التقنيات في تطوير المهارات.

ـ د. سامى عبد الباقى: تطوير الأداء التعليمى لحرفة الكليم.

ـ أ. باتيما: مدرسة تدريب وابداع فن الأبسطة.

ـ أ. سوسن عامر: القرى الحرفية مع التركيز على قرية الحرانية ومركز أخميم بسوهاج وكليم أسيوط.

- أ. أندراش فينكاتا شيلوم: دور الحكومة والرعاية في تنمية وتطوير الحرف اليدوية.
- أ. نزيه معروف: السجاد كأولوية في سياسات التنمية في الدول الأعضاء.

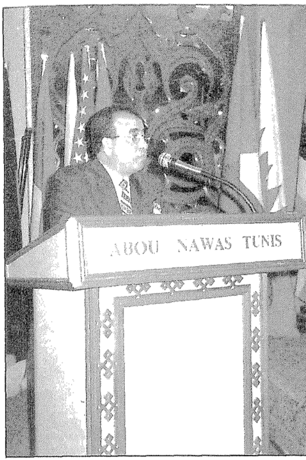
٧ ـ مسالك التسويق:

- أ. دالى ايج: تسويق المنسوجات الفنية.
- أ. مارياسالا: البحث عن فرص تسويق جديدة مع تبيان حجم التبادل التجارى والعمالة الموظفة في هذا القطاع.
- د. فاى فريك: تسويق سجاد هنود أمريكا.
- د. غازى عبد الرحمن: تطور السوق العالمى للسجاد التقليدى والكليم.
- د. شكر عسكروف: فن وتسويق سجاد أوزبكستان المعاصر.

الأنشطة المصاحبة للندوة:

صاحب الندوة تنظيم معرض للسجاد والكليم التقليدى من مختلف بلدان العالم الاسلامى الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامى، وذلك في المعرض الدولى التونسى بمنطقة الكرم، حيث تم عرض نماذج متنوعة من السجاد التقليدى والكليم أمكن من خلالها التعرف بشكل واضح على ما وصلت إليه هذه الحرفة في مختلف البلاد الأسلامية، والتقنيات المستخدمة في كل منها، سواء كان ذلك من حيث المواد الخام أو الأصباغ أو التصميمات الزخرفية. وقد أمكن للزائرين التعرف عن قرب على طريقة تنفيذ هذه المنتجات حيث أقيمت ورش عمل لحرفيي السجاد التقليدي والكليم مارسوا خلالها عملهم كما هم في مواقعهم الأصلية، وباستخدام نفس الأدوات، فكان ذلك تعبيرا واقعياً لقى استحسان الزائرين الذين توافدوا بأعداد كبيرة على المعرض.

ولعل من أسباب نجاح هذا المعرض بشكل منقطع النظير، أنه جاء مواكباً للصالون التونسى السابع عشر للإبتكار في الصناعات التقليدية والذى تمحور حول «المنسوجات التونسية أصالة وإبداع» والذى شارك فيه أكثر من مائتين وخمسين عارضاً. ويحتل قطاع السجاد مكانة هامة في إنتاج المرأة التونسية إذ يكاد



ـ د. صلاح البهنسى اثناء القاء بحثه في الندوة.

يكون قصرا عليهن فيما عدا «القطيف» الذى يختص بصنعه الرجال «الرقامة».

وتميز إنتاج النساء بتقديم مجموعة من الإبتكارات في مختلف المنسوجات، ومنها الإبتكار الذى عرضته الفنانة حورية نجاح ويتمثل في الرسم بالريشة على مختلف أنواع الأنسجة وبدون استعمال العوازل الدهنية. وكذلك مجموعة المنتجات التى قدمها فرع الديوان القومى للصناعات التقليدية في قفصه والذى يعتمد على عشرين من الإناث في إنتاجه ـ كما برزت المنتجات الخزفية لمصنع عزوز الخراز الذى يمثل السلالة العاشرة لأسرة عريقة في صناعة الخزف في تونس.

وبالإضافة الى المعرض فقد أقام سعادة الأستاذ صلاح الدين معاوى وزير السياحة مأدبة عشاء بفندق خامسة كورنثيا أعقبها عرض للأزياء التقليدية التونسية، كما قدمت فرقة المعهد الرشيدي، وهى فرقة موسيقية تراثية عرضاً موسيقياً، وكذلك الفرقة الوطنية

للفنون الشعبية، وذلك بدار حسين باى، وهو من البيوت الأثرية القديمة بمدينة تونس.

توصيات الندوة:

لا شك أن مجموعة الأبحاث التى قدمت للندوة قد تناولت الوضع الراهن لصناعة السجاد والكليم في العالم الإسلامى، والآفاق المستقبلية لتنميتها، والحلول المقترحة لذلك، خاصة وأن هذه الحرفة تشكل أهمية اقتصادية وثقافية وسياحية للدول الأعضاء، خاصة وأن حرفة السجاد والكليم تحمل ميزة خاصة تتعلق بتحريك قطاع القوى العاملة النسائية خاصة في القرى والمناطق التى تنعدم فيها فرص العمل الأخرى.

ومن أهم التوصيات التى صدرت عن الندوة:

- عمل كتاب توثيقى لروائع قطع السجاد والكليم الإسلامى والأساليب المستخدمة في عمله.
- الإستعانة بالتراث كمنبع للإلهام والبحث والإبتكار، واستخدامه في استحداث أساليب زخرفية تفى بمتطلبات المستهلك والسوق، مع تطبيق معايير الجودة، وطبع العلامة المعتمدة وجودة التغليف، وهى الإجراءات التى أخذ الديوان القومى للصناعات التقليدية بتونس في تطبيقها. خاصة وأن هذا الأمر من شأنه إعادة الإعتبار للسجاد التقليدى الإسلامى، فعندما قامت تركيا بتنفيذ مشروع «دوباج» الذى يعتمد على أصباغ طبيعية وجودة في التنفيذ، فقد تم تصدير عشرين ألف قطعة منه الى كل من أوروبا والولايات المتحدة وأستراليا واليابان.
- إنشاء مركز دولى للسجاد التقليدى والكليم في العالم الإسلامى يكون مقره تونس ويتم فيه تدريب الحرفيين في دورات منتظمة، كما يلحق به مركز متخصص في ترميم السجاد.
- توثيق الدراسات والأبحاث التى أجريت في مجال السجاد الإسلامى التقليدى والكليم وحصر مجموعات السجاد الإسلامى في مختلف المتاحف والمجموعات الخاصة في العالم الإسلامى وأوروبا وأمريكا.
- تكوين مكتبة متخصصة في السجاد التقليدى والكليم يكون مقرها تونس تضم كل ما صدر من دراسات وأطالس في هذا الخصوص.
- عمل دليل عن المراكز الحرفية المتخصصة في إنتاج السجاد والكليم وأنواع المنتجات والمواد المستخدمة ويكون مزوداً بتعريف بالمصطلحات المتداولة في المهنة.
- تكثيف جهود المشاركة في المعارض الدولية، وتنظيم معرض دولى متجول في بعض دول العالم الهامة لعرض روائع قطع السجاد والكليم التقليدى من مختلف بلاد العالم الإسلامى.
- تخصيص صفحة على شبكة الإنترنت لعرض قطع المعرض الدولى المتنقل.
- ربط القطاع الحرفى بالقطاع السياحى حيث إن ذلك يؤدى إلى تنشيط الحركة الحرفية.
- استحداث شبكة اتصالات من مجموع الخبراء فى مجال السجاد والكليم لمتابعة تنفيذ توصيات الندوة.

كلمة واجبة:

إن النجاح الباهر الذى حققته الندوة ساعد عليه عوامل مجتمعة، على رأسها الدعم الفعال الذى قدمته بعض الجهات، وخاصة شركة مشارق الدولية بجدة، وصاحبها معالى الأستاذ أحمد زكى يمانى، ومديرها سعادة المهندس عبد العزيز كامل. ذلك الدعم الذى عزز نجاحه الإعداد الجيد، والتنسيق المحكم، والتنظيم الهائل، الذى بدأه ورسم خطوط مساره، وتابع مراحله حتى النهاية، المنسق الدولى للندوة، ومدير برنامج تطوير الحرف اليدوية التابع لمركز أرسيكا سعادة الأستاذ نزيه معروف، وشاركه في ذلك سعادة الأستاذ الشاذلى القروى الرئيس المدير العام للديوان القومى للصناعات التقليدية بتونس والمنسق المحلى للندوة، الذى استعان بدوره بطاقم من السكرتارية على أعلى مستوى من اللباقة وحسن التنظيم، ومجموعة من أمهر المترجمين الذين نقلوا المصطلحات العلمية نقلا دقيقاً إلى اللغات المختلفة، فكانت الندوة التى دارت فعالياتها على مدى خمسة أيام، في كل يوم أربع جلسات، منظومة متناسقة الأدوار، متناغمة الحلقات.

وكما أستقبلت الوفود بالبسمة والترحاب، ونعمت بكرم الضيافة، فقد ودعت بكل معانى الحفاوة، والأمل في تكرار اللقاء.



أقلام، ثائرة وثائرة على الطريق، أو واصلة، أحبت الكلمة، رسمت بها مشاعرها خطوطاً ذات ألوان متغايرة.. وجميعها تصب في خانة هموم الانسان، سوانحه وبوارحه. إنها ومضات تلمع وتضيء هنا وهناك.

مكة المكرمة .. وخصائصها

بداية:

من الادلة الدالة على وحدانية الله وربوبيته، وقدرته، وسعة علمه، الاختيار، والتخصيص، والاجتباء، والاصطفاء.. يختار الله ويصطفي من مخلوقاته ما يشاء، ويفضل بعض مخلوقاته على بعض.. فمن ذلك اختياره من الملائكة ما يشاء، وجعلهم افضلهم.. وكذلك اختياره الرسل من البشر واصطفاء أولي العزم منهم، واختيار رسولنا {صلى الله عليه وسلم} افضل الرسل.

ومن اختياره (ايضا) الدال على ربوبيته، وتفرده بالملك تفضيل بعض الامكنة على بعض، فقد اختار الله، وجعل (مكة المكرمة) افضل الاماكن، وخير البلاد، وشرفها اجل تشريف، فهي البلد الحرام الذي أقسم الله به في كتابه فقال: {لا اقسم بهذا البلد، وانت حل بهذا البلد}، فقد جعلها الله مهبطا للوحي، وبلداً لآخر الرسل، ومحلا لاداء العبادات ففيها يؤدى الركن الخامس من اركان ديننا (الحج)، وكذلك العمرة.

نبذة تاريخية:

لمّا أهبط اللهُ آدمَ (عليه السلام) من الجنة الى الارض كان أول ما لفت نظره خلو الارض من المساكن، ومن الناس الذين يقومون بعبادة الله كما هو الحال في السماء.. فأوحى الله اليه بأنه سوف يعهد اليه بهذه الارض لعمارتها، وعبادة الله وتحميده.. ثم أوحى اليه ان يبني بيتا لله يعظم الله فيه، ويعبد فيه، ويطوف الناس حوله.

فلما اهتدى (آدم) الى المكان الذي حدده الله له لبناء الكعبة أخذ آدم يبني البيت، وأسس قواعده، فلما فرغ من بنائه أنزل الله إليه (ملكاً) يعلمه مناسك الحج، وكيفية الطواف[١].

وقيل إن أول من بنى الكعبة هم الملائكة حيث كانوا يطوفون حولها قبل مجيء آدم، وذريته.. وبقي البيت الحرام مبنياً يزوره الانبياء، والرسل، ومن آمن معهم من قومهم، الى أن عاقب الله قوم نوح (عليه السلام) بالطوفان، فاختفت معالم البيت الحرام من أثر الطوفان الذي عم الارض، وبلغ الجبال.

رفع القواعد:

لمّا بعث ابراهيم (عليه السلام) أمره الله أن يبني بيتاً يكون مثابة للناس وأمناً، وكان عليه ان ينفذ أمر ربه.. لكنه لا يعرف البيت!! فأرسل الله اليه جبريل يخبره عن قواعد البيت، وأسسه، وذلك قوله تعالى: {وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت} أي أرشدنا، وأعلمنا.

ثم أخذ ابراهيم بمساعدة ابنه اسماعيل (عليهما السلام) يبنيان الكعبة ثم وضعا الحجر الاسود[٢].. وظل ابراهيم، وولده يرفعان البناء حتى ارتفع البنيان فلم يعد ابراهيم قادرا على وضع الحجارة، واكمال البناء فأتمها له اسماعيل (بحجر) كبير، يقوم عليه حتى يكمل البناء[٣]، ولما فرغ ابراهيم، وابنه من البناء أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج، فاذن ابراهيم، ونادى الناس، ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا، فسمعه من بين الارض، والسماء، ومن في اصلاب الرجال، وارحام النساء، فأجابه من آمن منهم[٤].

خصائص هذا البلد:

لقد جعل الله البيت الحرام حرماً آمناً لا يُسفَكُ فيه دم، ولا يُعْضَدُ شجره، ولا يُنَفَّر صيده، ولا يُخْتَلى خلاه، ولا تُلْتقطُ لقطته إلا لمُعرف.. ولقد حرّم النبي {صلى الله عليه وسلم} المدينة المنورة، كما حرم ابراهيم مكة،

فهي محرمة الى يوم القيامة بحرمة الله لها.

ومن الخصائص التي ميزت مكة عن سائر البلاد:

- إنها اشرف البقاع، واطهرها، واحبها الى الله تعالى، فقد قال الرسول {صلى الله عليه وسلم} خير بلدة على وجه الارض، واحبها الى الله مكة.

- إنها قبلة اهل الارض كلهم في مشارقها ومغاربها، فقد كان الناس يتوجهون في صلاتهم الى بيت المقدس الى ان انزل الله قوله: {فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره} فأمر الناس باتخاذ الكعبة قبلة.

- ومن خصائصها أن المسجد الحرام هو أول مسجد يوضع للناس في الارض قال تعالى: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة}.

- ومن خواصها أنه يعاقب على الهم بالسيئات فيها، وان لم يفعلها قال تعالى {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم}، فالآية نصت على تحريم الهم بالظلم فيه، وأن السيئات فيه تضاعف.

- ومن خواصه انجذاب الافئدة، وهوي القلوب، وانعطافها، ومحبتها لهذا البلد الامين، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد[٥].

- إن مكة البلد الوحيد الذي تضاعف فيه الحسنات، حيث تضاعف الحسنة الى ألف حسنة.. فمن صلى فيها صلاة كانت له بألف صلاة، ومن صام فيها يوماً واحداً كان كصيام ألف يوم، وهكذا.

- هي البلد الوحيد الذي يحشر الله اليها يوم القيامة الانبياء، والاصفياء، والصالحين، والعلماء، والفقهاء، والزهاد، والاخيار، والاحبار من الرجال والنساء، وإنهم يحشرون وهم آمنون من عذاب الله.

- ومن خصائصها ان النظر الى الكعبة المشرفة عبادة، قال (عليه الصلاة والسلام) من نظر الى بيت الله ايماناً واحتساباً وتصديقاً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، وحُشر يوم القيامة من الآمنين.

- وما على وجه الارض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعاً الا مكة ومنها جوف الكعبة.. عند الحجر الاسود.. الركن اليماني.. خلف المقام.. على الصفا والمروة وبينهما.. وبمنى وبعرفات.. وبالمشعر الحرام وغيرها[٦].

- ومنها ان الله جعل لمن اراد أو قصد مكة (ايام الحج خاصة) منافع (دينية ودنيوية) قال تعالى {ليشهدوا منافع لهم}.

- ومنها ان اجتماع الناس فيها يمثل اجتماعاً سنوياً خاصا بالمسلمين لمناقشة قضاياهم، والتزود باخبارهم، وسيرهم، ومعرفة احوال بعضهم البعض.

- ومنها ان ماء زمزم افضل المياه فهو غذاء لمن اراده غذاء، وهو علاج لمن اراده دواء، قال {صلى الله عليه وسلم} ماء زمزم طعام طُعم وشفاء سُقم، وماء زمزم لما شُرب له.

هذه مقتطفات من مزايا وخصائص هذا البلد الحرام، وقد ألمحت الى بعضها.

الهوامش:

(١) نظرات في احسن القصص ١/٤٧ - ٤٨ (د. محمد السيد الوكيل).

(٢) كان الحجر ابيضاً، وانما سودته خطايا بني آدم، كما ورد عن الرسول الكريم.

(٣) وهذا الحجر هو مقام ابراهيم الذي كان ملصقاً بالكعبة، فاخره عمر بن الخطاب لئلا يشغل المصلين والطائفين.

(٤) نظرات في احسن القصص ١/١٩٠ - ١٩٣ (بتصرف).

(٥) زاد المعاد لابن القيم، الجزء الأول.

(٦) هذه من جملة الخصائص ذكرت في الرسالة التى ارسلها الحسن البصرى يعاتب فيها صديقاً عزم على ترك مكة، نشرتها المجلة العربية في عددها (٢٢٤)، اعدها (عوض الدريبي).

على العمري - المخواة - السعودية

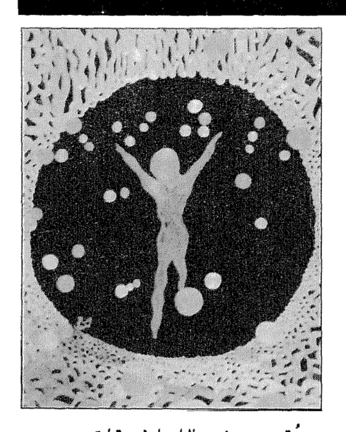
وكنا نساقي البدر

عبء على ألق الهنيهة ·· والشذى
والومض ·· والبوح القصيدْ
عبء على القيم التي برقت تشف نصاعة
أبداً تحلق كالندى··
وتجنح الآفاق فيها نضرة
تخضلُّ قافية النشيدْ
عبء على بيض السرائر راق خاطرها
وأزهت بالرحيق ·· وبالورودْ
عبء على كل المعانى العابقات صفتْ على وجه الضحى··
وتمايست كالطل ·· كالنبع الصدوق
عبء على الدنيا بأكملها
على وعد الاصائل··
والصباحات التى تجرى على دمنا··
تلوننا وريداً زاهياً ·· تلو الوريد
كنا نساقى البدر يُرفدُ مقلتينا اللحظة الريَّا
ونترعُ دنَّنا شدواً
نشيلُ خطابنا الشعريَّ للنجم البعيدْ
كانت تؤرقنا المقاطعُ صبوة
كانت على كتف الشموس تتيه وجداً ألفُ رابية
ويأتلقُ المدادْ
كنا نسافرُ كالسحائب
كالمدى الروّاح
نركض كالمساءات الخطاطيف اكتست شوق الهزارْ
كنا على كل الدرارى الزاهرات وعود حب
وانتظار ·· الانتظارْ
كانت ·· وكنا قبل أنْ يأتى الدوارْ
حلّت شواظ النار ماحقة
أتى المحلُ المُدمَّى يسحقُ الأرض التى عشبتْ
ويطفىء كلَّ قنديل ينور في القفارْ
أرخى على كل المسارب ألف جارحة
وفاض الشجوُ يدفقُ بالمزيدْ
بحرُ المآسى قد تحدَّر حُلكة
وعلى المدى تمتدُّ أهوالُ المجيء··
فلم تعُدْ في الشمس شمسٌ تحتفى ·· وتضىء بيدْ
الزيفُ جاء به الدجى
والريحُ تصرخُ آهة قد أترعت كبد السماء
سكنت دماء الجرح كلَّ خلية
والنبض نهر فجيعة نزفت شواطئه·· تجاوز كلَّ حد وامتلاء
يا ويح حين يموت في الصبح الغناء
والامسيات يحيطها صوت الثكالى·· واليتامى ·· والرثاء

محمد سعد دياب ـ السودان

«إليها»

راكَ البـدرُ فـاسـتـحـيـا
وأخـجل سـحـرُك القـمـرا
لحـاظ منـك تـأسـرُني
فـراعي الله في الأسـرى
ولا تـقـسـى عـلـى دنـف
تطوّف فـيك واعـتـمـرا
سـهـامُ الـعـشْق ضـارية
وسـهـمك يفلقُ الصّـخـرا
ونـارُ الـعـشق مُـوقـدة
فـبِـثـي نارك الحـرَّا
وغُـوصي في دمي جُـرحـاً
تفـجَّرَ فيَّ فـاسـتـعـرا
وغُـوصي في دمي نبـضـاً
لعلَّ جـراحنـا تبْـرى
هويْتُك نجـمـة تسـمُـو
على نجـمـاتي الأخـرى
هويتُك بسـمـة تُشـفي
عـضـالي ترقصُ الوترا
هـويـتـك منـهـلا يـروي
بـأحـداق الـهـوى الفكرا
هـويْـتُـك واحـة هـدأتْ
عليـهـا أدْمُعُ سكرى
هـويتُـك مـزنـة هـطلتْ
تُبللُ في الحـشـا القطرا
هـويْتُك مـرْفـأ تـرسُـو
عليه مـوجـتي الحـيـرى
هـويْتُك والـهـوى قـدرٌ
فلومي في الـهـوى القـدرا
وقُـولـي إنـه صـبٌّ
يُداعبُ جـفنُه السَّـهـرا



يُقـضـي الـليـل في قـلـق
يُـنـاجـي الأنجـم الـزُّهـرا
غـرامُك هزَّ أضلُـعـهُ
وفـجَّـر أنـهُـراً شـفْـرا
غـرامُك قُـدَّ من بـدني
وفي اعـمـاقي انـتـشـرا
فـهـلْ ألقـاك يا فـجـراً
وهـلْ ألقى غـداً فـجـرا
وهـل يا مُـهـجـتي يُطوى
أنـينُ الـشـوق والـذكـرى
سـيـبـقى ذكـرهـا عـبـقـاً
يرُشُّ نـسـيـمـهُ العطرا
سـيـبـقى ذكـرهـا قـبـسـاً
يُنيـرُ شُـعـاعُـهُ العُـمْـرا
سـأبقى للوفـا رمـزاً
وإن زمـنٌ بـنـا غـدرا

عادل محمد احمد بيوض - مصر

عن تفرغ الأديب

مع التسليم بصدق نوايا من ينادون بهذا المطلب الوارد (تفرّغ الأديب) أتصور أن الأديب الحقيقي ليس في حاجة لأن يفرغه أحد.

فليعمل موظفاً بسيطاً أو في حرفة متواضعة حتى يعرف قدره الحقيقي، فإن كان أديباً غير عادي ويملك مقدرة غير عادية على تجاوز الماضي وتحريك الحاضر واختراق المستقبل بعطاء ملفت وتوجه مدروس، فسوف يتحرر من كل ما يضايقه - تلقائيا - دون شكوى أو طلب .. سوف تأتيه المناصب ساعية إليه وهو جالس في مكانه أو على رأس عمله؛ أمّا إذا كان أديباً عادياً، يكتب قصصاً وقصائد لا تقدّم ولا تؤخر، فما الذي يمكن أن يستفاد من تفرّغه؟ فقط إهدار أموال في الجيوب الراكدة، وإهدار أحبار على الورق البارد، وصداع هنا وغثاء هناك؟!

إنني - من واقع التجربة - أستطيع أن أضرب مثلا صغيراً، وقد يؤخذ عليّ، ولكن المتابع للحركة الأدبية (على مستوى العالم العربي) خلال خمس سنوات مضت، يدرك أن هذا المثل حيّ وقائم بذاته، دون إعلان أو غرابة.. فثمة أديب شاب يبدع بشكل تصاعدي، مع أنه - منذ سنوات - يشغل أصغر منصب وظيفي.. يذهب مع النعاس ويعود بالإرهاق، يقابل في اليوم الواحد أصنافاً من الناس، فيهم المزارع والتاجر والمواطن البسيط والمواطن الصعب!.. يعمل بشكل روتيني، ويبحث عن التقدير بين هؤلاء فلا يجده بحكم وظيفته إنما يجده بحكم - وما أقواه من حكم - التعامل مع الناس.. هذا التعامل الذي يعطي الإنسان بشكل عام، والأديب بشكل خاص، إحساساً متميزاً بأن له من القيمة مالا يقبل المقاسمة أو المقايضة بكل المناصب والمسميات.. ومن هنا تبدأ النفس في الارتقاء بكل ما يحتك بها قولا أو عملا.

وإن قال قائل بأن من حق الأديب المطالبة بالوقت الكافي حتى يبدع بشكل متميز ولابدّ له من التفرغ الكامل لعمله الأدبي. فليصفع نفسه صفعة واحدة، على أن تكون قوية، وينظر بعدها: هل يحتاج إلى وقت كاف حتى يحسّ بالألم ويشعر بأنه ارتكب خطأ في حق نفسه؟!.

هكذا الأدب - وهو جنس من الإبداع - لا يحتاج إلى وقت بقدر ما يحتاج إلى وعي وإحساس وتكوين فطري. أما التفرغ، فأمره متعلق بمقدرة الأديب على تحقيق النجاحات التي ستأخذه - حتماً - إلى ما يريد.

فيصل أكرم - الرياض

أم تكتشف الحنان لأول مرة

قالت بصوت مثقل متقطع الانفاس· فاتر
قالت، وبعثر صوتها فجر غزا حتى المغاور
فجر أحال وجودها نغما عميق الوقع ساحر
قالت· وشاهدت السعادة تمتطي طيب المباخر
«أختاه هل حقا أنا أم لمولود مغامر؟
«مديه يا اختاه لي· ها اني صرت - ام شاكر -
«كل الوجود أراه يا اختاه سحرى المناظر
«حتى الجماد أراه يقرأ سحره فوق المنابر
«نادي أباه لكي يراه، لكي يرى بشرى البشائر»
وهنا أطلت امها وبصدرها يهتز كاسر
همت بزغردة فالجم صوتها المرتج قاهر
دقات خافقها الذ من المزامر والمزاهر
دقات قلب الأم أعظم من تحذلق اي شاعر
دقاته فوق الحروف وفوق شطحة كل شاطر
جلست وضمتها لصدر صار كالبركان هادر
وتلاقت الانفاس حرّى والتقى دمعُ المحاجر
وانساب صوت البنت مرتعشا كاجزاء الدوائر
«اماه عفوا ان قلبي كان قبل اليوم كافر»
«والان ها أني أحس بأن صدرك فيه ثائر
«خوفا علي يكاد يفتك بالحواجز والستائر
«فحنانك الدفاق يا اماه مأثرة المآثر
«وأنا بجهلي كنت أحسبه خليطا من خواطر
«والآن هز مشاعري حب عميق الوقع غامر



«حب لو ان الله أرسله لسكان المقابر
«لتعلقت رمم به واستلهمت سحر المشاعر
«ها هو قلبي مثل قلبك في سماء الحب طائر
«لو قيل أنت أم الوليد يموت؟ صحت أنا أبادر
«أمي وطفلي والامومة ترتجيني ان أجاهر
«وأقول: كل الحب ضيف في سماء الناس عابر
«إلا انا وكأي ام حب طفلي ليس زائر
«ولسوف أجعل فلذتي علما به وطني يفاخر
«شبل لأم تقتدي بخصالها كل الحرائر
وطن به أم كهدي هو بالعظماء زاخر
فالبنت أم ان أعدت لم يعد للمجد آخر

عمـــر السعيدي - تونـــس

المثقفون والمجتمع

يثير مفهوم المثقف جدلا كبيراً بين الأوساط الفكرية عند تحديده، فبعض المفكرين يعنون بالمثقف ذلك المتميز والمسلح بالبصيرة، وبعضهم يعنون به المتخصص في الفكر المجرد، وفئة ترى فيه المتفاعل مع مجتمعه، أو منهم من يرى فيه المتعلم فقط.

في الواقع، فإن جميع هذه الصفات هي أجزاء مشتركة في الشخص الذي يطلق عليه لقب المثقف، نظر كل باحث اليها من زاوية معينة وانطلق منها في تعريفه، فالثقافة تحتاج الى مقدار من العلم ليساعد حامله في الحصول على المعرفة ليتمكن من بلورة أفكاره وتوجيهها الى الجهة الأقوم، ويتطلب هذا من الشخص المثقف أن يكون متفاعلا مع مجتمعه، متابعاً لأحداثه ومشاركاً فيها حتى يتمكن من وضع التصورات الصحيحة لأفكاره نحو مجتمعه.

مما سبق نرى أن غالبية أفراد المجتمع يحملون جزءاً أو أكثر من صفات المثقف، غير أن المثقف يمتاز بالتزامه بمبدأ يراه كفيلا بتقديم المنفعة لمجتمعه بواسطته، ومؤمن إيماناً راسخاً بهذا المبدأ، ومدرك عن وعي تام بأهمية دوره في نشر مبدأه.

فالمثقف هو «من لديه اهتمام بالأمور العامة، وتلقي حظاً من العلم يساعده على تكوين فكر متمين، وقدرة على التقييم والابتكار، ويكون ملتزماً بمبدأه وواعياً لدوره، ومدركاً لأهميته، ومشاركاً مجتمعه همومه وقضاياه».

عندما نتحدث عن المثقف، فإننا نتحدث عن شخص تعامل بالكلمات ويحاول تجسيدها على أرض الواقع، والكلمات ليست لعباً ولا رفاهاً، فكلام المثقف له دور فعّال في التأثير على تطوّر الأفراد، وبالتالي على الواقع الاجتماعي نفسه، ومن هنا تتضح أهمية المثقف، إذ يفترض فيه أن يلتزم بموقف معيّن جوهره الارتباط بقضايا المجتمع وزيادة وعيه، وأن يعي المشكلة التي تواجه مجتمعه، ويتحرك باتجاه وصف أحوال المجتمع والإنتقال بعد ذلك الى التفسير العقلاني لتلك الأحوال التي يعيشها المجتمع، ويكتمل دور المثقف، ويؤدي رسالته السامية برسم طريق الخلاص، والعمل على الخروج من تلك المشاكل التي تواجه مجتمعه.

على عكس الثقافة التي هي إنسانية عامّة لا تخص فرداً بمفرده، فإن المثقف يكتسب هذه الصفة بصفته الفردية عندما تتوافر فيه العناصر المشكلة له كمثقف، لذا فإن مجموعة المثقفين (الأنتلخيسيا) لا يشكلون طبقة أو شريحة اجتماعية معينة أو مميزة تخضع لمواصفات محددة، بل تجدهم منتشرين في جميع أنحاء المجتمع، ممَّا يعكس واقعاً غير متجانس يجمعهم، أي أن المبادىء والأفكار التي يعتنقونها، ويرون فيها الموجه لهم في حياتهم، تختلف باختلاف مصادرها، فهناك المحافظون والتبعيون والمتطرفون.. وغير ذلك.

يُعَد هذا الاختلاف في التجانس عنصراً إيجابياً لرفد الثقافة بمفاهيم جديدة تدفعها للتطور والبناء، أو عنصراً سلبياً يبعث على الشقاق والانفصام بين أبناء المجتمع الواحد، ممَّا يؤدي الى تشتت المفاهيم وذبول الثقافة وتراجعها.

هناك عدة عوامل تعمل على اعتبار الاختلاف في التجانس إيجابياً أو سلبياً، منها: نظرة المثقفين الى ثقافة مجتمعهم من ناحية، ومقارنتها بغيرها من الثقافات من ناحية أخرى، ومدى وعيهم لمبادئهم ومشاركتهم لمجتمعهم في قضاياه، ومدى التزامهم بهذه المبادىء والمشاركة فيها.

للمثقف دور مميّز داخل المجتمع، نابع من طبيعة

المهمَّة والدور الملقى على عاتقه، فلكونه مفكر متميز قادر على التقييم، يستطيع أن يقدم لمجتمعه ما يناسبه ويرفع من شأنه ويعزز مكانته، ويبعد عنه ما يمكن أن يتسبب في تهدمه وتصدعه، والمثقف للمجتمع كالسياج، الحامي والمدافع عن وجوده، والمنافح عن حقوقه، وبالتالي فهو الذي يكسب جسم المجتمع المناعة اللازمة لمقاومة أي دخيل ضار وغريب.

عندما يقوم المثقف بالدور المناط اليه، فإنه سيواجه نتيجة عوامل متعددة أزمة بين الفكر الذي يحمله وبين الواقع الذي يعيش فيه، فالمثقف دائماً يتطلع نحو الأحسن، في حين أن أفراد المجتمع يتعودون على أنماط محددة في الحياة يألفونها، ولا يتنازلون عنها بسهولة، ممَّا يؤدي الى مواجهة بين المثقفين وبين المجتمع، كذلك فإن عدم التجانس بين مجموعة المثقفين أنفسهم يجعلهم في مواجهة بين بعضهم بعضاً ممَّا يؤدي الى حيرة وتشتت في مفاهيم المجتمع يترتب عليها تأخر وصول نتائج أفكار المثقفين، يضاف الى ذلك أن المكانة المميزة التي أعطاها المجتمع لهذه الجماعة، جعلتهم يتجهون الى التجريد والتنظير والإبتعاد عن الواقع، فعملت على تشويه بنيوي في تركيبة هذه الجماعة، ووجود فئات اتخذت من عباءة المثقف وسيلة للوصول الى غاياتها، فاختلف سلوكهم عن مبادئهم وضعف التزامهم بهذه المبادىء، فانعكس على المصداقية بين سائر المثقفين، وحتى على الثقافة نفسها.

إياد عبدالرحيم سلام - الاردن

لا لن أخوض معارك الابحار

حضرية بدوية في حلة
مزجت دموع الخيل بالأزهار
ما عدت أطلبها بوجه قصائدي
فلقد غويت وبحت بالأسرار
من أين أسألها الوصال وقد رمت
قبل الوداع برزمة الأسفار
حلفت وكان الشؤم طي يمينها
ألا تعود مجاري الأنهار
فلطمتها بالصمت وهي عنيدة
ورجمتها بالصفح والإكبار
فتناولت قلبي وكان يجلها
ورمت به فوق البنا المنهار
حطمت أشرعتي وقلت مودعاً
لا لن أخوض معارك الإبحار
يا أيها القلب المعذب هاهنا
روض يحن عليك بالنوار
وهنا طيور رفرفت بجناحها
فتلاعبت بالماء والأشجار
يصفو ويكدر غير روض هاهنا
أما هنا فالموت للأكدار
سمح الزمان لمثل قلبك أن يرى
ما بين ليل مقمر ونهار

صالح بن عبدالكريم العبودي - بريدة - السعودية

العرس

أي اهتراء يأكل أحشائي المتعفنة، في لحظة من الوشيّ والتطعيم الخرافي المزيف..

كل ما حولي يبهرني بانعكاسات سلبية الإرادة، تنزاح من داخل جسدي المقرّح قطراناً.

في محرق هذه الليالي الداكنة وجدتك.. وحيدة، ومسحة من الحزن والكبرياء تحيط عينيك المنطفئتين من كل اشعاعات الفرح.. وجدتك وكأنك رفيقة درب صعبة المسير.

أحزاني تراجعت أمامك، وبيديك تشابكت كل آمالي.. وولجتْ أعماق ذاتي كل أنوار العالم، فأضاءت في رحابك كل عوالمي، وحسبت أنني ودعت القساوة إلى أبد الآبدين.

لم أكن أعلم أنها بداية حلكة قاتلة مميتة.. لم تصنعيها أنت، ولم أصنعها أنا/ إنما صنعتها تملقات غبية في أثواب موشاة.

أنت أنت التي أحلت بيني وبين الموت.. أنت أنت التي أوحيت لي أن أستمر في الحياة/ فأي حياة هذه بدون أمل، وبغير حب.

كل ما حصدته حيرة قاتلة..

وانتصرت

وأنت التي انتصرت ولست أنا.. وأنت التي تستحق الجائزة ولست أنا.. حتى أبوك وبعد عناد وقف شامخاً:

- قد شئت إسعاد شيخوختي في النهاية.

وتم الاتفاق.. وقفت أخاطبك:

- بعد تصلبك المشحون لنت.. وبعد تعجرفك المذل طبت.. وكل هذا دفعني أن أصر عليك.. فتمازجت أفعالي بين الجيد والرديء.. الآن أغفر لك كل إساءة سابقة.. فهذه اللحظة قد شفت جروح قلبي كلها.

وتصايح الجميع بانتصار ونشوة:

- هيا إلى العرس.. هيا إلى العرس.

واليوم ذكرانا الأولى.. وكل منا في عالم.. وكل منا ينظر من بعيد بعيد.. نصيح بقوة العالم كله، فلا يسمع أي منا صاحبه.

بجنون أحمق ألبستُ دميتك ذاك الثوب الأبيض الملطخ. شربت.. ثملت.. ورحت أغني..

ومن غير إرادة أمسكتُ بالخنجر ورحت أرقص.. رقصت بشدة.. والأصوات تتلاحق قوية هدارة في أذني.. الأصوات تتلاحق.. الزغاريد.. العروسان.. الطبل.. الأهازيج.. وأنا أرقص وبشدة، والخنجر يلوح في يدي بحركات مرعبة.. أقفز أنثني والخنجر يهوي بقوة عن يمين ركبتي تارة، وأخرى عن يسارها.. تصبب عرقي، وارتفع لهاثي، وتلاحقت أنفاسي، وبعدها راح الفرح يصل أوجه/ وعند الأوج/ تبدأ تعابير الفرح المرعبة تتعالى طلقات نارية تتراقص في السماء.

أطلق.. أطلق.. الفرح من غير أعيرة نارية



لن يكون ·· ولن يصير·

نار ·· نار·

وأشعل النار في الدمية والثوب الملطخ، أدور حولها كالمهووس·

فجأة أتجمد ·· أتحجر·

أسمع صوتك الآن من بعيد:

ـ أطفيء النار·· لن تعيد الكرة·

أصحو ·· أحاول اطفاء النار بكل قوتي ·· تحترق أكفي ·· لم يبق من الثوب الأبيض الملطخ إلا قطعة من صدره·· أنقذتها من النار بأعجوبة·

أي بفيض إليك أنا؟!··

أي جاحد لك أنا؟!··

أحرقت كل ما بقي من الذكرى··

ذكراك ويداي المحروقتان وقطعة بيضاء واللعنات في داخلي، يأكلون من أعصاب هذا الجسد البائس ما شاء لهم·· يأكلون من شبح هذا الجسد، حتى عواطفه المتآكلة·

لا ـ لن تظلي بيضاء أيتها القطعة البيضاء ·· سألطخك وكما لطخ دمها الثوب الأبيض، سألطخك بدمي المحروق·

وأذكر عذاباتي وآلامي·

كم من حائل وقف بيننا واجتزناه·· كم تحدينا كلمة لا ·· أذكر وعورة الدرب إلى قلبك، وأذكر وعورة المسالك إلى أهلك·

ويجنون أخرق أعود للرقص ثانية·· أمسك الخنجر ألوّح به·· أنثني عليه·· يلاصق صدري ·· بطني ·· جسدي المحموم كله، وتعود الأصوات إلى أذني·

فرح ·· فرح·

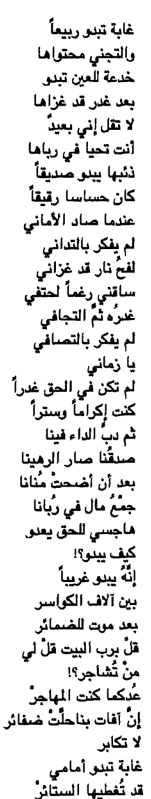
وكما في ليلة عرسنا الخالد·· وكما اخترقت تلك الطلقة الطائشة صدرك·· تهوي حركة رعناء من حركات رقصي بالخنجر على صدري·· فأنثني والقطعة البيضاء تشرب من دمي·

أصحو ثانية على صوتك:

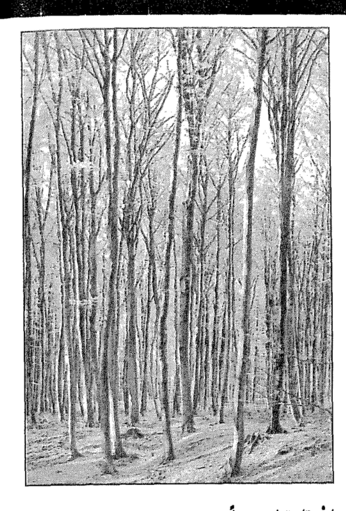
أوقف اللعبة ·· لن تعيد الكرة·

محمود شوا ـ سوريا

الغابة



غابة تبدو ربيعاً
والتجني محتواها
خدعة للعين تبدو
بعد غدر قد غزاها
لا تقل إني بعيدٌ
أنت تحيا في رباها
ذئبها يبدو صديقاً
كان حساسا رقيقاً
عندما صاد الأماني
لم يفكر بالتداني
لفحُ نار قد غزاني
ساقني رغماً لحتفي
غدرُه ثمَّ التجافي
لم يفكر بالتصافي
يا زماني
لم تكن في الحق غدراً
كنت إكراماً وستراً
ثم دبَّ الداء فينا
صدقُنا صار الرهينا
بعد أن أضحتْ مُنانا
جمْعُ مال في رُبانا
هاجسي للحق يعدو
كيف يبدو؟!
إنَّهُ يبدو غريباً
بين آلاف الكواسر
بعد موت للضمائر
قلْ برب البيت قلْ لي
منْ تُشاجر؟!
عُدكما كنت المهاجرْ
إنَّ آفات بناحلَّتْ ضفائر
لا تكابر
غابة تبدو أمامي
قد تُغطيها الستائرْ



إنْ تقل قولا سديداً
من سيُصغي
بات جمعُ المال شيطاناً مريداً
لا تقل إني أبالغ
كم تردى الحق في جمع المبالغ؟!
كم تمطى غادر بعد التجني؟!
بعد عدوان يراوغ
غابة قانونها ساد الديارا
قد بدت فيها الضحايا
بعد أن ذاقت مرارا
قد شكوتُ الأمر ربي
ذاك دائي، أين طبي؟!
مؤمنٌ فينا يلبي
إنَّ شرع الله ينجي

محمد عبدالسلام الباشا - مصر

أين ذاك العهد منا ؟!

يا حبيبي أين ذاك العهد منا؟!
يوم كُنَّا ...
يوم كُنَّا ...
نتعاطى منه ما نهوى وكُنَّا ...
كفراشات على الزهر تغني
تُطْرِبُ الأسماع باللحن تغني
وتُعيدُ الصوت لكن دون دن
دون حرف، دون قاف دون وزن
هكذا كُنَّا وكان الحب أحلى:
ما نظمنا .. ما كتبنا
بل وأحلى ما رسمنا
ما سمعنا ، ما لبسنا ..
كان أحلى ما عشقنا
هكذا كُنَّا وكان الليلُ
... يطوينا سوياً
كان يحيينا دوياً
كان يهوانا إذا ما النجم نادانا علياً
كان يهوانا روياً
كان يشدو حين نشدو
... صوته كان ندياً
عجباً كيف افترقنا
بعدما كنا سوياً
وأضعنا حلْمنا .. هل كان حلْماً أبديا..؟
ذلك الحلم الذي ضاع وولا عبقريا
يا تُرى قل ... يا تُرى ..؟!
هل كان حلماً عربياً؟!
دائماً يذهب أدراج الرياحْ!
دائماً يحسبه القوم مزاحْ!
كان حلماً عربياً
كان صوتاً أبجدياً
كان لوناً قرمزياً

يتبدى لحظة أو لحظتين..
ساعة أو ساعتين
ليلة أو ليلتين ..
... ثم يمضي عربياً
يا حبيبي:
لا تسلني ضاع علْمي
ضاع حلْمي ...
مثلما ضاعت جميع الأمنياتْ
مثلما ولت جميع الحركاتْ
وتبدَّت لي مئات السكناتْ
... في بحار العبراتْ
يا حبيبي:
هل إلى الحب سبيلٌ ..؟
إنني أحيا بأنياب المماتْ
يا إلهي إنني بين الرفاتْ
إنني أغرق في بحر السباتْ
تاركاً خلفي نداء الذكرياتْ
تاركا هات وهاتْ
تاركاً كُلَّ الصفاتْ
تاركاً كُلَّ الحياة
... في بحار الظلماتْ
يا حبيبي:
هل إلى الحب طريق
قل أجبني ..
إنني أسأل دوماً
يا حبيبي أين ذاك العهد منا ...؟!
يوم كُنَّا ...
يوم كُنَّا ...
نتعاطى منه ما نهوى وكنا ..

حفيظ بن عجب آل حفيظ - الخرج - السعودية

رحلات الحج الى «الحرمين الشريفين»

لم يستقرىء الباحثون المعاصرون - فيما أعلم - «رحلات الحج» التي قام بها الأوروبيون إلى «الحرمين الشريفين» مكة والمدينة زادهما الله تشريفا وتعظيما؛ وكذلك لم تقدم فيها دراسات جادة ومعمقة لنتعرف من خلالها على انطباعات أصحابها، وما كتبوه عن مشاهداتهم ولقاءاتهم أثناء أدائهم لـ «فريضة الحج» المقدسة.

فالغربيون - كما نعلم - شغوفون بالرحلات وكثرة التنقل وما يصحبها من العجائب والغرائب، والمغامرات والمفاجآت، وهم في سبيل ذلك يبذلون النفس والنفيس من أجل المتعة أو الشهرة أو الذكرى، ومنهم من يخلد رحلته أو يجمع ذكرياته ومشاهداته في «كتاب» يبقى أثرا بعده تقرؤه الأجيال.

وأنا ذاكر في هذا المقال «عينات» محدودة من تلك «الرحلات» لقلة المصادر معي، كي أفتح بذلك «باب الإستقراء . أو الدراسة» ليس إلا..

فمن أولئك الرحالة الذين زاروا «مكة والمدينة» ثم كتبوا عنهما:

١ - بوركارت (السويسري) فقد زار أرض الحجاز وحج عام ١٨١٤م ثم أودع زيارته تلك في كتابه: «رحلة الى العربية» وكان ذلك في عهد محمد علي باشا الذى لم يأذن له في - أول الأمر - في دخول «مكة» بسبب توجسه من صدق إسلامه، وفي النهاية نجح بوركارت في الوصول إليها .

٢ - ليون روش (الفرنسي)، وقد كان «الترجمان» الرئيسي في القوات الإفريقية، بعثه الماريشال بيقو في مهمة الى شريف مكة عام ١٨٣٧م أو ١٨٤١م. ثم كتب كتابه: «عشر سنوات عبر الإسلام».

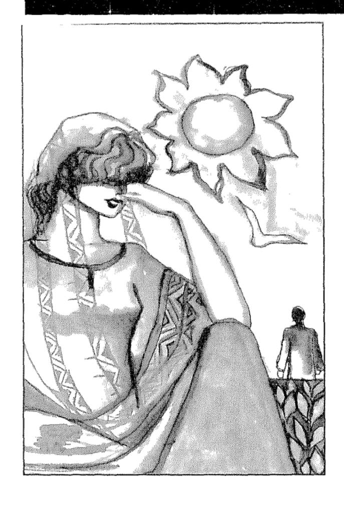
على أن «ناصر الدين دينيه» يشكك فيما ذهب إليه روش من وصفه لمكة والمدينة ويعلل ذلك بأن نصوص الوصف مطابقة تماما لما كتبه سلفه «بوركارت» فلا شك أن هذا منقول عن كتابه.

٣ - بورتان (الإنجليزي) وقد كان موظفا لدى «الشركة الهندية»، قام هو أيضا برحلة إستطلاعية إلى «الحجاز» عام ١٨٥٣م و وشارك في موسم الحج وزار المدينة، ثم كتب رحلته تلك في كتاب: «الحج الى المدينة ومكة»، و«بورتان»» هذا على حد تعبير «دينيه»: مستشرق بارز، رفيع المستوى ذو ثقافة موسوعية، عارف بالإسلام، خبير بعادات المسلمين، ويتكلم عدة لغات؛ وقد تخفى عند عبوره إلى «الحج» في صورة درويش «أفغاني».

٤ - بوليكو ، هو أيضا وضع رحلة بعنوان: «حجة مسيحي إلى مكة والمدينة».

صالح العـود - فرنسـا

قرنفلة القبول



أزف «الهلالُ»

مشتْ بشائره تلوحُ بالغمام

وباقترابات الهُطولْ

لبستْ لمقدمه النشاط

تزيَّنتْ بالحُب

شمَّر عزمُها عن ساعد

الجد المؤمل طعم غفران

تزينُهُ قرنفلةُ القبولْ

ومضتْ تمدُّ ولاءها

عشطاً

وجُوعاً

رهبة

ندماً

وتسرفُ في التذلُّل للذي

فطر الوجود

تسيرُ نحو رضاه ضارعة

بكل كيانها

وتبوحُ حين يُشعشعُ القرآنُ في دمها

برغبتها الخجولْ:

ياربِّ .. عفوك هبْ لنا

فوزاً يفيضُ به رضاك

وهبْ لنا فرحاً يطولْ

ما خاب منْ صامتْ رغائبه

وقام الليل محتسباً

ومقترباً

ومرتقباً

نداك

ما خاب منْ حطت ركائبهُ

ـ طوال الشّهر ـ

في نُعمى حماكْ

جمـــال علـــوش ـ ســــوريا



إماطة اللثام عن قَمَ

الأحماض من الجذر الثلاثي (حمض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فنيّ ساخر، يتناول مظاهر الحياة المعاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

* موضوع الأحماض:
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض:
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض:
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلّقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:

١ ـ تخيُّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

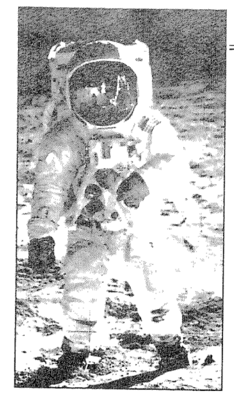
حدَّث المرادي[١] قال:

كنت في إحدى ليالي الربيع أراجع بعض الأوراق على ضوء القمر البديع في دار الفتيا بدمشق، فإذا داخل يُسرّ إليّ حديثا مزعجا عن صديقي الزبيدي[٢] نزيل اليمن وشيخ زبيد، فبت تلك الليلة كاسف البال كئيب النفس كأنما القائل يعنيني: «إذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد» حتى انبلج الصبح، وانتشر جناح الضوء في أفق الجو، فاستقر الرأي بعد الاستخارة والاستشارة على الرحيل إليه بوفد كبير من أعيان دمشق وأدبائها عملا بقول الله تعالى: {إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا}[٣].

وفي الطريق تذاكرنا نتفاً من أحوال اليمن السعيد منذ الأعصر الأولى من عهد بلقيس، وسد مأرب وسيل العرم، وسبأ وحمير، وأبرهة الأشرم والقُلّيس، وسيف بن ذي يزن، ويعرب بن قحطان، ورحلة قريش إليها في الشتاء، حتى بزغ فيها الإسلام. فلما وصلنا مدينة زبيد واستروحت نفوسنا بنسائمها العليلة، وأخذنا العجب من تقدم عمرانها، وكثرة بساتينها وجمال موقعها على واد خصيب محاط بسور له أربعة أبواب، وراقنا جامعها وهو جامعتها، وحظينا بحفاوة شيخها الزبيدي الذي دعا كبار العلماء، والأدباء لاستقبالنا والترحيب بنا، وكان من بينهم الهمداني صاحب «الإكليل» وعمارة اليمني والعيدروس المؤرخ الجليل، وابن أبي الرجال، وغلامان نابهان يسكبان لنا القهوة العربية يقال لأحدهما البردوني وللثاني المقالح[٤]، حتى إذا اجتمع الصحب، وطاب السمر، وعم السرور، وشعّ القمر، قلت للزبيدي:

يا أبا الفيض، ما خبر نمى إليّ عنك؟!

بقلم : د. أحمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ



ر الهيَّام

قال: ما زلتُ على ما عهدتني: آمراً بمعروف ناهياً عن منكر، عارفا قدر نفسي، راجياً عفو ربي. أثمَّةَ واش أفسد المودة وأوغر صدرك بالموجدة[٥]؟!.

قلت: أي والله، بلغني أنك صنفت كتابا يثير في المراهقين الشهوة، ويغريهم بمقارفة اللذة، ويضرم في الوامقين الحرقة، وينزع عن العذارى أردية العفة وأنك سميته: «تاج العروس»[٦] ونهجت فيه نهج الفيروز[٧] في إلهاب المشاعر وتشويق النفوس! فضحك الزبيدي، وقهقه بعض أصحابه، حتى ارتبنا وأحرجنا، وقلت في نفسي: أخطأتَ يا مرادي!

ثم قام فاستخرج كتابا من مكتبته ووضعه بين يديه وقال: أو تحسب يا نقيب دمشق أنني شُغلت عن الفقه واللغة بإهاجة الشوق، ومطارحة الوجد وملاحقة العشاق والهيَّام في معابثاتهم وشطحاتهم، والوقوف على الأطلال، وبكاء الديار كما بكى ابن حذام:

عُوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكي الديار كما بكى ابنُ حَذام؟!

أم تحسب أنني حشوت كتابي بأخبار الشعراء وصويحباتهم كامرىء القيس وصاحبته فاطمة، والأعشى وهريرة، والمجنون وليلى، وقيس ولبنى، وعروة وعفراء، وتوبة بن الحمير وليلى الأخيلية، وجميل وبثينة، ووضاح اليمن وروضة، وكثير وعزة، وأبي نواس وجنان، وديك الجن وورد، والعباس وفوز؟!

أم تحسب أنني كنت رديف عمر بن أبي ربيعة وقد انتوى زيارة «نعم» وهو ينشد:

وغاب قُمَيرٌ كنت أهوى غيوبه
وروّح رعيانٌ ونوّم سُمَّرُ

فسأل سائل من عرض المجلس: أبا الفيض، لمَ صغّر ابن أبي ربيعة القمر وتمنى أن يغيب؟!

قال: يا مسكين، صدق فيك قول القائل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

فخنس السائل، وتأهب بعض أصحابي للمناقشة والمماحكة، فقاطعتهم مخافة أن تنبو منهم كلمة، وقلت: يا أبا الفيض، قد أيقنتُ من تساؤلاتك أنك بريء من مصارع العشاق ومصانعة الفساق براءة قلب ميّ من حبّ العقّاد[٨]، وبراءة روميو من سمّ جوليت[٩] فأخبرني إذاً، لمَ انصرف شعراء العربية عن تشبيه المحبوبة بالبدر، وأسلافهم قد أشبعوا القمر مناجاة وتشبيها وثناء عاطراً، فقال ابن زريق في عينيته وهو بأرض الأندلس:

استودع الله في بغداد لي قمراً
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعهُ!

وقال آخر:

أمانا أيها القمرُ المُطلُّ
فمن جفنيك أسيافٌ تُسلُّ!

وقال آخر:

والبدرُ في أفق السماء كغادة
بيضاء لاحتْ في ثياب حداد!

قال: كأنك تومىء الى ابن زيدون وهجره لولادة بعد التصابي والتصافي حين كان يشبهها بالقمر:

يا أخا البدر سناء وسنى
حفظ الله زماناً أطلعك؟

قلت: أجل. بل كتبت اليه:

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا
وبالشمس لم تطلع وبالبدر لم يسر

قال: لقد انقطع حبل الود بينهما، وانفرط عقد الحُبّ، وانفصمت عرى الوجد، لما سمع ابن زيدون من الفلكي مسلمة المجريطي[١٠] أن البشر قد

داسوا سطح القمر، فإذا هو تراب مجدب، وقفر مرعب، وجبال جرداء، وأرض غبراء لا ماء فيها ولا هواء ولا جاذبية ولا غذاء، فأنف ابن زيدون أن يصفها به، وكره لقاءها، وتشاءم منها، فأنشأ معلناً القطيعة:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا!

ومنذ ذلك الحين غادر الشعراء متردم القمر، وارتدت أبصارهم إلى الأرض خائبة حسيرة!

قلت: أحقا إن الإنسان وصل إلى القمر ووطأه برجليه، ورآه بعينيه، وزاحمه بمنكبيه؟

قال: أفي ذلك شك، بعد أن أعلن المجريطي عن تحليق جاجرين في الفضاء الخارجي، وهبوط آرمسترونج على ثرى القمر وركز أعلام المغول وقشتالة في أديمه؟!

قلت: فبأي شيء ارتادوا الفضاء وعرجوا الى القمر؟

قال: بالمركبات والسفن الفضائية، وبالمكوك الذي يحمل الأقمار الصناعية، والمعدات العلمية، ومؤونة رواد الفضاء! والأقمار هذه تستعمل في الاتصالات الهاتفية والبث الإذاعي والتلفازي، ورصد الحالة الجوية، وتنظيم المرور للأجسام الصناعية السابحة في الفضاء، وللتجسس على أهل الهلال القدامى الحالمين بزهر الخزامي[١١].

قلت: قد انقطع البثُّ بيني وبينك، فما أدري ما تعني؟!

قال: سبحان الله، إذا حدثتك عن التكنولوجيا والبيولوجيا والجيولوجيا والمورفولوجيا والميثولوجيا والسيكولوجيا انقطع البث، أمّا قول الأعشى الذى يقصم الظهر فلا ينقطع له البث:

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعني
شاوٍ مِشَلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ[١٢]

قلت: ما أحسب التكنولوجيا والبيولوجيا والعملوجيا والخالوجيا والجدْلوجيا والأخلوجيا إلا من أسماء العفاريت في وادي الغضا وحول جبل الريان! أما في العربية ما يحل مكانها؟ يا أبا الفيض، مَنْ ذَكَر هذا الحدث الجلل من أهل الشعر؟

قال: شعراء كثر ساءهم أن يُدنّس فضاء المحبين وقمر الهائمين بأقدام الباحثين المتنزهين فأنشأ أحدهم متحسرا[١٣]:

غزا العلم أجواز الفضاء بكوكب
له بطشُ جبار وعقلُ أريب
يسير مسير الشمس في الأفق دانياً
ويذرعه في جيئة وذهوب
وكل بقاع الأرض تحت عيونه
يطالعها من شمال وجنوب
تباروا الى غزو الفضاء بهمة
صدوق وعزم في الكفاح صليب
وراحوا يناجون الكواكب جهرة
لعل بها من سامع ومجيب
فطاروا الى الأقمار يستلبونها
بقوة جبّار وبأس غلوب
ولو أنفقوا بعض الذي ينفقونه
لإسعاف محتاج وأسْو حريب
لأصبحت البيد الفساحُ خصيبة
وصار جديبُ القفر غير جديب[١٤]

أما طاهر زمخشري[١٥] فقد جمع الشعراء في بيته، وأخذ منهم ميثاقاً غليظاً، وأنشدهم لحن «الرجوع الأخير» على القمر المنير، فمن تغنى به بعد ذلك وشبه خريدته فقد باء بإثم كبير، فوقف أمامهم وأمن الشعراء خلفه:

أيها البدرُ عشت في مسمع الأيام
لحناً مجدداً للهيام
نتساقى على صداه المسرات
ونغزو بالبشر جُنح الظلام
وسرى خطوك الوئيد على
الأرض يبث الفتون في الأنسام
أيها البدر لا إخالك بعد اليوم
تزهو بنورك البسام
فلقد كنت في مدارك تختالُ
فأصبحتَ موطيء الأقدام
ومشى العلمُ فوق سطحك يرتادُ
متاهات أفقك المترامي
ليميط اللثام عن سرك الخافي
ويرسي قواعداً للسلام[١٦]



قلت: خسر الشعراء استلهام الأماني الحلوة والمناجاة والخلوة بطلعته الفاتنة وأواره الملتهب، فبان الخليط، وحل غراب البين، وطار سرب القطا، فكيف آل حالهم؟

قال: انكفأوا على أنفسهم وارتدوا على أعقابهم يصفون المحبوبة بما بين أيديهم من مظاهر وعناصر، فبالغوا واشتطوا، فإذا راموا وصف الجيد شبهوه بعنق الزرافة، وشبهوا العيون بعيون البوتوغاز الياباني، والوجوه بصفحة الدولار والجنيه الاسترليني، والأنوف بأنف ابن حرب العربي:

لك أنف يابن حرب
أنفتْ منه الأنوف
أنت في الأقصى تصلي
وهو في البيت يطوف!

قلت: قد ذهبت متوالية الحب الهندسية، وعفت الديار على قول الأعشى:

عُلقتُها عرضاً وعُلقتْ رجلا
غيري وعلق أخرى غيرها الرجلُ

قال: يا مرادي ما أعجبك جئتني حانقاً، وجلست معلقاً محلقاً!

قلت: النظم فضيلة العرب، وما في كلامنا ما يخدش الأدب، وقد ذكرتني أن أسألك عما صنفت في (تاج العروس) بعد أن أبرأت نفسك من إثارة النفوس! فمد يده، وناولني الكتاب، وقال خذه إلى الشام وانشره بين الأنام، فلما قلبتُ صفحاته أشار إليّ أن أقرأ فصله الأول على الحاضرين وإذا هو: «إماطةُ اللّثام عن قَمَر الهُيَّام»!!

الهوامش:

(١) المرادي: محمد بن خليل بن علي، كان مفتي الشام ونقيب أشرافها ت ١٢٠٦هـ ـ ١٧٩١م، له كتاب: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» كان معاصراً للزبيدي.

(٢) الزبيدي: أبو الفيض محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضي الحسيني، أديب ومحدث ومعجمي. ولد بالهند ورحل الى اليمن وأقام بزبيد، واستقر به المقام في مصر/ ت ١٢٠٥هـ ١٧٩١م.

(٣) الحجرات آية ٦.

(٤) هؤلاء من رجالات العلم والأدب في اليمن.

ـ الهمداني: لسان اليمن، أبو محمد الحسن الهمداني صاحب الإكليل ت ٣٥٠هـ.

ـ العيدروس: عبد القادر مؤرخ يمني توفي في الهند، له النور السافر ت ١٠٣٧هـ ـ ١٦٢٨م.

ـ عمارة اليمني: شاعر ومؤرخ، له «أخبار اليمن» و«المفيد في أخبار زبيد» و«النكت العصرية» تآمر مع جماعة على قتل صلاح الدين وإعادة حكم الفاطميين بمصر فقتله صلاح الدين سنة ١١٧٥م.

ـ ابن أبي الرجال: أديب ومؤرخ له مطلع البدور. ت ١٠٩٢هـ ـ ١٦٨١م.

ـ البردوني: عبد الله، شاعر يمني معاصر. جمع شعره في «الأعمال الكاملة».

ـ المقالح: عبد العزيز، شاعر يمني معاصر له ديوان «لابد من صنعاء وإن طال السفر».

(٥) أوغر: امتلأ غيظا وحقدا. الموجدة: الغضب.

(٦) تاج العروس: معجم لغوي واسع اتخذ من القاموس المحيط أساسا له ومنطلقا في تأليفه.

(٧) الفيروز أبادي: صاحب القاموس المحيط، ت ٨١٧هـ ـ ١٤١٤م في زبيد باليمن.

(٨) كانت بينها وبين العقاد مجاملة حب.

(٩) مسرحية الشاعر المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير!

(١٠) المجريطي: أبو القاسم مسلمة، عالم ورياضي وفلكي أندلسي، اشتهر في عمل الأزياج، ت ١٠٠٧م.

(١١) الخزامي: نبات له أنواع عطرة، واحدته: خزاماة.

(١٢) يقصد الأعشى: شاوي اللحم خفيف الحركة نشيط الجسم.

(١٣) القائل: الشاعر المصري المعاصر محمد مصطفى الماحي.

(١٤) الكلمات: يذرعه: يسير فيه. صليب: شديد. أسو حريب: مداواة مسلوب المال.

(١٥) طاهر زمخشري: شاعر سعودي معاصر، ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٣٢هـ، له (٢٣) كتابا منها (٢٠) ديوانا اشتهر ببرنامجه الإذاعي «بابا طاهر» جمعت قصائده في مجموعتين: النيل والخضراء، ترجمت بعض قصائده إلي عدة لغات.

(١٦) صرفت «قواعد» للضرورة الشعرية.

عمود الشعر

شعر : د. فريد الأنصاري
أستاذ الدراسات الاسلامية - كلية الآداب - مكناس - المغرب

أعازفة الصبابة.. أم زفير
أم الواحات ألهبها هجير؟
أم الورقاء أشجاها فراق
وضلع جناحها أمل كسير
فراق لها النواح على تغن
فيا لأسى يرقرقه السرور
بكاء العاشقين كؤوس وجد
تساوى الوصل فيها والكفور
وهل غير القصيد يفيض وجدا
إذا أذكى مواجعه الحبور
فقل للناثرين اليوم شيئا
تهلهله الرطانة والكسور
متى خفق القصيد بغير قلب
يدفقه صبا صاف نمير
روافده شذى شيح قصي
وروح الطين تحمله البذور
وهمس النخل إن هبت رخاء
وضجته إذا عصف الصفير
وسجع العشب في مرج ندي
بأنفاس يفوح بها الغدير
وألحاظ لذي خد خفي
تحلق في عوالمها الطيور
فكان الشعر وانطلقت قواف
تخوض الغيم بارقها مطير
دعي الشعر عيرني بأنّي
قديم اللون يرهقني فتور
حبيس الضرب في الأبيات ثاو
فكيف يغرد الطير الأسير

عمود الشعر - قالوا - قيد أسر
وقافية الهزار صدى حقير
وما عاب القصيد دعي شعر
ولكن الضعيف له نكور
حمى المستنقعات له أمان
إذا عجت عواصفها البحور
ويقفر الفضا من كل طير
إذا قصفت بأضلعها الصقور
خسئت فما القصيد بسجع نثر
وهلوسة تصورها الخمور
خسئت أيا حداثيا جهولا
حروفك بيننا ورق يبور
تهرب من فرنسا شر نبت
قبيح الذوق ليس له عبير
وتغرسه بطين يعربي
وتحلم أن تكون له جذور
تطلسمه غموضا دون معنى
قشور في بواطنها قشور
فدع عنك القصيدة لست منها
ولا منك المواجد والشعور
ولو شهدت لك الأبواق زورا
فكم قزم له طل كبير
فها الصرار مثل البق حجما
ولكن منه ينفجر الصرير
يعادون القوافي وهي فجر
وما شعر يعاديه البكور؟
عمود الشعر فينا تاج فن
رفيع السرو تسكنه النسور

فضاء واسع الأرجاء رحب
بديع المد ليس به فطور
به الشلال ذو مهوى بعيد
يرد على الخرير به خرير
تداعى عن تدفقه بحور
يمد سيولها مطر غزير
محاريب الجمال بها تجلت
فللشعراء أحلام وحور
عرائس قد سبحن بكل بحر
غدائرهن غابات تمور
تسلقن القوافي في دلال
يناغين الطيور إذا تزور
أبين سوى الروي لهن مهرا
تردده الضفاف إذا تفور
فمن غير الخبير إذن عريس
ومن غير العريس إذن أمير
فما غير القصيد نجي قلب
بليل الوجد إن عز السمير
نديم ليس يشبهه نديم
كتوم حيث يفضحك العشير
يغنيك الوداد به حبيب
رخيم الرجع منظره وقور
ويسعفك العمود إذا تولى
دعيّ الشعر تربكه بتور
وليس الشعر أوزانا ولكن
سيول الشعر غايتها البحور
يفيض الوجد عبر الوزن عفوا
ويخبو النثر ينهكه قصور
صدوق الشعر منبعه حياة
وشبه الشعر منبته قبور
شبيه الشعر باب مستباح
ومحصنه له الأوزان سور
شعور النثر يتلى ثم ينسى
وبيت الشعر تحفظه الصدور

مشاة النثر في الهيجا إناث
وفرسان العروض هم الذكور
لأبيات الهجاء إذا تشظت
مضاء ليس تجهله النحور
وما غير العمود لنار حرب
تؤججها الصحائف والسطور
له فيها زئير مستطير
وصوت النثر تخنقه الجحور
دواوين الحداثة شعر عقم
تفريه الجهالة والكفور
وبيت الشعر شفاف كريم
تفيض به القصائد إذ يشير
أصيل كالنخيل عريق جذر
سليل الشمس منبته حرور
له بمسالك الخلوات شدو
أنيس الليل سامره أثير
فيا حب القصيد تهيم وجدا
يشوقك عزفه الفرد الجهير
وتعشق من نوادره عيونا
وتفتنك المحاسن والثغور
ألا ارحل في العمود على جناح
من الأوزان تعزفها البحور
ترى الشعراء قد ركبوا خيالا
إلى حيث الخمائل والقصور
يبيحون المواجد عبر كشف
شفيف الذوق وارده طهور
فيا عجبا لمن يقصي عمودا
وفي صحرائه صفت البدور
وإن البدر يغري القلب إلا
فؤادا طرفه أعشى حسيرُ
ومن لم يؤته الرحمن نورا
فلا يرجى له في الشعر نورا!

الأستاذ وديع فلسطين

قد لا تجد في المعاصرين كاتبا كبيرا يسخو برسائله المجيدة على أصدقائه كما تجد الأستاذ وديع فلسطين فلقد رزق حظوة كبرى في صداقات عريقة لكبار الفضلاء من سياسيين وأدباء وعلماء في شتى جنبات الأرض، وكان له فضل أي فضل في مراسلاتهم الدائمة بحيث يخيل إليّ أنه يكتب في اليوم الواحد أكثر من عشر رسائل، وفي بعض الرسائل تزيد الصفحات عن خمس أو ست، وله تدفق واسترسال في تتابع المعاني، وتسلسل الأفكار، حتى لو قُدّر لهذه الرسائل أن تجمع لصارت موسوعات حافلة بأنباء الأدب والعلم والسياسة والتاريخ، وأنا شخصيا أحتفظ له بعدة رسائل ممتازة تدل على معدنه الأدبي الأصيل، وقد كان الأستاذ عباس محمود العقاد يصفه بالكاتب المبين، وحقا صدق، لأنَّ البيان المطبوع من سمات وديع، ولا أعلم أن العقاد قد أطلق هذا الوصف إلا على اثنين من كتابنا الكبار هما عبد القادر حمزة، فقد جاء في مطلع رثاء العقاد له حيث قال:

جل المصاب بفقد عبد القادر
ويح البيان على المبين الساحر

وقد أصدر الباحث الفاضل الدكتور حسين على محمد كتاباً عن الأستاذ وديع فلسطين جمع فيه بعض رسائله مختصرة موجزة، وليته كتب الرسائل كما كانت مستوفاة مستوعبة إذ ضاعَ الإيجاز من روعتها، والباحث معذور لأن الاستيعاب سيمتد بالكتاب الى مدى قد يعجزه عن نفقات الطبع، أقول ذلك معتمدا على ما لدى من الرسائل المستفيضة، فقد كان من دأبي أن أعلّق على ما يكتبه إليَّ الصديق مخالفاً في بعض الأحيان فيضطر إلى الرد المبسوط، وأنا شاكر له اعتزازه برأيه، وسعة صدره التى تحتضن ما يجمح به القلم من بعض النشاز.

سفير الأدباء :

وقبل أن أشير إلى رسائل وديع إليّ ، ألمح إلى شذور مما ورد في كتاب (سفير الأدباء) وهو الاسم الذى اختاره الدكتور حسين لكتابه، حيث تضمن الكتاب أخباراً هامة عن وديع صبا وشبابا وكهولة، فعرفت من سطوره كثيرا مما كنت أجهل ، على صلتى الوثقى بصاحبى الحميم، فقد كنت أعرف أنه قضى ردحاً من باكورة شبابه محررا بجريدة المقطم، ولكن لم أكن أعلم أنه كان رئيسا للقسم السياسى على امتداد ساحته داخليا وخارجيا وناقدا أدبيا يحرر صحيفة الفكر، وكاتبا اقتصاديا يتحدث يوميا عن شئون الاقتصاد! وهى نزعات متفرقة لا يتاح تحصيلها لقلم واحد، ثم أصبح رئيسا للتحرير، بعد مَنْ؟؟ بعد الشيخ الجليل خليل ثابت الذى قضى في الرئاسة أربعين عاما حافلة بالدربة والخبرة وشمول النظر، فجلس الشاب المتطلع مجلس الشيخ المجرب، وليس العجب في أن يجلس بل في أن يملأ الفراغ كأحسن ما يرجو القراء.

ومما كنت أجهل من أمر صاحبى أنه أجرى أحاديث سياسية دقيقة بين كبار السياسيين في الشرق والغرب ممن وفدوا إلى مصر، ورأى المقطم أن يفوز بآرائهم السياسية مثل الزعيم نهرو، ولياقت على خان، كرشينا مينون، وألدوس هكسلي، وويل ديورانت مؤلف قصة الحضارة وعبد الكريم

بقلم : أ.د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

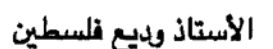
الخطابى ومحمد أمين الحسينى وغيرهم من المشاهير، لذلك لم أعجب حين تذكرت أن وديع فلسطين كان يكتب الفصول السياسية العميقة في مجلتى الكتاب والمجلة كتابة تحليلية لا تعرف القفز الصحفي من فكرة الى فكرة دون تعليل، وهو بذلك يذكرنا بالمقالات السياسية الرصينة التى كان يكتبها محمود عزمى ومحمد عوض محمد ومحمد عبد الله عنان مع فارق واضح هو أن هؤلاء شيوخ محنكون ووديع شاب يتحفز.

«نشر الرسائل»:

وكثير من لديهم رسائل الكبار يسارعون إلى نشرها في زهو واختيال، ولكنى حمدت لوديع فلسطين رأيا خاصا في عدم النشر، لأن كاتب الرسالة لا يقدر في أكثر الأحيان أن حديثه البريدي سينشر فيما بعد، فيفيض في أمور خاصة ينفس بها عن ذات صدره، ومنها ما يغضب زميلا، أو ينتقص رئيسا، فإذا تم النشر كان المرسل موضع المؤاخذة، وهذا ما حدث فعلا حين نشرت رسائل الاستاذ مصطفى صادق الرافعي، فقد تسرع في هجاء بعض من آذوه وآلموه، كما بالغ في شكوى أمور تتعلق بضيق العيش ونضوب اليد، فجاء من الكتاب من شنّ الحرب على الرافعى ناسيا أنه بشر، وأن كل إنسان يضيق كثيراً بما لا يحب فينفس عن صدره بما يشفيه، وأذكر أن خليل مطران قد استشار أحمد لطفى السيد في نشر ما وجد من رسائل الآنسة مي، فعارض معارضة شديدة، وقال إن الرسالة سرّ لم يؤذن أحد في نشره! ووديع كأحمد لطفي السيد في اتجاهه الخلقى، الذي يسمو بالقاريء عن التدلى إلى منحدرات لا تفيده في شيء غير اللجاجة والابتذال.

(شكوى عاتبة):

وقد لمحت في بعض الرسائل شكوى عاتبة بثّها الأستاذ في مطاوى السطور، وهو كانسان يألم لما ينزل به من جحود حين يوازن بين ما يكابده الأصلاء من حرمان، وما يلقاه الأدعياء من ذيوع وأحب أن أهتف في أذنه قائلا إن الكاتب الذى يتمتع بتقدير الصفوة من النابهين في العالم العربى لا يهمه في شيء أن يجحده القائمون على وسائل الاعلام، وفي كتاب سفير الأدباء سجل حافل بأسماء أعلام تحدثوا عن وديع حديث المقدر


الأستاذ وديع فلسطين

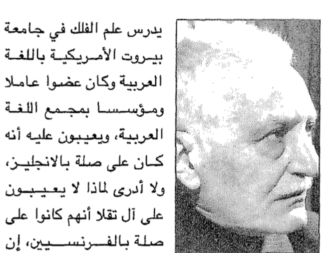
المعجب في مقالات، تقرأ منهم عباس العقاد وسلامة موسى وفؤاد صروف ومصطفى الشهابى وزكى نجيب محمود وعبد الكريم جرمانوس وطاهر الطناحي، وجورج صيدح، وابراهيم ناجي ومحمد على الطاهر ومحمد عبد الغنى حسن وأحمد زكى أبو شادى، وجميل صليبا، وعارف الكندى وعشرات من هذا الطراز الأمثل! فليت شعرى ماذا بعد هؤلاء! إن من تحمل تقدير هذه الصفوة من الكرام لا يضيره أن يتجاهله موظف جلّ أو هان!

من آراء وديع:

يتمتع وديع بكثير من الهدوء النفسى الذى يعز وجوده لدى الجمهرة من الكاتبين، ولا أدرى لماذا كنت أستثيره بمعارضات لبعض ما أقرأ له في الصحف وأتوقع أن يأتى الرد مرتفع النبرة ولكنه استجابة لطبعه الرقيق يلين ويسلس، ولعل من أهم ما دار بيننا من حوار أدبى كان خاصا بفارس نمر باشا صاحب جريدة المقطم، اذ كان وديع وثيق الصلة به، وقد كتب عنه يوم رحيله أعظم ما قيل فيه من رثاء، وكان من اللائق أن أحمد لصديقي وفاءه لأستاذه حين أصبح لا يملك له نفعاً ولا ضرا، وأعدها خلة تحتذى، ولكنى كتبت إليه زاعما أنه بالغ ولم يحايد، فستر المساوىء وكشف المحاسن، فتلقيت منه بتاريخ ١٩٩٢/٨/٣م ردا يقول فيه:

«هناك حكايات كثيرة تروى عن فارس نمر غير صحيحه، بدليل أنه وهو في العشرينيات من عمره كان

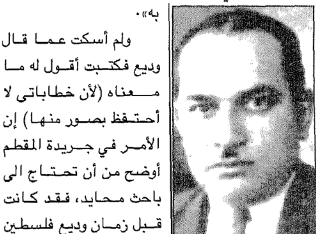
يدرس علم الفلك في جامعة بيروت الأمريكية باللغة العربية وكان عضوا عاملا ومؤسسا بمجمع اللغة العربية، ويعيبون عليه أنه كان على صلة بالانجليز، ولا أدرى لماذا لا يعيبون على آل تقلا أنهم كانوا على صلة بالفرنسيين، إن السلطة في أيام نمر باشا كانت هى السلطة الانجليزية، فهل يؤاخذ الصحفى على الاقتراب منها باعتبارها المصدر الرئيسي للأخبار، وأيا كان الأمر فسيظل فارس نمر موضوع اتهام إلى أن يقوم باحث محايد بدراسة حياته من واقع جريدته لنعرف حقيقة الدور الذى اضطلع به»٠



العقاد



الرافعي



أبو شادي

ولم أسكت عما قال وديع فكتبت أقول له ما معناه (لأن خطاباتى لا أحتفظ بصور منها) إن الأمر في جريدة المقطم أوضح من أن تحتاج الى باحث محايد، فقد كانت قبل زمان وديع فلسطين تؤيد الاستعمار في كل تعسفه ويكفي هذا، ومع ذلك فأنت غير ملوم فيما كتبت لأنك في موقف التأبين لراحل لم يجمد الدم في عروقه بعد، والمشيع غير المؤرخ ، فالمشيع عند نزول الهول يواسى ويستغفر، أما المؤرخ فلديه الميزان الدقيق، وعليه أن يذكر ما كان كما كان٠

وقد دُعي وديع لإلقاء كلمة في تأبين المترجم العربي الأصيل عادل زعيتر، فألقى كلمة ممتازة حقاً، ونشرها بمجلة العالم العربي، وكدأبي لم أغفل جانب النقد، فكتبت أقول له إنك ذكرت قول الأستاذ عادل إنه اكتفى بالترجمة دون التأليف لأنه حين قرأ مقدمة ابن خلدون أيقن أن كل كلام بعدها لن يصل الى مستواها، فآثر الترجمة دون التأليف! وهذا قول لا يترك هكذا دون تعقيب، فكيف سكتَّ؟ فكتب وديع يقول إنى ذكرت قول عادل على علاته ولم أعقب عليه، والذى أعلمه أن عادلا لم يتهيب التأليف، بل كان يؤمن بالتخصص ولهذا توفر على الترجمة، وعاش لها حتى جاء مصرعه على يديها، وما قاله وديع حق، لأنى قرأت لعادل عدة ردود في مجلة الكتاب تنبيء عن استعداد علمى موفق، ومع أن هذه الردود كانت خاصة بالترجمة، فصياغتها ومنهجها يوحيان بتفوق ملموس٠

أبو شادي:

وديع يفى كل الوفاء لذكرى صديقه الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى، فقد كتب عنه عدة مقالات وجمع ما تفرق من شعره، وبذل جهدا في سبيل طبعه، وأنا أعرف ذلك عنه٠٠ ثم إنى قرأت له في ذكرى أبى شادى السابعة مقالة لم تصادف هواي، فكتبت إليه ناقدا عاتبا، فجاءنى منه هذا الرد الوديع بتاريخ ١٠/٦/١٩٦٢م٠

«إنى أخلع عليك لقب ناقدى الدءوب، لأنك لا تكف عن إزجاء نصائحك إليّ كلما وقع بصرك على سطر من تحبيري، وآخر ما تناهى إليك من كتابتى هو مقالى الأخير عن أبي شادى حزينا، وبينى وبينك كتبت هذا المقال على عجل تلبية لدعوة إذاعية أريد بها تخليد ذكرى شاعرنا في مناسبة مرور سبع سنين على وفاته، وقد قرأت هذه الكلمة فيما بعد غير مرّة، وراجعت نفسى، هل أنشرها أو أطويها، ثم انتهى رأيي إلي

استصواب نشرها، ففيها نماذج من شعر أبي شادى بعيدة التناول، كما أن فيها عاطفة وفاء لصديق عزيز، ولا ضرر من الوفاء ولو صاحبه قصور، وقلت لنفسي لو أن صاحب مجلة الأديب آنس في الكلمة سطحية فسيمتنع عن نشرها مجاملة لي، أما وقد نشرها فلابد أنه استحسن فيها شيئا ولابد أن كفة الحسن فيها كانت راجحة».

فماذا يرى القارىء في هذا الرد المتواضع الرقيق، لو كان صاحبه إنسانا غير وديع، لأنكر وصخب وسفه، وتوعد، ولكنه وديع!.

طرفتان دالتان!

ذكرت الكاتبة الفاضلة صافى ناز كاظم بمجلة الهلال، أن الشاعر الشهير نزار قبانى حين جاء الى مصر لأول مرة في أواخر الأربعينيات لم يقم بتعريفه للجمهور الأدبي غير الأستاذ وديع، حيث صحبه إلى نفر من ذوي الرأى كعباس العقاد وسيد قطب وغيرهما، فاشتهر عن طريقه، وصار يكاتبه بوصف حبيب العمر، ثم مضت الأيام وعُرف نزار لدى جمهور خاص من القارئات وذوات الفنون من المطربات والممثلات، فقطع كل صلة بحبيب العمر، ولم يُهد له مؤلفا من بعد، وهذا ما ذكرنى بطرفة مماثلة كتبها الأستاذ وديع فلسطين في رسالة خاصة بتاريخ ١٩٦٢/٥/١٠م قال فيها:

«عندما صدرت رواية قنديل أم هاشم للأستاذ يحيى حقي، كتبت عنها نقداً مُرحّبا، وبعد أسابيع من ظهور النقد صادفنى في الطريق صديقي الأستاذ محمود محمد شاكر، وسألني عن وجهتى، فقلت أنى لا أقصد مكانا معينا، فقال لي: هيا لزيارة صديقي يحيى حقى في وزارة الخارجية، وقبلت دعوته ولما دخلنا عليه في غرفته الفاخرة بالسفارة، قدّمني الأستاذ شاكر إلى الأستاذ يحيى حقي، فاحتضننى وقال: أهلا بناقدى الوحيد! ودارت الأيام فإذا ليحيى عشرات الناقدين يذكرهم جميعا ويهديهم مؤلفاته، أما ناقده الوحيد فلم يتفضل عليه إلى اليوم بنسخة واحدة من أى كتاب أصدره!

أليست الطرفتان من مشرب واحد، اتفق فيه الشاعر والقصاص.

نزار قباني



يحي حقي

(رسائل الدكتور حسين)

لو كانت رسائل وديع التى طبعت في كتاب سفير الأدباء وُجهت إليّ لوجدت عليها تعقيبات لا حدَّ لها ولا حصر، فقد جُبلت على (مناكفة) وديع، لأنى توأمه، ولدت معه في يوم واحد، ومن يدرى فلعلها في ساعة واحدة، ومما أخالفه فيما قرأت حكمه على الشاعر المجيد محمود أبو الوفا بأنه أعظم شعرائنا الأحياء بلا منازع! وأبو الوفا شاعر مجيد ولكنه ليس أعظم الشعراء! كذلك قال في رسالة أخرى إن خليل مطران لم ير ناقده الشهير اسماعيل أحمد أدهم في حياته! مع أن قصيدة مطران في رثاء أدهم بدأت بمقدمة تتحدث عن لقاء الرجلين، وفي الرثاء ما ينطق بذلك مثل قول مطران:

أتاح زماني مرّة أن رأيته
ولم يُولني بعد اللقاء لقاء
تدانى فحيّا عابراً وتناءى
شبيها يطيف في الغداة تراءى

وهي مشاغبة لابد منها في حديث يتناول طرائف حبيبة بين صديقين يحملان من دلائل الود الصادق ما يفضح كل زيف لدى المرائين.

رسالة من عبيد الله بن عتبة .. الى السيدة الجميلة

الكحل ساحر العيون

الفيتوري .. الإنسان والشاعر

١٢١



الكحل .. ساحر العيون

عرف العرب والبشر منذ القدم استعمال كحل الزينة للعين ليعطيها جمالا وسحرا وليخفف عنها أشعة الشمس فتزيد الرؤيا وضوحا وجلاء.

ولذا كثر استعماله حتى عند الرجال في البلاد الحارة ذات الشمس الساطعة معظم أيام السنة والصحارى الشاسعة، كما في شبه الجزيرة العربية، وخاصة في أهل البادية والرعاة وفي العاملين في حراثة الأرض وزراعاتها تحت أشعة الشمس القوية.

وقد قام العرب بتحضير كحل الزينة بطرق عديدة من سخام دخان ومسحوق احتراق مواد عديدة بمعزل عن الهواء، وقد يمزجون ذلك الكحل بمسحوق الإثمد فيسمى كحل الإثمد.

والإثمد حجر يتخذ منه الكحل، وقد انتقلت عادة التكحل الى الأوربيين فنساؤهم الآن يضعن في حوافى الأجفان مساحيق سوداء غاية في النعومة لإضفاء الجمال والسحر على العيون.

والكحال: من يداوى العين بالكحل.

والمكحلة: وعاء صغير يجعل فيه الكحل، الجمع: مكاحل.

والمكحل: المرود، وهو ميل من زجاج أو غيره يجعل فيه الكحل في العين.

وقد قيل إن نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء فأمروا بالأكتحال يوم عاشوراء وهو اليوم الذى خرجوا فيه من السفينة.

عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا».

الكحل في الأحاديث النبوية الشريفة:

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر».

عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «عليكم بالإثمد فإنه منبت للشعر، مُذْهب للقذى، مصفاة للبصر».

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «اكتحلوا بالإثمد فإنه يجلو البصر ويجف الدمع وينبت الشعر»، وعنه أيضا: «عليك بالكحل فإنه ينبت الشعر ويشد العين».

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال

اعداد : أ.د. سامية محمد مصطفى عامر
- مصر -





رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «إن من خير أكحالكم الإثمد عند يجلو البصر وينبت الشعر»، وعنه أيضا: «خير أكحالكم الإثمد عند النوم، ينبت الشعر ويجلو البصر».

عن ابن نعمان الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «أكتحلوا بالأثمد المروح فإنه يجلو البصر وينبت الشعر».

الأثمد بين الطب النبوي والعلم الحديث:

الإثمد من أشباه المعادن. ويسمى في الأعجمية «الآنتيموان» يستخرج في آسيا من جبال فارس وأفضله الأصفهاني.

ويوجد في الطبيعة بحاله حرة، ولكن الأغلب أنه يوجد بحالة Sulfide (سولفيد) (ويدعى أنتيموينت) وهو المصدر الرئيسي للمعدن، وإن شيه مع الحديد وسولفيد الصوديوم هي العملية التى يلجأ اليها عادة للحصول عليه. وهو معدن هش (أي سريع التفتت) لامع ذو تركيب رقائقى بلون أبيض فضى عندما يكون نقيا، وبلون أبيض مزرق (سنجابى) عندما يكون مرتبطا. وعندما يفرك بين الأصابع ينشر رائحة واضحة.

هذه طائفة من أقوال الأطباء العرب المسلمين:

قال الكحال ابن طرخان: وأجود الإثمد السريع التفتت وما كان لفتاته بريق وكان داخله أملس، ولم يكن فيه شيء من الأوساخ، ينفع العيون ويحفظ صحتها. وقال داود الأنطاكى في تذكرته: أجوده الرزين والبراق السريع التفتيت اللذا ع بين مرارة وحلاوة وقبض.

وقال ابن قيم الجوزية: هو حجر الكحل الأسود، يؤتى به من أصبهان، وهو أفضله، ويؤتى به جهة الغرب أيضا، وأجوده السريع التفتت الذى

لفتاته بصيص وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ. ومزاجه بارد يابس ينفع العين ويقويها ويشد أعصابها، ويحفظ صحتها، ويذهب اللحم الزائد في القروح ويدملها، وينقى أوساخها ويجلوها، ويذهب الصداع إذا اكتحل مع العسل المائى الرقيق، وإذا دق وخلط ببعض الشحوم الطرية، ولطخ على حرق النار، لم تعرض فيه خشكريشة، ونقع من التنفط الحادث بسببه، وهو أجود أكحال العين لا سيما للمشايخ الذين ضعفت أبصارهم خاصة إذا جعل معه شيء من المسك.

وقال الرئيس ابن سينا في القانون: اثمد يحفظ صحة العين ويذهب وسخ قروحها.

وقال العلامة الطبيب الشيخ عبد اللطيف البغدادي: الإثمد ينبت الهدب ويحس العيون ويحببها إلي القلوب. ولا يوافق الرمد الحار.

كيفية تحضير كحل الإثمد في سوريا:

لا يستعمل الإثمد صرفا كحلا للعين، إنما يمزج بكحل الزينة الذي يحضر بكيفيات عديدة من مخلفات حرق بعض مواد معينة متوفرة في البيئة عرفت نتيجة تجارب شعبية.

وهذه طريقة تستعملها القبائل العربية المقيمة في الجزيرة (شمالي شرق سوريا):

١ ـ تؤخذ خرقة قطنية زرقاء بطول شبرين وعرض شبر، وتبل جيدا بزيت الزيتون ثم تحرق تحت صاج مقلوب فيتراكم السخام (الهباب) علي الصاج.

٢ ـ وبعد إنتهاء الإحتراق يجمع ذلك السخام المتراكم.

٣ ـ تؤخذ ليمونة ثم تقسم ويوضع بين سطريها نواة زيتونة مع حنطة وشعير وعدس وحمص وحب الهال وجوز الطيب ثم تغمد بعجينة وتوضع في وعاء معدنى.

٤ ـ ثم يدخل هذا الوعاء بما فيه بين جمر متقد حتى يتم احتراق ما في الوعاء ويتوقف تصاعد الدخان منه تماما، فيخرج الوعاء، وبعد أن يبرد تزال العجينة المحترقة ويطحن فحم الليمون بما فيها.

٥ ـ واخيرا يضاف المسحوق الناتج الى السخام المحضر في خطوة(١) ويمزجان جيدا.

وهذا هو كحل عرب الجزيرة كما روته وحضرته إحدى النساء في حلب.

تحضير كحل الإثمد في الحجاز:

١ ـ يؤخذ ١٠٠ جرام من الإثمد ويدق في هاون نحاس دقا ناعما حتى يصبح مسحوقا ناعما قدر الإمكان.

٢ ـ ثم ينخل بمنخل حريري ناعم جدا بحيث لا تكاد العين تدرك ثقوبه.

٣ ـ ثم يضاف الي الناتج ٢٥ جراماً من مسحوق حمض البوريك و١٠ جرام من الفحم النباتي.

٤ ـ ويتم الحصول على الفحم النباتى من

تفحيم الاخشاب غير الراتينجية في وعاء مسدود واحسن الأخشاب في الحصول عليه هي خشب الصفصاف (فحم بلوك) ثم الحور.

فوائد كحل الإثمد:

١ ـ يجلو البصر.

٢ ـ يقوى بصيلات أهداب العين فتطول الرموش أكثر وبذلك تزداد قدرتها في حفظ العين من أشعة الشمس وفي تصفية الغبار والأوساخ.

٣ ـ يقوي أعصاب العين وينفعها.

٤ ـ يذهب اللحم الزائد في القروح.

٥ ـ يقطع الرعاف العارض من الحاجب.

٦ ـ ينقي أوساخ القروح العارضة في العين.

٧ ـ يقطع سيلان دم الطمث إذا احتمل.

٨ ـ يدفع الآفات من أوجاع العين.

الكحل في تفسير الاحلام:

ـ الكحل في المنام: مال وزيادة تبصر في الصلاح وقيل زيادة ضوء البصر.

ـ من رأى أنه أتى بكحل ليكحل به: فإنه يصلح دينه.

ـ من رأى أنه أكتحل بإثمد: فإنه يجمع بين امرأتين.

ـ من رأى إنسانا كحله فأعماه: فإنه يأخذ من ماله شيئا بمكر وحيلة.

ـ والبكر إذا اكتحلت: فإنها تتزوج وكذلك الأرملة.

ـ والكحل بالدم والرماد: فسق وزواج باطل.

ـ الكحال في المنام: رجل يصلح الدين، ويهدى الله تعالى على يده من الضلال، ويجمع بين الأحبة. وربما دلت رؤيته على الناصح لمن يستشيره فيبين له طريق الرشد من الغي وهو يدل على الخير والصلاح.

المراجع:

١ ـ المعجم المدرسي (محمد خير أبو حرب) ص ١٧١ ، ٨٩٨.

٢ ـ دائرة معارف القرن العشرين ١٠٢/٨ ـ ١٠٣.

٣ ـ سنن ابن ماجة (٦٩٤٣).

٤ ـ سنن الترمذي (١٧٥٧) والترمذي في الشمائل: (٣٠).

٥ ـ سنن البيهقي (١٦٢/٤) ، (٣٤٦/٩).

٦ ـ الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١٤٥/١) ، (٤٠٦/٢).

٧ ـ الألبانى في الأحاديث الصحيحة (٦٦٥).

٨ ـ أبو نعيم في الحلية (١٧٨/٣، ٣٤٣).

٩ ـ المعجم الكبير للطبراني (٦٦/١٢).

١٠ ـ ابن كثير في التفسير (٧٠٢/٣).

١١ ـ الطب النبوي والعلم الحديث (٢٧٦/ ٢٨٠) د/ محمود ناظم النسيمي.

١٢ ـ الكحل ينبت الشعر ويجلو البصر/ محمد عبد الرحيم ١٩٩٢ دمشق بيروت.

١٣ ـ تعطير الأنام في تعبير المنام للعارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي تحقيق معروف زريق: (٣٩١).

١٤ ـ تفسير الأحلام: جمع وترتيب الإمام الذهبي ط٢ (ص ٢٠٠) ١٩٨٥.

١٥ ـ المعتمد في الأدوية المفردة: ٤١٤ .

الفيتوري.. الإنسان والشاعر

بداية، قد يقع اختيار المرء على دراسة حياة وشعر الشاعر السوداني الأصل، المصري النشأة «محمد الفيتوري» لأنه - وقبل كل شيء - يُعد بحق من أصدق من عبروا عن كفاح القارة الإفريقية السمراء الطويل ضد الإستعمار حتى تتحرر. فالفيتوري هو «عاشق إفريقيا» الذي طالما أمتعنا بقصائده التى هي صوت الشخصية الإفريقية التى تأبى الظلم والاضطهاد فما فتئت تناضل ضد الإستعمار لتتخلص منه.

وشاعرنا، من مواليد بلدة «الجنينة» الواقعة على حدود السودان الغربية، وتقول معظم المصادر أنه ولد في عام ١٩٣٠، وقد عرفت أسرته الهجرة أكثر من مرة؛ فقد هاجر والده وأسرته من غرب السودان إلى مصر حيث استقرت في الإسكندرية وهناك نشأ الفيتوري. ثم قامت الحرب العالمية الثانية وكان الفيتورى حينها في المدرسة الأولية بالاسكندرية، مدرسة «الأخلاق» لحفظ القرآن الكريم متآهباً لدخول الأزهر. وتحت وطأة الحرب اضطرت الأسرة الى الهجرة الى ريف مصر، كفر الدوار بالتحديد. وبعد انتهاء الحرب عادت الى الاسكندرية مرة أخرى. ثم التحق الفيتورى بعد ذلك بالمعهد الديني التابع للأزهر بالاسكندرية حيث بدأت مسيرته الطويلة لدراسة اللغة العربية. ثم بعد ذلك دخل المعهد الدينى الثانوى في القاهرة: ثم الأزهر الشريف حتى عام ١٩٥٣ حيث تابع دراسته في علم الصرف والعروض وعلم البديع.

بعد ذلك انتقل الفيتورى إلى كلية دار العلوم بالجامعة القاهرية، فرع الآداب والدراسات الاسلامية لمدة سنتين، ولكنه تركها دون أن ينال شهادتها منصرفاً إلى دنيا الصحافة والقلم. وفي أثناء دراسته الجامعية نشر ديوانه الأول أغانى إفريقيا عام ١٩٥٥م، فأقامت له الكلية حفل تكريم تشجيعاً له كطالب استطاع أن ينبه الأوساط الأدبية والفكرية بالعالم العربى بالقضية الإفريقية. واثناء إقامته بالقاهرة مارس الفيتورى العمل الصحفي في اكثر من صحيفة ولا سيما «الجمهورية» التى خصصت له صفحة أدبية مرتين أسبوعياً تحت إشرافه. وفي عام ١٩٥٨ بعد استقلال السودان، عاد إليه الفيتورى وعمل في الصحافة السودانية ورأس عدة مجلات وجرائد أبرزها مجلة «الإذاعة والتلفزيون» السودانية. ثم شغل منصب خبير إعلامى في جامعة القاهرة فرع الخرطوم وتركها عقب رجوع الرئيس السودانى جعفر نميرى الى الحكم بعد الانقلاب الفاشل ضده ١٩٧١م.

وتعددت المصادر التي نهل منها الفيتوري، فثقافته الأدبية والفكرية جاءت منذ الصغر من حكاوى جدته «زهيره» عن إفريقيا، ثم من الأدب العربي، وتأثر الفيتورى فيما بعد «بالشابي» وشعراء المهجر أمثال «أيليا أبو ماضى»، و«جبران خليل جبران» و«نسيب عريضه» كذلك تأثر الشاعر

نجلاء محجوب عبدالله
- مصـــر -



السوداني بالشاعر المصرى الكبير «إبراهيم ناجى» وأيضاً «أحمد عبد المعطى حجازى» والشاعر السودانى «التيجانى يوسف»، وقد وجد الفيتوري عند كل هؤلاء حاجته من الأخيلة والموسيقى وروح الشعر. فقد كان هؤلاء الشعراء مثله؛ قصائدهم مليئة بالشجن والأحاسيس المتقدة الرومانسية، والتأملات الإنسانية والنزعات الفلسفية معاً. ولكن للفيتورى أيضاً أسلوبه الخاص به، المتميز عن غيره؛ فقد أخذ من الآخرين ولكنه أضاف إلى ما أخذه منهم بصمته المتفردة والتى يُعرف من خلالها دوماً شعره حتى بدون أن يُعرف مسبقاً أنه هو القائل. وفي ذلك يقول الدكتور «محي الدين صبحي» واصفاً الفيتوري وشعره في ديوان الشاعر الأخير قوس الليل، قوس النهار:

«إنه ليس أبداً كالآخرين .. إنه بحق نسيج وحده - يكتب مؤمناً بقدرة الكلمة على نسف الواقع، وإحلال غيره واستحضار البديل بقوة الرؤيا ونفاذ البصيرة وسمو المثل العليا التى يرقى إليها التعبير. إن محمد الفيتورى من بين كبار شعرائنا المعاصرين البارزين الذين حاولوا زحزحة هذه الصخرة.. فعل ذلك منذ كان يافعاً في الأزهر، وعاشقاً لأفريقيا، وحانياً على أشلاء هذه الأمة يرمم عظامها ويعطيها من دمه لتعود.. فكان دائماً من الفحول في مقدمتهم ومن الحداثيين على مسافة تباعده عنهم ليسبقهم في إدخال الحداثة على الكلاسية العربية وتوسيعها كى تستوعب رؤيا الشعر».

أما القصيدة المختارة كمادة للدراسة والتحليل؛ للتعرف من خلالها على أسلوب الفيتوري في قصائده - هي قصيدة «الحصاد الإفريقي» وهي من أشهر ما كتب شاعرنا عن إفريقيا. ومنها تبرز الخصائص الشعرية للفيتوري وكذا قاموسه الشعرى. وقد نشرت لأول مرة في ديوان عاشق من إفريقيا الصادر عام ١٩٦٤، وتقول القصيدة:

أصبح الصبح فلا السجن ولا السجّان باق
وإذا الفجر جناحان يرفان عليك
وإذا الماضى الذى كحل هاتيك المآقى
والذى شد على الدرب وثاقاً لوثاق
والذى نوّب ألحان الأسى في شفتيك
والذى غطى على تاريخنا في كل وادى
فرحة نابعة من كل قلب يا بلادي.

* * *

أصبح الصبح.. وها نحن على البعد التقينا
التقى جيل البطولات .. بجيل التضحيات
التقى كل شهيد قهر الظلم .. ومات
بشهيد لم يزل يسقى بنور الذكريات
أبداً ما هنت إفريقيا يوماً علينا
بالذى أصبح شمساً سطعت ملء يدينا
وشذى تعدو به الريح وتختال الهوينى يا بلادى

* * *

أصبح الصبح .. قباب عاليات وبيارق
تفرش الأفق .. ودقات نحاس وطبول
إيه يا أفريقيا الكبرى التى تبنى المشارق
أنا مازلت أرى وجهك في ضوء الحدائق
أمس .. والظلمة كانت تسكن الدرب الطويل
والخطى فوق الخطى .. والجفن فوق الجفن عالق يابلادى

* * *

أصبح الصبح .. لنا خلفك يا صبح الحصاد
ألف صبح قد نسجناه بأضواء العيون
أيها القادم محمولاً على سمر الأيادى
يا حصاد العرق الدامى .. وميراث الجهاد
أيها التاج على جبهة شعبي .. وبلادى
آه ما أروعك اليوم، على هذا الجبين

في الواقع، هذه القصيدة تُعد من أروع وأشهر ما نظمه شاعرنا عن إفريقيا. فهى بمثابة صيحة مدوية تعلن للعالم كله تحرير القارة السمراء من قيود وبراثن الاستعمار. فعندما نظم الفيتوري هذه القصيدة كانت معظم الدول الإفريقية في طريقها للاستقلال - وإن كان بعضها قد ناله فعلا مثل مصر، السودان، تونس، ليبيا، المغرب، الجزائر والصومال أى كل الدول العربية الإفريقية ما عدا جيبوتى. ولكن الفيتوري «كعاشق إفريقيا» يعبر هنا عن كل البلدان الإفريقية وليست العربية منها فقط. فالشاعر يعبر عن حصاد ثمرة الكفاح الإفريقي ضد الاستعمار وهو التحرير. فالقصيدة تصور حالم ومتقد في ذات الوقت - لما ستكون عليه القارة السمراء كلها بعد الاستقلال. وعنوان القصيدة نفسه يعبر عن ذلك؛ عن جني ثمرة النضال أو «الحصاد». وهو حصاد «إفريقي» لأن ابناء القارة وحدهم هم الذين سيجنون ثمرة النضال أو الحصاد. فذلك أسلوب قصر واضح المغزى، حيث يقصر الحصاد على الأفارقة فقط. وفي ذلك أيضاً استعارة تصريحية.

وإذا ما تبعنا مقاطع القصيدة الأربعة سواء من ناحية المعنى واستخدام الألفاظ أو من الناحية الفنية الجمالية نجدها زاخرة وغنية. ففى المقطع الأول يقول الشاعر إنه بعد هذا الجهاد الطويل قد جاء اليوم الذى لم يعد هناك مستعمر «سجان» ولا استعمار ظالم «سجن» ثم يتحدث عن المستقبل المشرق «الفجر» الذى ينتظر الأفارقة بعد الحرية. وبدءً من السطر الثالث تحدث الشاعر عن ماضى إفريقيا المليء بالكفاح ومواطن الفخر، والذى هو جزء من كل إفريقى حتى إنه واضح في قسمات وجهه ونظراته «فكحل» عينيه. وأنه ايضاً وحد الأفارقة على هدف واحد وهو طرد المستعمر فأصبح هو دافعهم؛ وكذلك شد «وثاق لوثاق» فملأ الوديان الأفريقية بالفرحة.

أما النواحي الجمالية في هذا المقطع فتتمثل في السطر الأول حيث يبدأ بجملة فعلية وذلك لتعطى معنى التأكيد وكذلك لجذب الإنتباه لحدوث حدث مهم وفي إتيانه بالفعل «أصبح» ناحية فنية حيث أنه كان من الممكن أن يأتى مثلا بالفعل «أقبل» ولكنه اختار هذا الفعل مع كلمة «الصبح» لزيادة دلالة الإشراق. كذلك لم يكتف الشاعر بنفى كلمة «السجن» ولكنه نفى أيضاً كلمة «السجّان» ليؤكد أن الاستعمار ذهب للأبد هو وكل صوره وأعوانه.

في السطر الثانى جمع بين استعارتين في صورة واحدة جميلة، ففى كلمة «الفجر» استعارة تصريحية حيث شبه المستقبل في ظل الحرية بالفجر المشرق الذى هو دوماً بداية لكل خير. ثم أتبع ذلك بالتعبير «جناحان يرفان» والتى هى استعارة مكنية فهو يشبه هذا الفجر بالطائر الذى يرفرف بجناحيه. وفي هذا معنى الحرية أى أن المستقبل لبلاده سيكون عهداً من الحرية. وكذلك في كلمة «جناحان» التى قد تُعد أيضاً مجازاً مرسلاً علاقته الجزئيه والمراد الكل أي الطائر، رمز الحرية.

أما في السطر الثالث حتى السطر السابع توجد صورة ممتدة تقوم على تشخيص «الماضي» ويعطيه عدة صفات ممتدة خلال هذه الأسطر. فأولا يشبه «الماضى» بالمكحلة التى تضفى جمالا على العين وذلك دليل على أن الماضى كان مشرفاً وترك آثاره في كل عين أفريقية. وفي «هاتيك المآقى» مجاز مرسل علاقته الجزئية: فالمآقى هى



مـــواضـع الدمـــوع في العـين. أى المراد الكل: العين.

أما في السطر الرابع فيوجد فيه تشخيص وتصوير في جملة «شد وثاق لوثاق» حيث صور الماضى كشخص أو قيد يكبل ويوثق الوثاق. وفي ذلك تأكيد لمعنى أن الماضى هو الرابط بين كل الأفارقة، فماضيهم وتاريخهم هو الذى يدفعهم لمقاومة الاستعمار.

في السطر الخامس نجد أن الماضى أصبح هو الترياق أو المحلول الذى يذيب ويضيع مرارة الذل فيشفى الأفارقة منه، فهو «ذوّب ألحان الأسى» أما في كلمتى «ألحان الأسى» فهو تصوير للاستعمار كأنه ترنيمة حزينة ومريرة ظل الأفارقة يغنونها طويلا. أما في السطر الأخير فقد تحول الماضى إلى «فرحة» صادقة ولذا فهي «نابعة من كل قلب» أفريقي وذلك بعد نيل الحرية والاستقلال.

ويتحدث الفيتوري في المقطع الثاني عن الصبح أو المستقبل المشرق الذي هو نتيجة لكفاح كل الأفارقة فهو نتيجة جهد متواصل عبر الأجيال «جيل البطولات» و«جيل التضحيات» فالأجداد مهدوا له ليأتى الأبناء فيواصلوه. وخلال هذا الكفاح سقط الشهداء. وهذا الصبح هو خير دليل على أن أفريقيا «أبداً لم تهن» يوماً على أبنائها وها هم يجنون ثمرة الوفاء. فها هى الشمس تشرق على أرضهم وها هو الشذى يملأ الأرجاء.

وأعطى الشاعر هذه المعاني من خلال عدة أخيلة. ففي السطر الأول نجد أنه استخدم تعبير «على البعد» ليعطى دلالة أن المشوار لم يكن سهلاً بل كان شاقاً وطويلاً. واللقاء بين الجيلين تم بعد وقت طويل من أجل الوصول إلى الحرية.

في السطر الثانى نجد تصويراً لامتزاج الحاضر «جيل البطولات» بالماضي «جيل التضحيات» من أجل الوصول للمستقبل. أما في السطرين الثالث والرابع فنجد صورة ممتدة، صورة ملائكية جميلة عن التقاء الشهداء. وهذا لتأثره بالثقافة الإسلامية؛ ففى التقاء الشهداء دلالة كونهم احياء لا يموتون فقد اعطاهم صفة من الحياة. أما السطر الخامس فهو يبدأه بتوكيد «أبدا» لزيادة دلالة النفى. وفي حذف حرف النداء في «أفريقيا» دلالة على قرب بلاده الأفريقية من قلبه. وهو هنا يخاطب أفريقيا كأنها محبوبته، وفى ذلك تشخيص واستعارة - أما في السطر السابع فتوجد صورة مبتكرة وغريبة «فالريح» العاصفة دوماً أصبحت كالنسيم «شذى» الآتى بأريج الزهور. و«الريح» القوية تحولت أيضاً إلى نسيم هادىء «تختال الهوينى» وفي هذا التعبير الأخير أيضاً استعارة فقد شبه الريح بفتاة تمشى بخيلاء ودلال لتنشر شذى عطرها، ولكن قوة الريح أصبحت فقط لهدف نشر هذا العطر. وهكذا فالصورة مبتكرة ومركبة.

أما في في المقطع الثالث، فيتحدث الشاعر ويقارن بين إفريقيا قبل الاستقلال وفي ظل الاستعمار وإفريقيا بعد الحرية. فيقول إن «الصبح» قد أتى برايات النصر «البيارق» وأصوات «الطبول» التى تُسمع في كل مكان وتدوي في الأفق لتعلن للعالم تحرر إفريقيا، ولكن مع ذلك فأيام الذل والهوان لن تنسى حتى تظل دافعاً قوياً لمحو كل آثارها وتحقيق رفعة إفريقيا.

وعند تناول هذا المقطع من الناحية الجمالية، نجد أن السطر الأول منه يبدأ بتشبيه «صباح» الاستقلال بالبنيان المرتفع «القباب والرايات العالية» «البيارق» ليعطى دلالة أن الاستقلال سيمهد الطريق للعلا والرقي. وفي السطر الثانى

شبّه الصباح بأصوات الطبول لدلالة أن أنباء الحرية ستدوى في كل مكان وكذا لدلالة البهجة والفرحة. وفي السطر الثالث نجد «إيه» وهى أداة تنبيه لجذب الإنتباه لأهمية الأتى.

بعد ذلك أتى الشاعر باستعارة تصريحية في كلمة «وجهك» حيث شبه افريقيا بفتاة أو محبوبة. ويوجد فيها أيضا مجاز مرسل علاقته الجزئية. وقد برع الفيتوري في استخدامه تعبير «ضوء الحدائق» حيث إن دلالته فنية دقيقة، فضوء الحدائق يدل على الخير حيث إنه ضوء اخضر زاهٍ مُبشر، وعندما يرى الشاعر وجهه إفريقيا في هذا الضوء وهو دليل على انها دوماً مصدر للخير والفأل الحسن رغم الصعاب التى تحيط بها في ظل الاستعمار. أما السطر الخامس فقد شبه الاستعمار بالظلمة أو الظلام الدامس من خلال استعارة تصريحية. أما تعبير «تسكن الدرب» ففيه استعارة مكنية فكأن الظلمة أو الاستعمار حيوان مفترس قابع أو روح شريرة وهو هنا يريد أن الاستعمار دوماً يهدف الى الفتك بالأفارقة.

ثم يختتم الشاعر قصيدته بالمقطع الرابع الذى يتحدث فيه عن ثمرة «الحصاد» أو الكفاح وكيف أنه سوف يؤدى الى «ألف صبح» أو إلى ملايين الإنجازات ولكنه يقول إن هذا «الحصاد» أو هذه الثمرة لم تكن شيئاً سهل المنال ولكنه قد بذل في سبيله جهداً وعرقاً ودماءً. ولهذا فهذا الحصاد سيكون تاجاً على رؤوس كل الأفارقة.

أما جماليات هذا المقطع فتكمن في السطر الأول منه في تعبير «لنا خلفك» حيث أنه تعبير دقيق وذو مغزى كبير «فصبح الحصاد» قد أدى إلى ولادة صبح آخر للأفارقة؛ أى ما بعد الحرية. فالمستقبل لم يكن ليولد ويكون لولا بزوغ صبح النصر. وهنا يوجد أيضا أسلوب قصر في كلمة «لنا» فيقصر هذا الصباح للأفارقة فقط. وكذلك في السطر الثانى توجد استعارة مكنية في «نسجناه بأضواء العيون» حيث شبه الكفاح أو الحصاد بقطعة نسيج قام بعملها كل الأفارقة وذلك دليل على أن هذا الجهد كان قوياً لا يمكن لأحد أن «يفصله» عن بعضه أو يعوقه. وكذلك فيه دلالة أنه كان حلماً أولا حيث ثم التأمل في كيفية «النسيج» أو الكفاح ثم قاموا بتحقيقه. وكذلك «أضواء العيون» فيها استعارة حيث إن سهر العيون الأفريقية أصبح مصدراً للضوء الذى ينير ويرشد إلى طريق الحرية. وفي ذلك دلالة الكد والكفاح والجهد الذاتى.

أما في السطر الثالث نجد كلمة «محمولا» وهى استعارة حيث تحول «صبح الحصاد» إلى ملك متوج أو بطل يحمله الأفارقة فوق أكتافهم لأنهم السبب المباشر في وجوده وكذلك فرحاً به. وفي السطر الرابع نجد صورة مبتكرة ومركبة في «حصاد العرق الدامى» حيث إن الشاعر في تعبير موجز يبين أن هذا الحصاد هو نتيجة العرق المبذول أو الجهد وكذلك نتيجة للدماء المبذولة أو الدماء المراقة من الأفارقة المناضلين.

وأخيراً وكدلالة فنية استخدم الشاعر لازمة في نهاية كل مقطع ألا وهى كلمة «يابلادى» وهى إن دلت على شيء فإنما تدل على شدة حب الشاعر لإفريقيا وقربها من قلبه وقلمه. وكذا بدأ كل مقطع بكلمتى «أصبح الصبح» وذلك لتوكيد بزوغ شمس الحرية وبدء عصر الاستقلال، وفيها دلالة الإشراق.

وإن كانت قصيدة الفيتورى هذه من الشعر الحديث؛ الحر، إلا أنه التزم فيها بالوزن والموسيقى الشعرية رغم أن السطر الشعرى لا يعتمد على

القافية الواحدة ورغم ذلك هناك موسيقى في هذه القصيدة.

ولا تكاد تخلو القصيدة في أى مقطع من مقاطعها من الأحاسيس المتقدة الشجية التى تدل بوضوح على التجربة الشعرية الحزينة والمعاناة التى عاشها الشاعر وهو يكتب هذه القصيدة في ظل معاناة قارته السمراء.

فهذه القصيدة واحدة من أصدق ما كتب الشاعر عن المعاناة الافريقية في ظل الاستعمار وهى نموذج لكل مجموعته الإفريقية التى تمتلىء بكل تلك الاحاسيس وعن ذلك يقول الفيتورى في مقدمة ديوانه «شرق الشمس غرب القمر» «كان همى آنذاك أن أتخلص من هذا العذاب، بعض الذين عاصرونى قالوا منتقدين: «كان يكتب شعراً تقريرياً لا علاقة له بالشعر العربى المعاصر».

وكانوا يعنون مجموعاتى الإفريقية، وأذكر أننى ضحكت بحزن في داخلى. ولم أكن أدافع عن نفسى، حين قلت أننى أحاول أن أطهر نفسى مما ورثته من عذابى لأننى أريد أن أخلص إلى الواقع كإنسان في العصر».

وهكذا، كما لا يخلو شعر الفيتورى من الأحاسيس المتقدة والرومانسية معاً، نجده أيضاً لا يخلو أبداً من النزعة الفلسفية التأملية والتى تتضح في كيفية تركيب الصور والأخيلة كما في هذه القصيدة في: «فلا السجن ولا السجان باق» ، «إلتقى كل شهيد»؛ «وجهك في ضوء الحدائق»؛ «لنا خلقك يا صبح الحصاد». ولكن، هذه الخاصية نجدها في كل شعره سواء كان يتحدث عن الوطن أو عن الحبيبة. فنراه حين يتحدث عن الحبيبة لا يستطيع التخلى عن النزعة الفلسفية التأملية؛ كما فى قصيدة «أعرف أنك ستأتين» حين يقول:

أن تولدى أنت في..

وأولد فيك ..

ثم يقول:

ثم أتيت .. تباركت..

ليتبارك بهاء الحقيقة فيك

لكم كنت أرقب فجرك .. أحلم

وهكذا نراه في أوج حديثه عن المشاعر الحالمة الرومانسية عن المحبوبة، يميل الى النزعة الفلسفية والتأملية. فها هو يستخدم كلمة «تولدى» دون غيرها ويتبعها بكلمة «أولد» ليدل عن امتزاج روحيهما. فالفكرة تأملية مبتكرة. وبعد ذلك يستخدم تعبير «بهاء الحقيقة فيك» وكأن الحقيقة في صورتها الجلية الصافية تتجسد في المحبوبة بعد التقاء روحيهما.

وأيضاً مازال الفيتوري حتي اليوم محتفظاً بأسلوبه المميز هذا في الشعر. وتعبيراته فلسفية مبتكرة ومركبة. فنراه يقول في قصيدة «مرآة على النفق» – على سبيل المثال :

وكبرياء أمةٌ..

فكت عقود شعرها في مشهد ذليل

ثم:

وأنت يا سيدتى المنقوشة اليدين بالأسطورة

المسكونة العينين بالعويل

وفي ذلك يقول الدكتور «محى الدين صبحى» فى مقدمة الديوان:

«في قالب من السبك الذى يجعل اللغة تتجلى بإيقاعاتها وتغير مدلولاتها.. فتبقى في فضاء الشعور الصافى الذي يكاد ـ لشدة امتلائه بالمضمونات المتناقضة ـ أن يبقى شعوراً بدون مضمون».

من عيون المراثي في الشعر العربي

الحزن والسرور، والرضى والحب والكره.. وغيرها أصول مركوزة في النفس البشرية وهي من الفطرة، والإسلام لم يغير هذه الأصول، وانما عدل دوافعها، وموازينها وغاياتها.

فالحزن مثلا جُبِلَتْ عليه الإنسانية، لكن الإسلام سن له آدابا تنظم دواعيه، وكيفه وأجله، فالإحساس بالفقد يوجع النفس بقدر إلفنا للفقيد، وطبيعة علاقتنا به، وكم قرأنا شعراء يبكون أشياء أو أحياء قد نراها تافهة، لا تستحق منا كلمة واحدة، ولكنهم بفيض مشاعرهم نحو هذه الأشياء، وقدراتهم العليا على الإبداع يستوقفوننا معجبين مبهورين، قد يكون المرثي هرة أو حمامة أو طللا لدار تهدمت.. نقرؤها مأخوذين بسحر جمالها مرة، وملتاعين كأننا شركاء أخر، وإذا بهم ينشئون بيننا وبين هذه الأشياء علاقة حميمة، كالتي لدى الشعراء أنفسهم.

من هنا يثرى وجداننا، وتثرى بثرائه حياتنا، ويصبح للأشياء معاني حية متجددة. إذا كان هذا فما بالنا إذا كان الفقيد بطبيعة علاقتنا به جزءا منا، ونحن له أكثر إلفا، كأننا نحيا به، وهو يحيا بنا؟؟.

إذ ذاك يورث الفقد نفوسنا حسرة لا يعرفها إلا من يكابدها، وفي الشعر العربي روائع من البكائيات في رثاء الصديق والولد والزوجة والأخ والأب والأم، نجدها شديدة التفجع والتوله، كأنما النفس فيها فقدت نفسها، تتفجر الكلمات باللوعة والتفجع.

وقصيدة ابن الرومي الدالية في رثاء ابنه الأوسط محمد تعد من غرر المراثي في الشعر العربي (إنها ليست من نوع المراثي التي نقرؤها هذه الأيام في دواوين شعرائنا وفي أعمدة مجلاتنا وصحفنا، فهذه مراث فاسدة وتلك مرثية صحيحة، لأن هذه مراث كاذبة وتلك مرثية صادقة، الميزة العظمى لهذه القصيدة هي صدقها التام وخلوها التام من المبالغة)[١].

إذا لحق بالإنسان أذى أو أصابه مكروه سرعان ما يلجأ للبكاء ينفس عن آلامه، ويطفىء بالدموع حرقته ولوعته.

يقول طالبا من عينيه البكاء في حين استعصت عليه الدموع يصف حاله بعد ولده[٢]:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي
فجودا فقد أودى نظيركما عندي
بُنيَّ الذي أهدته كفَّاي للثرى
فيا عزّة المهدى ويا حسرة المهدي
ألا قاتل الله المنايا ورميها
من القوم حبَّات القلوب على عمد

جمعة بنت سفر الزهراني
- مكة المكرمة -



توخّى حمام الموت أوسط صبيتي
فلله كيف اختار واسطة العقد!
ألحَّ عليه النُّزْفُ حتى أحاله
إلى صفرة الجاديِّ عن حمرة الورد
وظل على الأيدي تساقط نفسه
ويذوي كما يذوي القضيب من الرند
فيا لك من نفس تُساقطُ أنفسا
تَساقُط دُر من نظام بلا عقد

ابن الرومي يطلب من عينيه البكاء لأن في دوام البكاء دوام التفريج، والذين يدعون البكاء الأبدي يدلون على أنهم لا يعرفون أقسى حالات الحزن، وهي المرحلة التي تلي مرحلة البكاء والتي تجف فيها الدموع وتتحجر المآقي، فلا تسعف المحزون بدمعة تبل حرقته، يشتد به الجوى فيحاول أن يبكي فلا يستطيع، فيزداد ضيق صدره، ويثقل حمله حتى يكاد ينفجر، وهذه هي المرحلة التي بلغها ابن الرومي إذ نظم هذه الأبيات، ولهذا تراه يخاطب عينيه ويصيح بهما أن «تجودا» له بالدمع، هذا شاعر لا يخجل من أن يذكر لنا أنه لا يستطيع أن يبكي على ابنه.

وابن الرومي بصدقه هذا يثبت أنه مكروب حقا ويرينا - دون أن يدري - أنه وصل أقصى مراحل الحزن الإنساني[٣].. وقد وضعنا أمام مشهد الاحتضار وجها لوجه حين ذكر قصة احتضار ابنه وهو يشعرنا رهبة الموت، وفي لون من ألوان مقدرته الفنية استخدم ابن الرومي أسلوب القصة الشعرية واستطاع بحق أن يهز القلوب حين صور طفله العليل يعاني المرض، وأهله يتناقلونه وقد مزقهم التحسر، ثم انظر الى هذا التشبيه الرائع العجيب حين نفى أن باستطاعة بقية الأبناء ادخال البهجة والسرور على الأهل حتى ينسون الفقيد، بل على العكس أن لكل ابن مكان لا يمكن أن يسد واحد مكان الآخر فهم كالحواس لا يغني احدها عن الآخر يقول:[٤]

وإني وإنْ مُتِّعتُ بابني بعده
لذاكره ما حنت النيب في نجد
أولادنا مثل الجوارح أيُّها
فقدناه كان الفاجعُ البين الفقد
لكل مكان لا يسدُّ اختلاله
مكان أخيه في جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمْع تكفي مكانه
أم السَّمْع بعد العين يهدي كما تهدي؟

وهذا الشعر من الرثاء الوجداني الصرف الذي يعبر عن مأساة النفس تحت وطأة الفجيعة، فهو لا يمكن أن ينسى ولده وإن متع بأخويه بعده، وقد لامست هذه القصيدة بغناها المشاعر الإنسانية لكل أب فجع بفقد ولده في كل زمان ومكان وهنا يكمن سر صدقها وروعتها وجمالها، لأن رثاء الأبناء أشد لوعة وألما وحرقة.

وقد كان رثاؤه لابنه محمد صرخة الضربة الأولى كما يقول - العقاد - ففيها ثورة لاعجة تحس من خلال الأبيات ثم حل الألم المر محل الألم السوار في مصيبته الثانية فوجم وسكن واستعبر، ثم كانت الخاتمة فهو مستسلم يعجب للحزن كيف لم يقض عليه، وهذه الأبيات تنم عن فجيعة رجل راضه الحزن.

ولم يبق من البكاء إلا الأسى الملتهب في الضلوع وإلا العجب من أن يكون قد عاش وصلبت

قناته لكل هذه الفجائع[٥].

ونراه قد عادت به الذكريات إلى أحضان طفله وقبلاته، وحلق في حزنه كما حلق في فنه حين قال:

كأني ما استمتعت منك بنظرة
ولا قبلة أحلى مذاقاً من الشّهد
كأني ما استمتعت منك بضمّة
ولا شمّة في ملعب لك أو مهد
ألامُ لما أبدي عليك من الأسى
وإني لأخفي منه أضعاف ما أبدي
محمدُ ما شيء توهم سلوة
لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين فإنّما
يكونان للأحزان أورى من الزّند
إذا لعبا في ملعب لك لذّعا
فؤادي بمثل النّار من غير ما قصد
فما فيهما لي سلوة بل حزازة
بهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

فما أظن في شعره ـ بل في الشعر العربي كله ـ ما يفوق هذه الأبيات لا في تعمقها التحليلي البعيد وراء أخفى السرائر الإنسانية، ولا في مصارحتها بهذه السرائر حين تستكشفها، وصدق وصفه لها، ولا في قوة استثارتها للمشاركة العاطفية العنيفة في نفس القارئ[٧].

على أن حب الوالد لولده كغريزة فقط لا يفسر حزن ابن الرومي على طفله، بل لابد أن يقرن هذا الحب الغريزي إلى الألفة التي تربط الأب وابنائه فهو القائل في رثاء ابن آخر من أبنائه الثلاثة الذين فجع بموتهم:

أولادنا أنتم لنا فتن
وتفارقون فأنتُمُ محنٌ[٨]

وهيهات أن أحاول في هذه العجالة استقراء خلجات نفس ابن الرومي وشرح حالته ووضعه النفسي إبان رثاء فلذات كبده، فتلك أمور تنوء بها كتب الأدب والدراسات الفنية التي أجريت حول ابن الرومي وشعره، غير أني حاولت إلقاء بعض الضوء حول أثر الإسلام في تقنين هذا اللون الأدبي شعر الرثاء وذلك من خلال أبيات ذائعة الصيت على مر العصور.

والذي لا شك فيه أن رثاء ابن الرومي لأهله كثير ونابض بالحياة، غير أن رثاء أبنائه أشد لوعة وألما وحرقة.

الهوامش:

(١) ثقافة الناقد الأدبي «للدكتور محمد النويهي» ص ٣٣٨.

(٢) ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، ج٢، ص ٦٢٤، ٦٢٥.

(٣) د. محمد النويهي: المرجع السابق ص ٣٤٥ بتصرف.

(٤) الديوان ج ٢ ص ٦٢٥، ٦٢٦.

(٥) ابن الرومي حياته من شعره «عباس العقاد» ص ٩٩ بتصرف.

(٦) الديوان ج ٢ ص ٦٢٦، ٦٢٧.

(٧) د. محمد النويهي: المرجع نفسه ص ٣٤٦.

(٨) الديوان ج ٦ ص ٢٥١٦.



ساعات ليلي

جليلة رضا
- مصر -

ساعات ليلي في الدجى متوهجه
أنفاسهن تميت روح المسرجه
وذراعهن طويلة وطويلة
تمتد مثل اللص تحت الأنسجه
أرنو لهنَّ وقد سخرن بوحدتي
وأنا على عتبات نومي مولجه
يلهون في عبث بكل مشاعري
ويطرن فوق المركبات المسرجه
فأحس احداهن تحتضن الهوى
تسرى بها الأحلام جذلى مبهجه
وأحس احداهن تطفر بالمنى
وترفّ حولي بالشذا متأرجه
وأحس احداهن ترفع رأسها
زهوا وترنو في تحد محدجه
وأحسّ احداهن تحتضن الدجى
وتئن وسط دموعها المتدحرجه
وأحسّ احداهن تطرق جهمة
والذكريات تلفها متوشجه
فأجمِّع الساعات حولي مثلما
تتجمع الأشواك حول العوسجه
وأنام والقلق الكبير يضمني
ومشاعرى المثلوجة المتأججه
وكأن شيئا كالحرير بمهجتي
طعنته كف بالسلاح مدججه

أيها النواب احذروا النساء

لم تكن المواجهة التي حدثت مؤخرا بين السيدة مروة القاوقجي وبين اعضاء من البرلمان التركي، الاولى من نوعها التي تتحدى فيها امرأة رجالا داخل البرلمان.

لقد شهد برلمان بريطانيا مناكفات ومشاحنات كانت النساء طرفا فيها وسجلن انتصارات ساحقة لجمن من خلالها النواب.. ولم يكن وجودهن مجرد ديكور في المجلس بل خضن معارك كلامية مع النواب مسببات لهم الاحراج.. ولم تتخل عن دبلوماسيتها أو تخرج عن نطاق البروتوكول ولكن كلماتها كانت ثورة تعصف بمن حولها فيحنوا لها رؤوسهم واحيانا، كان مجرد وجودها يهز المجلس فعندما رشحت الاديبة السورية ثريا الحافظ نفسها للانتخابات زمن الوحدة نجحت في الحصول على الترتيب الثاني في عدد الاصوات ضمن منطقتها ولكن لم يتم ادخالها في المجلس النيابي اذ ان النيابة كانت توظيفا فلم يوظفوها بحجة أن صوتها (سيلعلع) في المجلس وستخلق متاعب للدولة مع النساء.

وكانت سرعة البديهة التي تتحلى بها تنقذها من المواقف الحرجة على كثرتها تخرج منتصرة وملقنة النائب الذي تحرش بها كلاميا درسا لن ولم ينساه.

فذات يوم وقف ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل يتحدث في مجلس العموم البريطاني، ويحمل حملة شعواء على النائبة العمالية ليدي نانسي استور أول سيدة تنتخب عضوا في البرلمان الانجليزي ١٨٧٩ - ١٩٦٤.

وتوقع تشرشل من النائبة العمالية أن تقف وتدافع عن نفسها، ولكنها لم تفعل.

وراح يبحث عنها بين مقاعد النواب وإذا به يفاجأ بالسيدة جالسة في هدوء، وقد سقطت رأسها فوق صدرها ووجد تشرشل في هذا المنظر فرصة ذهبية للنيل من النائبة التي كانت دائما خصما عنيدا له، فما كان منه الا أن رفع اصبعه مشيرا اليها وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقال:

أنظروا ايها السادة النواب... انني أسمع شخيرها من هنا. ولم يكمل تشرشل حديثه فقد قفزت ليدي استور من مقعدها لتقول له: ليتني كنت نائمة حقا، ولكن يبدو أن نعيق الغربان لا يمكن أن يتحول الى موسيقى هادئة تساعد على النوم.

وقال تشرشل يصف هذه الواقعة في مذكراته: هذه المرة الوحيدة التي أحسست فيها بهزيمتي أمام

انعام حسن عيدة
- الاردن -



تلك المرأة وكانت ليدي استور حاضرة البديهة سليطة اللسان ومن أعدى أعداء تشرشل حتى إنه تمنى لها الموت في إحدى جلسات البرلمان عندما لم يفلح في اسكات هجماتها اللاذعة.

وكانت تتحدث يوما في اجتماع سياسي وفجأة قاطعها أحد أعضاء المجلس محاولا أن يسخر منها فقال يسألها: هناك شيء يحيرني هل تستطيعين أن تقولي كم عدد الاصابع الموجودة في قدم الخنزير.. وابتسمت ليدي استور واجابته: ولم الحيرة.. والجواب عندك.. اخلع حذاءك وعد أصابع قدمك .. وسوف تزول حيرتك. وضاقت استور بالأعضاء الذين كانوا يتكتلون ضدها وقالت ذات يوم في تهكم لاذع: انني أعرف شؤون الاطفال معرفة تامة.

فقال بعضهم: طبعا لان لك اطفالا.

فقالت: لا بل لانني أقابل ستمائة طفل كل يوم.

واستطاعت الملكة اليزابيث الاولى (١٥٣٣ - ١٦٠٣) اسكات اعضاء مجلس النواب والوزراء عندما أصروا على البحث عن زوج لها كان ردها عليهم: «إنني افضل العيش في فقر بلا زواج على أن أكون ملكة متزوجة أو زوجة لملك».

ولكن نواب الشعب لم يقتنعوا بهذا التبرير فاطلق رئيس مجلس النواب البريطاني صيحة شاركه فيها نواب شعبه بوجوب البحث عن زوج لصاحبة الجلالة ولم تجد الملكة مفراً من تلك الثورة الا أن تستقل عربتها الملكية وتذهب الى البرلمان وتجلس بين نوابه وتحادثهم في أمر هذه الصيحة الجامحة واختتمت حديثها بأن صاحت في النواب أريد أن أعرف ماذا فعلتم أنتم معشر الرجال لنسائكم؟

ثم أريد أن أعرف من منكم عاش لامرأته وحدها، يكفيني فخراً ان تضعوا على قبري عندما أموت: هنا ترقد اليزابيث التي حلمت ببريطانيا عذراء وماتت عذراء.

ولم يرتفع صوت واحد يعترض على كلمة مما قالته الملكة.

وعندما فازت ايلون ستامر بعضوية مجلس النواب الايطالي وكانت تعرف باسم شيشيو تعرض لها عدد من النواب بسبب ماضيها وظروفها وآرائها حيث اشتهرت بالاباحية قبل أن تصبح امرأة فاضلة.

وكان ردها على أولئك النواب أن وقفت شيشيو وقالت: «إني أطلب أن تحاكموني، ولكني اطلب أيضاً أن تحاكموا معي جميع أولئك النواب الذين تورطوا في عمليات الاحتيال والرشوة والفساد وخرق القوانين واستغلال المراكز وغير ذلك من الاعمال غير الخلقية وهو ما يعتبر اكثر سوءاً من تصرفاتي».

لقد اثبتت هذه الحوادث التي سجلها التاريخ أن قوة الحجه وحضور البديهة اعنف من قوة العضلات وابلغ من التراشق بكاسات المياه أو منافض الدخان.. وحقق الكلام حضوره، دون أن تراق الدماء.

١٠٤٢ ■ أبو عواد:

بهجة الحياة ولذتها ليست في ارتداء فستان فاخر ولا في تناول وليمة دسمة·· انها في وفاء متبادل نستشعر من خلاله حلاوة الدنيا·

١٠٤٣ ■ أم عمرو:

حقا بهجة الحياة بيت آمن دافىء يضم الجميع في احضانه ويمنحهم الراحة والطمأنينة·

١٠٤٤ ■ أبو عواد:

هؤلاء الموسرون ممن يقترون على أنفسهم ويغلّون الأيدي الى الأعناق ليسوا اكثر من حرّاس على ما يمتلكون·· وأنا ارفض ان اكون على هذه الصورة·

١٠٤٤ ■ أم عمرو:

البخل والإسراف صفتان مذمومتان والله عز وجل يأمرنا بالاعتدال فلا اسراف ولا تقتير·

١٠٤٥ ■ أبو عواد:

كل ما في محلات المجوهرات من حلي جميلة ولطيفة تمنيتها خواتم في أصابعك أو أساور في معصميك وسلاسل في جيدك أو قيراطاً في اذنيك·· ولكن هيهات ·· الاماني كبيرة·· والديون اكبر!!·

١٠٤٥ ■ أم عمرو:

الزوجه العاقلة لا يهمها الأساور والأقراط والخواتم بقدر ما يهمها حب زوجها وتقديره لها، لذا كان واجباً عليها أن تساعده في التخلص من ديونه وتعيش في حدود ميزانيتها حتى ولو لم يعد ذلك عليها بخردله·

١٠٤٦ ■ أبو عواد:

انت تعتقدين ان شهيتي تنفتح اكثر على الأطباق الغنية الغالية·· ويغيب عن بالك أن عضة ما قد تكون هي القاضية·· فكلما تناولت لقمة·· حسبتها كمبيالة شهرية!!

١٠٤٦ ■ أم عمرو:

العلم الحديث يعود بنا الى الفطرة والبساطة ويعلمنا أن الإسراف في أي شيء مهلكه وكما قال الشاعر:

واجعل طعامك كل يوم مرة
واحذر طعاماً قبل هضم طعام

١٠٤٧ ■ أبو عواد:

تضحية الزوجة ليست في عبارة حب ممجوجة كتلك التى يسمعها في المسلسلات التجارية ·· التضحية الحقيقية في موقف شجاع·· عندما تتكالب الظروف وتكشر الأقدار!!

١٠٤٧ ■ أم عمرو:

عند الشدائد يعرف الأصحاب· الاختيار الفعلي لصلابة العلاقة الزوجية



هو شدة تَلُمّ بأحد الزوجين أو بكلاهما معاً ، وبذا تظهر شجاعة كل منهما على المواجهة وقوته على التحمل.

١٠٤٨ ـ أبو عواد:

يقولون اسأل عن الجار قبل الدار.. وهذا صحيح.. ولكني اصبحت أوثر منزلها بلا جار.. لكثرة ما تذكريني بـ (جارتنا).. وما احضر لها زوجها الموسر .. وما قاموا به من اسفار ورحلات.. وما احضروه من تحف وهدايا!!

١٠٤٨ ـ أم عمرو:

اسوأ شيء في الحياة هو أن ننظر إلى ما في أيدى غيرنا ونطمع فيه لأنفسنا. الأرزاق مقسمة ولكل نصيبه والسعادة في الرضا. ان البعد عن الجيران لن يشفى هذا المرض وستطلب هذه الزوجة ما تراه على شاشة التلفزيون. المطلوب هنا علاج صحيح بالتفاهم والمصارحة.

١٠٤٩ ـ أبو عواد:

من قال لك أن ـ أصباغ الجفون ـ أو ما تسميه ـ الآي شدو ـ أو ـ الريميه ـ يزيد من جمال العيون وبريقها .. فما قيمة كل هذه ـ الدهونات ـ على عيون لا تفهم لغة الكلام!!

١٠٤٩ ـ أم عمرو:

وهل اصبحنا نجيد لغة اللسان حتى نتكلم بلغة العيون؟!

١٠٥٠ ـ أبو عواد:

صديقات ـ ربات البيوت ـ شياطين أو ملائكة .. فكوني على حذر ولا يضرك مظاهر الاتيكيت الزائفة واعرفي من تصادقين!!

١٠٥٠ ـ أم عمرو:

اختيار الصديق والصديقة مهمة صعبة. علينا أولا بوضع معايير يجب توفرها فيمن نصادق. كما أن علينا أن نكون شجعانا في قطع علاقتنا على الفور بمن نكتشف خلوهم من بعض أو كل هذه المعايير وعدم استجابتهم لنصيحتنا بالتغيير.

١٠٥١ ـ أبو عواد:

ادرك تماماً ما هو مطلوب مني من مساهمة في تربية الأولاد وتحمل جانب من المسؤولية في رعاية امورهم.. ولكن ما ذنبي اذا اخذ العمل عليَّ كل وقتي لتأمين طعامهم وكسائهم!!؟

١٠٥١ ـ أم عمرو:

دور الأب ودور الأم دوران مكملان لبعضهما البعض يهدفان لشيء واحد تربية ابناء اصحاء عقلا ونفساً وبدناً.

١٠٥٢ ـ أبو عواد:

عندما ترفرف الحمائم على سقف عشنا.. وترسل هديلها فيملأ علينا المكان.. اكون سعيداً في حياتي مهما واجهت في طريقي من ذئاب.. وصقور.. وغربان!!

١٠٥٢ ـ أم عمرو:

البيت الهادىء الجميل المملوء بالحب والدفء مرفأ ترسو عليه سفننا بعد رحلات التعب فنرتاح ونتجدد ونغفو قليلا من وعثاء السفر.

رسالة من عبيد الله بن عتبة إلى السيدة الجميلة

حبيبتي عثمة:

في حديث لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: إن أبغض الحلال عند الله الطلاق.. إنني بعد أن طلقتك ورحلت عنى صرت أفكر في الحديث الشريف وأتدبر معانيه العميقة ودلالاته العظيمة.. فسبحانه وتعالى عليم بفطرة الإنسان: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» ويعلم طبها ودواءها، وأن من طبيعتها الجحود وسرعة الندم، قال سبحانه: {وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض}. وها أنا ذا اليوم ذو دعاء عريض على ما فرطت في جنتي وحياتي ودنياي.

رسالتى إليك يا عثمة هى رسالة الندم الذي تتنزى به مشاعرى ويضيق به صدري حتى لكأنني أصعد في السماء.. إن في الندم نوعاً من الإدراك البصير، أليس هو المراجعة العاقلة للأحداث التى وقعت؟ ولا يندم المرء إلا حين يسترجع الماضى ويوازن بين ما كان، وما هو كائن، وما كان ينبغى أن يكون.. وللندم أحيانا فعل السحر في إعادة خلق الصور والمشاهد الماضية، بل إنه ليبعث فيها حياة جديدة تزيد من حسن روائها وسحر إغرائها فيزداد القلب بها عشقا وتزداد عين الخيال إليها تطلعا والنفس بها تدلها.

حين يندم المرء على طلاق من كانت له زوجة وحبيبة وصديقة فهو إنما يندم على حرية سلبت منه، وعلى شربة ماء بعدت عنه، وعلى ظل ظليل ارتفع دونه.. آنئذ يتمثل له ما افتقده وقد جسد آيات الجمال العبقرى والسحر الذكى في كل سمة من سماته ولمحة من لمحاته.. أجل، إن الندم ليزيد المرء حسرة على ما كان وحسرة الندم عذاب ما فوقه عذاب.. وآه من عذاب الندم على فراقك يا عثمة:

لعمرى لئن شطت بعثمة دارها
لقد كنت من وشك الفراق أليحُ
أروح بهم ثم أغدو بمثله
ويحسب أنى في الثياب صحيح

حبيبتي عثمة:

كان عليك يا عثمة - وكل منا يتحمل جانبا من تبعة الطلاق - ألا تتمادى فيما نهيتك عنه. لقد نهيتك عن زيارة خالتك أو استقبالها في بيتى وقلت لك إن هذه المرأة تحب الفتنة وتعشق الاغتياب والإيقاع بين الناس.. وكنت تحتجين بأن أمك ماتت وأنك تعتبرينها أمك ومن ثم فأنت لا تخفين عنها شيئاً، وأكثر من هذا فأنت تطلبين منها الرأى والمشورة.. نصحتك مراراً أن تبتعدى عنها وكنت أبين لك مخاطرها وما يمكن أن تجره علينا من مشكلات.

ولكنك لم تأبهى لنصحى حتى وهمت أننى ضعيف أمامك.. أمام سحر جمالك فتماديت في العناد واللجاج. ونسيت يا عثمة أننى ممن لا يقف عاجزاً أمام أى تحد مهما كانت شخصية المتحدى ومكانته.

حبيبتي عثمة:

ومما كان يحببني فيك أنك كنت راعية لبيتك مقتصدة حسنة في تدبيرك وتصرفك في شئون معاشنا. ولهذا فكثيرا ما كان الخلاف ينشب بينى وبينك، أنت تعملين حساباً للغد، وأنا لا أقيم للغد أدنى حساب.. حسبى أن أنفق على شهواتى وملذاتى ما يأتينى من مال.. ولم يكن ذلك سلوك منى فحسب بل مذهب وعقيدة فقد قلت لك:

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

أعــاذل عــاجلُ مــا أشــتــهى
أحــب إلــيّ مــن الــراتــب
ســأنفق مــالى على لذتى
وأوثر نفــسى على الوارث
أبادر إهلاك مــســتــهلك
لمالي أو عــبث العــابث

ومع لومك لي وتعنيفك لإسرافي وتبذيري، وغضبي منك لصلتك بخالتك، إلا أن حبي لك كان متغلغلا في سواء وجداني مستأثراً بمشاعرى.. فآه من حبك يا عثمة!!

تغلغل حب عــثــمــة في فــؤادى
فــبــاديه مع الخــافي يســير
تغلغل حــيث لم يبلغ شــراب
ولا حــزن ولم يبلغ ســرور
صــدعت القلب ثم ذررت فــيــه
هــواك فليم والتــأم الفطور

واعترف لك يا عثمة أن طلاقك سبب لي كثيرا من المآزق والمشكلات التي يضيق بها صدرى.. من ذلك مثلا أن امرأة قدمت المدينة من ناحية مكة، وكانت من هذيل وكانت جميلة، فخطبها الناس وكادت تذهب بعقول أكثرهم.. وكنت من هؤلاء، إذ لما رأيتها تدلهت في جمالها وسحرني عبير فتنتها. فرأيت أن أراسلها فراسلتها وعلم الصحاب كل الصحاب بحبى لها وكان منهم من لامنى ومنهم من هنأنى. ومع ذلك فإننى أحببت أن أشهد فقهاء المدينة على حبى لها حتى تطمئن على أننى لست لاهيا ولا عابثا ولا مخاتلا فقلت لها:

أحــبك حــبــا لا يحــبك مــثله
قــريب ولا في العــالمين بعــيــد
وحــبك يا أم الصــبى مــدلهى
شــهــيــدى أبو بكر فنعم شــهــيــد
ويعلم وجدى القــاسم بن مــحــمــد
وعــروة مــا ألقى بهم وســعــيــد
ويعلمُ مــا أخــفى سليــمــانُ علمــه
وخــارجــه يبــدى بنا ويعــيــد

- هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة.
- كان أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة.
- كان ضريرا.
- شاعر أموى.

متى تسألى عما أقول فتخبرى
فللحب عندى طارف وتليــــد

أفتدرين يا عثمة ماذا قال سعيد بن المسيب عندما بلغته أبياتى؟ لقد قال: والله لقد أمن أن تسألنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد عليه بالباطل عندها.

حبيبتي عثمة:

لسوف أظل ما حييت وفيا لحبك حتى ولو تزوجت غيرى أو تزوجتُ غيرك فإن حبك سيظل باقيا ببقائى في الدنيا وخالدا بخلود شعرى في الحياة.. فليكن ندمى على فراقك ترنيمة حب أنشدها اليوم وينشدها الدهر إلى آخر الزمان..

حقا يا عثمة:

أكــاد إذا ذكــرت العــهــد منهــا
أطيــر لو أن إنســانا يطيــر
غناء النفس أن أزداد حــبــا
ولكنى إلى صلة فــقــيــر
وأنفــذ قــادحــاك ســواد قلبى
فــأنت على مــا عــشنا أمــيــر

وحقا يا عثمة ما أعظم ذنبي:

ألا من لنفس لا تموت فــينقــضى
عناها ولا تحــيــا حــيــاة لهــا طعمُ
أأترك إتيــان الحــبــيــب تأثمــا
ألا إن هجــران الحــبــيــب هو الإثم
فــذق هجــرها قــد كنت تزعم أنه
رشــاد ألا ربما كــذب الزعم

وداعاً يا عثمة.. وداعاً يا حبيبتي، يا من كنت زوجتي..

بين السطور

رفّ الذكريات

شقيقتى أحلام:

كانت شقيقتى ونحن أطفال تقرأ لي ما تظنه يعمق في وجدانى مشاعر البطوله والنبل والفروسية، ومن ذلك كتاب عن اليابان القديمه يحكى عن بر الوالدين - حسب طريقتهم - فقد أصر بطل يابانى غض الاهاب على ان ينام عارياً كما ولدته امه بلا دثار ليتمكن البعوض من لسعه وحده دون سواه حتى يجعل والديه ينامان نعيمى البال.

وتتعدى قصص البطولة (بر الأبوين) الى بر زوجة الاب الجائره المولعة بأكل السمك كل الولوع ولم يكن من شيمة أبن زوجها التذمر من غلظة معاملتها بل يبغى رضاها فنام عريانا على سطح البحيره المتجمدة فأذاب بحرارة جسمه جزءا من الجليد فأحدث فيه فجوة طلع منها شبوطان (الشبوط نوع من السمك) ليستنشقا الهواء فقبض عليهما وقدمهما لزوجة أبيه التى أكلتهما هنيئاً مريئاً اما هو فتوفى بالالتهاب الرئوى.

وهذا شيخ في السبعين اعتاد لبس ملابس الاطفال والحبو على ارض البيت متلهم قاصداً بهذا العمل أن يوهم والديه وكانا قد تجاوزا التسعين من عمرهما انهما ليسا هرمين بدليل انه لا يزال لهما ابن حديث السن كشخصه.

عن طريق تلك القصص الجميلة أحببت أبي وأمي وشقيقتي وأحببت اليابان والعالم كله.

- اهدت فرنسا الى اليابان تمثال «القبله» لرودان فتقبلته اليابان بما تقتضيه قواعد المجاملة الدولية ثم امرت باقامته في ميدان من ميادين العاصمة الدولية بعد احاطته بسياج ضخم يخفيه عن اعين الجمهور لكيلا يجرح شعورهم.

- كانت الكتابة بالقلم الرصاص هي الخطوة الاولى في سبيل تعلمنا القراءة والكتابة وبعد عدة سنوات وعند وصولنا لنهاية المرحلة الاولية نبدأ في الكتابة بالقلم الحبر السائل وبرغم المتعة الشديدة التى كانت تصيبنا عند تعلمنا الكتابة بالحبر الا انه كان يشكل مشكلة كبيرة لامى فقد كانت المتعة لا تكتمل الا بعد أن الوّث أصابعي وملابسي بالحبر الازرق وكانت امى تجد صعوبة كبيرة في ازالة بقعه. رغم اختراع القلم الجاف الا اننى مازلت بعد كل تلك السنوات اعشق الكتابة بالحبر السائل واعشق تلويث اصابعى وملابسي بالحبر لكن المشكلة انتقلت من امي لزوجتى التى اصبحت تعانى عند ازالة البقع عند الغسيل.

- ليس التاريخ فقط الذى يعيد نفسه فهناك الجغرافيا والحساب والعربي والانجليزي كلمة مأثورة قلتها وانا اعيد المقرر الدراسي لرسوبي في الاعدادية.

- سأمضى الى حيث تدعونى روحى وسأمشى في الطريق الذى ما برح يغرينى منذ صباى المبكر طريق الحب لكل الناس.

من الارشيف:

- كان سائق حافلة الركاب يقف في المحطه ويعلن بأعلى صوته «هنا محطة المطار السرى».

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصـــر -

- كان الدرس الاول في المدرسة - في الماضي - «هو كيف تكون صاحب خلق حسن».

- كان يعمل «عرضحالجى» يكتب شكاوى الناس للمسئولين لكنه ابداً لم يفصح عن شكاواه فالشكوى لغير الله مذله.

- «لا استطيع أن اقهر القوى العليا التى تحرك المسلمين» نابليون.

- في طفولتي كنت اعتقد أن الكاتب الكبير المنفلوطي هو نفسه الفيلسوف افلاطون معرباً.

- كان العربي القديم إذا حضر الغداء يطلب من يتغدى معه من الاغراب أو عابرى السبيل اما الانسان المعاصر فهو يختلى بنفسه ويغلق ابوابه خوفا من حضور احد الضيوف ليتغدى معه.

- من عبقرية العرب اطلاقهم «البصير» على «الاعمى» والسليم على الملدوغ وكانت احدى جميلات العرب يطلق عليها «الجرباء» واخرى تسمى «قبيحه»

- الدرهم: دار الهم ، والدينار: دار النار.

- غاندى البخيل: سئل غاندى، لماذا تركب الدرجه الثالثة في القطار فأجاب لانه لا توجد درجه رابعة.

- هاجر ومهجور وبينهما عذول: كانت معلمة الرسم في المرحلة الاولى من الدراسة تشبه نجمات السينما كانت رقيقة نحيلة جميلة ترتدى ثوبا بلون رضا الحبيب يتناسق مع جسمها لكنها دائماً كانت مكتئبه حزينة ويولد حزنها عدوانا على الاخرين، كانت تدخل الحصة وتطلب منا في اولها ان نرسم موضوعاً معيناً تحدده لنا ثم تجلس وويل لمن يهمس، تعيش مع افكارها وحزنها الخاص حتى اننى لشدة شبهها بنجمات الخياله كنت اعتقد - رغم اننى كنت صغيرا جداً - انها تعانى من قصة حب فاشلة مثل فاتن حمامة في افلامها حتى تكاد الحصة تنتهى فتمر على التلاميذ ترى رسومهم والرسم الذى لا يعجبها تمزقه كانت لا تتكلم ولا تعطى اية ارشادات خاصة بفن الرسم كانت تمزق ابداعاتنا بكل قسوة وهي تنعتنا باسماء البغال والحمير والجحاش وكان رسمى عادة لا يعجبها حتى اننى في نهاية العام الدراسي لم تكن في كراستى أية ورقة كانت عبارة عن غلاف. قرّ في ذهنى اننى اشبه حبيبها الغادر وانها تنتقم منه في شخصي الضعيف فقد كنت - ككل فنان - اعتقد ان رسمي جميل جداً وكنت اود أن اصارحها اننى احبها لكننى لم اجرؤ فظلت تمزق رسمى وتنعتنى بالجحش.

- كان يسمى «كلثوم» وكان هذا الاسم يضايقه حتى غيّره الى «كل بصل» لأن البصل أطيب من الثوم.

- جبان الكلب: جبن الكلب دلالة على كرم صاحبه وقد قال احد علماء اللغة العربية في عصرنا الحاضر لصديقه «انت جبان الكلب» فاعتقد الرجل انه يسبه وكانت قطيعه.

- افلت لمعاوية بن مروان (باز) فصاح: أغلقوا باب المدينة حتى لا يخرج.

- أبى علمنى كيف التقط الحكمة من بين سطور الحياة وكيف اصيد النكتة من بين ثنايا المأساة وكيف ارفعها لتنعكس عليها شمس الاله.

- لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل - عريب.

ويح القوافي:

- المتشاعر لا يموت بالسكتة القلبية وانما بالسكتة الشعرية، فالمتنبى لم يمت حتى الآن.

- كان يعمل قبانياً يزن بالات القطن والذبائح بالميزان القبانى ثم اصبح شاعراً حداثيا يزن شعره بنفس الميزان.

- كان كثير عزّه - وهو من فحول الشعراء - محمقاً مجنوناً مشهوراً بذلك وكان يعتقد أنه يونس بن متى النبى.

- قال ابراهيم بن سعد إنى لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لو رقى بها مجنوناً لافاق، لكن شعر الحداثة لو رُقِيَ به عاقل لجُنّ.

- اعطانى شاعر حداثي تفاحة تبين انها مسمومة وقال لي إنها كناية.

- قال ابو عمرو العلاء «العلم بالعربية هو الدين بعينه» والشاعر الحداثى العربى لا يعرف العربية.

- كان يتعاطى الشعر الحداثى ولما كسد سوقه أصبح يتعاطى المخدرات.

- ان قرض الشعر الحداثي ليس بالامر العويص طالما تمتلك اسناناً قوية.

- الشعر الحداثى سلاح ذو حدين كلاهما موجه لقلب المتلقى.
- كان العرب قديماً يهنئون بعضهم البعض حين ينبغ فيهم شاعر اما الآن فحين يظهر شاعر حداثى فإن العرب تعزى بعضها البعض.
- قال لي انه شاعر حداثى تخرج من مدرسة الاحداث الجانحين وهى سجن الصغار.
- بحار الشعر القديم غاضت، وبحار الشعر الحداثى الملوثة فاضت.
- كان يسرق الحمير ثم تاب وأصبح فيلسوفاً وشاعراً حداثيا فنصحته ان يعود لسرقة الحمير فهى خير من الفلسفة ومن الشعر الحداثى - الشعر الحداثى قفزة كبيره ... للوراء.
- اننى لا استطيع تناول الكيك اما المربى فهى مشكلة عظيمة: ت . س اليوت شاعر الحداثة.
- شاعر حداثى صديق يكتب قصائده باسم مستعار خوفا على حياته من القراء.
- الحداثة تلغى الذاكرة الجماعية للأمم لانها تلغى القديم وتبحث دائماً عن الجديد حتى لو كان الجنون وتمسخ الهوية وتدمر الشخصية القومية.
- كان عنوان ديوان الشعر الحداثى «منتصف الطريق للجحيم» أخطأ في تقدير المسافة.
- احسن طريقة لكتابة الشعر الحداثي بالقلم الرصاص حتى تستطيع ان تمحوه.
- بمناسبة كثرة شعراء الحداثة اقول لهم: لو كل كلب عوى القمته حجراً.. لبيع مثقال الصخر بدينار.
- البلبل خاصته ان يغرد، والورد طبيعته ان يفوح، وشاعر الحداثة جبلته ان ينهق.
- الشاعر الحداثى شاعر احترقت كلماته المصنوعة من المطاط.
- كان ديوان الشعر بعنوان «قلب على الرصيف» لكن الفتاة الرقيقة كانت تنطقه «كلب على الرصيف».
- اعتقد ان الدافع لقول الشعر الحداثى هو سوء التغذية فالشاعر الحداثى لا يستطيع أن يقول القصائد ذات النفس الطويل.
- الشعر الحداثى: شر البلية ما يضحك.
- كان يتحدث اثناء النوم حديثا غامضا مبهماً سجله الآخرون على انه شعر حداثي.
- كل قديم من الشعر فهو محدث في زمانه بالاضافة الى ما كان قبله «ابن رشيق».
- اعتقد انه لابد وان يكون في جهاز الشرطة ادارة لمكافحة الشعر الحداثى.
- الشاعر الحقيقى يكتب بقلبه وليس بقلمه والشاعر الحداثى يكتب بكلبه وليس بقلبه ولا بقلمه.
- الشاعر الحداثي عديم الاحساس فحتى القنابل المسيلة للدموع لا تجعله يبكى.
- كان في اعتقاده ان احسن طريقه للاحتفاظ بالشباب ان يعمل شاعراً حداثيا فهو مهما تقدم به العمر حداثى وحديث وحدث واحدوثه في افواه الناس.
- قال لي انه الف قصيدة «الغول المجنون» الحداثية ليتحدى بها كل شعراء العالم وقد اقتنعت بقوله فمن منا لا يخاف الغول خاصة اذا كان مجنوناً.
- اقول لشعراء الحداثة: السكوت من ذهب - للشعر الحداثى قوة السحر .. الاسود .
- هذا الشاعر الحداثى مثقف جداً فهو يقرأ مجلات ميكى ماوس بانتظام.
- ان زعامة الشعر الحداثى معقودة لاكثر شعراء الحداثة جنونا.
- شاعر حداثى صديق اعالجه من مرضه العقلى اعترف لي انه المؤلف السرى للمتنبي.
- الشعر الحداثى جلمود صخر حطه السيل من عل.
- الشعر الحداثى شعر تقليدى قديم لكنه من منظور القفا فقط.

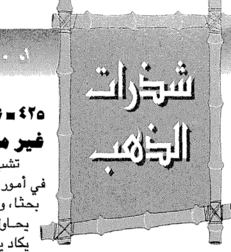
توابل الشرق:

- الكشوف الجغرافية والحروب الاستعمارية كان سببها ان الغرب يريد أن يسرق توابل الشرق لكنه لم يكتشف أن هناك من التوابل الادبية والفنية والشعرية ما هو اعظم من البهار.
- كان يعتقد ان الفيلسوف فولتير هو مخترع فلتر السجائر.
- البحر اضخم من النهر لكن النهر اكثر عذوبة ورقه.
- البنطلون الاعجمي تطوير للسروال العربي.
- سأل احمق فقيها هل يجوز ان تتزوج المرأة ابنها؟

فأجابه نعم ان كانت بكراً يجوز ولا يجوز ان كانت ثيباً.
- مرت عنزه يتبعها جمل فقال احمق هذا الجمل من هذه العنزه فقال احمق آخر لا لكنه يتيم في حجرها.
- مر رجل على قوم يضربون رجلا ولا يدرى لماذا لكنه ضربه معهم طلباً للثواب.
- قال الامير لرجل اسمه ابو البقر: انت ابو البقر؟ قال انا ابو القوم الذين بين يديك.
- لما حضرت الحطيئة الوفاه اجتمع اليه قومه فقالوا اوص يا ابا مليكه قال: ويل للشعر من راوية السوء.
- الخطأ خطأه هو فلماذا كان يسير في الشارع عندما دلقت السيدة المياه القذرة من النافذة.
- لا جديد تحت الشمس الجديد دائما تحت القمر ملهم الشعراء والعشاق والمجانين.
- كان العرب يعيبون من يأكل وحده وقالوا ما اكل ابن عمر وحده قط وقالوا ما اكل الحسن وحده قط.
- قال لي انه من المجددين في المسرح فقد الف مسرحية جوليو وروميت بديلا عن مسرحية روميو وجولييت للمدعو شيكسبير.
- كان اهم المرشحين لشغل الوظيفة فقد كان يحمل ارقى شهادة وهى شهادة التقرب لرئيس الشرطة.
- كل تقدم علمى يجب ان يواكبه معادل فنى حتى يحدث التوازن.
- ان على كل شيء زكاه وزكاة القلب الحزن.
- أي بيت تقوله العرب أشعر؟ الذى لا يحجبه عن القلب شيء.
- تعلموا العربية فإنها تزيد المروءة وتقوى العقل- احلى الكلام.

من تمر هجر:

- كان الطفيلى إذا منع من دخول العرس ينوح على بابه فيتطير أهل العرس فيدخلوه فيأكل كما يشاء.
- إن أروع وأجمل صفحات حياتك لا تكتبها الا بعرق الجبين اثناء عملك.
- لماذا تحب القطة المرأة؟ يقولون ان المرأة لها الكثير من صفات القطة فهى مثلها بسبعة ارواح وهى خائنة مثلها تاكل وتنكر والمرأة كالقطة تحب خانقها «اي من يقسو عليها» لكن لماذا تحب القطة المرأة؟ دعنا نرجع الاف السنين للوراء في الزمن الاول كانت القطط تهيم على وجهها في الغابة خائفة من الوحوش تحاول ان تصادق اقوى الحيوانات لكى تلوذ به ويدافع عنها واكتشفت ان الاسد هو ملك الغابة لكنها بعد ذلك وجدت رجلا اصطاد اسداً بالحيلة فعلمت ان الرجل هو الاقوى فلاذت به وسارت في ركابه وهو يجر الاسد من ذيله حتى ذهب وذهبت معه الى منزله وهناك قابلته زوجته بالصياح وصفعته على وجهه عندما وجدته قد اصطاد أسداً لا ينفع في الطبيخ والزوج صاغر لا يحاول الدفاع عن نفسه ضد صفعات وركلات زوجته فعلمت القطة أن المرأة هى اقوى مخلوق في الوجود فأحبتها.
- فاكهة الشرق: منذ طفولتى وأنا أعشق الجوافه رغم بذورها المقلقه وأحس نحوها بألفة شديدة وأنها فاكهة شرقية صميمة حنونة وجميلة وكأنها المعبرة عن احساسي بشرقيتى حتى قبل ان اعلم ان علماء النبات في امريكا اكدوا أن العرب وصلوا لامريكا قبل كريستوفر كولبوس بدليل ظهور الجوافة في امريكا في القرن العاشر الميلادي وهى فاكهة العرب.
- كيف نجعل السعادة عادة؟ بحذف حرف السين.
- الزوجه التى بلا أسنان زوجة مثالية فهى لن تعض زوجها ولن تأكل كثيراً.
- اننى اعتقد تماماً في نظرية الاستاذ داروين في ان اباه قرد فبينهما تشابه كبير في الشكل والسلوك.
- المرأة المحبة لزوجها لا يمكن ان تطهو طعاماً سيئاً والطعام كما يقول المصريون (نَفَس).
- تزوج صديق امرأة قصيرة فسألته عن ذلك فقال المرأة شر وكلما اقللت منه كان افضل وهذا الصديق لا يعلم ان كل قصير فتنة وان الدهاء والمكر في القصير اكثر وان تلك القصيرة قادرة على ان تحيل حياته جحيما وكان اولى ان يتخذها طويلة.
- لا اعتقد ان ابن الرومى الشاعر يمت بصلة قرابة للديك الرومى، تشابه اسماء فقط.
- قالت صديقة اشعب له: هب لي خاتمك اذكرك به قال اذكرينى انى منعتك اياه فهو احب إليّ.
- لم يعد يشعر بالرغبة في العزف على البيانو الا بعد أن فقد ذراعيه.
- الشعر عند العرب طبيعة وعند بقية الامم صناعة.
أحلى الكلام.



٤٢٥ - عراك في غير ميدان:

تشب معارك علمية في أمور مشتهرة قُتلت بحثا، ومع ذلك نجد من يحاول بعثها، فما يكاد يكتب عنها، حتى ينطلق الصوت المعارض ليعيد ما قيل من قبل، كما أعاد البادىء حديث من سلفه، دون الوصول الى فكرة جديدة تجعل من النقاش شيئا طريفا، ومما احتربت فيه بعض الأقلام قضية علم الغيب بالنسبة للنبي، سواء كان النبي محمداً {صلى الله عليه وسلم} أو من سبقه من الأنبياء، والمسألة ليست من قضايا العصر التي يترتب عليها اتجاه خاص، حتى يعاد بحثها، ولكنها مسألة قديمة لا يترتب عليها تغيير وضع، أو تجديد حالة، ولنفرض أنها مسألة خلافية بالنسبة لمن يتعبدون بأقوال الفقهاء دون الرجوع إلى الأصول الصحيحة، فما جدوى إعادة القول دون إضافة ما ، وقد عنّ لي أن آتي بشذرات مركزة تضيء بعض الجوانب، عساها تفلح في إغلاق باب الجدل لدى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٤٢٦ - النصوص الصريحة:

يقول الله تعالى:

(١) **{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين}** (الأنعام/ ٥٩).

(٢) **{قل ما كنتُ بدعا من الرسل ولا أدرى ما يُفعل بي ولا بكُم إن أتّبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين}** (الأحقاف/ ٩).

(٣) **{قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا، إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون}** (الأعراف ١٨٨).

(٤) **{قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون}** (النمل/ ٦٥).

(٥) **{قل لا أقول لكم عندى خزائن الله، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى مَلكٌ إن أتّبع إلا ما يوحى إليّ، قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون}** (الأنعام/ ٥٠).

هذه نصوص صريحة فيها المقنع كل المقنع لمن يقرأ كتاب الله، دون أن يتأثر برأي قاله مؤلف في كتاب، بل كان عليه أن يعلم أن القرآن مهيمن على كل قول، ولكن حوادث خاصة رويت في كتب السيرة، وهى بخصوصيتها المحدودة تكون استثناء لا يخرم القاعدة، وقد أوحى الله بها إلى رسوله في ظروف تستدعى هذا الإيحاء، هذه الحوادث ذات الاستثناء كانت - في رأيي - موضع الاشتباه لدى منْ يدّعون علم الغيب لأنبياء الله دون أن يرجعوا الى النصوص الصريحة التى لا تحتمل التأويل.

٤٢٧ - الحوادث الخاصة:

يقول الله عز وجل **{عالم الغيب فلا يُظْهرُ على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلُكُ من بين يديه ومن خلفه رصدا}** - (الجن - ٢٦، ٢٧).

ومعنى الآية أن من معجزات النبي أن يطلعه الله على غيب، يتحتم علمه حذراً من وقوع مغبة لا تحمد، والاطلاع حينئذ أمر خاص، له وقته المعلوم، وليس النبى {صلى الله عليه وسلم} أن يدّعى معرفة الغيب بالاطلاق العام إذ يعلم أن الغيب مما استأثر الله بعلمه، ولكنه يوحى لنبيه في بعض ساعات الخطر بما يكشف له وجه الحقيقة، وأقول في بعض الساعات، لأن أخطاراً كثيرة تتهدد النبوة، ولا يوحى رب العزّة بشيء عنها، وسأشير إلى بعضها فيما بعد.

١ - فمن القسم الأول، وهو ما يُوحي به الله في بعض ساعات الخطر درْءاً لمغبّة وخيمة، ما جاء من أن حاطب بن أبي بلتعة كاتب قريشا برسالة ينبئهم فيها بما عزم عليه الرسول من السير الى فتح مكة، إذ أرسل كتابه مع جارية كانت لبعض بنى عبد المطلب، فوضعته تحت شعرها، وسارت تريد مكة، فألهم رسول الله ما اقترف حاطب من ذنب، وأرسل على بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلب منهما أن يلحقا بالجارية، ويأخذا كتاب حاطب منها، وسرعان ما أوقفاها، وجعلا يُفتّشان فيما ظهر فلم يجدا شيئا، فقال لها على: إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبنا، ولتخرجنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت أن لا مناص من إظهار الكتاب، حلت شعر رأسها وأخرجته، فأتيا به إلى رسول الله فسأل حاطباً فاعترف في أسف، وهم عمر بقتله، ولكن رسول الله عفا عنه، وفي هذه الحادثة نزل قول الله تعالى **{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتي، تسرّون إليهم بالمودة، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومن يفعله منكم فقد ضلَّ سواء السبيل}**[١] (الممتحنة/١).

٢ - ومنه ما تحدث به سلمان الفارسي - رضى الله عنه - عن يوم الخندق، حيث قال: ضربتُ صخرة صلبة من صخور الخندق يوم الأحزاب فغلظت عليّ، واستعصى أمرها، ورسول الله ينظر جهدي، فتقدم {صلى الله عليه وسلم} وأخذ المعول من يدى، وضرب به ضربة لمعت ببرق ساطع، ثم ضرب الثانية والثالثة فلمع برقان منهما، فقلت لرسول الله: بأبى أنت

وأميّ ما هذا الذى يلمع تحت المعول وأنت تضرب، فقال (صلى الله عليه وسلم): أو قد رأيت يا سلمان؟ قال: نعم، فقال: أما الأولى فإن الله قد فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله قد فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله قد فتح على بها المشرق، وكان الأمر كما قال، وقد عاش سلمان حتى رأى اليمن وفارس وبلاد الشام تذعن للإسلام.

٣ ـ ومنه ما حدث في غزوة تبوك حين مر رسول الله بالحجر، فرأى ماء يهمّ المسلمون بشربه، فنهاهم عنه، ثم قال لهم: ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحبه، فأطاعوا، غير رجلين لم يبلغهما النهى، فخرج أحدهما لقضاء حاجته فأخذه الخناق، وخرج الثانى من بعده لمثل ما ذهب الأول، فهبت ريح فحملته إلى مكان بعيد، وعلم الرسول بما كان فقال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه، فأما الذى أدركه الخناق فقد دعا له الرسول فشُفي، وأما الآخر فقد ضلّ حتى قدم إلى بلاد طيء، فبعثت به إلى المدينة إكراما لرسول الله.

وفي السيرة أمثال لهذه الثلاث.

أما الأخطار التى قوبل بها الرسول ولم يعلم مغبتها، حيث لم يوح له الله بشيء، فكثيرة كثيرة، وكتب السيرة تقصها بتفصيل وإشباع وقد ألمح إليها الأستاذ أحمد محمد جمال حين قال: «لو كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعلم الغيب كله، لاستكثر من الخير، ولما مسه سوء أعدائه ومكايدهم، وحسب لكل هزيمة في المعارك التى هزم فيها المسلمون حسابها قبل أن تلوح الخاتمة، ولما أسف على كفر من كفر، ولما حزن على مسارعة من يسارعون الى الكفر، أو على قول من يقولون لست مرسلا ومن يطلبون منه مطالب الإعنات والإعجاز إذ أن من يعلم ما سيحدث له لا يبالى به إذا حدث فقد استقرت نفسه على تلقيه واستقباله، ولكن النبي ـ كما يذكر القرآن في عدة مواضع كان يأسف، وكان يضيق صدره بما يفاجأ به من كروب».

٤٢٨ ـ السابقون من الأنبياء :

هذا عن رسول الله خاتم الأنبياء، أما ما يؤكد أن سابقيه من الأنبياء والمرسلين لم يكونوا يعلمون الغيب، فما تشهد به هذه الحقائق:

١ ـ لقد أكل آدم عليه السلام من الشجرة، ولم يك يعلم أنها خديعة من وساوس إبليس ولو علم لما أكل، **{وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}** (١٢١، ١٢٢، طه).

٢ ـ لقد سأل نوح ربه في شأن ابنه ولو علم أنه من أهل النار ما هم بسؤال ، وهذا ما يدل عليه قوله فيما رواه رب العزة على لسانه **{قال ربّ إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين}**، وذلك بعد أن قال له ربه **{يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين}** (٤٥ ، ٤٦ هود).

٣ ـ خاف ابراهيم عليه السلام من الملائكة حين نزلوا بساحته، ولو علم الغيب ما خاف، يقول الله تعالى حاكيا أمره **{فأوجس منهم خيفة، قالوا لا تخف، وبشروه بغلام عليم}** (الذاريات/ ٢٨).

٤ ـ حار لوط في أمره مع قومه حين خفّوا إليه يريدون إيذاء أضيافه، وصاح بهم «لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد» فطمأنته الملائكة هاتفة **{يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فاسر بأهلك بقطع من الليل، ولا يلتفت منكم أحد، إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب}** (هود/ ٨٠، ٨١) .

٥ ـ ويعقوب لم يكن يعلم من أمر يوسف على وجه اليقين شيئا، ولو علم ما ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، وأقول على وجه اليقين، لأن إحساسا داخليا كان يعتاده هاجساً بالأمل، والأمل سلوى المحزونين، وإن كان بعيداً بعيداً، وهو ما عبر عنه بقوله لبنيه **{يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه، ولا تيأسوا من رَوْح الله، إنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون}** (يوسف/ ٨٢).

٦ ـ أما موسى فلم يكن يعلم شيئا عن ارتداء قومه في غيبته حتى أخبره الله بقوله **{قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك، وأضلّهم السامري، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا، قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي}** (طه/ ٨٥ ـ ٨٦).

٧ ـ وداود عليه السلام، تسور الملكان عليه المحراب، فما عرفهما ساعتئذ حتى إذا فكر في أمرهما متئدا استغفر ربه وخر راكعا وأناب **{فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب}** (ص/ ٢٤، ٢٥).

٨ ـ وسليمان لم يعرف السبب في غياب الهدهد فتوعده وهدده بالذبح، فلما جاءه قال له **{أحطت بما لم تُحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، إني وجدت امرأة تملكهم، وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم}** (النمل/ ٢٢، ٢٣).

٩ ـ وعيسى عليه السلام لم يعرف أنصاره، إلا حين أجابوا سؤاله حين قال **{من أنصارى إلى الله؟ قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طائفة من بنى إسرائيل، وكفرت طائفة}** (الصف/ ١٤) وما أظننا بعد هذه الأدلة الساطعة في حاجة إلى مزيد.

وبعد، فهذه نصوص قاطعة لا تقبل التأويل، ورجاؤنا ممن يثيرون القضايا العلمية لإثارة الجدلية فحسب، أن يتجهوا إلى ما يفيد الناس في معاشهم ومعادهم، فذلك أحرى بالكاتبين.



لا ... لدمج الصحف

تتواتر في الوسط الصحفي في هذه الأيام أخبار يتداولها الكثير من الصحفيين عن مشروع وشيك لدمج المؤسسات الصحفية بهدف تحسين امكانياتها وحشد القدرات حتى تستطيع التعامل مع المنافسة الشديدة التي باتت السمة البارزة في التطورات التكنولوجية للإعلام العالمي في الألفية الثالثة.

وقبل أن أبدي رأيي في مشروع دمج الصحف أقول لعله من حسن الحظ أن لدينا في عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م تجربة وافية وكافية من دمج الصحف، وأذكر أن الهدف من وراء الدمج يومذاك كان هو نفس الهدف المطروح إشاعة في الأوساط الصحفية في هذه الأيام، وهو أن الدمج كان يهدف إلى الارتقاء بالصحف السعودية حتى تنافس الصحف العربية في مصر ولبنان.

ولكن، ومن معمل الواقع، فإن دمج صحيفتي حراء والندوة لم يسفر عن جريدة حملت اسم الندوة قوية وعتيدة، بل بالعكس أفرز صحيفة مثقلة بالإعياء والأعباء، تشكو الهزال والضعف في الإدارة والتحرير، وتجتاحها خلافات موجعة ومضنية.

وكذلك فإن دمج صحيفتي عرفات والبلاد السعودية، في صحيفة البلاد أسفر عن جريدة ورثت مشاكل إدارتي عرفات والبلاد السعودية، وظلت هاتان الصحيفتان تعانيان من أسقام الدمج ولم تسترد عافيتها إلا بعد أن تم إزالة آثار الدمج وعادت إلى الملكية الفردية المتفردة.

والعكس صحيح، فقد نشطت جريدة المدينة التي لم تدمج مع صحيفة أخرى، كما نشطت كل الصحف التي كانت تصدر في المنطقة الوسطى بدون دمج.

وبهذه المناسبة فإن فقهاء الإدارة يعبرون عن مساوىء الدمج بالقانون التالي:

إدارة سيئة + إدارة سيئة = إدارة أسوأ

بمعنى إذا تم دمج إدارة صحيفة سيئة مع إدارة صحيفة أخرى سيئة، فإن المحصلة هو إدارة بسيئتين وليست بسيئة واحدة.

والسؤال الآن ما هو العلاج الشافي للصحف السعودية الضعيفة؟!

والجواب الشافي الوافي يتمثل في إدارة جيدة (غير مدمجة) وتحرير جيد (غير مدمج).

وإذا تصفحنا تاريخ صحف مثل البلاد أو عكاظ أو المدينة أو الرياض أو الجزيرة، نجد أنه حينما تصادف الصحيفة (أي صحيفة) حقبة تكون فيها الإدارة قوية والتحرير قوياً، فإن معدلات انتشار الصحيفة يعلو بشكل مدهش، والمثل الماثل في هذه الأيام هو عكاظ والرياض.

حتى الجزيرة حينما أرادوا الإرتقاء بها لم يلجأوا الى الدمج، بل عينوا الزميل الأستاذ خالد المالك لها!

بقلم: د. أمين ساعاتي - جدة -

كل عام
وأنتم بخير

الكشاف البليوجرافي

لموضوعات المنهل للعام

١٤٢٠ هـ / ٩٩ ــ ٢٠٠٠ م

المجلد ٦١ العام ٦٥

الموضوع	الكاتب	١٤٢٠هـ/٩٩/٢٠٠٠م	ع	ص / ص
القصة القصيرة تعريف وتاريخ	رفيق موسى	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٤٩/٤٨
من عيون المراثي فى الشعر العربي	جمعة بنت سفر الزهراني	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٥٠/١٤٨
نظرة فى تحولات المنظور فى القصة القصيرة	طاهر عبد مسلم	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٥١/٥٠
الوعي الجماعي وجماعية النص	مشتاق عباس معن	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٤٧/٤٦
شعر				
الأسباب	مصطفى هاشم الشوربجي	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٧
أغنية فى الرّماد	د. محمود الشلبي	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٢٨
إليها	عادل محمد أحمد	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١١٥
أم اللغات	ابراهيم الصعبى	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٩٩
أين ذاك العهد منّا	حفيظ بن عجب آل حفيظ	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٢٣
ترانيم رمضانية	ياسين قطب الفيل	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٥٩/٥٨
جحود	سعد سعيد الرفاعي	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٦
جراح الذُّل	عبده على حسن الفيفي	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٤
حبيس الجدران	نور محمد البار	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٣٤
رحلة الحج المباركة	مادح رمضان عبدالحميد	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٤٥/٤٤
رحيل	سهام مهران عبدالله (صح) حنان عبدالقادر اسماعيل	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٣٥
رمضان ياقطر الندى	سهام مهران عبدالله	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٣٥
ساعات ليلي	جليلة رضا	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٥١
سَرْيَةُ الهوى إلى أبها	د. بهاء بن حسين عزّي	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١١٥/١١٤
سَرْيَةُ الهوى إلى تبوك	د. بهاء بن حسين عزّي	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٧٩/٧٨
سَرْيَةُ الهوى إلى دمشق	د. بهاء بن حسين عزّي	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٥٥/٥٤
صدى الألحان	مفرج السيد	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١١٦
صور من بلادي	محمد على آل توفيق	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٦٩/٦٤
عُرَى النسيم	فواز بن عبدالعزيز اللعبون	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٧٥/٧٤
على وقتنا المنزوع رونقه سأفترش الضياع	بدر الدين محمد نعمان محمد	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٦
عمود الشعر	د. فريد الأنصاري	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٣١/١٣٠
الغابة	محمد عبدالسلام	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٢٢
الغريب	على احمد الرفاعي	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١١٩
قرنفلة القبول	جمال علوش	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٢٥
كهفان	عمار صبيح التميمي	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	١٠٩/١٠٨
لا .. لن أخوض معارك الابحار	صالح بن عبدالكريم العبودي	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١١٩
لمن تكتب قصائدي	نجوى زاوي	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١٤١
ليلة الإسراء	نوال مهنى	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٣٦
مُعَلَّقَة بباب العصر	د. عبدالله الفيفي	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٦٧/٦٦
ملحمة لقاء	عبدالله بن سليم الرشيد	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٧
من الشعر الاسباني الحديث	ترجمة : سعيد حدّاد	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٧٥
من وحي الهجرة	رفعت عبدالوهاب المرصفي	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٢٧
مواسم الخير	أحمد صدوق صافي	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٤٤
مولد النور	يس قطب الفيل	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٤٥/٤٤
وانفرطت عناقيد الربابة	مصطفى بلمشري	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٧
وطني الحبيب	عبدالله بن ناصر العويد	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٥
وكنا نساقي البدر	محمد سعد دياب	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١١٤
ياصاحب الاسراء معذرة	رفعت عبدالوهاب المرصفي	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٣٥/٣٤
ياعاذلي فى الحج	أحمد صدوق صافي	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٣٧/٣٦
يوميّة فارس	د. عبدالله الفيفي	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١٩/١١٨

الموضوع	الكاتب	١٤٢٠هـ/٩٩/٢٠٠٠م	ع	ص / ص
العولمة وموقف الاسلام منها	د. احمد شلبي	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٥٣/٤٨
العين حق	عبدالعزيز بن صالح العسكر	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٥٣/٥٢
المسجد وعلماء الدين مرتكز بناء الأمة	د. وفاء بنت علي بن سليمان الحمدان	شوال وذو القعدة / يناير وفبراير	٥٦٣	٢٢٧/٢٢٦
مما قل (شهر النور)	عبد القدوس الانصاري	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	——
منهج الاسلام في تربية الأولاد	فيصل صالح أسعد	شوال وذو القعدة / يناير وفبراير	٥٦٣	٨٣/٧٨
منهج الحج في التربية	د. محمد السيد المليجي	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٣٥/٣٠
تفسير ودراسات قرآنية				
المصطلحات الانشائية والمعمارية في القرآن الكريم	سامي ميرى كاظم	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٣١/٢٤
مفهوم لدن في القرآن الكريم	د. لؤي فتوحي	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٢٩/٢٦
من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة (١-٣)	د. حسن محمد باجودة	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٢٥/٢٠
من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة (٢-٣)	د. حسن محمد باجودة	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٢٩/٢٢
من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة (٣-٣)	د. حسن محمد باجودة	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٢١/١٨
منهج الطبري في تفسيره	د. احسان الحق عبدالحق	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٩١/٨٦
الحديث والسنة والسيرة				
دروس من ذكرى الإسراء والمعراج	أحمد أبو الدهب محمود	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٣٣/٣٠
القصص النبوي (٥٣) دعوى أهل الجنة	د. عبدالباسط أحمد علي حمودة	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٣١/٢٨
القصص النبوي (٥٤) قصص الأنبياء	د. عبدالباسط أحمد علي حمودة	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٣٧/٣٢
القصص النبوي (٥٥) عدد الأنبياء	د. عبدالباسط أحمد علي حمودة	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	١٧/١٤
القصص النبوي (٥٦) عن الجنة ونعيمها	د. عبدالباسط أحمد علي حمودة	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٣٥/٣٠
القصص النبوي (٥٧) عن الجنة ونعيمها	د. عبدالباسط أحمد علي حمودة	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٤١/٣٦
القصص النبوي (٥٨) قصص النبوة والأدب العربي	د. عبدالباسط أحمد علي حمودة	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٢٧/٢٢
القصص النبوي (٥٩) خلق آدم عليه السلام	د. عبدالباسط أحمد علي حمودة	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٢٩/٢٢
من أسرار الهجرة	فيصل صالح أسعد	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٢٦/٢٠
دراسات إسلامية				
الاستشراق والظاهرة الإسلامية (١-٤)	د. محمد عمارة	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٤٥/٣٨
الاستشراق والظاهرة الإسلامية (٢-٤) أسباب صعود المد الاسلامي	د. محمد عمارة	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٤٥/٣٨
الاستشراق والظاهرة الإسلامية (٣-٤) هل الصحوة الاسلامية خطر على الغرب	د. محمد عمارة	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٢٥/١٨
الاستشراق والظاهرة الإسلامية (٤-٤) هل هناك مستقبل للصحوة الاسلامية	د. محمد عمارة	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٣٩/٣٦
الأماكن والبلدان				
أبها في قلوب ولاة الأمر	أنور محمد آل خليفة	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١١٣/١٠٦
الى الاراضي الحجازية عبر طريق الحج القديم	فتحي عبدالحميد المراغي	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٠٣/٨٨
أنطاليا أنشودة الطبيعة والتاريخ	الحسان الرزاقي	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	١٢٥/١٢٢
أيام لاتنسى في أرض الحرمين	د. خالد عزب	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٦/٤
التنوع والجمال في سلوفاكيا	الحسان الرزاقي	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٧٩/٧٦
تونس المدينة العتيقة	أوس داوود يعقوب	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٨٩/٨٢
جولة في وسط أمريكا .. مشاهدات وانطباعات (١)	عبدالله بن حمد الحقيل	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٨١/٧٤
جولة في وسط أمريكا .. مشاهدات وانطباعات (٢)	عبدالله بن حمد الحقيل	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٩١/٨٦
حضارة سلطنة عمان في كتابات الجغرافيين في العصور الوسطى	د. عبدالله كامل موسى	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٦٥/٥٦
رحلات الحج الى الحرمين الشريفين	صالح العود	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٢٤
رشيد مدينة المليون نخلة	ابراهيم العربي أبو حمد	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	١٢١/١١٨
الرياض عاصمة الثقافة ٢٠٠٠	المحرر	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٣

التراجم والشخصيات

الموضوع	الكاتب	١٤٢٠هـ/٩٩/٢٠٠٠م	ع	ص / ص
الحياة الفطرية والبيئية				
بحر زاخر تحت الجليد !	مازن محارب	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٧/١٢
التلوث بالمواد العضوية وحياة البحر المتوسط	د. كمال الحنون	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٧٧/٧٢
تلوث المياه خطر كبير يهدد الانسان	د. محمد غسان سلوم	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٧١/٦٦
الزملحة .. وجهود الدولة	التحرير	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١١/٩
الطحالب نباتات مائية ذات أهمية اقتصادية كبيرة	د. مهيب اسماعيل	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٢١/١٢
المحميات تحافظ على الحياة البيئية	د. كمال الحنون	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٢١/١٢
خواطر اجتماعية				
أوراق زوجية	أبوعواد	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١٤٣/١٤٢
أوراق زوجية	أم عمرو	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١٤٣/١٤٢
أوراق زوجية	أبوعواد	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	١٤٥/١٤٤
أوراق زوجية	أم عمرو	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	١٤٥/١٤٤
أوراق زوجية	أبوعواد	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	١٥٣/١٥٢
أوراق زوجية	أم عمرو	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	١٥٣/١٥٢
أوراق زوجية	أبوعواد	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١٥١/١٥٠
أوراق زوجية	أم عمرو	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١٥١/١٥٠
أوراق زوجية	أبوعواد	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٣٩/١٣٨
أوراق زوجية	أم عمرو	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٣٩/١٣٨
أوراق زوجية	أبوعواد	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٤١/١٤٠
أوراق زوجية	أم عمرو	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٤١/١٤٠
أوراق زوجية	أبوعواد	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٥٥/١٥٤
أوراق زوجية	أم عمرو	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٥٥/١٥٤
بين السطور	د. عبدالغني عبدالحميد رجب	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١٥٥/١٥٤
بين السطور	د. عبدالغني عبدالحميد رجب	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	١٢٥/١٢٢
بين السطور	د. عبدالغني عبدالحميد رجب	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	١٣٦/١٣٤
بين السطور	د. عبدالغني عبدالحميد رجب	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١٤١/١٤٠
بين السطور	د. عبدالغني عبدالحميد رجب	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٥١/١٤٨
بين السطور	د. عبدالغني عبدالحميد رجب	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٦٥/١٦٤
بين السطور	د. عبدالغني عبدالحميد رجب	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١٥٩/١٥٨
هل هناك حلول	هند أحمد هرساني	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١٤٠/١٣٨
صحافة واعلام				
أربعينية (العربي) ومستقبل الثقافة	التحرير	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٩/٨
الاعلام ودوره فى منظومة التغيير	د. نجاة عبدالله بوقس	شوال وذو القعدة / يناير وفبراير	٥٦٣	٢٢٤
الانترنيت أسطورة القرن	د. سوسن محمد عز الدين	شوال وذو القعدة / يناير وفبراير	٥٦٣	٢٢٧/٢٢٦
تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز (الحلقة الأولى)	د. أمين ساعاتي	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٧١/٦٤
تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز (الحلقة الثانية والأخيرة)	د. أمين ساعاتي	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	٤٣/٣٦
تجربتي فى الصحافة	عبدالقدوس الانصاري	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١٣٥/١٣٢
ذكرى حدث صحفي (مجلة الأمة ستة أعوام فى دنيا الصحافة)	يعقوب السيد حسنين	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١٥٢

الطب والعلوم والفلك

فنون

كتب ومكتبات

الموضوع	الكاتب	١٤٢٠هـ/٩٩/٢٠٠٠م	ع	ص / ص
تحقيقات عرضية	د. علي جواد الطاهر	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٥٩/١٥٨
رحلة في المكتبة (١١) المرأة العربية .. تأليف عبدالله عفيفي	د. محمد رجب البيومي	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	١٠٧/١٠٤
رحلة في المكتبة (١٢) نقض مطاعن في القرآن الكريم	د. محمد رجب البيومي	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١٢٣/١٢٠
رحلة في المكتبة (١٣) سارة .. تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد	د. محمد رجب البيومي	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٥٥/ ١٥٢
سر أصغر مصحف في العالم	يعقوب السيد حسنين	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٦٣/٦٠
السرقات .. ثانية وعاشرا	د. محمد رجب البيومي	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١١
قراءة في كشاف الزمخشري (١-٢) «التعريف والتنكير في القرآن الكريم»	د. تامر سلوم سلوم	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١٩/١٤
قراءة في كشاف الزمخشري (٢-٢) «التعريف والتنكير في القرآن الكريم»	د. تامر سلوم سلوم	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٢٣/١٨
مخطوط حمزة العربي (البتراء)	د. سعد أبو ديه	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٤٧/١٤٤
المكتبات .. في عهد الملك عبدالعزيز	د. طاهر تونسي	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١١٩/١١٨
مكتبة الأمير فيصل بن فهد	التحرير	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	٨
مكتبة كبرى لسمو الأمير بندر بن سلطان بأصيلة في المغرب	سعيد بو نوار	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٤
وقفة مع كتاب ابن مالك المخطوط (سبك المنظوم)	د. غنيم غانم الينبعاوي	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	١٣١/١٣٠
اللغة				
ارتقاء اللغة لدى الأطفال .. الفهم والانتاج	د. شاكر عبدالحميد	شوال وذو القعدة / يناير وفبراير	٥٦٣	١٨٩/١٨٢
الضرائر الشعرية والنثرية في النحو العربي	د. محمود فجال	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٥١/٤٨
الفروق في اللغة (١)	د. ياسين بن ناصر الخطيب	صفر / مايو ويونيو	٥٥٨	٩٨/٩٦
الفروق في اللغة (٣) صح (٢)	د. ياسين بن ناصر الخطيب	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١٣٨/١٣٦
الفروق في اللغة (٣) الفرق بين العِلْم والمعرفة	د. ياسين بن ناصر الخطيب	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٠٣/١٠٢
الفروق في اللغة (٤) الفرق بين المداراة والمداهنة	د. ياسين بن ناصر الخطيب	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	١٥٧/١٥٦
الفروق في اللغة (٥)	د. ياسين بن ناصر الخطيب	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٨٣/٨٢
الكتابة ونشأة الأبجدية	د. أحمد يوسف	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	٨١/٧٦
مؤتمرات وندوات				
أول خيمة للشعر العربي بفاس	سعيد بو نوّار	شعبان ورمضان / نوفمبر وديسمبر	٥٦٢	٧/٦
المؤتمر الاول للشعر العربي	محمد السمان	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	٧
مؤتمر الشعر العربي الأول بفاس المغربية	سعيد بو نوّار	رجب / أكتوبر ونوفمبر	٥٦١	١٠
الندوة الدولية الأولى حول السجاد التقليدي	د. صلاح احمد البهنسي	ذو الحجة / مارس	٥٦٤	١١١/١٠٤
مؤسسات وهيئات				
أسبار للدراسات والبحوث والاعلام ومشاريع الرصد الحضاري	عقيل بن ناجي المسكين	جمادى الاولى والآخرة / سبتمبر وأكتوبر	٥٦٠	١٣١/١٢٦
الأسس التي قامت عليها الوحدة في المملكة العربية السعودية	د. يحيي بن محمد العطيف	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	١١٧/١١٤
معهد المخطوطات العربية خمسون عاما في خدمة التراث العربي	خالد عزب	الربيعان / يوليو وأغسطس	٥٥٩	١٣/١٠
منظمة المؤتمر الاسلامي والدول الأعضاء بها	د. عادل طه يونس	المحرم / ابريل ومايو	٥٥٧	٥٣/٤٨

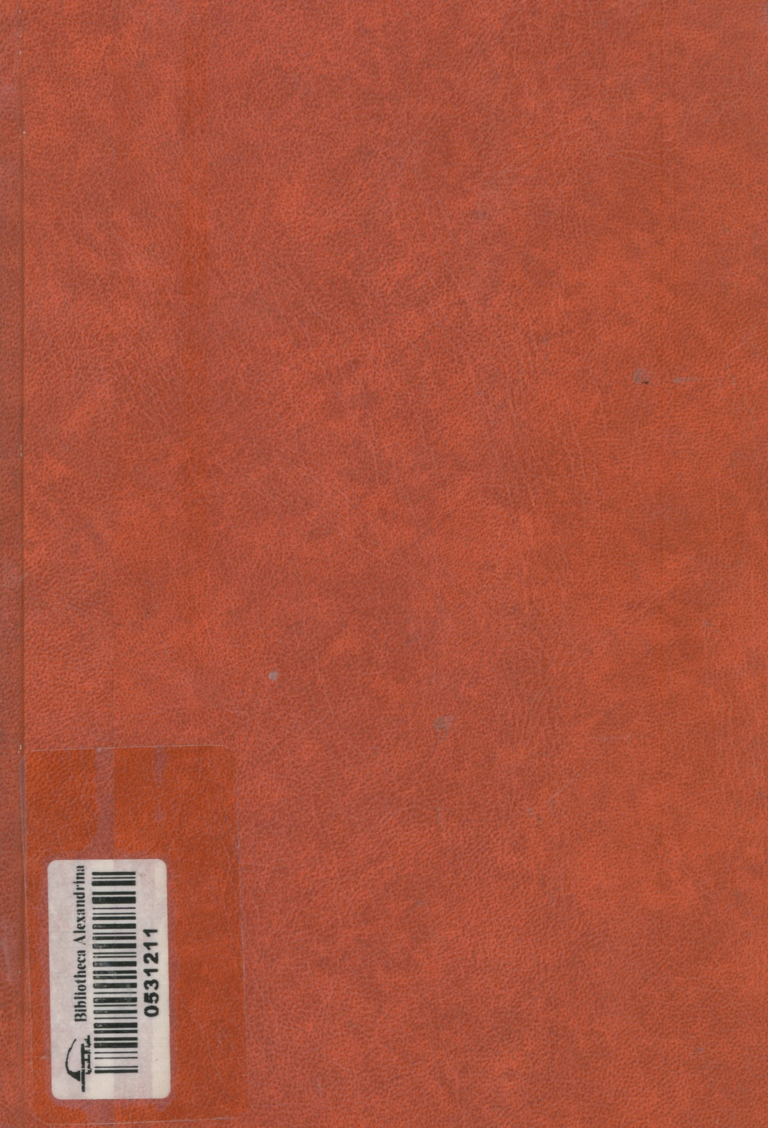


مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣


Bibliotheca Alexandrina
0531211